قصص وخواطر

من أخلاقيات علماء الدين

العلامة الشيخ
عبد العظيم المهتدي البحراني






قصص وخواطر
من أخلاقيات علماء الدين



إنّها (٦٥٠) قصة وخاطرة من أجل تأليف القلوب الطيّبة
وترويج الفضائل الاخلاقية والتذكير بالقيم الاسلامية المهجورة

عبد العظيم المهتدي البحراني



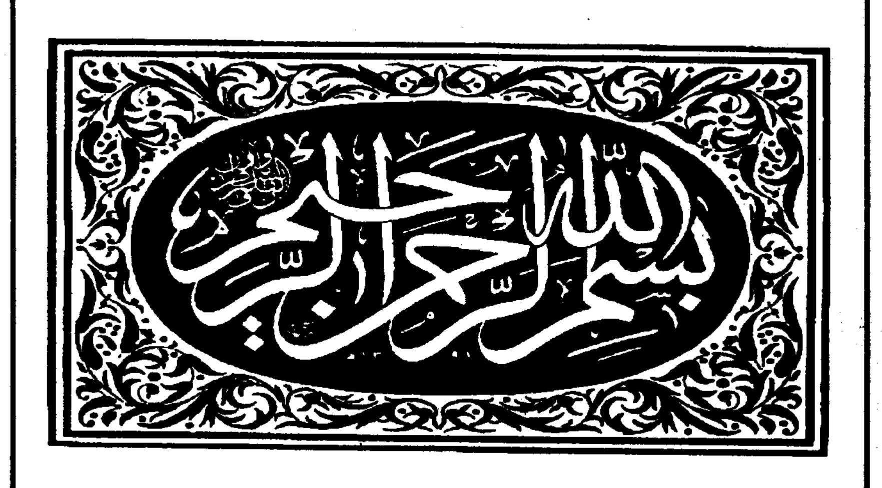
بيروت - لبنان

الطبعة الثانية
١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م




للطباعة والنشر والتوزيع

بئر العبد - مدخل مدرسة حارة حريك الرسمية الثانية - بناية فوعاني - الطابق الأول
ص.ب: ١١٠-٧٩٥٢ بيروت ٢٢٥٠-١١٠٧ - هاتف: (٠٢/٥١٤٩٠٥) - تلفاكس: ٠١/٥٥٣١١٩٠ لبنان
الموقع الإلكتروني: www.albalagh-est.com
E-mail : Albalagh-est@hotmail.com



﴿ فَاقْصُصِ القَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتفكَّرونَ ۞

سَاءَ مَثَلاً القَوْمُ الَّـذِينَ كَـذَّبُوا بِآيـٰتِنَا

وأنفُسَهُمْ كَانُوا يَظْلِمُونَ ۞ مَنْ يَهْدِ اللّٰهُ

فَهْوَ المُهْتَدِي وَمَن يُـضْلِـلْ فأولئِـكَ

هُـمُ الخـٰسِرُونَ ﴾ سورة الأعراف : الآية ١٧٦ ـ ١٧٨

تعريف الكتاب

في قصيدةٍ للشاعر الحسيني

فضيلة الشيخ محمد باقر النجفي الإيرواني

هـــذا كـتابٌ واضـحٌ عُـنوانُــه
وبــوَصفِهِ يَشْـدو الأديبُ الشـاعِرُ

فـــي دفّـتَيْه حَـوىٰ مآثـرَ جَـمَّةً
فكأنّـــهُنّ لَـــئالئٌ وجـواهِـرُ

فـإلىٰ النـواظِـرِ تَـزْدهي صَـفحاتُه
كـالنّورِ إذْ يَـصْبو إليــهِ النــاظِرُ

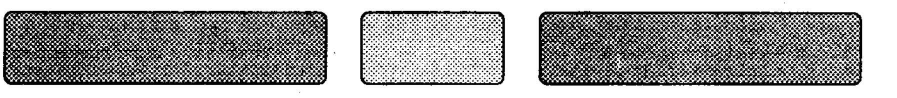
قَـلَمُ الوِلا والشّـوْقِ للـعلماء قَـدْ
خَطَّ السُّطورَ وفي السّـطور نـوادِرُ

عـبدُالعـظيمِ المُـهتدي أكْـرِم بـه
أدبٌ وأخـــلاقٌ وفِكْـــرٌ بـــاهِرُ

جَـمَعَ الـفضائلَ والكـرامـاتِ التـي
تُـنمىٰ الىٰ العُـلماءِ وهـي مـفاخِرُ

أحـيا التُّـراثَ بِسـعْيِهِ وبـجُهْدِهِ
فَـلَهُ الهَـنا وله الثّـناءُ العـاطِرُ

ولَسوفَ يَبقىٰ فـي الخـواطِـرِ ذِكْـرُهُ
بكـتابِهِ قَـصَصٌ لنـا وخـواطِـرُ



الاهـداء

الىٰ .. ثامِن الأئمة الإمام الرّضا عليه السلام حـيث كـتبتُ هـذه القـصص والخواطر في جوارِ حَرَمِه الشريف .

الىٰ .. خاتمِ الائمّة ، الإمام المهدي (عجّل اللّهُ في ظهورِه) حيث بهذا الجُهْدِ المتواضع أرجو تَلَمُّسَ خُطاه وطَلَبَ رِضاه .

الىٰ .. أرواحِ العلماء الذين خَلَّفوا ورائَهُم ذِكْراً حَسَناً لِنكونَ بِهم مِن اللاّحقين .

الىٰ .. كلِّ مَن يقرءُ الكتابَ وهو عالِمٌ أو متعلِّمٌ أو عامِلٌ علىٰ سبيلِ نجاة .

أُقدّمُ هذا التأليف ومِن اللّهِ القبول .

مقدمة الطبعة

بسم الله الرحمن الرحيم

وجاء موعد الطبعة السادسة ولله الحمد علىٰ حُسنِ توفيقه وله الشكر علىٰ كثير نعمه، وهذا إن دل علىٰ شيء فإنما يدلُ علىٰ أن المجتمع المسلم وأتباع مذهب أهل البيت خاصة مُتلهّفون الىٰ مطالعة حياة علمائهم الأكارم سعياً وراء التأسي بأخلاقهم الكريمة. كما يدل علىٰ حب الناس للمنهج الوحدوي الذي بنينا هذا الكتاب علىٰ هداه، إن الوحدة ونبذ الإختلاف مطلبُ العقلاء في كل زمان ومكان، ولكن الأيادي الخفية للشياطين قد استغلت طوال القرون جهل الناس لتعبث في دينهم ودنياهم وتذوّقهم مرارة العداوة والبغضاء وتوردهم في النهاية الىٰ عذابٍ أليم. وترىٰ بوحيٍ من نقاء فطرتهم يُقرّون قبح الإختلاف وحسن الإئتلاف.

وكم تجب الدعوة إلىٰ هذه الفريضة التي دعانا إليها أئمتنا الأطهار: في العِشرة مع أبناء المذاهب الإسلامية الأخرىٰ، فقالوا للشيعة: «زوروهم في بيوتهم، وعودوا مرضاهم، وصلّوا في مساجدهم، واحضروا جنائزهم واشهدوا معهم»[1].

فهل نعمل بهذه الاحاديث في أوساطنا الداخلية حتىٰ ننطلق بعدها الىٰ الآخرين من أبناء المذاهب الاسلامية ؟

بلىٰ فقد انطلق بعضنا إلىٰ هذا وأعرض عن ذلك مع الأقربين منه !

---

١ ـ راجع أحاديث باب العِشرة في المجلد الثاني عشر من موسوعة وسائل الشيعة / الطبعة الجديدة.

كما أعرض بعضٌ آخر العمل بتلك الاحاديث مع الجميع، فهو قد يختلف حتىٰ مع نفسه وعياله !

وراح بعضٌ ثالث ساعياً إلىٰ تطبيق منهج الوحدة الاجتماعية في ظل المستلزمات الأخلاقية، مع إيجاد المناعة الفكرية السليمة في نفسه لرعاية الحدود المطلوبة في العِشرة والمعاشرة والإنفتاح والمجاورة والأُلفة والتودّد، وهذا هو ماتبنّيناه في منهج كتاباتنا وهذا الكتاب خصوصاً، حيث ندعو دائماً الىٰ الوئام والمحبة وتجاوز الخلافات ونسيان المشادّات وأهمية الترفّع عن السفاسف والتوافه وعدم تضخيم المشاكل علىٰ حساب القيم والمبادئ. وقد وجدنا في سيرة النبي الأكرمﷺ والائمة الطاهرين عليهم السلام وأخلاقيات العلماء الصالحين خير دليل هادياً الىٰ ذلك الهدف النبيل، وكلٌّ مايتصل بهذا القصد والهدف فإن الله يكتب له النجاح عند الناس والأجر في الآخرة، وكفىٰ هذا حافزاً لكل من يسلك سبيل الاختلاف والحدّية والاستعلاء الفئوي أن يعود الىٰ سبيل الرشد، ولا يُسبّب لنفسه نفور الناس ويمهّد لها عذاب الآخرة.

هذا وإني أنتهز فرصة الطبعة السادسة هنا لأُهدي ثواب هذا الإنجاز الىٰ روح المرحوم المغفور له السيد حمزة ابن السيد حسين العلوي البحراني ونجله المرحوم السيد هاشم العلوي. ومن الله سبحانه أرجو القبول بجاهِ الرسول وآل الرسول :

قم المشرّفة / ١٨ ذي الحجة / ١٤٢١ هـ

ذكرىٰ عيد الغدير الأغرّ، أسعدنا الله بعطاياه الكريمة .

عبد العظيم المهتدي البحراني

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد للّهِ الّذي خَلَقَ الانسانَ فعدَّله، وعلَّمه البيانَ ففضَّله، وألبسه الإيمان فجلَّله، وألهَمَه الإحسان فجمّله ...

نحمدُك اللّهمّ يا مَن هدانا بأنوار القرآن والحديث لمعرفة الحقّ والصحيح، وركّب فينا العقل والضمير لنتّبع الشريف ونتجنّب القبيح.

اللّهم ألْهِمنا طاعتَك، وبعِّدنا عن معصيتك، واقْشَعْ عن بصائرنا سحائب الإرتياب، واكشِفْ عن قلوبنا أغشية المرْية والحجاب، وأزْهق الباطلَ عن ضمائرنا وأثبت الحقَّ في سرائِرنا، فإنَّ الشكوك والظّنون لواقح الفِتَن ومُكدِّرةٌ لِصَفْو المنائح والمِنن.

اللّهم احمِلنا في سُفُنِ نجاتِك، وأذِقْنا حلاوةَ وُدِّك، وأخلِص نيّاتنا في معامَلتِك، وألحِقْنا بعبادك الذين هُم بالبِدار اليك يسارعون، وبابكَ على الدّوام يَطرقونَ، وايّاك في الليل والنهار يعبدون، وهم مِن هيْبتك مُشْفقون. الذين صفَّيتَ لهم المشارب وبلّغتَهم الرغائب وأنجَحْتَ لهم المطالب، فبك الى الحق وصلوا، وعن الباطل خلصوا، ومنك على أقصى مكارم الأخلاق وفضائلها حصلوا.

اللّهم وصلِّ وسلِّم على أوْفَرِهم منك حظّاً، وأعلاهم عندك منزلاً، وأجْزلهم من حبّك قِسْماً، وأفضلِهم في معرفتك نصيباً، محمد المصطفى وأئمة الهُدى من أهل بيت النبوّة والعُلى، وصلِّ وسلّم على الصالحين من عبادك واجْعلنا من اللاّحقين بهم على صراطك الى يوم لقائك.

دليل القصص والخواطر

بأرقام الصفحات



في هذه المقدّمة الهامّة تقرأ :

أمّا بعد :

فقد قال اللّه تعالىٰ في كتابه الحكيم :

بسم ا للّه الرحمٰن الرحيم

﴿ إقرأ باسْمِ ربِّك الذي خَلَق * خَلَقَ الانسانَ مِن عَلَق * إقرأ وربُّك الأكرَم* الذي عَلَّمَ بالقلم * عَلَّمَ الانسانَ ما لَمْ يَعْلَم ﴾

حينما كنّا شعوباً نقرأ باسم ربنا مخلصين له الدين في طلب العلم والعمل به كان الخير إلينا مُقبِلاً ...

ولّما اصبحنا لا نقرأ ، أو اذا قرأنا لم تكن قراءتنا باسم ربنا مخلصين له الدين أو لم نعمل بعلمنا ونتجرّد عن الذاتيات ، اصبح الخير عنّا مُدبِراً ...

وما تبقّىٰ لنا من خير قليل فهو لوجود من يقرأ قربة الىٰ اللّه، ومن يحمل القلم تبياناً للحق ، ومن يتعلّم سبل الخير ويدعو الىٰ الثبات علىٰ سُلّم الوصول الىٰ السعادة الأبدية .

إن القراءة عمل خاص بالإنسان دون البهائم ، وهي سبيله الى العلم النافع وفيه رُقيّهُ وبه قيمته ، ذلك لأن الانسان مخلوق ذو عقل وإرادة قابل للتعلم والتقدم نحو بناء حياة طيبة ، فبالعلم والقراءة ونماء العقل يُثمّن الانسان ، ولذا

يرىٰ الاسلام أنّ طلب العلم النافع أهمّ من مجالس الدعاء التي ليس فيها وعي وعلم.

فقد ورد في السيرة أن رسول الله ﷺ دخل المسجد يوماً فرأىٰ مجلسيْن، مجلساً يتدارسون العلم ويتباحثون الفقه، ومجلساً يدعون الله ويسألونه. فقال الرسول: «كلا المجلسيْنِ الىٰ خير، أما هؤلاء فيدعون الله، وأما هؤلاء فيتعلّمون ويفقّهون الجاهل، هؤلاء افضل، بالتعليم أُرسلتُ لمّا أُرسلتُ. ثم قعد معهم»[1].

وعن الإمام علي عليه السلام: «تعلّموا العلمَ .. فإنّ تعلّمه حسنة، ومدارسته تسبيح، والبحث عنه جهاد، وتعليمه لمن لا يَعْلَمْه صدقة، وهو أنيس في الوحشة، وصاحب في الوحدة، وسلاح علىٰ الأعداء، وزيْن الاخلاّء، يرفع الله به أقواماً يجعلهم في الخير أئمة يُقتدىٰ بهم ... لأن العلم حياة القلوب وقوّةُ الأبدان من الضعف... بالعلم يُطاع الله ويُعبد»[2].

ومن هنا كانت دعوته التي قال فيها: «رَحِمَ الله امرءاً سَمع حُكماً فَوعىٰ، ودُعِيَ الىٰ رشادٍ فدنا، إغْتَنم المَهَل، وبادر الأَجل، وتزوَّد من العمل»[3]

وعلىٰ هذا صحّ كلام الحكماء بأنّ الناس أنماط أربعة:

١ ـ فرجلٌ يعلم، ويعلم أنّه يعلم، فذلك عالمٌ فاسألوه.

٢ ـ رجلٌ يعلم، ولا يعلم أنّه يعلم، فذلك الناسي فذكّروه.

٣ ـ رجلٌ لا يعلم، ويعلم أنّه لا يعلم، فذلك الجاهل فعلّموه.

٤ ـ رجلٌ لا يعلم، ولا يعلم أنّه لا يعلم، فذلك الأحمق فارفضوه.

أملي يا أخي القاريء أن تفتح علىٰ نفسك ـ بقراءتك لهذه المقدمة الهامة ـ باباً علىٰ فهمٍ أجود لما جاء في هذا الكتاب، وهذا لايكون الاّ أن تقرأهُ بنيّة الإخلاص لله والتجرّد عن العصبيّة وأن يكون هدفك بحثاً عن الحقيقة وخدمةً لدنياك وآخرتك وهدايةً للآخرين من حولك.

---

١ ـ منية المريد في آداب المفيد والمستفيد / ص ١٦.

٢ ـ أمالي الشيخ الصدوق / ص ٥٥١. ٣ ـ نهج البلاغة / ص ١٧٣ ـ ١٧٤.

● القصّة في القرآن

القصة سواء كانت من صُنْع الخيال او من صُنْع الواقع تُعتَبر من الفنون الأدبية التي عرفها الانسان منذ العصور الاولىٰ .

والقرآن الحكيم قد اتخذ من القصص الحقيقية والحكايات الواقعية اسلوباً من أساليبه البلاغية التي تفوّق بها دائماً في بيان الموعظة الحسنة وتوضيح السنن الحقّة في الكون والحياة.

فأورد القرآن الكريم من مشتقّات مادة (قصص) حوالي أربعاً وثلاثين كلمة في ثمانٍ وعشرين آية ، ماعدا سرد قصص يبلُغ عددُها ثلاثاً وخمسين قصة ، والتي شملت قصص الانبياء والحكماء والملوك وأهل الجنة وأهل النار وأهل الكهف والأمم الماضية، وحكايات الهدهد والنمل والنحل والكلب والبقرة والناقة والجنّ وغيرها، وفوق ذلك سُمّيتْ سورة منه باسم (سورة القصص) مضافاً الىٰ الحوارات القصصيّة التي تتطرّق إليها بعض الآيات الكريمة .

فأهمية القصّة من وجهة النظر القرآني تكمن في انها قوالب حافظة للقيم الحسنة وانها قنوات لنقل المفاهيم التربوية السامية الىٰ الانسان في المجتمع من كلّ جيل ، ثم جاء تجسيد الرجال الصالحين لهذه القيم والمفاهيم ليصبح قصصاً وخواطر تُرشِد الآخرين نحو المزيد من الاستمرار علىٰ نهج الثقافة الرّبانية ، وتأتي الكتابة في صياغة هذا التجسيد وبيان كيفية حركة الاجزاء في ترسيم القيم الصالحة تعبيراً انشائياً عن تلك الحالة وما تضمّنته من رسالة بنّاءة ، وتسمّىٰ هذه الكتابة حينئذ (قصة) أو (خاطرة) .

ثم إن لكل قصة بداية ونهاية ، يتحرّك بينهما شخص أو أشخاص في حدث أو أحداث ومن أجل هدف أو أهداف . ويختلف الهدف من قصة الىٰ قصة ، تبعاً لمجالات الخير والشرّ التي وقعتْ فيها القصة بأشخاصها وأحداثها وأهدافها .

وتتشعّب مجالات القصص علىٰ المفردات المحيطة بالانسان والحياة والكون والخالق الحكيم . كما وينتقل القارئ بشعوره بين اللحظات المتحرّكة في القصة وهو يترقب النتيجة، ماذا ستكون تلك الحصيلة ؟

● ما احتواه لك هذا الكتاب :

سعيتُ وبعون الله أن يحتوي كتابي هذا على قصص وخواطر تدور في مجال الخير ، بكل مفرداته الأخلاقية والعقائدية والعبادية والعلمية والاجتماعية . فهو إن شاء الله سيكون ملبّياً لحاجة كلّ قارىء يبحث عن مفردة من هذه المفردات قد جسّدها رجال العلم والدين والأخلاق . فيكون مثَله كمَثل الذي يدخل متجراً فيلتقط من السلع الكثيرة والمتنوّعة ما يحتاجه ويفتّش عنه .

فانظر ـ أيها القارىء أو القارئة ـ إنْ كنت ممن يدخل متجراً ويختار من السلع ما يحتاجه على قدر ما في جيبه ، وكذلك فإنّ أخْذَك لما في هذا الكتاب ينبغي أنْ يكون على قدر حاجتك الفكرية والنفسية وطموحك في الحياة.

ورغم أني انتقيتُ أحسن القصص وأفضل الخواطر ـ كما اهتديتُ إليه ـ فإنّ بعضها قد يكون على بعض القرّاء صعبة الاستيعاب ، فالأجدر بهؤلاء حينئذ أن ينتقلوا الى قصة أخرى أسهل استيعاباً بدل ان يعزفوا عن الكتاب وفيه من النفع الذي لايُنكَر.

ولا أدّعي أبداً أنّ القصص التي جمعتُها لك والخواطر التي كتبتُها لأجلك سوف تحظى برضاك حتماً ، لأن الناس أذواق وأفهام ، فالذي يرتضيه بعض قد لا يرتضيه بعض آخر وكذلك العكس ، وهل هدفي رضى القراء كلهم بهذه القصص والخواطر كلها ؟ كلا .. هذا ما لم يقرّره العاقل لأنّ (رضى الناس غاية لا تُدرَك) .

● منهج الكتاب :

اتبعتُ في توزيع القصص والخواطر هنا منهج كتاب الله الحكيم ، حيث تجد الآيات عن الإيمان بالله تتحدّث بأساليب متنوّعة على طول القرآن الكريم، وتجد آيات حول الآخرة في بدايات القرآن وأواسطه ونهاياته، كما تطالعك آيات الأحكام الفقهية في أماكن قريبة وبعيدة من القرآن، وكذلك تقرأ عن المفردات الاخلاقية في أكثر من سورة ، كما ترى في مواضع عديدة من القرآن كلاماً حول نبيّ واحد أو فكرةٍ واحدة أو مقطعٍ تاريخي معيّن .

فهذا المنهج القرآني في طرح المواضيع وعرض الأفكار هو المنهج الذي حاولت انتهاجه في طرح ما اريده من مفاهيم طبّقتْها أخلاقيات علماء القرآن

وفقهاء الإسلام عبر القرون الماضية والزمن الحاضر ، وأتمنىٰ أني قد وُفّقتُ في ذلك بتسديد من اللّه جلّ جلاله .

● الخطوط العامّة للكتاب :

١ ـ إلتزام الروح الإيجابية ورسم خطٍّ تفاؤلي وتصاعدي نحو القيم الفاضلة ومبادىء الأخلاق الإسلامية ، والتبشير بالرحمة المحمّدية والدعوة الىٰ حياة قائمة علىٰ أساس الفطرة وصفاء النفس ونبذ التشنّج والعنف ، وهذا تطلّب منّي وضع لمسات خفيفة علىٰ بعض أهمّ الجروح والقروح في قضايانا المعاصرة بهدف العلاج والاصلاح ، لأنها آفات تهدّد مكتسبات المسيرة الإسلامية الطويلة والأمانات المودعة بأيدينا وأيدي الذين يأتون من بعدنا .

ولقد ارتأىٰ بعض المحبّين أن أُقلم وأبدّل من الكتاب ما قد يزعج الذين لايتحمّلون (مقص العلاج ومرارة الدواء) فاستخرتُ بكتاب اللّه وكانت ليلة استشهاد الصديقة المظلومة فاطمة الزهراء عليها السلام فظهرتْ الآية التالية في الصميم :

﴿من المؤمنين رجالٌ صَدَقُوا ما عاهَدوا اللّهَ عليه فمنهُم مَن قضىٰ نَحْبَه ومنهُم مَن يَنْتَظِر وما بَدَّلوا تبديلا * لِيَجْزي اللّهُ الصادقين بصدقِهم ويُعَذِّبَ المنافقين إنْ شاء أو يتوبَ عليهم إنّ اللّهَ كان غفوراً رحيماً﴾[1]

فقرّرتُ عدم التقليم والتبديل واللّه خيرٌ حافظاً وهو أرحم الراحمين .

٢ ـ اختيار قصص هادفة دون زجّ القارىء في دهاليز قصص يخرج منها منهوك الطاقة لايميّز دربه ، فوقفتُ بوجه القصص الخرافية والمزايدات الخيالية من أن تتسلّل الىٰ الكتاب .

٣ ـ الكثير من قصص وخواطر هذا الكتاب يُنشَر لأول مرّة ، وهذا من أهم مايمتاز به الكتاب عن نظائره ، ويجدر التنويه الىٰ أن القصص التي ترجمتُها الىٰ العربية انما نقلتها بالمعنىٰ مع تصرّف توضيحي أو توجيهي لترشيدها نحو سياق الكتاب . كما وأن لكل قصةٍ جعلتُ عنواناً جاذباً مع آية مناسبة أو رواية نافعة أو شعر جميل أو تعليق هادف .

---

١ ـ سورة الاحزاب / ٢٣ .

٤ ـ ومن ركائز هذا الكتاب عدم الإكتفاء بقصص السابقين ، فالأحياء أيضاً قد حوتْهم هذه القصص وشملتْهم هذه الخواطر . وذلك انطلاقاً من قناعتي بأن الصالحين يجب ان يُعرَفوا في حياتهم لكي ينتفع الناس بهم ، أما ذكرهم بعد الممات فقط فهو نوع من وأدِهِم وحرمان الناس من عطائهم . والقول بأن هذا ثناء للشخص ونحن لا نعرف عواقب أمره ! قول مردود في رأيي ، وذلك لأنني لا أدعو إلى الإقتداء بالموصوف وانّما بالصفات التي يتّصف بها في ذلك الموقف ، وبالتالي اذا عرف القارىء تلك الصفات ومثيلاتها فإنّه لايضره تأييده ما دام معها ، ومن هذا المنطلق ذكرتُ بعض خواطري أيضاً .

٥ ـ عملاً بكلمة أمير المؤمنين عليّ عليه السلام : « ان هذه القلوب تملّ كما تملّ الأبدان فابتغوا لها طرائف الحكم »[1] وزّعتُ بين القصص والخواطر بعض طرائف القصص الخاصة بالعلماء لتكون بمثابة محطات استراحة للقارئ . وانا لا أشك أنك ـ أيها القارىء ـ تتفق معي في هذه الركيزة أكثر من غيرها !

٦ ـ إن مواضيع القصص والخواطر في هذا الكتاب شاملة لأكثر أبعاد الفكر والفقه ومفردات الأخلاق الإسلامية والتأريخ ، وأما نقل بعض الأحلام الصادقة للعلماء فمن زاوية كونها مبشّرات كاشفة عن أمور لا تخرج عن دائرة المباحات ، لا من زاوية التشجيع عليها الىٰ حدّ جعلها من مصادر تشريع الأحكام الشرعية، وهذا واضح من القرآن في الرؤيا التي رآها النبي يوسف عليه السلام مثلاً .

٧ ـ لا أنكر حقيقة الإلهامات الغيبية والكرامات التي خصّها ربّنا تعالىٰ للصالحين من عباده ، لذلك فقد ذكرتُ في هذا المجال قصصاً مفيدة لتعميق الإيمان بالغيب والتوكل على اللّه والاعتقاد بالقضايا الروحية . الاّ انني لم أعتمدها في البناء الثقافي لعموم الناس كبديل عن السنن الالٰهية في الحياة، والاّ فما فائدة تشريع الأحكام الفقهية والحكمة في حثّ الدين علىٰ السعي والعمل . وفي الحقيقة انما الذين أكرمهم اللّه بتلك الكرامات بعد أن رأىٰ فيهم السعي الىٰ أحكام الشريعة وتطبيقاتها العملية .

٨ ـ حاولتُ الحياد وذكر الجميع ونبذ الانحياز ، لأنه طريق منصف في

---

١ ـ قصار الحِكَم من نهج البلاغة / رقم ـ ٩١ .

البحث عن الحقيقة وهي من طليعة القيم المنسيّة التي قصدتُ بهذا الكتاب إحياءَها ، كما أن احترام الانسان وحقوقه وحرّيته وحرمته وبالتالي تعميم ثقافة الوفاق هي الأخرىٰ من تلك القيم التي قصدتها ، فمن الواضح أن علماء الدين بكثرتهم وسعة تواجدهم في البلدان وتبعاً للظروف المحيطة بهم قديماً وحديثاً ونظراً لتفاوت طبائع الانسان فهم كغيرهم من قطاعات المجتمع لهم تعدّدياتهم في الآراء وفي الأساليب والطرق العملية، فليس تجاهل وجود الغير وتحجيم أدوار الآخرين ومصادرة كيانهم وعطائهم عملاً سليماً .

لذلك فإن الكتاب الذي أنت ماسِكُه الآن قد يحتوي علىٰ قصص وخواطر بعض شخصيات غير مقبولة لديك ، ولكن إذا أخذتَ بعين الاعتبار أن الآخرين الذين يفكّرون مثلك كذلك هم بالنسبة الىٰ شخصياتك ، فانّه تكون النتيجة لا أحد مقبولٌ عند أحد. وهنا يشملنا جميعاً قول اللّه تعالىٰ :

﴿ فتقطَعوا أمرَهم بينهم زُبُراً كلُّ حزب بما لديهِم فَرِحون فَذرْهم في غمرتِهم حتىٰ حين * أيَحسَبون أنّما نُمِدُّهم به مِن مالٍ وبَنين * نُسارِع لهم في الخيرات بل لا يَشعُرون ﴾[1] وقال ربّنا تعالىٰ قبل هذه الآيات : ﴿ يا أيّها الرُسُل كُلوا من الطيِّبات واعمَلوا صالحاً وأنّي بِما تَعملون عَليم * وإنّ هذه أُمتكم أمّةً واحدةً وأنا ربُّكم فاتّقون ﴾[2]

واذا عرفنا أن النظرة الاحتوائية والتعامل الشمولي في الأمة الواحدة هو الأقرب الىٰ روح القرآن فاننا سوف نعرف بوضوح كم هي النظرة الفئوية الضيّقة وفرز الآخرين من الأمة ورجالها بين مَن يتفق الانسان معه ومَن لا يتفق معه ليس الاّ أمراً دخيلاً علىٰ الروح القرآنية . وما يُدريك لعلّ أكثر الاختلافات والتنافر لدى بعض العلماء يغذّيها المندسّون لخلق الكراهية بينهم وصنع المجابهات، ولا يكون المندسّ إلا بمظهر يثق فيه ذلك العالم المتنفّذ أو يثق به المقرّبون له والمؤثّرون فيه حتى تجد بعضهم سريع التقبّل لأي خبر يُنقل اليه ، فيبادر الى تبنّي تحليل وموقف مضاد لغيره ، ولقد استغل أعداء الدين هذه الحالة شرّ استغلال ، فأخذوا يسخرون بنا في خلواتهم التي يعقدونها لأجل التآمر على الإسلام .

---

١ ـ سورة المؤمنون / ٥٢ ـ ٥٦ .　　٢ ـ سورة المؤمنون / ٥١ ـ ٥٢ .

وهذا يحتّم تحكيم العقل وإعادة النظر في بعض المواقف ؟! والغـريب أن أكثر المراجع والعلماء ـ الذين قد يُظَن انهم مختلفون ـ متقاربون في آرائهم وقد لا يعلمون ، ولو كانوا يتجاوزون الأخبار المغرضة أو يحتملون الخطأ وعدم الدقة فيمن يثقون بهم وكانوا يُصَفّون معلوماتهم عبر تكثيف لقاءاتهم المباشرة مع بعضهم البعض ، لأصبح هذا الكمّ الهائل من العلماء والكفاءات المرجعية تاركاً أثراً إصلاحياً كبيراً في تقدّم الأمة بدل الأثر المحدود والذي سرعان ما يحترق في نيران الخلافات .

فتجميع قصص الجميع إذن يعرّف القارئ على المرجـع أو العـالم الذي لم يقرأ عنه من قبل بسبب تـلك الحسّـاسيات الجـاهليّة ودسـائس المـغرضين ، وبالتالي يساعده على تصحيح الموقف منه ، فيقتنع بقُبْح الضدّيات القائمة على أساس الجهل بالطرف الآخر ، تماماً كما نسـتقبح مـا يـفعله أتـباع المـذاهب الأخرىٰ من عداوة لمذهبنا لأنهم لا يقرؤون شيئاً عنّا من كتبنا المعتبرة . لذلك كله صرتُ لم أعبأ بـ (الفيتو) الذي نُدين عليه المناوئين للشيعة بينما قد يمارس بعضنا مثله مع أبناء مذهبه !

ففي هذا الكتاب اذن قصص اكثر العلماء بتعدّد مشاربهم وأساليبهم، ولقد بذلتُ جهدي لأذكر بالخير كل عالم قدّم خدمة للإسلام والتشيّع حتىٰ ولو كانت لي ملاحظات علىٰ جوانب أخرىٰ من شخصيته، اذ لا أرىٰ هـذا دليـلاً كـافياً لتهميشه كما قد يرتكبه بعض المؤلفين .

● لماذا قصص العلماء فقط ؟

في الجواب علىٰ هذا السؤال ينبغي :

أولاً : أن نتذكر بأن العلم نور والجهل ظلام ، وأن العلم إنْ اجتمع مع الإيمان ازدهرتْ حياة الإنسان بكل معاني الخير والصلاح والسعادة والهـناء والمـحبة والإخاء ، ورافقه ذلك إلى حياته الأخروية حتىٰ الأبد . والعلماء الصالحون الذين قضوا حياتهم في العمل بهذه المعاني الانسانية هم مصابيح هذا الطريق، لأنهم القادة الىٰ الحياة الطيبة إمتداداً لقيادة النبيّ الأكرم محمد ﷺ والائمة الهداة من أهل بيته الطاهرين عليهم السلام ، فنحن بحاجة الىٰ مصابيح تنير لنا الطريق دائماً .

ثانياً : إن المشكلة التي ما انفكّتْ عن حياة المسلمين وغيرهم في طول التاريخ هي وجود الدخلاء المختلطين بالعلماء الصالحين ، إذ ضيّعوا على الناس مقاييس الخير والشرّ ورَمَوْهم في الحيرة والضياع ، فصار بعضُهم يريد الفضيلة ولكنّه يسلك الرذيلة وهو لا يدري .

من هنا حاولت اختيار قصصٍ تُعين القرّاء في التدليل على المقاييس الصحيحة لاسيما في الغوغاء الراهنة .

ثالثاً : ان بعض الناس حينما يُنصَح بتطبيق سلوكه وفق تعاليم الأنبياء والأئمة عليهم السلام يبرِّر تهرّبه بأن هؤلاء معصومون ومؤيّدون من السماء ، فأين نحن من تلك الانوار الألهية ؟!

فأردت بقصص العلماء أن أقطع حبل التهرّب والتخاذل وأقول إن العلماء ليسوا معصومين ولكنّهم سلكوا سلوك الأنبياء والأوصياء قدر المستطاع ، فهؤلاء قدوة ممكنة الاقتداء تُشغِل منطقة الوسط بين الناس وبين القدوة المتميّزة بالعصمة ، علماً ان الواقع والحقيقة هي أن الأنبياء والأوصياء لهم صفتان، صفة موهوبة لهم من اللّه تعالىٰ وهي العصمة، وصِفَةٌ اكتسبوها بجهدهم ليكونوا مثالاً للاقتداء والتأسّي، لذلك قال اللّه تعالىٰ : ﴿ **لقد كان لكُم في رسولِ اللّه أسوةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كان يَرجو اللّهَ واليومَ الآخِر وذَكَرَ اللّهَ كثيراً** ﴾[1]

وفي الحديث عن الامام زين العابدين عليه السلام : « إنّ ابغض الناس الىٰ اللّه عزّ وجلّ مَن يقتدي بسنة إمام ولا يقتدي بأعماله »[2]

رابعاً : لأن العلماء الواعين والمصلحين علىٰ طول التأريخ سيّما في هذا العصر قاموا بدور فعّال لإستنهاض الهمم وصياغة الذهنية الإسلامية للأمة المستهدَفة من قبل الاعداء ، فأخذتْ دوائر العدو في العالم كله بإطلاق سهامها نحو هؤلاء العلماء عبر تضخيم بعض الأخطاء الطبيعية في عملية التغيير الثقافي والاجتماعي ، وعبر إدخال عناصرها في سلك العلماء لخلط الأوراق علىٰ الناس وسلب ثقتهم بالعلماء الصالحين ، وزعزعة مصداقية المصلحين . فلزم مثل هذا

---

١ ـ سورة الاحزاب / ٢١.

٢ ـ بحار الانوار / ج ٧١ ـ ص ١٧٨ .

الكتاب أن يقف صفاً مع نظائره في مواجهة تلك السهام والدفاع عن دور العلماء الصالحين والمصلحين .

فالتعرّف على أخلاقيات علماء الدين الرساليين صمّام أمان لعدم التأثر بالسموم والسهام ، وهو ضمان لاستمرار مسيرة الإسلام في أبنائه وأتباعه بالمزيد من التلاحم والتمسّك بالأصالة والتجدّد .

خامساً : إن إحياء ذكرى علماء الدين الذين خدموا العلم والأخلاق والناس، وشيّدوا المشاريع الخيرية والمؤسسات العلمية ، وقدّموا للتأريخ والمجتمعات البشرية خدمات جليلة ، وبذلك بنوا كيان الأمة الإسلامية ودافعوا عنه بكل ماجادتْ به نفوسُهم الأمينة ونواياهُم الخالصة لله جلّ جلاله لهو عَمَلٌ يُدخِل السرور على أرواحهم الطيبة ، وهذا أقل الواجب منا تجاه أولئك المؤمنين السابقين ، وفي الحديث عن رسول الله ﷺ: (مَن أرّخ مؤمناً كمن قد أحياه) ، وكفى بذلك دافعاً ليتّصف الآخرون بصفاتهم ، لأنهم حتى على صعيد الأجر الدنيوي والتقدير الإنساني سوف يطمئنون بعدم ضياع الأجر.

سادساً : بفضل تنامي الصحوة الإسلامية في هذا الزمان التحق كثير من شباب الأمة بالحوزات العلمية ودخلوا في سِلْك علماء الدين ، وبالطبع فإن مجرد لبس العمامة والانخراط في سِلْك المعمّمين لا يعني انسلاخ الانسان من رواسبه العالقة بنفسه وفكره وسلوكه ، ولا أحد يدّعي أنّ عملية كنس الرواسب التربوية والعادات السيّئة تتمّ في ليلة وضحاها أو لمجرّد وضع العمامة على الرأس وإطلاق اللّحى والعبث بحبّات السّبح !

فليكن واضحاً للناس أن الحوزات العلمية عندنا ساحات مفتوحة ، تشبه الحدائق ، ففيها الورود والثمار والأزهار ، وفيها الأشواك والأضرار ، والداخل فيها قد يقع على الجيّد ويصل الى الأجود ، وربما يسقط في الرديء والأردء ، وذلك حسب طبعه وسلوكه ورقابته لنفسه ومسيرته الدراسية وعلاقاته وصداقاته مع الآخرين .

ففي الوقت الذي نجد شباباً كالنحل المُلهَم يهتدي الى أجود الزهور وفي مختلف درجاتها فيُطعِم شارِبيه عسلاً مشفّىً ، نجد أيضاً شباباً يتبجّحون بالعلم

ويتغطرسون على أقرانهم، مَثَلُهم كَمَثَل النحل المتمرّد الضارّ أو كمثل الذباب المتطفّل في الأوبئة ، فبالأمس القريب كان يلعب في زقاق محلّته واليوم يجيز لنفسه التلاعب بسمعة المراجع وكبار العلماء والنيل من مكانة الذين قدّموا تضحيات جسيمة على مدار سنوات طويلة !!

فهذا النوع من المعمّمين الذين قد يتقنوا (عِلْك) الكلمات العلمية الغليظة أيضاً وهم لم يتكاملوا في اخلاقهم مع عباد الله ، ولم تخشع قلوبُهم لذكْرِ الله ، يلعبون دوراً خطيراً في تحريف المفاهيم الإسلامية الأصيلة، وتشبيط عزائم المصلحين في الأمة، وتشتيت الناس وتفريق الصفوف وصُنْع المجابهات الداخلية وأخيراً تشويه صورة المتديّنين ، فقد تلتقي بأحدهم وهيبتُه تأخذ لبّك وألفاظُه المعسولة تسلب عقلَك ولكنه لو رفع (عمامته) لرأيتَ تحتها كلّ شيء سوى خشية الله تعالى ، ولَعرفتَ بعدئذ بُعْدَ المسافة بينه وبين قول الله عزّ وجل: ﴿إنّما يخشىٰ اللهَ مِن عبادِه العُلماءُ﴾[1].

وهذا لايخصّ الشباب الملتحقين بالحوزات العلمية عند الشيعة بل هي ظاهرة مشهودة في أوساط المراكز التعليمية لغير الشيعة ايضاً ، كما أنّها لا تخص المراكز الدينية ، ألستَ تجد في الذين يعودون من بعثاتهم الدراسية الى أوطانهم من يحمل شهادة الطب أو الهندسة وما أشبه فيصبح عنصراً نافعاً للمجتمع ، وتجد مَن يعود بسلوك ضارّ ويصبح عنصراً ضائعاً يعمل على ضياع المجتمع والإضرار بالناس وإفسادهم ؟.

بهذه المناسبة يُقال ان بعض الناس في زمان شاه إيران شاهدوا (معمّماً) في سوق من أسواق مدينة قم المقدّسة مدّ يده ليسرق (أو انّه سرق) ، فجاؤا عند المرجع الكبير آية الله العظمى السيد البروجردي ﷺ يخبرونه بالأمر وهم مندهشون !

فقال لهم السيد الذي تلقّى الخبر من دون استغراب ودهشة : « ان الذي رأيتموه كان سارقاً دخل السوق بزيّ المعمّمين ، فقد سبق له أن سرق العمامةَ أيضاً » .

---

١ ـ سورة فاطر / ٢٨.

إن مشكلة هذا الزيّ المحترم الذي يشبه كثيراً زيّ النبي والائمة عليهم السلام أنه يقع في متناول يد كلّ صالح وطالح ، فيمكن أن يلبسه المؤمنون ، ويمكن ان يستغله المنتفعون والمندسّون ، وبين هذا وذاك تلبسه فئة السذّج والبسطاء أو الذين لا يريدون منه الاّ الجانب الاستحبابي للتشبّه برسول الله والائمة عليهم السلام وكذلك قد يلبسه بعض الفقراء لكسب عطف الناس والأغنياء ، مضافاً الىٰ أن العمامة يلبسها الناس العاديّون في بعض البلاد كأفغانستان والمقيمون في بعض العتبات المقدسة مثل مدينة مشهد وقم والنجف وكربلاء كجزء من زيّهم المحلّي.

وتأتي المشكلة الاخرىٰ في الناس الذين لا يفرّقون بين هذه الأقسام فيتصورون كلّ معمّم هو امتداد للمرجع الديني والعالم الربّاني ، فيقع ضحية صيّاد لا يرحم ولا يسمح لرحمة الله أن تنزل !

من هنا كان لابدّ لمواصفات العلماء الحقيقيّين وأخلاقياتهم الرسالية أن تُكتَب للناس وخاصة للشباب المتطلّع لغدٍ اسلامي أفضل ، حتىٰ يتمكنوا من معرفة الغثّ والسمين ويميّزوا بين الصالحين والطالحين ، وكانت القصص والخواطر من أنجح وسائل هذه المعرفة الواجبة ، وسبباً يوجب طرد الدخيل من ساحة الأصيل وباعثاً لتربية الواردين في السلك العلمائي ، مع التأكيد علىٰ أن حاجة المعمّمين الىٰ التربية حاجة ملحّة في كلّ وقت ولكل واحد منهم بما فيهم كاتب هذه الكلمات ، وقد قال الامام عليّ عليه السلام : « مَن نَصَبَ نفسه للناس إماماً فعليه أن يبدأ بتعليم نفسه قبل تعليم غيره ، وليكن تأديبه بسيرته قبل تأديبه بلسانه »[1]

وإني من خلال عشرين عاماً من تعمّمي ومعاشرتي لمختلَف المعمّمين في العراق والخليج وإيران وأوروبا تأكّدتْ لي أهمية العمل بهذه الكلمة التربوية الرائعة باستمرار ، ولا غنىً عنها في تحسين الأخلاق الاجتماعية وفكّ الازمات الفكرية والأخلاقيّة التي تغذّي حالات القطيعة والتباعد والخلافات الصبيانية لدىٰ بعض الناس وبعض العلماء مع الأسف الشديد .

سابعاً : إن للاسلام أبعاداً متعدّدة ومفاهيم واسعة تأتي في إطار الأقسام

---

١ ـ بحار الانوار / ج ٢ ـ ص ٥٦ .

الخـــمسة المــعروفة بـ « الواجـبات » و « المــندوبات » و « المــحرّمات » و«المكروهات» و« المباحات » وهذه الأخيرة كثيرة ومـتجدّدة فـي كـلّ زمـان ومكان ، ولم يكلّف الله الفرد المسلم الاّ بالواجبات عملاً وبالمحرمات تركاً ، وأما المندوبات فيثاب عليها ولا يعاقب تاركها والعكس في المكروهات ، ولكن الفرد إذا التزم بالمندوبات وتجنب المكروهات قدر الامكان فإنّه يسـاعده فـي تقدّمه الأفضل الىٰ الحياة الطيبة في الدنيا والسعادة الأبدية في الآخرة مما يعود اليه بالنفع الأكبر.

الاّ أن الناس قد يخلطون بين هذه الاقسام الخمسة فيحسبون مثلاً الواجب مستحباً او المستحب واجباً او يشدّدون في المكروه وكأنه حـرام، مـما يـدفع بعضهم إلى النزاع مع بعضهم الآخر على أمر أقلّ قبحاً من قبح النزاع نفسه ، وقد يرتكب بعض قضية محرّمة كبيرة لردع قضية محرّمة صغيرة ارتكبها بعض آخر أو لعل الظروف قد فَرَضتْ علىٰ بعض حُكْماً ثانوياً فينتقده بعضٌ آخر وهـو لا يعيش ظروفه ، إنّ هذا الخلط عند الناس قد سبّب وقوعهم في مشاكل بالإمكان تفاديها لو كانوا يعلمون حدود الأقسام الخمسة من تعاليم الاسلام ، ويعرفون حدود انفسهم في النـقد ، فقد قال الله تعالى : ﴿ وأطيـعوا اللهَ ورسـولَهُ ولا تَنازَعوا فتَفْشَلوا وتَذْهَب ريحُكم واصبِروا إنَ اللّـهَ مـع الصـابرينَ ولا تكونوا كالذين خَرَجوا مِن ديارِهم بَطَراً ورئاءَ الناسِ ويَصُدّون عن سبيلِ اللّهِ و اللّهُ بما تعملونَ مُحيط﴾ . ﴿ وإذ زَيَّن لَهم الشيطانُ أعمالَهم وقال لا غالبَ لكم اليومَ من الناس وإنّي جارٌ لكم فلمّا تراءَتْ الفئتان نَكَصَ علىٰ عقبَيْه وقال إني بريءٌ منكم إني أرىٰ مالاترون إني أخافُ اللّهَ واللّهُ شديدُ العقاب ﴾[1]

تأسيساً علىٰ هذه الحقيقة جاء انتقائي لقصص العلماء الصالحين محاولة أبتغي بها تفكيك التداخلات بين الأقسام الخمسة في المفاهيم الإسلامية ، ففي قصصهم خير وسيلة لإنقاذ الناس من المـواجـهات والتـصدّعات التـي لا تـليق

---

١ ـ سورة الانفال / ٤٦ ـ ٤٨.

بالعاملين في سبيل الاسلام الهادف الىٰ إحلال المحبة والتماسك والتنافس الىٰ الخير والسلام . وليس أقبح شيء للمتديّن من خلق الشحناء والخلافات الهدّامة والمزعجة في المجتمع بحجّة الدعوة الىٰ دين اللّه سبحانه .

ثامناً : إننا مسؤولون أمام اللّه والمجتمع عن منع الرذائل الاخلاقية من شيوعها في أوساط الناس وخاصةً رذيلة الإختلاف . وهذه المسؤولية يشعر بها المهتمّون بهندسة الغد الاسلامي السعيد أكثر من غيرهم ، لانهم يعلمون جيداً أن الاجيال القادمة سوف تندّد بالذين يُغذّون الناس بثقافة الاختلاف !

فليس لخدمة تلك الاجيال طريق إلا أن نغذّي الناس من حولنا بثقافة الائتلاف ، ويتحقق هذا بتوفير مواد التغذية المكوّنة من عناصر قيمنا الأخلاقية وسجايا علمائنا الابرار وتوضيح بعض المشتبهات في الاذهان ، وأن يقطع الطلبة الجدد الارتباط بما عدا الأخلاقيات المعنوية ، كي يكونوا مشاعل نور يهتدي بهم الشباب في المجتمع لا أن ينقلوا اليهم الاختلافات التي قد تتسرّب الىٰ أذهانهم من بعض الانفعالات اليومية لهذا وذاك ، وخاصة من الرواسب العصبية لبعض أساتذتهم ! فلابدّ إذن من الإستقلال ومن وَضْع حدّ للاسترسال مع الأخطاء التي يظهر أثرها بشكل أفدح علىٰ المدىٰ البعيد .

هذه كلها أهم الدوافع في اختياري لقصص العلماء فقط .

● الوسط هو الجادّة :

لا يُظَن أن اقتصاري علىٰ قصص العلماء هو خطوة لتعميق القدسية العمياء للعلماء والتي يحملها البسطاء من الناس الىٰ حدّ الاذعان الىٰ كلام كل من كان علىٰ شاكلة العلماء الصالحين . مع العلم أن هؤلاء ـ أعني العلماء الصالحين ـ أيضاً قد يخطئوا ، لذا فإن الواجب يحتّم علينا القول بأن العالِم ماهو الاّ بشر ، والبشر قابل للخطأ مهما تكامل في علمه وتهيّب في شخصيته .. والتقديس الأعمىٰ يمنع النقد البناء ويسبّب الاستمرار علىٰ الخطأ ، لأن الواثق من عدم وجود مناقش له لا يرىٰ خطأهُ ، وهذا بالتالي سوف لايخدمه في دنياه ولا آخرته بل يفسدهما .

وكم أصاب عين الحقيقة أمير المؤمنين الامام علي عليه السلام حينما قال: «من واجب حقوق الله على عباده النصيحةُ بمبلَغ جُهْدِهم، والتعاونُ على إقامة الحق بينهم، وليس امرؤٌ وإنْ عظمتْ في الحق منزلتُه وتقدّمتْ في الدين فضيلتُه بفوقِ أنْ يُعان على ما حمّله الله من حقه»[1].

من هنا فإن احترام رجل الدين والإصغاء الى إرشاداته الخاصة بمهمته ومجاله شيء، والتقديس الأعمىٰ المرفوض دينياً والذي قد يحبّه بعض لنفسه شيء آخر.

فأنا لستُ مع الافراط في الحبّ حيث يجلب الغلّو والصنمية، ولستُ مع التفريط فيه حيث يجلب التمرّد والتفكّك، إنما المطلوب هو الوسط في العواطف والتوازن في المواقف، وهذا يكون في الاحترام والإصغاء مع التفكير والنقاش إنْ لزم. ذلك ما أشار اليه الامام عليّ عليه السلام في قوله: «هلك فيّ اثنان، محبٌّ غال ومبغِضٌ قال» وقوله الآخر: «اليمين مضلّة، واليسار مضلّة، والوسط هو الجادّة».

وهكذا فإنّ الوسطية في الحبّ والبغض، والاعتدال في اتخاذ المواقف أصوب الطرق لإنجاح القيم التي يحملها الانسان المؤمن، وليس شيء أضرَّ علىٰ قيمه وأهدافه من العصبية والافراط والتفريط في التأييد للمحبوب والتنديد بالمبغوض.

قال الله تعالىٰ: ﴿ وكذلك جَعلناكم أمّةً وسطاً لتكونوا شهداءَ علىٰ الناسِ ويكونَ الرسولُ عليكم شهيداً ﴾[2]

أتساءل بكل براءة! هل تتحقق الشهادة (أي الإشراف القيادي) على الناس بتكشير الأنياب أم تتحقق بلغة الأحباب؟ متىٰ أصبح الرسول (نبيّ الرحمة) شاهداً وشهيداً؟ أليس حينما كان عافياً عن أعدائه ولم يُسرِف في قتلهم؟ ولا أدري كيف تصبح أُمته وقياداتهاشاهدةً وشهيدة وهي تُكفّر بعضها حيناً وتقاتل وتعنّف وتقاطع حيناً... ؟!

---

١ - نهج البلاغة / الخطبة رقم - ٢١٦.
٢ - سورة البقرة / ١٤٣.

فكم من إنجازات قد دمّرتْها حالاتُ الحبّ المفرِط أو البغض الزائد عن الحدّ، وكم من خسائر حلّتْ بنا على كافّة الأصعدة نتيجة انعدام الوسطية واعتماد مبدأ (من ليس معنا فهو ضدّنا) ! يالها من مأساة ...

نعم هناك مشكلة ، هي تشخيص الموارد لتحقيق مصداقية الاعتدال والوسطية ، فربما صاحب الإفراط أو التفريط يرىٰ نفسه معتدلاً وسطاً ! فما هو الحلّ ؟

الخطوة الاولىٰ لحل هذه الإشكالية هي التلاقي والحوار وتبادل الآراء وتلاقح الافكار واعتماد المحبّة بين الأطراف كلها ، فان (أعقل الناس مَن جَمَعَ عقول الناس الىٰ عقله) -كما في الحديث الشريف -.

وقال الامام الصادق عليه السلام : « إنّ ائتلاف قلوب الابرار اذا التقوا ، وإنْ لم يظهروا التودّد بألسنتهم ، كسرعة اختلاط قطر السماء علىٰ مياه الانهار »[1]

والخطوة الثانية هي أنْ نشجّع دائماً علىٰ الخطوة الاولىٰ ونطالب الكبار بها ، فإنها بداية الخطوات البنّاءة الاخرىٰ !

فليعلم كل فرد مؤثّر علىٰ نفسه وغيره أن اللقاء مع الذي يختلف معه فضيلة وشجاعة وكسب لفرص النجاح، ولا ريب ان المبادِرَ اليه يكون أكثر نصيباً من ثواب الآخرة ، أما اللقاء مع الذي يتفق معه فليست فيه (بطولة) وضرره كبير ان كان تكريساً لمواجهة الرأي الآخر ، وتشديد الصراعات الهدّامة في المجتمع.

● الحوزات الأربع الكبرىٰ :

للمسلمين الشيعة أتباع مذهب أهل بيت النبي محمد صلى الله عليه وآله أربعة مواقع رئيسية لدراسة الفكر الإسلامي الشامل هي :

١ ـ حوزة النجف الأشرف .

٢ ـ حوزة كربلاء المقدّسة .

٣ ـ حوزة مشهد المقدّسة .

---

١ ـ بحار الانوار / ج ٧٤ ـ ص ٢٨١.

٤ ـ حوزة قم المشرَّفة .

ومنها تشعّبتْ بقية المواقع في البلاد الإسلامية وغيرها سيما حوزة السيدة زينب (عليها السلام) في سوريا ، ويبدء عمر هذه الحوزات ـ التي يتخرّج منها الفقهاء والعلماء والمؤلّفون والخطباء والشعراء ـ من عصر الغيْبة الكبرىٰ للإمام المهدي (عجّل اللّه فرجه الشريف) سنة (٣٢٩هـ) يعني منذ اكثر من الف سنة ، وتشكّل الحوزات التي أسسها كل إمام في عصره وخاصة حوزة الامامين الباقر والصادق (عليهما السلام) البنية الأولية للمدارس العلمية عند الشيعة .

وعلىٰ مدار السنوات الماضية والأحداث التي شهدتها البلاد الإسلامية امتازت كل حوزة بطريقة فكرية ومواقف اجتهادية وجهادية خاصة بها في معالجة القضايا الاسلامية ، وعلىٰ ضوئها برز منها علماء انتشروا في أقطار الأرض يبلّغون التعاليم الإسلامية ويديرون شؤون الناس الدينية والاجتماعية حسب تأثّرهم بالنمط الفكري والتربوي للحوزة المتخرّجين منها.

وبالتأكيد فإن التنافس بين اتباع هذه الحوزات الأربع في أساليب العمل يكون أمراً وارداً ، وهو تارة يتخذ وصفاً إيجابياً وهو الاكثر وتارة يتخذ وصفاً سلبياً وهو الأقل ، ورغم ذلك فإن هذه الحوزات قد ربّت فقهاءاً وعلماءاً شيّد كلّ منهم جزءاً من كيان الأمة الإسلامية ، فالنجف الأشرف تاريخه حافل بمواقف رجاله العظماء ، وكربلاء المقدسة لها تاريخ مُشْرِق برجالها العظماء ، وحوزة مشهد المقدّسة تأريخها مشهود برجالها الأكارم ، وحوزة قم المشرّفة سواء في تاريخها الغابر أو الحاضر تُعتبر مركز الاشعاع الديني ولها مكانتها العالية برجالها العظماء ومؤسساتها العلمية والتربوية. ولقد انتعشت هذه الحوزة في العصر الحاضر أكثر من الماضي بعد التطورات الفكرية والسياسية التي طرأت علىٰ المؤسسة العلمائية وعلىٰ العالَم والمنطقة وإيران ، وبعد ماقام به صدّام من تخريب وهدم لحوزتي النجف الاشرف وكربلاء المقدسة. والمأمول أن تحرز هذه الحوزة في ظل الجمهورية الإسلامية علىٰ مواقع متقدمة من العطاء الأفضل للأمة علىٰ جناحي الأصالة والحداثة .

ونحن في قصص هذا الكتاب وخواطره قد ذكرنا فقهاء وعلماء هذه

الحوزات الأربع الكبرىٰ وتفرعاتها في البلاد الأُخرىٰ من دون إزدراء أو تنقيص.

ولا أدري عدد القصص والخواطر عن علماء كلّ حوزة منها بالذات ، ولكني اقتبستُ من جميع المصادر المتوفرة عندي وبذلتُ وسعي لجمع أهم القصص والخواطر حولهم جميعاً ، ومَن فاتني ذكره منهمْ فللغفلة ونسيان وليس لعمد وانحياز وأنا ارجو من الله تعالىٰ أن لاينساهم وينسانا يوم فقرنا إليه جميعاً ، ﴿وماعندَ اللهِ خيرٌ وأبقىٰ ﴾ .

هذا مع الاخذ بعين الاعتبار انني لم أهدف تجميع قصص الجميع ، وإنما هدفي هو التذكير بالقيم المتروكة والفضائل المهجورة ، فاكتفيتُ بمن عثرتُ عليهم قبل غيرهم ، وفي الحقيقة اقتفيتُ في ذلك كتاب الله تعالىٰ الذي ذكر قصص بعض الأنبياء ولم يذكر بعضهم الآخر لا لغرض التنقيص من شأن هؤلاء بل لعدم الحاجة الىٰ المزيد أو لحكمةٍ في علم الله جلّت حكمته ، قال تعالىٰ: ﴿ ولقد أرسلْنا رُسُلاً مِن قبلِك منهُم مَنْ قَصَصْنا عليك ومنهم مَن لم نَقْصُص عليك ﴾[1].

● مؤلّف هذا الكتاب :

ورد عن المعصومين عليهم السلام « انظر إلى ما قال ولا تنظر إلى من قال » .

هذا هو المبدأ الذي ينبغي للعاقل أن يكتسب به الثقافة البنّاءة ، ولكنك اذا كنتَ من القرّاء الذين يودّون معرفتي ويراها شرط الاخذ بما في الكتاب ، فإني أقول باختصار وأنا أقلّ الطلبة :

وُلدتُ سنة (١٣٨٠هـ) الموافق (١٩٦٠م) تقريباً ـ وربما (١٩٦١م) ـ في عائلة لازالت تُعرَف بين أهل المُحرَّق في البحرين بالطيب وصفاء النفس .

كان والدي المرحوم (الحاج غلوم عباس درويش) منذ صغري يأخذني معه دائماً الىٰ المآتم والمجالس الدينية ، ولم تتهاون والدتي السيدة الحسينيّة (الحاجّة فاطمة إبنة السيد محمّد باقر شريفي) في تربيتي داخل المنزل ، فكنتُ اصلّي وأنا في السنة السابعة من طفولتي وربما أقل ، وكنت أقرأ القرآن الكريم والأدعية وأنا في السنة العاشرة ، بينما أكثر مَن في سنّي آنذاك لم يكونوا يعرفون

---

١ ـ سورة غافر / ٧٨.

شيئاً من هذه التعاليم الدينية ، وبعضهم كان يدعوني الىٰ الإبتعاد عنها ساخراً منّي ومنها .

وفي أواخر الثالث عشر من عمري أعني سنة (١٣٩٤هـ) (١٩٧٤م) هاجرت من البحرين متجهاً الىٰ النجف الأشرف للدراسة في حوزتها العلمية ثم خرجتُ منها سنة (١٩٧٩م) بعد انتصار الثورة الإسلامية في إيران بأسبوعين.

وكنت أعتقد أن الدروس الحوزوية الدينية لا تنفع صاحبها بل ربما تضرّ أحياناً إنْ انقطعتْ عن التواصل الاجتماعي ، لذلك أخذتُ انتهز الفرص للسفر الىٰ البلدان المجاورة منذ السادس عشر الىٰ التاسع عشر من شبابي .

وبعد الثورة الإسلامية في ايران ودخول المنطقة في احداث سياسية وهزّات متعدّدة واصلتُ بتوفيق الله تعالىٰ سبيل التبليغ الإسلامي خطابةً وكتابةً ودراسةً وتدريساً .

وخلال هذه السنوات والسفرات التقيت بمراجع الدين وفقهاء وعلماء وشخصيات من الحوزات الأربع الكبرىٰ ، واستفدتُ من دروسهم أو توجيهاتهم ونصائحهم ، ورأيتُ أن لكلٍ من هذه المدارس الأربع إيجابياتها وهي في نفس الوقت لا تخلو من نواقص ولعلّ بعضها قاصمة (وفّق الله المهتمين لإزالتها) .

ومنذ عام (١٩٨٣م) بدأت شوطاً جديداً من السفرات التبليغيّة ، فإلىٰ حجّ بيت الله الحرام كان أهمّها ، وسافرت الىٰ كينيا والهند وسوريا وأسپانيا والدنمارك والسويد ولندن وبعض دول الخليج . وفيها تعرّفتُ علىٰ مختلف الثقافات والاوضاع ، وقمت بما استطعت من خدمة للإسلام العظيم .

هذا وقد منحني أكثر من عشر من المراجع والمجتهدين إجازاتهم الشرعية والوكالة والتأييد وكان في مقدمتهم استاذي في الأخلاق سماحة المرجع الكبير آية الله العظمىٰ الحاج السيد عبد الأعلىٰ السبزواري ﵀ .

● إنْ كُنّا مخلِصين للحقّ :

لا أتردّد في مصارحتك بأني شديد الانزعاج من تفرّق أهل الحق وتراشقهم بالباطل ، واذا كان المنزعجون من التفرقة مثلي كثيرون ، وهم على نوعين : نوع يتفرّج بتألّم ويرىٰ أن التفرقة قَدَرٌ بلا مفرّ ، ونوع يتحرّك لمعالجة الأمور ويقترح

الحلول ولو بمقدار وضع شمعة على طريق الوحدة خدمةً للمارّين في درب المحبة ، فإني أرجو من الله أن يجعلني من النوع الثاني ويسدّدني وإياك في هذا الطريق ، لأنه أبعد عن هوىٰ النفس وطلب العافية ، وأقرب الىٰ الحق وتحمّل المسؤولية ، وهو ممدوح شرعاً وعقلاً ، ومطلوب حضارياً وأخروياً ، وكذلك كان عليٌّ أمير المؤمنين ومقتدىٰ المجاهدين ، حيث يخاطب الذين ملؤوا قلبه قيحاً وما هم إلا أكثر أصحابه : **«ما لي أراكم أشباحاً بلا أرواح ، وأرواحاً بلا أشباح ، ونُسّاكاً بلا صلاح ، وتجّاراً بلا أرباح ، وأيقاظاً نُوَّماً ، وشهوداً غُيّباً ، وناظرةً عُمْياً ، وسامعةً صُمّاً ، وناطقةً بُكْماً ... مابالكم ؟ ما دواؤكم؟ ما طبُّكم ؟ القومُ رجالٌ أمثالُكم ، أ قولاً بغير علم ، وغفلةً مِن غير ورع ، وطمعاً في غير حق ؟**

أيها القوم الشاهدةُ أبدانُهم ، الغائبةُ عنهم عقولُهم ، المختلفةُ أهواؤهم ... لوددتُ واللّه أن معاوية صارفني بكم صَرْفَ الدينار بالدرهم ، فأخذ منّي عشرةً منكم وأعطاني رجلاً منهم ... ايتها النفوس المختلفة والقلوب المتشتّتة ... كم أُداريكم ... فياعجباً عجباً ، واللّه يُميت القلب ، ويجلب الهمّ ، ويُشعِل الأحزان إجتماع هؤلاء القوم على باطلهم وتفرّقكم عن حقكم ... أ أجلافُ أهلِ الشام وأعرابُها أصبرُ على نُصرة الضلال منكم على هُداكم ؟! فقُبحاً لكم وتَـرَحاً حين صرتم غرضاً يُرمىٰ ، يُغارُ عليكم ولا تغيرون ، وتُغزَوْن ولا تَغْزُون ، ويُعصىٰ اللّهُ وترضون ...»[1].

إنّ علياً عليه السلام قد بلغ تألّمه حدّاً يعلن استعداده ليبادل عشرة من أصحابه المتفرقين برجل واحد من أصحاب عدوّه (معاوية) يحمل بين جنبيه روح الوحدة والاجتماع ، كما يذهب الواحد منا الى المصرف ليبادل عشرة دراهم مقابل دينار واحد !

هكذا نجد الامام علي عليه السلام يُبدي انزعاجه من التفرقة والاختلاف وكأنّه عليه السلام قد عنانا بقوله : «فالأحوال مضطربة ، والأيدي مختلفة ، والكثرة متفرقة» «انكم

---

١ - تمام نهج البلاغة / ص ٤٠٠ ـ ٤٠٢.

والله لكثير في الباحات ، قليل تحت الرايات»[1].

أجل فلا قيمة ولا وزن لأهل الإسلام وشيعة أهل البيت عليهم السلام إنْ لم يجتمعوا تحت راية المشتركاتِ وما أكثرها .

أيها المسلم : إن الكثرة المتفرقة لا تصنع شيئاً ذا بال ، ولو صنعتْه لا يدوم ، فمِعْوَل التفرقة سرعان ما يأتي عليه ويبدّله إلى هشيم ، فلا يغترّ الانسان اذا صفّق له بعضٌ ! وحتىٰ إذا بذل الانسان مع حزبه وجماعته تمام وسعه وجهده فانه لا يعود عليه بالنفع الكبير ما لم يجتمع مع غيره بغرض العمل بقوله تعالى : ﴿ وتعاوَنوا على البِرِّ والتقوىٰ ولا تعاوَنوا على الإثمِ والعُدْوان ﴾[2] ويقول الامام علي عليه السلام : «انه لا غناء في كثرة عددكم مع قلة اجتماع قلوبكم»[3].

فالطريق الى انتعاش الحق بين أهله هو في العمل بكل الإسلام جمعاً من غير تفريق ، أمَا تجد أنك لو أدرتَ أرقام الهاتف كلها واهملتَ رقماً واحداً أو انك استبدلتَه برقم آخر أو أنك أدرت الأرقام كلها ولكن بالتفريق والمكث دون موالاة، فسوف لا تحصل على المكالمة ؟!

وكذلك الطائرة لن تقلع من الأرض ما لم تستعد أجهزتها كاملة ، فلو كانت كلها صالحة ما عدا بعضها فإنّ الإقلاع لا يتمّ واذا تمّ بالمغامرة فإنّه لا يُحمَد عقباها ، وأساساً لو علم الركاب بذلك احتجّوا ولم يسمحوا للطائرة بالحركة . وهكذا الأمر بالنسبة الىٰ من يفكّر بإيصال الناس إلى أهداف الدين الاسلامي وهو لم يكمل العِدّة ويتهيأ له بكل الأسباب والأدوات. إذن لا يخدع الإنسان نفسه ويُتْعِب مَن حوله ما لم يستوعب ضرورة الوحدة والاجتماع والسعي من أجل تأليف القلوب .

تقول : إذن من أين نبدأ وكيف ؟

أقول : إنّ في طاعة رسول الله والولاية لأهل بيته الأطهار عليهم السلام قاعدةً صلبةً لتوحيد الله عزّوجل ، وهي إنطلاقة موفّقة للوحدة بين المسلمين عموماً والشيعة خصوصاً ، فقد ورد في زيارة (الجامعة الكبيرة) : «مَن أراد الله بدأ بكم ومَن وحّده قَبِل عنكم» وجاء «وبولايتكم إئتَلَفَتْ الفُرقة» .

---

١ - المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة / ص ١١١٣ .

٢ - سورة المائدة / ٢ .

٣ - المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة / ص ١١١٣ .

تقول : اذا كانت الولاية لأهل البيت عليهم السلام محوراً لكلمة التوحيد وتوحيد الكلمة ، فلماذا المجتمع الشيعي يعيش الاختلاف والتفكّك كغيره ممن لا يوالون أهل البيت عليهم السلام ؟!

أقول : لأننا نحب أهل البيت عليهم السلام في القلوب ولم نطعهم كاملاً في السلوك ، واذا استطعنا يوماً أن نضرع لهم ضراعة كاملةً استطعنا توحيد المجتمع الاسلامي فضلاً عن الشيعي . وتبدأ طاعتهم من خلال العمل الفوري بالمبادىء الخمسة التالية :

١ ـ أن نكون في حياتنا أناساً هدفيين شرفاء نتطلع من وجودنا الى الهدف الاسمىٰ وهو الدار الآخرة ، وقد ورد عن علي عليه السلام (ألا حُرٌّ يَدَعُ هذه اللّماظة ـ اي الدنيا ـ فانه ليس لأنفسكم ثمن إلاّ الجنة فلا تبيعوها الا بها) .

٢ ـ نحاول أن لا نختلف ، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله : « لا تختلفوا فتختلف قلوبُكم فتهلكوا » .

٣ ـ أن نسكت بدلاً عن الخوض فيما لانعلم تفصيله ، فقد قال علي عليه السلام : «اذا سَكَتَ الجاهل سَقَطَ الاختلاف» .

٤ ـ اذا وقع الاختلاف حيث لا مناص منه أحياناً رغم المواظبة ، فلنسرع الى الحل بالتواضع وتبادل العفو ونحن نبتغي أجر ذلك من الله تعالىٰ ، جاء في الحديث النبوي الشريف «تَعافَوا تَسْقُط الضغائن بينكم» . وعن الامام الصادق عليه السلام «ان الشيطان يغري بين المؤمنين ما لم يرجع أحدهما عن ذنبه فاذا فعلوا ذلك استلقىٰ علىٰ قفاه وقال : فزتُ . فرحم الله امرأً ألّف بين وليّين لنا ، يا معشر المؤمنين تآلفوا وتعاطفوا» .

٥ ـ أن لا ننسىٰ بأن من شروط الولاء لأهل البيت عليهم السلام تبادل الولاء والسِّلْم بين الموالين انفسهم، ألم نقرأ في الزيارة: «اني موالٍ لوليّكم» و «سِلْمٌ لمن سالمكم»؟

فالشيعي المبغض للشيعي والمحارب له مشكوك التشيّع ، إلا اذا قرّر فوراً السير علىٰ هذا المنهج لمدرسة أهل البيت عليهم السلام إنْ كنّا مخلِصين للحق وحريصين على سمعة مذهبنا ، وأردنا إدخال السرور على قلب الامام الحجّة صاحب الزمان (عجّل الله في ظهوره) ففي ذلك إسعاد لأنفسنا الىٰ الأبد .

● الطبائع .. دورها والحكمة منها :

وهنا آخذك أيها القارىء إلىٰ مفاهيم تعينك لفهم ملابسات كثيرة قد تحيطك في الحياة وأنت لاتجد لها تفسيراً ، فأقول :

إن للطبائع دوراً كبيراً في صياغة نفسية الأشخاص وسلوكياتهم ، ولا يشذّ العلماء عن هذه القاعدة . فتباين الآراء والأذواق وبالتالي تفاوت الأساليب التي يتبعونها في حياتهم العائلية أو علاقاتهم خارج المنزل شيء نابع من تباين الطبائع أحياناً كثيرة .

ألا ترىٰ من حولك اشخاصاً ـ وانت أحدهم ـ مَن هو كادح لا يحب الفراغ، ومن هو كسول بطيء الحركة، ومن هو عنيف لا يجتمع بأليف ، و أليف لا يرتاح لعنيف ، ومن هو كتوم لا يبوح بما في قلبه ، ومن هو سريع الاذاعة لا ينام وفي قلبه سرٌّ، وترىٰ إنساناً يحبّ العزلة وآخر يحب الظهور أمام الأضواء ، ولعلك رأيت انساناً يهتم بالعلم ويرتاح للقراءة ويستأنس بالكتب ، وآخر إنساناً عملياً يصبّ اهتماماته علىٰ الانشطة البدنية فقط ، ولعلّك رأيت مَن هو لَسِنٌ مُفوّهٌ وآخر قليل الكلام هادئٌ.

فإذا رأيت صراعاً بين أفراد الأسرة الواحدة مثلاً ، إنما هو بسبب تنافر الطبائع ، ومع غياب الأخلاق والتربية الدينية تتفاقم العلاقات وتصل الأمور الىٰ عداوات أيضاً ، فما هي حقيقة الطبائع والتعامل الصحيح معها .؟

الطبائع صفات نفسية تتبع أمزجة الأشخاص ، يمكنهم وضعها علىٰ أي درب يختارونه لأنفسهم بدافع الفكر والثقافة التي يحملونها والتربية التي يتلقّونها . فإن كانت الثقافة سليمة والتربية صحيحة وظّفوا تلك الطبائع والصفات في سبيل الخير وإلاّ سخّروها في طريق الشرّ.

وهذا هو الامتحان الذي خلق اللّه الإنسان فيه ، إذ يتجاذب بين الخير والشرّ ليراه اللّه كيف يتصرّف ، فالإنسان الذي يميل طبعه الىٰ الظهور ، هل يتغلّب علىٰ هواه إذا استلزم ظهوره إلغاء الآخرين ظلماً أم يقع فريسة هواه فيتوسّل للظهور بأي ثمن كان ؟ !

والانسان الذي طبعه المناورة ، يتقن اللفّ والدوران ، هل يضع هذا الفن في خدمة الإصلاح بين المتنازعين ، أم يستخدمه في النميمة بين الناس وتعميق

الكراهية بين المتباعدين ؟ !

والانسان العنود ، هل يتوسل بطبعه هذا للتمرد على النصائح الدينية ، أم للتمرد على وساوس الشيطان والعناد في وجه الباطل ؟ !

والانسان الهادىء هل يسكت ليخدم الحق أم يبقى مع هدوئه متفرجاً على مذبحة الحق . وهكذا ...

فالطبائع ـ والتي قد يُعبَّر عنها بأبراج المواليد ـ دورها أساسي في الحكمة من الخلق وفلسفة الثواب والعقاب والجنة والنار ، وعليها تدور عملية الاختبار لإرادة الإنسان ومدى التزامه مع الحق . ولقد قال اللّه تعالى : ﴿ وجعلنا بعضكم لبعضٍ فتنةً أتصبِرون ﴾[1] والفتنة تعني الاختبار والتمحيص في الابتلاء والمحن ، وليس الاّ الصبر على الحق وتحمّل الآخرين طريقٌ الى النجاح ، وذلك ما تصفه الروايات بـ(المداراة) كما في الحديث : «مداراة الناس نصف العقل» .

ففي البحث عن أسباب الاختلاف بين الناس بما فيهم العلماء (لأنهم بشرٌ كالناس) لابد من الأخذ بعين الاعتبار دور الطبائع في تباين الآراء وتفاوت المواقف ، كما لابد من النظر الى الأسباب الوراثية والاكتسابية والأجواء التربوية أيضاً .

وهنا تبرز قيمة التقوى والتوجيهات الإسلامية المكثّفة حول تعاطي الأخلاق الحميدة ، وجهاد النفس ومحاسبتها باستمرار ، وذكر اللّه كثيراً ، والتفكّر في عواقب الأمور قبل الخوض فيها ، وحبّ الآخرين واللقاء بهم ونبذ الأنانية ، وذكر الموت والتفكير في الآخرة ، والبكاء آناء الليل من خشية اللّه ، كما وتتبيّن أهمية الموعظة والاستمرار على تكرارها والإصغاء إليها دائماً . فكل ذلك من أجل إقلاع الإنسان من أن يتطبّع على عادات سيئة ، ومن أجل إعانته في العروج نحو الفضائل وتوظيف طبائعه في هذا الطريق .

وبناءاً على هذا فإن العداوات والبغضاء والمشاكل التي تُحْدِثها النفوس المريضة في المجتمع ما هي الاّ بسبب مسايرة طبائعهم للأهواء ، والابتعاد عن

---

١ ـ سورة الفرقان / ٢٠ .

قيم الثقافة الإسلامية الأصيلة ، وعدم عنائهم في جهاد النفس فانهم على قدر التزامهم بهذه الثقافة يكونوا صالحين، وبمقدار ابتعادهم عنها يكونوا بؤر المشاكل ومصدر التفرقة والتصدّع بين الناس .

يقول العلاّمة الطباطبائي في تفسير الميزان ـ ممّا يؤيد ما ذكرناه ـ: «أن نوعاً منه ـ أي من الاختلاف ـ لا مناص منه في العالم الإنساني ، وهو الاختلاف من حيث الطبائع المنتهية الى اختلاف البنى ، فانّ التركيبات البدنية مختلفة في الافراد وهو يؤدي الى اختلاف الاستعدادات البدنية والروحية ، وبانضمام اختلاف الأجواء والظروف الى ذلك يظهر اختلاف السلائق والسنن والآداب والمقاصد والأعمال النوعية والشخصية في المجتمعات الإنسانية ، وقد أوضحت الأبحاث الاجتماعية أنه لولا ذلك لم يعش المجتمع الإنساني ولا طرفة عين . وقد ذكره الله تعالى في كتابه ونسبه الى نفسه حيث قال :

﴿ نحن قَسَمْنا بينهم معيشتَهم في الحياة الدنيا ورَفَعْنا بعضَهم فوق بعضٍ درجات لِيتّخذَ بعضُهم بعضاً سُخْرياً ﴾

ولم يذمه تعالى في شيء من كلامه ، إلاّ إذا صحب هوى النفس وخالف هدى العقل »[1]

فالاختلاف أمر طبيعي في هذه الحدود ولكنه اذا قاده الهوى والنفس الأمّارة بالسوء أصبح وسيلة لمخالفة الحق وطمس هدى العقل ، وهذا مايحذّر منه الدين الذي جاء من أجل التقويم .

والنهي عن الاختلاف يقصد ما يخرج منه عن الحدود ، أما التدافع والاختلاف الطبيعي الذي لا مناص منه في تلك الحدود فهو من بواعث التنافس الشريف والتدافع لأجل صنع الأفضل وبناء الغد الأكمل ، وهو ما أشار اليه القرآن الكريم في قوله : ﴿ولولا دَفْعُ اللهِ الناسَ بعضَهم ببعض لَفسدتْ الارض ولكن الله ذو فَضْل على العالمين ﴾[2] وفي آية أخرى : ﴿ ولولا دَفْعُ اللهِ الناسَ بعضَهمَ لِبعض لَهُدَمتْ صوامعُ وبِيَعُ وصَلوات ومساجدُ يُذكَر

---

١ ـ الميزان في تفسير القرآن / ج ١١ ـ ص ٦٠ . ٢ ـ سورة البقرة / ٢٥١ .

فيها أسمُ اللّه كثيراً ولَينصُرنَ اللّهُ مَن ينصره إنَ اللّه قويُ عزيز ﴾[1]

وللامام علي عليه السلام ـ حينما ذُكِرَ عنده اختلاف الناس ـ كلمةٌ يربطُ فيها طبائع الناس وقواهم النفسيّة بطينة أرضهم وبأشكالهم الجسمية [2].

ولعل لفظة الشاكلة التي أتتْ في القرآن الحكيم : ﴿ قُلْ كلٌ يَعْملُ علىٰ شاكلته فربُكم أعلمُ بمَن هو أهدىٰ سبيلاً ﴾[3] تعني الشاكلة النفسية حيث تشكّل دوافع الاختلاف بين الناس ، وعلى أساسها يتجهون نحو ميادين مختلفة من الحياة أو يختارون لأنفسهم مجالات العمل. وأما الفساد الذي ظهر في البرّ والبحر وخاصة في عصرنا الحاضر ، وهدْم أماكن العبادة كالصوامع والبيَع عند غير المسلمين والمساجد عند المسلمين ، سواء الهَدْم المادّي كما يفعله المحاربون غير الورعين أم الهَدْم المعنوي كما يفعله غيرهم في تفريغ العبادة عن محتواها التربوي ومَنْع أماكن العبادة من رسالتها الأصيلة.. فانّه ـ أي هذا الفساد ـ ناتج عن التدافع التابع لهوىٰ النفس ، أما التدافع التابع لهدىٰ العقل والذي نسمّيه بالتنافس الشريف ، وكذلك التدافع بين أتباع العقل وأتباع الهوى فهو سنّة إلهية ومانعٌ للفساد في الأرض ومانعٌ للهَدْم المادي والمعنوي في الصوامع والبيع والمساجد ، وهذا مما يدل على إمكانية التعايش السلمي بين المسلمين وغيرهم على أساس تبادل الرأي والنقاش الموضوعي بحثاً عن الحقيقة الضائعة التي لا يمكن الوصول اليها تحت أصوات الصواريخ والقنابل ، ولا فرق هنا بين الصواريخ التي يطلقها أولئك المحاربون أو صواريخ التُهَم والكلمات البذيئة التي يطلقها بعض أطراف الاختلافات المزعجة .. فالحقيقة ضائعة هنا وهناك على السواء ما لم نقيّد التدافع بقيادة العقل.

نستخلص القول في أن الطبائع لها دور فعّال في ظاهرة الاختلاف بين الناس، وأن حكمتها التي أرادها الخالق الحكيم هي التنافس نحو الخير بهدىٰ العقل ، وأما الإنسان الذي يوظف تنافسه نحو الشرّ بهوىٰ النفس فهو يتحرك

---

١ ـ سورة الحج / ٤٠.
٢ ـ تمامُ نهج البلاغة / ص ٤٥٠.
٣ ـ سورة الاسراء / ٨٤.

خارجاً على سنة الله الخالق العظيم ومآل خروجه الاصطدام بصلابة الحق يوماً اذ (مَنْ صَرَعَ الحَق ، صَرَعَه) . ومن هنا جاءت البصائر القرآنية لهداية الإنسان الى التقوىٰ ودعم نداء العقل والضمير بداخله . وجاء قول أمير المؤمنين عليّ عليه السلام مؤكداً هذه الحقيقة أيضاً : « إن تقوىٰ اللّه دواءُ داءِ قلوبكم، وبَصَرُ عمىٰ أفئدتكم ، وشفاءُ مَرَضِ اجسادكم ، وصلاحُ فسادِ صدوركم ، وطهورُ دَنَسِ انفسكم ، وجلاءُ عشىٰ ابصاركم ... »[1]

● نظرةٌ في واقع التُهَم وحلّها :

وهنا أيها القارئ الفطن أنتقل بك الىٰ قضية قلّ الخوض فيها بهدف معالجتها من الجذور ، ويمكننا بحثها علىٰ صعيدين ، الأول : استعراضها . والثاني: توجيهها وحلّها .

وليس الغرض من هذا إلا الوقوف بوجه مايهدّد الإسلام ومذهبنا الحق ثم الحفاظ على الإيجابيات الكثيرة التي صنعتها الجهود المباركة لعلمائنا السابقين والمعاصرين ، وكذلك يكون كل مخلص لا يجامل على حساب القيم والمبادئ ، أليس العلاج يتمّ غالباً بدواء مُر ؟! واؤكد بأن ما أتناوله هنا من أمراض مهدّدة لا يخص الشيعة فحسب بل يعاني غيرهم من أشدّها ، إلّا أننا بصدد ترتيب الوضع الداخلي .

الصعيد الاول (استعراض القضية) : إن عمليّة (كيْل التهم) للمصلحين والعلماء الرساليين ليست جديدة في التاريخ البشري ، بل إن كبار العظماء وفي طليعتهم الأنبياء والأئمة عليهم السلام وُجّهتْ اليهم مختلف أنواع التهم والافتراءات .

فقد قالوا عن رسول الله صلى الله عليه وآله كما في القرآن الكريم : **﴿ وقالوا يا أيها الذي نُزِّلَ عليه الذِكْر إنك لَمجنون ﴾[2] ﴿ أم يقولون افتراه ﴾[3] ﴿ اذ يقول الظالمون إنْ تتبعون الاّ رجلاً مسحوراً ﴾[4] ﴿ وقال الذين كفروا إنْ هذا**

---

١ ـ نهج البلاغة / خطبة رقم ـ ١٩٨ .
٢ ـ سورة الحجر / ٦ .
٣ ـ سورة هود / ١٣ .
٤ ـ سورة الاسراء / ٤٧ .

الاّ إفكُ إفتراه وأعانه عليه قومٌ آخرون فقد جاءوا ظلماً وزوراً * وقـالوا أساطير الاولين اكتَتَبَها فهي تُملىٰ عليه بُكرةً واصيلاً ﴾[1] ﴿ ومنهم مَن يَلْمِزُك في الصدقات﴾[2]

وورد أنّ النبي موسىٰ عليه السلام طلب من الله تعالىٰ أن يكفّ عنه ألْسنةَ الشاتمين والجاهلين ! فأوحىٰ الله اليه أن ذلك لم أجـعله لنـفسي ، فأنـا ربـهم ورازقـهم يكفرون بي ويعارضوني ! [3].

وليست أنواع الاذىٰ والتهم ومحاولات الإسقاط والثلب التي قوبل بها الائمّة من أهل البيت عليهم السلام بقليلة ، بل هي اشهر من النار علىٰ المنار .

واذا سلّطنا الأضواء علىٰ تاريخ المرجعية الدينية نجد أن عملية كيل التـهم وبثّ الأكاذيب سواء في البُعد الديني أو العلمي أو السياسي وسواء من الخارج أو من الداخل ليست جديدةً علىٰ العلماء الكرام وهم خلفاء النبي صلى الله عليه وآله ونوّاب الائمة عليهم السلام .

فالشيخ البهائي رحمه الله ذو المقام الرفيع لم يُتهم بالفسق فقط بل أن قراءة كـتبه كانت تعدّ سبباً كافياً لتفسيق قارئها[4]. ولقد كثُر حسّاده ومناوئوه فرشقوه بوابل التهم والأكاذيب حتىٰ كتب رحمه الله : وآل الأمر أن تصدّىٰ لمـعارضتي كـلّ جـاهل وجسر علىٰ مباراتي كلّ خامل [5].

والشيخ محمّد تقي المجلسي والد العلاّمة المجلسي (طاب ثراهـما) أُتّـهم كذلك بالخروج عن المذهب رغم أنه أول من نشر أحاديث الشيعة بعد ظهور الدولة الصفوية [6].

أما الشيخ المفيد رحمه الله وجلالة شأنه معروفة فقد قال عنه أعداؤه ما قالوا[7].

والعلاّمة الحلّي رحمه الله لم يَسلَم هو الآخر من صنوف التهم وأنواع الأكاذيب[8]

---

١ ـ سورة الفرقان / ٤ ـ ٥ .
٢ ـ سورة التوبة / ٥٨ .
٣ ـ المخلاة : ص٥٢ / بتصرّف في الألفاظ .
٤ ـ اعيان الشيعة / ج ٩ ـ ص ١٦٨ .
٥ ـ نفس المصدر / ج ٩ ـ ص ٢٤٠ .
٦ ـ نفس المصدر / ج ٩ ص ١٩٣ .
٧ ـ اعيان الشيعة / ج ٩ ـ ٤٢٢ . والروضات / ج ٢ ـ ص ١١٨ ـ رقم ١٤٧ .
٨ ـ اعيان الشيعة / ج ٥ ـ ص ٤٠١ .

وابن إدريس الحلّي صاحب كتاب (السرائر) يُتهم بأنه « مخلّط لا يُعتمد على تصانيفه »[1]. وهذا رغم مكانته العالية التي يقول عنها العلامة المجلسي ﷺ : «وكتاب السرائر لا يخفى الوثوق عليه وعلى مؤلفه »[2] وكتب عنه صاحب (أمل الآمل) قائلاً : « وقد أثنى عليه علماؤنا المتأخرون واعتمدوا على كتابه »[3]

والعلامة السيد هاشم التوبلاني البحراني صاحب المؤلّفات الكثيرة والتي منها كتابه القيّم (البرهان في تفسير القرآن) قدح بعض في كتابه «ترتيب التهذيب » وسمّاه « تخريب التهذيب » ، والتهذيب هو من الكتب الأربعة للحديث ، ومؤلفه هو الشيخ الطوسي شيخ الطائفة ، والسيد البحراني قام بترتيبه وتبويبه ، وقد ورد في كتاب روضات الجنات مايلي : « غير انه كما قيل سمّاه بعض علماء تلك الديار وتلك الأمصار بتخريب التهذيب ، وليس ذلك من البلدي والمعاصر بعجيب»[4].

وفخر المحقّقين الحلّي ـ ويكفيك لقبه كاشفاً عن الملقّب ـ هو الآخر رشقوه بوابل التهم ونغّصوا عليه أيامه ولياليه حتى اضطر الى الهجرة والنزوح الى أراضي آذربايجان ! وهذه هي نص عبارته ﷺ « ... فبكيت بكاءاً شديداً وشكوت اليه ـ أي الى والده العلامة الحلّي ـ قلّة المساعد وكثرة المعاند وهجر الاخوان وكثرة العدوان وتواتر الكذب والبهتان حتى أوجب لي ذلك جلاء الاوطان والهرب الى أرض آذربايجان ، فقال لي ـ يعني والده ـ: «اقطع خطابك فقد قطعت نياط قلبي قد سلّمتك الى الله فهو سند من لا سند له...»[5]

هذا كله من جهة ، ومن جهة أخرى فان الكثير من كبار العلماء جوبهوا بمحاولات التنقيص من مكانتهم العلمية أو ابتلوا بعدم معرفة الآخرين لمنزلتهم العلمية مما سبّب مشاكل جمّة ومصاعب عديدة ولنذكر بعضهم :

١ ـ آية الله العظمى السيد جواد العاملي صاحب كتاب (مفتاح الكرامة في شرح قواعد العلامة) حيث «كان صاحب كتاب (رياض المسائل) ﷺ ينكر فضيلته»[6]

٢ ـ أستاذ الفقهاء والمجتهدين الشيخ مرتضى الأنصاري ﷺ حيث أنه حضر في

---

١ ـ روضات الجنات / ج ٦ ـ ص ٢٧٤.
٢ ـ نفس المصدر / ص ٢٧٩.
٣ ـ نفس المصدر / ص ٢٧٤ .
٤ ـ نفس المصدر / ص ٢٣٠.
٥ ـ روضات الجنات / ج ٦ ـ ص ٣٣٢.
٦ ـ نفس المصدر / ج ٢ ـ ص ٢١٦

أصفهان عند آية الله السيد محمد باقر الشفتي صاحب كتاب (مطالع الأنوار) أيام رئاسته وطلب إجازة الاجتهاد منه عام ١٣٤٤ هـ تقريباً أو قبلها بقليل الاّ أن السيد الشفتي امتنع من ذلك لكونه لا يرىٰ اجتهاده ! علماً ان الشيخ كان قد تلمّذ عند شريف العلماء ، وعند السيد محمد المجاهد صاحب كتاب المناهل المتوفىٰ عام ١٢٤٢ هـ وعند الشيخ موسىٰ بن الشيخ جعفر الغروي صاحب كتاب (كشف الغطاء) وغيرهم[1] من أعاظم المجتهدين.

٣ ـ كما أن شيخ الطائفة الشيخ الطوسي قد طُعِنَ عليه بما يقرب من ذلك[2].

ولنعم ما قاله بعض أعاظم المعلِّقين علىٰ ترجمة هذا الشيخ العظيم «واعلم أن كل ماوقع من الشيخ الطوسي من السهو والغفلة ، باعتبار كثرة تصانيفه ومشاغله العظيمة فانه كان مرجع فضلاء الزمان»[3].

٤ ـ آية الله الشيخ محمد حسن النجفي «صاحب كتاب الجواهر» : حيث شكّك بعض الفقهاء المعاصرين له (وهو الشيخ محسن خنفر ـ علىٰ وزن جعفر ـ) في أصل اجتهاده رغم أنه كان قد أتم دورة الجواهر حينذاك ، حيث كان يقول للشيخ (أعط جواهرك هذه لبائعي الفلفل والكمّون يَصرّون بها)![4].

أجل هكذا يكون «الجواهر» في نظر بعض المعاصرين لمؤلّفه بينما هو من أعظم الدورات الفقهية المعتمدة لدى الفقهاء إلىٰ هذا اليوم.

الصعيد الثاني (توجيهها وحلّها) :

إننا نستنتج من هذه النظرة السريعة في قضية التنقيص والتهم ضد العلماء قديماً وجديداً ، سواء من بعضهم علىٰ بعض أحياناً ، أو من أعدائهم عليهم أحياناً اكثر بأن القضية لها عدّة أسباب :

الاوّل : هو التخلّف الحضاري في مجتمعاتنا بشكل عام حيث الأزمة الأخلاقية جزء لا يتجزّء منه ، وصغر الهمم وعدم التفكير في الأهداف الكبيرة هو الجزء الآخر منه.

الثاني : المواقف الارتجالية والعفوية التي يعلّق فيها عالم علىٰ عالم آخر من دون ان يتوقع ما لتعليقه من ردّ فعل وصدىٰ وآثار سلبية مترتّبة ، فهو لعله لم

---

١ ـ مقدمة الكتاب الرسائل ـ الطبعة الجديدة.
٢ ـ روضات الجنات / ج ٦ ـ ص ٢١٧ ـ ٢١٨.
٣ ـ نفس المصدر / ص ٢١٩.
٤ ـ اعيان الشيعة / ج ٩ ـ ص ٤٨.

يقصد ما وقع بعد كلامه الذي تلقّفه الجاهلون واستثمره الأعداء في مآربهم المعادية للجميع .

الثالث : عدم معرفة الحدود في الحرية والنقد ومستوىٰ الاستيعاب والفهم لدىٰ المستمع .

الرابع : جهل الأشخاص الذين حالهم كحال ذلك الأحمق الذي كان أشدّ ضرباً من غيره لرجلٍ !

فسأله أحد المارّين : ما ذنب هذا ؟

فقال : واللّه لا أدري ، لكنّي رأيتهم يضربوه فضربته معهم لوجه اللّه وطلباً للثواب ! .

الخامس : تربّص الأعداء لالتقاط هذه النقاط ثم النفخ فيها وزرعها كالألغام في طريق الناس .. بينما واقع تلك النقاط لم يتجاوز عن كونه مناقشات اعتيادية وأحياناً مواقف فردية تنتج عن عفوية أو خطأ غير مقصود أو نقد علمي جائز أو مزحة عابرة غير مدروسة ، هذا في الوقت الذي نجد في مجتمعات الأعداء من مناوشات واختلافات بينهم مايزكم الأنوف ويدعون إلى الشكر ! .

فلابدّ للسادة العلماء أن ينتبهوا لهذه النقاط والدقّة في الأخبار قبل إتّخاذ قرار الردّ على أحد ، أليس هكذا يتعامل الفقيه مع الروايات عند إستخراجه للحكم ؟ هذا والمقترح تعيين جهة في الحوزة العلمية للإستعلام عن حقيقة الآراء الجديدة (المثيرة) للنقاش من مصادر أصحابها مباشرةً ، والإستلام لردودها منهم وإيصالها إلى المعنيين بها قبل إنزال المناقشات إلى الشارع وتشريك الناس فيها . تقوم هذه الجهة بدور الوسيط الذي يشعر عنده الطرفان الحياد والأمانة والحرية .

● **والسؤال هنا :**

لماذا هذه النظرة في هذا الحقل الشائك ؟!

الجواب : إنّني أريد بها :

أولاً : بثّ الوعي التاريخي الذي يساعد علىٰ فهم الخلفية لبعض الخلافات المشهودة بين علماء الدين .

ثانياً : من أجل أن لايصاب الناس بالصدمة من خلافات لايجدون لها

تفسيراً، لأن الإنسان اذا عرف السبب بطل عنده العجب.

ثالثاً: إن المعرفة الحقيقية بالاضافة الى أنها تخفّف من هول القضية ووقعها النفسي الثقيل فانها خطوة أُولى نحو التعامل الطبيعي مع ظاهرة الخلاف والاختلاف، حيث الخطوة الثانية تكون باتجاه الحل وتجنّب ما يسبّبها ويعمّقها، والعكس صحيح أيضاً وهو إن عدم معرفة الحقائق يوقع الانسان في المزيد من التخبط وتعميق الشقاق والدوران حول طاحونة الجهل.

رابعاً: إن الحالة التي وصلتْ إليها بعض المجتمعات المسلمة أصبحت ترفض المجاملة في عملية العلاج الجذري، فاذا كانت المجاملة مقبولة يوماً ولمصلحة ما، فان هذه المصلحة بعد اطلاع العدو على أمور كثيرة لانجد لها مقبولية إلا اذا قررنا أن نكون كالنعامة التي تخفي رأسها وهي تظن أن بقية جسمها أيضاً مخفيّة على الصيّاد!

خامساً: من أجل أن يعرف القراء أن مجرّد نقد عالِم لعالِم آخر لايعني سقوط المُنتقَد الى السحيق، وحتى إذا قيل كلام في مرجع كُبير، أُو كان القائل من المراجع أيضاً، فليس بالضرورة أن يكون هذا الكلام كالوحي المنزَل، ذلك لأن العصمة منفيّة عنهم جميعاً ولأن بعضهم ربما يعتمد اعتماداً مطلقاً على الذين يزوّدونه بوجهات نظرهم وهي تحتمل الصحة والخطأ، مما لابد من إخضاعها الى نقاش بمشاركة علماء محايدين أو الى تفكير وتأمّل من جانب الشخص نفسه، ثم فلنعلم بأن النقد والكلام إذا كان صحيحاً في مورد فإنه لايصح حملهما على مورد آخر.

وهكذا أرجو بهذه النظرة الى واقع مسألة (التهم) قد ساعدتُك يا أخي القاريء على فهمها كي لاتتأثر ببعض الأمور السلبية من حولك نتيجة الصراعات السياسية والروحيات المادية التي تداخلتْ مع القيم الإسلامية وتأثر بها أشخاص وهم لا يشعرون.

● خلافٌ أم اختلاف:

وتسألني: إذن لماذا يختلف العلماء الصالحون وكبار مراجع الدين؟ أليسوا ينطلقون من ثقافة القرآن والتقوى؟

أقول : لعلّ إطلاق كلمة الخلاف هنا أصوب من كلمة الاختلاف ، لأن الاختلاف (قد يُشَمُّ منه) معنى النزاع وكيْل التهم والتجاوز على سمعة الطرف الآخر والعمل لإسقاطه وايذائه ، وحاشا الصالحون من هذه السلوكيات الدنيئة[1].

فما نراه في أوساط بعض علماء الدين والمراجع الكرام أحياناً انما هو الخلاف في الآراء والتصورات وأساليب العمل في ادارة المشاريع والمؤسسات الموجودة على الأرض أو المراد إنجازها . وهو أمر طبيعي إذ لم يخلق الله الناس سواسية في العقل والإدراك والأرزاق والاذواق والطبائع النفسية كما سبق آنفاً ، وقلنا انها أساس الامتحان الالهي وانه بذلك يريد الله أن يتنافسوا في الخيرات وهذا يتم بشرف وكفاءة لا بعرقلة بعضهم بعضاً ، فالعرقلة عملية تتم بالمكر والخديعة والصفات الرذيلة وهي غير شريفة وبعيدة عن سنن الله والتقوى والأخلاق الإسلامية . والمراجع الكرام وفقهاؤنا العدول حتى إذا خالف رأيهم مع بعضهم البعض فهم متفقون على التقوى ومحافظون على الحدود الأخلاقية ، وأما الأخطاء غير المقصودة بينهم فلا يُعبأ بها لأنها لا تدخل في المقاييس العقلائية للحكم والقضاء .

ثم إن قسماً كبيراً من خلافات الرأي بين العلماء ـ كما هو بين عامة الناس ـ يرتبط بتشخيص موارد الأهم والمهم والمتغيرات الزمانية والمكانية التي تطرأ على الأقسام الخمسة من الأحكام والمفاهيم الإسلامية التي سبق ذكرها ، فمثلاً لاشك أن إطعام الفقير مستحب وطباعة كتاب يهتدي به الناس مستحب ، ولعلّهما في ظرف خاص يصبحان واجبيْن ، وربما بسبب خطر عظيم أصبحا محرّميْن ، فهنا يختلف تشخيص المتصدّين من العلماء في عناوين هذه الأمور فيُقْدِم بعضهم ويُحجِم بعضهم الآخر ، وأحياناً قد يتفق الرأي على أنهما عملان مستحبان ولكن يحدث خلاف من ناحية الأولوية إذا كانت الإمكانية المادية محدودة لاتكفي إلاّ لأحدهما . ففي المسائل الشخصية تعود مهمة التشخيص

---

١ - راجع الآيات والروايات حول (الاختلاف) في المجلد الثالث من كتاب (ميزان الحكمة) حيث تفيد الفرق بين مفهوم الخلاف والاختلاف .

الىٰ الإنسان نفسه ، ولكن المشكلة تقع في المسائل العامة : فما هو الأهم؟ مثلاً بناء مسجد أم بناء مركز صحي في منطقة الفقراء ، فما هو الحل ياترىٰ ؟

وهنا ـ اجابةً وتنضيجاً للبحث ـ أوضّح ركيزتين :

الركيزة الاولىٰ : هي أن الخلاف في الرأي أو في التشخيص عند الحاجة الىٰ إتخاذ القرار الأقرب الىٰ الصواب يُحسِمُه (الشورىٰ أو التشاور) و للأخلاق دوره الكبير بين المتشاورين ، أما الأول (أعني الشورىٰ) فيفتقده بعض العلماء وربما أكثرهم ، حيث إعتادوا على الفردية في امورهم ، واما الثاني (أعني التشاور) فيفتقده بعضهم القليل وكثيرٌ من أتباعهم ، وكفى بهذين السببين أن يبدّلا الخلاف الجائز الىٰ اختلاف غير جائز . والحلّ هو تأسيس الشورىٰ بينهم أو اعتماد التشاور المنصف ، مضافاً الىٰ تكثيف الدروس الأخلاقية للأتباع .

الركيزة الثانية : هي أن نعي أنه مجرد أن يرىٰ فقيه أو عالم أو أي شخص رأياً أو يتبنّىٰ موقفاً مغايراً لغيره لا يعني ذلك فرزه في دائرة الباطل ، لأن في الحق سعة وهي درجات بين الحَسَن والأحسن ، وكل إنسان حسب الظروف الزمانية والمكانية المحيطة به قد يكون محقاً . إنما الباطل هو جرّ الآراء والمواقف الىٰ مجابهات وإهانات وانتهاك حرمات . وهذا يرتكبه المتطرّفون من الأتباع والمتطفّلون في العمل الديني ـ بالنسبة للإسلاميين ـ كما يرتكبه غيرهم في العمل الدنيوي ، وهم جميعاً هؤلاء وهؤلاء ينطلقون فيها من منطلقات زائفة كالمصالح الشخصية والطمع في الأموال والخدمات والإمكانات والوجاهات الاجتماعية والتعصّب للقرابة أو الصداقة أو الحزب أو الانفعالات النفسيّة ، وهي منطلقات ـ كما تعلمها أخي القارىء ـ ليس فيها إخلاص للمبادىء الالٰهية وانحياز الىٰ القيم التي يسألهم الله عنها يوم القيامة .

والمطلوب من المرجع الذكيّ الناجح أو العالم المتشخِّص أو الوجيه المؤثر في المجتمع أن ينتبه لئلا يستخدمه مؤيّدوه المتطفّلون في مواجهة مرجعٍ أو عالِمٍ أو وجيهٍ آخر فيمزّقون الناس باسمه وهو لا يدري !

لذا فإن ما يرجوه الناس بكل إلحاح وتأكيد أن يتطلع سماحات المراجع الكرام وفقهاؤنا الأعزاء ـ الذين هم مراجع الغد ـ الىٰ مستقبل بعيد للاسلام

والأمة ، وهذا يتطلب منهم أن يخرجوا كثيراً خارج إحاطة الحواشي والأسيجة الذهنيّة أحياناً فينظروا الى الأمور من حولهم بعيداً عن تقارير المقرّبين .. ثـم يقارنوا بين مايجدونه في التقارير وما وجدوه بأنفسهم على أرض الواقع ، وهذا يحطّم الطوق الذي يصنعه بعض الحواشي على المرجع الديني اجتهاداً من عند نفسه ، وما أضرّ بالمرجع مثل هذا الطوق غير المرئي حتىٰ ولو كـان مـخلصاً وإنساناً طيباً .

وتعقيباً علىٰ هاتين الركيزتين أقدّم اقتراحين عمليّين :

الاقتراح الاوّل : إعادة بناء النظام الإداري في بيوت المرجعيات الدينية لتفادي النواقص القاصمة للظهر ، وهذا راجع الىٰ كفاءة المرجع ونضجه وحيويته وهدفيته وهمّته في الحياة ، ولا ربط لهذا الأمر بعباداته وخشوعه وتهجّده في الليل .. وذلك كالطبيب الذي لاعلاقة لتديّنه بفنّ مهنته وحذاقته في العلاج ، فهو إن لم يكن حاذقاً يكون الطبيب غير المتديّن الحاذق أكثر منه نفعاً في اتقان عملية العلاج .

الاقتراح الثاني : أن يرتفع الطموح الآحادي عند العلماء الىٰ طموحات جماعية ، فعوضاً عن التفكير الفردي بأن يفكر الفرد في مسجده أو مؤسسته أو حسينيته أو مجلس درسه أو التأثير في المجموعة المحيطة به يفكّر في جعل محيطه ودائرة تأثيره منسجماً ومكملاً مع محيط غيره والدوائر العاملة الاخرىٰ في طول البلاد الاسلامية وعرضها ، وأقل الانسجام هو تجنّب الاصطدام ، وبهذا تتجه النشاطات المبعثرة في سياق إحياء الأمة وتربية الجيل الناشئ علىٰ جناحي الأصالة الدينية الناضجة والمتطلبات المستجدّة في الحياة ، فالطريقة الفردية القديمة للعلماء لاتجدي في هذا العصر كثيراً حيث بات العالَم كلّهُ يعيش في القرب عن بعضه بعضاً وبتأثيرات متقابلة ، فلابد من اعتماد الطريقة المجموعية ، وهذا يدعو الىٰ التجديد في أساليب التعامل وتكثيف اللقاءات بين المراجع والعلماء والعاملين في الساحة .

بهذا النداء المحجور في أكثر الصدور والذي جرىٰ مع هذه السطور نرجو وبعون الله تعالىٰ القضاء علىٰ أمراض الاختلافات المدمّرة التي يقودها بعض

أتباع المراجع من دون علم المراجع أنفسهم ، وأما المرجع الذي يعلم بهذه الاختلافات ويؤيدها ويدفع أتباعه لتسعير نارها فهو غير موجود ان شاء الله ، وإذا كان فهو ليس بمرجع جدير بالإتّباع ، فلقد جاء في الحديث الشريف : « خيرُ الوّلاة مَن جَمَعَ الُمختلَف ، وشرُّ الولاة مَن فَرّقَ المُؤتلَف » .

● العلماء بَشَرٌ مثلكم :

أمر الله تعالىٰ نبيّه الأكرم ﷺ أن يعلن للناس بصريح الكلمة : ﴿ قُل إنّما أنا بشرٌ مثلُكم يوحىٰ إليّ أنما الٰهكُم إلٰهٌ واحدٌ فَمن كان يرجو لقاءَ ربِّه فليعملْ عملاً صالحاً ولا يُشرِك بعبادةِ ربِّه أحداً ﴾[1]

فالنبيّ بشر مثلي ومثلك ، ولكن يوحىٰ اليه من السماء بتعاليم لا يأتيها الباطل من بين يديها ولا من خلفها ، وباتفاق جميع العلماء قديماً وحديثاً ليس عندنا من بعد النبيّ وابنته الزهراء والأئمّة الاثني عشر من أهل بيته ﷺ أحداً معصوماً عن الخطأ وخالياً من النقص . مع ذلك تجد أمير المؤمنين ﷺ يقول ليعلّم كلّ قائد أخلاقيات القيادة الربّانية : «وربما استحلىٰ الناس الثناء بعد البلاء، فلا تُثنوا عليّ بجميل ثناء... فلا تكلِّموني بما يُكلَّم به الجبابرة... ولا تخالطوني بالمصانعة، ولاتظنوا بي استثقالاً في حق قيل لي، ولا التماس إعظام لنفسي، فانه مَن استثقل الحق أنْ يُقال له او العدل أنْ يُعرَض عليه، كان العمل بهما أثقل عليه، فلا تَكُفّوا عن مقالةٍ بحق، او مشورة لعَدْل، فإني لستُ في نفسي بفوق أنْ اخطئ ولا آمن ذلك من فعلي.. فإنما أنا وانتم عبيد مملوكون لربّ لا ربّ غيره»[2].

يقول الإمام الحسين ﷺ : «لو أنّ العالم كلّ ما قال أحْسَنَ وأصاب لأوشك أن يجنّ مِن العُجْب، وإنّما العالم مَن يكثُر صوابه»[3].

فالعلماء الصالحون رغم تفاوتهم في درجات الكمال هم أقرب الناس الى

---

١ ـ سورة الكهف / ١١٠ .

٢ - نهج البلاغة / خطبة رقم ٢١٦.

(٣) ـ إحقاق الحقّ / ج١١ ص٥٩.

المعصومين الاربعة عشر ولكنهم مهما يكونوا فهم بشر ، والبشر من دون الوحي قابل للخطأ وغير مجرّد عن النقص ، فهو إن لم يقع في خطأ عند فهمه لمسألة من مسائل الإسلام الكثيرة والمتشعّبة سيما المسائل المستحدثة في كل عصر من الناحية النظرية فقد يقع فيه من الناحية التطبيقية ، إذ لأسباب خارجة عن إرادته قد يطبق نظرية في غير محلّها ، ظانّاً أنها في محلها ، ثم إذا سَلُمَ مِن الخطأ في بعض هذا فانه لايَسْلَم من الخطأ في غيره ، وهذا ما جعل باب الاجتهاد مفتوحاً عندنا ، والمفروض أن يجعل أبواب المجتهدين مفتوحاً للقاء ببعضهم والتنسيق بينهم ، ولاتلازم بين عالم متقٍ وبين عدم وقوعه في الخطأ ، انما التلازم النسبي يكون بينهما شريطة أن يتصف العالم المتقي بجودة الفهم وحسن التصرّف ومستوىٰ متابعته للأحداث في الحياة الفعلية وتطورات الأمور في المجتمع والتعاون مع غيره .

فمن الجدير بالناس وخاصة الواعين منهم أن يتقرّبوا الىٰ علماء ومراجع متّصفين بهذه الصفات ، ويطلبوا من غيرهم الإتّصاف بها ليعمّنا الخير جميعاً .

● شكلان في ممارسة الولاية :

يرىٰ أكثر الفقهاء ان للفقيه الجامع للشرائط ولاية نيابية عن الامام المعصوم عليه السلام الا أنهم في المنهج العملي لممارسة هذه الولاية والتصدي لشؤون الأمة انقسموا علىٰ شكلين .

الشكل الأول : منهج التشاور مع المرجع الحاكم . الشكل الثاني : منهج الشورىٰ بين المراجع مع انتخابهم للمرجع الناطق باسمهم[1].

يقول أنصار الشكل الأول : ان النائب للمعصوم واحد كالمعصوم الواحد في عصره ، ولا يمكن اتخاذ القرار السريع لحسم الأمور إلاّ برأي القائد الواحد ، فالاصوب هو حكومة الفقيه الواحد بالتشاور مع بقية الفقهاء المتضامنين معه، كما كان النبي صلى الله عليه وآله الذي أمره اللّه تعالى بالمشورة في الموضوعات التطبيقية لحياة الناس قائلاً : ﴿وشاورهم في الامر﴾ والجدير بالعلم ان هذا الأمر

---

١ - وذلك ما تضمّنته المادة السابعة بعد المئة من دستور الجمهورية الاسلامية في ايران .

جاءهﷺ بعد هزيمة واقعة احد ، حيث يُتوقَّع ـ حسب الميول البشرية ـ أن يتعامل القائد بعدها معاملة الاستبداد المطلق ، ولكنه رغم مكانته العُليائية والعصمة الربّانية أمره الله تعالى بالتشاور مع الأصحاب .

وفي باب المشورة والتشاور أحاديث كثيرة ، منها قول الامام عليّ عليه السلام : « لا ميراث كالأدب ولا ظهير كالمشاورة » «ولامظاهرة أوثق من المشاورة» «والاستشارة عين الهداية»[1].

وقال الامام الحسن عليه السلام : « ما تَشاوَرَ قوم الاّ هدوا الىٰ رشدهم »[2]

وقال الامام الكاظم عليه السلام : « من استشار لم يعدم عند الصواب مادحاً ، وعند الخطأ عاذراً »[3].

وأهم إشكال لهؤلاء علىٰ الشورىٰ أنّه مع كثرة المراجع الكفوئين وغير الكفوئين ماهي مواصفات المرجع المسموحة له العضوية في الشورىٰ ؟ ومَن يؤيد وجودها وعدمها فيه علىٰ فرض تحديدها ؟ وماهي آلية العمل لتحقيق الشورىٰ في الواقع المعاصر ؟

وأما أنصار الشكل الثاني فيقولون : إن الإنسان طاقته محدودة ، والعالِم ليس كالنبي الذي يوحىٰ اليه أو كالمعصوم الملهَم من جانب الغيب ، وان الحياة وشؤون الإنسان والأمة سيما في هذا العصر واسعة النطاق ومتعددة الأبعاد وكثيرة الجزئيات ، وعليه فإن الإسلام حثّ الفقهاء بشكل خاص والناس بشكل عام أن يديروا أمورهم بالشورىٰ بينهم . فقد قال اللّه تعالىٰ عن علاقات المؤمنين مع بعضهم انها قائمة علىٰ أساس : ﴿وأمرُهم شورىٰ بينهم﴾[4] واننا في عصر قد تكالب الاستكبار وأذنابه على تكذيب الرسالات السماوية ، فلابد من تعزيز مواقعنا برصّ الصفوف ، والشورىٰ من أبرز مصاديق الرصّ . قال اللّه تعالى : ﴿واضربْ لهُم مثلاً أصحابَ القرية إذ جاءها المُرسَلون إذْ أرسَلْنا اليهِم اثنيْن فكذَّبوهُما فَعزَّزْنا بثالثٍ فقالوا إنّا اليْكُم مُرْسَلون﴾[5].

ومن ثمار شورىٰ المراجع التقارب بينهم وهو يؤدي الىٰ تقارب مقلّديهم

---

١ ـ المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة / ص ٧٦٢.

٢ ـ ميزان الحكمة / ج ٥ ـ ص ٢١١.

٣ ـ نفس المصدر / ص ٢١٠.

٤ ـ سورة الشورىٰ / ٣٨.

٥ ـ سورة يس / ١٣ ـ ١٤.

ومؤيديهم، وهذا إن لم يوحّد الجميع فانّه يجمّع الأكثرية المطلقة حول محور الرأي المشترك للشورىٰ أو الأكثرية.

ويقولون أنّ للشورىٰ في الإسلام أدلّة كثيرة وأهميتها في الشؤون العامة للأمة وفي القضايا المجتمعية غير خافية علىٰ ذوي البصائر في ميادين الأعمال الكبيرة.

فقد ورد في الحديث أن صحابياً سأل رسول الله ﷺ: إن عرض لي أمر لم ينزل فيه قضاء في أمره ولا سنة، كيف تأمرني؟

قال: «تجعلونه شورىٰ بين أهل الفقه والعابدين من المؤمنين ولا تقضي فيه برأي خاصة»[1].

ويقول أنصار الشورىٰ إنّ ما يرونه هو أفضل الممارسات القيادية والسبل الشرعية لملء فراغ العصمة المفقودة لدىٰ الفقهاء، وأنّه أقرب الطرق الى فهم وتطبيق حقائق الوحي الذي خصه الله نبيّه ﷺ، وبالتالي يكون القرار الصادر عنهم أكثر حجيّة بين الانسان وربّه وهو حينئذٍ يكون أشبه بقرار الامام المعصوم، وأنّ هذا يمتصّ مبرّرات الاستبداد والاختلاف والشرذمة، ويُحيي التعاون بين التعدّديات التي لا مناص منها في الحوزات العلميّة وساحة الأمّة الممتدّة شرقاً وغرباً.

وخلاصة ما أودّ الحثّ عليه هي أنّه: لابدّ لسدّ الفراغ الناتج عن بشرية العلماء أن تضمّ العقول الى بعضها وتفكّر في حيثيات الشورىٰ أو التشاور أو في صيغة جامعة للأكثرية مانعة للتفرقة. وعند التعذّر فإنّ أقلّ ذلك هو أن تقلع النفوس عن الأعمال الآحادية وترتفع الىٰ مستوىٰ العمل الجمعي وتستقبح التنازع سيّما في القضايا التي تترك أثرها علىٰ المجموع وعلىٰ الأجيال القادمة[2].

هذه مجرد إثارة لأهمّ قضية تشكّل الحجر الأساس للمشاكل المعقّدة في عصرنا، وانما جئت بإشارة خاطفة إليها على أن يشبعها الفقهاء والمفكرّون بحثاً عميقاً وموضوعياً بدلاً عن اكثر البحوث المتكرّرة والمملّة!

فقد قال أمير المؤمنين عليه السلام «مَن اشتغل بالفضول فاته من مهمة المأمول»[3].

---

١ - ميزان الحكمة / ج ٥ - ص ٢١٦.

٢ - للمزيد يراجع كتابنا (العلم والعلماء في الكتاب والسنة).

٣ - غرر الحكم/ج٢ - ص٦٧٠.

● **الحقيقة اليتيمة :**

ولكيلا تستمر قضية التهم والتنقيص من شأن الآخرين ينبغي توعية المجتمع بأن الإسلام دين الحرية والإقناع ، ديـن الاختيار والاحـترام ، ديـن التـفكير والحكمة ، دين الفطرة والحوار والانفتاح ، وأنّ هذه المقولات هي من صميم روح القرآن ومنهج الإسلام الذي سار عليه رسول الله والائمة الذين طهّرهم الله من الرجس . فالقاء نظرة على عناوين كتاب (الاحتجاج) للشيخ الطبرسي مثلاً يدلّك الى هذه المعاني ، وقراءتك في كتاب (توحيد مفضّل بن عمر) ومـوقف الإمام الصادق عليه السلام من ابن أبـي العـوجاء المـلحد يـرشدك الى ثـقافة الحـوار واعتماد المنطق والأخلاق في الموقف من الرأي الآخر حتى إذا كـان صـاحبه ملحداً ويبثّ آراءه في مسجد النبي صلى الله عليه وآله فكيف إذا كان عالماً أو مرجعاً أو إنساناً مسلماً ؟!

فلا يحق لأحد أن يمارس الإرهاب الفكري ولا يجوز له الاستبداد باسم دين الله .

فالإمام علي عليه السلام لم يحارب الخوارج بمجرد أن خالفوه فكـريّاً وعـارضوه فـي السلطة الى حد إنكارهم لولايته الحقة ممّا أدّى إلى الهزيمة في معركة صفّين ، بل حاربهم لما رفعوا السيف في وجهه وهو مع ذلك قد نصحهم قبل بدأ المعركة .

وأما أولاده عليهم السلام فقد خلّدتْهم أخلاقياتهم العظيمة في مواقـفهم الحكـيمة مـع مناوئيهم فضلاً عن مواقفهم مع منافسيهم (من أهل الدنيا) . ذلك ليعلّمونا بأنّ الإرهاب الفكري والاستبداد المصبوغ بالدين خطر على الفكر مـن أن يـتقدم وعلى الإنسان من أن ينضج في الحياة ، وخطر عـلى الديـن الذي شـرّعه اللّـه لتنظيم حياة الإنسان نحو الخير واليسر والسـعادة والسـلام والأمـان والعـدالة والحرية .

فلن يرى المسلمون وجه الخير الاّ في الإحساس بالمسؤولية تجاه هـذه القـيم الأساسية في دينهم الاسـلامي الحـنيف ، بـأن يسـعوا الى مـعرفة روح الديـن فيوحّدوا ظاهرهم وباطنهم في الالتزام قدر الإمكان ، وأن يقرّر كل واحد منهم أن يحترم غيره ويعمل على خط متوازٍ لا متصادم ، فيسمح لمنافسه ان يمارس

نشاطاته ، وكذلك يكون المنافس ، إذ في جو الحرية يتبين الحق من الباطل والجيد من الرديئ كما تظهر درجات الحق ويتميز الاحسن عن الحسن وبالعكس، أليس المفروض أن الهدف هو خدمة الدين وليس الذات ، إذن علىٰ ماذا النزاع والذاتيات ؟!

والحق أن من يريد الخدمة للدين يتجنب النزاع ومقدماته أيضاً ، لأن النزاع يجلب ردّ الصاع بصاعيْن ، فيسترسل الطرفان في معركة داخلية واستنزاف للطاقات الىٰ حيث ينهمك الجميع في المعاصي والجاهليات ولعلهم يحسبون أنهم يحسنون صُنعاً وربما في النهاية بعد الإنهاك يوافقون أن يسيطر عليهم مَن ليس منهم. فمن المستفيد يا تُرىٰ ؟!

هذا السؤال لا يجيب عليه أطراف النزاع خجلاً في وجه الحقيقة اليتيمة !

وربما حاول كل طرف أن يلقي اللّوم علىٰ خصمه يوم تعمّ الخسارة ، هذا وربما تستمر المعركة حتىٰ بعد وفاة المتنازعين الأوائل ، لأن الأمر يستمر بين أتباعهم وأتباع الأتباع ، فيتحمل الأوائل وزر ذلك في البرزخ الىٰ يوم يبعثون للحساب الأشد .

من هنا قال علماء الأخلاق والتربية : «انّ الجدال مظنّة المباهاة وطلب الرئاسة والغلبة ، ولأنّ المجادل يكره ان يقهره خصمه فلا يستطيع أن يتّقي اللّه » وقيل : «اذا اراد اللّه بقوم شراً أعطاهم الجدل ومنعهم العمل » .

فالتقوىٰ يلزمنا عدم الانزلاق الىٰ النزاع والشقاق وتراشق التهم بأي شكل ودرجة كان ، وان نعتمد مبدأ النقد البناء رغبة للاصلاح ، «فإن اصلاح ذات البين افضل من عامّة الصلاة والصيام» كما اوصىٰ به الامام أمير المؤمنين عليه السلام .

● معالجة الخطأ بالخطأ :

هل رأيتَ الانسان الذي تقع نفايا المدخنة علىٰ ثيابه ، فيضربها بإصبعه ليزيلها ولكنه يفاجأ بانتشارها عليه أكثر ، بينما لو كان ينفخها بفيه لسلم من تلوّثها وإنتشارها .

بالطبع انك رأيتَه وعلّقتَ عليه بقولك (أراد أن يكحلها فعماها) !

هناك أشخاص في مجتمعاتنا يميلون بشدّة الىٰ فقْع العين من دون إرادة الإصلاح والتكحيل، اذ يقابلون الخطأ بخطأٍ أكبر، فمثلاً اذا أخطأ خطيب علىٰ المنبر يتناسون كل ماقدّمه الخطيب من فكر وموعظة فيتشبّثون بكلمة خرجتْ علىٰ غير تريّث ، ويشهرونها عليه بلا رحمة ولا رأفة ومن دون تأمّل ودراسة .
أو عالِمٌ قضىٰ سنوات طويلة من عمره في طلب العلم والخدمة للدين وإرشاد الناس ، ترىٰ بعضهم يدوس هذا التاريخ المُشرِق له ويتمسك بزلّة صدرتْ منه في ظروف معينة ، فلا يمهلونه لكي يصحّح ويرمّم ولا يعطونه فرصة التفكير، فإنهم يهدمون سمعته طول الحياة .

أو مؤلف انزلق قلمه عن جادة الصواب قليلاً وفي بعض سطور كتابه ، تجد بعضاً من اولئك الحدّيين يشطب علىٰ الكتاب والكاتب بقلم الإدانة ، فيثرثر ضده وضد كتابه في كل مناسبة وغير مناسبة بل لعله شطب علىٰ مؤلفاته الاخرىٰ أيضاً .

هذا في الوقت الذي قد لاتكون هناك زلّة أو انزلاق ، إنما وجهة نظر ، فهذا رأي مقابل رأي ليس أكثر ، إلا أن المواقف الارتجالية والعصبيات العمياء ترمي صاحبها في خطأٍ و ردّة فعل كان في غنىً عنها ، ولو كان يستبدلها الىٰ النصح ونصيحة السر خاصة لاختصر الطريق الىٰ الإصلاح ولم تستنزف الطاقات في المعركة الداخلية ، ولساد الطرفين خير كثير .

ففي الحديث عن المعصومين عليهم السلام : مَن نَصَحَ أخاه سرّاً فقد زانه ـ أي زيّنه ـ ومَن نصحه علانيةً فقد شانه ـ أي شيّنه وأهانه ـ .

حقاً إن من سعادة المرء أن يكون خصمه عاقلاً ، فالويل له اذا كان خصمه جاهلاً الاّ اذا قال ردّاً علىٰ خطابه : سلاماً سلاماً

وما أحوجنا نحن المسلمين وخاصة أتباع مذهب أهل البيت عليهم السلام في هذه الظروف الصعبة الىٰ معالجة الأخطاء بالحكمة والموعظة الحسنة ، والاّ فإن تتبع العثرات ونشرها لإسقاط حرمة الأشخاص والشخصيات لايبقي أحداً من دون سقوط ، إذ لا إنسان ولا عالِم ولا مرجع ليست له عثرة هامشية في حياته! ثم وهل يضمن المهاجم أن لا يُهاجَم غداً ؟!

فعلىٰ الانسان المسلم أن لايستدرجه الشيطان الىٰ إهانة أخيه المسلم

ومصادرة حرمته خاصّة أمام أعين الناس ، واذا أوقعه الشيطان في هذه المصيدة فلينتفض بوجه الفخ ، وليتذكر رقابة السماء عليه ، وأن الله حسيب عتيد ، لن يتسامح في انتهاك حقوق العباد وإذاعة الفاحشة في البلاد . فهذا رسول الله ﷺ قد حذّرنا ! قائلاً : « لاتتبّعوا عثرات المسلمين ، فإنه مَن تتبّع عثرات المسلمين تتبّع الله عثرته ، ومَن تتبّع الله عثرته يفضحه » .

وعن الامام الصادق عليه السلام انه قال : « اذا رأيتم العبد متفقّداً لذنوب الناس ناسياً لذنوبه فاعلموا انه قد مُكِر به »[1].

وقال ﷺ : « المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يشتمه ، لا يخونه ولا يكذبه ولا يخذله » .

وقال ﷺ : « المسلم مَن سَلِم المسلمون من لسانه ويده » .

وقال ﷺ : « المسلم أخو المسلم يسعهما الماء والشجر ويتعاونان على الفتنان»[2].

وقال ﷺ : « لاتقاطعوا ، ولاتدابروا ، ولاتباغضوا ، ولاتحاسدوا ، وكونوا عباد الله اخواناً ، ولا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق الثلاث »[3]. ذلك لأن أيام القطيعة إذا تجاوزت الثلاث انبنى بينهما جدار سميك وحاجز نفسي عميق ، وكلما ازدادت أيام الهجر والمقاطعة كلما تباعدت القلوب وعملت الظنون السيئة عملها وتراكمتْ آثارها في النفوس .

فمتى ننتبه الى خطورة هذه الأمراض ونعمل بوصية الامام الباقر عليه السلام لشيعته ومحبّيه التي نقلها ابنه الامام الصادق عليه السلام قائلاً : « عظّموا أصحابكم ، ووقّروهم ، ولا يتهجّم بعضكم على بعض ، ولاتضارّوا ، ولاتحاسدوا ، واياكم والبخل ، كونوا عباد الله المخلصين الصالحين »[4].

فما أقبح أن يرافق إنسانٌ انساناً لفترة ثم إذا انفصل عنه يذيع عيوبه الشخصية ويشهر عليه لسانه كالسيف القاطع .

وهكذا فالذين شُغْلهم تتبُّع العثرات والنواقص وإعلانها بين الناس إنهم في الواقع يشتغلون في الحرام الصريح ، وقد زيّن لهم الشيطان هذا العمل القبيح ،

---

١ - بحار الانوار / ج٧٥ - ص٢١٥ .

٢ - ميزان الحكمة / ج٤ - ص٥٢١ - الفتنان يعني الحلو والمرّ ، كناية عن التعاون في الرخاء والشدّة.

٣ - ميزان الحكمة / ج١٠ - ص٣١٤ .   ٤ - اصول الكافي / ج٢ - ص٦٣٧ .

فهم مستدرَجون حتىٰ يدخلوا نار جهنم نادمين وربما خسروا سعادتهم من أجل دنيا الآخرين .

● ثمّ ماذا والىٰ متىٰ ؟!

قرأت كتاباً قبل عشرين عاماً اسمه (نحن بشر أم بقر) ؟! واليوم ثبت لي أن الكثيرين هم (معجون بهائم) في صورة (بشر) ولا فرق بيننا وبين الشعوب غير المسلمة في ذلك باستثناء القلّة العاقلة والشاكرة ﴿وقليلٌ مِن عبادي الشَكور﴾ .

يقول عنّا ظَلَمَة الغرب (وهم المتخلّفون من نوع آخر) بأننا شعوب متخلّفة ، مطروحة علىٰ بُعد مسافة شاسعة من النظام والانفتاح واليقظة والصناعة والعلوم الحديثة وبكلمة واحدة (الحضارة) ، ورغم أنه قد ثبتت هذه الوصمة علىٰ شعوبنا وخاصة في منظار الغربيين الذين فرضوا علىٰ شعوبنا الحرمان بأساليب متعددة الشعاب ، الاّ أن سبباً من أهم تلك الأسباب قد فرضناه بأنفسنا علىٰ أنفسنا وساعدنا بذلك ظلمة الغرب في تسيير مشاريعهم الاستعمارية علىٰ عقولنا وأراضينا وثرواتنا ، ذلك هو إدبارنا عن ثقافة الإسلام وأهمها القيم الأخلاقية الحسنة ، ومن مصاديق هذا الإدبار وَأْدِ الكفاءات والتلاعب بسمعة الأشخاص وشدّة المقابلة مع الأخطاء الىٰ حدّ استفزاز الطرف الآخر للرّد بالمثل، مما يؤدي الىٰ الاسترسال في معارك داخلية واستنزاف الطاقات والأوقات ونسيان القضايا الأساسية في الحياة ـ كما ذكرنا آنفاً ـ ، وكأننا خُلقنا لنفتح أعيننا علىٰ فن عرقلة الآخرين من أبناء أمتنا والمهارة في الوقيعة بهم وإسقاطهم من أنظار الناس ، وبعضٌ ـ مع الأسف ـ يعتبر هذا الإنجاز هدفاً يستجلب به المدح والثناء ويستحق عليه وسام البطولة والدعاء ، بل ربما قصد فيه التقرب الىٰ اللّه تعالىٰ واتخذه وظيفة شرعية ، بينما الحقيقة أنه مستدرَج من قبل الشيطان وقد استغفله من حيث لا يدري (والناس نيام ، إذا ماتوا انتبهوا) ولكن لماذا يجعل الإنسان نفسه مرتعاً للشيطان حتىٰ ينتبه بعد الموت حيث لا ينفعه الانتباه ، فكم يريد الإنسان أن يعمر حتىٰ يصرف عمره في هذه التشنّجات التالفة لفرص التقدم في الحياة واكتساب الفوز في الآخرة .

إن علىٰ الانسان المسلم أن يضع نصب عينيه الحكمة القائلة (كما تدين تُدان) ، وقد رأيت كتاباً بهذا الاسم ذكر فيه مؤلفه قصصاً تاريخية تؤكّد هذه

الحقيقة ، ولو عرفها الإنسان حق المعرفة وقف عند حدّه في الاستهانة بحرمة الآخرين وانتهاك كرامتهم ، وكم شاهدتُ بنفسي خلال سنوات مضتْ أُناساً اتهموا أناساً ونالوهم بألسنتهم ثم سرعان ماابتلوا بأنفسهم في ذات الاتهامات وأفضعها إذ جاء غيرهم ونالوهم في تهديم سمعتهم ، أليس الدهر دوّار وغدّار وماأكثر العبر وأقلّ الاعتبار .

ولقد وصف القرآن الكريم المؤمنين بأنهم ﴿ أشدّاءُ علىٰ الكُفار رُحَماءُ بينهم﴾ ، وليست مطلوبية الرحمة والرأفة والتسامح بين المؤمنين إلا دليل علىٰ إمكانية وقوعهم في الخطأ عند اصطكاك المصالح بينهم مثلاً ولذلك تأتي الحاجة الىٰ الرحمة ، وهي نبذ العنف وعدم الشدّة في التعامُل والتحامُل .

وبطبيعة الحال عندما تغيب عن المسلمين أخلاق التسامح والرحمة فإنهم لايكونوا أشدّاء علىٰ الكفار حينئذ ، لأن الشدّة حوّلوها الىٰ أنفسهم ، ونتيجة هذه المعادلة العكسية هي الدوران في دائرة التخلّف ، كحمار الطاحونة يدور حول نفسه وهو يتخيل السير الىٰ الأمام !

فمن يوقف مسيرة الهدم وحركة الدوران حول النفس في دائرة التخلّف ؟

وحده الثقافة الإسلامية والأخلاق الحسنة بكل مفرداتها التربوية الرائدة بعد الإصغاء الدائم لنداء الضمير في الاجابة علىٰ سؤاله العميق (ثم ماذا والىٰ متىٰ)؟! وقد جاء في الحديث الشريف « رَحِمَ اللّهُ إمرءً عَرَفَ مِن أين ، وفي أين ، والىٰ أين»؟!

فهل يأتي اليوم الذي يعرف فيه الجميع بأن الغالب في المعارك الداخلية مغلوب ، وأن الطريق الىٰ معرفة الحق بين شخصيْن أو فكرتيْن أو قضيتيْن هو أن يقابل الانسان طرفي النزاع ويقرأ قراءة دقيقة ومحايدة في ملفّ الاتجاهين (المدّعي والمُدّعىٰ عليه) . ففي المثل : اذا أتاك احد الخصمين وقد فُقئتْ عينه ، فلا تقضي له حتىٰ يأتيك خصمه ، فلعلّه قد فُقئتْ عيناه .

والآن أفهل ما يمارسه بعض الاشخاص في تصعيد هذا وتسقيط ذاك وبجرأة كاملة عمل يطابق الموازين الشرعية أو الانسانية ؟!

وهل ذلك من موارد الولاية المستلزمة للبراءة ؟

أبداً ، لأنّ البراءة من المشركين وليست من مرجع لا يقلّده الشخص أو عالم لا يميل إليه . فهنا من موارد الولاية المجرّدة عن البراءة ، ثمّ الطلب من الله تعالىٰ

بهذا الدعاء :

(اللهم صل علىٰ محمّد وآل محمد واهدني لما أُختُلف فيه من الحق بإذنك إنك تهدي من تشاء الىٰ صراط مستقيم) .

● وأخيراً :

قبل خروجك من هذه المقدمة الهامّة وأنا أعتذر عن الإطالة فيها فإن لي جواباً على سؤالك القائل : لِمَ كل هذا الكلام حول الاختلاف ، أفهل يستحق هذا التركيز والتطويل ؟

أقول إن الجهود العسيرة التي تُبذَل في البناء والتقدم لا يهدمها الاّ الاختلاف وبكل سهولة ، فالاحداث من بعد وفاة النبي ﷺ الى يومنا هي أكبر دليل لاثبات هذه الحقيقة المُرّة . ولولا خطورة الاختلاف والتفرقة لما ركّز الإسلام على نبذه عبر تعاليمه الوحدوية وأخلاقيات الحُبّ والمودّة ، ودعوته الىٰ التعاون والإيثار وصلاة الجماعة ، والدعاء للجار ثم الدّار ، وتحريم الغيبة والنميمة والبهتان والإيذاء ...

فكل ما نعانيه إذن من خيبة أمل وضياع الامكانات وهجرة الكفاءات وازدياد الأزمات والمشاكل والتخلف المهلك انما بسبب الاختلاف البغيض وخاصة إذا حلّتْ بساحة العلماء والموجِّهين التربويين !!

من هنا وجب التأمل ومراجعة الأول والآخر والنظر في كل الحسابات ، ومِن ثَمَّ نعتمد تقييماً جديداً للأمور ونحن نتذكّر القيم الروحية والأخلاقية المنسيّة في عصر الماديّات ، نتذكر كبار علمائنا الأوائل والأواخر الذين ضربوا أروع أمثلة الزهد والصفاء والورع ونكران الذات والنظر في العواقب وإيثار المصالح الكبرىٰ للدين والأمّة ، وهذا الكتاب محاولة متواضعة وبضاعة مزجاة أُقدّمها علىٰ هذا الطريق وأنا أدعو معك بهذا الدعاء الذي كل كلمة فيه هادية :

اَللّهُمّ صلّ علىٰ محمّد وآله ، وحَلّني بحُلية الصالحين ، وألْبِسْني زينة المتقين ، في بَسْط العدل ، وكَظْم الغيْظ ، وإطفاء النائرة ، وضمِّ أهلِ الفُرقة ، وإصلاح ذات البين ، وإفشاء العارفة ، وسَتْر العائِبة ، ولينِ العريكة ، وخَفْض الجِناح ، وحُسْن السِيرة ، وسكون الرِيح ، وطِيب المُخالَقة ، والسَبْق الىٰ

الفضيلة ، وإيثار التفضُّل ، وترْك التعيير ، والإفضال علىٰ غير المستحِق ، والقول بالحقّ وإنْ عزّ ، واستقلالِ الخيرِ وإنْ كَثُر مِن قولي وفعلي ، وإستكثارِ الشرّ وإنْ قَلّ من قولي وفعلي ، وأكمِل ذلك لي بدوامِ الطاعة ، ولزومِ الجماعة ، ورَفْضِ أهل البِدَع ، ومُستعمِل الرأي المُختَرَع ...

اَللّهم إني أعتذرُ إليك مِن مظلومٍ ظُلِم بحضرتي فلم أنْصُره ... ومِن حقّ ذي حقٍ لزمني لمؤمنٍ فلم أُوفِّره ، ومِن عيب مؤمن ظَهَرَ لي فلم أسْتُره ، ومِن كلِ إثمٍ عرَض لي فلم أهْجُره ، أعتذرُ إليك ياإلهي منهُنّ ومِن نظائرهِنّ إعتذارَ ندامةٍ يكون واعظاً لِما بين يدَيّ مِن أشباهِهِنّ . فصلّ علىٰ محمّد وآله واجْعَل ندامتي علىٰ ماوقعتُ فيه مِن الزلاّت ، وعزمي علىٰ تَرْك مايُعرَض لي مِن السيّئات توبةً تُوجِبُ لي محبّتك يامحبّ التوّابين .[1]

● وفي الختام :

أُوصيك بكتابي هذا خيراً ، في قراءته واقتنائه وإهدائه لمن ترجو منه خيراً . وفي إهدائي عيوبي إنْ كنتُ حيّاً ، ودعاء الخير لي إنْ كنتُ ميّتاً ، وقُل : ﴿ربّنا إغْفِر لنا ولإخوانِنا الذين سبَقونا بالايمان ولاتَجْعَل في قلوبِنا غِلاً للّذين آمنوا ربّنا إنّك رؤوفٌ رحيم ﴾.

اَللّهم واجعَلْنا بالعلم عاملين ، وبالطاعة قائمين ، ولاتَجْعَلْنا أُسارىٰ في أيدي الظالمين ، ونَبِّهْنا مِن نومةِ الغافلين ، بجاه سيِّدنا محمّدٍ وآله الطاهرين .

مدينة مشهد المقدّسة

(١٥ / شعبان / ١٤١٥)

ذكرىٰ ميلاد العدل المنتظَر الإمام القائم المهدي

(عجل اللّه في ظهوره)

أقَلّ خدّام الدّين : عبدالعظيم المهتدي البحراني

---

١ - الصحيفة السجادية / دعاء مكارم الأخلاق .

● **وفي الختام:**

فإنّي أوصيك بكتابي هذا خيراً ، في قراءته واقتنائه وإهدائه لمن ترجو منه خيراً . وفي إهدائي عيوبي إنْ كنتُ حيّاً ، ودعاء الخير لي إنْ كنتُ ميّتاً ، وقُل :

﴿ربّنا إغفِر لنا ولإخوانِنا الذين سبَقونا بالايمان ولاتَجْعَل في قلوبِنا غِلاًّ للّذين آمنوا ربّنا إنّك رؤوفٌ رحيم﴾.

اَللّهم واجعلنا بالعلم عاملين ، وبالطاعة قائمين ، ولاتجعلنا أُسارىٰ في أيدي الظالمين ، ونبّهْنا مِن نومة الغافلين ، بجاه سيّدنا محمّدٍ وآله الطاهرين .

مدينة مشهد المقدّسة

(١٥ / شعبان / ١٤١٥)

ذكرىٰ مولد العدل المنتظَر الإمام القائم المهدي

(عجل اللّه في ظهوره)

أقلّ خدّام الدّين : عبدالعظيم المهتدي البحراني

مدخل القصص والخواطر

﴿ لَقَدْ كانَ في قَصَصِهِم عِبْرَةٌ لِأُولي الألباب ﴾ يوسف / ١١١

عن رسول الله صلى الله عليه وآله :

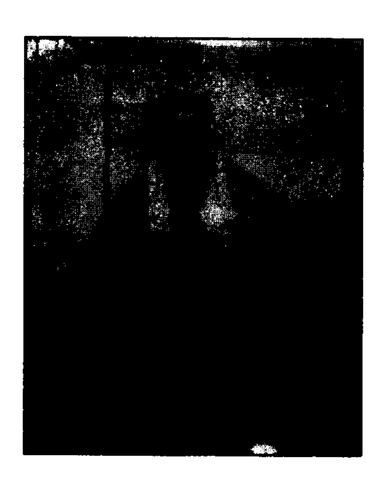
« إنّ مثل العلماء في الأرض كمثل النّجوم في السماء ، يهتدى بها في ظلمات البرّ والبحر ، فاذا طمست أوشك أن تضلّ الهداة » منية المريد/ص١٢

وفي الديوان المنسوب للامام عليّ عليه السلام :

الناسُ من جهةِ التمثال أكْفاءُ	*أبوهم آدمُ والأمُّ حوّاءُ*
ما الفضلُ إلاّ لأهل العلم إنّهم	*على الهُدىٰ لِمَن استهدىٰ أدلاّءُ*
وقدْر كلِّ امرءٍ ما كان يُحسِنُه	*وللرجال علىٰ الأفعال أسماءُ*
وضدّ كلّ امرءٍ ما كان يَجْهَلُه	*والجاهلون لأهلِ العلْم أعداءُ*
فَفُز بعلمٍ ولا تطلبْ به بَدَلاً	*فالناسُ موتىٰ وأَهلُ العلْمِ أحياءُ*



١ قصّة هذا التأليف



المرحوم الحاج عباس جعفري

عندما سهّل اللّه تعالىٰ لي الاقـامة فـي مـدينة مشهد المقدسة جوار مرقد الامام الرضاعليه السلام ثـامن الحجج من ائمة أهل البيت عليهم السلام في سنة ١٤١٢ هـ، عقدتُ خمس مجـالس حسينيّة فـي البـيت الذي استأجرته قرب الحرم ، عملاً بالنذر الذي قـطعته علىٰ نـفسي مـنـذ كـنت فـي الدنـمارك أُصـارع العقبات وأسعىٰ الىٰ تذليلها للعودة الىٰ اجـوائـي المحبّذة . وكان ممن يحضر المجالس اثـنان مـن اصدقائي من طلبة العلوم الدينية أحدهما من أهل القطيف والثاني من البحرين ومعهما المرحوم الحاج عباس جعفري، وهؤلاء بعد انتهاء المجلس كانوا يجـلسون معي فنتحـادث خيراً ونتبادل الكـلام النافـع ، وبكل مناسبة كنت اذكر قصة او خاطرة .

هنا قال لي « فضيلة الشيخ حسين ... وهو من أهل القطيف » : ان في قصص الصالحين فوائد ودروس تربوية نافعة، ولقد هممتُ مرّة في الحوزة الزينبية بسوريا أن اجمع هـذه القصص بمساعدة بعض الطلبة من اصدقائي في مدرسة أمـير المـؤمنينعليه السلام ولكـنّنا لم نتوفّق، فأهملنا هذا العمل الصالح مع الأسف، وإني اقترح عليك ذلك لعل اللّه يحقّقه علىٰ يديك، وانت العارف بأهميته في المجتمع وخاصة للشباب والخطباء .

والحقيقة ان الشيخ حسين (حفظه اللّه وسدّد خطاه) قد اشار باقتراحه هذا الىٰ رغبة كانت في قلبي منذ زمن بعيد، ولكن الرغبات لا تُنجَز كلها في وقت واحد، انما هي مرهونة بأوقاتها، وهكذا جاء وقت انجاز هذه الرغـبة بـفضل اقـتراح الأخ، فأدرجت كـتابة هـذه القصص والخواطر ضمن قائمة أعمالي، وجعلتها في عداد الاولويات بسبب تأكيد فضيلة الحاج عباس الجعفري الذي اكنّ له حباً خاصاً منذ علاقتي به في البحرين قبل (١٧) عاماً،

واسرعَتُ في انجاز هذا الكتاب بعد أن أُصبنا بالحزن في وفاته المفاجىء حيث وافته المنيّة في اليوم الثاني ومن دون سابق انذار أو آثار، والواقع ما كنا نعلم ان الحاج على موعد عاجل مع حور العين في (وادي السلام) برزخ الارواح المؤمنة المحلّقة حول قبر سيد الاوصياء وامام الاتقياء علي بن ابي طالب عليه السلام في النجف الأشرف ، وقد رأيته في المنام هناك بعد أن غطّتْ تراب أرض قم المقدسة جثمانه الطاهر بيومين فقط وكان بثوب ابيض ووجهه يتلئلأ وقبره في السرداب يشعّ نوراً فقال لي وهو واقف على عتبة المدخل : أتعلم يا شيخ اني أصبحت غير محرم معك ؟

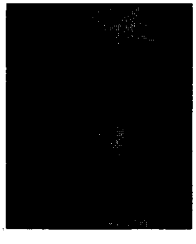
قلتُ : نعم، (فقد اصبحتَ روحاً ونحن لازلنا مقيّدين في الاجسام) .

فابتسم واراد أن يمازحني كعادته في هذا العالم، اذ تقدّم ليضع كفه على كتفي، فقلتُ له ضاحكاً : ألم تقل انك غير محرم معي، اذن لا تلمسني !

فضحكنا معاً ثم ودّعته راجعاً الى مشهد المقدسة .

هذا والذي شدّني الى العكوف على هذا التأليف اكثر من عامين ، وتتبّع المصادر وتصفّح الكتب القديمة والجديدة، والذهاب الى المكتبات العامة والخاصة، واللقاء بالشخصيات العلمائية وكتابة ما ينقلونه لي من قصص وخواطر، هو الدفعة الروحية التي كنت اشعر بها اثناء هذا العمل، حتى وكأني سائر خلف طائر، فأجد أمامي تسهيلاً عجيباً وهو ما يسمى بالتوفيق الالهي . فالحمد للّه الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا اللّه، والصلاة والسلام على خير خلق اللّه محمد بن عبد اللّه، وعلى اهل بيته الطاهرين الهداة الى دين اللّه، وعلى جميع الصالحين من الاولين والآخرين الى يوم لقاء اللّه .

٢ أمّ صالحة لولد صالح


الشيخ مرتضى الأنصاري

رأت في المنام والدة الشيخ مرتضى الانصاري ـ وهو من مراجع القرن الثاني عشرالهجري ـ انّ الامام الصادق عليه السلام أهدى لها قرآناً مذهّباً! وكان تفسير هذه الرؤيا ان اللّه سيرزقها ولداً عالماً يروّج لاحكام اللّه ويبلّغ لفقه اهل البيت عليهم السلام الذي احياه

الامام الصادق عليه السلام ، وهكذا اصبح ولدها الشيخ الانصاري المرجع الاعلىٰ للطائفة الشيعيّة في العالم.

ورد انه بعد عودته من كل درس كان يمر علىٰ منزل والدته الصالحة ليلقي عليها السلام والتحية ، يجلس عندها ويتحدث لها عن التاريخ الاسلامي والدين ويلاطفها بالقصص الفكاهية ذات المعاني الهادفة حتىٰ يدخل السرور علىٰ قلب أمّه التي عانت في حياتها كثيراً. ذات يوم خاطبها مازحاً وهو يذكّرها ايام زمان :

هل تذكرين يا أمّاه يوم كنت أدرس المقدمات (العلوم الابتدائية الدينية) ، كنتِ ترسليني لشراء حاجيات للطبخ وأنا اؤجل ذلك الى انتهائي من دروسي ، وأنتِ تغضبين عليّ وتقولين: أنا بلا خلف (يعني بلا ولد يعينها) فهل لا تزالين اليوم بلا خلف يا أمّاه ؟

فترد عليه أمّه العجوز وهي مازحة أيضاً :

أجل .. اليوم كذلك ، أنا بلا معين ! لأنك في تلك الايام لم تكن تحضر حاجيات البيت، واليوم صرت شيئاً في هذه الدنيا، تحتاط في إعطائنا من بيت مال المسلمين ، فلا زلت تجعلنا في ضيق !

وهذه الأم التي تحملت طول عمرها صعوبات الفقر .. ذات مرة فتحت لسان عتابها علىٰ ولدها المرجع الكبير قائلة : كم هي الاموال التي تبعثها اليك الشيعة من أطراف البلاد الاسلامية ؟ فلماذا لا تساعد بها أخاك منصور .. انّه محتاج ولا يكفيه ما بيده ، أعطه قدر حاجته !

فنَهض الشيخ مرتضىٰ الانصاري وقدّم اليها مفتاح الغرفة التي كان يحفظ فيها أموال المسلمين .. وهو يقول لها :

أي مقدار تريدين خذيه لابنك ، ولكنّك مسؤولة أمام اللّه يوم القيامة !

كان الشيخ يعرف كيف يعالج عاطفة أمّه المؤمنة التي كانت تتألم من الفقر وتفكر عاطفياً لولدها منصور ، ولقد استفاد الشيخ من شعورها الديني من دون أن يجرح قلبها الحنون .

لذلك حصل الشيخ علىٰ الموقف الذي كان يتوقعه من أمّه التقية النقية والتي قالت له: أبداً لن أرمي بنفسي في مهالك يوم القيامة من أجل رفاه أيام لولدي، هيهات ذلك[1].

---

١ - كتاب بالفارسية عن حياة الشيخ الأنصاري.

٣ أثر الرّضاعة بطهارة

قيل لوالدة الشيخ الانصاري ﷺ : انّ ولدك بلغ درجة عالية من العلم والتقوىٰ ، ونال رتبة الزعامة الدينية العليا للشيعة في العالم .

فقالت : لاعجب فقد كنتُ أتمنىٰ له درجة أعلىٰ من ذلك ، لانني ما رضعتُه مرّة إلا وأنا علىٰ وضوء ، حتىٰ في تلك الليالي والأيام الباردة القارسة أقوم أسبغ الوضوء ثم أرضعه وأنا علىٰ الطهارة . فلماذا لا يصبح اليوم (الشيخ الانصاري)؟![1]

ولقد بكىٰ المرجع الكبير آية اللّه العظمى الشيخ الأنصاري كثيراً عند وفاة أمه الصالحة حتى جاءه بعض أصحابه يحاولون منعه من البكاء الشديد ، بل ربما لاَمَهُ بعض منهم ، فقال له الشيخ : « ان بكائي واسفي ليس لأني فقدت أمي ، انما لافتقادي نعمة عظيمة مثل هذه المخدّرة الصالحة إذ بوجودها المبارك كان اللّه يدفع به البلاء عنّا ».

وهكذا لا يأخذك العجب أيها القارىء كما أخذ بعضاً من مقرّبي هذا المرجع الكبير الذي امتدت زعامته الدينية أقصىٰ بلاد المسلمين ، فأينما كانت الشيعة ، كانت زعامته ومرجعيّته لهم سائدة. فقد كان يأتي (كل اسبوع) الىٰ قبر أمّه المؤمنة (رحمة اللّه عليها)، فيجهش بالبكاء، فيقول له مرافقوه أيها المرجع : لا يجدر بك هذا البكاء علىٰ أمّك ، وأنت صاحب مقام كبير عند الناس ؟ !

فيقول لهم : ان كان لي مقام كبير كما تقولون ، فإنني حصلتُ عليه بفضل تربية أمّي ، هذه المؤمنة باللّه ، الصابرة التي سهرت الليالي من أجلي ومستقبلي[2].

٤ أنت أيضاً قُمْ بهذا الرياء !

كان المرحوم آية اللّه العظمىٰ الشيخ مرتضىٰ الانصاري ﷺ ، يتشرف بزيارة الامام عليّ عليه السلام في كلّ يوم ، فيقف إزاء الضريح الشريف ويقرأ زيارة الجامعة الكبيرة ، التي تعتبر من أفضل الزيارات وأطولها ، وذات مضامين عالية ومفاهيم رفيعة .

---

١ ـ نفس المصدر.　　٢ ـ نفس المصدر.

وفي يوم من الايام ، اقترب اليه أحد مناوئيه الحمقىٰ وكان جريئاً علىٰ الشيخ غير آبه بمنزلته الرفيعة في الحوزة ومكانته في أوساط الناس فقال له :

الىٰ متىٰ هذا الرياء يا شيخ !

ابتسم له الشيخ وقال : أنت أيضاً قُمْ بهذا الرياء !

وذات مرة أيضاً قال له أحد الطفيليين وهو يقصد اهانته : ما أسهل أن يصبح الانسان عالماً ، ولكن ما أصعب أن يصبح دمث الخليقة (كريم السجيّة) !

فقال له الشيخ وكأنه يريد تصحيح كلامه : أن يصبح الانسان عالماً، فَهذا صعب جداً، ولكن أن يصبح دمث الخليقة (كريم السجيّة) أيضاً ، فهذا أصعب بكثيرا[١]

٥ مِن مَسجِد الىٰ مَسجِد

الشيخ عباس القمي

كان المحدّث الكبير المرحوم الشيخ عباس القمي المتوفىٰ سنة ١٣٥٩ ـ هـ صاحب كتاب «مفاتيح الجنان» في درجة عالية من الاخلاص والتقوىٰ ، وكان المؤمنون يحرصون علىٰ ان لاتفوتهم الصلاة خلفه فانتهز المرحوم القمي هذا التعاطف لخدمة المساجد وإحيائها وإعمارها، فكان يقيم صلاته في احدىٰ تلك المساجد القديمة المهجورة فيجتمع فيها المصلّون ، وعندما يكتظ المسجد بالمصلين تقوم ثلّة من اهل الخير فيهم بالتبرع لإعمار ذلك المسجد القديم وترميمه . وما ان يتم بناؤه واصلاحه حتىٰ ينتقل سماحته الىٰ مسجد آخر لنفس الهدف . وبهذه الطريقة احيىٰ المحدث القمي عدداً كبيراً من المساجد المهجورة وملئها بالمصلّين [٢].

٦ كيف حال الملاّ ؟!

يقال انّ أحد العلماء واسمه (ملاّ قطب) كان يمشي في الشارع ، فسقط رجل من سطح بيت علىٰ رقبة الملاّ ، فانكسرتْ رقبته ! في حين لم يُصَب الرجل بسوء ! فصار الملاّ طريح الفراش في بيته ، والمؤمنون يذهبون لعيادته !

---

١ ـ السبيل الىٰ إنهاض المسلمين / ص ٢٢١.

٢ ـ نقلاً عن مقدمة تحفة الاحباب .

فسألوه مرة : كيف حال الملاّ ؟

أجاب الملاّ وعلىٰ وجهه ابتسامة : أي حال اسوأ من هذه الحال .. غيري يسقط وانا تنكسر رقبتي ![1]

٧ هل أتاك حديثُ العُروج ؟

ميرزا جواد الملكي التبريزي

اسمه آية اللّه الحاج ميرزا جواد الملكي التبريزي ﵀ .. كان من كبار اساتذة الحوزة العلمية في مدينة قم المقدسة توفي سنة (١٣٤٣) الهجرية ودفن في مقبرة (الشيخان) قرب حرم السيدة المعصومة بنت الامام الكاظم﵇ مكتوب علىٰ قبره (رُفِعَ العِلْمُ وذَهَبَ الحِلْمُ).

أما قصة مقامه الرّباني فهي تبدأ من هنا : يقول تلميذه آية اللّه السيد جعفر الشاهرودي .. في ذات ليلة لما كنت في مدينة (شاهرود) رأيت في المنام وكأن الامام الحجّة صاحب الزّمان (عجّل اللّه فرجه الشريف) يصلّي جماعة في صحراء ، فدنوت منه لأنظر الىٰ جمال وجهه واقبّل يده المباركة ، فشاهدت شيخاً وقوراً بجانب الامام ، قريباً منه بلا فاصلة ، تأمّلت في ملامحه الجميلة وهيبته الربانية ، حتىٰ انطبعتْ صورته في ذهني . ولما استيقظتُ ، سعيتُ هنا وهناك لأعرف من هو الشيخ الذي كان بهذه المكانة عند الامام الحجة﵇ .

فسافرت الىٰ مدينة (مشهد) بحثاً عنه ، فلم أجده ، وجئت الىٰ (طهران) ولم أرَ ذلك الوجه ، فجئت الىٰ (قم) فرأيته يدرّس في غرفة من غرف المدرسة الفيضية !

سألت : مَن هذا ؟

قالوا : انه الحاج ميرزا جواد التبريزي .

دنوت منه ، ففاجأني بالسؤال عن حالي وتكلّم معي وكأنه يعرفني !

قال لي : متىٰ وصلت ؟

سبحان اللّه .. يبدو انه يعرفني وكأنّه يعلم الخبر !

---

١ ـ (رنگارنگ) كتاب بالفارسية / ج ١ .

لذلك لازمتُه ، فوجدته طول معاشرتي له هو ذلك الذي رأيتُه في المنام .

استمرّتْ ملازمتي له حتىٰ ليلة الحادي عشر من شهر ذي الحجة سنة (١٣٤٣) الهجرية ، وقت السَحَر ، اذ كنت بين اليقظة والنوم .. فرأيت وكأن أبواب السماء فُتحت بوجهي ، والحُجُب ارتفعتْ أمامي ، وكأني تحت العرش أبعد ما يمكن أن يراه النائم ، حيث شاهدت الحاج ميرزا جواد التبريزي واقفاً ويديه مرفوعتين للقنوت ، متضرعاً ، خاشعاً ، يناجي اللّه تعالىٰ ويبكي بشدّة ، فتعجّبت من درجته العالية عند اللّه عز وجل وبينما كنت كذلك واذا بالباب يُطرق !

فاستيقظت من النوم فوراً وفتحت الباب ، واذا بأحد الاصدقاء .. يقول : اسرع الىٰ بيت الشيخ. قلت : ما الخبر ؟

قال : أعزّيك ، فإنّ الشيخ قد انتقل الىٰ رحمة اللّه ![1]

٨ ثلاث نصائح في مجال التأليف



الشيخ محمد جواد مغنية في بستان الكتب

في سنة (١٩٧٧) قَدِمَ الكاتب الاسلامي الشهير فضيلة الشيخ محمد جواد مغنية ﷺ الىٰ النجف الاشرف ، وسكن في مدرسة الشبّرية ، فانتهزت الفرصة للقاء به والاستفادة من تجربته في التأليف حيث كنت من قرّائه المعجبين وانا يومئذ في السابع عشر من عمري .

دخلت عليه الحجرة فوجدته محاطاً بالكتب وبعض الجرائد والمجلات وأوراقه التي يكتب فيها ، وكان يغمس (الخسّ) في (السكنجبين) ويأكل منه بشهية ، قال : هذا هو أكلي المفضّل دائماً .

وبعد حديث اعتيادي .. سألته :

مولانا .. هل يمكنكم اعطاؤنا نصيحة في مجال التأليف والتبليغ الكتابي ؟

---

١ ـ كتاب بالفارسية (گنجينه دانشمندان) ص ٢٣٢ .

قال : « أهمّ شيء أن تعيّن أمام شاخصك الجهة التي توجه اليها الخطاب ، من أي طبقة هذا الذي تريد الكتابة له عند ذلك أكتُبْ ما تريده ولا تفكّر فيمن لا يوافقك من الطبقات الاخرىٰ لأنّك لم تكتب لهم .

فمثلاً اذا أردت مخاطبة الشباب ، حدّثهم بما يفهمونك ، ولا تهتم بالذين قد لا يرتاحون لكتاباتك ، لانّهم أساساً ليسوا جهة خطابك » . «وفي الدرجة الثانية وسّع دائرة معلوماتك الثقافية »، « ثم لا تخش أحداً الاّ اللّه » .

فهذه ثلاث نصائح أساسية خذها في مجال التأليف .

٩ في مدرسة الأتقياء

المقدّس الأردبيلي

عالمان كبيران .. المرحوم ملاّ عبد اللّه التستري والمرحوم المقدس الاردبيلي (المتوفىٰ سنة ٩٩٣ هـ) جمعهما مجلس كان يحضره جمع من الناس .

تقدم الملا عبد اللّه التستري بسؤالٍ إلى المقدّس الاردبيلي ، فردّ عليه الاردبيلي قائلاً : سوف أجيبك فيما بعد !

ولما انتهىٰ المجلس أخذ بيد الملاّ التستري ومشىٰ معه صوب الصحراء (اطراف القرية) فشرح له جواب سؤاله ، فاقتنع به التستري بعد نقاش خفيف ، ولكنه قال :

لماذا لم تجبني في المجلس بحضور الجمع ؟

قال المقدّس الأردبيلي :

لو كنا نناقش الموضوع هناك لكنت انا وأنت معرّضيْن لهوىٰ النفس ، لانّ كلّ واحد منّا كان يريد الانتصار لرأيه ، وكنت أخشىٰ ان يغلب علينا العُجْب فيحاول كلّ منّا التفوّق لذاته .. فيتحكم فينا حينئذ الرياء وحبّ الظهور ، ونكون بذلك أقرب الىٰ المعصية منّا الىٰ الطاعة والقربة الىٰ اللّه عزّ وجلّ .

وامّا في الصحراء حيث لا أحد معنا سوىٰ اللّه تعالىٰ فلا مجال للشيطان ، ولا أرضية للرّياء ووسوسة النفس .[1]

---

١ ـ عن كتاب حديقة الشيعة .

١٠ الإخلاص لله

كان المرحوم ملاً عبد الله التستري ﵀ ولمدة ثلاثين عاماً لم يمتثل غير الواجبات الشرعية والمستحبّات الدينية ، يقال أنه دخل يوماً علىٰ الشيخ البهائي قبيل الظهر ، فحين صلاة الظهر طلب منه الشيخ البهائي أن يتقدم لإمامة الجماعة . فلما استعد للصلاة شاهدوه يخرج فجأة من البيت مودّعاً !

فسأله بعض المؤمنين عن السبب ؟

قال شعرت في نفسي بشيء من العُجْب وقلت أنا ذو مقام عال ، تجدني يقتدي بي رجل كالشيخ البهائي ! فعلمت بانعدام نية الاخلاص للّه عندي ، فلِمَ أصلّي بكم جماعة إذن؟

وينقل ايضاً .. انه كان له ولد اسمه المولىٰ حسن علي ، وكان يحبّه كثيراً ، خرج ذات مرّة الىٰ صلاة الجمعة وولده هذا كان مريضاً دنفاً ، فبدأ يقرأ في الصلاة سورة المنافقين حتىٰ وصل الىٰ قوله تعالىٰ : ﴿ يا أيّها الذين آمَنوا لا تُلْهِكم أموالُكم ولا أولادُكم عن ذِكْرِ ٱللّه ﴾[1] فلاحظ المصلّون ان الملاّ يكرّر هذه الآية أكثر من مرّة .

فسألوه بعد الصلاة عن سبب تكراره للآية ؟

قال : حين تلاوتي لهذه الآية تذكرت ولدي (حسن علي) ، فجاهدت نفسي ودككتُ عاطفتي بتكرار هذه الآية والتدبر فيها ، حتىٰ استطعت افترض لنفسي غاية البلاء وهي أن اتصوّر ولدي ميّتاً أمامي ، وبعده اجتزت الآية .

وكان ﵀ مواظباً علىٰ النوافل ، دائم الصيام ، وحوله جمع من طلبة العلوم الدينية ينهلون من فيض علمه وتقواه وكان قنوعاً وقوراً يكرمه جميع الناس .[2]

١١ تعاونٌ في الصلاة

نقل المرحوم الشيخ محمد جواد مغنية : حدثني المقدس السيد حسن محمود الامين.. قال : كنت والمرحوم السيد الشريف شرف الدين أخوين متصافين ، فأصابني داء

---

١ ـ سورة المنافقون / ٩.

٢ ـ روضات الجنات / ج ٤ ـ ص ٢٤١ ـ.

الحُمّىٰ ، فقدتُ معه الشعور والادراك ، ونسيتُ كلّ شيء حتىٰ الصلاة وأفعالها وأقوالها، فكان يأتيني السيد الشريف في أوقات الصلاة، ويجلس الىٰ جانبي، ويقول لي: قل وافعل كما أقول أنا وأفعل ، فيشرع بالصلاة وانا اتابعه .

انّ في هذاالمثال صورة بارزة عن قداسة أولئك الصفوة الهداة وعن شعورهم بالواجب تجاه خالقهم وإخوانهم ، انّ المرض قد اسقط الفريضة عن السيد حسن ، ولكن السيد الشريف قد أبىٰ عليه دينه أن لا يذكّر أخاه بذكر اللّه في الاوقات التي كان يذكره فيها [1].

١٢ مريضٌ بشوش

دخل شخص لعيادة أحد العلماء الاتقياء ، فرآه مع ما فيه من مرض شديد بشوشاً مرحاً ، يحمد اللّه تعالىٰ ويشكره كمن لم يصبه أذىٰ وليس فيه ألم .

فسأله الرجل : هل تريد أن يشفيك اللّه ؟

قال العالم : كلا !

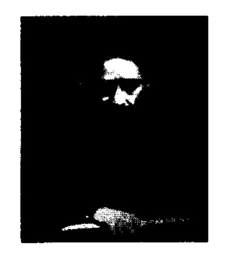
سأله : هل تحب أن تبقىٰ مريضاً ؟

قال العالم : كلا !

قال الرجل : اذن ماذا تريد وتحبّ ؟

أجابه العالم : أريد الذي يريده اللّه ! [2]

١٣ إنّها آخر زادي من الدّنيا



السيد حجّت الكوه كمري

كان المرحوم آية اللّه السيد محمّد حجّت الكوه كمري ﵀ من كبار فقهاء عصره وكان شديد المحبة والولاء لسيد الشهداء أبي عبد اللّه الحسين ﵇.

ولدىٰ احتضاره وفي تلك الدقائق الاخيرة التي كان يفارق فيها الحياة .. أمر المؤمنين والعلماء الذين حوله أن يكسروا خاتمه الذي عليه ختمه الشريف ، لئلاّ يقع بأيدي من يسيئون الاستفادة من ختمه للرسائل.

---

١ ـ تجارب محمد جواد مغنية / ص ٧١.

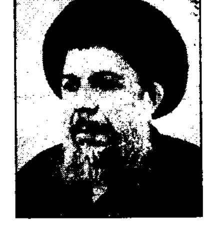
٢ ـ بالفارسية (رنگارنگ) ج ٢ ـ ص ٩٥.

فتردد بعض محبّيه في تنفيذ أمره ، لشدّة رغبته في الاحتفاظ بالخاتم الذي كان يعني بالنسبة اليه من أجمل ذكرياته مع السيد . فاستماح السيّد بأن يسمح له بالاحتفاظ بالخاتم. فرد عليه السيد قائلاً : استخيروا القرآن الحكيم ، فإذا كانت الآية جيدة اعملوا بكلامي ، والاّ اعملوا ما شئتم ، فلما استخاروا ، جائت الآية الكريمة : ﴿ له دعوةُ الحقّ والذين يَدعُون من دونهِ لا يَستجيبون لهم بشيء ﴾[1] فأمر بكسر الخاتم وتذوّق شيئاً من تربة قبر الإمام الحسين عليه السلام وهو يقول : انها آخر زادي من الدّنيا .

ولقد حفروا علىٰ صخرة قبره (طاب ثراه) هذه العبارات :

« وبعد ما استخار بكلام الحقّ في كسر خاتمه ، وأجيب بقوله تعالىٰ : ﴿ له دعوة الحق ﴾ أمر به ، ثم تناول التربة الحسينية ، وقال : انها آخر زادي من الدّنيا ثم لبّىٰ دعوة الحق عند زوال يوم الاثنين الثالث من جمادى الاولىٰ سنة ١٣٧٢ ـ الهجرية »[2] .

١٤ أعيش مع الكتاب



السيد محمد باقر الصدر

سأل فضيلة السيد كمال الحيدري أستاذه المفكر الإسلامي آية اللّه الشهيد السيد محمد باقر الصدر رضي الله عنه : ـ لو سألكم أحد كيف صار محمد باقر الصدر ، محمد باقر الصدر ؟

فأجاب السيد : ان محمد باقر الصدر يساوي (١٠٪) مطالعة و (٩٠٪) فكر .

وأضاف السيد الحيدري سائلاً : في اليوم والليلة كم ساعة تطالعون ؟

فأجاب السيد الصدر : لا تسألني هكذا ، ولكن اسألني بشكل آخر ، قل لي في اليوم والليلة كم ساعة كنتم مع الكتاب ؟

قلت له : ما الفرق بين السؤالين ؟

قال : اذا سألتني كم ساعة تطالع ؟ أقول لك اطالع عشر ساعات أو ثماني ساعات ... ولكن اذا سألتني كم ساعة كنت مع الكتاب ؟ أقول لك : ما دمتُ مستيقظاً وغير نائم فأنا مع الكتاب .

---

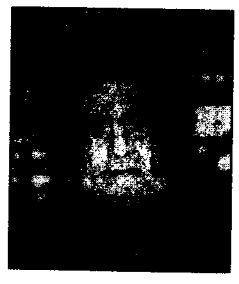
١ ـ سورة الرّعد / ١٣ .

٢ ـ من كتاب فارسي (بادانشمندان شيعه آشنا شويم) ص ٧١ .

كيف ؟

عندما أسير في الشارع أتأمل مسألة أريد حلها ، وعندما أقف على القصّاب ففي ذهني مسألة أحاول حلها ، وعندما اجلس على الطعام للأكل ففي ذهني مسألة أريد حلها ، وعندما استلقي على الفراش للنوم ففي ذهني مسألة أريد حلها ، إذن كنت دائماً مع الكتاب ، فالكتاب كان يعيش معي واعيش مع الكتاب[1] .

١٥ الذي أكْثَرَ مُدارَسَة العِلْم ...



السيد أبو القاسم الخوئي

حين هاجر السيد أبو القاسم الخوئي من مدينة مشهد المقدسة في ايران الىٰ النجف الاشرف في العراق وهو في الثامنة عشرة من عمره ، كان قد عزم علىٰ دراسة العلوم الدينية ، وظهرت لديه قابليات لاحظها من والده المرحوم السيد علي أكبر الخوئي .

فقد كان يرىٰ السراج مضيءً في غرفة ابنه الصبي حتىٰ مطلع الفجر ، وهو منصرف الىٰ كتبه ، شغوف بالقراءة .

فكان والده يصعد اليه معاتباً : سيد أبا القاسم ، كفىٰ هذه الليلة فقد طلع الفجر .

ونقل فضيلة السيد منير الخبّاز (دام عزّه) :

لقد بلغ سيدنا الاستاذ من حدّة الذكاء ما جعله في مستوىٰ العباقرة والنوابغ فإحاطته بعدة اختصاصات علمية وهي الفقه والاصول والرجال والفلسفة وعلم الكلام وابداعه فيها دليل واضح علىٰ حدّة الذكاء ، وسرعة بديهته ونقضه للنظريات العلمية التي يسمعها ، دليل آخر أيضاً .

لقد روىٰ لي العلامة الاستاذ الشيخ محمد علي المراغي انّ مجموعة من الماركسيين زاروا سيدنا الخوئي ﵀ وعرضوا عليه الاساس في الفلسفة الماركسية وهو أنّ العالم كلّه قائم علىٰ حركة الصراع بين المتناقضات علىٰ الصعيد التكويني وعلىٰ الصعيد الذهني وانه لامانع من اجتماع النقيضين خلافاً للفلسفة الاسلامية بل هو أمر لابد منه للحركة التطورية .

---

١ - نشرة المبلغ الرسالي / الصادرة في حوزة قم العلمية / العدد ٨٥ سنة ١٤١٦.

فانتقل السيد الخوئي ﷺ بكلّ سرعة الىٰ نقض الاساس المذكور بقوله « اذا لم يكن هناك مانع من اجتماع النقيضين فكلامنا صحيح وكلامكم صحيح وان كانا كلامين متناقضين، اذ لامانع من اجتماع النقيضين !!

فتحيّروا في المناقشة لأنهم ان قالوا كلام الاسلاميين غير صحيح فهذا اعتراف منهم بكون فلسفتهم ليست حقائق مطلقة . [١]

وفي الحديث عن أمير المؤمنين ﷺ : « من اكثر مدارسة العلم لم ينس ما عَلِمَ واستفاد ما لم يَعْلَم »[٢].

١٦ مِن ثمار الإخلاص للّه

كتب فضيلة الشيخ حسن طرّاد (دام عزه) انّ من أسباب النبوغ العلمي في المرجع الديني الاعلىٰ السيد أبي القاسم الخوئي (طاب ثراه) فضلاً عن اخلاصه للّه تعالىٰ ، هو اخلاصه للهدف المقصود من دراسته .

يذكر فضيلة الشيخ انه سمع من استاذه الجليل المغفور له السيد اسماعيل الصدر ﷺ : انّ احد العلماء الافاضل جاء الىٰ النجف من الخارج ، فحضر درس المرحوم السيد الخوئي ﷺ ، فأورد علىٰ كلام السيد اشكالاً علمياً يتعلّق بالموضوع الذي كان يبحث فيه السيد ، فبادر السيد بالاعتراف للضيف المستشكل موافقاً علىٰ اشكاله ومستسلماً لاعتراضه من دون أيّ مناقشة !

فلفت ذلك نظر أحد العلماء الفضلاء من تلامذة السيد ، فقال مستغرباً : كيف توافق علىٰ إشكال هذا الشخص بهذه السرعة وبلا مناقشة كما هي عادتك مع تلامذتك حيث تناقش اشكالاتهم بدقّة ؟!

فقال له السيد الخوئي ﷺ : أنا كنت غافلاً عن هذا الاشكال ، وقد نبّهني عليه الرجل وليس من الصحيح الاصرار علىٰ الخطأ بعد الالتفات اليه[٣].

نعم .. اذا كان الاعتراف بالخطأ فضيلة ، فان الاصرار عليه خطيئة ، وفقيه أهل البيت سماحة الامام الخوئي يرفض الخطيئة باخلاصه للّه تعالىٰ ، ويريد بذلك ان ينبه تلامذته

١ ـ مجلة النور / الصادرة من لندن ـ العدد / ٢٧ ص ٥٦ .
٢ ـ غرر الحكم / ج٢ ـ ص٦٩٥.
٣ ـ مجلة النور / ص٣٥.

ومن يقرأ هذا الموقف عنه بأن الانسان المخلص يجب أن لا يصرّ علىٰ الخطأ وان يسمح للمستشكل أن يقول اشكاله بحرية وان يصغي الانسان للاشكال بحثاً عن الحق واستسلاماً للحقيقة .. وهذه من ثمار الاخلاص للّه .

١٧ حريّة الرأي العِلمي

يذكر فضيلة الشيخ حسن طرّاد من أخلاقية السيد الخوئي ﷺ : انّ أحد الاشخاص أخبره انّ تلميذه المبرّز يومذاك سماحة الشهيد السعيد السيد محمد باقر الصّدر ، يُشكل علىٰ آرائه الاصولية والفقهية ويأتي عليها في دروسه معترضاً بمناقشات علمية كما هي طريقة الفقهاء منذ قديم الزمان، حيث الحرية العلمية وانفتاح باب الاجتهاد عند الشيعة الامامية . وقد فوجىء هذا المخبر بجواب المرجع السيد الخوئي ﷺ حينما قال :

« ان ذلك هو مدعاة سرور عندي ، لأنه يدل علىٰ وصول تلميذي الىٰ درجة عالية من الفضيلة العلمية ، حتىٰ يتمكن أن يناقش آرائي ويورد عليها اشكالاته العلمية » ![1]

١٨ في الاسلوب مع التلميذ

كان من خصال المرجع الديني الاعلىٰ آية اللّه العظمىٰ السيد الخوئي ﷺ .. الاستماع والاصغاء الىٰ الطالب المستشكل بأعصاب هادئة من دون برم أو حدّة ، ثم يبدأ في الرّدّ عليه أوّلاً بجواب نقضي ، يكون فيه تشحيذ لذهن الطالب المستشكل ، يقوّيه علىٰ المناقشة العلمية ويدرّبه بذلك علىٰ البحث والمناظرة ، وبعد ذلك يأخذ السيد في حلّ الاشكال وايقاف الطالب المستشكل علىٰ مواضع ضعفه فيما ارتآه ، ويسمىٰ هذا بالجواب الحَلّي .

فما رأيت ـ والكلام لتلميذه سماحة العلامة السيد الاشكوري ـ منذ أن عرفته حتىٰ فارقته شيئاً من الكبرياء والعجرفة كما قد يُرىٰ في بعض ضعفاء النفوس من المتسمّين بالعلماء ، فهو يجالس تلامذته والمستفيدين منه كأنه واحد منهم ، لا ميزة بينه وبينهم الاّ ما كان منهم من رعاية جانب احترام الاستاذ وتعظيم مقامه .

وانّ اخلاقه هذه كانت تحث طلبته علىٰ الانطلاق في السؤال والجواب والمناقشات

---

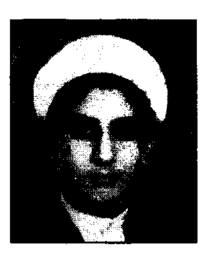
١ ـ نفس المصدر / ص ٣٥ .

العلمية ، ويشجعهم على أن لا يقفوا عند حدّ محدود من طلب العلم .

وحتّى الخطباء كان لهم نصيب وافر من التشجيع ، فكم رأيت السيد في مجالس عامة يستمع الى الخطيب وينظر اليه بملء عينيه كأنه يسمع موضوعاً جديداً وبحثاً شيّقاً لم يطرق سمعه ، بالرّغم من انّ الخطيب لم يتكلّم الاّ بما هو تكرار للمكرّر ، واعادة لما قيل مرات ومرات [1].



السيد ابوالقاسم الخوئي

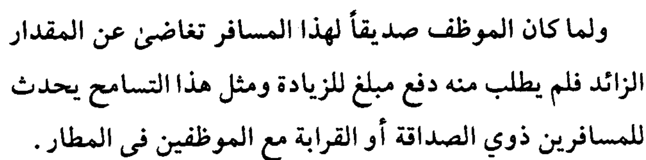


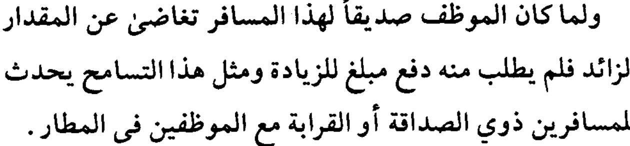
المؤلف : زمن خاطرته

١٩ استغراب واستغراب !

في سنة (١٩٧٥ م) عدت الى وطني قادماً من النجف الاشرف وذلك لزيارة الاهل والاقارب بعد مفارقتي لهم منذ سنة (١٩٧٤) لدراسة العلوم الدينية .

وحين المغادرة الى العراق ، كان معنا في مطار البحرين مسافر عنده زيادة على الوزن المخصَّص لحقائبه ـ والذي عبارة عن ٢٠ كيلواً ـ بضعة كيلوات أخرى .





ولما كان الموظف صديقاً لهذا المسافر تغاضى عن المقدار الزائد فلم يطلب منه دفع مبلغ للزيادة ومثل هذا التسامح يحدث للمسافرين ذوي الصداقة أو القرابة مع الموظفين في المطار .

فالسؤال الذي ارتسم في ذهني عند ذلك الموقف هو عن الرأي الشرعي في الموضوع، فهل حرام كان تصرّف الموظّف وقبول المسافر له، أم حلال؟

فعندما وصلت الى النجف الاشرف حملتُ هذا السؤال الى المرجع الاعلى سماحة آية اللّه العظمى السيد أبي القاسم الخوئي ﷺ .

دخلت المجلس ، وكان السيد جالساً في الزاوية الامامية للباب ، وعلى جانبيْهِ بعض العلماء من حاشية البيت المرجعي . جلستُ بين يديه وانا يومذاك ابن الخامس عشر من عمري وكنت ألبس العمامة والجبّة والعباءة لتوّي ، ولم ينبت لي شعر اللحية والشارب بعدُ الاّ بعض الشعيرات التي نمت في اطراف اللّحية !

قبّلت يد السيد أولاً ثم طرحتُ سؤالي (المذكور أعلاه) .

---

١ - راجع نفس المصدر.

فأجابني السيد الخوئي قائلاً : « لا يجوز .. إنّه حرام » .

فقلت له : سيّدنا .. انّ الحلال والحرام يترتّبان علىٰ القوانين الاسلامية ، والمعلوم أنه لاعلاقة لهما بالقوانين الوضعية ، و قوانين المطار وضعية ؟ !

نظر إليّ السيد ﷺ نظرة تعجّب معها ابتسامة وتأمّل ، وفي الاثناء تدخّل أحد الحاشية يخاطبني قائلاً : «لقد عرفتَ رأي السيد ، قُمْ ولا تُطِلْ الكلام » !

فقلت له : معذرةً مولانا .. أنا أتحدّث مع السيد !

فضحك السيد الخوئي وأنهىٰ الموقف بقوله : عندي حرام ، وليكن عندك حلالاً !

وهكذا قبّلتُ يده الكريمة فودّعته وهو مستغرب مني وأنا مستغرب منه !

٢٠ أما سمعتَ هذا الحديث ؟!

من السخاء أن تعطي المال للمحتاجين ، ولكن اذا اقترن بهذه الصفة الاخلاص للّه تعالى ايضاً فأخذ المتحلّي بهما يعطي المال ويوزّع وهو يصرّ على أن لا يعرف عنه أحد وخاصة المحتاج الذي يستلم المال ، مثل هذا الإنسان السخيّ ماذا تطلق عليه من مفردات الأخلاق الحميدة ؟ نعم هكذا كان آية اللّه الحاج الشيخ حسن علي الطهراني في نبله وعطائه . وهو جدّ العالم الورع سماحة آية اللّه الحاج الشيخ حسن علي مرواريد (دام ظله) من طرف أمّه .

نقل لي سماحته عصر يوم الاربعاء (٢١ / ذي القعدة / ١٤١٦) في منزله بمشهد المقدسة أن أموالاً كانت تُجبىٰ الى المرحوم جدّه فيقوم بإيصالها الى المحتاجين عبر وسطاء محيطين به من غير التظاهر بذلك . حتى أن بعض اولئك المحتاجين لما كان يستلم المال يقول للوسيط ، ـ وهو لا يعلم انه من الشيخ ـ جزاك اللّه خيراً ولا جزىٰ الشيخ الطهراني !

ذكر لي أحد هؤلاء الوسطاء واسمه (صدر الحفّاظ) وكان من الرجال المحترمين في مشهد انه ذات مرة أعطاني سماحة الشيخ الطهراني مالاً لشخص ، وكالعادة أكّد أن لا أبوح له باسم المحسن . وأنا لما سلّمتُ الرجل ذلك المبلغ شكرني ثم أخذ يعاتب الشيخ ويقول : عنده مال كثير ولكنه لا يوصلني بشيء منه وهو يعرفني جيداً .

لقد كانت هذه الكلمات تزعجني بشدّة وهممتُ أن ادافع عن الشيخ واخبره بأن هذا

المال ليس مني بل هو ممّن تعاتبه، ولكني عملاً بتوصية الشيخ لم أتجاوز حدود الصمت.

ويضيف لي سماحته ايضاً ان المرحوم السيد حسين (فيروزه‌تراش) ذكر بأن الشيخ الطهراني (أعلى اللّه مقامه) أعطاني ذات مرّة (١٥٠) تومان وكان مبلغاً كبيراً في ذلك الزمان (قبل تسعين عاماً) وقال خذ هذا الى منزل في (محلّة عيدگاه)، اطرق الباب وحاول ان تدخل على رجل هناك (وهو من المحترمين)، فتُقدِّم اليه المبلغ.

وهكذا فعلت واذا به قد فوجىء قائلاً: عجيب جداً، البارحة انتهىٰ ما لدي من مال ومؤنة وكنت مشتّت البال، ولا أحد يعلم بحالي، لا شك عندي ان مجيئك بهذا المال وفي هذه الساعة من حاجتي الماسّة اليه لطف من اللّه عزّوجل، واني اسأل اللّه تعالى أن يغفر للشيخ الطهراني فهو أولىٰ منك بأن ينظر اليّ ويتفقد حالي!

لقد تألمتُ من عتابه للشيخ والحال أن الشيخ هو صاحب العطاء، فأردت إخباره بأن المبلغ من الشيخ ولكني تذكرتُ منعه لي عن الإفصاح باسمه.

وذات يوم سأله أحد تلامذته وهو الشيخ رضا الزنجاني ﷺ: لماذا لا تسمح بالإفصاح باسمك لمن ترسل اليهم المال؟

فقال: اولاً أريدهم أنْ لا يقطعوا ذكرهم وأملهم وطلبهم من اللّه تعالى فهو الرزّاق الحكيم. وثانياً: أريدهم أن لا يتوقعوا استمرارية هذه المساعدة، فلربما طرأت عليَ ظروف فتشُحّ الأموال عندي أو يصبح الرجل لا يستحق هذا المال، وحينئذ اذا تعوّدوا وانقطع عنهم سوف لا يكتفوا هذه المرّة بالعتاب فحسب وانما يشهرون العداء ضدّي. أما سمعتَ الحديث القائل «إتّق شرّ مَن أحسنتَ اليه»؟!

٢١ أنا أدعو، وأنتما قولا آمين


السيد حسين القمّي

نقل لي سماحة آية اللّه السيد محمد الحسيني الميلاني (دام ظله) نقلاً عن جدّه المرحوم آية اللّه العظمى السيد محمد هادي الميلاني ﷺ انه قال: بعد ارتحال المرجع الاعلى السيد أبي الحسن الاصفهاني ﷺ كنت وارداً الى حرم الامام الحسين ﷺ واذا بآية اللّه العظمى السيد حسين القمي ﷺ ـ وكان المرشّح الوحيد

للمرجعية العليا حينذاك ـ واقفاً عند الضريح جهة الرأس الشريف ، فأشار إليَ بيده أن آتي اليه ، وكان هناك ايضاً آية الله السيد ميرزا مهدي الشيرازي ، فلما جئناه قال لنا : أنا أدعو وأنتما قُولا آمّين .

فقلنا : لابأس (ونحن لا ندري ماذا يريد السيد أن يطلب في دعائه) .

فقال (وعيناه تدمعان) : اللهم إن كان بقبولي منصب الزعامة والمرجعية يتعسّر حسابي عندك يوم القيامة فلاتوفّقني لها ، وأسألك أن تأخذني اليك قريباً .

فوقعتُ والسيد ميرزا مهدي في موقفٍ حَرج مع السيد القمّي فقلنا : آمّين . (ونحن في خجل من ذلك) ، وبعده مات بستة أشهر وعرفنا السبب لعدم قبوله منصب المرجعية العليا رغم اصرار كبار المجتهدين عليه أمثال : السيد عبد الهادي الشيرازي والسيد الحكيم والسيد الشاهرودي والسيد الخوئي ...

٢٢ فرارٌ من الغيبة

خرج الفتىٰ الصغير من المجلس باكياً عندما سمع أحد الحاضرين يستغيب شخصاً .

فسأله الحاضرون عن هذا التصرف العجيب !

أجابهم هذا الفتىٰ الصغير في عمره والكبير في روحه : « انّ شخصاً كان يتكلم في غيبة شخص، وأنا لم أتحمّل الاستماع الىٰ غيبة ، فخرجت فراراً منها ومن عذاب الله تعالىٰ ».

هل تعلم من هو هذا الصغير في عمره ؟

هو الذي أصبح كبيراً من أكابر فقهاء أهل البيت عليهم السلام وحظي بلقاءاته العديدة مع الامام المهدي (عجّل الله فرجه) .. هو المرحوم آية الله الورع السيد محمد مهدي بحر العلوم رحمه الله المتوفىٰ سنة (١٢١٢) للهجرة [١].

٢٣ الذي لا مكان له

كان فيما مضىٰ رجل عالم دخل عليه أحد الطفيليين في مجلسه .. فرآه جالساً في مكان الصدارة .

---

١ ـ المصدر المذكور .

فدنا منه وسأله سؤالاً تعجيزياً ، يريد به إحراجه .

فقال له العالم : لا أعلم .

فقال السائل المتطفّل بزهو : إذن لماذا أنت جالس في صدر المجلس ؟ !

أجابه العالم : ويلك ، إن هذا المكان لمن تعلّم شيئاً ، والذي يعلم كلّ شيء لا مكان له! (ويقصد اللّه تعالىٰ العالم بكل شيء) .

فسكت الجاهل ، وقام خائباً لكيلا يعود الىٰ جهله مرة أخرىٰ ، فهل نتّعظ ؟ ! [1]

وصدق علي عليه السلام حيث قال : « من لم يعرف الخير من الشرّ فهو من البهائم »[2] .

٢٤ ولكنه مع ذلك يحتاط



الشيخ المجلسي

الخمر حرام شربه ، ولكنه هل نجس أيضاً ام لا ؟ فيه رأيان .

واليك قصة بهذه المناسبة .

قال بعض الناس للعلامة المجلسي المتوفىٰ سنة ١١١١ هـ رحمه الله :

انّ الفقيه الفلاني يقول بطهارة الخمر (رغم حرمة شربه) .

فرّد الشيخ المجلسي بقوة : « كلاّ ، انّ الخمر نجس ، وفلان مخطىء »

ولما خرج الشيخ من المجلس مودّعاً الحاضرين ، أسرع الىٰ ذلك الفقيه معتذراً لعلّه تجاسر عليه لما قال بأنّه مخطىء ، وعلّل تصرّفه وكلامه في ذلك المجلس بقوله : « إنّه كان يريد به ان لا يتجرأ الناس علىٰ شرب الخمر مادام طاهراً ، لأنهم في الغالب لا يميّزون بين الأمرين فيتصورونه حلالاً ما دام طاهراً وذلك علىٰ فرض القول بالطهارة » .

ولقد أكبر هذا الفقيه الموقف الحكيم للعلامة المجلسي، ورحّب به خير ترحيب .

وهكذا ودّعه الشيخ المجلسي وجاء الىٰ حرم الامام الحسين عليه السلام ، ليقوم هناك بالصلاة وطلب المغفرة اذا كان قد بدر منه ما يوجب سخط الباري عز وجل . [3]

كلّ هذه الدقة من الاعتذار والاستغفار ، لكلمة هادية هادفة صدرتْ منه وهي لاتبدو انها غيبة ، ولكنه مع ذلك يحتاط .

ويا ليت الذين لا يتورعون في الغيبة والبهتان والتشهير يحتاطون (قليلاً) !

---

١ ـ تجارب محمد جواد مغنية / ص ٥٧ .
٢ ـ غرر الحكم / ج٢ ـ ص ٦٨٠ .
٣ ـ قصص العلماء / ص٢٠٨ .

٢٥ خيرُ خَلَفٍ لخيرِ سَلَف


ميرزامهدي الإصفهاني


الشيخ مرواريد

منذ انتقال آية اللّه الميرزا مهدي الغروي الاصفهاني (المولود عام ١٣٠٣هـ والمتوفىٰ سنة ١٣٦٥ الهجرية) من النجف الأشرف الىٰ مدينة مشهد المقدسة عام (١٣٤٠هـ) عمل علىٰ تكوين نواة بين تلاميذه للاتجاه الذي آمن بـه فـي اكتساب المعرفة الاسلامية.

كان الميرزا قد خرج من تجربةٍ معرفية لم يطمئن بها، فعكف علىٰ النص الاسلامي من خلال القرآن الكريم والحديث من أجل إنارة العقل والفطرة الصافية، وعمد الىٰ تلخيص قضايا العقل من شوائب الاوهام، مستعيناً علىٰ ذلك بتزكية النفس وتقواها، مقتفياً الىٰ هدفه خطىٰ المعصومين (صلوات اللّه عليهم أجمعين) ذلك انه كان يرىٰ في القرآن والحديث النبع الصافي الذي تُستَلهم منه المعرفة الأصيلة، ويُلتَمس فيه الهدىٰ والنجاة.

وفي ربع قرن الذي سلخه الميرزا في مشهد المقدسة عقد حلقات درسه، وألّف ما ألّف من كتبه، جاداً في طريقته، شديداً في نقده (للنظريات الفلسفية المتباينة مع المعرفة الاسلامية) معنيّاً بإيصال ما يهمّه الىٰ تلاميذه. وكان ﷺ مع ذلك من أعلام الفقه وفحول الأصول، وألقىٰ دروساً فيهما مدة من الزمان، وحيث كان يرىٰ أن سدّ الفراغ في اصول الدين أهم وألزم، أضاف الىٰ جلسات درسه في الفقه والأصول دروساً في معرفة المبدأ والمعاد[1].

وبرز من تلاميذه علماء أعلام وقد حاول بعضهم أن ينظّم هذا الاتجاه المعرفي، واختار له اسم «مدرسة التفكيك» ويقصد منها «التفكيك بين النص الاسلامي الأصيل وبين المزج الفلسفي الذي يحاول التأويل في النص حفاظاً علىٰ النظرية الفلسفية».

وكان من أبرز تلامذة هذا العالِم الكبير هو سماحة آية اللّه الميرزا حسن علي مرواريد،

---

١ - عن مقدمة كتاب (تنبيهات حول المبدأ والمعاد) تأليف سماحة آية الله الميرزا حسن علي مرواريد طباعة مجمع البحوث الاسلامية / مشهد المقدسة - سنة (١٤١٦هـ).

من علماء مشهد الأجلّاء وقد التقيتُه (وعمره ستّ وثمانون سنة) عصر يوم الرابع والعشرين من شهر رمضان المبارك في الساعة الرابعة والنصف بمنزله المتواضع، فسألته كيف تعرّفتَ علىٰ أُستاذك ومن أين بدأت معه الرحلة المعرفية العميقة والطويلة هذه؟

فقال (دام ظله العالي) : ولدتُ في (الثامن / من شهر شوّال / كان سنة ١٣٢٩هـ)، ثم التحقت بالحوزة العلمية في مشهد المقدسة لدراسة العلوم الدينية وكان عمري يقرب الثامن عشر، ولما ورد آية اللّه الميرزا مهدي الاصفهاني ﷺ حوزة مشهد المقدسة وأخذ يلقي دروسه الاعتقادية حول المبدأ والمعاد حضرت درسه واستفدت من معارفه الاسلامية كثيراً، وفي نفس الوقت كنت أدرس مرحلة السطوح (المتوسطة) من دروس الحوزة عند المرحوم الشيخ زين العابدين التنكابني وهو كان بدوره يحضر بحث الخارج (الدروس العالية) في الفقه والأُصول عند آية اللّه الميرزا مهدي الأصفهاني، وكنت شديد الرغبة أيضاً في الحضور في هذه الدروس إلّا أن عقبتين كؤودتين كانتا تحولان دون بلوغ هذه الرغبة، الأُولىٰ هي أنني لم أزل في مرحلة السطوح والشيخ ميرزا مهدي الاصفهاني كان لا يسمح لمن لم يختم هذه المرحلة أن يحضر بحوثه الاستدلالية الدقيقة في الفقه والأُصول، والعقبة الثانية هي العرف الحوزوي الذي يقضي بعدم حضور الطالب والأُستاذ جنباً الىٰ جنب في درس واحد. ولكني لزيادة الشوق وثقتي بنفسي في القدرة علىٰ فهم دروس المرحلة العالية (بحث الخارج) قرّرت يوماً أن أختفي خلف باب الحجرة التي كان الشيخ يدرّس فيها طلبته، فأصغيتُ له جيداً وكان الموضوع يدور حول (ما إذا حصل القطع عبر القياس المحرّم هل يكون حجّة أم لا ؟ فإن قيل: انه حجة فهو تجويز لخوض القياس وهو لا يجوز، وإن قيل : لا ، فهو دليل عدم الحجية الذاتية للقطع خلافاً لرأي أكثر الأُصوليين) لقد كتبتُ هذا البحث بدقته وتفاصيله، ثم أعطيت الأوراق في اليوم التالي أُستاذي الشيخ زين العابدين ليعطيها الشيخ ميرزا مهدي الاصفهاني علّه يسمح لي بالحضور الىٰ درسه. وفي اليوم الآخر أخبرني الأُستاذ أن الشيخ الميرزا أشاد بما كتبتَه وسمح لك بالحضور الىٰ الدرس.

وهكذا صرت أجلس الىٰ جانب أُستاذي بحضور الأُستاذ الأكبر رغم صعوبة ذلك من ناحية العرف الحوزوي، ومنذ تلك الساعة قرّبني الشيخ ميرزا مهدي الاصفهاني منه فلازمتُه سنوات طويلة حتىٰ وفاته.

أذكَر يوم أصدرت الحكومة البهلوية قراراً بمنع لبس العمامة إلّا للمراجع وبعض كبار العلماء فقط استصعب عليّ خلعها وقد كنت متعوداً عليها ومستأنساً بها، فلما دخلتُ على الشيخ حاسر الرأس ولأول مرّة، لاحظ عليّ الحزن والانقباض، فقال لي: ما بك؟

قلتُ: الحكومة منعت الطلبة من لبس العمامة.

قال وبكل ثقة وطمأنينة: ليست العمامة كمال الطالب إنما الكمال في حقيقة الطالب وجوهره.

لقد أعادتني هذه النصيحة الىٰ وضعي الطبيعي فارتاحت نفسيّتي واستقرّت، والأجمل من هذه الكلمة الناصحة للشيخ انه بعد يومٍ زارني في بيتي ساعة قبل أذان الصبح وهو حاسر الرأس، لابساً الزيّ الشعبي، وكان يريد أن يواسيني ويخفّف عنّي وطأة الحالة النفسية التي رآني فيها، جلس دقائق وأضاف الىٰ نصيحته قائلاً: انظر هذا أنا أيضاً أخرج بلا عمامة فهل يتغير من واقعي شيء، المهم أن يشتغل الانسان بهدفه، سيراً تكاملياً الىٰ اللّه تعالىٰ، ولا يبالي بالأمور الجانبية فيصرف ذهنه اليها ويغفل عن اللّباب.

٢٦ حَدَثٌ لأجل حَدَث

كان المرحوم الشيخ مهدي (پائين شهري) القمي ، مشهوراً بين أكابر علماء قم بكراماته ومقامه المعنوي الرفيع ، وقد شاهدوا منه تكراراً انه يضع اصبعه أو خاتمه موضع لسعة العقرب أو الحية فيبرأ الملسوع فوراً ويذهب الالم ويشفىٰ المصاب .

لقد ورد في كتاب (آثار الحجة) : ان هذا العالم الربّاني أراد أن يركب حافلة عند عودته من اصفهان الىٰ قم ، فمنعه السائق الذي كان شديد الكره للعلماء ، ولكنه وافق علىٰ مضض بعد أن ألحّ عليه مدير السير .

في أثناء الطريق عطبت عجلة الحافلة ، فاستغل السائق هذه الفرصة و راح يكيل الشتائم للشيخ أمام الركّاب ، وكان يقول لهم : ألم أقل أن هؤلاء الشيوخ مصدر بلاء!

وبينما كان السائق منهمكاً في إصلاح العجلة وهو يسبّ الشيخ مهدي احتصر واحتاج الىٰ قضاء حاجة فتوجّه سريعاً الىٰ خلوة خلف تلّ هناك في الصحراء ولكنه فجأة أخذ يصرخ: النجدة ، ياناس الحقوني .. آي .. آخ ...

أسرع اليه بعض الركّاب فوجدوا حية قد لسعته في رجله .

ولما كان السائق يعرف في قرارة نفسه أن ذلك جزاء اساءته الىٰ الشيخ وانه سوف يموت علىٰ اثر سمّ الحية في تلك الصحراء ، أخذ يقول وهو يتألم : قولوا للشيخ أن يسامحني ويبرأ ذمتي ، فقد أخطأت في حقّه .

جاءوا وأخبروا الشيخ بالموضوع .. قال الشيخ : لقد عفوت عنه ، ولكن عليّ به .

فجاؤا به اليه وكان يتألم بشدة وعليه آثار الخجل من الشيخ ، فوضع الشيخ اصبعه موضع السمّ فأخرجه وسكن الالم واستكان السائق المصاب وهدأ ![1]

وكأنّ الشيخ مهدي القمي ﷺ قد وهبه الحياة ثانية حيث أنقذه من الموت والآلام والقلق، فصار ملازماً للشيخ ومن أودّائه المخلصين ، وتاب الىٰ اللّه تعالىٰ من الافكار الفاسدة ضد علماء الدين الصالحين . فلولا اللّسعة لما كانت الهداية ، وهذا حَدَثٌ من أجل حدث .

٢٧ حينما لا يخون العبدُ مولاه !

نقل لي آية اللّه الحاج الشيخ حسن علي مرواريد (دام ظله العالي) أن المرحوم الحاج صدر الحفّاظ ـ وكان من التجار المحترمين في مشهد وذي علاقة قوية مع جدّي من أمي آية اللّه الحاج الشيخ حسن علي الطهراني ﷺ ـ ذكر لي قائلاً : مرضتُ ذات مرّة حتى أحسستُ من شدّة الضعف بأني مقبل على الوفاة . فأرسلتُ أن يأتيني سماحة الشيخ ، فلما حضر عند رأسي رجوت منه أن يقبل ما أهبه اليه من ثرواتي كلها على أن يقوم بعد وفاتي بإيهابها الى أولادي بصفتهم فقراء محتاجين ! بهذه الفكرة كنتُ أريد أولاً أن أتخلّص من أيّ شبهة في ثرواتي كأن تكون ـ من باب الاحتمال ـ خليطاً مع حقوق الآخرين وانا لا أعلم ، وثانياً تعود الأموال بعد تصفيتها الى الورثة كيلا يبقوا من غير شيء .

فتبسّم الشيخ وقال فكرة ذكية تخرج أموالك من جيب وتدخلها الى جيبك الآخر !

وهنا أدخل الشيخ إصبعه في طرف من عمامته وأخرج قليلاً من تربة قبر الحسين عليه السلام ، فقال : أعطيك هذه التربة فتشفىٰ وتستغني عن وضع خطط وأفكارٍ لثروتك كهذه !!

والأعجب من هذا أني لمجرّد أن وضعتُ التربة في فمي شوفيتُ حالاً ، فجلستُ وقلت له بإستغراب : أهكذا سريعة الأثر هذه التربة وانت الىٰ هذه الدرجة شديد الاطمئنان بها ؟!

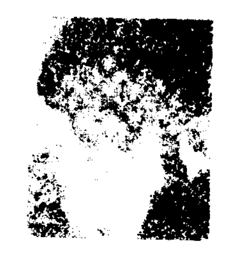
---

١ - كتاب بالفارسية (مردان علم در ميدان عمل) ص ٤٠٠ ـ.

فقال الشيخ : « هذا ليس بشيء بالنسبة الىٰ العبد الذي لا يخون مولاه » .

يقول سماحة الشيخ مرواريد أذكر أني نقلت هذه القصة لأحد كبار علماء مشهد المقدسة قديماً فقال لي : إن هذه الكلمة الأخيرة للمرحوم جدّك هي أهمّ نقطة في القصّة .

٢٨ الذي اختار الطريق الصحيح



السيد محمد حسن الشيرازي

اذا أردت المزيد من التعرّف علىٰ شخصية الميرزا محمد حسن الشيرازي هذا المجدّد الكبير لحياة الاسلام في عصره . اقرأ السطور التالية عن خلفيته يوم كان صغيراً ، وكيف نشأ ؟

بدأ يدرس العلم منذ الرابع من عمره . وخلال عامين وأربعة أشهر فرغ من تعلّم الكتابة وقراءة القرآن الكريم وأدب اللغة الفارسية ، وكان عمره يومئذ ستّ سنوات ، فشرع في مطالعة الكتب العربية ، وبلغ العشرين من عمره وهو حائز علىٰ درجة الاجتهاد في الشريعة الاسلامية .

كان آية في ذاكرته وحافظته ، متميّزاً بالفطنة والذكاء . يقال لما كان عمره ثمانية أعوام، أراد خاله أن يجعل منه خطيباً بارعاً ، فأعطاه كتاب (أبواب الجنان) وطلب منه أن يحفظ صفحة منه ويلقيها علىٰ منبر مسجد الوكيل في شيراز ، وبالرغم من كون تلك الصفحة مسجّعة وذات قافية يصعب حفظها ، فقد حفظها واعتلىٰ المنبر وقرأها بفصاحة نادرة وبلاغة مدهشة . وحيث لم تكن لهذه البراعة من سابقة ، لأنه طفل ذو ثماني سنوات، خاف عليه خاله من عيون الحاسدين ، فقلّل من إلقائه ليلياً الىٰ الإلقاء في ليلة أو ليلتين في الاسبوع .

كان الميرزا حسن الشيرازي يكثر من حفظ القرآن الكريم ، وكان حافظاً لأدعية شهر رمضان المبارك بلياليه ونهاره ، وحافظاً أيضاً لزيارات الائمة من أهل بيت رسول الله ﷺ وكان ﵀ كثير البكاء من خشية الله تعالىٰ ، رقيق القلب ، عطوفاً للغاية فكان حقاً من الرجال الذين اختاروا الطريق الصحيح منذ صغرهم .

جاء في الحديث عن الامام علي ؑ : « من لم يتعلم في الصغر، لم يتقدم في الكبر »[١].

---

١ - غرر الحكم / ج٢ ـ ص ٦٩٧.

٢٩ كبابٌ شَمَّ الفقراءُ رائحتَه !


السيد حسين البروجردي

قال سماحة الشيخ فاضل الموحّدي (دام ظله) : لقد رافقت المرجع الديني الكبير المرحوم آية اللّه العظمىٰ السيد البروجردي ﷺ المتوفىٰ سنة ١٣٨٠ هـ الىٰ المياه المعدنية الساخنة قرب مدينة (محلاّت) ، وهي تنفع لعلاج آلام العظام والمفاصل ، وكان السيد البروجردي مصاباً بألم في رجله .

بقينا عدّة أيام هناك ، فلما علم الناس بوجود مرجعهم ، أقبلوا اليه زرافات وكان أكثرهم فقراء ، فأمر السيد بشراء كمية من الاغنام وذبحها وتوزيع لحمها علىٰ أولٰئك الفقراء ، وعزلوا شيئاً من اللحم يعملون منه كباباً للسيد ، فعندما وضعوا الكباب علىٰ المائدة اكتفىٰ السيد بخبز ولبن وخيار ، ولم يمدّ يده الىٰ الكباب .

قالوا له : مولانا لقد أخذ الفقراء حصصهم ، فهذا الكباب من حصّتكم ، لماذا لاتأكلونه؟

اجاب السيد البروجردي : من المستحيل أن آكل من كباب شمّ الفقراء رائحته .

فعافت أنفسنا من أكل ذلك الكباب احتراماً للسيد ، وبالتالي صار الكباب كلّه من نصيب فقراء تلك المنطقة أيضاً[١] .

٣٠ المال لا يغرّني يافلان

نقل سماحة الشيخ فاضل الموحدّي عن والده قوله : كنا قد تشرّفنا بزيارة المرحوم آية اللّه العظمىٰ البروجردي في منزله ، وكانت بين يديه رزمة نقود .. فقال لي السيد :

« يا فلان ، انني لا اجد في نفسي فضيلة ، ولكن أعرف نفسي جيداً بأن المال عاجز عن أن يغيّرني أو يغريني ، فحتىٰ اليوم لم أغتر بهذه الاموال بتاتاً »[٢]

---

١ ـ كتاب بالفارسية (مردان علم در ميدان عمل) / ص ٢١٢ .

٢ ـ نفس المصدر والصفحة .

٣١ لماذا تضيِّعون أوقاتكم ؟

ذكر الشيخ الموحِّدي أن المرجع الراحل السيد البروجردي ﷺ بسبب كثرة اشتغاله في تصدّيه للمرجعية وادارة شؤون الامة كان أحياناً يتأخر دقائق عن موعد الدرس حيث الطلبة العلماء كانوا ينتظرونه لالقاء دروسه في الفقه الاسلامي الاستدلالي ، المعروف في الحوزات العلمية بـ(بحث الخارج) .

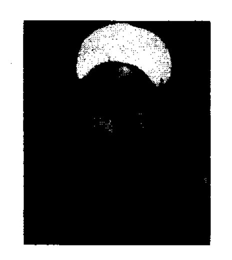
فمرّة من المرّات زاد تأخره بدقائق اكثر مما كان يتأخر عادة .

فلما وصل السيد ، اعترض عليه أحد الطلبة من العلماء بلطف وقال : ان أوقات الطلبة تضيع هكذا !

فقال له السيد البروجردي : « لماذا تضيِّعون أوقاتكم ، انا حفظت اثني عشر جزءاً من القرآن الكريم في أوقات الانتظار . أنتم كذلك لا تجلسوا عاطلين، بل استفيدوا من دقائق الانتظار لحفظ الآيات القرآنية»[١].

ومن روائع أقوال الإمام علي ﷺ بهذه المناسبة : «إن اوقاتك أجزاء عمرك فلا تنفد لك وقتاً الا فيما ينجيك »[٢].

٣٢ كتابةٌ عند جنازةِ عزيز !


الشيخ محمدحسن النجفي

عهد المجتهد الكبير آية الله العظمىٰ الشيخ محمد حسن النجفي ﷺ علىٰ نفسه ان يكتب كلّ ليلة قسطاً من كتابه الفقهي الاستدلالي الكبير المعروف بـ(جواهر الكلام) الذي يعتبر عند الفقهاء من أهم مصادر البحث العلمي في الفقه الاسلامي .

ففي تلك الليلة التي مات فيها ابنه العزيز ، حضر جنازته وبيده قلمه واوراقه ، يكتب أسطراً من الكتاب ودموعه منهمرة علىٰ لحيته البيضاء ، والحزن يعصر قلبه علىٰ ذلك المصاب الجلل .

يقول الشيخ عباس القمي (صاحب كتاب مفاتيح الجنان) : « حدثني الشيخ الفقيه

---

١ ـ نفس المصدر .

٢ - غرر الحكم / ج١ ـ ص ٢٥٢.

الحاج ميرزا حسين بن الميرزا خليل الطهراني انه كان لصاحب الجواهر ولد رشيد ، اسمه الشيخ حميد ، وكان متكفلاً بكل أمور والده ، والشيخ صاحب الجواهر متفرغاً لتأليف كتابه الفقهي ولا يحمل همّ الامور المعاشية، فتوفي ولده هذا دفعةً. فحزن عليه الشيخ وقال: انقطعت بي الاسباب ، وضاق صدري وضاقت الدنيا في عيني ، صرت لا استقر ليلاً ولانهاراً ، دائم التفكر ، مضطرب القلب حزيناً كئيباً ، وبينما انا كذلك وقد خرجت من مجلس كنت فيه أول الليل ، وانا متوجه الىٰ البيت ؛ اذ نوديتُ من خلفي : لا تفكّر ، لك اللّه، فالتفتُ من حولي لم أرَ أحداً ، فحمدت اللّه تعالىٰ وتوجهتُ اليه ، ففُتِحتْ عليّ بعد تلك الليلة أبواب رحمته ، وانتظمْت أموري وترقّتْ أحوالي »[1]

٣٣ كُلُّ الناس أعْلَم منك حتّىٰ ... !

الاستخارة هي طلب الخير من اللّه تعالىٰ عند الحيرة ، ولها وسائل متعددة لكشف الأمر والنهي فيها، ولكن روايات
أهل البيت عليهم السلام تؤكد علىٰ أخذها بصلاة ركعتين أو بالقرآن الحكيم أو سُبحة الزهراء عليها السلام ـ ولكلّ تفاصيله ـ، وفي عصرنا الحاضر فإن سماحة آية اللّه السيد عبدالكريم الكشميري (دام ظله) ـ المقيم حالياً في قم المقدسة ـ يعتبر من أشهر عجائب رجال الاستخارة ، فهو يخبر عن نيّة المستخير ويكشف عن المصلحة أو المفسدة فيها .

نقل لي سماحة آية اللّه السيد أحمد المددي (دام ظله) عن هذا السيد الجليل قوله : حينما كنت في النجف الاشرف كان يزدحم الناس في بيتنا طلباً للاستخارة . وكان ذات مرة في الحاضرين واحد من طلبة العلوم الدينية اسمه الشيخ الشيرازي ، فلما كنت متعباً لكثرة الاستخارات في ذلك اليوم قلت للشيخ أجّل استخارتك وقم لنمشي معاً الىٰ الحرم الشريف. ونحن نمشي داخلتْني حالة عُجْب ، وحينما وضعت قدمي في الصحن خطر ببالي أن لا أحد علىٰ وجه الارض غيري بعد الامام الحجة عليه السلام بهذا المستوىٰ من القدرة علىٰ استكشاف حقائق نوايا أصحابها بالإستخارة ، وبينما كنت بهذا الخيال جلسنا جانباً في الصحن وبعد قليل جلستْ في جانبٍ آخر امرأة فاجتمعتْ حولها النساء ، تطلب منها

---

١ ـ الفوائد الرضوية / ص ٤٥٤ .

كل واحدة منهنّ استخارةً وهي تمسك بسُبحة الزهراء عليها السلام وتقرأ الصلوات على محمد وآله ثلاث مرات فتخبرها عن نواياها بشكل عجيب وتقول لها أن تُقْدِم أو تُحْجِم !!!

هنا قلت في نفسي هكذا يريد الله أن ينبّهك أيها السيد كي لا يأخذك العُجْب .

فطلبتُها أن تأتي بالقرب منّا لأسألها كيف حصلت على هذه القدرة وهي لاتبدو أنها عالمة دارسة .

فلما سألتها أجابتْني قائلة : إن زوجي لمّا طلّقني ـ ربما لعدم الانجاب ، الترديد من ناقل القصة ـ صرت في ضائقةٍ ماليةٍ شديدة ، فجئتُ الى النجف وتوسلت بأمير المؤمنين عليه السلام فرأيت الامام في المنام يقول لي : حاجتكِ مقضيّة عند ابني أبي الفضل العباس عليه السلام ، فاذهبي الى كربلاء . فذهبت فوراً وهناك رأيت العباس عليه السلام في المنام قال لي : دَرّي معاشكِ من عمل الاستخارة للناس . فقلت له : أنا امّيّة لا أعرف شيئاً . فقال : خذي قبضةً من السُبحة واقرئي الصلوات ثلاث مرات وأنا أُلقي في قلبك ماذا تقولين . وهكذا كان .

هنا انبرى الشيخ الشيرازي الذي كان معي فطلب منها استخارةً ، فأخذتْ له وقالت : ياشيخ لحيتك بيد الظلاّم لاتذهب اليهم !.

فوقع الشيخ في تعجب وشغل باله ولم يقل شيئاً . فطلبتُ منها استخارةً لنفسي ، فأخذتْها وقالت لي : ياسيد أنت تريد أن تسافر ولكن الذين من حولك يمنعونك ؟

وأخيراً بعد أن ذهبتْ المرأة سألت الشيخ : لأي شيء كانت استخارتك حتى هكذا انقلب حالك ؟

قال : ان جواز سفري عند الشرطة كنت أُريد أن أُراجعهم لأسافر الى ايران ، فالخيرة تنهاني عن الذهاب والمراجعة فلربما هناك مشكلة تنتظرني على أيدي الظلمة .

وأما عن استخارتي أنا فقد كانت لأجل أن انتقل لأعيش في ايران ، فتبيّن حقاً أن قراري هذا لايوافقني عليه مَن حولي . وهكذا راجعت نفسي فبدأت استغفر اللّه على العُجْب الذي داخلني وكاد أن يسقطني من توفيقاتي التي وفّقني اللّه لها . فقلت لنفسي ياسيد كل الناس أعلم منك حتى النساء المخدَّرات !.

٣٤ الإصغاء الىٰ الرأي المعترِض

نقل آية اللّه العلامة السيد رضي الشيرازي (دام ظله) أن جدّه من أمّه آية اللّه الشيخ محمد كاظم الشيرازي ﵀ كان يدرس العلوم الاسلامية عند المجدّد الشيرازي الكبير ﵀، وقد تحلّىٰ باخلاق استاذه الفاضلة ومنها الاصغاء الىٰ الرأي المعترض حيث كان المجدّد الشيرازي في القائه للدروس يصغي جيداً الىٰ الطالب المعترض ، فيستمع الىٰ الإشكال ويصغي الىٰ السؤال، فاذا اقتنع بالإشكال وافق عليه وتنازل عن رأيه ، والاّ فهو يناقش بهدوء ، وبأسلوب يعين فيه الطالب المعترض علىٰ أن يبيّن رأيه واشكاله ، من دون مقاطعته أو تعجيله أو إرباكه وما أشبه ذلك من الأساليب القامعة . بل كان المجدّد الشيرازي ﵀ اذا وجد المعترض لا يجيد بلورة اعتراضه وتوضيح الاشكال ، يبلور اشكاله قائلاً : هل تقصد كذا ... أم هل تريد هذا ...

وهذه من علامات الإخلاص للّه وللعلم وللحقيقة ونبذ الانانية ، فالرجل القويّ هو الذي يسمح للمعترض أن يتكلّم ثم يبدأ يناقشه بحثاً عن الواقع .

هذا، ويضيف العلامة السيد رضي الشيرازي ، أن جدّه كان قد لازم استاذه المجدّد الشيرازي الكبير أربعين عاماً ، ورافقه الىٰ مدينة سامراء وعاضده في كلّ انشطته المرجعية العليا لقيادة المسلمين في العالم .

وكان السيد ﵀ شديد الاعتقاد بعظمة المجدّد الشيرازي ، حتىٰ كان يقبّل باب منزله كلّما مرّ به .(1)



٣٥ رقيقُ القلب سريع العَبرة

قال فضيلة الشيخ محسن قراءتي في حديث عبر تلفزيون الجمهورية الاسلامية ليلة (١٧ / رمضان / ١٤١٤ هـ) نقلاً عن سماحة السيد أحمد الخميني : بأنَّ الامام الراحل ﵀ كان يجلس قبل أذان الصبح بساعتين لصلاة الليل والدعاء ، ومما

---

١ ـ مجلة (حوزه) العدد ـ ٥١ ـ سنة ١٤١٣ ـ مقابلة مع السيد رضي الشيرازي .

كان عليه الامام في تهجّده آناء الليل بكاؤه الكثير حتىٰ كانت مناشفه تبتلّ فيستبدلها بمناشف أخرىٰ .

وأما بكاؤه في مصائب أهل البيت عليهم السلام فقد كان الخطيب الحسيني البارع السيد الكوثري يأتيه حجرته فيقرأ أشعاراً في المصائب فيجهش الامام بالبكاء عالياً .

هكذا كان عليه السلام رقيق القلب سريع العَبرة في عباداته الخاصة وولائه الشديد للمظلومين من آل محمد (صلوات الله عليه وعليهم أجمعين) .

٣٦ مارأيك في هذا الزواج ؟

يُعدّ الملاّ محمد صالح المازندراني المتوفىٰ سنة ١٠٨٦ هـ من أفاضل علماء الدين ، وكان أبوه عاجزاً عن معالجة الفقر الذي سلبه كل حيلة في تدبير معيشة عائلته ، لذلك صارح ابنه الشاب بأن يهاجر بحثاً عن الرزق الحلال . فودّع الابن أباه مهاجراً إلىٰ مدينة (اصفهان) والتحق هناك بمدرسة دينية . وكان راتب كلّ طالب في هذه المدرسة ما يعادل (فلسيْن) ، وهو لايسدّ عُشْر حاجة الانسان في ذلك الزمان .

لم يكن لديه مال يشتري به شمعة لإنارة حجرته في المدرسة ، فكان يضطر ان يستظيء بالنور الضعيف الذي تشعه شمعة حمامات المدرسة ، فيجلس في زاوية من الحمام ويقرأ .

بهذه الصعوبة البالغة والفقر المدقع استمر هذا الشاب المازندراني في دراسته الاسلامية حتىٰ نال درجة عالية في العلم والاخلاق وصفاء النفس . وارتقىٰ في دروسه ، فوصل الىٰ درس العلامة الكبير الشيخ محمد تقي المجلسي واستمر وهو يطوي صفحات نجاحه ويرتقي من درجة الىٰ درجة أعلىٰ ، حتىٰ صار من أبرز وأفضل تلامذة العلامة المجلسي، وكانت له مكانته عند استاذه الذي منحه الثقة الكاملة .

وكان ذات مرة يجلس مع أستاذه بعد انتهاء الدرس ، جلسة اعتيادية ، فطرح عليه الاستاذ فكرة الزواج قائلاً : إنْ كنتَ راغباً فأذن لي باختيار زوجة صالحة لك .

أَذِنَ التلميذ لأستاذه ، فلما دخل الأستاذ بيته طلب ابنته (آمنة) وكانت بالاضافة الىٰ تديّنها وتربيتها الاخلاقية عالمة في أحكام الشريعة ، قد علّمها أبوها منذ صغرها وأحسن تعليمها.

قال لها : ابنتي لقد اخترتُ لك زوجاً في غاية الفقر ولكنه في غاية الفضل والعلم والتقوىٰ . ولك حرية القبول أو الرفض .

قالت البنت العالمة الفاضلة : الفقر ليس عيباً للرجل يا أبي .

فدعىٰ العلامة المجلسي المؤمنين الىٰ مجلس عقد قران بين ابنته آمنة والعالم الفاضل الملاّ محمد صالح .

وحينما رفع الشيخ العرّيس برقع عروسه ونظر الىٰ وجهها ليلة الزفاف خرّ ساجداً للّه تعالىٰ ، يشكره علىٰ نعمه السابغة . ثم أخذ يقرأ دروسه ويطالع كتبه ، فانشغل بتأملاته في موضوع علمي دقيق لكنه عجز عن فهمه حتى ساعة الفجر ، اذ قام للصلاة ثم خرج الىٰ المسجد للدرس .

أما العروس التي كانت تراقب زوجها طيلة الليل ، فقد كتبتْ حلّاً لذلك الموضوع الذي عجز زوجها عن فهمه ، فوضعتْه طيَ الكتاب .

عاد الشيخ العريس من الدرس ، وفتح الكتاب ليعيد تمعّنه في الموضوع، فوجد الحل جاهزاً أمامه ولما علم انه منها فوجىء بمستواها العلمي الذي لم يكن يعرفه عنها من قبل .

حقاً كانت زوجته عالمة ، فسرّته شخصيتها وفرح بعلمها فرحاً عظيماً ، فخرّ ساجداً للّه تعالىٰ مرة أخرىٰ ولمدة ثلاث ليال متتالية هكذا ، مما يعني انه لم يقترب منها أبداً قبل أن يؤدي الشكر والحمد للّه علىٰ نعمة الزوجة ونعمة كونها عالمة فاضلة .

لما علم استاذه العلامة المجلسي والد البنت ، ان الشيخ لم يدخل بها ، ظن انه راغب عنها ، فجاء اليه قائلاً : ان كان فيها عيب سأقوم لك بالبحث عن زوجة أخرىٰ ؟!

قال الشيخ محمد صالح لعمّه العلامة : ليس الأمر كذلك ، انما انا مشغول بالشكر للّه علىٰ هذه النعمة العظيمة التي أنعم بها عليّ رب العالمين .[1]

فبعد الفقر الذي دفعه الىٰ الهجرة لطلب العلم والصبر عليه حظي بأحسن زوجة ، أليس هذا يدعوه الىٰ الشكر للّه الخالق الرازق الكريم المتعال ؟

---

١ ـ الفوائد الرضوية / ص ٥٤٤ .

٣٧ لا مانِعَ لَديّ ، ولكن ...



ملا هادي السبزواري

الأتقياء هم الذين عَظُم الخالق في أنفسهم فصغرتْ الدنيا في أعينهم ، وأحد هؤلاء هو العالم الرباني الغنيّ الملاّ هادي السبزواري - المتوفى سنة ١٢٨٩ هـ - ﷺ.

كانت له من أموال ومزارع ما يخرج منها زكاتها ويوزعها بين الفقراء بنفسه . وكان للفقراء موعد مع هذا العالم عصر كل خميس ، وكان يعقد مجالس حسينية في بيته ثلاثة أيام من آخر شهر صفر المظفر كلّ عام ويدعو اليها الفقراء أولاً ، ويدعو ليصعد المنبر كل خطيب حسيني لا يرغب الناس في قراءته بسبب صوته ، وذلك ليعطيه فرصة يمارس دوره بين الناس قربة الى اللّه وخدمة للخطيب (المسكين) !

وبعد الختام يحضر الخبز والمرق مع اللحم ، فيطعم الحاضرين ، ثم يقدّم لكلّ فقير مبلغاً من المال .

في مطلع شبابه لما كان يدرس العلوم الدينية في حوزة مشهد المقدسة ، باع جميع دكاكينه التي ورثها من أبيه فأنفق ثمنها في سبيل اللّه طلباً لرضاه .

وفي أواخر عمره باع بعض أملاكه وعالج بثمنها معيشة الفقراء والمحتاجين الذين أحاط بهم القحط والضائقة المالية .

ولو لم تكن الآية الشريفة : ﴿ وليخشَ الذين لو تَرَكوا ذرّيةً ضِعافاً خافوا عليهم ﴾ تمنعه من إنفاق جميع ما يملكه لكان قد فعل . وبالفعل لقد سأله بعض : هلاّ أنفقت هذه البقية الباقية وجلست مع العيال صفر اليدين كالدراويش !

أجابهم : لا مانع لدي ، ولكن أطفالي يرفضون أن يكونوا دراويش ![1]

٣٨ مِن كرامات الشهيد الأوّل

عاش المجتهد المجاهد الشيخ محمد بن جمال الدين مكي العاملي المعروف بالشهيد الاول في عصر سادتْ فيه توترات طائفية حادة بين الجهلة من المسلمين السنة والشيعة.

---

(١) نفس المصدر.

وقدّر للشهيد أن يكوّن لنفسه في الشام (محلّ إقامته) مكانة اجتماعية وفكرية كبيرة، وبشكل خاص في مدينة دمشق . فكان موضع احترام الشخصيات السياسية والدينية من السنة والشيعة . وهذا يدل علىٰ حكمة الشهيد وقدرته الثقافية وحسن سلوكه الذي استطاع به احتواء الخلافات الطائفية التي كانت تغذيها الصليبية الحاقدة علىٰ الاسلام والمسلمين لتثبيت قواعد احتلالها للبلاد الاسلامية .

لقد استفاد الشهيد الأول من علاقاته الطيبة مع الجميع ليوجههم نحو الاصلاحات السياسية وتوحيد صفوف السنة والشيعة .

بهذا التوجه التوحيدي للشهيد الاول أصبح بيته ملتقىٰ علماء السنة والشيعة وعزّزت ديوانيته المفتوحة مكانته الرفيعة بين الناس مما جعلت الحكومة تراقبه بشدّة . وفي هذه الفترة بعث اليه حاكم خراسان (علي بن مؤيد) ـ أحد ملوك (سربداران) الذي تولىٰ الحكم سنة (٧٦٦ هـ) ـ رسالة يطلب منه أن يُقدِم الىٰ خراسان ليتصدىٰ منصب المرجعية الشيعية الكبرىٰ ، فرفض الشهيد الاول هذا الطلب ، ولكنه كتب في جوابه كتاباً حول احكام الشريعة الاسلامية ليكون بمثابة دستور لتلك الدولة الاسلامية ، وسمّاه (اللمعة الدمشقية).

ومن غريب الاتفاق ان (ديوانية الشهيد) التي لم تكن تخلو من الوجهاء والعلماء والمراقبين والشخصيات السياسية قد أصبحت خالية مدة انشغال الشهيد بتأليف هذا الكتاب ، وهي مدة أسبوع فقط ، حيث اكمل فيه تأليفه للكتاب الذي احتل القمّة من بين الكتب الفقهية للشيعة ، لأنه جمع بين الوجازة والاختصار الىٰ جانب روعة التعبير الىٰ تنسيق الابواب والاحكام والمسائل بشكل منظم وعمق فكري مما قد خلّد الكتاب الىٰ هذا اليوم ، اذ يدرسه كلّ طالب في الحوزات العلمية والمدارس الدينية .

وقد اعتبر بعض العلماء ان خلوّ ديوانيته المزدحمة بشكل طبيعي ممّن كان الشهيد يحذر منهم مدة اسبوع ـ لتأليف هذا الكتاب العلمي الدقيق والكبير ، الذي هو بحدّ ذاته يفتقر الىٰ وقت طويل ـ من كرامات الشهيد الاول وتوفيق إلهي خارق للعادة . وكان اللّه قد أعانه في هذا التوفيق العظيم ليجمع بين انجازه لهذه الخدمة، وبين حرصه الأكيد علىٰ عدم اثارة ما يسبّب الخلافات الطائفية البغيضة[١].

---

١ ـ اللمعة الدمشقية (طبعة النجف الاشرف) ج ١ ـ ص (١٠٨) و (١٣٩) .

هذا ولقد استشهد الشيخ سنة (٧٨٦ هـ) بطريقة فجيعة ولها قصة طويلة ذات مداخلات طائفية . أبعد اللّه شرّ أمثالها عن المسلمين كافّة .

٣٩ الجمود المذموم في التصوّر الإسلامي

ذكر احد مراجع التقليد : كان في مدينتنا ، مسجد جامع ، اصبح بناؤه متهدماً نتيجة قدمه ، فقررتُ أن اجدّد بناءه ، واذا ببعض الناس ينهونني عن ذلك ، ويقفون حائلاً دون القيام بهذا العمل ، ظناً منهم ان تخريب المسجد لإعادة بنائه هو اهانة لهذا المكان الشريف ، ولذلك فقد اصرّوا علىٰ ابقاء المسجد علىٰ حاله التي تقتضي عدم الاستفادة منه للعبادة أو لطلب العلم. فالمهم عندهم أن يبقىٰ ظاهر المسجد ولايهمهم دور المسجد في اصلاح المجتمع وتقدمه .

ويضيف العلامة آية اللّه الحاج السيد محمد تقي المدرِّسي (حفظه اللّه تعالىٰ) ـ الذي ذكر هذه القصة في كتابه القيّم التمدن الاسلامي عند سياق كلامه حول (الجمود المذموم في التصور الاسلامي) ـ قائلاً : وهذه الحالة تتجلّىٰ اليوم ايضاً في الحوزات العلمية ، اذ ان برامجها واساليبها مازالت تنحىٰ الاسلوب القديم ، وعندما اقترحنا تبديل بعض البرامج والاساليب المتّبعة فيها مواكبة لتطور الزمان ، جوبهنا بالرفض ، بحجة ان هذه الحوزات هي التي خرّجت كبار العلماء والمجتهدين بتلك البرامج والاساليب ، ونحن لاننكر ذلك ، ولكن حقيقة الأمر هي أن اولئك العلماء الفطاحل تخرجوا من هذه الحوزات لأنّ الظروف السابقة كانت تؤهلهم لذلك ، في حين ان الظروف الراهنة اليوم تختلف كثيراً ، فالتمسك بتلك المناهج في هذه الظروف لا ينتج مثل اولئك العظماء [١].

٤٠ إلى رؤساء النقابات العمّالية !

كان المرحوم آية اللّه العظمىٰ الشيخ محمد حسن الكاظمي المرجع الاول للطائفة الشيعية في زمانه ، ترد اليه الاموال من الاقطار الشيعية كافة ، فيقسمها علىٰ الطلاب والمعوزين ، ولا يدّخر منها لأهله قليلاً أو كثيراً ، ولا يستأثر عن أصغر طالب برغيف ،

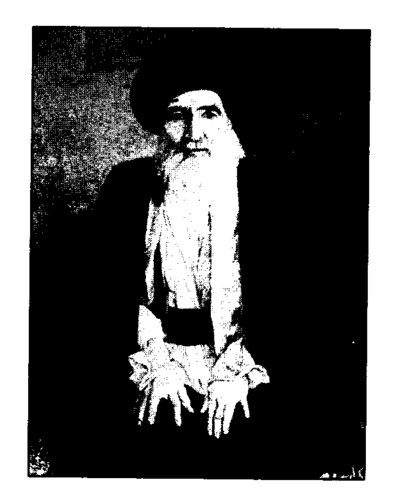
---

١ ـ التمدن الاسلامي / ص ٩٥ .

فصادف أن ذهب يوماً مع زمرة من تلاميذه الىٰ كربلاء لزيارة سيد الشهداء ، وما وصلها الاّ بعد أن لقي من سفره عنتاً ونصباً ، وقبل أن يأخذ نصيبه من الراحة قصد الضريح الشريف، فقام بآداب الزيارة ، وأدىٰ الفريضة وكان قد بلغ الجوع منه مبلغه فطلب الطعام فقُدّم اليه خبز وكباب حار شهي ، ولما تناول لقمة منه ، وأشعر من نفسه القبول والرغبة رفع يده عنه سائلاً عن ثمنه ، ولما أجيب ، ورأىٰ أنّ ثمن غدائه يعادل أجر عامل صغير يعمل طول النهار كله في حرارة الصيف وصبارة الشتاء لقاء أجر ينفقه علىٰ عائلته يوماً وليلة صاح قائلاً : خذوه عني فلست بآكل في وجبة واحدة طعاماً يُشترىٰ بأجر عامل يعمل جاهداً النهار كلّه .

هذا هو النائب الحق للامام علي بن أبي طالب عليه السلام والمرجع الاكبر المتخرج من مدينة العلم والدين ، من جامعة قال مؤسسها : « ولو شئت لاهتديت الطريق الىٰ مصفّىٰ هذا العسل ، ولباب هذا القمح ، ولكن هيهات أن يغلبني هواي ، ويقودني جشعي الىٰ تخيّر الاطعمة ، ولعل في اليمامة من لا عهد له بالشبع ولا طمع له بالقرص » والمتمثل بقول القائل: وحسْبُكَ داءً أنْ تَبيتَ ببطنةٍ وحولُكَ أكبادٌ تحِنّ الىٰ القِدّ [1]

٤١ أسلوبٌ حكيم


السيد ابو الحسن الإصفهاني

قال لي فضيلة السيد عبد الحميد الاصفهاني (حفظه اللّه) ابن السيد علي ابن آية اللّه العظمىٰ السيد أبي الحسن الاصفهاني ، المرجع المعروف الذي سادت رئاسته الدينية العالم الشيعي كله والمتوفىٰ سنة ١٣٦٥ هـ، انّه قبل عشرين عاماً ذهبت مع السيد محمد حسين مير سجادي للاعتكاف والصيام في مسجد الكوفة خلال (الأيام البيض من شهر رجب) ، فكنا نبحث عن غرفة داخل المسجد ، ولكن لم نحصل بسبب كثرة المعتكفين ، فأخذنا غرفة عند الباب ،

١ ـ صفحات لوقت الفراغ / ص ١٧١ .

حيث لم يرغب فيها المعتكفون لكثرة الحركة والضجيج قربها .

أذكُر أن الطقس كان بارداً ، وفي الليلة الثانية من الاعتكاف دخل علينا اثنان من العرب، وكان يبدو عليهما الوقار ، وعلمنا فيما بعد انهما من وجهاء منطقة (العباسيات) ـ وهي منطقة زراعية تقع بين الحلة والكوفة، تتبع محافظة الحلّة ادارياً ـ وقد كان خادم المسجد قد عرّفنا عليهما وعرّفني بأني حفيد المرجع الراحل السيد أبي الحسن الاصفهاني .

فبعد شيء من الاحاديث الودّية قال أحدهما : انني اودّ اخبارك عن قصة وقعت لنا في العباسيات تعتبر كرامة لجدكم المرجع السيد أبي الحسن الاصفهاني ، والقضية هي كالآتي :

كان رئيس شرطة العباسية رجلاً من غير الشيعة ولم يلتزم بالصلاة ولا بأيّ واجب من الواجبات الدينية ، ويشرب الخمر ويظلم الناس ولا يعرف لسلطته حدوداً ، فهو رئيس شرطة لكنه كان يتصرّف وكأنه رئيس دولة ، ومن لم يخضع له كما يشتهي فإنه كان يخضعه بالقوّة رغماً علىٰ انفه . لقد بلغ فساده وظلمه للناس والشيعة بالذات وهم الاكثرية في تلك المنطقة حدّاً بحيث لم يجدوا سبيلاً للخلاص ، فلقد سدّت الأبواب كلها بوجهنا نحن (الوجهاء) الذين كنا موضع أمل المظلومين هناك .

وذات مرة كنت قادماً الىٰ النجف الاشرف لزيارة مرقد الامام علي عليه السلام أمير المؤمنين ومولىٰ المتقين ، فطرأتْ عليّ فكرة اللقاء بالسيد المرجع جدكم آية اللّه العظمىٰ الاصفهاني لأشتكي عنده حالنا .

دخلتُ عليه وقبّلت يده الكريمة ، ثم شرحت له الوضع .

فسألني المرحوم : متىٰ ترجعون الىٰ العباسيات ؟

قلت : هذه الليلة .

قال : اذهب الىٰ هذا الرجل (رئيس الشرطة) وقل له ان السيد يسلم عليك ويطلب حضورك عنده .

قلت : انه اذا علم بأنني اشتكيتُ حالنا بحضرتكم فسوف يزداد لنا ظلماً وعناداً .

قال : قل له ذلك ، وسوف لا يعلم بأنك أخبرتني عن حاله معكم .

وهكذا لمّا رجعت الىٰ العباسيات ذهبت الىٰ الرجل وقلت له : انني كنت في زيارة لمرقد الامام عليّ عليه السلام ثم ذهبت لأسلم علىٰ السيد الاصفهاني مرجع الشيعة في العالم، فسلّم عليك وقال انه يريد ان يتعرف عليك .

قال : لا علاقة لي به ، ولا أعرفه ، ولست أنا بهذا الوادي ! مالي والدين والعلماء ومراجعكم !

ولكنه تأمل قليلاً ثم قال : طيّبٌ انا اليوم حالقٌ لحيتي ، اصبر حتىٰ تخرج ثانية فنذهب معاً، لأني لا أعرف طريق النجف ولا بيت مرجعكم فلابد لي من مرافقتك .

بعد أيام دخلت معه النجف الأشرف ، وزرنا أولاً مرقد الامام علي أمير المؤمنين عليه السلام وكان لأول مرة في حياته يرىٰ ذلك المشهد العظيم ، فلم يعرف كيف يدخل وماذا يقرأ !

علّمته آداب الزيارة ، فزرنا ثم خرجنا متجهين صوب منزل المرجع الكبير السيد أبي الحسن الاصفهاني . وفي الطريق قلت له : اننا نحن المسلمين الشيعة من آدابنا أن نقبّل يد مرجعنا اجلالاً واحتراماً له .

وهكذا دخلنا علىٰ السيد فقبّلت يده الشريفة ، وكذلك فعل رئيس الشرطة ، فرحّب به السيد بحرارة وكأنّه يعرفه منذ زمان .

جلست انا بعيداً منهما ليسترسلا في الكلام، الاّ انني كنت اسمع ما يدور بينهما، وكان رئيس الشرطة مرتبكاً في كلامه وتصرّفه ، واما انا فكنت شديد القلق ، لا أدري الىٰ اين سينتهي اللقاء وماذا يقدّر اللّه لي عندما نرجع الىٰ (العباسيات) ، كنت أخشىٰ ان يكلمه السيد الاصفهاني بشيء فتأخذه العزة بالإثم ، ولكن العجب ان السيد لم يلمح له بأنه يعلم عن ظلمه وفساده وطغيانه ، فكان يقول : « ان الناس في العباسيات مسلمون، وانا سمعت انك رئيس الشرطة هناك » .

قال الرجل : نعم ، انا رئيس الشرطة في العباسيات .

قال له السيد : كم تعطيك الحكومة شهرياً .

اجاب : تعطيني اربعة عشر ديناراً .

قال السيد: عجيب، انت رئيس شرطة ولك مصاريف كثيرة بحكم مكانتك بين الناس، اظن ان هذا الراتب لايفي بجميع حاجاتك .

قالَ رئيس الشرطة : نعم انه قليل ، ولكن لابد من القناعة .

فقال له السيد الاصفهاني : كما تعلم ان العباسيات تابعة للحلّة ادارياً ، وانا عندي في الحلّة وكيل يجمع لي أموالاً من الحقوق الشرعية للمسلمين فيرسلها اليّ ، سوف اكتب لك رسالة اليه ليعطيك من تلك الاموال أربعة عشر ديناراً كل شهر ، وهذا سرّ بيني وبينك ولاتطلع أحداً عليه .

فرح رئيس الشرطة وكاد أن يصغر بين يدي السيد الاصفهاني أكثر مما كان عليه في اول اللقاء . الا ان السيد اضاف اليه القول : تعلم ، ان هناك فرق بين المال الذي تستلمه من الحكومة وبين الذي سوف تستلمه مني ! الفرق هو ان المال الذي تأخذه مني مال حلال لايعطىٰ الاّ للمصلين . اما المال الذي تأخذه من الحكومة فهو خليط بالحرام ولعله حرام كله !

فقال رئيس الشرطة مرتبكاً : نعم سيدي ، انا اصلي !

وهكذا انفضّت الجلسة فقبّلنا يد السيد الاصفهاني وقمنا من عنده . فلما وصلنا لدىٰ الباب ناداه السيد ، رجعنا فهمس السيد في أذنه : لا تنس ان تواظب علىٰ صلاتك في أوقاتها، لأنها تنهىٰ عن الفحشاء والمنكر ، وتسعدك في الدنيا والآخرة .

خرجنا من عند السيد أبي الحسن الاصفهاني ، ورئيس الشرطة يقول لي : كنت أشك ان الشيعة علىٰ حق ، والآن زال الشك ، فتيقنتكم محقّين ، اعتبرني من اليوم واحداً منكم ، ائتني الىٰ البيت كل يوم لتعلمني الصلاة . فذهبت معه فوراً الىٰ السوق واشتريت تربة الامام الحسين عليه السلام مع سبحة الزهراء عليها السلام ، ولما رجعنا طلب مني ان اعلّم عائلته أيضاً الاحكام الشرعية والتعاليم الدينية فصارت زوجته وبناته وأولاده يلتزمون بالصلاة والحجاب، فَحَسَنَ سلوكُهم وارتاح الناس من اخلاقهم ، وفتح مجلسه لعامة الناس ، وأخذ يخدمهم ويحسن الىٰ المحتاجين ، فلم يعد الىٰ ظلمه وفساده قط . لقد حصل انقلاب في نفسه وفكره وعمله مما لم يتوقع له احد ، في الحقيقة ان فضل هدايته وراحة الناس من شره يعود الىٰ حكمة هذا المرجع العظيم السيد ابي الحسن الاصفهاني رحمه الله.

٤٢ رسالتان الى المعنيّين بهما

الرسالة الأولىٰ : هل تعلم ان الامام الخميني ﷺ كان في درجة من الزهد وبساطة العيش لم يملك لنفسه داراً رغم امتلاكه أعلىٰ سلطة في ايران بعد انتصار الثورة الاسلامية فيها بقيادته.

فقد عاد الامام منتصراً علىٰ حبّ الدنيا قبل انتصاره علىٰ الشاه المقبور حيث استأجر في قرية (جماران) شمال العاصمة طهران بيتاً من أحد مقلّديه ومحبّيه . قال للامام خذ البيت هبة وهدية ، فأبىٰ الاّ أن يكون مستأجراً ، وبذلك فرض علىٰ التأريخ أن يحمل رسالته الىٰ جميع الملوك والحكام ، كيف يملك الحاكم السلطة في بلد غنيّ كايران، ولكنه يزهد حتىٰ لايتملك لنفسه بيتاً .

الرسالة الثانية : ذات يوم أراد المصوّرون ان يسجّلوا فلماً عن حياته أو يجروا معه مقابلة. فاضطروا الىٰ ثقب ثلاث مواضع من السقف لتعليق الضوء الكشّاف لأجل إنارة الغرفة.

وفي الصباح لما دخل الامام الخميني الغرفة ورأىٰ تلك الثقوب تغير وجهه وقال غاضباً : ماهذا ، لماذا فعلتم هكذا في بيت الناس ؟

قال الحاضرون بصوت مؤدب : انّه لأجل الانارة.

قال الامام : لماذا تصرّفتم بلا إجازة صاحب البيت.

بهذا الموقف الصارم في رعاية حقوق صاحب البيت قد الغىٰ الامام مقابلته ، رغم انهم لو كانوا يستجيزون من صاحب البيت ، كان يرحّب بذلك من دون أدنىٰ تردد. الاّ ان الامام ﷺ كان يريد ان يترك رسالة للتاريخ ، فهل يقرأها المعنيّون [1] .

٤٣ كلمةٌ تربويّةٌ نافذة

أثناء سفره الىٰ حجّ بيت اللّه الحرام ، مرّ العالم العارف الملاّ محسن فيض الكاشاني بمدينة اصفهان ، فورد علىٰ العالم الكبير السيد حسين الخونساري ﷺ . وكان في المجلس

١ ـ درساية آفتاب / ص ٥١ ـ كتاب بالفارسية عن حياة الامام الخميني ﷺ.

ابنه السيد جمال الدين ، فطرح الملاّ محسن سؤالاً على الابن فلم يجب على السؤال جواباً كاملاً.

فضرب الملاّ محسن يداً على يد وقال : « وا أسفاه ، انّ باب منزل السيد حسين مغلق» ـ كناية عن انّ هذا الولد الذي لا يدرس ليتعلم ، ليس مكانه في منزل ابيه العالم ـ.

فتأثر الولد بهذا الموقف التربوي الصارم ، فقرر أن يدرس بجدّ واجتهاد، فاعتكف للعلم ليلاً ونهاراً .

وبعد عام واحد .. ، ورد الملاّ محسن على السيد حسين أيضاً في طريق عودته من الحج ، فأعاد الملاّ سؤاله للولد (السيد جمال) فوجده صاحب علم ومعرفة .

فقال : انّ السيد جمال هذا ، ليس ذاك السيد جمال الذي رأيته العام الماضي !

نعم ، الكلمة الصارمة المنطلقة من القلب المحبّ ، قد دفعته الى العلم والمثابرة .

يقال إن هذا الشاب في ليلة من الليالي وبينما كان منهمكاً في المطالعة وضعوا عنده العشاء ولم ينتبه ، وفجأة سمع صوت المؤذن لصلاة الصبح ، فرفع رأسه عن الكتاب فرأى العشاء بجانبه ، فقال : لماذا جئتم بالعشاء في هذا الوقت المتأخر ؟!

قالوا : انه كان من أول الليل بجانبك وأنت لم تنتبه له ايّها الولد العزيز [1].

هذا وكانت وفاة الملاّ محسن فيض الكاشاني ﷺ سنة ١٠٩١ للهجرة، بينما توفي زميله السيد حسين الخونساري سنة ١٠٩٨ هـ.

وأما وفاة السيد جمال الدين (الولد) فكانت سنة ١١٢٥ من الهجرة ليلة القدر .. وذلك احد أسرار سعادته .

٤٤ عِلْمٌ وطهارةٌ وموقف



الشيخ حبيب الله الرشتي

كان الميرزا حبيب الله الرشتي ـ المتوفى سنة ١٣١٢ هـ ـ من اجلاّء تلامذة الشيخ مرتضى الانصاري ، اشتهر لدى العرب والعجم بتبحّره في علمي الفقه والاصول .

نقل بعض تلامذته انه لما كان يتوجه الى التدريس في

---

١ ـ قصص العلماء / ص ٢٦٦ .

صحن الامام عليّ ﷺ كان يتوضأ أولاً ، ثم يمشي وهو يتلو سورة (يٰس) المباركة حتىٰ يصل عند باب صحن القبلة، حيث قبر استاذه الشيخ الانصاري . فيتوقف حتىٰ يختم السورة هناك ثواباً لروح استاذه الجليل، ثم يطلب من الله تعالىٰ مُقْسِماً بروح هذا الرجل العظيم أن يعينه في إفادة مئات الطلبة والفضلاء والعلماء وبيان الحقائق العلمية لهم بشكل واضح وأفضل .

وكان يقول عن استاذه : انه جمع بين العلم والسياسة والزهد . فالسياسة أورثها لتلميذه الحاج ميرزا حسن الشيرازي ، والعلم أورثه لي ، والزهد أخذه معه الىٰ القبر!

كان الميرزا حبيب الله الرشتي لا يفتي ولا يقبل الحقوق الشرعية (من الخمس والزكاة وغيرها) ، وكان دائم الطهارة والوضوء ، ولما حضره الموت وكان باتجاه القبلة امتنع أن يمدّ رجليْه جهة القبلة فمدّهما بعض الحاضرين ولكنه ثناهما ولم يتفوّه بكلمة ، وكلما أعادوا مدّ رجليْه أعاد ثنيهما ، فسألوه لماذا تفعل ذلك ؟

قال بضعف شديد : لأنّي في هذه الحالة لست علىٰ وضوء ، لذلك فلا أحب أن امدّ رجليّ الىٰ القبلة [1] .

٤٥ نجمٌ في الأخلاق


الشيخ الآخوند الخراساني

كان الآخوند الشيخ محمّد كاظم الخراساني ﷺ الىٰ جانب نبوغه الباهر ومواهبه العظيمة يتحلّىٰ بسجايا أخلاقية وصفات نبيلة متميزة ونحن نذكر نماذج هنا تقديراً لتلك الشخصية الفذة وتذكيراً لمن يريد أين يحذو حذوه .

كان الآخوند رجلاً متواضعاً يعيش حياة البساطة ، ورغم أنه كان يبدو عملاقاً عندما يرقىٰ كرسي الإفادة والتدريس ، لكنه يحضر بين الطلبة كأحدهم .

كان مؤدّباً حيّياً في سلوكه ، يحترم أهل الفضل وينزّلهم منازلهم ، ولا ينتقص أحداً .

كان ﷺ قليل الأكل، لا يأكل في اليوم والليلة أكثر من مرّتين ، لاتتجاوز وجبته سوىٰ لقيمات معدودة ، كما كان ﷺ قليل النوم وكان سخياً لا يبخل عن صرف الوجوه الشرعية في محلّها .

---

١ ـ كتاب بالفارسية (مردان علم در ميدان عمل) ص ١٢٠ .

كان مخالفاً لهواه يتجنب الترويج لنفسه ، وكان يحبّ الحقيقة ويتعشّقها ، وكان يقول: ان تديّن أبنائي انما يثبت لديّ إذا قلّدوا غيري ، لأنهم ماداموا يقلدونني لا يمكنني أن أميّز هل دفعهم الىٰ تقليدي تشخيصهم غير المتحيّز للواجب والوظيفة الدينية ، أم أنَّ أهوائهم هي التي دفعتْهم الىٰ ترويج أمر والدهم .

كان مطمئن النفس ، لا يتزعزع أمام أية هزّة أو حادثة عاصفة ، وقد أكسبه ايمانه قوة نفسية وشجاعة كبرىٰ لايخاف معها أيّ أمر رهيب .

ولم يكن يترك وظيفته الشرعية بحجة جلب منفعة وهميّة أو دفع ضرر خيالي ، بل يمضي في أداء واجبه الشرعي دون تردّد . كان رفيقاً مع من عارضوه في حركته لإقرار الحياة الدستورية الىٰ درجة عظيمة ، فيقضي حوائجهم ويحترمهم ، ولا يسمح بالتعرض لهم بسوء ، وكأنه ليس بينهم وبينه شيء .

كان هناك شخص يهاجمه في المحاضرات وعلىٰ المنابر فاحتاج ذات مرّة الىٰ مال لتردّي أحواله الاقتصادية فحضر عند الآخوند مع جماعة من مقلّديه ﷺ ومعهم مبلغ كبير من الحقوق الشرعية فطلبوا منه بأن يسمح لهم بإعطاء المبلغ المذكور لذلك الشخص ، فالتفت اليهم وقال : « اني لأعجب منكم كيف أتيتم اليّ ولديكم مثل هذا الشيخ الفاضل ، ألا تعلمون أن يده بمنزلة يدي ، وان ما تعطونه من سهم الامام ﷺ مهما كان مقداره موضع قبول من قبلي ... قوموا وقدّموا له هذا المبلغ، وأنا أعطيكم ايصالاً به » . ثم كتب الشيخ الآخوند ﷺ الايصال المتعارف ووشحه بتوقيعه وسلّمه اليهم .

وحاول أحد الحضور من أصحاب الآخوند أن ينبّهه علىٰ ماهية ذلك الشخص ظناً منه بأن الآخوند لا يعرفه ، فأتىٰ باسم شخصية علمية كان يعارض الآخوند في بعض تفاصيل حركته السياسية وسأل ذلك الرجل عن حاله ، وقد كان من أتباع تلك الشخصية، كل ذلك ليعرّف الآخوند أن هذا الشخص مخالف له في مواقفه ، فبادر الآخوند وقال : « لا حاجة الىٰ هذا السؤال فأنا التقيت بتلك الشخصية العلميّة اليوم في أثناء الطريق وتعرّفت علىٰ صحّته ، فهي ولله الحمد علىٰ مايرام » .

ثم لمّا قام الرجل المذكور مع مرافقيه ليخرج من منزل الآخوند نهض الآخوند ﷺ وودّعه الىٰ الباب احتراماً وتأدّباً .

وفي اليوم الآخر حضر الرجل المذكور الىٰ منزل الآخوند وقال : مولاي أنا ممّن

أعارضكم وبقيت أهاجمكم في محاضراتي وعلىٰ المنابر وأنتم مع ذلك تحسنون اليّ !! فقال الآخوند ﷺ « أنا لم أجد في الكتب الفقهية أن استحقاق شخص لأخذ الحقوق الشرعية مشروط بممالأة الآخوند الخراساني ومودّته » .

ويذكر المترجمون للآخوند ﷺ أن أحد معارضيه وخصومه الألدّاء احتاج ذات مرة الىٰ تأييد من الآخوند ، فاغتنم فرصة خروج الآخوند من درس الاصول وكان درساً متعباً مضنياً ، ولما خرج الآخوند من المجلس وصار في الطريق تقدّم اليه الشخص المذكور وقدّم له ورقة وطلب من الآخوند أن يوقّع عليها ويؤيده ، فوقف الشيخ الآخوند احتراماً له، وتصوّر الجميع أن الآخوند سيسلّم الورقة الىٰ أصحابه ليوقّع عليها في البيت ... ولكنه فاجأ الجميع إذ طلب من ابنه بأن يحضر القلم والدواة من فوره ، ووقّع علىٰ الورقة وهو في أثناء الطريق رغم أنه كان تعباً من المحاضرة ، ورغم أن صاحب الورقة كان من ألدّ خصومه ومعارضيه .

كان الآخوند ﷺ قد قطع شوطاً كبيراً في طريق السلوك المعنويّ والارتقاء الروحيّ، وكان مليئاً بالحبّ الالٰهي، عظيم الانشداد الىٰ محبوبه.

وكان يكتم ـ مع ذلك ـ عن الآخرين حالاته العرفانية ،وما حازه من مراتب معنويّة عليا، إلاّ أنّ وجههُ كان يعكس صفاء نفسه وعظمة روحه ،وسموّ معناه .

ولعلّ ممّا يدلّ علىٰ مكانته المعنوية أنه عندما توفيت ابنته الوحيدة عام ١٣٧٥ هـ وأرادوا دفنها بجانب جدار قبره الشريف انهار جدار القبر ، وانكشف جسد المرحوم الآخوند ﷺ ، فوُجِدَ الجسد سليماً طرياً لم يبل منه شيء وكأنه كان نائماً دون أن يتنفس، والحال قد مرّ علىٰ وفاته ﷺ ٤٦ سنة ، وقد شهد كثيرون هذا المشهد العجيب ، وزاروا جثمانه المبارك[1] .

٤٦ هكذا التربية الصالحة

السيد عبد الله بن محمد رضا بن محمد بن احمد بن عليّ ، المشهور بـ(شبر الحسيني الكاظمي) .

ولد في النجف الاشرف سنة ١١٨٨ هـ ونشأ بها نشأته الاولىٰ ، ثم انتقل به والده الىٰ

---

١ ـ نفس المصدر .

الكاظمية ، فتلمذ هناك أوّلاً عند والده الجليل السيد محمد رضا شبر ، ثم أخذ ينهل من دروس علامة عصره الفقيه المتبحر السيد محسن الاعرجي الكاظمي والعلامة الأجل الشيخ أسد اللّه الكاظمي وغيرهما .

أوْلىٰ والده عناية تامة في تنشئته نشأة صالحة تؤهّله لأن يحوز مرتبة كبيرة من مراتب العلم والفضل ، حتىٰ ذكروا انه حرّم عليه الإعاشة مما يبذله له من المال اذا لم يتفرغ للشؤون العلمية ، ويذكر أنه شوهد يوماً يبيع محبرته ، ولما سُئِل عن ذلك قال : اني شغلت هذا اليوم بعارض صحي لم يمكنني معه من مواصلة دروسي ، فلم أجد ما يسوّغ لي أن أتناول من بيت أبي شيئاً .

كانت لهذه التربية العالية أكبر الأثر في نفس هذا السيد الجليل ، ولذا لم يفتر طول حياته عن الجد لاكتساب الفضائل النفسية والملكات الصالحة ، كما لم يتوان في ساعة من ساعاته عن أخذ العلم أو بثّه بالتدريس أو التفرّغ للكتابة والتأليف .

كان ﷺ ـ كما يقول واصفوه ـ : من مشاهير العلماء الذين لهم الصيت الذائع في الفنون الاسلامية كلها ، فهو الىٰ جنب فقاهته ـ التي هي الأصل في ثقافته ـ معروف ايضاً بتبحّره في التفسير والحديث والكلام وغيرها ، وله في كلّ ذلك مؤلفات شائعة هي في الطليعة من مؤلفات مشاهير العلماء .

ويحدّثنا التاريخ أيضاً أنّه : ضمّ الىٰ ثروته العلمية حافظة نادرة ، واطلاعاً واسعاً ، وضبطاً شديداً ، فقد كان كثيراً ما يمتحنونه بقراءة متن الرواية ويقطعون السند ، وهو يسندها الىٰ قائلها من أهل بيت الرحمة عليهم السلام وقد تكرر ذلك منهم ومنه حتىٰ تجاوز حدّ الإحصاء .

كما يحدّثنا بصدد طريقته في التأليف أنه لم يكن ليطلب عند الكتابة العزلة عن الناس ؛ بل كثيراً ما كان يجلس في مجلسه العام ، بيمناه القلم وبيسراه القرطاس ، يؤلف تارة ، ويتحدث الىٰ زائريه أخرىٰ ، ثم تأتي خلال ذلك الدعاوىٰ ، فيحلها أحسن حل ، فلا كثرة الزائرين ، ولا ضجيج المشتكين بشاغلين له عن التأليف والتصنيف .

وينقل المحدث الجليل الشيخ عباس القمي ﷺ في كتابه الكنىٰ والالقاب انه : حكي أنه قال (يعني السيد شبر) : ان كثرة مؤلفاتي من توجه الامام الهمام موسىٰ بن جعفر عليه السلام ، فاني رأيته في المنام فأعطاني قلماً وقال « اكتب » ، فمن ذلك الوقت وفقت لذلك ، فكل ما برز مني فمن بركة هذا القلم .

وبعد هذا ، فلا يعجب الانسان من حياة هذا السيد ، وهو لم يتجاوز عمره (٥٤) عاماً ويصدر عنه اكثر من سبعين مؤلفاً ، بين موسوعة ورسالة ، ولا يستكثر هذه البركة في الوقت والوفرة في عالم التأليف والتصنيف ، بل العجب في أن تكون له هذه المكتبة الضخمة من المؤلفات ، وهو يتولىٰ معها الشؤون الاجتماعية والتدريسية ، بالاضافة الىٰ مواظبته علىٰ المستحبات العبادية والأدعية والأوراد[1].

٤٧ المرجعية العُليا والحسابات الأخرىٰ !

كان العالم الكبير آية الله العظمىٰ السيّد حسين القمي ﷺ من كبار علمائنا المجاهدين، وقد أُخرج من ايران الىٰ العراق بسبب معارضته للنظام البهلويّ الاوّل (رضا شاه) في قضيّة الحجاب ، نقل عن هذا العالم الجليل انّ أحد كبار التجار جاءه
في احدىٰ المرّات ، وكان من الذين يقدّمون له العون المالي في ادارة شؤون الحوزة العلميّة، قال له : ياسيّدي ـ أطال الله عمرك ـ هل ترجعون الناس من بعد وفاتكم في المسائل الاحتياطية الىٰ العالم الفلانيّ؟

وكان هذا العالم هو أحد تلاميذ السيّد القميّ ، وقد كان الوقت آنذاك عصراً ، فلم يُجب السيّد في الحال ، ولعلّه كان يقصد التدبّر في الموضوع ، ومدىٰ أهليّة الرجل لتسنّم مقاليد المرجعيّة .

وبعد أن تدبّر في هذا الموضوع عرف انّ هناك أناساً كانوا قد ذهبوا الىٰ ذلك التاجر وهم يخطّطونٰ للمرجعية القادمة ، وكان قد وقع اختيارهم علىٰ ذلك العالم ، فلم يجدوا شخصاً أفضل من هذا التاجر للتأثير في السيّد القمّي .

والعجيب في الأمر أنه في وقت متأخّر من الليل خرج السيّد القمّي الىٰ بيت ذلك التاجر ، حتىٰ وصل الىٰ بيته ، فسأل عنه ، فقالوا : انّه نائم ، فقال لهم : أيقظوه لانّني جئت اليه في عمل ضروريّ ، فخرج التاجر مستقبلاً السيّد وهو متعجّب من مجيء السيّد في ذلك الوقت المتأخّر من الليل ، فقال له السيّد : لقد جئتُ لأخبرك بجواب السؤال الذي سألتنيه عصر اليوم ، وهو انّ المرجعيّة لا تكون لذلك الشخص !

فانزعج التاجر ، وقطع العلاقة التي كانت تربطه بالسيّد ، وصار يُشهر العداء له ، وحينما

---

١ ـ من مقدمة كتاب (تسلية الفؤاد في بيان الموت والمعاد) ص ٨ ـ ١٠ .

قال بعض للسيد القمي فلو كنت أخّرت الجواب الىٰ الصّباح ، وأخبرته لما آل الأمر الىٰ هذا الحال ، فأجابهم : في الواقع لقد خفت أن أموت في الليل فلا يحصل الناس علىٰ رأيي الصحيح ، لأني عندما سألني التاجر عن ذلك العالم لم أجبه في حينه ، ولعلّ بعضاً كان يستشفّ من سكوتي الرضا ، وحينما تأمّلت أمر هذا العالم لم أجده أفضل من غيره علماً واجتهاداً ، ثم ولأن هذا التاجر تربطني به علاقة وثيقة وأنا بحاجة اليه ، فانّ من الممكن أن يوسوس لي الشيطان في أن أحفظ مصالحي معه وأقول له غير الحقّ ، ولذلك قرّرت الذهاب اليه في تلك الساعة لكي أحسم هذا الأمر[1].

٤٨ العالِم الذي أسلَم وَجهَه للّه

يُنقَل أن المرحوم آية اللّه السيد حسين حجت الكوه كمري ﷺ وهو أحد تلامذة صاحب كتاب (الجواهر) ومن المجتهدين المشهورين الذين كانت لهم حوزة دراسية ممتازة كان في كل يوم يأتي في ساعة معينة الىٰ أحد مساجد النجف الأشرف للتدريس . وكما نعلم فإن حوزة التدريس تضم بالإضافة الىٰ دروس الفقه والأصول مقام الرئاسة والمرجعية غالباً ، والمرجعية بالنسبة الىٰ اكثر طلاب العلوم الدينية تعتبر تحولاً من الصفر الىٰ اللانهاية ، لأنّ الطالب الذي لم يتمسّك بالمرجعية يعدُّ كمّاً مُهملاً لا يُلتفَت الىٰ رأيه ولا يُهتَم بعقيدته وربما يعيش حياة مادية خشنة وقاسية . ولكنه بمجرد أن يتحول الىٰ مرجع فإنّ رأيه يصبح مطاعاً لدىٰ مؤيّديه ، ومن الناحية الاقتصادية سيكون تام الإختيار في الحقوق الشرعية . فالطالب الذي نال حظوة المرجعية إذن يكون قد قطع مرحلة حساسة من تاريخ حياته .

والمرحوم السيد حسين كوه كمري كان في هذه المرحلة . وفي يوم من الأيام كان قادماً من مكان ـ مثلاً رؤية شخص ـ ولاحظ أنه لم يبق لوقت تدريسه سوىٰ نصف ساعة ففكر مع نفسه ورأىٰ أنه إذا ذهب بهذا الوقت القصير الىٰ منزله فقد يفوت عليه وقت الدرس فصمّم علىٰ الذهاب الىٰ مكان الدرس وانتظار طلابه ولما وصل الىٰ المكان المقرّر شاهد في أقصىٰ المسجد شيخاً متحمساً يجلس بين طلابه وهو يلقي عليهم درسه ، أنصت المرحوم السيد حسين الىٰ حديثه فشعر أن هذا الشيخ الذي لا يروق لأحد شكلُه محقّق

---

١ ـ التمدّن الاسلامي / ص ٤١٢ .

من الطراز الأول. وفي اليوم التالي قرّر السيد المجيء الىٰ المسجد عن عمد ليستمع الىٰ هذا الشيخ المحاضر، فجاء واستمع وناله العجب مما سمع. وأخذ في كلّ يوم يأتي في الوقت المعين ليستمع اكثر حتىٰ حصل له اليقين بأن هذا الشيخ أفضل منه في العلم والبيان والإبداع وانه بنفسه يستفيد منه شيئاً جديداً، وطلابه يستفيدون من هذا الشيخ أكثر ممّا يمكن أن يستفيدوا منه.

وهكذا وجد السيد نفسه في صراع بين الآخرة والدنيا، فالآخرة تقتضي التسليم للأفضل، والدنيا تقتضي العناد وحب الذات، ولكنه في اليوم التالي وعندما اكتمل عدد طلابه افتتح السيد حديثه قائلاً: أريد اليوم أن أحدثكم في موضوع جديد وهو أن هذا الشيخ الذي يحتل أقصىٰ المسجد مع هذه المجموعة من الطلاب أقدر مني علىٰ التدريس وأكفأ مني به، وأنا أيضاً ممن يستفيد منه ويحسن بنا جميعاً أن نجلس منه مجلس الطلاب الىٰ أستاذهم. وانتقلوا جميعاً الىٰ حلقة درس هذا الشيخ المهمل الذي تبدو عليه آثار الفقر.

ولم يكن هذا الشيخ سوىٰ من عُرِفَ فيما بعد باسم آية اللّه الشيخ مرتضىٰ الأنصاري من أهالي (شوشتر) ـ مدينة في ايران ـ والذي نال لقب أستاذ المتأخرين. وكان الشيخ قد عاد توّاً من سفر دام عدة سنوات الىٰ مشهد واصفهان وكاشان وحمل من سفره هذا ثروة علمية ضخمة هائلة وخاصة من دروس المرحوم الحاج ملاً أحمد النراقي في كاشان.

وكل انسان ـ مثل هذا السيد الكوه كمري ـ يمتلك إرادة التسليم لمقتضيات الآخرة فإنه يغدو مصداقاً لمن «أسلم وجهه للّه»[1].

٤٩ انتقالٌ الىٰ الخير كلّه

بداية القرن الثالث عشر الهجري ظهر في سماء المرجعية الدينية اسم المرجع الكبير آية اللّه العظمىٰ السيد محمد باقر الاصفهاني المعروف بـ (الوحيد البهبهاني) في حوزة كربلاء العلمية، وكان مجدِّداً فيها فاجتمع حوله علماء وتلاميذ كثيرون.

نقل أحد ابرز تلاميذه وهو (السيد محمد كاظم هزار جريبي) انني كنت جالساً مع استاذي وحيد البهبهاني في مسجد الصحن الشريف إذ دخل زائر غريب وجلس بين يدي

---

١ ـ العدل الالهي / ص ٣٦٤ مع تصرّف.

السيد وقبّل يده وفتح كيساً مليئاً بالذهب (جواهر نسائيّة) وقال : اصرف هذا فيما تراه خيراً وصلاحاً .

فسأله السيد : من اين لك هذا وما القصة ؟

قال الزائر : قصتي عجيبة ، ولو تسمح لي أذكرها .

قال له السيد : تفضّل .

قال : انا من مدينة (شيروان) ـ الايرانية ـ كنت أسافر الىٰ بلاد الروس للتجارة وقد ربحتُ أموالاً طائلة ، وذات يوم وقعتْ عيني علىٰ فتاة روسية جميلة فتعلق بها قلبي وطلبت يدها .

فقالت : انا مسيحية وأنت مسلم ، فإن تدخل في ديني أرضىٰ بك زوجاً لي .

تحيّرتُ في موقفي ، وتألّمتُ بشدّة حينما قرّرتُ أن أفديها بتجارتي وديني ، فتمّ زواجي معها علىٰ الطريقة المسيحية وقلبي مضطرب .

وبعد مدّة قصيرة ندمتُ علىٰ فعلي وأخذتُ في عتاب نفسي ، فلا استطيع العودة الىٰ وطني ولا أرغب في الالتزام والعمل بتعاليم المسيحية .

بينما أنا بهذه الحالة النفسية تذكرتُ مصائب الامام الحسين عليه‌السلام فبكيتُ ، رغم انني لا أعرف من الاسلام غير أن الحسين أوذي في الدفاع عن الاسلام وقُتِل مظلوماً .

فتعجّبتْ زوجتي (المسيحية) من بكائي ، فسألتني لماذا تبكي ؟

توكّلت علىٰ اللّه وقلت لها الحقيقة : انني باق علىٰ الاسلام وبكائي من أجل مصائب الحسين الشهيد المظلوم .

فما أن طرقتْ سمعها كلمة (الحسين) واستمعت الىٰ قصته الأليمة حتىٰ تنوّر قلبها بالاسلام فأسلمتْ في الحال وشاركتني في البكاء علىٰ مصائب الامام عليه‌السلام .

ذات يوم قلت لها : تعالي نذهب من دون علم أحد الىٰ كربلاء ونزور مرقد الامام الحسين عليه‌السلام ، وتعلنين إسلامك في الحرم الحسيني الشريف .

وافقتْني وأخذنا نستعدّ للسفر ونهيّء أنفسنا للرحيل واذا بها مرضتْ فماتتْ بذلك المرض ، ودفنها أهلها بزينتها وذهبها في مقبرة المسيحيين الروس .

وكان يعتصرني الألم علىٰ فراقها ، فعزمتُ في منتصف ليلة علىٰ حفر قبرها ونقلها الىٰ مقبرة المسلمين . فجئتُ بخفاء ونبشت القبر حتىٰ وصلتُ الىٰ جسد واذا به رجل حالق اللحية طويل الشارب !

تعجّبتُ بل اندهشتُ ممّا رأيتُ ولما نمتُ في تلك الليلة جاءني في المنام شخص وقال: أبشرْ فإنّ الملائكة (النّقالة) قد نقلتْ جسد زوجتك الىٰ كربلاء في الصحن الشريف، جهة قدميْ الإمام ، قرب منارة الكاشي ، وجاءت بهذا الجسد من هناك الىٰ هنا لأنّ صاحبه كان آكل الربا ، بهذا ارتفعتْ عنك زحمة نقل الجنازة الىٰ مقبرة المسلمين .

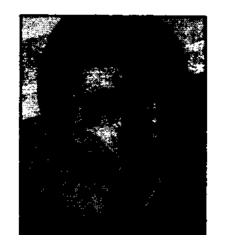
سررتُ كثيراً ونهضتُ مسرعاً في المجيء الىٰ كربلاء، وبعد زيارتي لمرقد الامام الحسين دخلتُ علىٰ مسؤول الحرم الشريف وسألته في يوم كذا من دفنتم في هذا المكان ؟

قالوا : رجلاً معروفاً بأكل الربا !

فنقلتُ لهم القصة ، جاؤا وفتحوا القبر ودخلتُه أنا فرأيت زوجتي فيه ومعها ذهبها الذي دفنه أهلها معها ، فأخذتُه وجئتُ به اليكم لتصرفوه فيما يبعث الأجر والثواب لروحها .

فأخذ السيد البهبهاني ذلك الذهب وصرفه في تحسين معيشة الفقراء في كربلاء[1] .

٥٠ لا تُسْرِفوا



السيد محمد كاظم المدرسي

كتب سماحة العلامة السيد هادي المدرسي في مخطوطه « هكذا عاش أبي ، هكذا مات أبي » أن والده المرحوم آية اللّه السيد محمّد كاظم المدرّسي ﷺ كان ضد الإسراف، سواء علىٰ المستوىٰ الشخصي أو الاجتماعي، ولم يكن يكتفي بالاعتراض علىٰ مظاهر الإسراف في البيت ، بل كان عملياً يقوم بما يلزم لمنع وقوعه . فاذا كان أحدنا يريد مثلاً أن يرمي شيئاً يمكن أن يكون نافعاً في شكل من الأشكال، فانّه كان يحتفظ به عنده ، كما كان يعمد الىٰ اطفاء كل سراج لاحاجة اليه .

واتذكّر أنّه ﷺ كان لا يرمي بأيّ بقية من بقايا الطعام ، مادام قابلاً للأكل، وعندما كنّا صغاراً، كان كثيراً ما يأكل هو الطعام المبيّت، بينما كنّا نحن نأكل الطريّ الطازج منه ..

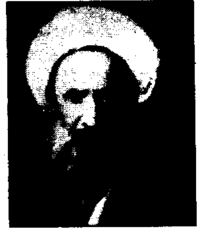
وكنت أراه وهو يتوضّأ لا يترك الماء يجري من الحنفية حينما هو يغسل وجهه أو يديه ، بل كان يقوم بصبّ الماء في كفّه ، ثمّ يغلق الحنفية ، ثمّ يقوم بغسل العضو الذي يريد غسله

---

١ ـ بالفارسية (عالم برزخ در چند قدمي ما) ص / ٢١٠ .

وبعد ذلك يعيد فتح الحنفية لغسل عضو آخر .. وكانت من كلماته التي يكررها كلّ يوم تقريباً: «لا تسرفوا».

٥١ صورةٌ مِن الإيثار



الشيخ جواد البلاغي

عُرِفَ المرحوم آية اللّه الشيخ جواد البلاغي النجفيّ بمؤلفاته التي ناقش فيها الماديين واليهود والنصارىٰ والطبيعيين (أي الذين لايؤمنون بوجود اللّه تعالىٰ، ويقولون بأن الخلق جاء بالصدفة والطبيعة).

وهو بهذه الكفاءة العلمية والنشاط كان يعيش غاية الفقر والحاجة . إذ كان بيته في النجف الاشرف كبيت الفقراء ، وفرشه لا يعدو عن كونه حصيراً من سعف النخيل .

والغريب انه حينما أراد أن يطبع مؤلفاته، لم يكن لديه من المال شيء، فباع بيته وطبع مؤلفاته بثمنه. انها من صور الإيثار في سبيل نشر الدين الاسلامي وردّ الضلال[1].

٥٢ اِجْلِسْ ، كي أقول لك كلمةً !



السيد الطباطبائي

يصف آية اللّه السيد محمد الحسيني الطهراني تواضع استاذه العلامة آية اللّه السيد محمد حسين الطباطبائي ﷺ قائلاً : كان علىٰ درجة من التواضع والأدب والأخلاق بحيث كنت أقول له : «انّ شدة تواضعك تدفعنا الىٰ قلّة الأدب في حضورك ، باللّه عليك فكّر بحالنا هذا، ولا تشدّد علىٰ نفسك» .

ويضيف التلميذ واصفاً أستاذه : منذ ما يقارب اربعين عاماً ، لم يُشاهَد أن اتّكأ علىٰ مسند في المجلس ، كان دائماً يحتفظ بفاصلة بين ظهره والجدار تأدّباً واحتراماً للجالسين، وما امكنني مرّة أجلس مكاناً أدنىٰ من مكانه ، رغم كثرة تردّدي علىٰ مجلسه للاستفادة من علمه .

عندما كنت أدخل عليه فأمتنع من الجلوس في مكان ارفع أو في مستواه كان يمتنع هو

---

١ ـ نفس المصدر / ص ٥٧ .

من الجلوس ايضاً، فنبقىٰ واقفين حتىٰ يقول مازحاً: «اذن ينبغي ان نجلس عند عتبة الباب أو خارج الحجرة»!

ذات مرة زرته في مشهد المقدسة، فوجدته جالساً علىٰ مسند مرتفع عن الأرض عملاً بنصيحة الطبيب؛ اذ كان يعاني من أزمة في القلب. بمجرد أن دخلت عليه قام من مكانه وطلب مني الجلوس علىٰ المسند. فامتنعت كالعادة، فصرنا واقفين هكذا، حيث يصرُّ أحدنا علىٰ الآخر بالجلوس علىٰ المسند. ولكنه غلبني عندما قال: «اجلس، كي أقول لك كلمةً»!

فتأدّباً ورغبة في معرفة ما يريد قوله لي وطاعة لإصراره جلست علىٰ المسند، وجلس هو علىٰ الأرض .. ثم قال إنّ الجملة التي كنتُ أريد أقولها لك .. هي: «أنّ الجلوس علىٰ المسند أَلْيَنْ»![1]

٥٣ دعم مكانة العلماء

كانت المدرسة العلمية للمرحوم آية اللّه الشيخ محمد حسن النجفي، المشهور بـ (صاحب الجواهر) ـ نسبة الىٰ كتابه الكبير (جواهر الكلام) في الفقه الأستدلالي ـ قد تخرّج منها كبار العلماء الأفاضل، وكان دأب الشيخ عدم السماح لهم بالبقاء في الحوزة، بل يحثهم علىٰ الانتشار إلى مناطق المسلمين، ليكونوا رُسل أهل البيت عليهم السلام بين الناس.

وحيث ان الشيخ صاحب الجواهر رحمه الله كان يعتمد اسلوب (اللامركزية) في العمل الديني، لذلك كان يُرجِع الناس الىٰ تلاميذه العلماء، ويذكرهم بالتعظيم والاحترام، لكي يدعم مكانتهم بين الناس في تلك المناطق.

وذات مرة جاء اليه أحد تجّار بغداد، فوضع بين يديه من الحقوق الشرعية مبلغ (ثلاثين) الف (بشلك) ـ وهو النقد الرائج في تلك الأيام ـ فلم يستلم منه الشيخ، وقال للتاجر: «ألم يكن في بغداد عالم كالشيخ آل ياسين، ليغنيك عن المجيء الىٰ النجف الأشرف»؟!

انّ مثل هذا التصرّف جعل المؤمنين في بغداد يلتفون حول عالمهم الشيخ محمد حسن آل ياسين الذي كان من اجلاّء تلامذة الشيخ محمد حسن النجفي صاحب الجواهر

---

١ ـ بالفارسية (مهر تابان) ص ٥١.

(عليهما الرحمة والرضوان) ، هذا مع العلم ان الشيخ النجفي يومئذ كان في غاية الحاجة الىٰ المال . فليس عجباً ان يتخرج من مدرسة هذا العالم الزاهد المتفاني علماء كـالشيخ جعفر الشوشتري ، والميرزا حبيب اللّه الرشتي ، والسيد حسن المدرِّس ، والشيخ حسن المامقاني، والميرزا حسين الخليلي ، والشيخ محمد حسين الكاظمي . وعشرات آخرون من الفقهاء والمجتهدين وأفاضل المدرِّسين[1] .

٥٤ الحَمدُ للّه علىٰ القناعة

سلكتْ المرجعية الشيعية طول التاريخ مسلك الاعتماد علىٰ الذات والاستقلال الاقتصادي والاستمرار بمعزل عن الحكومات ، وعلىٰ المستوىٰ الفردي يقول الاسلام : ان الغنىٰ عمّا بيد الناس من مال وثراء أمر في غاية الأهمية لمن يريد العيش بعزة وكرامة وحرية .

ولقد كان هكذا العالم الأبيّ الزاهد المتحرّر السيد محمد بن حسين الموسوي المعروف بالشريف الرضي ـ المتوفىٰ سنة ٤٠٦ هـ ـ جامع كلمات وخطب الامام علي عليه السلام في كتابه الرائع (نهج البلاغة) .

هذا السيد الشريف لم يكن يقبل من أحد هدية ولا مساعدة مالية ولا حتىٰ مكافأة إزاء جهد يبذله خدمةً للاسلام والعلم ، ولقد سعىٰ ملوك آل بويه بشتىٰ الأساليب لأجل ان يقبل عطية من عطاياهم ، فباء سعيهم بالفشل .

وانتهز احد الوزراء الملقب بـ(فخر الملك) والمكنّىٰ بـ(أبي غالب) فرصة رزق السيد لمولود ، فأرسل اليه هدية ومعها رسالة جاء فيها : « من عادة الأصدقاء في مثل هذه المناسبات تقديم الهدايا للمرأة القابلة ، أرجو أن تتقبلوها » !

فما كان من الشريف الرضي الاّ ان ردّها وأرفقها برسالة جاء منها :

« ليس من عادتنا ان تطلع امرأة اجنبية علىٰ أحوال العائلة ، ونساءنا هنّ يؤدّين وظيفة التوليد ، ولا يأخذن أجرةً و لا هدية » .

فأعاد الوزير تلك الهدية التي كانت عبارة عن (الف دينار) ـ وهو مبلغ كبير جداً في ذلك الزمان ـ وهذه المرّة قال انها هدية للمولود نفسه ولا علاقة لكم بها !

---

١ ـ بالفارسية (فقهاي نامدار شيعه) ص ٣١٥ .

فردّها الشريف الرضيّ قائلاً للمبعوث : « ان اطفالنا كذلك لا يقبلون شيئاً من أحد » !

ومرة أخرىٰ .. أعادها الوزير قائلاً : « وزّعْها بين تلامذتك الذين يحضرون دروسك » !

ففتحها السيد الرضي أمام الطلبة وقال : « ليأخذ منها كلّ مَن يحتاج منكم »

فقام بين أولئك الطلبة واحد فقط ، واخذ نصف دينار .

سأله السيد الرضي : لِمَ لا تأخذه كاملاً ؟

قال التلميذ : لقد نفد عندي البارحة زيت المصباح ، فجئت الىٰ خزانتكم في المدرسة لأخذ شيءٍ من الزيت فكانت مقفولة ، ولم يكن عندي المفتاح ، لذلك ذهبت الىٰ البقال واستدنت منه زيتاً للمصباح ، والآن بهذه القطعة من الدينار اريد تسديد الديْن ولا أُريد اكثر .

واخيراً كان مصير تلك الهدية ، انها عادت للمرة الثالثة الىٰ الوزير ، ولم يؤخذ منها سوىٰ نصف دينار ![1]

وهكذا كان السيد الشريف الرضي قد زرع في نفوس طلابه ما في نفسه الأبية من العزة والهمم العالية والنظر الىٰ الدنيا بروح القناعة والحرية .

ومن بعد هذه القضية ، صنع الشريف الرضيّ لكل واحد من طلبة العلوم الدينية مفتاحاً، ليأخذ من بيت المال حاجته في أي وقت شاء وأراد .

والغريب .. ان الطلبة لم يأخذوا الاّ مقدار حاجتهم الضرورية ، اذ كان السيد قد ربّاهم كيف ينبذون الحرص ويجسّدون بعملهم مقولة ابي ذر الغفاري ﷺ « الحمد للّه علىٰ القناعة» .

٥٥ المرّة الأولىٰ والأخيرة

كان الشريف الرضي ﷺ قد درس القرآن الكريم في شرخ شبابه عند العالم الخيّر أبي اسحاق ابراهيم بن احمد . وبعد سنوات جاءه استاذه يوماً ليهب له داراً !

فقال الشريف الرضي : « انني لا أقبل شيئاً من أحد ، حتىٰ من أبي » .

فقال له استاذه الكريم : « ان حقي عليك اكبر من حقّ أبيك عليك » وكان يقصد حق تعليمه القرآن الحكيم .

---

١ - مردان علم در ميدان عمل (بالفارسية) ص ١٢٩.

يقال : هذه كانت المرة الأولىٰ والأخيرة في حياة الشريف الرضي ، حيث يضطر الىٰ قبول هدية استاذه ، وذلك احتراماً للقرآن الذي تعلّمه منه[١].

٥٦ كيف انْكَسَرَتِ الجَوْزَة ؟!

السيد محمد تقي المدرّسي

كنت صباح (٢٥ / جمادى الاولىٰ / ١٤١٦) في بيت العلاّمة آية اللّه السيد محمد تقي المدرّسي (دام ظله) جالساً معه علىٰ مائدة الفطور ، فكان الجوز والجبن والحلوىٰ مع الخبز والشاي والحليب ، ويتوسطها كأس فيه ورود ملوّنة قال سماحته انه اقتطفها من حديقة منزله قبل ساعة . وهل هذه مائدة السيد الدائمة ؟

كلا انها أعدّتْ على شرف ضيف كريمٍ من أفاضل علماء المنطقة الشرقية في الجزيرة العربية . قلت له : حقاً انك صاحب ذوق . ابتسم السيد وأخذ يكسّر الجوز بكفّيه ، فأردت أن أساهم معه فأخذت جوزةً واحدة وكلما ضغطتُ عليها بكفيّ فلم تنكسر . فقلت للسيد متعجباً ! لاأظنك أقوىٰ منّي في كسر الجوز ، فما هو السرّ في انها تنكسر بكفّيْك ولاتنكسر بكفّي ؟!

قال ضاحكاً : لأنك تضع جوزة واحدة وأنا أضع جوزتيْن علىٰ بعضهما فَتُكسِر احداهما الأخرىٰ بضغطة بسيطة . ثم قال السيد معلّقاً : مع الأسف كذلك يفعل بنا الاستعمار ، اذ يكسِّر بعضنا ببعضنا الآخر ، وهناك متفرّجون ينظرون الىٰ التساقط والتداعي الناتج عن ذلك ولا يحرّكون عجلة الإصلاح .

ورغم الابتسامة المرتسمة علىٰ وجه سماحة السيد المدرّسي ـ كعادته ـ الاّ أن الكلمات التي قالها كانت تخرج من حرقة قلب وتألّم انسان بصير في الأحداث الراهنة ، وهو صاحب الأفكار الاصلاحية المعروفة والمبادرات التوحيدية العديدة ، منها اقتراحه اسبوعاً لشهداء الاسلام في العراق تُحيىٰ فيه ذكرىٰ جميع شهداء التعدّديات الفاعلة هناك . ومنها اقتراحه تشكيل قيادة اسلامية مؤلّفة من رموز الجهات الثلاث العاملة في القضية العراقية وهم آية اللّه السيد محمد باقر الحكيم وسماحة العلاّمة الشيخ محمد مهدي الآصفي وسماحة

---

١ ـ نفس المصدر / ص ١٣١ نقلاً عن الفوائد الرضويّة / ص ٤٩٤ .

السيد نفسه (حفظهم الله وسدّد خطاهم) الاّ أن الخلفيات النفسية قد عوّقتْ مثل هذه المشاريع الرسالية الرائدة ، وكان من آثارها المشؤومة فشل الانتفاضة الجماهيرية في العراق بعد دحر القوات الصدّامية من الكويت .

والغريب المؤسف أنّ تلك الخلفيات قد صنعتها أيادي البعث التي كانت متربّصة للتأثير في البيوتات المرجعية والعلماء ، فماتعانيه شعوبنا المستغيثة للخلاص اليوم هو جرّاء ماصنعتْه تلك الأيادي القذرة وعدم تخلّص المؤمنين من تبعاتها ، وإني لأعتقد جازماً ـ كما أثبته الواقع الراهن ـ أن العالِم الذي يعجز عن إقلاع نفسه من التأثّر بخلفياته هذه عاجز عن انقاذ الناس من المآسي وخاصةً كالمأساة التي أصابت شعب العراق المنكوب، لذلك وجب البحث عن البديل الأنضج أو الحلّ الأنجح . أقول هذا وأنا اذكّر بالحديث النبوي الشريف :

« قل الحق وان كان مرّاً .. ما انفق المؤمن نفقة هي أحب إلى الله من قول الحق في الرضا والغضب ... ولا تمنعنّ احدكم مهابة الناس أن يقول الحق إذا علمه » .

٥٧ عندما يتورّط الانسان بعالمٍ !

تورّط رجل مع أحد العلماء في رحلة عبر البرّ ، وكان هذا العالم ينشد ضالّة ، ويفتش عنها منذ أمد بعيد ، هذه أصل القضية !

والتفصيل كما يلي : صاحَبَ الرجل ذلك العالم ، وفي أثناء الطريق بادره العالم بالسؤال التالي : هل عندك سُلّم ؟ !

أجابه الرجل باستغراب : لا . وقال في نفسه : لعل هذا الرجل مجنون ما حاجته الىٰ سُلّم وهو في هذه الصحراء ؟ !

قطعا مسافة حتىٰ وصلا أرضاً مزروعة ، فسأله العالم : هل أكل اصحاب هذه المزرعة مازرعوه ، او لم يأكلوه ؟!

قال الرجل في نفسه : انّ هذا سؤال غريب وصاحبه ذو طور عجيب ، ألا يرىٰ ان هذا النبات لا يصلح لأكل الانسان ، وأنه عشب للحيوانات . فنظر الىٰ العالم شزراً ، وهو يقول في نفسه : حقاً لقد تورطتُ في هذه السفرة مع رجل أحمق !

وهكذا واصلا طريقهما حتىٰ اقتربا من القرية ، فشاهدا جنازة يحملها مشيّعون . فشيّعا

الجنازة معهم حتىٰ حضرا دفن المتوفىٰ ، وقرءا سورة الفاتحة علىٰ روحه ، وبينما كانا يرجعان من المقبرة القىٰ العالم هذه المرة سؤالاً علىٰ صاحبه أكثر عجباً :

هل الذي شيّعناه ميت أو حيّ ؟ !

وهنا لم يتحمل الرجل حماقة صاحبه (العالم) ، فالتفت اليه قائلاً ..

أنت مجنون ، ألم نشيّعه ونحضر دفنه ، ونقرأ الفاتحة علىٰ روحه ؟ ما هذا السؤال الطائش ؟!

سكت العالم ، وهو مطأطأ رأسه . حتى دخلا المدينة التي يسكنها الرجل. التفت اليه العالم.. وقال : انني غريب في هذه المدينة ولا أعرف أحداً ، فإن ترغب في الثواب خذني معك الى منزلك وسوف لا اقيم عندك كثيراً ...

لم يكن أمام الرجل المتورط الاّ ان يتحلىٰ بالصبر علىٰ هذا البلاء ! فأخذه الىٰ بيته، وأرشده الىٰ حجرة الضيافة ، ثم دخل علىٰ أهله .

سألته ابنته : ماذا جلبتَ لنا من هدايا السفر ؟

أجابها الأب : جلبت معي عالماً جاهلاً !

قالت البنت : كيف عرفته جاهلاً اذا كان عالماً ؟

قال الأب : عرفته من أسئلته التي سألني بها في الطريق !

البنت : وما تلك الاسئلة يا أبي ؟

عدّد لها تلك الاسئلة الغريبة الثلاثة ...

ولكن الرجل ازداد استغراباً وتملّكته الحيرة لما قالت له ابنته: يا أبة، انها اسئلة رجل حكيم ! إنك لم تدرك الإجابة ، فتخيّلتها أسئلة طائشة وأنه رجل جاهل !

وبينما كان الأب يصعب عليه استيعاب الموقف كان فـي الوقت نـفسه مشـتاقاً أشـد الشوق الىٰ معرفة الحقيقة وفكّ هذا اللّغز العجيب الذي كاد أن يسلبه عقله . وهكذا أخذ الأب يصغي الىٰ ابنته العالمة التي اخذت تشرح له فحوىٰ كلام العالم : «ان مقصوده من السُلّم هوالقصص الجميلة ، لأنها سُلّم الطريق وتسلية تُذهِب بـالتعب . والزرع هـل اكـله اصحابه أم لا ؟ يقصد هل اصحاب الزرع غرسوا الزرع باقتراض من أحد ؟ فيعني انه ليس لهم فيه نصيب، اذ عليهم تسديد القرض ، أم غرسوه بلا اقتراض فهذا يعني انهم سوف يأكلون الحصاد والفائدة بأنفسهم ولا يشاركهم فيها أحد غيرهم . وعن الميت هل هو ميت

أم حيّ ؟ يقصد هل له من بعده أولاد صالحون أو لا ؟ لأن الإنسان عندما يموت يبقىٰ حياً بأولاده الصالحين، وينتهي ذكره إن لم يكن له ولد صالح يدعو له .

هنا عاد الرجل الىٰ ضيفه الحكيم يعتذر منه ، اذ كان يجهل فحوىٰ أسئلته ، فأخذ يجيبه عليها .

ولكن العالم الحكيم قال : « هذه الإجابات ليست منك ، أظنّها من غيرك !

قال الرجل : نعم انها من ابنتي .

ففرح العالم ، لأنه عثر علىٰ ضالّته !! فلم يمهل الرجل حتىٰ صارحه قائلاً :

انني أبحث عن مثل هذه الفتاة منذ أمد بعيد .. أرجو أن توافق علىٰ زواجي منها .

وافق الرجل بالطبع ، ورضيتْ ابنته العالمة بهذا الزواج الكفؤ . ونحن نقول لأمثالهما : (بالرفاء والبنين)[1]!

٥٨ ماأسْرَع وصُول الثّواب

نقل لي سماحة السيد حسين المدرّسي (سدّد اللّه خطاه) عن احدىٰ نساء العائلة الكريمة انها رأت في المنام ـ خلال شهر جمادىٰ الاولىٰ سنة ١٤١٦ ـ والده المرحوم آية اللّه السيد محمد كاظم المدرّسي ، في حال يشعّ من عينيه نور عظيم ، وكانت في جهة منه امرأة جالسة مشغولة بترتيب ملابس جميلة رائعة وفي غاية الاناقة لامثيل لها في الدنيا ، فسألتْها : لمن هذه الملابس ؟

أجابت : انها الآن مرسلة الىٰ السيد من طرف أبنائه .

يقول السيد حسين ، لقد سألتنا المرأة (صاحبة هذه الرؤيا) : هل عملتم خيرات لوالدكم في هذه الايام ؟

قلنا : لانتذكر شيئاً معيناً الآن .

وبعد أيام قليلة التقيت بفضيلة الشيخ محمد باقر الإيرواني (حفظه اللّه) وهو من شعراء أهل البيت المهتمّين بجمع مساعدات للفقراء ، فرويت له الرؤيا التي رأتْها هذه القريبة من العائلة . فقبض الشيخ علىٰ يدي وقال : متىٰ كانت هذه الرؤيا ؟

قلت : قبل أقلّ من اسبوع .

---

١ ـ مردان علم در ميدان عمل (بالفارسية) ص ٤٣٥ .

فقال الشيخ : سبحان الله . اني اتفقت قبل اسبوع مع فضيلة السيد جواد بن السيد عباس (نجل المرحوم) أن يجمع مافي البيت من ملابس للفقراء والمحتاجين ثواباً الى روح المرحوم، وهي حتىٰ الآن لم نوزّعها عليهم ، بل قمنا باستلامها وترتيبها ، واني لمندهش من سرعة وصول ثواب هذا العمل الخيري الىٰ روح المرحوم المدرّسي ، وذلك علىٰ شكل ملابس جميلة جديدة أنيقة ، حقاً (ان الدنيا مزرعة الآخرة) .

هذا ويُفّسر نور عيني السيد (أعلىٰ الله مقامه) بأنه كان شديد البصيرة في دينه لكثرة تدبّره في معارف القرآن الكريم ومدارسته لروايات أهل بيت النبي الامين خاتم الانبياء والمرسلين (صلوات الله عليهم اجمعين) .

٥٩ إبراهيم وموسىٰ وكريم

اشترك ثلاثة من (أهل الخير) في التبرّع لبناء مسجد ، واسماؤهم كما يلي (ابراهيم) و(موسي) و (كريم) .

ولما تمّ البناء ، دعوا عالماً لإقامة صلاة الجماعة في المسجد . وذات مرة كانوا يصلّون خلف العالم، فأخذ يقرأ بعد الحمد سورة (سبّح اسم ربك الاعلىٰ) التي تنتهي بقوله تعالىٰ (صحف ابراهيم وموسىٰ) ، فلاحظ المتبرِّع الثالث أن العالم امام الجماعة لم يذكر اسمه ! فظنّ أن زميليْهِ (ابراهيم وموسىٰ) قد دفعا مبلغاً للشيخ كي يذكر اسمهما في الصلاة !

لذلك قَدَّم الىٰ امام الجماعة كيساً من المال وهو يقول: «مولانا .. لا تنسانا عند الدعاء» !

أخذ (كريم) ينتظر سماع اسمه في الصلاة ، ولكن دون جدوىٰ. ظن هذه المرّة أن المال الذي دفعه لم يكن كافياً ، فزاده مبلغاً آخر ، وقام الىٰ الصلاة وهو يترقّب نهاية السورة، هل يتفضّل عليه الشيخ بذكر اسمه كما يذكر زميليه (ابراهيم وموسىٰ) ؟! إلاّ انه خاب أمله أيضاً ، فامتلأ غيظاً وتهيّأ للانتقام من الشيخ بعد أن يخرج المصلّون من المسجد .

وهكذا فوجىء امام الجماعة بتصرف الحاج (كريم) الحامل بيده عموداً ! فاستفسر منه عن السبب ؟ صرخ الحاج كريم في وجه الشيخ وقال :

« أيها الأبله ، ألا تعلم اني تبرّعت بمبالغ ضخمة لبناء المسجد ، وقدّمتُ اليك مبالغ أيضاً ، فلماذا تذكر اسم الحاج (ابراهيم وموسىٰ) في الصلاة ولا تذكر اسمي أنا[1]!

---

١ ـ رنگارنگ (بالفارسية) ج ١ ـ ص ٨٨.

٦٠ الرجل كلُّ الرجل

قيل لبعض العرفاء من المتقين الواعين : ان رجلاً من المتصوّفة بلغ في ترويضه لنفسه الىٰ حدّ يمشي علىٰ الماء!

فقال العارف : وكذلك يفعله الضفدع .

فقيل له : وان واحداً منهم يطير في الهواء!

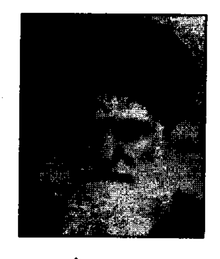
فقال العارف : كذلك يفعله الذباب .

قيل له : ومنهم من يسير من بلد الىٰ بلد في لحظة!

قال العارف : وكذلك الشيطان يسير من المشرق الىٰ المغرب .

فليس بهذه الاشياء قيمة الرجل ، بل الرجل كل الرجل هو من يخالط الناس ويعاملهم بالمعروف ويتزوج منهم ولا يغفل عن الله طرفة عين [1] .

٦١ عندما يَتْرُك العداء مكانَه للمحبة



السيد محسن أمين

قال أحد المؤمنين : رأيت المجتهد الكبير السيد محسن أمين العاملي ـ المتوفىٰ سنة (١٣٧١ هـ) ﷺ يمشي خلف جنازة أحد كبار علماء السنة في سوق الحميدية بالشام ، فدنوت منه مسلّماً ومقبّلاً يده الشريفة . ومشيت بجنبه حتىٰ وصلنا الىٰ المسجد الأموي، وكان المسجد مليئاً بالناس ، فصلىٰ السيد العاملي صلاة الميت علىٰ الجنازة ، وبعد اتمام الصلاة أقبل الناس يُقبّلون يده .

أخذت أتأمل المشهد وأقول في نفسي : هؤلاء الناس من السُنّة كيف صاروا يقبّلون يد عالم شيعي وبلهفة ومحبّة ؟

سئلت السيد نفسه بعد ذلك ، فقال لي : هذه ثمرة حسن معاشرتي معهم لمدة عشر سنوات . وانني لما قَدِمْتُ الىٰ الشام حرّض بعضُ الجهلة اشدَّ الأعداء عليّ ، فكان اطفالهم يرمونني بالحجارة ، واحياناً يجرّوا عمامتي من الخلف ، ولكني صبرت علىٰ الأذىٰ وعاملتهم بحسن وطيب . وشاركتُ في تشييع جنائزهم ، وعُدتُ مرضاهم ، وتفقّدتُ

---

١ ـ كتاب رنگارنگ بالفارسية / ص ١٤٣ .

أحوالهم ، وكنت ابتسم معهم دائماً واظهر لهم عطفي وحناني ، الىٰ أن استبدلوا العـداء معي بالمحبّة .

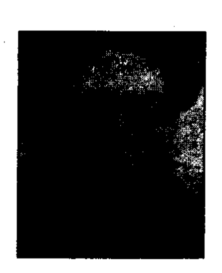
٦٢ إعملْ .. واللّهُ معك

ورد في كتاب مجالس المؤمنين : ان (البهرة) في أحمد آباد (گجرات الهند) قـبل ثلاثمائة عام اهتدوا الىٰ الاسلام علىٰ يد عالم اسمه ملاّ علي .

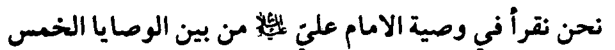
في البدء سعىٰ ملاّ علي الىٰ مصادقة كبيرهم ، ولكي يؤثر علىٰ غيره مـن ابـناء تـلك المنطقة صار يلازمه فترة طويلة حتىٰ تعلم اللغة الهندية وقرأ كتبهم وتعرف علىٰ ثغرات أفكارهم، فتدرج نحو هداية عـالمهم الكـبير الذي كـان بـالنسبة اليـهم بـمثابة المـرشد الروحي، فتنوّر الرجل واهتدىٰ الىٰ حقيقة دين اللّه القويم ، فاتّبعه أصحابه أيضاً .

ولم تمرّ فترة الاّ جاءه الوزير وأعلن اسلامه كذلك ، ثم بلغ خبر اسلام الوزير الىٰ سمع الملك ، فأراد الملك ان يتأكد من الخبر بنفسه ، ليتخذ منه الموقف المناسب . فدخل عليه بيته وقت الصلاة من دون سابق اعلام ، فوجده في حال الركوع ، الاّ ان الوزيـر سـرعان ماتظاهر للملك انه يبحث عن عصا ليدفع حية في زاوية الغرفة ، ومن حسن التوفيق بـل الكرامة الألهية انه كانت بالفعل حية هناك ورآها الملك في تلك الزاوية ، وهكذا ارتفع شك الملك ، ولكنه بعد مدة امتدت عملية الهداية الىٰ الملك، فاهتدىٰ هو الآخر علىٰ يد العالم الطموح ملاّ علي، وهكذا فمن بركته وحسن تخطيطه هدىٰ اللّه تعالىٰ به الملك والوزيـر والعالم وأهالي تلك المدينة، انه من قدواتنا الصالحة، فعليه رحمة رب العالمين وجـزاه أفضل جزاء العاملين .

٦٣ إنْ كُنتَ لا تَعْلَم ...


السيد محسن الحكيم

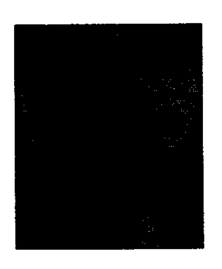
بعض الناس يعتبر نفسه انه صار عالماً فلا يجوز له أن ينزل بنفسه الىٰ مرتبة التلميذ . وبعض الناس قد تتضخم شخصيته حيث يتضخم موقعه فـيصير مـجتهداً مـن خـلال أن مـوقعه يفرض ان يكون مجتهداً !


نحن نقرأ في وصية الامام عليّ عليه السلام من بين الوصـايا الخمس

ما مضمونه ان الانسان اذا سئل عن شيء لا يعلمه ، يقول لا أعلم ، واذا لا يعلم الشيء ان يتعلمه . ان بعض الناس قد يجدون حطّاً من شأنهم أن يقولوا لا نعلم أو نحتاج الىٰ مراجعة. وأحب أن اذكر لكم هذه الحادثة . سُئِلَ مرة المرجع الاعلىٰ المرحوم السيد محسن الحكيم ﷺ عن مسألة فقال آتوني بالرسالة حتىٰ أراجعها ، وهي رسالته ، لأنه ليس من المفروض ان يحفظ كل فتاواه وأن يستحضرها .

هذا أفضل من أن نفتي للناس بغير علم علىٰ مستوىٰ الدنيا والآخرة [١].

٦٤ لو أفتىٰ هذا العالِم ..



الشيخ محمد علي كني

يُروىٰ أن أحد ملوك القاجار الذي كان يحكم ايران بالارهاب والقوة فترة من الزمن، كان ذاهباً الىٰ نزهة في اطراف طهران مع رئيس وزرائه ، فصعد علىٰ مرتفع حتىٰ صارت طهران كلها تحت مرمىٰ بصره ، وحينئذ قال له رئيس وزرائه ، وقد عظمت السلطة في عينه : لماذا يتدخل علماء الدين في السياسة ويحاربوننا علىٰ السلطة ؟ لنقضِ عليهم ، ونجتثّ جذورهم، فنرتاح .

وكان يحاول خلال هذا الكلام ان يثير الملك علىٰ علماء الدين ، الاّ ان الملك أخذ ينظر الىٰ آفاق مدينة طهران ، حتىٰ أشار بيده الىٰ موقع بيت العالم الجليل ميرزا محمد علي كني، أحد كبار علماء طهران آنذاك ، فقال : أتعرف صاحب ذلك البيت؟

قال رئيس الوزراء : نعم ، انه بيت الميرزا محمد علي كني .

فقال المَلك : لو أفتىٰ هذا العالم بغلق أبواب طهران ، لما استطعتُ انا ولا أنت أن نفتحها وندخلها [٢].

٦٥ الشيخ نجيب الدين علي الشيرازي

عزم ثريّ من كبار اثرياء الشام علىٰ السكن في مدينة شيراز الايرانية ، ولمّا استقرّ فيها تزوّج منها أيضاً . وذات ليلة رأىٰ في المنام الامام عليّ ﷺ ، أنه أتىٰ له بطعام ، فأكل مع الامام ثمّ بشّره ﷺ بأن الله سوف يرزقه ولداً نجيباً صالحاً .

---

١ ـ نشرة (المبلّغ الرسالي) الصادرة في قم ـ العدد ـ ٣٨ ـ العام الثالث .
٢ ـ التمدن الاسلامي / ص ٣٧٣ .

ولما ولد ، سمّاه (عليّاً) ولقّبه (نجيب الدين) ، فكان هذا الولد منذ البداية لا يحب الملابس الفاخرة والأطعمة المنوّعة واللذيذة وكان يقول : إن نـجاتي وراحـتي هـي فـي ابتعادي عن هذه الملذّات ، والاكتفاء بالملابس الزهيدة والاطعمة البسيطة (رغـم ثـراء عائلته).

وهكذا اصبح المولود الذي بشّر به الامام عليه السلام عالماً من الصالحين ، فارتفع اسم «الشيخ نجيب الدين علي الشيرازي » عالياً[1].

٦٦ جهادٌ واجتهاد

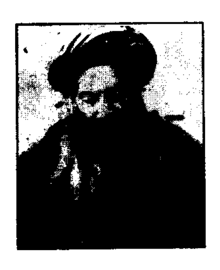
نقل الشيخ ذبيح اللّه المحلاتي في كتابه بالفارسية (أختران تـابناك) (أي البـدور الزاهرة)، ان المرحوم السيد جواد صاحب كتاب (مفتاح الكرامة) كان علىٰ حـدّ مـن الاهتمام بطلب العلم والسعي الشديد في دراسته الدينية بحيث لما سألوه : ما هو أفضل الأعمال في ليلة القدر ؟ أجاب : دراسة العلوم الدينية .

ولشدّة جِدّه في طلب العلم لم يمنعه مرضه وكبر سنّه من مواصلة المـطالعة والدرس والكتابة .

فعندما كان يؤلف كتابه (مفتاح الكرامة) تعرّضتْ مدينة النجف الأشرف لهـجمات الوهابيين الذين كانوا يريدون تدمير مرقد الامام عليّ أمير المؤمنين عليه السلام ، وذلك منذ عام (١٢٢١ حتىٰ ١٢٢٦) الهجري . فلم يمنعه ذلك من الاستمرار في تأليفه كما لم يتقاعس أيضاً في مهمته الجهادية . فكان يكتب رسالة فقهية في وجوب ردّ العدوان علىٰ النجف الأشرف ، وهو يقوم في كل ليلة حتىٰ الصباح بتفقّد خنادق المجاهدين ويشاركهم السعي ويحرّضهم علىٰ مقاومة المعتدين .

نعم هكذا كان العلماء السابقون (جهاد واجتهاد) .

٦٧ جماهيرية وشهامة وحكمة



السيد محمد كاظم اليزدي

بعد سيطرة البريطانيين علىٰ العراق سنة (١٣٣٥ هـ) تقريباً ، أرادوا أن ينتقموا من أهالي النجف الأشرف لأنـهم حـاربوا جيش الاحتلال وقاوموا سيطرة المسـتعمرين . فـفي مـحاولة لفصل العلماء عن الأهالي جاء الحاكم البريطاني الىٰ آية اللّه

---

١ ـ خزينة الجواهر / ص ٤٥٥.

العظمىٰ السيد محمد كاظم اليزدي صاحب كتاب (العروة الوثقىٰ) المعروف قائلاً : ان الحكومة ترجو منك الخروج الىٰ الكوفة لأنها تريد تأديب أهالي النجف !

فأجابه السيد : هل أخرج انا وحدي أو مع أهل بيتي ؟

قال الحاكم : مع أهل بيتك (يقصد عائلته) .

فقال السيد اليزدي ﷺ : أهالي النجف كلهم أهل بيتي ، انني لن اخرج أبداً ، فما يصيبهم يصيبني .

بهذا الموقف البطولي الشهم دفع السيد اليزدي شرّ البريطانيين عن اهالي النجف الأشرف واثبت جماهيريته وشهامته وحكمته ، وهي لا تؤتىٰ الاّ لمن اطمأن قلبه بذكر الله ولم يخش احداً الاّ الله[1] .

٦٨ اهتزاز الضمير مِن الأعماق !

جاء رجل الىٰ العلامة الشيخ محمد تقي المجلسي ـ المتوفىٰ سنة ١٠٧٠ هـ (والد الشيخ المجلسي صاحب الموسوعة المعروفة بحار الأنوار) .

فقال : يا شيخ هل يمكنك ان تعالج مشكلتي مع جارٍ لي كثير الفسق والفجور ، شارب للخمور ، يجتمع مع اصدقائه في البيت ويجلبون معهم الغانيات ، ونحن نقاسي الأذىٰ منهم حتىٰ الفجر ؟

قال الشيخ : ادع رئيسهم الىٰ العشاء ، ولا تخبره بأني مدعوّ أيضاً .

ائتمر الرجل بأمر الشيخ ، ففرح رئيس الفسّاق بانضمام الجار اليهم وفرح أصدقاؤه بهذا الكسب الجديد .

كان الشيخ جالساً هناك حينما دخل الرئيس ومجموعته ومرافقوه ، فلما وقعتْ عينه علىٰ الشيخ فوجىء به وانزعج ولكنه كتم انزعاجه .

جلس بقرب الشيخ وأراد السخرية به ليُضحِكَ عليه أصحابه فقال : ياشيخ سجاياكم أفضل أم سجايانا ؟

أجابه الشيخ : فليبيّن كلّ منّا نمط سجاياه ، عند ذلك نعرف سجايانا أفضل أم سجاياكم !

---

١ ـ نفس المصدر ، ويراجع كتاب (شهداء روحانيت) بالفارسية للسيد الخلخالي .

قال رئيس المجموعة : انه لكلام معقول . فأما سجايانا أيها الشيخ اننا اذا أكلنا من طعام أحد ، لا نكسر مملحته ولا نخونه (كناية عن انهم يحسنون التعامل مع الذي يطعمهم ويحسن اليهم ، كهذا الجار صاحب الدعوة وكان يريد بهذا الكلام أن يكسب صاحب الدعوة الى نفسه) .

فقال الشيخ : انني لا أراك ملتزماً بكلامك هذا !

قال الرئيس : انا وأصحابي كلنا ملتزمون بهذا الكلام .

فقال الشيخ : ألستم تأكلون من نعم الله وتعصونه ؟ !

فما أن طرقتْ هذه الكلمة سمع الرجل حتىٰ أطرق رأسه الىٰ الأرض غارقاً في التفكير، ثم قام وخرج فتبعه اصحابه ، فاسودّت الدنيا في عين صاحب البيت ، خوفاً من الرجل وأصحابه، فقال للشيخ : لقد أغضبته، فسوف ينتقم مني. ما هذا الذي ورّطتني به ياشيخ ، لقد كنتُ أبحث عن علاج لمشكلتي فتعقّدتْ الآن .

قال الشيخ : لقد وصل الأمر الىٰ هذا الحدّ ، وننظر ماذا يحدث غداً ولا تخف .

وفي الصباح طُرِقَ باب دار الشيخ .

فلما فتح الباب وإذا برئيس المجموعة يبادر الشيخ بالقول : لقد تأثرت بكلامك البارحة ، فها انا جئت مغتسلاً من ذنوبي كلها ، تائباً الىٰ الله تعالىٰ ، أريدك أن تعلمني أحكام الدين [1]!

٦٩ وفاءٌ قبل الرئاسة وبعدها

اذا منحك الله تعالىٰ مقاماً في الدنيا ورفع شأنك بين الناس ، فلا تنس اصدقاءك بالأمس .

هذا ما جسّده المرجع الكبير آية الله العظمىٰ السيد محمد كاظم اليزدي ﷺ ، عندما حاز في النجف الأشرف علىٰ رئاسة الطائفة الشيعية في العالم الاسلامي ، وكان قد هاجر في بداية شبابه من مدينته (يزد) الإيرانية برفقة صديقه وزميله سماحة آية الله الشيخ ملا عباس المشهور بـ(سيبويه) ـ أعلىٰ الله مقامه .

فقد جاور الأول مرقد الإمام امير المؤمنين عليّ ﷺ في النجف الأشرف ، بينما جاور

---

١ - قصص العلماء / ص ٢٢٣.

الثاني مرقد الإمام الحسين سيد الشهداء عليه السلام في كربلاء المقدسة.

فكان السيد اليزدي عندما يأتي الىٰ كربلاء لزيارة مرقد الحسين والعباس عليهما السلام يعرّج علىٰ زيارة صديقه الشيخ ملاّ عباس سيبويه ايضاً، فيعانقه بشدة ويقول له: أيـها الصديق الشقيق، انا لا أنسىٰ تلك الصداقة التي كانت بيننا في (يزد)، واني لأحب ان أجلس معكم وقتاً طويلاً، ولكن البلاء الذي ابتليتُ به، وهو (الرئاسة) يمنعني عن ذلك، لكثرة المسؤوليات وقلّة الوقت، ولكنني رغم هذا فأنا نفس ذلك الصديق الاول، لم يغيرني شيء.

انه مثال الوفاء والتواضع، وذلك من دروس الأخلاق الاسلامية التي ما احوجنا اليها اليوم وفي كل زمان ومكان.

٧٠ مقارعة الفقر بعفّة النفس

إنّ عفّة النفس كرامة انسانية وشرف نبيل كان قد تحلّىٰ بها العالم التقي آية الله الشيخ ملاّ عباس سيبويه اليزدي رحمه الله، فمنذ بداية شبابه الذي وظّفه لطلب العلوم الدينية في حوزة كربلاء المقدسة خلال سنوات (١٢٨٠ ـ ١٣٢٩ / هـ) استقام في روحيته العالية حتىٰ اصبح علماً من اعلام الفقهاء الأتقياء.

فاذا كان بعض الناس يرخص ماء وجهه فيريقه لحاجة مادية عند هذا وذاك، ومن دون اعتبارات اخلاقية، ولا ثمن للكرامة، فان هذا الرجل العظيم ابىٰ نفسه الكريمة ان تفعل ذلك، اذ كان ـ وهو طالب يدرس ـ يجوب الأزقة والدروب في ظلام الليل ليجمع قشـور البطيخ والرقيّ، ليسدّ بها جوعه حتىٰ يواصل بذلك إشباع جوعه المعنوي للعلم وللمعالي، والعجيب انه استطاع أن يخفي تعفّفه واستغناءه عن الناس طوال حياته، فلم يعرف عن حاله أحد الاّ ابنه (آية الله الشيخ محمد علي) الذي أحاط بأحوال أبيه فيما بعد، حيث أخذ يعلّمه دروس الحياة الكريمة وينقل اليه تجاربه الغنيّة بروح الشرف والاستقامة. وهو ـ أي الابن ـ نقل لولده سماحة آية الله الشيخ محمد حسين سيبويه (دام ظله) ـ الذي كتب لي هذه الخواطر ـ يقول له: ان والدي آية الله الشيخ ملاّ عباس رحمه الله حكىٰ لي قصة فقره وزواجه قائلاً: لما عرض عليّ العالم الفاضل الشيخ ملاّ رضا اليزدي رحمه الله أن أتقدم للزواج

من كريمته ، اعتذرت منه لأني كنت صفر اليدين .

فقال : لا أطلب منك مالاً .

لذلك تزوجت ولم يكن لديّ مال ولا أثاث ولا ما يحتاجه الإنسان المتزوّج في بيته من أبسط اللوازم المنزلية .

ولم استطع حبس دموعي التي انهمرت علىٰ حالي عندما وجدت (مهر زواجي) أقلّ من (مهر السنّة) وهو مهر زواج السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام والذي عبارة عن ٥٠٠ مثقال فضّة كما في أكثر الروايات .

فتمّ زفافنا تلك الليلة والبيت خالٍ من كلّ شيء سوىٰ لحاف متواضع نلتحف به وشيء بسيط كنا ننام عليه .

هكذا كان علماؤنا الأفاضل الذين استقاموا علىٰ مدارج الكمال المعنوي فصاروا قدوة في العفاف والكرامة والصبر والاستقامة ، فهل نحن من المقتدين بهم ؟

يقول الامام عليّ عليه السلام لكميل بن زياد :

« ياكميل مات خزّان الأموال وهم أحياء ، والعلماء باقون ما بقي الدهر ، اعيانهم مفقودة ، وأمثالهم في القلوب موجودة » .

وقد تخرّج من هذه العائلة الكريمة علماء وخطباء وفقهاء ، فابنه الأول هو آية اللّه الشيخ علي أكبر سيبويه ، والثاني هو آية اللّه الشيخ محمد علي سيبويه وللأوّل ولدان عالمان هما الشيخ ميرزا أحمد ، وهو يعيش حالياً في طهران ، والشيخ ميرزا عليّ ، ويعيش حالياً في مدينة (يزد) الايرانية . واما آية اللّه الشيخ محمد علي فله ايضاً ولدان كأخيه ، الاول هو المرحوم آية اللّه الشيخ محمد حسن ، الذي انتقل الىٰ جوار اللّه تعالىٰ في مدينة مشهد المقدسة في (٢٢ / صفر / سنة ١٤٠١ هـ) . والثاني هو سماحة آية اللّه الشيخ محمد حسين سيبويه (الذي تفضّل علينا بهذه المعلومات) وهو يعيش حالياً في مدينة مشهد المقدسة بجوار مرقد الامام الرضا عليه السلام ، ويعتبر من أكابر علمائها وأساتذة بحث الخارج للفقه في حوزتها العلمية، ومن احفاد المرحوم علماء وخطباء ، وقد أنعم اللّه عليهم بالعلم النافع ووفقهم للعمل الصالح ، ذلك من فضل اللّه وصبر جدّهم آية اللّه الشيخ ملاّ عباس سيبويه رحمه الله .

٧١ علماؤنا وآية المودّة

ان للسادة من بني هاشم ذرية رسول رب العالمين محمد بن عبد الله ﷺ مكانة عالية لدىٰ المسلمين . وقد نصّ القرآن الكريم علىٰ المودة لهم بلسان النبي محمد ، مكافأة لجدهم علىٰ خدمته العظيمة التي قدّمها للبشرية : ﴿ قُلْ لا أسألُكم عليه أجراً الاّ المودَّةَ في القُربىٰ ﴾

فالسادة من سلالة اهل البيت عليهم السلام محترمون ، ولابدّ لكل ذي وجدان أن يحترمهم ويتجنّب إهانتهم ، فحتىٰ الخاطىء منهم ينبغي مراعاته بالنصح والتذكير ، فكيف بالطيّبين منهم .

ولقد التزم كبار علمائنا بهذه الأخلاق الحسنة ، منهم العالم التقي آية اللّه الشيخ محمد علي سيبويه رحمه الله، حيث كان شديد المودة والاحترام لكلّ سيّد ، وخاصّة المحتاجين من السادة . فكان رحمه الله حريصاً علىٰ أن لا يكون في كربلاء ـ المدينة التي كان يعيش فيها ـ أيّ فقير من ذرية النبي ﷺ . كان يتفقد أحوالهم دائماً ويبعث إليهم ماعنده من حقوقهم ، ولذلك قال عنه بعض معاصريه من العلماء : انّه العالم الوحيد الذي تجسدت فيه هذه السلوكية النبيلة من بين معاصريه .

ومثله كان الفقيه الورع آية اللّه (سردار الكابلي) ـ من علماء أفغانستان ـ رحمه الله ، اذ يُنقل انّه كان يقبّل ايادي اطفال السادة أيضاً ، وهذه الأخلاقية نادرة في سلوك العلماء غالباً .

وبهذه المناسبة ينقل فضيلة السيد ناصر الحسيني المرعشي في كتابه (اللآلىء الجلية) حول ترجمة المرحوم آية اللّه الشيخ محمد علي سيبويه : اني التقيت في إحدىٰ الحوزات العلمية بأحد كبار الأساتذة ـ لا يرضىٰ ان اذكر اسمه ـ ، فكان شديد الاحترام لكل سيد يدخل المجلس ، فرغم كبر سنّه كان يقوم للكبير والصغير من السادة الواردين وينظر اليهم بعطف عميق .

تقرّبت اليه حتىٰ صادقته، ثم سألته بعد مدة عن سبب مودته واحترامه الشديد للسادة؟

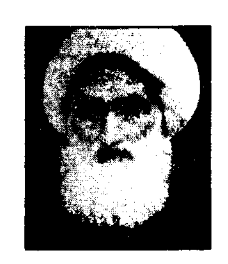
فرأيت قطرات الدموع أخذت تحجب عينيه المعبّرتين عن قصة ما، سكت العالم ولم ينطق الاّ بعد اصراري حيث قال : كان في محلّتنا سيّد من الباعة المتجوّلين ، يجلس علىٰ الأرض ويبسط ماعنده من البصل للبيع .

وذات يوم ارسلت أحد أولادي ليشتري منه بصلاً،فعاد يحمل بصلاً رديئاً، فأخـذت منه الكيس وجئت الىٰ السيّد وهو رجل كبير السنّ ، وكان جالساً علىٰ الأرض قرب صندوق بصله فأنّبته بشدّة . فالتفت اليّ السيّد المسكين وهو يقول لي بهدوء من دون أن يقابلني بالمثل : لو لم يصفعوا والدتي الزهراء عليها السلام بالأمس ، لما أهنتني انت اليوم، ولم أجد بدّاً للكدّ بهذه الزحمة والأذىٰ لجلب خبز لعيالي .

يقول هذا العالم : شعرتُ في تلك اللحظة بأن فقرات ظهري قد ارتعشت بهذا الكلام.

فمن ذلك اليوم ، صرت كلما أرىٰ سيداً اشعر وكأن دموعي تكاد أن تنهل من عيني من غير اختيار وارادة .

٧٢ الاجترار أم الجديد في التأليف



الشيخ محمد علي سيبويه

قد يؤلف عالِمٌ ولم يأت في تأليفه بشيء جديد للقارىء ، فكتابه يحمل ذات المحتويات التي سبقه فيها الآخرون وتأليفه ليس إلّا إعادة لما سبق ، وهذه لعمري صفقة خاسرة تؤدّي الىٰ :

١ ـ هدر وقت العالم فيما لا ينفع ...

٢ ـ تعطيل دوره عما يستطيع أن ينفع ...

٣ ـ استهلاك وقت الآخرين والأموال في ذلك ، بينما الحاجة اليها في الأمور الأخرىٰ أكثر لو كان سماحته يهتم بها ...

هذه الحقيقة أدركها آية اللّه سماحة الشيخ محمد علي سيبويه ﷺ ، وذلك حينما طلب منه آية اللّه العظمىٰ السيد هادي الميلاني ﷺ أن يؤلف كتاباً في المجالات الاسلامية ، فلم يقبل الشيخ سيبويه ، والسبب كما يقول ابنه آية اللّه الشيخ محمد حسين (دام ظله) : هو كثرة الكتب الاسلامية في عصره وكثرة المؤلفين حيث كان يقول : انّ في ذلك لكفاية، المطلوب هو الانشغال بالأمور التي زهد فيها الكثيرون أو انصرفوا عن الاهتمام بها .

ولما زاد عليه اصرار المؤمنين في كربلاء ان يكتب آراءه الفقهية كعادة الفقهاء والمجتهدين ، استجاب لطلبهم من دون رغبة ، فطُبِعَتْ له الرسالة الفقهية العملية التي امتازت عن بعض رسائل الفقهاء ببعض المسائل الجريئة ، أهمها هاتان المسألتان :

الاولىٰ : « لا يجوز الانتساب الىٰ الدوائر الحكومية والتوظف فيها واعانة الظالمين بأي

شكل من الأشكال ، الا في حالة الضرورة التي جوازها يتوقف علىٰ إجازة الحاكم الشرعي والفقيه الجامع للشرائط ».

الثانية : « يحرم وضع المال والذهب وأمثاله من الأشياء الثمينة ، في الأضرحة المقدسة (مراقد أئمة أهل البيت والاولياء الصالحين) ، اذ لا يُعلم الىٰ اين تؤخذ هذه الأموال (عندما تكون الحكومة غير اسلامية) ، بل هذه النذورات كلها ، يجب تسليمها بيد الفقيه الجامع للشرائط أو الوكيل عنه . ولا مانع من اعطائها لخدمة الحرم والعتبات المقدسة ، ولكن مع اذن الحاكم الشرعي ايضاً ، ذلك لأن ولاية هذه العتبات تعود الىٰ المجتهدين الفقهاء لا الىٰ غيرهم ».

وهذا النوع من الفتاوىٰ في ظل الحكومات الجائرة في العراق وفي ايران (قبل قيام الجمهورية الاسلامية) تعبّر عن شجاعة الفقيه وتفانيه في روح الشريعة الاسلامية والاخلاص للّه تعالىٰ.

٧٣ اللّهم اجعَلْني عبْداً لِعظمتِك

نقل لي والدي المرحوم الحاج غلام عباس درويش (حشره اللّه مع الصالحين) قائلاً: في عام (١٩٥٨ م) تقريباً زرتُ مرقد السيد عبد العظيم الحسني عليه السلام في مدينة (ري) بإيران وهو من ذرية الامام الحسن المجتبىٰ عليه السلام وبينما كنت واقفاً عند الضريح الشريف ادعو اللّه تعالىٰ بعد الزيارة ، طرأت عليّ فكرة نذر قلتُه كالتالي : « للّه عليّ نذر ، إنْ رزقني اللّه ولداً سمّيته باسم هذا السيد العظيم» .

يقول والدي: فلما رجعنا الىٰ البحرين ، وحملت أمّك ووضعتك سمّيناك (عبد العظيم).

نقلت لي هذه القصة والدتي مرات عديدة وتتناقلها عائلتنا في كلّ مناسبة وبعض أهل محلّتنا (المحرّق)، وقيل أن امرأة من محلّتنا جاءت وقالت لأمي أنها رأت في المنام شخصاً طلب أن تبلغ والدتي بأن تُسمّي مولودها بـ(عبد العظيم) ، ولعل هذه الرؤيا من باب التذكير بالنذر.[1]

ومن الجدير ذكره ان والدتي (فاطمة شريفي) سيدة من ذرية الامام الحسين عليه السلام .

---

١ - راجع قصة رقم ٧٩ بعنوان الفراق الصعب والأصعب.

٧٤ دعاءٌ لليقظة مِن النوم

الشيخ نجم الدين الطبرسي

عندما كنتُ في الثاني عشر من عمري بداية عام (١٩٧٣) ، سمعتُ عن عالم فاضل يؤمّ المؤمنين في مأتم (العجم الكبير) في المنامة (البحرين) ، اسمه الشيخ نجم الدين الطبرسي (حفظه اللّه) المقيم الآن في الكويت . وكنت في المحرق ـ وهي المدينة الثانية بعد العاصمة المنامة ـ اتنقل من حافلة الىٰ أخرىٰ وأجلس أحياناً مع جمع الذاهبين خلف سيارة (شاحنة) ، من أجل الوصول الىٰ المنامة والصلاة خلف هذا العالم الكريم والاستفادة من حديثه بعد الصلاة وكان يتحدث حول تفسير سورة يوسف وأهمية العفّة والتقوىٰ .

ذات مرة كان حديث الشيخ الطبرسي يدور حول صلاة الليل وفوائدها ، ولما انتهىٰ من الحديث جلست أمام الشيخ في حلقة السائلين والسامعين .

وفي تلك الجلسة كنت أحمل في ذهني ثلاثة أسئلة للشيخ قبل وصولي الىٰ المأتم ، وكان قصدي الاول من هذه الأسئلة أن اكسر حاجز التردّد والخجل الذي كان يهيمن عليّ بشدّة .

وهكذا كنت أتحيّن الفرص لأرمي بسؤالٍ من أسئلتي الثلاثة ، فرميته مرتبكاً !

أجابني سماحة الشيخ بلطف وكانت ابتسامته لي تشجعني لطرح السؤالين الآخرين ولكنني سكتّ عنهما لألتحق بالشاحنة العائدة الى منطقتنا (المحرق) ولو كنت أتأخر عنها لأمسيتُ وحيداً وسط ظلام الليل فيصعب عليّ الرجوع الى المنزل وانا في ذلك السنّ .

المهم هممتُ بالقيام لتوديع الشيخ ، ولكنني اصطدمت بكلامه الذي جمدني في مكاني، حيث قال : لديك سؤالان آخران ، سلني بهما ولا تخجل ولا تستعجل !

ياسبحان اللّه ! كيف عرف الشيخ أني أحمل في ذهني سؤالين آخرين !

فطلبتُ منه طريقة للجلوس من النوم لصلاة الليل (وهذا كان سؤالي الثاني) .

فقال الشيخ اقرأ هذا الدعاء قبل النوم وانت علىٰ وضوء : « اللّهم لا تُنْسني ذِكْرَك ، ولا تُؤمِنّي مَكْرَك ، ولا تَجْعَلْني مِن الغافلين » .

كتبتُ الدعاء ـ علىٰ ما اتذكر الآن بعد عشرين عاماً ـ علىٰ كتاب صغير لدعاء كميل، كنت أحمله في جيبي وكان غلافه اخضر اللّون ! ـ ملاحظة هذه القصة كتبتها عام ١٩٩٤ م ـ.

ولما وصلتُ الىٰ البيت ، كان الوقت متأخراً قليلاً ، وكان أبي وأمي ينتظرانني بقلق ، فاحتضنتني أمي ، وقدمتْ لي العشاء ، وأما أبي فكان واضعاً رجْلاً علىٰ رجلْ ويصغي الىٰ اذاعة (لندن ـ بي . بي . سي) من خلال المذياع (راديو) .

وكانت أمي كلما تنطق بكلمة ينهرها أبي بهدوء اتسكت ، لأنه كان مهتماً بأخبار العالم والشعوب ، وعندما انتهت نشرة الأخبار وأدار المذياع علىٰ محطات أخرىٰ ولم يجد ما يجديه من أخبار جديدة ، التفت اليّ وقال بلطف : اين كنت الىٰ هذه الساعة المتأخّرة ؟

فحكيت له القصة . فارتاح لها ، ولكنه اكتفىٰ بالنصيحة التالية : في الليل لا تتأخر خارج البيت . تلك الليلة كان الجوّ حاراً ، وكنا ننام نحن الثلاثة (انا وأبي وأمي) في ساحة المنزل حيث أن الفقراء لا يملكون مكيّفات الهواء ! اتذكر ان اذان الصبح كان في حدود الساعة الثالثة ، فوقّتُ الساعة علىٰ الثانية بالضبط ، ثم أسبغتُ الوضوء وجئتُ الىٰ الفراش، وقرأت الدعاء الذي علّمني سماحة الشيخ الطبرسي (حفظه اللّه) ثم نويت أن اجلس من النوم قبل الساعة الثانية بخمس او ثلاث دقائق ، لكي أضغط علىٰ جرس الساعة قبل أن يرنّ فيزعج والديّ العزيزيْن .

سبحان اللّه ، وهكذا حصل وكأني شعرتُ بأن أحداً يوقظني ، فتحتُ عيني فنظرت الىٰ الساعة ، واذا هي الثانية الا خمس أو ثلاث دقائق كما كانت نيّتي .

٧٥ بَدَلاً عن ـ ١ ـ ٢ ـ ٣ ـ...

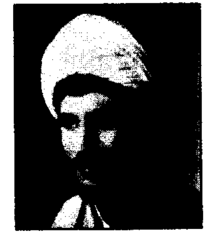
ومن خواطري الجميلة في أيام صغري ، يوم كان عمري لا يتجاوز أحد عشر عاماً، حيث كانت هوايتي من الالعاب الرياضية كرة القدم ، وكما يشهد زملائي أني كنت فيها ذا مهارة، سواء كنت حارساً للمرمىٰ ، أم مدافعاً ، أو مهاجماً ، هكذا يتذكر الاصدقاء الذين اتفقتْ كلمتهم ان يجعلوني مدرِّباً لأشبال فريقنا الرياضي (الشموس) !

المؤلف: زمن خاطرته

لم يكن هذا الامر خاصاً بي في تلك الايام ، بل الاخوة كانوا أكثر مهارة مني ، انما الذي كان يميزني عنهم في ذلك السنّ هو حملي سبحة بيدي وذكرِ (اللّه أكبر ، الحمد للّه ، سبحان اللّه) ، حتىٰ كان لساني يلهج به من غير إرادتي أحياناً .

فذات مرّة جرتْ مباراة بين شباب الفريق وأشباله ، وانا لضرورة الحياد اخترتُ ان أكون (حكم) المباراة ، فحصلتْ ضربة مرمىٰ المسماة بـ(بلنتي / ضربة جزاء) ، فأخذتُ أعدّ من المرمىٰ الىٰ مكان وضع الكرة، إحدىٰ عشر خطوة، فبدل ان احسب (١ ـ ٢ ـ ٣ ـ..) أخذت أقول في كلّ خطوة (اللّه أكبر ـ اللّه أكبر) والسبحة بيدي وبصوت خافت ، فلاحظ أحد الاخوة الذي كان يعدّ خطواتي اني تعدّيتُ الرقم مسترسلاً قُدُماً ! فناداني لقد ذهبتَ بعيداً يا حَكَم ! فنظرت ، واذا انا بالفعل بعيد ، فرجعتُ لأحسب الخطوات من البداية ، وهذه المرّة بالأرقام !!

٧٦ الفراق الصعب والأصعب


المؤلف: زمن خاطرته

لي أمٌّ سيّدة من ذريّة الحسين سبط النبي محمّد ﷺ، وانا آخر أولادها السّبعة . يقال : إن آخر العنقود أحلاه عند الوالدين ، لذلك كانت أمي تودّني مودّة شديدة ، ولا انسىٰ حبّ أبي ؒ ايضاً . فعندما غادرتُ بلدي لدراسة العلوم الدينية في حوزة النجف الأشرف سنة (١٩٧٤م) برغبة منّي ودعم منهما وأنا يومئذ ابن الثالث عشر كان ذلك صعباً علىٰ قلب أمي الحنونة ، ولكنّها تحملتْ فراقي من أجل دين جدّها رسول اللّه كما تحمّلتْ شتّىٰ الصعوبات الأُخرىٰ طول حياتها .

وبعد خمسة اعوام من هذا الفراق الاختياري الذي تخلّله بعض اللقاءات القصيرة حيث كنت اعود الىٰ الوطن وهي احياناً تأتي الىٰ النجف لزيارة مرقد الامام علي بن ابي طالب عليه السلام، فُرِضَ عليها فراق أصعب، وذلك في الساعة العاشرة صباح يوم الرابع من شهر محرم الحرام سنة (١٤٠٠ هـ) إذ حضرت سيارة الشرطة والمباحث لتعتقلني ظلماً ، فقد رمتْ عليّ بنفسها باكية لتمنع الفراق الاجباري هذا ولكن الأمر كان مقضياً ولم تتزعزع قسوة قلوب الذين شاهدوها كيف سقطتْ علىٰ الأرض لما أبعدوها عني بالقوة فقامتْ رغم كبر سنّها وأخذتْ طرفاً من سيارة الشرطة بتلك اليد الضعيفة وهي تقول لهم : لا تأخذوا ولدي مني .

وقلتُ لها : أماه أرسلي لي سجّادة صلاة والمصحف الشريف اذا تأخرت في العودة الى البيت ، وعلمتُ بعد إبعادي عن البحرين أنها أرسلت ذلك في اليوم الثاني وأخذه مسؤول السجن ولم يسلمه إليّ .

وهذه خمسة عشر عاماً تمرّ على ساعة هذا الفراق الأصعب وبمرارة وصعوبة حتى قالتْ لي قريباً وهي تذرف دموعها : ولدي، طوال هذه الأعوام التي مرّتْ أراك في منامي اكثر الليالي وأنا آخذة بيدك وانت على صورتك ايام صغرك فأمشي معك على ساحل البحر قرب منزلنا، ولما تنتهي هذه الرؤيا تعود اليّ مرة ثانية فتوقظني لصلاة الصبح، تقول لي : أمي .. قومي، فقد حان وقت الصلاة ، قومي صلّي ... فاستيقظ من النوم واذا هو بالفعل وقت صلاة الصبح .

أقول : « اللّهم اغفر لي ولوالديّ وارحمهما كما ربّياني صغيراً واجزهما بالإحسان إحساناً وبالسيّئات عفواً وغفراناً انك ارحم الراحمين ، آمين يا ربّ العالمين » .

٧٧ النصر وليد الصبر

عندما كان آية اللّه العظمى السيد محمد تقي الخونساري ـ المتوفى سنة ١٣٧١ هـ ـ يدرس العلوم الدينية في شبابه ، كان قد خلع عمامته ولبس البزة العسكرية ، حاملاً السلاح في وجه الاحتلال البريطاني في جنوب ايران ـ على مايبدومن ثنايا القصة ـ .

وقد نقل بعض خواطره الى آية اللّه العظمى الشيخ الاراكي (دام ظله) على النحو التالي :

كانت قذائف المدفع تسقط بقربي الاّ أن شظاياها لم تصلني ، هكذا اراد اللّه لي .

ولقد خندقتُ في جبهات المقاومة مدة طويلة ، ثم وقعتُ في أسر البريطانيين أربع سنوات.

نقلوني مع أسرى آخرين من صحراء الى صحراء ، ومن بحر الى بحر ، ومن سجن الى سجن . وذات مرة كنت وحدي في السجن فأدخلوا عليّ حيواناً مفترساً ، ولكنه ركن بجانبي ، ثم قام وخرج . أخذوني في سفينة وأسير هندي كان جالساً أمامي ، كان يبدو عليه الإرهاق النفسي حدّاً لايطاق ، وكان لونه من شدة القلق على مصيره المجهول متغيراً ،

قمت فدنوت منه لأنصحه واخفّف من حالته ، ورغم اني لم أكن اعرف اللغة الهندية فقد قرّرت الكلام معه بلغتي مستعيناً بلغة الاشارات ايضاً ، فما ان تقدمتُ اليه خطوتين حتىٰ فوجئتُ بقراره السريع، اذ رمىٰ نفسه في البحر منتحراً ، نعم لقد انتحر وانتهىٰ ، لأن قلبه كان صغيراً لايتحمل العناء ولم يؤمن باللّه المغيِّر للأحوال[1].

أجل ، فلو كان الرجل الهندي يحمل ايمانَ السيد الخونساري في قلبه المطمئن بوعد اللّه لكان بعد الأسر شيئاً يُذكر ، كما صار السيد الخونساري مرجعاً بعد أسره وصبره ، أليس النصر وليد الصبر ؟

ولقد قال الامام علي عليه السلام : « اصل الحزم العزم ، وثمرته الظفر »[2].

٧٨ العلميّة في كَبْح الهوىٰ



الشيخ محمد تقي بهجت

كان في شبابه طالباً مجدّاً وقّاد الذهن ، دقيق النظر ، قليل الكلام ، ولكنه في حلقة الدرس شديد النقاش بحثاً عن حقيقة العلم .

فقد حضر درس المرجع الراحل السيد الشاهرودي رحمه الله في النجف الأشرف ودخل معه في نقاش علمي حتىٰ نهاية الوقت من غير نتيجة لصالح أحدهما ، وفي اليوم الثاني وبينما كان بعض الطلبة (ممن لم يتأدبوا بآداب الاسلام بعدُ) يستهزئون بنقاشه ويستصغرون شأنه دخل السيد الشاهرودي المسجد فسمعهم فقال لهم السيد : اصغوا جيداً ولا تستعجلوا !

فهدأ الحاضرون ورفعوا أعناقهم ليروا ماذا يقول الأستاذ ، واذا بهم يسمعونه قائلاً : «لقد طالعت البارحة في كتاب تقريرات بحث الآخوند (الخراساني) ـ وهو من كبار المجتهدين الأعلام ـ فوجدت الحق مع الشيخ بهجت ـ وهذا هو اسم صاحب القصة الذي يُعدّ اليوم واحداً من مراجع التقليد في حوزة قم المقدسة ـ .

الىٰ جانب هذه العلمية لقد عُرف سماحة آية اللّه العظمىٰ الحاج الشيخ محمد تقي بهجت (دام ظله) بمقاماته الروحانية وزهده الكبير حتىٰ ان المرحوم آية اللّه الشيخ

---

١ - مجلة (حوزة) العدد/١٢.

٢ - غرر الحكم / ج١ ـ ص ٣١٥.

مرتضىٰ الحائري ﷺ كان ينقل ان الشيخ بهجت لشدّة نقاشاته العلمية الشاقبة في درس المرجع الراحل السيد البروجردي كاد يكسب رأي الأستاذ الىٰ رأيه أكثر من مرة ، وأخذ يشتهر في الحوزة بقدرته العلمية فيشار اليه بالبنان في مجالس العلماء ، فما أن علم الشيخ بالأمر غاب عن درس السيد البروجردي ، فسأل السيد عنه وتفقد حاله ، وبعد أيام عاد الشيخ يحضر الدرس ولكنه لم يناقش ، فتعجبنا من سكوته وصمته ، طلبنا منه أن يفتح باب السؤال والجواب وأثنينا علىٰ نقاشاته المفيدة ، الا انه رفض ، فظننا ربما بعض المتعصبين هدّده بأنّ النقاش مع السيد يعتبر نوعاً من الجسارة علىٰ مقام المرجع . ولكن الحقيقة ظهرت بأن الشيخ كان يريد الفرار من الشهرة وأن لا يشار اليه بالبنان في الوسط العلمي[١].

هكذا كان سماحته صائناً لنفسه ، حافظاً لدينه ، مخالفاً لهواه ، مطيعاً لأمر مولاه .

٧٩ وكالة زواج مشروطة !

طلب السيد (الصادقي) أحد المقرّبين من الإمام الخميني ﷺ ، من الامام ان يجري له عقد زواج . فلمّا تقدّم الامام الىٰ البنت ليطلب منها الوكالة في اجراء العقد قال لها:

أوكليني لأزوّجك فلاناً ، فهل انت راضية ؟

قالت البنت المؤمنة للامام الخميني : أوكّلك في الدنيا بشرط أن تشفع لي في الآخرة .

صَمَتَ الإمام قليلاً ، ثم قال : ليس من المعلوم ان اتمكن من الشفاعة لأحد ، ولكن اذا اذن اللّه لي في الشفاعة فسأشفع لك [٢]. أقول : انّها اجابة مستوحاة من قول اللّه تعالىٰ :

﴿ يومئذٍ لا تَنفَع الشفاعةُ إلاّ مَن أذِنَ له الرحمٰنُ ورَضِي له قولاً ﴾[٣].

---

١ ـ كتاب بالفارسية (آشنائى با ستارگان هدايت) تأليف : حسين آوردى .
٢ ـ نقلاً عن جريدة الجهاد / في عددها (٥٩٦) سنة ١٤١٣ .
٣ ـ سورة طه / ١٠٩ .


السيد عبد الأعلىٰ السبزواري

٨٠ خُذْ مواهبَ الرحمٰن !

(مواهب الرحمٰن في تفسير القرآن) كتاب ألّفه المرجع الديني الكبير استاذنا التقي ، المرحوم آية الله العظمىٰ السيد عبد الأعلىٰ السبزواري ﷺ في اثني عشر جزءاً، بيّن فيه زوايا كثيرة ، واظهر خفايا عجيبة ، قد تفوح منه نسائم العرفان ، مع ما فيه من الجوانب الفلسفية القيّمة، والنواحي الأخلاقية القويمة، والحوادث والتحليلات التاريخية، والامور الأدبية والروائية . مضافاً الىٰ ذلك كله فانه يظهر فيه العمق الدلالي ، وقد ذكر ﷺ سبب تسميته بـ(مواهب الرحمٰن) انه قبل عدّة سنوات رأىٰ رسول الله ﷺ في عالم الرؤيا ، وقد أعطاه نسخة من المصحف الشريف ، قائلاً له : « خذ مواهب الرّحمٰن » وبناءاً علىٰ تلك الرؤيا المباركة ، سمّىٰ تفسيره الجليل بهذا الاسم المعطاء[1].

٨١ مِن أعمال الحُبّ !

انّ التفاني في حبّ الشيء يتطلب تحمّل الأتعاب لأجله وفي سبيله وان ولاية محمد وآل محمد أحب الاشياء عند شيعتهم المخلصين . فواحد من مظاهر التفاني في هذا الحب الشديد ان يمشي انسان علىٰ قدميه مسافة أشهر مثلاً ، من جوار الامام الرضا عليه السلام الىٰ جوار الامام عليّ أمير المؤمنين عليه السلام .

هذا ما قام به المرجع الديني الكبير السيد عبد الأعلىٰ السبزواري ﷺ لما كان شاباً في العشرين من عمره تقريباً . وكذلك فعل منطلقاً من النجف الىٰ كربلاء لزيارة مرقد الامام الحسين عليه السلام[2].

٨٢ طريقٌ الىٰ الشفاء

اصيب بمرض القلب في أحد سنيّ عمره الشريف ، وكان الذي يباشر فحصه الطبي هو الدكتور موسىٰ سعيد الأسدي وقد أتىٰ به العلامة السيد محمد كلانتر (مدير جامعة

---

١ ـ جذوة مقتبسة من حياة المرجع السبزواري / ص ٢٠.

٢ ـ نفس المصدر / ص ٢٢.

النجف الدينية) . فطلب الدكتور نقله الىٰ المستشفىٰ ، لأن حالته خطرة ، الاّ انه رفض الانتقال ، اذ كان لديه طريق خاص للشفاء السريع !

وهو الدعاء الىٰ اللّه تعالىٰ والتوسل بالامام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام ، فنوىٰ إنْ ألبَسه اللّه تعالىٰ ثوب العافية ، كتب دورة فقهية كاملة حول أحكام الشريعة الاسلامية .

واذا به يقوم في ليلته من النوم ، وهو لا يشكو من شيء ! فذهب الىٰ مسجد (السهلة) بعد منتصف الليل رغم إلحاح أهله بعدم الذهاب ، خوفاًعلىٰ صحته .

وهكذاتعجب الدكتور الأسدي بعد فحصه ، عندما ظهر له اختفاء المرض ، وقد شوفي منه تماماً ، فقال : ان هذا لأمرٌ خارق للعادة .

وهكذا شرع في الوفاء بالنذر ، وكتب كتابه الفقهي الاستدلالي العظيم في ثلاثين مجلداً ، سمّاه (مهذّب الأحكام في بيان الحلال والحرام) ، وهو من أعظم الموسوعات الفقهيّة الحديثة .

ذلك هو المرجع الديني آية اللّه العظمىٰ السيد عبد الأعلىٰ السبزواري ـ المتوفىٰ سنة ١٤١٤ هـ ـ (تغمّده اللّه بواسع رحمته واسكنه فسيح جنّته) ، انه من فقهاء مدرسة اهل البيت عليهم السلام .

٨٣ مفاجأة !

في أحدٰ سنيّ الحجّ ضاع من آية اللّه العظمى السيد عبد الأعلىٰ السبزواري بعض متاعه وجواز سفره وما كان يحمله من مال ونقود، وكان ملفوفاً في قطعة قماش . فذهب الىٰ بيت اللّه الحرام مباشرة ، وقام يصلي صلاة الحبوة ـ وهي صلاة جعفر الطيّار ـ وتوسل الىٰ اللّه تعالىٰ طالباً منه الحلّ لهذه المشكلة ، وبينما هو كذلك ، واذا يُفاجأ بشاب نوراني الوجه أقْبَلَ اليه يناديه باسمه : السيد عبد الأعلىٰ ، هذا ما تبحث عنه ؟ !!

فأعطاه القماش الملفوف وفيه تلك المحتويات كلها . وعندما انتبه السيد من دهشته لم يرَ اثراً لذلك الشخص ! [١].

---

١ ـ نفس المصدر / ص ٢٤ .

٨٤ ثُمّ (لا اله الاّ اللّه) !



المجدّد الشيرازي

عندما أصدر المجدّد الشيرازي الكبير فتواه المعروفة بتحريم التبغ في ايران ، ليفلس بها الشركة البريطانية المتاجرة بالتبغ والتي كانت غطاء للتغلغل في ايران والسيطرة علىٰ إدارة الحكم والاقتصاد في سنة (١٨٩١ م) ، بعث الحاكم ناصر الدين شاه (القاجاري) مندوباً الىٰ الامام الشيرازي في مدينة (سامراء) ليشرح له فوائد المعاهدة مع البريطانيين، لعله يقتنع فيسحب فتواه .

دخل مندوب الشاه علىٰ السيد الشيرازي ، وأخذ يتكلم بكلام مسهب حتىٰ انتهىٰ بعد اطناب وتملّق .

فلم يكن جواب الشيرازي الكبير غير الكلمة الشريفة : « لا اله الاّ اللّه »

ثم أمر السيد بإحضار القهوة ، وهو إشارة الىٰ ختام الجلسة وأنه لم يقتنع ، فخرج المندوب وعاد في اليوم الثاني ، وهو يعيد كلامه الأول بأسلوب آخر . ولما انتهىٰ من كلامه ، أعاد السيد الشيرازي كلمته ولكن بإضافة (ثم) فقال : « ثم لا اله الاّ اللّه »

وكذلك أمر بإحضار القهوة اشارة الىٰ انتهاء الجلسة . ولمّا رجع المندوب الى ايران ، سأله الشاه : ماذا كانت النتيجة ؟

فقال المندوب الذي كان مرهقاً من سفرته الىٰ العراق :

«لا شيء ، فقد قال السيد : لا اله الاّ اللّه . ثم .. لااله الاّ اللّه » !(١)

٨٥ دروسُكم تربّي الانسان

قال آية اللّه السيد رضي الشيرازي ، حفيد المجدد الشيرازي الكبير صاحب ثورة التبغ المعروفة سنة (١٨٩١ م) : ذهبت لعيادة المرحوم الشيخ مرتضىٰ الحائري ، فنقل لي عن

---

١ ـ مجلة (حوزة) العدد / ٥١ ـ سنة ١٤١٣ هـ.

المرحوم ريحان اللّه الگلپايگاني (رحمهما اللّه تعالىٰ) قوله : اني سافرت من النجف الأشرف الىٰ مدينة سامراء ، حيث كان يقيم فيها المجدد الشيرازي الكبير ، فحضرت دروسه أياماً ، وذات يوم كنت أمشي معه علىٰ شاطىء النهر ، فسألني : « كيف وجدتَ درسي » ؟

فقلت : « في رأيي أن دروس حوزة النجف أفضل علمياً » .

فقال المجدّد : «إبق اياماً أخرىٰ ، حتىٰ أنهي بحثي حول الموضوع الذي أبحث فيه » .

فقبلت طلبه وأخذت أحضر دروسه ، حتىٰ عاد اليّ يوماً يسألني :

والآن ما رأيك في الدروس ؟

قلت : ان الفرق بين دروسكم ودروس حوزة النجف شاسع جداً ، ان دروسكم تربي الانسان ![1] فالمطلوب في الدرجة الأولى هو التزكية والتربية ثم السعة العلمية ، كما هو رسالة الأنبياء .[2]

٨٦ يا سُبحانَ اللّه !

يقول آية اللّه السيد رضي الشيرازي : قبل عشرين عاماً تقريباً ، جاء المرحوم آية اللّه ملاّ علي الهمداني الىٰ طهران لأجل العلاج . فذهبت لعيادته مع أحد الأصدقاء ، جلسنا عنده ثلاثين دقيقة تقريباً وكان حديثنا يدور حول مسألة فقهية . وبعد ذلك عرّفني له صديقي قائلاً : ان هذا هو الشيرازي .

ولكن المرحوم الهمداني ما استذكر شيئاً في وقته . ولما ودّعناه وتقدمت نحو الباب استوضح عني من صديقي ، فقال له : انه السيد رضي حفيد المجدّد الشيرازي الكبير !

فناداني المرحوم الهمداني ، واعتذر من عدم تذكره حالاً ، ثم قال : اجلس لأسرد لك قصّة عن جدّك الشيرازي :

« كنت في طهران أدرس عند المرحوم الشيخ عبد النبي النوري ، نقل لي الشيخ انه لما كان يحضر دروس المرحوم جدّك في سامراء كان يأتيه بعض المال من أهله من مدينة

١ ـ نفس المصدر / ٣٨ .

٢ ـ راجع مثلاً سورة الجمعة/الآية الثانية.

(نور) ، فمع راتبه الذي يعطيه المجدّد الشيرازي كان يسدّ حوائجه ولايزيد . واستمر الأمر علىٰ هذا المنوال حتىٰ انقطع المال الذي كان يأتيه من أهله ، في الوقت الذي كان قد دفع لكاتب يستنسخ له كتاب (وسائل الشيعة) . ـ وهو كتاب ضخم طُبع حديثاً في عشرين جزء لا يستغني عنه طالب العلوم الدينية ـ . فاستقرض الشيخ لذلك مبلغاً قدره مائة وعشرين (توماناً) .

وعلىٰ اثر ذلك صار الشيخ كاسف البال لا يدري كيف يسدّد هذا الديْن الثقيل ومن اين يؤمّن سائر حاجاته . اذ أن مايعطيه أستاذه المجدّد الشيرازي لا يكفيه ولا يغطي حاجاته كلها . فأخذ الشيخ في ذلك اليوم يصلي في حجرته ، ثم توسّل بأهل البيت عليهم السلام وشكا اليهم حاله ، وخصّص الخطاب الىٰ الامام الحجة بن الحسن المهدي (عجّل اللّه فرجه الشريف).

يقول الشيخ : غلبني النعاس وبينما أنا بهذه الحالة استغرقتُ في النوم واذا بي أرىٰ في المنام جمال سيدنا رسول اللّه صلى الله عليه وآله ، كان جالساً وعلىٰ رأسه الشريف عمامة خضراء .

دخلتُ عليه مسلِّماً ، فردّ عليّ السلام وقال :

« يا شيخ عبد النبي ، هناك مائة وعشرون (توماناً) ، خذها وسدّد بها ديْنك » !

فاستيقظتُ من النوم وبينما كنت أتأمّل في رؤياي هذه ، وإذا بالباب يُطرق ! قمتُ وفتحتُ الباب ، وكان الطارق (نصر اللّه) الخادم الخاص للمجدّد الشيرازي ، فقال : ان السيد يطلبك ! فأسرعتُ ودخلت عليه ، وكان جالساً في السرداب .

فلما وقعت عليه عيني ، واذا هو علىٰ ذات الهيئة والهيبة التي رأيت فيها النبي محمد في رؤياي !

فسلّمت عليه ، فردّ علي سلامي وقال فوراً :

« ياشيخ عبد النبي ، هناك مائة وعشرون توماناً ، خذها وسدّد بها ديْنك » !

يا سبحان اللّه إنها نفس الجملة التي قالها لي رسول اللّه في الرؤيا !!!

وهنا أردت أن أنقل للسيد الشيرازي رؤياي التي رأيتها ، فقال السيد : لا حاجة ! وكأنه كان يعلم بها[1].

---

١ ـ نفس المصدر / ص ٤٩.

٨٧ مِن خيرِ الأعمال

جاء ثريٌّ من المؤمنين الىٰ آية اللّه الحاج رضا الهمداني ـ المتوفىٰ سنة ١٣٢٢ هـ ـ ﷫ وكان يقيم في مدينة (سامرّاء) بالعراق .. فقدّم اليه مالاً وكان الشيخ الهمداني في أشد الحاجة إلىٰ ما يسدّ به فقره الذي كان يعالجه بالاستدانة من هذا وذاك . قال له الرجل: «اريد ان اقلّدك، فخذ مني هذا المال»

فقال الشيخ : « لا مانع من ان تقلّدني وتأخذ احكامك الدينية مني ، اما المال فلا آخذه منك ».

ولما كان الرجل يعلم بضائقة الشيخ المالية، أصرّ عليه ان يأخذ المال، ولكن الشيخ أصر علىٰ عدم القبول . فقام الرجل وخرج ، فبادره الحاضرون بالسؤال : لماذا لم تقبل هذا المال وانت محتاج ومديون ؟

فأجابهم الشيخ الهمداني : «ان ما عليّ من ديون سيعينني ربّي علىٰ تسديدها ان شاء اللّه ، واما السبب في عدم قبولي المال، هو أن لي ولداً بدأ يعمل منذ فترة قصيرة، فإذا أخذت المال فسوف يفقد ولدي دافعه الىٰ العمل . لهذا وجدتُ الحكمة في أن لا أقبل المال لكي أدفع ولدي إلىٰ خير الأعمال، وهو الاكتفاء الذاتي وعدم الاعتماد علىٰ مال الآخرين»[1] .

أخي القاريء، تأمّل في هذه الروح العظيمة، والعزم طوع يدك !

٨٨ المطلوب شيء مِن الإنصاف

تصفّحتُ في أحد أسفاري الىٰ الغرب كتاباً، فوقع نظري علىٰ القصة التالية :

نزل خطيبٌ من المنبر، فقال له أحد الحاضرين : انتم رجال الدين منذ عشرين عاماً تتكلمون وتتكلمون ! فماذا صنعتم لنا ؟!

فأجابه الخطيب : وانتم المستمعون منذ عشرين عاماً تستمعون وتستمعون، فبماذا عملتم ممّا قلناه ؟!

---

١ ـ بالفارسية (پندهائي از علماى اسلام) ص٩٣ .

أقول : نقدٌ ، وردٌّ (معقولان) ولكن بالفعل هناك خطباء ليس لديهم ما ينفع المستمعين، يكرّرون القديم، ولا يكلفون أنفسهم تحضير الجديد من الأفكار والمفاهيم، وايضاً هناك مستمعون لا يصغون إلىٰ الخطباء الجيّدين ولا يقدّرون اتـعابهم فـي المـطالعة والحـفظ والتحضير والالقاء، فالمطلوب من الطرفين (شيء من الإنصاف) !

٨٩ ساعةُ الاستجابة

العلاّمة الشيخ محمد باقر المجلسي صاحب موسوعة (بحار الانوار) المعروفة قال نقلاً عن والده الشيخ محمد تقي : في احدىٰ الليالي بعد فراغي من صلاة الليل، اعترتني حالة من الخشوع شعرت فيها بأنّ اللّه تعالىٰ يجيبني اذا دعوته .

فبينما كنت افكّر فيمَ اطلب من اللّه في هذه الساعة، واذا بولدي محمد باقر كان يبكي في مهده، فطلبتُ من اللّه تعالىٰ واقسمت عليه بحق محمد وأهل بيته عليهم السلام ان يجعل ولدي هذا عالماً يروّج الدين وينشر احكام الاسلام .[١]

٩٠ ماركس ولينين .. فرعون وهامان !

قيل للمرحوم العلاّمة الشيخ محمد جواد مغنية صاحب تفسير الكاشف : «كيف ذكرتَ اسم ماركس ولينين في كتاب التفسير ؟»

فقال الشيخ : «ان اللّه سبحانه ذكر الشيطان والمشركين والكفار وفرعون وهامان واليهود والنصارىٰ في متن القرآن الكريم، وانا ذكرتهم في الشرح»[٢] .

٩١ بذرةٌ نافذةٌ ونافعة

حكم الهند سنة (٩١٠ هـ تقريباً) حاكم عُرِفَ بشدّة معاداته لمذهب اهل البـيت عليهم السلام، واسمه (ابراهيم عادل شاه) . وكان له ابن اسمه علي يدرس عند عالمين جليلين، اسمهما الخواجة عناية اللّه الشيرازي، والملا فتح اللّه الشيرازي (يخفيان تشـيّعهما) وقـد بـذلا جهداً كبيراً في تربية هذا الابن، وغرسا في قلبه حب اهل البيت حتىٰ اهتدىٰ الىٰ التشيع،

---

١ ـ الفوائد الرضوية / ص٤١٢ .

٢ ـ تجارب محمد جواد مغنية / ص١٣٨ .

علم الشاه بذلك، فألقىٰ القبض علىٰ العالميْن واعدمهما فوراً، ثم ابعد ابنه علي الىٰ قلعة (مرج) وجعل عليه الحرس والعيون، ولما مرض الشاه وأشرف علىٰ الوفاة أراد أن يعهد بولاية الأمر لابنه الاصغر واسمه (طهماسب) ، ولكنه اكتشف في الدقائق الأخيرة انه هو الآخر يوالي اهل البيت ايضاً، فمات الشاه وجاء ولده المنفي (علي) وأصبح حاكماً ينشر التشيع في البلاد وأمر بشهادة الولاية لعلي بن ابي طالب في الأذان ... قُتِلَ هذا الحاكم الشيعي سنة (٩٧٤ هـ) فاعتلىٰ ولده ابراهيم السلطة علىٰ طريقة ابيه ينشر معالم التشيع ، الىٰ ان جاءت هجمة (المغول) فانتهت دولته في (دهلي) .(١)

أقول : رغم أن الشهادة بولاية الامام علي عليه السلام ليست جزءاً لفقرات الأذان باتفاق جميع الفقهاء عندنا الا أنها شعار يدلّ على وجود التشيّع في البقعة التي يعلن ساكنوها الشهادة في أذانهم ، واذا كنا مقتنعين ان للشيعة في طول التاريخ اعداء أرادوا إلغاءه من الوجود فإن كل شعار يمنع تحقيق إرادة الأعداء يكون مصداقاً للآية الكريمة ﴿ ومَن يُعظِّم شعائرَ اللّهِ فإنّها مِن تقوىٰ القلوب﴾ فهل ينتبه بعضٌ لمؤامرات الحذف ؟!

٩٢ سِتُّ نصائح

قال احد المؤمنين : زارني يوماً جمع من العلماء والصلحاء فالتمستُ منهم ان يفيدوني بنصيحة تقربني الىٰ اللّه تعالىٰ .

قالوا : نوصيك بستّ :

١ ـ اعلم ان الذي ينام كثيراً تقل رقّة قلبه .

٢ ـ والذي يأكل كثيراً يصعب عليه قيام الليل لمناجاة ربّه .

٣ ـ والذي يجالس الظالمين سوف لا يستقيم في دينه .

٤ ـ والذي يتعود الغيبة والكذب لا يخرج من دنياه مؤمناً باللّه ربّه .

٥ ـ والذي يقضي جميع وقته مع الناس سوف تقلّ عبادته للّه والخلوة للتفكير في أمره .

٦ ـ والذي يسعىٰ لرضىٰ الناس يبتعد عن رضىٰ اللّه وحكمه .

فإنْ عملتَ بهذه النصائح اكتسبتَ نعيم الآخرة . (٢)

---

١ ـ تاريخ الشيعة / ص٢٣٥ .

٢ ـ رنگارنگ ـ ج٢ ـ ص٤٣٧ .

٩٣ ياليتنا نكون بعضاً منهم

أ لّف العلاّمة النراقي ـ المتوفىٰ سنة ١٢٠٩ هـ ـ كتاباً في الأخلاق فبعثه الىٰ المجتهد الكبير آية اللّه السيد بحر العلوم في النجف الأشرف ليرىٰ ملاحظاته عليه وضمّنه أبياتاً من الشعر يخاطبه فيه :

ألا قُـل لِسكّـانِ ذاك الحِـمىٰ ... هنيئاً لَكم في الجِنانِ الخلودُ

أفيضوا علينا مِن الماءِ فَيضاً ... فـنحنُ عُـطاشٌ وأنـتم ورودُ

فأجابه السيد بحر العلوم بالأبيات التالية :

ألا قُل لمـولىً يـرىٰ مِن بـعيدِ ... جمالَ الحـبيب بـعينِ الشـهودِ

لكَ الفـضلُ مِـن غـائبٍ شـاهدٍ ... علىٰ شـاهدٍ غـائبٍ بـالصدودِ

فنحن علىٰ الماءِ نشكـو الظـمأ ... وأنـتم عـلىٰ بُـعدِكم بـالورودِ

اقول : ان العلامة الطباطبائي صاحب (تفسير الميزان) ﷺ يعبّر عن هذين العالمين وعن السيد ابن طاووس وابن فهد الحلّي بالرجال (الكُمّل)[١].

فحقاً انهم رجال قد اكملوا نفوسهم بكمال الأخلاق وقمة مكارمها في التواضع والتوادد والتعاون وتبادل الآراء وتلاقح الأفكار، فياليتنا نكون بعضاً منهم.

والحاجة لأن نكون مثل هؤلاء الرجال (الكُمّل) يفرضها الواقع الاجتماعي المؤسف الذي يتألم منه المخلصون الواعون اليوم أكثر من الأمس!

فقد قال بعض العباد : خرجت يوماً الىٰ المقابر، فرأيت بهلول، فقلت :

ما تصنع هاهنا ؟

قال : اجالس قوماً لا يؤذونني ، وان غفلتُ عن الآخرة يذكّرونني ، وان غبتُ عنهم لم يغتابوني![٢]

فياليت بعض المعاصرين يتعلمون هذا (الكمال) من أهل القبور!

---

١ ـ من مقدمة كتاب (انيس الموحّدين) للاستاذ حسن زادة الآملي.

٢ ـ كتاب (رنكارنگ) بالفارسية / ص١٢٨.

٩٤ حتىٰ كاد أنْ يُساء به الظَنّ !


السيد ابو الحسن الاصفهاني

قال لي آية اللّه السيد محمد الحسيني الميلاني (دام ظله) نقلاً عن المرحوم آية اللّه العظمىٰ السيد عبداللّه الشيرازي ﷺ :

ان شاباً من طلبة العلوم الدينية في النجف الأشرف جاء الىٰ المرجع الأعلىٰ السيد أبي الحسن الاصفهاني ﷺ وطلب منه مساعدةً ماليةً للزواج، فأمره السيد أن يأتيه بعد يوم ، وحصل أن فُجِع السيد بمقتل ولده السيد حسن حيث ذُبِح من الوريد الىٰ الوريد علىٰ يد مجرم خبيث حينما كان يصلي خلف والده . فبينما كان السيد الاصفهاني حاضراً في تشييع جنازة ولده العزيز لاحظ بعض الحاضرين بالقرب منه أنه يلتفت يساراً ويميناً وكأنه يبحث عن شخص ما ، ولما كثُرتْ نظرات السيد وكاد أولئك يظنّون أن السيد قد فقد توازنه في هذه المصيبة الاليمة واذا به رأىٰ الذي كان يبحث عنه فأشار اليه !

مَن ياتُرىٰ يكون هذا الذي أشار اليه السيد أن يأتيه ؟!

نعم انه الشاب الذي كان قد طلب منه مساعدةً للزواج ، فأعطاه السيد الاصفهاني ظرفاً فيه (٤٠) سكّة ذهبية ، فتعجب الحاضرون كيف لم ينس السيد وعده الانساني مع ذلك المحتاج قد ألمّتْ به تلك المصيبة ؟!.

٩٥ الفارسُ المُنقِذ

تشرّفتُ ـ مع بعض أصدقائي الطلبة البحرانيين ـ في حوزة النجف الأشرف بحضور دروس الأخلاق الخاصة عند المرجع الديني الورع سماحة آية اللّه العظمىٰ المرحوم السيد عبد الأعلىٰ السبزواري (أعلىٰ اللّه مقامه) .

وذات مرة ذكر لنا القصة التالية عن نفسه لما كان في الأربعين من عمره الشريف ، قائلاً :

لقد خرجنا مع قافلة الحاج السيد اسماعيل حبل المتين في حافلة (باص) من ايران، قاصدين حج بيت اللّه الحرام ، ولمّا دخلنا الأراضي الصحراوية للجزيرة العربية، ضلّ

السائق طريق مكة المكرّمة، واخذ يضرب يمنةً ويُسرة من دون جدوىٰ، حتىٰ نفد وقود محرّك السيارة (الماكنة) .. فنزلنا منها بحال يُرثىٰ لها، القينا النظر إلىٰ ما حولنا فلم نجد سوىٰ صحراء قاحلة، ولا اثر لذي حياة ولا دابّة ولا جادّة.

مضتْ ساعات ونفد الماء وانتهىٰ الطعام ايضاً، وأخذ أملنا في النجاة يضعف تدريجياً ويخمد .. إنها كانت لحظات في منتهىٰ الرعب وفي غاية من القساوة .. اذ كان شبح الموت يدنو الينا بخطاه الموحشة.

بعض ممدّد، قد سلّم امره الىٰ اللّه .. وبعض آخر منطو علىٰ نفسه يائس من الحياة وهو يفكر في اهله وماله الذي خلّفه في وطنه، وقام بعض منا يحفر قبراً لنفسه ليرقد فيه لدىٰ اللحظة الأخيرة.

يقول السيد السبزواري ﷺ : واما انا فأخذت في هذه الساعة ابحث عن نافذة للهروب منها الىٰ الحياة وانقاذ هؤلاء الأشخاص ايضاً. وليس هناك طريق سوىٰ الهروب الىٰ واهب الحياة وخالقنا القوي المتعال.

وبينما كنت اتأمل في هذه الحال واذا بي أتذكر القيام بصلاة جعفر الطيّار والتوسل بها الىٰ اللّه تعالىٰ.

اخذتُ سجادتي وابتعدتُ قليلاً، حتىٰ صرتُ لا ارىٰ أمامي أحداً يشغلني عن التوجّه الىٰ اللّه عز وجل.

والمعروف ان صلاة جعفر الطيار رغم انها ركعتان، الا انها طويلة من حيث الأدعية الخاصة بها، ولكنها مؤكّدة الاستجابة ان اجتمعتْ معها بقية شروط الاستجابة.

ولمّا أصبحتُ علىٰ وشك الانتهاء منها، سمعتُ أحد الركّاب يناديني : أسرعْ ياسيّد، تعال فاننا ننتظرك انت فقط !

نظرت الىٰ الوراء، فرأيت أصحابي كلهم جالسين في السيارة، مستعدّين للحركة.

جئت، فوجدتُ كل شيء جاهزاً، وماكنة السيارة تشتغل !

قلت : ماالذي حدث ؟

قالوا : إن فارساً جاء، فأطعمنا وأروانا، وأمر السائق بتشغيل السيارة، فاشتغلتْ كما ترىٰ، ثم اشار بيده الىٰ تلك الجهة، وقال : انها طريق مكة المكرمة، ولما اراد الرحيل قال نادوا السيد وبلّغوه سلامي !

وهكذا تحرّكنا على ذات الاتجاه المشار اليه فوصلنا الى مكة المكرمة سالمين . فسلام الله عليه وتحياته وصلواته روحي لتراب مقدمه الفدى .

إنه على ما يبدو كان سيّدي ومولاي الحجة بن الحسن المهدي (عجّل الله تعالى فرجه).

ذلك الفارس المنقذ، القائم من آل محمد الذي يملأ الارض قسطاً وعدلا بعد ان مُلئتْ ظلماً وجوراً، جعلنا الله وإياكم من انصاره الأوفياء والمستشهدين بين يديه .

٩٦ ألذّ طعامٍ ذُقتُهُ في حياتي !

يروي سماحة الشيخ النعماني (دام عزّه) والّذي ظلّ ملازماً للشهيد الصدر ﷺ حتّى يومه الأخير قائلاً : «من المواقف التي لا زالت تؤثّر في نفسي ولن انساها : هو انه بعد مضيّ مدة من الحجز قامت السلطة العميلة بقطع الماء والكهرباء والتلفون ، ومنعت دخول وخروج اي انسان الى بيت السيد حتى خادم السيد ، وقد نفدت المؤونة خلال فترة قصيرة، ولم يبق عندنا الاّ صندوق من الخبز اليابس التالف ، فبدأت عائلة السيد ترتب هذا الخبز اليابس كطعام شعبي (يعرفه العراقيون بالمثرودة) وبقينا مدّة على هذه الحال ، وفي يوم من الأيام كنت بخدمة السيد الشهيد ظهراً نتغدى في ساحة البرّاني ، لاحظ السيد الشهيد في وجهي التأثّر والتألّم ، اذ كان يعزّ عليّ ان ارى هذا الرجل العظيم على هذه الحال! فقال لي : والله ان ألذ طعام ذقته في حياتي هو هذا .

قلت كيف ؟

قال : لأنه في سبيل الله ومن اجل الله .. [1]

وفي الدعاء « اللهم بارك لنا في الخبز، ولا تفرق بيننا وبينه فلولا الخبز ما صمنا ولا صلينا ولا أدّينا فرائض ربّنا »[2].

٩٧ زاهدٌ في كُلِّ حال

لقد تبوّأ المرحوم آية الله العظمى السيد كاظم اليزدي ـ المتوفى سنة ١٣٣٧ هـ ـ ﷺ مقام المرجعية العليا للمسلمين الشيعة في العالم، ولكنه لم يغيّر بساطة عيشه، لأن الزهد

---

١ - كيهان العربي / العدد ٣٢٤١.　　　٢ - سفينة البحار (مادة / غ ب ز).

ليس وصفاً ظاهرياً لمثل هؤلاء المراجع الأتقياء، انه صفة امتزجتْ بهم روحاً وسلوكاً، فلما صار مرجعاً بقي كما كان طالباً يدرس العلوم الدينية، لم يتغير من حيث الزهد في شؤون الدنيا وعدم الالتذاذ بلذاتها المحلّلة.

وذات مرّة دخل عليه احد كبار علماء قم المقدسة وكان في غرفته الخاصة، فرأىٰ الىٰ جانبه قِدْراً عتيقاً، فسأله: ماهذا؟

اجابه السيد: انه القِدْر الذي كنتُ أطبخ فيه أيام كنتُ طالباً، والآن أضعه أمامي لكي أتذكر سالف أيامي، ولا انس ما كنتُ عليه!

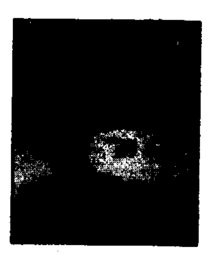
وحينما اراد أن يوصي، اختار اوصياء أربعة لتنفيذ الوصية من بعده، وهم العلامة الشيخ احمد كاشف الغطاء، والعلامة الشيخ محمد حسن كاشف الغطاء، والعلامة ميرزا محمود التبريزي، والعلامة الشيخ علي المازندراني، امرهم بتحويل ميزانية المرجعية المتكوّنة من خمس وزكاة وكفّارة ونذر وغيرها الىٰ المرجع الذي يتصدىٰ لشؤون المسلمين الشيعة من بعده.

وفي هذه الجلسة اقترح عليه احد احفاده بقوله: لا تنس الأيتام من اولادك، فحبّذا لو تعين لهم شيئاً من المال.

فردّ عليه السيد: ان احفادي ان كانوا متدينين فان اللّٰه تعالىٰ يرزقهم، وان لم يكونوا متدينين فكيف اعطيهم من مال ليس مالي؟[1]

وفي الحديث «ان اللّٰه يُعطي الدنيا على نيّة الآخرة، وأبىٰ أن يعطي الآخرة على نية الدنيا».

٩٨ عادوا وهم مهتدون


السيد محمد باقر الشفتي

اشتهر بعض العلماء بالبكاء الشديد حين الدعاء وعند استماعهم لمصائب اهل بيت النبي المظلومين عليهم السلام.

وكان السيد محمد باقر الشفتي ـ المتوفىٰ سنة ١٢٦٠ هـ رحمه الله واحداً من هؤلاء البكّائين.

حتىٰ قيل: ان القارىء الحسيني كان يمتنع من صعود المنبر

---

١ ـ بالفارسية مردان علم در ميدان عمل / ص٢٢٢ ـ

اذا كان السيد الشفتي جالساً، وذلك خوفاً من بكائه الشديد الذي كان يضعفه فيمرض بعده، سيما ان الأطباء كانوا قد منعوه من البكاء.

هذا ولهيبته في قلوب الناس وحبهم الشديد له حسده الحاكم فأعدّ أربعة من المرتزقة لقتله في الليل المظلم.

يقال إنهم نزلوا من فوق الجدار الىٰ ساحة المنزل بهدوء، واختفوا وراء الأشجار مع أسلحتهم فرأوا السيد جالساً علىٰ سجادة الصلاة تحت ضوء بسيط وأمامه كتاب يقرأ فيه الدعاء ودموعه علىٰ خديه جارية.

حاول احد المرتزقة ان ينفّذ الجريمة، فرفع بندقيته صوب صدره الشريف وهو من وراء الأشجار فارتعشتْ يداه من هيبة السيد، فكادت تسقط البندقية من يده، فتلقفها زميله، وكلما حاول هذا الثاني ان ينفّذ العملية، لم يستطع النظر الىٰ تلك الهيبة الربانية للسيد وهكذا أدّتْ الانعكاسات الروحية والقوىٰ المعنوية للسيد الىٰ هداية المرتزقة وتوبتهم الىٰ اللّه تعالىٰ، فعادوا وهم مهتدون.[1]

٩٩ مجنونٌ في الليل، عاقلٌ في النهار

نقل الحاج سليمان خان القاجار الذي كان حاكماً لمدينة (سبزوار) الايرانية، ان احد امراء اصفهان السابقين حكىٰ له القصة التالية: فرّت احدىٰ جواريّ من القصر والتجأت الىٰ بيت العالم الرباني السيد محمد باقر الشفتي. وبعد ايام ارسلها السيد الينا وبيدها رسالة يقول فيها السيد: «لأجلي تجاوز عن هذه الجارية ان كانت مذنبة، وارجو ان تنصحوا حراسكم وخدّامكم ان لا يؤذوها».

يقول الامير: سألت الجارية، ماذا رايت في بيت السيد هذه المدة؟

فقالت: انه مجنون في الليل، عاقل في النهار!

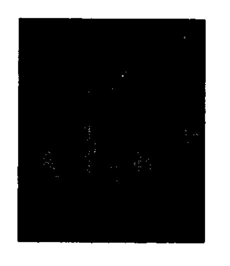
سألناها: كيف ذلك؟

قالت: في منتصف الليل يقوم في ساحة المنزل باكياً ومصلياً واحياناً كان يضرب على رأسه حين البكاء والمناجاة، وفي الصباح يلبس عمامته، ويضع عباءته علىٰ كتفه فتراه انساناً سوياً.[2]

---

١ ـ قصص العلماء / ص١٦٨.
٢ ـ نفس المصدر / ص١٢٧.

١٠٠ مِن أساليب التربية الروحية


الميرزا مهدي الشيرازي

إنّ الذي يتذكّر مصيره في القبر ويتصوّر أمامه حفرته التي سوف يرقد فيها يوماً شاء أم أبىٰ، ويتأمل في سفرته الطويلة الىٰ الآخرة حيث يتم فيها الحساب والكتاب والثواب والعقاب، يوم ينشر اللّه تعالىٰ صحائف أعمال العباد:

﴿ فَمَن يَعْمَل مِثقالَ ذرّةٍ خيراً يَرَه * ومَن يَعمل مِثقالَ ذرّةٍ شرّاً يَرَه ﴾ ان مثل هذا الانسان الذي يستحضر أمام نفسه سفرة الآخرة من القبر الىٰ الحشر ثم الجزاء ، فانه يصيغ نواياه وعمله في الدنيا وفق ما يرضي اللّه تعالىٰ بدقة ومراقبة ورصد ومحاسبة.

لذلك اتخذ العلماء الصلحاء اسلوب التذكّر بالموت وما بعده وسيلة لترويض انفسهم وتعميق التقوىٰ في قلوبهم ، عملاً بقول الامام علي عليه السلام : «اكثروا ذكر الموت فإنه هادم اللذّات».

من هؤلاء العلماء الصلحاء كان المرجع الديني الورع المرحوم آية اللّه العظمىٰ السيد ميرزا مهدي الشيرازي (اعلىٰ اللّه مقامه) . كان قد حفر لنفسه قبراً في ساحة منزله بكربلاء، وكفنه علىٰ سجادة صلاته دائماً .

فعندما كان يقوم بعد منتصف الليل ليؤدي صلاة الليل يلبس الكفن اولا، فينزل داخل القبر ويحدّث نفسه قائلاً : «يا ميرزا مهدي، إعتبرْ نفسك الآن ميتاً، وهذه حفرتك التي يدفنونك فيها شئت ام ابيت . قل لي من يفيدك هنا غير عملك الصالح !؟ فلم لا تستزيد منه، ولماذا تغفل عن مصيرك هذا، ولم لا تمهّد لرقدتك هذه ...» يردّد هكذا ويكرّر ويبكي، ثم يتلو الآية الشريفة :

﴿ حتىٰ إذا جاء أحدَهم الموتُ قال ربِّ إرجعونِ لعلّي أعمَل صالِحاً فيما تركتُ كلاّ إنّها كلمةٌ هو قائِلها ومِن ورائِهم برزخٌ الىٰ يومَ يُبعَثون ﴾[1] .

ثم يوبّخ نفسه قائلاً : اسكت، انك لا تستحق العودة الىٰ الحياة فقد ضيعت الفرص التي منحها اللّه إياك ، ولكنه يعود ويلتمس ويتعهد ان يعمل صالحاً فيقول لنفسه: « قم واخرج ،

---

١ ـ سورة المؤمنون / ٩٩.

لقد سمحنا لك هذه المرّة بالعودة ! واياك أنْ تعودَ الىٰ حفرتك وانتَ خالي اليدين من الباقيات الصالحات». وهكذا يقوم خارجاً من القبر مؤتزراً كفنه وهو يشكر اللّه علىٰ منحه فرصة الحياة ونعمة العودة لاكتساب الحسنات[1].

أجل مثل هذا الرجل هل يعصي اللّه تعالىٰ ؟! هيهات هيهات ..

١٠١ فإذا هو زاهق



المؤلف: في كينيا

سافرتُ للتبليغ الديني في شهر رمضان المبارك سنة (١٤٠٣) هـ إلىٰ كينيا ـ دولة في جنوب شرق القارة الافريقية ـ سمع بعض علماء أهل السنة في مدينة (مومباسا) ـ وهي من أهم المدن الكينية بعد العاصمة (نايروبي) ـ أن (عالماً شيعياً) قدم الىٰ المدينة، فبعثوا إلىٰ (بلال مسلم مشن) وهي تعني (جمعية بلال الاسلامية) ، اسسها المسلمون الشيعة المعروفون (بالخوجة) رسولاً يقول : انهم يريدون اللقاء بي من أجل الحوار حول موضوعين في غاية الأهمية :

١ ـ الامامة والخلافة .

٢ ـ الحرب العراقية ـ الايرانية .

فاستجبتُ لهم وانعقد اللقاء في ديوانية أحدهم، وكانوا أربعة، فبعد التحية والتعارف بدأنا النقاش الذي استغرق ستّ ساعات تقريباً، وأخيراً اقتنعوا بأن (الشيعة هم أهل السنة الواقعيّون) وأبدوا ارتياحهم لانكشاف حقيقة الحرب المفروضة علىٰ الجمهورية الاسلامية، حتىٰ صاروا يعلنون في مساجدهم وخطب الجمعة ان التشيّع مذهب اسلامي كالمذاهب الأربعة لدىٰ السنّة والجماعة، وقالوا للمصلّين : أن الكلام ضد المسلمين الشيعة ماهو الاّ اشاعات المغرضين واكاذيب يبثّها الذين يريدون تفريق الامة الواحدة، كما اعلنوا ان الجمهورية الاسلامية لم تكن معتدية علىٰ العراق، بل هي المعتدىٰ عليها .

هذا ولقد دعاني الشريف عبد الرحمن ـ واحد من علمائهم الافاضل الذي تبيّن فيما

---

١ - كتاب عن حياته بالفارسيّة.

بعد انه سيّد من سلالة الإمام زين العابدين عليه السلام ـ لإلقاء كلمة بعد خطبته في صلاة الجمعة وكانت كلمتي حول الوحدة الاسلامية، ولاقتْ تأييداً جيّداً من قبل المصلّين. ولإعجاب الشيخ بالموضوع طلب مني أن آخذ ولده إلىٰ الحوزة العلمية لدينا، وتعليمه علوم الشريعة الاسلامية، وبالفعل رافقَنا ولده ودرس عندنا فترة ثم عاد ولم يكمل دراسته لأسباب تعود إلىٰ ظروفه الخاصة في الهجرة.

وإثر هذه الدعوة دعاني أيضاً عالمان آخران من مسجدَيْن آخرَيْن، فلبّيتُ الدعوة وخطبتُ في جموع المصلّين حول أبعاد أخرىٰ لموضوع الوحدة بين المسلمين.

وقد ذكر لي بعض المؤمنين بعد فترة ان هذا الحوار واللقاءات التي تلتْه والكلمات التي القيتَها قد هدمتْ ما بناه المغرضون خلال سنوات.

ولقد لمستُ هذه الحقيقة في الكلمة الأخيرة التي القيتها في أهم واكبر مسجد في مومباسا بحضور عالمهم الكبير ـ الذي لا أتذكر الآن اسمه مع الأسف ولكني احتفظ بصور المحاضرة ـ إذ قام أحد المتضرِّرين النفعيين وسط خطابي ورمىٰ شتيمة ولم يستطع إكمالها حيث أشار العالم (ادام الله عزّه) فأخرجوه من المسجد ذليلاً.

وصدق الله تعالىٰ: ﴿ بَلْ نَقْذِفُ بالحق علىٰ الباطِلِ فَيَدْمَغُهُ فاذا هو زاهق ﴾[1].

١٠٢ مَن أنت في باطنك ؟

الانسان في باطنه إما ملائكي، وذلك إن سمع للحق أو عقل فيه، وإما بهيمي، وذلك اذا قرّر أن يقفل قلبه عن التفقه، ويعطّل عينه عن التبصّر، ويسدّ أذنه عن السماع الى نداء الفطرة، وفي هذه الحالة يكون كبهيمة الأنعام بل هو أضل سبيلاً. أوَ تدري لماذا ؟

لأنه غفل عن معرفة حقائق الكون كالدوابّ. ومن الحقيقة أن نعرف بأن أكثر الناس منذ أول التاريخ كانوا علىٰ هذه الشاكلة. قال الله تعالى: ﴿أم تحسب أنّ اكثرَهم يَسْمعون أو يَعْقِلون إنْ هُم إلّا كالأنعام بل هُم أضلُّ سبيلاً﴾.

تمعّن هنا في القصة التي نقلها لي العالم الجليل آية الله الحاج الشيخ ميرزا حسن علي مرواريد (دام ظله العالي) ـ وهو أحد اكبر الفقهاء في حوزة مشهد المقدسة ـ قال:

في بداية شبابي جاء بي العالم الورع الشيخ حسن علي الاصفهاني (المعروف

---

١ ـ سورة الأنبياء / ١٨.

بـنخودكي) الى مدرسة (فاضل خان) ـ وهي أوّل مدرسة دينية قد هـدمها رضـا خـان الظالم (أبو شاه ايران) ـ فطلب الشيخ من الحـاج الشـيخ زيـن العـابدين التـنكابني فـي المدرسة أن يشرف على دراستي، فأسكنني سماحته في حجرته هـناك وأولانـي شـديد الاهتمام.

كان للشيخ زين العـابدين أخ يـرتقي المـنبر وبـارع فـي حـفظ خـطب الامـام أمـير المؤمنين عليه السلام وإلقائها على الناس، اسمه الشيخ محمد حسن التنكابني.

اتذكر يوماً كان الشيخ عائداً من سفره الى (طبرستان) وهي المنطقة الشمالية من ايران فجاء استاذه آية اللّه العظمى الشيخ ميرزا مهدي الأصفهاني رحمه الله ـ والذي صرتُ فيما بعد من تلامذته الملازمين له ـ. وكنت جالساً معهم في الحجرة أستمع للأخبار التي كان ينقلها الشيخ عن سفره حتى بلغ كلامه عن جدّي المرحوم الحاج الشيخ حسن علي الطهرانـي (أعلى اللّه مقامه) وكان من زهّاد عصره الورعين. قال الشيخ التنكابني انه اُلتـقى بـأحد علماء (طبرستان) فأخبره ما يلي :

جئت ذات سفرة الى زيارة الامام الرضا عليه السلام، وبينما كنت واقفاً أمام الضريح الشريف أقرأ الزيارة اعترتني حالة مكاشفة مدهشة، فلانتْ قـدماي حـتى لم اسـتطع الوقـوف، جلستُ فـوراً وأنـا انـظر الى حـولي، فـإذا بأكـثر الزوّار الذيـن رأيـتهم هـناك اشكـالهم كالحيوانات! استوحشت بشدّة ولم استوعب الأمر، وفي الأثناء شعرتُ بكفّ وُضِع على كتفي وقال صاحبه بلسان العتاب والتنبيه : قم، فإن عليك العيش مع هذه الحيوانات!

قال هذه الكلمة ومشى، وأنا لا زلت لا أفهم ما يدور حولي، ولكني قمتُ خلف الرجل لأسأله من هو. الا انه سبقني وأخذ حذاءه من (كيشوانية الزاوية الشرقية للصحن الملاصق لمسجد گوهرشاد) وخرج، فما استطعتُ الا أن اسأل الكشواني عنه؟ فقال: انه آية اللّـه الحاج الشيخ حسن علي الطهراني. !!

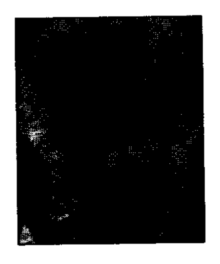
وصدق علي أمير المؤمنين عليه السلام : «فالصورة صورة إنسان والقلب قلب حيوان، لا يعرف باب الهدى فيتبعه ولا باب العمى فيصدّ عنه، وذلك ميت الأحياء»[1].

أقول : والآن هل أنت ملائكي في باطنك أم حيوان في صورة إنسان ؟! ونعوذ باللّه ان نحشر يوم القيامة في صورة بهائم وقردة وخنازير فيشملنا قول اللّه تعالى : ﴿واذا الوحوش حُشرتْ﴾.

---

١ - نهج البلاغة / خطبة / ٨٧.

١٠٣ نصيحة الدين


الميرزا القمي

ذهب العالم الربّاني الميرزا القمي ذات مرّة إلىٰ فتح علي شاه حاكم ايران آنذاك، يحمل اليه نصيحة الدين، فخاطب الشاه قائلاً: «أيها الشاه اعْدِلْ، فإني أخشىٰ علىٰ نفسي من نار جهنم، لقوله تعالىٰ ﴿ ولا تَركَنوا إلىٰ الّذين ظَلَموا فَتَمَسّكُم النّارُ﴾.

ومرة اخرىٰ، دخل عليه الميرزا واخذ بلحية الشاه الطويلة وقال له: «أيها الشاه لا ترتكب عملاً فتحترق هذه اللحية غداً يوم القيامة»[1].

وكان هذا العالم الشجاع كثير الاختلاط مع الشاه، وينطلق في ذلك من مبدأ النصيحة المباشرة وتسديد المسيرة السياسية لصالح الاسلام والمسلمين. وكانت وفاته سنة ١٢٣١ للهجرة ومدفنه في قم المقدسة مقبرة الشيخان.

١٠٤ علىٰ طريق الجمع لا التفريق

في سنة (١٤١٠هـ) كنت في العاصمة الدنماركية (كوبنهاجن) لأداء رسالة التبليغ الديني وعلاج آثار التعذيب التي ترافقني منذ خرجت من السجن سنة (١٤٠٠هـ) الهجرية وذلك بسبب كلمة حق أعلنتها في بلدي فوق المنابر.

الشيعة هناك يعيشون غربتيْن، غربة في الدين وغربة عن الوطن، وقد سعىٰ المؤمنون هناك جزاهم اللّه خيراً ان يجتمعوا لإحياء انفسهم بالمزيد من الاصرار علىٰ التدين، وذلك بتأسيس حسينيات ومراكز ونشريات اسلامية. الحق ان هذا الاصرار والنشاط زاد في المؤمنين هناك عندما جاء زميلنا العزيز والخطيب العالم فضيلة الشيخ عبد المجيد العصفور (دامت توفيقاته) الىٰ الدنمارك واخذ يتنقل من مجلس الىٰ مجلس ومن حسينية الىٰ حسينية ومن لقاء الىٰ لقاء في اوساط اللاجئين والمهاجرين المسلمين.

ثم جاء بعض العلماء الكرام، فاقترح جناب الشيخ العصفور مجلساً يضم هؤلاء الافاضل حرصاً علىٰ انجاح الانشطة بالتنسيق في العمل الديني والتوجيه الاسلامي،

---

١ ـ تاريخ قم / ص٢١٩.

وتفادياً من كل ازمة محتملة في زمن الفتن المحاطة بالمسلمين .

ولقد رحّب جميع الاخوة بهذا الاقتراح وكنّا خمسة ، وعقدت عدة اجتماعات مفيدة الاّ انها توقفت بسبب الأسفار التي حصلتْ لأحد الاعضاء، وتلكؤ واحد منهم في التفاعل .

مرّتْ سنتان، ودارتْ الايام، حتىٰ استقر بي المقام في جوار الامام الرضا عليه السلام، حيث كنت في لقاء مع احد كبار العلماء في بيتهْ، وكان عالم آخر في زيارته. فدار الكلام حول اخبار المسلمين في الدنمارك، فتكلم هذا العالم بخبر يدين فيه ذلك الزميل المتلكىء في الاجتماع والذي لم يكن متفقاً معنا تماماً !

ولكنني قاطعته فوراً، وبدأت اذكر ذلك الزميل بخير، واحاول أن ازيل الصورة السيئة المرسومة عنه في ذهن المتكلم !

لقد دافعت عنه، ونفيت ما اشيع حوله، حتىٰ استغرب المتكلم فقال : انت لستَ متفقاً معه، فهو من جماعة فلان، فكيف تدافع عنه بهذه الشدة ؟

قلت : اولا : انا لست مع التقسيمات والتكتّلات والمحسوبيات .

ثانياً : ان اختلافي معه في بعض وجهات النظر لا يدعو الىٰ البغضاء والقطيعة، فلا هو خارج عن الاسلام ولا انا .

ثالثاً : بيني وبين الله ارىٰ الذي تكلمت فيه ، شائعة بالفعل، فليس للكلام المشاع حوله اساس من الصواب .

فشكرني الأخ علىٰ هذا الموقف، وقال : انك ذو روحية وحدوية مرنة، واستطرد قائلاً: يشهد الله انني في سوريا، رأيته عند حرم السيدة زينب عليها السلام فلم اسلّم عليه لما في قلبي عليه من كره، مع أننا أصدقاء منذ سنوات، بينما انت جديد التعرف عليه هكذا تدافع عنه !

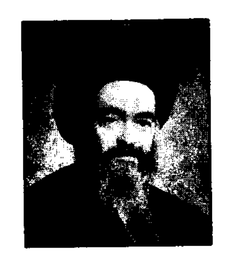
أقول : نعم ، لابد من تجاوز الأطر الضيقة في العلاقات الانسانية، والسير علىٰ درب المحبة، حتىٰ اذا لم تجد لتصرّف اخيك عذراً موجّهاً ، التمسْ له عذراً ، أليس الحديث الشريف يقول : «احمل فعل اخيك علىٰ سبعين محمل خير» .

ولو التزم كل الأطراف، او اكثرهم، وحتىٰ بعضهم بشكل متقابل هذه الطريقة، لخفّتْ واضمحلّتْ تدريجياً كل المشاكل او اكثرها ، وعندئذ تسود اصحاب وجهات النظر المتباينة من ابناء الدين والمذهب الواحد روح المحبّة التي تولّد فيهم سعة الصدر

والاحترام المتقابل والتعاون الجميل ، وهذا يؤدي بالتالي الىٰ وحدة حقيقيّة تنسف بواعث التفرقة .

اللّهم ارزقنا حبّ المؤمنين وبغّض الينا كرههم ، وجنّبنا الذريعة الشيطانية التي بها قد يبرّر الانسان لنفسه النيل من الآخرين ، وطهّر قلوبنا من كتمان الحق ومن نسيان المبادىء الاخلاقية في الاسلام .

١٠٥ يُعاقِبُهُم بالعَفْو عنهم !



السيد محمد الشيرازي

نقل لي الأخ الفاضل صادق (أبو حسن) ـ دام عزّه ـ وهو من أصدقائي الكرام : كنت جالساً عند المرجع الديني سماحة آية اللّه العظمىٰ الحاج السيد محمد الشيرازي (دام ظله العالي) بقم المقدسة اذ دخل عليه رجل وجلس بين يديه جلسة نادم معتذر وهو يقول: سيدي أُريدك أن تعفو عني وتبرأ ذمتي .

فقال له السيد ـ من دون أن يسأله عما صدر منه اتجاهه ـ لقد عفوتُ عنك وبرّأت ذمّتك.

فقال الرجل بغرابة : سيدي أنا ممّن أفرط في الكلام عليك سنين طويلة وأسرف في غيبتك أينما جلس وقام .

قال له السيد : وأنا عفوتُ عنك من أعماق قلبي ، وعفوتُ عن كل من استمع اليك ونشر ضدّي ، وعفوتُ عن السابقين الذين اغتابوني ، وعن الحاضرين وايضاً اللاحقين الذين يأتون بعدي.

أقول : وهذا الموقف عظيم لايقدر عليه الاّ من مارس العظمة في حياته ونظر الىٰ الاهداف العالية من بعد حياته ، وهل نتعلّم هذه الدروس من عظمائنا بالعفو عن المسيئين الينا ؟!

ونعم ما قاله الشاعر :

مَن رافَقَ الرفْقَ في كلِ الأمور فَلَمْ ... يَنْدَم عليهِ ولا يَذْمُمْهُ إنسانُ

١٠٦ شعارُهم .. فاز المُخفّون

امرأتان مؤمنتان من مدينة (بمبي الهندية) شاهدتا الوضع المعيشي للمحدث التقي الشيخ عباس القمي ﷺ ، فتقدمتا اليه باقتراح مساعدته شهرياً بمبلغ قدره (٧٥ ـ روبية هندية) . فلم يقبل الشيخ ! فاعترض احد ابنائه فأجابه والده قائلاً : اسكت يابنيّ، إنني لا أعلم كيف اجيب علىٰ سؤال اللّه تعالىٰ يوم القيامة وسؤال الامام الحجة عليه السلام اذا سألني عمّا اصرفه عليكم الآن من المال، فكيف اثقل ظهري بمال آخر ؟! ربّي لك الشكر، الحمد للّه علىٰ القناعة، لسنا بحاجة الىٰ زيادة[1].

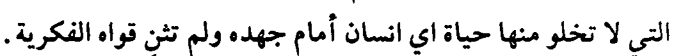
الشيخ عباس القمي

أجل ، هؤلاء الرجال لم يخلقوا لطلب المال، وان شعارهم (فاز المخفّون) والشاعر يقول : وذو القناعةِ راضٍ في معيشتِه وصاحبُ الحِرْصِ إنْ أثرىٰ فغضبانُ

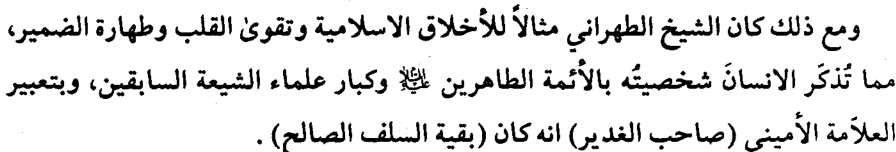
١٠٧ بقيّة السَلَف الصالح

السعي المتواصل، والعمل الدؤوب، مما عُرف به الشيخ آغا بزرگ الطهراني صاحب المؤلفات الكبيرة كالذريعة الىٰ تصانيف الشيعة وغيرها ... كان الشيخ طويل العكوف علىٰ تحقيقاته العلمية ومتابعاته لمصادر الفكر والتاريخ الاسلامي لأجل تأليفاته الموسوعية . ولم تصمد الحوادث والمشاكل التي لا تخلو منها حياة اي انسان أمام جهده ولم تثنِ قواه الفكرية .

آغا بزرگ الطهراني



ومع ذلك كان الشيخ الطهراني مثالاً للأخلاق الاسلامية وتقوىٰ القلب وطهارة الضمير، مما تُذكّر الانسانَ شخصيتُه بالأئمة الطاهرين ﷺ وكبار علماء الشيعة السابقين، وبتعبير العلاّمة الأميني (صاحب الغدير) انه كان (بقية السلف الصالح) .



ومع كثرة انشغالاته الدراسية العريضة، وبحوثه العلمية كان مواظباً علىٰ عباداته والنوافل الاستحبابية ، ولم يكن يغفل عن تهذيب نفسه وترويضها .

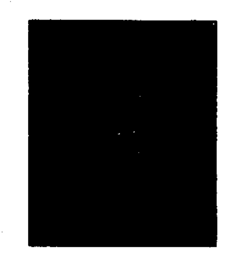
---

١ - مجلة (نور علم) الصادرة في قم / العدد ـ ٢ ـ الدورة الثانية/ ص١٢٣.

فكان يمشي كل ليلة اربعاء على الأقدام من النجف الأشرف الى مسجد (السهلة) مسافة عشر كيلومترات، ليعبد اللّه تعالى هناك ويدعوه ويناجيه، واصل هذه العبادة الى ان تجاوز عمره الثمانين سنة .

وفي عام (١٣٦٤) الهجري تشرّف بحجّ بيت اللّه الحرام، فجمع بين النشاط العلمي والعمل العبادي فيه، اذ التقى بجمع من علماء الاسلام من مصر والحجاز وسوريا وفي مكة والمدينة والقاهرة وحاور علماء السنة فاستأنسوا لسعة اطلاعه في الاحاديث النبوية الشريفة[1].

١٠٨ جِدالٌ بالّتي هي أحسن


السيد هاشم القزويني

كان آية اللّه السيد هاشم القزويني الموسوي - المتوفى سنة ١٩٠٩ م تقريباً - من اكابر مراجع الدين في كربلاء المقدسة، كان يدير الحوزة العلمية، ويعطي الاهتمام الأكبر بالأخلاق السامية في تربية الطلبة وطريقة التدريس ومعالجة القضايا الاجتماعية .

فممّا ينقل عنه ﵀ انه كان يصلي الجماعة في صحن سيدنا العباس ﵇ ويؤم الناس في كل اوقات الصلاة ، وقد أُخبر ذات يوم ان هناك (جهاز گرامافون) قد جُلبَ الى كربلاء المقدسة ووضع في مقهى من المقاهي في منطقة (الميدان) وتبثّ منه الأغاني والموسيقى ويجتمع الناس للاستماع اليها ، ويمتلىء المكان في الميدان للتفرج على الجهاز والاستمتاع بالغناء ، فتأثر السيد تأثراً شديداً ولكنه فكّر بطريقة اخلاقية سامية لمعالجة هذه المشكلة، فما كان منه إلاّ أن أمر بأن تُنقل سجادات الصلاة الطويلة (والتي كانت تُفرش في الصحن الشريف على شكل صفوف للمصلين) الى (الميدان) وتُفرش هناك .

وأُعلن في يومه أن الصلاة قد انتقلتْ من الصحن الشريف الى (الميدان) وأسرع الناس يتساءلون عن الخبر ؟ وكانت العادة يومئذ ان يستعدّ الناس للصلاة ويحضروا الى الصحن الشريف قبل وقتها ، فلما وجدوا أن الفرش غير موجود وهناك من يعلن أن الصلاة تقام هذا اليوم في (الميدان) بادروا جميعاً الى الحضور في الميدان ، فلما آن وقت الصلاة وبدأ

---

١ - كتاب عن حياة الشيخ آغا بزرگ الطهراني باللغة الفارسية تأليف الشيخ الحكيمي / ص٨.

المؤذّن بالأذان حضر السيد القزويني الجليل في هيبة ووقار وتقدم للصلاة والناس يأتمون في خشوع وما أن أتمّ الصلاة حتىٰ صعد المنبر الذي كان قد أُعِدَّ مسبقاً وبدأ بما يناسب من ذكر اللّه سبحانه وتجليله وتهليله وتكبيره والثناء عليه وتذكير الناس بعظمة اللّه وشدّة سطواته إذا غضب، ثم ذكر نبي الاسلام العظيم محمدﷺ وما قدّم من التضحيات في سبيل إعلاء كلمة اللّه ونشر الفضيلة في العالَم وانه ﷺ قدّم أُسرته وأهل بيته عليهم السلام قرابين في هذا السبيل حتىٰ تقوم دولة الاسلام وتُرسىٰ دعائمه في الأرض، وكان من أعظم قرابينهﷺ التي قدّمها بعد حياته الطاهرة الكريمة هو (الحسينِ بن علي عليهما السلام) والذي نتشرّف نحن بشرف مجاورة قبره الطاهر هنا في كربلاء في هذه الأرض المقدسة التي ذكر اللّه سبحانه لأنبيائه الكرام مأساة كربلاء قبل وقوعها بآلاف السنين ، وأضاف السيد قائلاً : إنكم لتعلمون بأن أنبياء اللّه الكرام قد بكوا لمصاب الحسين عليه السلام واحداً تلو آخر حتىٰ جاء دور نبيّنا العظيم محمد ﷺ حيث انه تسلّم حفنة من تراب كربلاء بواسطة جبرئيل وشمَّها وبكىٰ بكاءً شديداً وأوصىٰ الىٰ زوجته أمّ سلمة أن تحتفظ به في (قارورة) وترك لها علامة وهي تغيُّر لون التراب الىٰ (لون الدم) عندما يقتل الحسين عليه السلام وهكذا كان ، وقد نقل التاريخ هذه الرواية بصدق ودقة .

وهنا التفت آية اللّه القزويني الىٰ المصلين وقال لهم : ان كل بقعة من هذه الأرض التي نقف عليها كانت مسرحاً للمعركة الدامية التي جرت يوم عاشوراء ، واننا لو تطلعنا الىٰ هذه الأرض وفحصناها لوجدنا تحتها وفي كل شبر قطرات من دم الحسين الشهيد أو اخوته او ابنائه أو اصحابه الذين قُتلوا معه .

أيها السادة : لا تظنوا ان دماء الحسين واصحابه واهله قد أُريقتْ في منطقة الحرم الشريف فحسب بل انها اريقت علىٰ جميع ارض كربلاء طولاً وعرضاً ، فهل يجدر بنا بدل البكاء والنحيب (اسوة برسول اللّه ﷺ واهل بيته) والتضرع الىٰ اللّه سبحانه بالدعاء والتقرب اليه، ان ترتفع اصوات الغناء والموسيقىٰ وانغام الشياطين من فوق هذا التراب المقدّس وبأيدي المدّعين حبَّهم وولاءهم ؟؟

وهنا أنهمر الناس بالبكاء والنحيب لمدة طويلة ثم بدأ السيد القزويني صلاة النوافل والاستعداد للصلاة التالية والناس في بكاء ونحيب شديدين ، وما كان من صاحب المقهىٰ إلاّ ان تقدم الىٰ السيد للاعتذار عمّا بدر منه والاستغفار من اللّه سبحانه ، وتمّ إخراج ذلك الجهاز من كربلاء ...

وقد روىٰ هذه القصة بعض الشَيَبَ الذين ادركتهم[1] والذي نقل لي هـذه القـصة هـو الحاج ابراهيم غفوري الصائغ ﵀ الذي أضاف قائلاً : ان مدينة كربلاء لم يُسمع فيها غناء بعد ذلك في اي مكان وبصورة علنية طوال حياة السيد هاشم القزويني الموسوي .

وهكذا عالج السيد ﵀ قضية أخلاقية واجتماعية بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بأروع صورة، دون التعرض العنيف لشخص أو إهانة جماعة، وذلك امـتثالا لأمـر اللّـه سبحانه وتعالىٰ ﴿ وجادِلْهُم بالّتي هي أحسن ﴾ وتمشّياً مع سلوك جدّه المـصطفىٰ ﷺ حيث قال : (إنما بُعثت لأتمّمَ مكارم الأخلاق) .

١٠٩ الأخلاقُ أوّلاً ثمّ العلْم

وكتب لنا الاستاذ السيد محمد رضا القزويني (حفظه اللّه): أن جدّه آية اللّـه السـيد هاشم الموسوي القزويني (أعلىٰ اللّـه مـقامه) ، كـان فـي حـوزة كـربلاء العـلمية يـلقي محاضراته الفقهية علىٰ طلبته، فلاحظ ذات مرّة أن المناقشات العلمية الحُرّة التـي هـي الطريقة المتداولة في الحوزات العلمية لدىٰ علماء الشيعة قد خرجتْ عن جادّة الأخلاق والآداب الاسلامية ودخلتْ في الجدليات والمـراء الذي لا يـليق بـطلبة العـلوم الديـنية الاتصاف به .

لذلك قرّر استبدال محاضراته العلمية في الفقه الاسلامي إلىٰ محاضرات في الأخلاق الإسلامية قائلاً : ان الأخلاق أساس العلم، ولا نفع للعلم من دون الأخلاق .

فألزم طلبته في دروس الأخلاق فترة من الزمن، وكان لهذه الدروس الأخـلاقية أثـراً عظيماً في تربية وتهذيب نفوس الطلبة الذين أصبحوا فيما بعد علماء دين . وبـعد ذلك عاود السيد القزويني ﵀ دروسه الفقهية ومحاضراته العلمية . فهل يعتمد بعض الأساتذة هذا الأسلوب مبدءاً في التدريس العلمي ؟ ذلك ما نرجوه دائماً. نعم للأخـلاق اولاً ثـم العلم .

الشيخ مكارم الشيرازي

١١٠ لقاءٌ مع المَكارِم

آية اللّه العظمىٰ الحاج الشيخ ناصر مكارم الشيرازي (دام

---

١ ـ الكلام لحفيده الاستاذ السيد محمد رضا محمد صادق الموسوي القزويني (دام عزه) ـ.

ظله العالي) ، واحد من أبرز مراجع الدين المتنوّرين في الحياة العملية وهو كذلك ذو طاقة علمية جبّارة ، قد شهدتْ المكتبات العربية وغيرها مؤلّفاته القيّمة فضلاً عن المكتبات الفارسية ، ولعلّ أهمّ تلك المؤلّفات (الأمثل في تفسير كتاب اللّه المنزَل) مطبوع في لبنان في عشرين مجلّداً ، وكتاب (أنوار الفقاهة) في مجلّدين حتىٰ الآن ، وكتاب (أنوار الأصول) ثلاثة مجلّدات وكتاب (القواعد الفقهية) في مجلّدين وكتاب (تعليقات علىٰ العروة الوثقىٰ) مجلّد واحد وقد حاز كتابه (فيلسوف نماها) يعني (أشباه الفلاسفة) الجائزة العلمية الاولىٰ في ايران قبل ٤٢ عاماً، وكتابه الآخر (جلوهٔ حق) يعني (جلاء الحق) الذي قال عنه أستاذه المرجع الراحل السيد البروجردي : «اني قرأته كله فما عثرت فيه على نقطة ضعف واحدة، شكر اللّه مساعيكم» وغير ذلك تتجاوز مؤلفاته الخمسين كتاباً . ماعدا بحثه في الفقه الاستدلالي الذي يحضره في قاعة مدرسته (أمير المؤمنين) في حوزة قم مايقارب من ألف طالب .

ولقد عرفتُ سماحة الشيخ من خلال مطالعاتي في كتاباته الهادية قبل وبعد الثورة الاسلامية ، وفي لقاءاتي المتكرّرة به جلبتْ انتباهي دقّته في النظم والانضباط وتوزيع الأعمال في أوقاتها المعيّنة بالاستفادة من الكوادر المحيطة به والامكانيات الحديثة .

سألت ولده الأخ الكريم مسعود (دام عزّه) عمّا يودّ ذكره لنا من قصص وخواطر حول شخصية والده المكرَّم ، فقال : انه يوصينا دائماً والعاملين معه بثلاث خصال :

١ ـ الإخلاص للّه تعالىٰ .

٢ ـ النظم في امور الحياة .

٣ ـ الجهد المتواصل حتىٰ إنجاز الشيء .

ولكي يلزمنا بهذه الصفات يسبقنا في الالتزام بها شخصياً ، فعلىٰ سبيل المثال كان قبل تصدّيه لمهام المرجعية الدينية يخرج بنا الىٰ الاستراحة في منتزه بعض بساتين القرىٰ في بعض أيام العُطَل ، فاذا حان الوقت الذي تمّ اتفاقنا عليه للذهاب أَمَرَنا بالحركة حتىٰ ولولم يكتمل العدد ولم يحضر الجميع ، ممّا يدفعنا في المرّات الآتية أن لاننس الانضباط ونتلف الوقت ونخالف وصاياه التربوية ، ذلك مع العلم أن الذهاب الىٰ النزهة لايستدعي كثيراً هذا الانضباط الدقيق ، حيث فيها فسحةٌ من الوقت وتراخٍ من الشدّ .

وتجدر الإشارة هنا الىٰ نوع من تواضع الشيخ الوالد انه بعد وصوله للمرجعية ورغم

انشغالاته الكثيرة يأبىٰ اذا ذهبنا الىٰ البستان إلاّ أن يقوم بالطبخ وتحضير الطعام كما كانت سيرته من قبل .

وأما عن تواضعه وشعبيّته مع الناس فلقد عقدنا قبل أيام مجالس تعزية بمناسبة ذكرىٰ استشهاد الصدّيقة فاطمة الزهراء سيدة نساء العالمين عليها السلام فبالتشاور مع فضيلة الشيخ سرمدي (من العاملين في المكتب) فرشنا قطعة قماش أبيض مقدار متر واحد في المجلس ليكون محلّ جلوس الوالد متميّزاً عن محلّ عموم الناس الواردين . ولكنّه لما علم نهرنا بشدّة وأمرنا بتجميع القماش وهو يقول :

تريدون إشعار الناس بأني متميّز منهم ، تريدون أن تفصلوني عنهم ، ماهذه التصرّفات ؟!

ومما يكشف لك عن مدىٰ اخلاص سماحة الشيخ ومقدار اهتمامه بشؤون الناس ـ كما رأيته خلال جلوسي عنده بعض الوقت ـ انه ما دخل عليه أحد إلاّ خرج راضياً ، وذلك إما بإنجاز ماجاء لأجله ، وإما بإقناعه السبب في عدم الإنجاز . وهذه صفة تنبئك عن الحكمة والرشد في هذه الشخصية المرجعية ، كثّر اللّه في الامة أمثاله .

١١١ أنا الشريعة الاسلامية الشريفة !

جاء في كتاب (جنتان مدهامتان) للعالم الرباني المرحوم النهاوندي ﷺ انه سمع من اوثق مشايخه أن المرحوم آية اللّه السيد محمد باقر الشفتي الاصفهاني (من كبار علماء اصفهان) عندما خرج لزيارة العتبات المقدّسة، مرّ في طريقه علىٰ قرية (كمرة) فاحتاج الىٰ استحمام ، لكنه علم بأن القرية ليس فيها حمام اصلاً ، فسأل عن بيت (عالم القرية)؟!

أخذوه الىٰ بيت (العالم) ، فدخل عليه واذا به جالس بهيبة العلماء الأكابر!

والسيد الشفتي الاصفهاني، رغم كونه من اكبر العلماء وله فضل كبير وشأن عظيم بين الناس في المدينة ، ورغم انه لم يستطع ان يجمع رجليه حين الجلوس بسبب آلام في ركبتيه، الا انه تواضع وتجشّم المشقّة، فجلس مؤدّباً مقابل (عالم القرية) وسأله : « في هذه القرية ، ماهي مهمة سماحتكم » .

فأجابه (عالم القرية) : أنا الشريعة الاسلامية الشريفة لكمرة (اسم القرية) !

بهذا الجواب فهم السيد الاصفهاني مستوىٰ الرجل وحماقته الذاتية ! فلم يجد السيد

داعياً الىٰ الضغط علىٰ ركبتيه تأدّباً، فمدّ رجليه ، ثم سأل الرجل : لماذا لا يوجد حمام في هذه القرية ؟ اجابه الرجل : لا حاجة لذلك في قريتنا !

فقال السيد بتعجب : «ألا يجنب أحد من اهل هذه القرية» ؟!

قال الرجل : «بلىٰ يجنبون، فبالنسبة الىٰ الذي يجنب عن حلال فهو لا يحتاج الىٰ الغسل، والذي يجنب عن حرام، فاللّه يعمي عينيه، فليذهب الىٰ النهر ويغتسل فيه»!! [١].

١١٢ كنتُ ذاهباً وراء الكمال

كان احد العلماء ملمّاً ببعض اللغات الأجنبية، ومتخصِّصاً في فقه اللغة ولهجاتها ولكنه كان دميم المنظر كريه الوجه !

وذات مرة اراد الشاه ناصر الدين القاجار ان يلاطفه، فقال له : «اين كنت يوم كان اللّه يقسّم الجمال بين العباد» ؟!

فأجابه العالم ببداهة : «كنتُ ذاهباً وراء الكمال» !

فأكرمه الشاه بهدايا سخية بسبب هذه الاجابة الحكيمة والبداهة الظريفة.[٢]

١١٣ العِمامَةُ والمُعَمَّمون

قلت في مقدّمة الكتاب إنّ الّذين يلبسون العمامة علىٰ أصناف وأجناس ، منهم الأصيل ومنهم الدّخيل ، أمّا الأصيل والّذي أعني به صاحب نيّة صالحة فهو علىٰ درجات من حيث العلم والأخلاق والسلوك ، وعلىٰ أشكالٍ من حيث الهندام والاهتمام بمظهره وملبسه، وأمّا الدّخيل فهو كذلك علىٰ درجات وأشكال ، فبعضهم لبس هذا الزّي الشريف ليُخفي تحته مهمّته (التجسّسيّة) لدولة فاسدة مثلاً ، وبعضهم اتّخذه مصدر رزقٍ ومصالح مادّيّة ، وبعضهم كان معقّداً نفسيّاً وفاشلاً في المجتمع أو عاطلاً عن العمل فاستقرّ هواه أن يأوي إلىٰ الحوزات العلميّة حيث السكن والراتب البسيط وإمكانيّة الهروب من المسؤوليّة، وهذا لايشمل الطالب الّذي يلتحق بالحوزة بنيّة صالحة ليتغلّب علىٰ مشاكله النفسيّة والاجتماعيّة ذلك لأنّ الحوزات الدينية هي مراكز للتربية والتكامل .

هذه الحقيقة والتي هي ناتجة عن فقدان إدارة واعية للحوزات تؤلم المراجع وعلماء

---

١ ـ رنگارنگ (بالفارسية) / ج١ ـ ص٢٨١ .

٢ ـ نفس المصدر /ج١ ـ ص٣٥٤ .

الدين الصالحين لأنّها مصدر تصدّعات وانتكاسات وهدم جهود المؤمنين . بهذه الأسطر مهّدت للقصّة التالية : كنت في نهاية صلاتي في حرم الإمام الرضا عليه السلام حينما رأيت أمامي مزوِّراً يقرأ الزيارة لزائر شاب ، وكان المزوِّر يلبسُ عمامةً بيضاء محوّلةً إلىٰ اللون الرمادي لشدّة وساختها ، وهو يلتفت يُمنةً ويسرة وينظر إلىٰ الشاب حيناً وإلىٰ مَن حوله حيناً !

انتهيت من الصلاة وأخذت أراقب الموقف :

أوّلا .. كانت ملابسه باليةً ووساختها طافحةً وريحةُ نتانتها تصلني من مسافةِ مترين، وجسمه كذلك .

ثانياً .. لا يُجيد القراءة ، مضافاً إلىٰ مشكلته في التنفّس بحيث تتقطّع الكلمات في فمه قبل أن تصل إلىٰ سمع الزائر ، ويقترن ذلك بشخيرٍ يشبه شَخير النائم او هرير الكلب أو هدير الرعد ، حتّىٰ تذكّرت في حينه الآية الشريفة ﴿ إنَّ أنكرَ الأصواتِ لَصوتُ الحَمِير ﴾، وهذا كله كان يسبّب ضحكَ الزّائر عليه بدل استماعه ، وبكلمةٍ واحدة كان الموقف أقربُ إلىٰ مهزلةٍ من كونه زيارة لحجّة اللّه في الأرض وفرصة للتدبر في معاني القربة الى اللّه تعالىٰ .

ثالثاً .. بعد ماانتهىٰ من قراءته أخرج الزائر أوراقاً نقديّة فيها من ألف تومان إلىٰ عشرة، أراد أن يُعطيَه ما لا يزيد عن عشرين تومان ، فبينما كان يبحث عن ذلك وإذا المزوِّر يمدّ يده فمسكَ ورقة منها (ربماكانت ألف تومان) ، فضرب الزائر علىٰ يده ونهره بشدّة ثمّ رمىٰ عليه عشرين تومان وذهب غاضباً .

انتهىٰ الموقف وكاد صبري ينتهي معه ، ولكنّي اكتفيت بنظرة غضبٍ إلىٰ وجه المزوِّر ومشيت عنه .

وبعد أقلّ من أسبوع رأيته في نفس المكان ولكنّه هذه المرّة بعمامة سوداء وهي عندنا رمز السّيادة والاتّصال النسبي برسول اللّه صلى الله عليه وآله فتذكّرت الحديث النبويّ الشريف (لعن اللّه الدّاخل فينا والخارج منّا) .

فقلت له : هل أنتَ سيّد ؟

قال : نعم أنا سيّد يشهد اللّه ذلك ...

فأخذ يدافع من دون أن أكون قد قلت له شيئاً ، فقاطعتُه قائلاً : إنّك في الاسبوع الماضي كنتَ بعمامةٍ بيضاء ؟!

سكتَ لحظةً ثمَّ قال أنا سيّد يشهد لي العالم (الفلاني) ولكنَّ خدّام الحرم يرفضون سيادتي .

تركته وذهبت إلىٰ أقرب خادمٍ للحرم فكلّمته في الموضوع ، أرشدني إلىٰ مسؤولٍ هناك. دخلت عليه وذكرت له الموقفين من هذا المزوِّر وأنّه يسيءُ إلىٰ سمعة العلماء والمعمّمين الصّالحين من ناحية ، ويسبّب المهازل عند الزوّار من ناحية أخرىٰ ، ويشوّه الدّين ومفاهيم الزيارة من ناحية ثالثة . فلماذا لا تعالجون الموقف مع هؤلاء المزوّرين ؟

قال : منذ زمان نحن متورِّطون مع هذه النماذج الفاسدة من المزوّرين ، كلّما نرميهم خارج الحرم يعودون ثانية ، ليس لدينا حلٌّ ، فإذا كان لديك اقتراحٌ نستفيد ، فأعطاني ورقةً وقلماً . وأنا كتبت ما يلي : إنَّ المزوّرين على ثلاثة أنواع فيهم صالحون ، وفيهم فقراء ومساكين ، وفيهم طالحون:

١ - ألْبِسوا الصالحين منهم زيّاً خاصاً غير العمامة كما في العتبات المقدّسة في العراق، وذلك لكي لا يختلط الأمر علىٰ الزوّار فيحسبون كلَّ معمّم في الحرم شغله أن يزوّر ليمدّوا إليه (كروة)!

٢ - والفقراء منهم يتمّ إرشادهم ومساعدتهم لينضمّوا إلىٰ الصالحين أو يبحثوا لأنفسهم عن مهنة أخرىٰ .

٣ - أما الطالحون منهم فيُرْمَوْنَ خارج الحرم ولكن بالّتي هي أحسن ، وإن عادوا يتمّ حبسهم حتّىٰ يتوبوا، وفترة الحبس تُعطىٰ لعوائلهم مساعدات علىٰ قدر حاجتهم من ميزانية الحرم الشريف إن كانوا فقراء.

وأخيراً وهو الأهمّ فإنَّ المستفاد من قصص المراجع والعلماء السابقين (رحمهم اللّه) إنهم فوق اهتمامهم بتربية طلاّبهم العلمية كانوا يهتمون أيضاً بتربيتهم السلوكيّة وتهذيب آدابهم الاجتماعيّة . وأمّا اليوم يظهر أنّ أكثر الاهتمام مصبوب في الجوانب العلميّة والدراسيّة وهذا ينذر بخطر فادح ومشاكل فعلية ومستقبليّةٍ خطيرة . فلو كان كلُّ مدرّس في الحوزة قبل إلقائه الدّرس علىٰ طلاّبه يحدّثهم عن النظافة في الإسلام مثلاً وكيف كان رسول اللّه يتعطّر ويخرج وكيف كان مشيه وابتسامته وطريقة جلوسه وما أشبه ذلك لَساهم في تربية ذوي النوايا الصالحة من الطلاّب واستطاع أن يعرف المعاند المتعمّدَ منهم في الإساءة إلىٰ سمعة المعمّمين ، فيُفصله عن حلقة درسه إن لم تنفعه نصيحة السرّ. ويمكن الوصول إلىٰ هذا الهدف التربوي أيضاً عبرَ الجهة التي تدفع رواتب الطّلبة، فالّذي يسيء

هندامه إلى الجَمْع ويوجِب شكلُه مهزلةً في الشارع وإهانةً لزيّ العلماء يُمنَع عنه الرّاتب حتّىٰ يعتدل . هذا بالإضافة إلىٰ الاهتمام بإحياء الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في الأوساط الحوزويّة علىٰ صعيد الواجبات وكذلك الآداب الاستحبابيّة الّتي بإخلالها تتضرّر سمعة الجميع ، وبذلك ينتفي المبرّر الذي يعتمده مرضىٰ القلوب لإهانة علماء الدين والمعمَّمين الصالحين .

١١٤ مُجتهدٌ أم لا ؟

ذات مرة سألوا آية اللّه السيد محمد المجاهد ـ المتوفىٰ سنة ١٢٤٢ هـ ـ عن احد كبار العلماء اسمه السيد محمد باقر، هل هو مجتهد ام لا ؟

فأجابهم : اسألوا السيد محمد باقر، هل انا مجتهد أم لا ؟ اما هو فشأنه اجلّ واكبر من ان اشهد انا باجتهاده ؟! [١]

حقاً ان السيد المجاهد كان مجاهداً لهواه وقامعاً للحسد الذي يأكل الايمان كما تأكل النار الحطب، فياليت بعض الناس في هذا الزمان يتعلم الجهاد الاكبر من هذا المجاهد الكبير ؟!

١١٥ هل أنت ممّن يأخذ الخمس ؟

اذا كنتَ كذلك تأمّل في هذه القصة وقرّر على نفسك المزيد من الورع والاحتياط .

نقل لي مَن أثق به أن أرملة مؤمنة ، كبيرة في السنّ ، كانت تزاول الحياكة وتتقوّت بما تدّر عليها وتعيّش نفسها منها، جاءت الى آية اللّه العظمىٰ الحاج السيد حجت ﷺ في قم المقدسة ، وقدّمت بين يدي السيد خمس مالها وأخذت تنظر في وجهه بدقّة !

فاستغرب السيد من تصرّفها !!!

سألها لِمَ تفعلي هكذا ؟

فأجابتْ كي تظلّ مصوّراً في فكري وخالداً في ضميري ، فحينما يسألني ربّي يوم القيامة بيد مَن أعطيت خمسي ، فأقول : أعطيتُه بيد هذا السيد !

فأجهش السيد حجّت بالبكاء ، وشكرها على هذا الدرس والتذكير .

---

١ ـ نفس المصدر .

١١٦ صبراً على قضائك يارب

السيد حسن الاصفهاني

المرجعية لدى الشيعة تعني التصدّي لجميع شؤون المسلمين قدر المستطاع، ولايعذر المرجع الديني الأعلى في مسؤوليته العظيمة هذه إلّا بعد إفراغ جهده وبذل وسعه في متابعة مايحيط بالمسلمين من تطورات ثقافية وسياسية وغيرهما، ثم يبسط ظله الشرعي وحضوره الميداني . كان المرحوم آية اللّه العظمى السيد أبو الحسن الاصفهاني ﷺ مصداقاً لهذا المفهوم المرجعي ، فلم يجلس بمعزل عن امور المسلمين مكتفياً بـ (رسالة عملية) ووكلاء يجمعون له الأموال، وأكثرهم غير واعين لأهم موارد صرفها . كالمشاريع الاساسية التي تعود بالنفع الاكبر الى الاسلام والمسلمين .

فقد كانت تجبى للسيد الأصفهاني أموال طائلة من اقاصي البلاد وأدناها ولم يبلغ احد في عصره ما بلغه في ذلك حتى بلغت نفقاته في كل شهر عشرين الى ثلاثين الف دينار عراقي (وكان هذا المبلغ بقدرته الشرائية في ذلك الوقت يوازي ملايين الدنانير في عصرنا الحاضر) فكان ينفقها في وجوهها الشرعية ويوزّعها على الفقراء وطلاب العلم ومن تلزم مصانعتهم وتأليف قلوبهم خدمة للدين وشعائره .

وينقل في هذا الإطار، مما يكشف عن عظمة روحه المعنوية انه قد ابتلي بقتل ولده وفلذة كبده ابنه السيد حسن الذي كان من أهل العلم والفضل والنجابة وساعد والده في شؤون المرجعية، قتله في اواخر سنة ١٣٤٨ هجرية رجل كان قد طلب من والده زيادة على حقه مما يأخذه من أموال الفقراء وطلبة العلم فحملته نفسه الشريرة على الانتقام من السيد الاصفهاني بقتل ولده الفاضل ومُعينه في اموره ، فأخذ سكيناً وشحذها وجاء اليه وهو يؤدي التعقيبات بعد ما صلّى صلاة المغرب خلف والده في الصحن العلوي الشريف وكان الصحن مملوءاً عن آخره بالمصلين خلف والده ، فذبحه ذبح الشاة على غرة مِن أمر الجميع ، وفرّ الى مخفر للشرطة قريب من باب الصحن خوفاً من ان يقتل ويقطع ارباً ارباً من قبل الجمهور الغاضب ، فحُكِمَ عليه بالسجن لأن السيد الأصفهاني عفى عنه بوصفه صاحب الدم ، فسلم من عقوبة الإعدام، إنها كانت فاجعة عظمية نادرة المثيل ، ورثاه جماعة وعزّوا به والده بقصائد .

غير ان هذه الفاجعة التي المّت بالجميع وأثارت الحسرات والآهات وفجّرتْ كوامن السخط والغضب والنفور تجاه المجرم الآثم قد زادت من شعبية ومكانة السيد الأصفهاني بسبب تصرفه الحكيم الذي يشبه تصرف الأنبياء والأولياء وهو عفوه عن قاتل ابنه وفلذة كبده والتغاضي عن كل حق له وحتىٰ انه كان يساعد قاتل ابنه مالياً وهو في السجن.

لقد برهن السيد الأصفهاني بحلمه وصبره وكظم غيضه انه جدير بان يكون نائباً للإمام ومرجعاً للأنام، وعندما توفي ليلة الثلاثاء التاسع من ذي الحجة سنة ١٣٦٥ في مدينة الكاظمية عن عمر يناهز الثمانين شُيّع جثمانه تشييعاً عظيماً لم يسبق له مثيل[1].

١١٧ مِن أجل وحدة المسلمين

منَ المعروف ان مدينة سامراء تسكنُها اكثريّةٌ مُسلمة سنّية، وفي هذه المدينة يُوجد مرقدُ الإمامين علي الهادي والحسن العسكري عليهما السلام ومكان غيبة الامام المهدي المنتظر عليه السلام، ومن هذه الناحية تُعتبر سامراء مدينة مقدسة جداً بالنسبة الىٰ المسلمين الشيعة الذين يسافرون اليها جماعات وفرادىٰ لزيارة العتبات المقدسة فيها، ولهذا فهي مُلتقىٰ السنة والشيعة كليهما، وفي الماضي حينما كانت الانتماءات المذهبية والطائفية علىٰ أشدّها الىٰ حدّ انها كانت تتخذ طابع التحدّي كان يحصل بعض المناوشات والنزاعات بين الفريقين.

وعندما نقل آية اللّه العظمىٰ السيد الميرزا محمد حسن الشيرازي حوزة درسه وسدة رئاسته الدينية الىٰ مدينة سامراء حاول بكل جهد الوقوف ضدَّ أي عمل او قول قد يُثير حفيظةَ السُنّة علىٰ الشيعة او بالعكس بل سعىٰ الىٰ ان تسود روح السلم والوئام والتعايش الودّي بين الفريقين، اما اذا ما وقع شيءٌ ينبأ عن تصادم فانه كان يبادر علىٰ الفور الىٰ تطويقه وحلّه بالحسنىٰ، لأنه كان يعلم جيداً ان القوىٰ الأجنبية الطامعة تتربص وتتحين الفرص لاستغلال اي نزاع او تصارع بين الطوائف الاسلامية في تحقيق غاياتها الاستعمارية ولفرض هيمنتها علىٰ المسلمين جميعاً، ومن هنا كان يحرص علىٰ وحدة الكلمة الاسلامية.

وفي هذا الصدد نقل حفيدةُ العلامة المحقق المفضال السيد رضي الشيرازي - نزيل

---

١ - اسرة المجدّد الشيرازي / ص٦٧.

طهران ـ حكايات عن بعض تصرفاته التي تُنبيء عن حكمته وتبصّره وحرصه علىٰ صون روح الوئام بين المسلمين .

قال : عندما شرع السيد الميرزا الشيرازي ببناء مدرسته الدينية العلمية الكبرىٰ في مدينة سامراء وهي من جملة المنشآت التي اقامها في هذه المدينة خلال سنوات اقامته فيها، تشجّع المسلمون السُنّة بدورهم لبناء مدرسة دينية لعلمائهم، ولكنهم لم يتمكنوا من إتمام بناءها نظراً لأنهم كانوا يفتقدون المالَ اللازم لها ولم يكن أمامَهم من حيلة سوىٰ الرجوع الىٰ السيد الشيرازي لطلب مساعدة مالية منه، وعندما التمسوا منه مثل هذه المساعدة قام علىٰ الفور بتلبية طلبهم وزوّدَهم بمنحةٍ مالية سخيّة، وكانت هذه اللفتة الكريمة منه عاملاً من عوامل الانسجام والوئام بين سكان المدينة .[1]

١١٨ إنّه اُستاذي وأنا تِلميذُه

السيد صادق الشيرازي

حينما وافق سماحة العلاّمة آية اللّه السيد صادق الشيرازي (دام ظله) علىٰ إجراء عملية القلب في مستشفىٰ الشهيد رجائي بطهران عام (١٤١٥هـ) قال له مازحاً سماحة السيد عباس المدرسي (حفظه اللّه) ـ وهو ابن اخته المكرَّمة ـ: ألا تستخير لهذا الأمر الخطير ، انها عملية لربما انتقلتَ بها الىٰ دار الآخرة وأنت لازالت الحاجة اليك في الدنيا كبيرة .

فرّد السيد بابتسامته التي ماسقطتْ من وجهه رغم كل الشدائد في حياته : مادام الطبيب شخّص ضرورة إجراء هذه العملية فلاحاجة للاستخارة ، انما احتاج الىٰ دعاء المؤمنين ، ثم ان هذا الطريق ـ يعني الموت ـ قد سلكه ملايين الملايين من قبلي ويسلكه ملايين الملايين من بعدي فلماذا الخوف !؟

هذا ولقد خرج سماحته من العملية بسلام والحمد للّه علىٰ ذلك .

وأضاف إليّ السيد المدرسي ان السيد صادق هذا كان في مصيبة وفاة والده المرجع الميرزا مهدي الشيرازي أكثر إخوانه صبراً وأقواهم تجلُّداً في عام (١٣٨٠هـ) .

هذا ولقد ذهبتُ الىٰ عيادته وطلبت منه تزويدنا من قصصه وخواطره ، فأبىٰ الاّ أن

---

١ ـ نفس المصدر / ص ٤٠ .

يذكر غيره بالخير ، ورغم سقمه وصعوبة قيامه أبىٰ حين التوديع الاّ أن يشايعني حتىٰ الباب . والمعروف عنه (دام ظله) أخلاقه الفاضلة وسجاياه الكريمة . فكل من نظر إليه جذبتْه ابتساماته ووقاره ، وقد ربّتْ دروسه في الأخلاق الكثير من طلبة العلوم الدينية ، ويعود تأثيره الكبير فيهم في الدرجة الاولىٰ الىٰ تجسيده لأقواله ومواعظه ، فهو بحق نبلٌ في الاخلاق العملية المتحركة .

يمكنك معرفة قبس من هذه الشخصية الاخلاقية والعلمية (المجهولة) خلال القصة التالية التي نقلها لي أحد طلبته الذي رافقه الىٰ عيادة عالِم كبيرٍ من علماء قم المقدسة ، يقول دار في المجلس بحث علمي عميق جداً فتكلم الحاضرون وتكلم السيد صادق الشيرازي فأشبع البحث دقةً علميةً رائعة فنال رضىٰ الحاضرين ، فسأله العالِم المضيف: هل أخوكم (آية اللّه العظمىٰ) السيد محمد الشيرازي هكذا في علميته أيضاً ؟

فأجابه السيد بتواضع وأدب : انه استاذي وأنا تلميذه .

١١٩ الشيخ عبّاس القُمّي في سطور

يعتبر كتابه «مفاتيح الجنان» اشهر الكتب في الادعية والزيارات ، حتىٰ لا تجد بيتاً من بيوت المؤمنين او مسجداً من المساجد او حرماً من العتبات المقدسة في البلاد الاسلامية خالياً من القرآن الكريم وهذا الكتاب القيّم الجامع لحديث الانسان مع اللّه عزّ وجل من لسان اهل البيت عليهم السلام الدالّين الىٰ اللّه، والهادين الىٰ صراطه المستقيم .

كان المرحوم الشيخ عباس القمي شديد الاهتمام بالمطالعة والكتابة . يقول الأستاذ الشهيد آية اللّه المطهري نقلاً عن ابن المرحوم : انه قال له : «في اول طفولتي عندما كنت اخرج من المدينة برفقة والدي المرحوم (الشيخ عباس) ، اراه منذ الصباح الىٰ الليل يكتب ويقرأ»

ويقال انه ذات مرة سافر الىٰ الشام مع جمع من المؤمنين ، ونقلوا انهم لما كانوا يخرجون للنزهة والاستراحة، كان يعتذر اليهم الشيخ فيجلس مع كتابه وقلمه . وفي الليل عندما كانوا يستريحون كان الشيخ يواصل قراءته وكتابته الىٰ منتصف الليل .

كان رحمه الله انيس الجالسين ، وكثير المطايبة، شديد التواضع لكل من يلتقيه في الطريق او المدرسة، وخاصة العلماء المهتمين بدراسة احاديث اهل البيت عليهم السلام ، ومن اخلاقه انه كان

يتجنب الجلوس في صدر المجالس، ولم يتقدم علىٰ غيره حين الدخول اليها ، ولايتكلم عن نفسه ويمدحها لئلاً يأخذه العُجْب والغرور.

وبالرغم من سعة علمه بالتاريخ والأحاديث كان يقرأ علىٰ المنبر الروايات للمستمعين من الكتاب مباشرة وكذلك القراءة الحسينية ، خوفاً من الخطأ وخشيةً من وقوع التحريف لأقوال الأئمة الطاهرين .

ولأن كلامه كان يخرج من قلبه للناس كان ينفذ في قلوبهم ، فيترك كلامه أثراً بليغاً فيهم، ويستمر هذا الأثر يحجزهم عن السيئات فترة، ويجذبهم نحو عبادة اللّه واكتساب الحسنات .

وكان المرحوم المحدّث القمي ملتزماً بصلاة الليل وتلاوة القرآن العظيم وقراءة الأدعية والأذكار المأثورة عن ائمة اهل البيت عليهم السلام .

وكان من صفاته الجميلة اكرامه لذرية النبي صلى الله عليه وآله عملاً بقول رسول اللّه: (اكرموا اولادي). فالسادة عنده كانوا محترمين اشدّ الاحترام.[1]

١٢٠ نِعْمَ العُلماء ونِعْمَ المُلوك

سافر المرجع المجدّد آية اللّه العظمىٰ المرحوم السيد محمد حسن الشيرازي الىٰ حج بيت اللّه الحرام سنة (١٢٨٧) الهجرية وذلك في عصر الملك عبد اللّه الحسني فعندما وصل الديار المقدسة، حلّ في دار موسىٰ البغدادي الذي بادر الىٰ اطلاع الملك الحسني بوصول مرجع المسلمين الشيعة، فعيّن موعداً للقاء ، وعندما وافاه الرسول من جانب الملك يخبره بموعد اللقاء، قرأ المجدّد الشيرازي الحديث النبوي الشريف : «اذا رايتم العلماء علىٰ ابواب الملوك، فقولوا بئس العلماء وبئس الملوك، واذا رأيتم الملوك علىٰ ابواب العلماء، فقولوا نعم العلماء ونعم الملوك» . فلما اوصل المبعوث جواب المرجع المجدّد الىٰ الملك، قام الملك بزيارة آية اللّه العظمىٰ الشيرازي في محل اقامته.[2]

---

١ ـ مجلة (نور علم) الصادرة في قم المقدسة ـ العدد الثاني الدورة الثانية .
٢ ـ اسرة المجدد الشيرازي / ص (٢٢).

١٢١ مِن كرامات الأولياء

قيل : ان شخصاً من خراسان قدم مع عائلته لزيارة العتبات المقدسة في العراق، فَسُرِقَ ماله في الطريق . جَهَد كثيراً حتىٰ وصل الىٰ مدينة سامراء وتشرّف بلقاء المرجع المجدّد آية اللّه العظمىٰ السيد محمد حسن الشيرازي ﷺ ، فأعطاه السيد مبلغاً من المال لينفقه علىٰ نفسه وعائلته، ثم قال له : «اذهب الىٰ كربلاء، فسوف تجد شخصاً في الحضرة الحسينية يعطيك مائة تومان مرسلة اليك من ابنك في ايران» !

فتعجب الزائر الخراساني من هذا التنبّؤ ، وتردّد في قلبه هل السيد صادقٌ فيه !

ولما ذهب الىٰ كربلاء، شاهد في الحائر الحسيني شخصاً من اهل خراسان يبحث عنه، فسلّم عليه وقال : منذ ايام وأنا اسأل عنك ، لأعطيك وديعة من ابنك، فأعطاها له، واذا بداخل الظرف مائة تومان ! كما اخبره بها السيد الشيرازي في سامراء، وهنا تسمّر الزائر الخراساني في مكانه وايقن ان للسيد كرامات الاولياء»[1].

١٢٢ موقف و دعاء

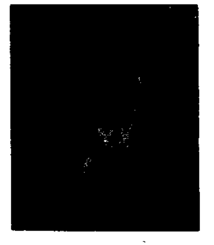
يقال: ان المرحوم الحاج ملا احمد النراقي احد كبار علماء مدينة كاشان (الايرانية) طَرَدَ والي الشاه خارج المدينة وذلك بسبب ظلمه للناس وفساده فيها.

فأحضر الشاه الملا احمد النراقي وحذّره من التدخل في الامور السياسية للبلاد، وكان الشاه غاضباً عليه بشدة بسبب طرده للوالي، فما كان من المرحوم النراقي الا ان رفع يديه الىٰ السماء بحضور الشاه الطاغي وقال : «الهي ان هذا الشاه الظالم سلّط علىٰ الناس والياً ظالماً مثله، وانا دفعت الظلم عن عبادك، والآن غضب الشاه عليّ ...» وهمّ المرحوم الحاج النراقي بان يواصل الدعاء ويطلب العذاب للشاه فأسرع الشاه وانزل يد الحاج، واعتذر منه كثيراً، ثم خوّله امراً بتعيين والياً صالحاً علىٰ مدينة كاشان»[2].

---

١ ـ نفس المصدر / ص٢٥.　　٢ ـ قصص العلماء / ص١٣٠.

١٢٣ زُهْدُه كزهدِ سيّدنا ...


الشيخ مرتضى الأنصاري

قرّرت حكومة (نجيب باشا) في العراق ان تمنع ورود الأسلحة الىٰ كربلاء والنجف إلّا للعسكر وكان الزوار الذين يحملون معهم اسلحة لدفع الأخطار عن انفسهم في الصحاري والبراري، يأخذونها منهم عند مدخل المدينة، ولدىٰ عودتهم يعيدونها اليهم.

فاستغل هذا الوضع احد مناوئي مرجع الشيعة آية اللّه العظمىٰ الشيخ مرتضىٰ الانصاري‌ؒ فوشىٰ به عند الحاكم نجيب باشا، بأن الشيخ يخزن في بيته اسلحة كثيرة!

فأرسل الحاكم فرقة من الجنود، فهجموا علىٰ بيت الشيخ الانصاري من غير استئذان وفتشوا زواياه وخفاياه كلّها فلم يجدوا هناك سوىٰ وسادة بالية ولحافاً قديماً من صناعة بروجرد (مدينة ايرانية) وبعض الأواني النحاسية كالإبريق والقدر، بالاضافة الىٰ كتب الشيخ ومؤلفاته.

فاستغرب رئيس الفرقة وكان متعصباً ضد الشيعة فعاد الىٰ الحاكم يخبره بأن المعلومات الواردة كانت كاذبة، وانه رجل في غاية الزهد والبساطة الدنيوية وان زهده كزهد (سيدنا عمر)! فلما بلغ الشيخ الأنصاري كلام رئيس الفرقة للحاكم، ضحك الشيخ وعلّق «الحمد للّه، لقد ترقّينا حتىٰ اصبحنا نشبه الخليفة عمر بن الخطاب في زهده»![١]

١٢٤ الشيطانُ يَنهزِم

قال احد كبار العلماء من تلامذة الشيخ مرتضىٰ الأنصاري. رأيت في المنام شخصاً يشبه الشيطان وعلىٰ كتفه مجموعة حبال!

سألته: من أنت؟

قال: أنا الشيطان.

وسألته: الىٰ اين ذاهب انت أيها الشيطان وما هذه الحبال؟

قال: أبحث عمّن أقلّدها في عنقه، فأجرّه اليّ.

---

١ ـ نفس المصدر.

قلت : فما هذا الحبل المقطّع ؟

قال : لقد حاولت بالأمس ان اجرّ به الشيخ الأنصاري، حتىٰ اخرجتُه من حجرته الىٰ نصف الطريق ولكنه قطعه وعاد الىٰ البيت !

يقول العالم : عندما استيقظت، تشرفتُ بزيارة الشيخ ونقلت له رؤياي هذه .

فقال الشيخ : نعم كاد الملعون بالأمس يخدعني، لأني كنت احتاج الىٰ مبلغ بسيط من المال (ما يعادل درهماً) اذ لم يكن لدي شيء للعيال، فقلت في نفسي : اقترض من مال المسلمين الموجود بيدي واسدّ به حاجتي الآن، ثم اسدّد القرضة فيما بعد . فأخذت منه وانا متردد في ذلك، خرجت من الحجرة الىٰ الطريق وانا افكر في المسألة، وفجأة، قررتُ إرجاع المال، فعدت به الىٰ محله سريعاً ![1]

هذا ولقد سمعت احد الخطباء يقول ان الحبل المقطوع كان أمتن الحبال التي يحملها الشيطان. وليس هذا الا للتمثيل والتعبير عن شدة ورع الشيخ.

١٢٥ وإلىٰ اللّٰه المُشتكىٰ



السيد حسن الشيرازي

في شهر رمضان المبارك من سنة (١٤٠٣ هـ) سافرت الىٰ كينيا للتبليغ الديني .. وهي بلدة تقع في جنوب شرقي افريقيا، يقطنها مهاجرون من شيعة الهند المعروفين بالخوجة كنت علىٰ مائدة الافطار في بيت احد المؤمنين (الخوجة) اذ عرّفني صاحب البيت علىٰ حاجٍ وقور، لطيف الكلام، طيب النفس، عليه سيماء الصالحين، قال : انه ملتزم كل عام بحج بيت اللّٰه الحرام منذ ثلاثة عشر عاماً .

فسررت بلقائه، ودفعني ذلك الىٰ أن اسأله : «ماهي أول خاطرة لك في اول عام ذهبتَ فيه الىٰ الحج» .

اجاب الرجل : « قبل ثلاثة عشر عاماً ـ يعني سنة (١٣٩٠ هـ ـ ١٩٧٠ م) ـ كنتُ أطوف حول الكعبة المشرَّفة، واذا وقعتْ عيني علىٰ طائف بجانبي عليه آثار الأولياء، منقطع عن الناس الذين حوله بالخشوع الى اللّٰه، وكانت دموعه تقطر علىٰ خده وتختفي بين محاسن لحيته التي كان يتخللها بعض الشيب، وكان وجهه يشعّ نوراً، يتمتم ذكراً بصوت يسمعه

---

١ ـ نفس المصدر .

قلبه النابض بحب اللّه، لقد أعجبتني هيبته الربانية حتىٰ تابعته وانا اتأمل في حاله، ولفت انتباهي من خلال ملابس إحرامه بعض آثار الجروح والحروق علىٰ جسمه .

فلما اتمّ طوافه، لحقته وسلّمت عليه مقبّلاً جبهته .. فقال : من اين ؟ قلت : من كينيا . قال: خوجه ؟ قلت : نعم . فسألني عن اسمي واخبار المسلمين والشيعة في كينيا . قلت : من انت؟ قال : سيد حسن الشيرازي . قلت : عالم دين ؟ قال : خادم الدين . قلت : ماهذه الآثار علىٰ جسمك ايها السيد ؟ قال : انها آثار التعذيب في سجن البعثيين بالعراق . ثم تكلم عن الظلم الواقع علىٰ الشيعة والعلماء في العراق . وعند الوداع علّمني دعاءً ، قال: اقرأه في كل صلاة .

يضيف الحاج وها انا لا زلتُ مواظباً على قراءته منذ ذلك اليوم الىٰ الآن كما اوصاني به ذلك السيد الجليل .. والدعاء الشريف هو :

«اللهم إنّا نرغب اليك في دولة كريمة تعزّ بها الاسلام واهله وتذلّ بها النفاق واهله وتجعلنا فيها من الدعاة الىٰ طاعتك والقادة الىٰ سبيلك وترزقنا بها كرامة الدنيا والآخرة وصلّي اللّهم علىٰ محمّد وآله الطاهرين» .

وعاد الرجل الحاج يسألني : اين هو السيد حسن الشيرازي الآن ؟ هل تعرف عنه شيئاً ؟

قلت : الذين عذبوه قتلوه بثلاث عشرة رصاصة افرغوها في رأسه الشريف سنة (١٩٨٠م) في لبنان .

ولا ادري هل أصغىٰ الحاج الىٰ مؤخرة هذا الخبر المؤلم ، ام حزنه العميق وتألّمه الكبير لهذا الخبر المفجع قطع عليه الاصغاء الىٰ بقية الخبر ، والىٰ اللّه المشتكىٰ .

١٢٦ حقاً .. إنّها لَمُعجزةُ الحسين عليه السلام

قال المرجع الشهير المرحوم آية اللّه العظمىٰ السيد البروجردي رحمه الله : لما كنت في بروجرد (مدينة بإيران) كنتُ أعاني من ألمٍ شديدٍ في عيني ، فراجعت الأطباء ولكنهم يأسوا من علاجي، ففي ايام عاشوراء حيثُ كانت العادة ان تأتي بعض مواكب العزاء الىٰ بيتنا، جلست ابكي في المجلس الحسيني وكانت عيني تؤلمني بشدة وبينما كنتُ في تلك الحالة اذ خطر ببالي أن أمسّ التراب الذي كان علىٰ وجوه واجسام المعزّين وأمسحه بعيني علّها تبرأ .

ففعلتُ ذلك دون أن يلتفت اليّ أحد هناك، وما أن مسحتُ به علىٰ عيني حتىٰ شعرتُ

بتخفيف الألم، واخذتْ عيناي تتماثلان الىٰ الشفاء شيئاً فشيئاً حتىٰ زال الألم تماماً ولم يعد إلىٰ اليوم، بل صرتُ أرىٰ بجلاء افضل دون الحاجة الىٰ النظّارة .

هذا والغريب ان المرحوم البروجردي ﷺ لما بلغ من العمر التاسعة والثمانين، قام بعض الأطباء الاخصائيين بفحص عينيه ، فلم يجدوا فيهما ضعفاً، حتىٰ قالوا : إن الأعراف الطبية تقتضي ضعف عين الانسان في هذا العمر، فكيف بإنسان أنهك عينه طوال هذه السنوات في القراءة والكتابة، وكان يعاني ضعفاً وألماً في عينيه سابقاً. إنها ليستْ الاّ معجزة الحسين عليه السلام[1].

١٢٧ كتابةٌ قَبْل المَوت !

نقل المرحوم المحدّث السيد نعمة اللّه الجزائري قائلاً : تشرّفتُ بزيارة المرحوم السيد علي خان وكان من اعاظم العلماء الصالحين، فرأيتُ الشيب قد علا كريمته كلها، فسألته : لم لا تخضبها ؟

قال : أردت كتابة تفسير للقرآن الحكيم، فاستخرتُ اللّه تعالىٰ بكتابته، فظهرتْ الآية الشريفة : ﴿ وإنّ له عندَنا لَزُلفىٰ وحُسْنُ مآب ﴾[2] .

فعلمتُ أن أجلي قريب، فبدأتُ بكتابة تفسير موجز للقرآن، وتركتُ الخضاب، كي ألاقي اللّه تعالىٰ بلحية بيضاء .

وهكذا حصل ، فبعد عام واحد انتقل السيد الىٰ رحمة اللّه الواسعة .[3]

«اذا هبّت رياحك فاغتنمها ... فعقبىٰ كل خافقة سكون
ولا تغفل عن الإحسان فيها ... ولا تدري السكون متى يكون»

١٢٨ الغنيُّ الزّاهِد

كانتْ للعالم السخي السيد علي خان ﷺ مزارع وعقارات ، فكان يقسّم محاصيلها وعوائدها إلىٰ الأقسام التالية : قسم للزكاة، وكان يرمز في دفتره إلىٰ هذا القسم بحرف (ز) وقسم للصدقة ويرمز إليه بحرف (ق) وقسم لصلة الأرحام والأقارب، ويرمز إليها بحرف (ع).

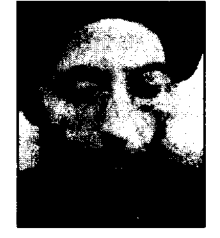
---

١ ـ بالفارسية (پندهاى جاويدان) ص٦١.
٢ ـ سورة ص / ٤٠.
٣ ـ الفوائد الرضوية / ص٢٩١.

والزائد علىٰ هذه الاقسام الثلاثة ، كان يوزعه علىٰ الواردين عليه من الشعراء ، ولم يكن أهل السنة بمعزل عن عطائه هذا .

وكان ﷺ يُؤْثِر علىٰ نفسه الفقراء من المؤمنين ولم يجمع من مال الدنيا ابداً، واذا زاد علىٰ موارد الحاجة شيء من المال اخذ يقول : « ياربّ لا تجعلني من الذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل اللّه » . فرغم امتلاكه لهذه الثروات ومكانته بين الناس، كان زاهداً في ملبسه ومأكله وكان يُضرَبُ به المثل في عبادته وصلاته وصيامه وسائر أعماله المستحبة، وتلاوته للقرآن ليالي الجمعة[1] .

١٢٩ فَبَهَتَ الذي عَمِي


السيد محسن الحكيم

من الثابت ان القرآن الكريم فيه آيات محكمات وأُخَرُ متشابهات ، والمتشابه تعني انها لا يؤخذ منطوقها اللفظي وما ظهر من معناه الظاهري بل يراجع الانسان فيه أهل الذكر والراسخين في العلم. فمثلاً إنّ قوله تعالىٰ عن احوال يوم القيامة: ﴿ وجوهٌ يومئذٍ ناضِرة * الىٰ ربِّها ناظِرة ﴾[2] .

لا تعني ان الوجوه ، سوف تنظر الىٰ اللّه في ذلك اليوم ، كما اعتقده بعض المسلمين من المذاهب الاخرىٰ !

فالوجوه الىٰ (رحمة) ربها ناظرة يوم القيامة، وليست الىٰ ذات اللّه سبحانه، اذ هو ليس بجسم ابداً ليُرىٰ . ومثل هذه الآية قوله تعالىٰ : ﴿ وجاءَ ربُّك والمَلَكُ صفاً صفاً ﴾ لا يعني مجيء الربّ سبحانه والملائكة علىٰ هيئة الأجسام الماديّة أبداً . فقد قال اللّه تعالى عن نفسه : ﴿ وليسَ كمثلِه شيء ﴾ .

بهذه المناسبة قيل ان الامام السيد محسن الحكيم ﷺ لما ورد الىٰ حج بيت اللّه الحرام جاءه شيخ ضرير (معروف) ممن يعتقد بظاهر القرآن الحكيم ولا يؤمن بتأويل الآيات التي لايستقيم تفسيرها الا بذلك، فبعد مجاملات ودّية بين الطرفين، فتح الشيخ الضرير بحثاً حول هذا الموضوع !

فدار بين الشيخ والامام الحكيم نقاش علمي جيّد، وهو هل يجب الاقتصار والجمود

---

١ ـ منتخب التواريخ / ص٦٨٢ .   ٢ ـ سورة القيامة / ٢٢ ـ ٢٣ .

علىٰ ظاهر الالفاظ القرآنية، أم أن لها باطناً لا يفهمه الا المتدبِّر العاقل ومن يتمسك بنهج اهل بيت الرسول محمد ﷺ ؟

أصرّ الشيخ (الأعمىٰ) علىٰ رأيه بعدم جواز التأويل، وان الالفاظ القرآنية هي ما نفهمه بظاهرها، فاللّه تعالىٰ ـ حسب رأي الشيخ ـ سوف يُرىٰ بالعين يوم القيامة (ونحن نقول نعوذ باللّه، تعالىٰ عمّا يصفون).

ولما رآه الامام الحكيم ﷺ متعصباً على رأيه ما كان منه إلاّ ان يقول للشيخ الاعمىٰ : اذا كان ظاهر اللفظ ولا غير اذن ما قولك في الآية الشريفة ﴿ مَنْ كان في هذهِ أعمىٰ فهو في الآخِرةِ أعمىٰ وأضلُّ سَبيلاً ﴾ ! [١]

فسكت الشيخ ولم ينطق بكلمة ! وهكذا بهت الذي عمي ![٢]

وهنا كلمة رائعة من نبينا الأمين محمد بن عبداللّه ﷺ : « ليس الأعمىٰ من يَعمىٰ بصره، انما الأعمى من تعمىٰ بصيرته »[٣].

١٣٠ مِن أشرفِ الهَدايا

كان (عمر باشا) ـ حاكم بغداد القديم ـ، يضطهد المسلمين الشيعة، ويجعجع بزوّار مرقد الامام الحسين سيد الشهداء عليه السلام ويؤذيهم، وكان له والٍ علىٰ منطقة معروفة في العراق باسم (الهندية) واسم الوالي هو (يعقوب افندي) ، لقد كان هذا الوالي يتألم لبشاعة الظلم والافراط في اضطهاد الشيعة، لذلك تأثر قلبه وانحاز الىٰ التعاطف مع هؤلاء المظلومين.

ففكّر ماذا يستطيع ان يقدّمه من خدمة لهم ، وأخيراً توصل الىٰ فكرة، وهي ان يطلب من عالم الشيعة الكبير ان ينصح (عمر باشا) لعله يتعظ ويرفع الظلم والاذىٰ عن الشيعة، اقترح ذلك علىٰ الشيخ ملاّ دربندي ﷺ فوافق علىٰ الفكرة وذهب الىٰ قصر الحاكم.

يقول الشيخ : دخلت ولم يكن الحاكم موجوداً، فجلست مع نائبه وهو مدير مكتبه ايضاً.

قلت له : جئتك لأهدي اليك اشرف الهدايا !

---

١ ـ سورة الاسراء / ٧٢.

٢ ـ هذه القصة نقلها لي أحد كبار العلماء في النجف الاشرف ولا اذكر اسمه الآن.

٣ ـ كنز العمال / ج١ ـ ص ٢٤٣.

قال : وما هو ؟

قلت : قل لي ما هو افضل كتب الحديث عندكم ؟

قال : كتاب صحيح البخاري .

فذكرتُ له نبذة عن حياة الامام البخاري وسعة اطلاعه في الاحاديث، وانه بدأ دراسته الدينية وهو ابن العاشر من عمره، وكيف قام بسفرات شاقة الىٰ مكة المكرمة والمدينة المنورة وسافر الىٰ بلاد الحجاز واليمن والمغرب والشامات وبغداد، لجمع الاحاديث النبوية وما رواه الرواة السابقون، وانه كان يحفظ سبعمائة الف حديث .

ارتاح الرجل لمعلوماتي وكلامي هذا ، ثم أضفت إليه :

هل ترغب ان اقرأ لك بعض ما رواه الامام البخاري في فضائل امير المؤمنين علي بن ابي طالب ؟

اعتدل نائب الحاكم في جلسته واخذ يصغي الىٰ ما كنت احفظ من تلك الاحاديث الشريفة ، فارتاح لها ، ثم قلت له : وهل تريد أن ازيدك احاديث عن فضائل الحسين بن علي ، كما رواها الامام البخاري ايضاً ؟

قال : تفضّل .

فقلت : هل ينكر علماء السنة مارواه البخاري عن رسول اللّه ﷺ : « ضربة علي يوم الخندق افضل من عبادة الثقلين» ؟

قال : ابداً لا احد منهم ينكر صحة هذا الحديث .

قلت : ان عبادة جميع الانبياء تدخل في عبادة الثقلين، لأن الانبياء افراد من الثقلين.

اذن فضربة علي بن ابي طالب في معركة الخندق الفاصلة بين انتصار الاسلام او انكساره هي افضل من عبادة الانبياء كلهم، باستثناء خاتم الانبياء محمد بن عبد اللّه ﷺ ، لأن ضربة علي جاءت طاعة لأمر النبي محمد وانتصاراً لدينه الاسلامي الحنيف، أليس كذلك ؟ فهل النبي إذن يكذب او يبالغ في مدح علي؟

قال : كلا ﴿ وما يَنْطُقُ عن الهوىٰ * إنْ هو إلاّ وَحيٌ يُوحىٰ ﴾ .

قلت له : هل ثواب حج يؤديه رسول اللّه ﷺ اعظم ام ثواب ضربة علي يوم الخندق؟

سكت نائب الحاكم، ولا يدري ماذا يقول !

فقلت له : ان ثواب حج النبي اعظم، بدليل الاستثناء الذي سبق ان ذكرته لك . الىٰ هنا

كلامي لم يكمل، فلقد روت السيدة عائشة ـ كما في صحيح البخاري ـ ان رسول اللّه كان نائماً في بيتها ، فدخل سبطه الحسين بن علي بن ابي طالب، وهو صبي يومئذ، فتسلّل الىٰ جدّه رسول اللّه بهدوء حتىٰ التصق بصدره، فانتبه رسول اللّه واحتضنه بشدة، واخذ يشمّه ويقبّله .

فقالت عائشة : يارسول اللّه .. ما قدر حبك لولدك هذا ؟

قال رسول اللّه : ألا تعلمي انه قطعة من كبدي ؟!

ثم بكىٰ رسول اللّه وهو يقبّل الحسين ، فسألته عائشة : لِمَ تبكي يارسول اللّه ؟

فقال لها : اني اقبّل موضع السيوف والرماح التي تقطع جسد ولدي هذا .

قالت السيدة عائشة : أيُقتَل ؟

قال رسول اللّه : نعم ، يُقتَل عطشاناً، ومن يزور قبره بعد استشهاده، فله مثل ثواب حجّ انا أدّيته .

فسألته عائشة باستغراب : له مثل ثواب حجك يا رسول اللّه ؟!

قال : بل ثواب حجّين اثنين أنا أديتهما !

فقالت السيدة عائشة مستغربةً : ثواب حجّين اثنين ؟!

قال : بل ثواب اربعة ...

فكلما اخذت السيدة عائشة تزداد استغراباً وتعجباً من هذا الأجر والثواب العظيم لزائر قبر الحسين السبط الشهيد، كلما كان النبي محمد ﷺ يذكر ثواباً اكثر حتىٰ وصل الىٰ ثواب تسعين حجة وعمرة يقوم بهما رسول اللّه بنفسه !

هنا قال نائب الحاكم للشيخ الدربندي :

مولانا .. ان رسول اللّه لم يكذب ولم يبالغ، فكيف تعدّدتْ اجاباته للسيدة عائشة ؟ فمن ثواب حج واحد الىٰ تسعين حجة وعمرة، أليست مبالغة ؟!

فقال له الشيخ : ان هذه الدرجات في الثواب تتبع مراتب الزوّار، من حيث مستوىٰ معرفتهم بمكانة الحسين وبحقه، ومن حيث بُعْد وقرب المكان الذي جاء منه الزائر ومدىٰ العناء والمشقة التي تحملها في سفره الىٰ كربلاء لزيارة مرقد الحسين .

وما كان من الرجل الا ان قام من مجلسه واخذ يقبّل الشيخ، ودموعه تجري، وهو يقول جزاك اللّه خيراً .

وفي ختام هذا الحوار، قال الشيخ دربندي لنائب الحاكم، بأن هناك من يتعرض لزوار الحسين وشيعة اهل البيت بالأذىٰ والظلم، وهذا شيء لا يرضي اللّه تعالىٰ، وسوف يحاسب اللّه الظلمة يوم القيامة حساباً عسيراً.

فقال الرجل: سوف اصدر امراً من هذه الساعة بعدم التعرّض لزوّار قبر الحسين عليه السلام[1].

١٣١ إقرأ هذا الحوار

في ليلة جمعة من أواخر شهر محرم الحرام سنة (١٤١٤ هـ)، كنت في حسينية الامام المهدي (عجل اللّه فرجه) في العاصمة الدنماركية وقد تأخرتُ بعد دعاء كميل في خدمة السائلين، فلما وصلتُ الىٰ سكني المؤقت - في شقة أحد الاخوة في كلية الطلبة الجامعيين (كوليگيوم) كان اخي العزيز والصديق المؤمن (أبو علي) في انتظاري قال: انتهزتُ فرصة تأخرّك فذهبت الى صالة المناسبات هنا حيث وجدت إعلاناً يدعو الىٰ (الصداقة)، قلتُ: لا بأس أن اكتشف ما المناسبة ؟!

دخلتُ .. فرحبوا بي كثيراً، وخيّروني بين شرب القهوة او الشاي! ثم سألوني: بأيّ لغة تتكلم ؟

قلتُ: العربية والانجليزية والدنماركية، ولكني افضّل الثانية.

فنادوا شخصاً يتقن الانجليزية اسمه (اكبر)، بادرته بالسؤال: ما يجري هاهنا ؟

قال: نحن مسيحيون، ندعوا الىٰ الصداقة بين الناس عبر اعتناق دين النبي عيسىٰ!

قلت له: من أين أنت ؟

قال: من إيران، هجرتها قبل تسعة أعوام، وإني أشكر اللّه الذي هداني إلىٰ ديانة المسيح، وأتمنىٰ الهداية لأهلي وللناس كلهم.

فأخذ يثني علىٰ الديانة المسيحية ويتأسف علىٰ أهله (المسلمين)!

قلتُ له: أنا شاب مسلم شيعي، هل ترغب في الحوار، فإما أقتنع برأيك واما تقتنع برأيي؟

فأخذ يقول: إن المسيحية دين محبة و ...

---

١ ـ قصص العلماء / ص١١١.

وهكذا استرسل في كلامه ، فقارعته بتناقضاته، وأوقفته لدىٰ عدة نقاط تـهافت فـيها حول الإنجيل الحقيقي والإنجيل المحرَّف، وكيف يكون عيسىٰ ﷺ ابن اللّه، وهو رفض في حياته ذلك ، وهل يمكن انٰ يكون للّه تعالى ابن ، اذن يكون مـخلوقاً وليس بـخالق، وقضايا كثيرة ضاع فيها صاحبنا (اكبر) . ولعله كان يلوم نفسه علىٰ إقحامها وتوريطها في هذا الحوار!

المهم انه تزعزع قليلاً وانتهىٰ بنا المجلس الىٰ منتصف الليل حيث جئتك الآن .

وأضاف الأخ أبو علي (دام عزه) قائلاً : مارأيك ان تذهب اليه غداً فتكمل المشوار! خاصة وانت تتقن لغته الفارسية ؟

قلت : طيّب ، فكرة جميلة .

وهكذا جاء الغد، فدخلت الصالة، ورأيت الترحيب مثل ما رحبوا بصديقي . وبالطبع لم اكن بعمامتي، كما لم يعرفوا علاقتي بالأخ ، وكنت واضعاً في بالي خطة للدخول في الحوار مع المسكين (اكبر)، مؤداه إحباط نفسي له، بعد أن حاوره صديقي في الجـانب الفكري والعقائدي . فكان هذا الحوار، وإليك خلاصته :

قلت له : أنا من البحرين ولغتي عربية، الا انني اتقن الفارسية .

قال : أجل في البحرين كثيرون يتكلمون الفارسية .

قلت : لقد جئتُ لأسمع ما عندك من كلام ودعوة، لأني باحث عن الجديد في عـالم يسوده الفساد والضياع والدمار والفتن ؟!

فأخذ صاحبنا يتحدث لي عن المسيحية بحماس، وقد انكسر له قلبي علىٰ ما بذل من جهد لمدة نصف ساعة، وأنا حافر له الحفيرة ومعِدٌّ له الكلمة الاخيرة ! وتناول في كلامه المسهب المواضيع التالية :

- جاء النبي عيسىٰ بدين المحبة والاخاء بين الناس .

- امرنا ان نعبد اللّه ونحبه .

- وقد ضحىٰ عيسىٰ بن مريم بنفسه من أجل ان يربط النـاس بـربهم ويـقول لهـم لا تسفكوا دماء بعضكم بعضاً .

ثم لما وجدني المسكين (اكبر) ساكتاً أستمِعُ اليه من دون نقاش، قال ارىٰ ان نور النبي عيسىٰ قد شعّ في قلبك، وهذا وجهك المضيء يخبرني ان الهداية ليست بعيدة عنك، فما

رأيك ان نقرأ معاً (دعاء الهداية) ليعانقك (الحق) !؟

قلت : لابأس ، اني ابحث عن الهداية الىٰ الحق دائماً، وما جئت هنا الا لأجله !

فنادىٰ بعجلة زميلاً له من اخوتنا السود الإفريقيين ، ولعله قد بشّره ايضاً بأن المسيحية ارتفع عددها في العالَم (بإضافة نفر واحد) !

فجاء الاسود (الطيب) وجلس علىٰ طرف من الطاولة، واخذا يرددان كلمات بالانجليزية وظاهرهما الخشوع !

طلبت من اكبر ان يترجمها لي في الأثناء فكان يترجمها . ومضىٰ علىٰ سكوتي واستماعي نصف ساعة ، إضافةً الىٰ عشر دقائق للدعاء، وكانا فرحيْن باقتناص صيد كبير !

هنا بدأت اقول : لقد استمعت إليك بدقة، وأرجو الآن ان تستمع اليّ بدقة ايضاً، ذلك لأننا نبحث عن الجديد في الهداية والحق، أليس كذلك ؟!

قال اكبر وهو يترجم كلامي لزميله الأسود بتفاعل لأنه كان يفكر أن الأمر انتهىٰ معي فلم يتوقع مني شيئاً غير السمع والطاعة ، قال : أجل وبالطبع ، نحن نلتقي في الكنيسة الكبيرة في شارع ... ، كل اسبوع يوم الأحد، فنراك هناك وسوف اعطيك كتابنا (بايبل) وكتباً أخرىٰ!

قلت : لا تعجل ، دعني اقول كلمتي ، نحن المسلمون منذ صغرنا يتلو علينا آباؤنا وامهاتنا الآيات القرآنية وفيها ماذكرتموه من الدعوة الىٰ المحبة بين الناس والتزام جانب الاخوة واهمية حب اللّه، ودور عبادة اللّه تعالىٰ في تحسين حياة الانسان وإشاعة الخير في المجتمع ، ولقد جاء النبي محمد وهو يعبّر عن النبي عيسىٰ بأخي ، ورسالته الاسلامية مع رسالة النبي عيسىٰ نازلتان من رب واحد لا شريك له ، مع فارقيْن اساسييْن وهما ان الرسالة المسيحية محدودة التشريعات للناس في ذلك العصر من باب التمهيد لمجيء النبي محمد برسالة الاسلام الكاملة ، والفارق الثاني هو ان الانجيل الذي بشّر بظهور النبي محمد ـ ولعلّ نسخته الأقرب الىٰ الاصلية ـ كما يقال ـ محجوزة في متحف يونان المركزي وهيَ محظورة الاستنساخ ـ قد حُرّف وزوِّر تماماً كما صرّح بذلك كبار علماء المسيحية، حتىٰ انقسم العالَم المسيحي الىٰ تكتّلات عديدة، والكتاب المقدس الذي يطلق اليوم علىٰ التوراة والإنجيل لا يمت اليهما بصلة أبداً، وانما هو شتات أفكار لعلماء المسيحية واليهودية جمعوها عبر القرون الماضية علىٰ شكل وصايا اخلاقية .

بينما الكتاب المقدس عند المسلمين ـ الذي يُعرف باسم (القرآن) هو ذات الكتاب الذي نزل على النبي محمد من اللّه رب العالمين ، ولم يدخل فيه تحريف ابداً باتفاق جميع المسلمين وفرقهم المتعددة واعتراف المؤرخين من غير المسلمين .

مضافاً الىٰ ان القرآن كتاب شامل يحتوي على جميع الوصايا السماوية للانسان، فكل ما يخطر في بالك تجد للقرآن فيه رأياً وبصيرة في صميم حاجة الانسان الواقعية .

هذا ما تلا علينا آباؤنا وامهاتنا منذ صغرنا، ثم دخلنا المدارس الدينية فقرأنا ذلك بالتفصيل، حتىٰ صرنا اليوم احراراً في انتقاء الافكار واختيار السلوكيات، وأنا أودّ القول بأنني لم أجد خيراً مما وجدته في القرآن ، والذي قلتموه موجود عندنا في القرآن أفضل منه، ولقد علّمنا القرآن البحث الحرّ ، وما جئتكم الا بهذا الدافع ، اذ كان شعار النبي محمد في دعوة أتباع الأديان الأُخرىٰ الىٰ الحوار بقوله تعالىٰ : ﴿ وإنّا أو إيّاكم لَعَلىٰ هُدىً أو في ضَلالٍ مُبين ﴾[1] .

ثم ان الاسلام قد عالج معاناة البشرية في كل ابعادها، فالمسألة الاخلاقية في الاسلام لها تعاليم إنْ اطّلعتم عليها انبهرتم بها ، والمشكلة الاقتصادية لها في الاسلام قوانين، والمشكلة العنصرية والمشاكل الانسانية لها في الاسلام حلول، وللقضايا الاجتماعية والمجالات العلمية والسياسية توجيهات تربوية رائدة في الاسلام ، فإذا التزم الانسان والمجتمع العالمي بالديانة الاسلامية في جميع أبعادها، فسوف تنعم البشرية في الدنيا بكل انواع الخير ويسود العالم السلام والاخاء والمحبة، ولكن كما في المسيحية من لا يعمل بنصائح السيد المسيح، كذلك في المسلمين من لا يعمل بنصائح نبي الاسلام ، وكما في العالم المسيحي تجدونَ حكاماً وانظمة يتاجرون بالاسلحة الفتاكة وبدماء الشعوب وفرض الحروب المدمرة، وتبقىٰ الشعارات الانسانية والتعاليم الدينية بأيديهم أداة للتضليل والإسراف في ظلم الناس وتكريس التخلّف ، كذلك عندنا نحن المسلمين، فانّ الاسلام الحقيقي معزول عن اكثر الميادين التطبيقية لدىٰ حكّامنا وغائب عن ممارساتهم ، وبالتالي أصبح أكثر المسلمين كما يشتهي حكّامهم (لأن الناس على دين ملوكهم) .

فالواقع الذي تعيشه البشرية اليوم سواء في الشرق او الغرب هو الانسلاخ عن القيم السماوية واستغلال بعضها في سبيل المزيد من الانسلاخ واذلال الشعوب، مقدمةً لاستعمارها وديمومةً لنهب ثرواتها .

---

١ ـ سورة سبأ / ٢٤.

وأضفتُ إليهما قائلاً : أنا قرأت في الاسلام وقرأت في غيره من الأديان بحثاً عن الافضل لعلاج ماتعانيه البشرية، فلم اجد شيئاً جديداً يُرجِّح علىٰ الاسلام، ففيه الأفضل وفيه كل المطلوب ولكن المشكلة انعدام العمل به ، وهذا لا تفسّره بالتعصب مني ، بل انا مستعد للحوار ولقراءة كتب المسيحية كما قرأتها من قبل، ولو كنت متعصباً لما كنت جالساً هنا علىٰ هذه الطاولة . كلنا اخوة في الخَلق واخوة في ظلّ الديانات السماوية، انما القضية هي البحث عن الأفضل، والاسلام الذي لم تقرؤه جيداً - وانا متأكد من كلامي -هو الافضل، فلو قرأته لما اتخذت المسيحية المحرَّفة عن دين المسيح عيسىٰ ﷺ ديناً لك .

هذا والغريب جداً ان المسكين (اكبر) كان يترجم كلامي هذا بالإنجليزية لصديقه الإفريقي من دون وعي لما يترتّب على ذلك ، وحيث أن مسألة العنصرية والملوَّنين في الغرب تعتبر مسألة مهمة وعاطفية، انتقلت في كلامي الىٰ رأي الاسلام فيها ، فاستعرضت الحديث النبوي الشريف الذي يقول : «لا فرق بين عربي ولا عجمي ولا ابيض ولا اسود الا بالتقوىٰ»

وشرحت مفهوم التقوىٰ بأنه التزام بحقوق الانسان، وعمل وفق الطبيعة الانسانية التي فطر اللّه الناس عليها، وان التقوىٰ تعني حب الخير للآخرين ، وتعني ذكر اللّه والدعاء ومناجاة اللّه، وتعني الخوف من عذاب اللّه إذا همّ الانسان بظلم أخيه الانسان وارتكاب جريمة في المجتمع، والتقوىٰ رادع داخل القلب ، ينظّم سلوك الانسان وتصرّفه مع نفسه وربه والناس حوله ، وحتىٰ مع الحيوانات والبهائم والمزارع والنباتات وكل شيء، فلا يتصرف تجاه هذه الامور كلها الا ويراقب اولا رغبة الاله الحق، فان لم يغضب اللّه، اقدم، وان رایٰ فيه سخطه أحجم . فكُرْهُ الانسان لأخيه الانسان وظلمه وقتله وايذاؤه بأي شكل من الاشكال لمجرد انه اسود او ابيض، او انه عربي او اعجمي، مرفوض في الاسلام، ويترتب عليه عقاب في الدنيا وكذلك في الآخرة .

أليس اللّه تعالىٰ هو الذي خلق الناس شعوباً وقبائل في الوان ولغات متفاوتة من اجل ان يتعارفوا ويتعاونوا في الخير والتقوىٰ ؟

اذن من يؤذي غيره بسبب اللون او اللغة وما اشبه فهو محارب للّه وخارج علىٰ سنة الخالق الحكيم الذي قال في القرآن الكريم : ﴿ يا أيّها الناسُ إنّا خَلقْناكُم مِن ذَكَرٍ وأُنثىٰ

وجَعلناكم شعوباً وقبائل لِتعارَفوا إنّ أكرمَكم عند اللّهِ أتقاكُم، إنّ اللّهَ عَليمٌ خبير ﴾[١].

من هنا فإن القرآن كتاب سماوي يحتوي العلاج لكل ما يعانيه المجتمع البشري وينبغي أن تحطّموا الأغلال النفسيّة التي نسجتها الأوهام الجاهلية والإعلام المضلّل للحكومات الغربية ضد الاسلام .. كونوا احراراً في افكاركم تعالوا واقرأوا فكر الإسلام مباشرة من دون الاعتماد على تقارير اعدائه الحاقدين الذين يرتكبون كل ما يحلو لهم من أجل مصالحهم الدنيوية.

وهنا طلب الأخ الافريقي مني ان اهديه قرآناً مترجماً الى الانجليزية، وظهر عليه التأثر سريعاً، وفي الاثناء نادته زوجته، فقام واعتذر واكّد انه يريد ان يقرأ القرآن، فانه رغب في الاسلام! ثم كتب لي عنوانه ورقم التلفون، وودّعني بحرارة.

فبقيت انا مع المسكين (اكبر) الذي خسر (المعركة) وندم على خروج صديقه الافريقي من ديانته واستعداد دخوله في الاسلام، وكأن الدعاء الذي قرأه لي قد استجابه اللّه عكسياً، ولا استبعد ذلك، لأني حينما كانا يقرءان الدعاء، كنت اقرأ في قلبي دعاء الهداية لهما وان يمنحني ربي توفيق كسبهما باجراء كلام الحق على لساني، وكنت اصلي واسلّم على محمد وآل محمد كثيراً كما ان ترجمته لكلامي ايضاً لا أشك بأنها كانت بتدخّل غيبي، والا فما الدافع الى ترجمته كلاماً يضرّ هدفه .. فالمسكين (اكبر) الذي خسر صديقه الافريقي ظهرت عليه آثار الهزيمة، واخذ الخجل واحمرار الوجه منه مأخذه وراح يتصبّب عرقاً.

فسألته: من أي مدن ايران؟

قال: من مدينة مشهد.

قلت: وأهلك هناك الآن؟

قال: نعم.

قلت: وهذا يعني انك كنتَ مسلماً شيعياً؟!

قال متعصّباً: نعم، كنت والآن قد هداني النبي عيسى الذي آثر ان يراق دمه على الصليب من اجل ان يحب الناس ربهم ويحبوا بعضهم بعضاً، لا كما يفعل المسلمون ببعضهم.

---

١ ـ سورة الحجرات / ١٣.

قلت : نحن في الاسلام لا نعتقد ان النبي عيسىٰ ﷺ قد قُتِل، وانما شُبّه لليهود القتلة، فقد رفعه اللّه تعالىٰ الىٰ السماء حيّاً ، وسوف يعود الىٰ الارض يوم يخرج القائم من آل محمد، الامام المهدي ﷺ فيصلي النبي عيسىٰ خلفه معلناً للمسيحيين ان القيادة السماوية العالمية هي للاسلام وحده ، وهذا الامام هو القائد .

ولكن حسب زعم المسيحيين انه مقتول، وانت تعظّمه لأنه آثر ان يضحي بنفسه لأجل الناس وحباً للّه تعالىٰ .

حسناً ، اذا كان النبي عيسىٰ نفراً واحداً، قد ضحىٰ بنفسه قرباناً علىٰ طريق الفضيلة والانسانية وَليجد الناس ربّهم كما تدعي المسيحيّة ، فنحن عندنا رسول اللّه محمد قد دسّتْ اليه إمرأة يهودية سمّاً في اللحم، ومن بعده لدينا اهل بيته المظلومون ، ألم تسمع في مجالس عزاء الحسين قصة عاشوراء المؤلمة . فإذا كان قد ضحىٰ عيسىٰ بن مريم بنفسه، فقد ضحىٰ الحسين ﷺ بنفسه وبـ (٧٢) من افضل انصاره، وضحىٰ بولده الشاب (علي الاكبر) ، وضحىٰ بأخيه (ابي الفضل العباس) ، وضحىٰ بطفله الرضيع (علي الاصغر)، وهو كان يعلم مصير الأيتام والنساء من بعده حين يساقون سبايا، وتُحَرق علىٰ رؤوسهم الخيام ويداسون بحوافر الخيول، ولكنه ﷺ ضحىٰ وصبر لكي يقول للتاريخ : لا تقبلوا الضيم ، ارفضوا الفساد والظلم، كونوا مع اللّه ، وانشروا الخير بين الناس، واعملوا للاصلاح في العالم، واصبروا ان اللّه مع الصابرين، والعاقبة للمتقين .

فأيهما افضل، النبي عيسىٰ ام الحسين الذي قال عنه احد المثقفين المسيحيين : «لو كان الحسين منا، لنصبنا له في كل قرية ومدينة منبراً» .

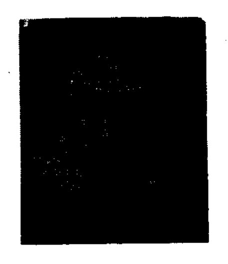
انني استغرب منك، كيف ضيّعتَ الطريق الىٰ اللّه، وانت ابن عائلة مسلمة شيعية، ألا تتذكر قبّة الامام الرضا حفيد الامام الحسين في مدينتك مشهد المقدسة، ذلك الحرم الشريف الذي يكمن فيه جميع المعاني الفاضلة لخير الانسان وسعادة البشرية .

عُدْ الىٰ دينك ومذهبك الحق، واقرأ التاريخ بدقة من دون ان تنظر الىٰ تصرف بعض المسلمين أو سلوكيات بعض الشيعة، انها ليست مقاييس للحق، انما المقياس هو القرآن وسنة رسول اللّه واهل بيته الطاهرين، وما ينطبق عليها من سلوك العلماء الصالحين .

وحينما وصل حوارنا مع المسكين (اكبر) الىٰ هنا ، اخذ يلبس (جوربه) ويتهيأ لفضّ الحوار وانهاء (كسيرته) !

وكانت كلمتي الاخيرة في هذا الاثناء : ارجو ان تتحرّر وتقرأ بانفتاح، من دون التأثر بدعايات المغرضين وسلوكيات بعض المسلمين البعيدة عن الاسلام . وهكذا فقد ذهب عني ولكنه كان منهزماً نفسياً الىٰ أبعد الحدود .

١٣٢ يَطيرُ المَرْء بهمّته



السيد حسن المدرّس

قد تكون يتيماً ، ويجتمع مع يتمك فقرك أيضاً ، وانت تعيش ظروف القرية مثلاً ، فإنك مع كلّ ذلك يجب ان تتقدم الىٰ الافضل ، واليك نموذج التقدم هذا :

ولد المرحوم آية اللّه السيد حسن المدرِّس بن اسيد اسماعيل ، سنة (١٢٨٧) الهجرية في قرية (سرابهٔ كچو مثقال) ، انها قرية منسية واسمها غريب كغربة اهلها ، تقع علىٰ بعد (١٢) كيلو متراً من شرق مدينة (اردستان) الصغيرة التابعة لمدينة (يزد) الايرانية .

عاش (٧١) عاماً بين علم وكفاح وهجرة وشهادة ، حياة ملؤها الخير والعطاء والذكر الحسن .

حينما كان عمره لم يتجاوز ستة اعوام مات أبواه فتعهد جدّه بتعليمه وتربيته ، ولما اصبح في الرابع عشر من العمر مات جدّه ايضاً ، فغادر السيد المدرِّس بناءً علىٰ وصية جدّه الىٰ اصفهان بعد عامين ، وذلك لمواصلة الدراسة وطلب العلم ، وفي اصفهان كان يدرس اسبوعاً ويعمل اسبوعاً آخر ليؤمّن مصاريفه للاسبوع الذي كان يدرس فيه ، واحياناً كان يعمل يومي الخميس والجمعة فقط ليواصل دروسه العلمية بقية الايام الخمسة من الاسبوع.

واستغرقت حاله هذه بين الدراسة والعمل مدة ثلاثة عشر عاماً ، حتىٰ غادر الحوزة العلمية في اصفهان الىٰ العراق ، ليواصل دراسته العليا في حوزة النجف الاشرف ، فقضىٰ فيها سبعة أعوام أخرىٰ ، ثم عاد الىٰ اصفهان سنة (١٣٢٤) الهجرية ، وفي عام (١٣٢٨) انتخبه الشعب نائباً في المجلس الوطني .

ولمواقفه الجهادية والسياسية الواعية تعرّض لمحاولة اغتيال مرة في اصفهان ومرتين

في طهران ، وكانت جراحاته خطيرة .

يقال : انه ذات مرة كان يمشي ، فهاجمه مسلحون وأطلقوا عليه النار ، فواجه السيد الحائط الذي بقربه رافعاً عباءته بشكل لم يظهر للمهاجمين اين موضع جسم السيد ـ وكان جسمه نحيفاً ـ ، فأخطأته طلقاتهم السريعة حيث اخترقت عباءة السيد من دون اصابة جسمه بطلقة قاتلة ، وبينما كان يتحمل الطلقات الجارحة كان يتعنّىٰ الوقوف على قدميه ولم يرم نفسه علىٰ الارض كيلا يظهر جسمه للمهاجمين .

هذه شخصية رجل اخترقتْ همتُه حواجز الفقر واليتم والبُعد عن المدينة ، فصار فقيهاً في علمه ، وصار رئيساً للمجلس الوطني ، ناطقاً باسم المعارضة الشعبية في أُذُن الحكومة الشاهنشاهية العميلة ، فكان عالماً محبوباً لدىٰ الجماهير ، ثم أنهىٰ حياته باحتضانه كرامة الشهادة الحمراء علىٰ يد المجرمين من عملاء الاستعمار وأعداء الشعب والدين [1].

وصدق الامام علي عليه السلام حيث قال : « يطير المرء بهمّته ، كما يطير الطير بجناحيه » .

١٣٣ عالِمٌ في المجلس الوطني

عالم فقيه، سياسي جريء ، ومجاهد وشهيد .. ذاك هو العلاّمة السيد حسن المدرّس .

الذي كان يقول : لما كنت ادرس العلوم الدينية في حوزة النجف الاشرف، كانت حجرتي من ضيقها لم تسع طولي، وكان فراشها عبارة عن قطعة حصير . والآن (يعني عندما صار عضواً في المجلس الوطني زمن رضا خان والد شاه ايران المخلوع) أستطيع الحصول علىٰ كل ما اريده من الدنيا، ولكني اريد البقاء علىٰ ما كنت عليه من بساطة العيش فترة دراستي في النجف الأشرف .

وكان آية اللّه المدرِّس رحمه الله من ابرز المعارضين للشاه رضا خان، ولمّا انتخبه الناس للمجلس الوطني جعل منصة المجلس منبراً لصوت المعارضة الاسلامية القريبة الىٰ سمع الحاكم، فما اشدّ علىٰ الشاه وسياساته الذيلية من صعود هذا العالم السياسي الجريء علىٰ منصّة المجلس الوطني، ولما أوصلته كفاءته وجدارته الىٰ منصب رئاسة المجلس ايضاً، تضاعفت أتعاب الشاه .

---

١ ـ كتاب بالفارسية (داستانهاى كودكى مردان بزرگ)ص/٢٩.

ذات مرة بعث اليه السفير البريطاني (صكّاً) بواسطة شخص ما (ليكسبه الى الدولة العظمىٰ).

فسأله ساخراً : ماهذا ؟

قال حامل الصك : هذا (صكّ) يؤخذ الىٰ البنك فيُستبدَل بنقود.

فضحك السيد المدرِّس مستهزئاً وهو يقول : أخْبِر السفير أن السيد لا يستلم غير النقود الذهبية، ولابدّ ايضاً ان يكون بقدر لا يحمله إلّا ظهر ناقة، وفوق ذلك فإني لا استلم إلاّ في وضح النهار وأمام الناس !

١٣٤ اين حدود ذَنَبَتِهِ ؟!

صعّد آية اللّه المجاهد السيد حسن المدرِّس من انتقاداته الجريئة للمحافظ النزق (في طهران) فأرسل اليه المحافظ رسالة شفوية عبر احد مقرّبي السيد يقول : « أخبر السيد ان فلاناً يرجوك ان لاتدوس ذنبته ».

فردّ عليه السيد ساخراً : «لابد ان يُبيِّن لي حضرتُه أين حدود ذنبته، لأني أينما اضع قدمي اجد هناك ذنبة لحضرته » !

كناية عن ان المحافظ كان يرىٰ لنفسه صلاحيات خارجة عن وظيفته، وهذا ديدن الذين لا يشبعهم ما بأيديهم، فيطمعون بالتوسع والاستحواذ علىٰ ما بأيدي الآخرين، وهو الطغيان الذي ذكره اللّه تعالىٰ في القرآن الكريم : ﴿ إنّ الإنسانَ لَيَطغىٰ أنْ رَآهُ إستغنىٰ ﴾.

وهكذا جعل اللّه في مواجهة كل طاغية مؤمناً يوقفه عند حدّه او يفضح امره، تلك هي سنة اللّه في الحياة وعلىٰ مدىٰ التاريخ. والشهيد السيد حسن المدرِّس ﷺ لم يخش من كبير الطواغيت (الشاه) فكيف بهذا المحافظ المتهوِّر والصعلوك الحقير.

١٣٥ أريدُك أنْ لا تكون !

وبسبب تحرّشه المستمر بأهواء الحاكم (الشاه رضا خان) وقف الشاه بوجه السيد حسن المدرّس ذات مرة غاضباً، يقول : يا سيد ماذا تريد مني ؟

فأجابه السيد المدرِّس ببرودة اعصاب وبلهجته الاصفهانية : اريدك ان لا تكون .

وهكذا اصبح الشاه وأسياده وحاشيته لا يتحملونه ، فدبّر وعصابته عملية قتله الشنيع كي يخلو لهم الطريق أمام نزواتهم ومفاسدهم .

١٣٦ للفقراءِ مِن أقارِبك

جاء أحد ملاّكي الأراضي في مدينة (قمشة) الإيرانية ، إلىٰ العالم المجاهد آية اللّه الشهيد السيد حسن المدرّس ، ليهب له قطعة أرض .

بالرغم من أن السيد كان فقيراً وفي غاية الحاجة الىٰ الأرض ، بادره بالسؤال :

هل في عائلتك وأقاربك فقراء ومحتاجون ؟

أجابه الرجل : نعم ، ولكن أودّ أن أهب هذه الأرض لك .

فقال السيد : الأفضل أن تهبها لأولٰئك الفقراء من أقاربك [١] .

لقد انطلق السيد في موقفي هذا من كلمة جدّه الامام علي عليه السلام «عزّ مَن قنع وذلَّ مَن طمع»[٢].

١٣٧ واسطةٌ ، ورسالةٌ مستعجَلة

لما كان آية اللّه السيد حسن المدرِّس رئيساً للمجلس الوطني الايرانيكان يأتيه أحد الأشخاص مراراً وتكراراً ، ويصرّ عليه أن يتوسط بينه وبين وزير الداخلية ليمنحه منصب رئاسة بلدية إحدىٰ المدن .

ولقد ألحف الرجل في اصراره ، حتىٰ أخذ السيد المدرِّس ورقة وكتب عليها ما يلي :

« الىٰ حضرة وزير الداخلية .. إن حامل الرسالة من المزاحمين لي ، وهو من زملائك ، ـ يعني ممن يبحث عن منصب ـ ، فأسْنِدْ اليه مسؤولية إحدىٰ قمم الجبال ومنعطفاتها»[٣] !

---

١ ـ بالفارسية مردان علم در ميدان عمل / ص ١٢٧ .

٢ ـ غرر الحكم / ج ٤ ـ ص ٤٧٤ .

٣ ـ نفس المصدر / ص ١٢٨ .

١٣٨ لا للعُبوديّة والذُلّ

في الصيف والشتاء ، لا يبدّل ملابسه التي أَلَفتْ جسمَه وأَلَفها جسمُه !

يقول آية اللّه السيد حسن المدرّس ـ الذي كان أبو الشاه متورّطاً معه بشدّة :

« إن بشرة اليد والرجل وبقية الجسم ليستْ ألطف من بشرة الوجه . فالجسم يتعوّد علىٰ ما عوّدتَه عليه أنتَ ، إن جورب وثوب الصوف والسروال وجبّة فاستونية وعباءة نائينية وغيرها من ألبسة الوجهاء والأغنياء لا ألبسها أبداً . لأن هذه الألبسة الفاخرة تحتاج الىٰ مال ، وطلب المال يجرّ الىٰ العبودية ، والمدرّس يرفض العبودية »[1] .

١٣٩ هكذا تعَلَّمَ مِن أجداده

كان الشهيد السيد حسن المدرّس يقول : لقد كان أبي ينصحني دائماً بقوله : تعلّم في الليل والنهار ، واكتفِ من الطعام بوجبة واحدة ، وحافظ علىٰ نظافة ثيابك كيلا تقع في شرك الحاجة الىٰ الألبسة الجديدة . وكان يقول أيضاً : من لا يتعود الإسراف في أموره لا يستسلم لمكابرة الطواغيت .

وأضاف : إن أبي كان متأسّياً بأجداده النجباء ، وكان يقول :

لنتعلّم الحِلْم من جدّنا العظيم رسول ربّ العالمين محمّد بن عبد اللّه ﷺ ، ولنتعلم الشهادة والقناعة من جدّنا الطاهر عليّ بن أبي طالب عليه‌السلام ، ولنتعلّم الرفض للباطل وإباء الضيم من جدّنا الشهيد الإمام الحسين سيد الشهداء عليه‌السلام [2].

وكان يقول ايضاً : من لم يتعود الاسراف في أموره لم يستسلم لمكابرة الطواغيت .

وبالفعل قد تعلّم المجاهد العلامة السيد حسن المدرّس من أبيه وأجداده الطاهرين كيف يتجلّد علىٰ جهل الجهلاء ، وكيف يكون قنوعاً في عيشه ورافضاً للضيم ، وأخيراً كيف يتقلّد وسام الشهادة كالحسين بن عليّ بن أبي طالب ، سبط رسول اللّه محمد عليهما‌السلام .

---

١ ـ نفس المصدر / ص ١٢٨ .

٢ ـ نفس المصدر / ص ١٢٩ .

١٤٠ قُمْ واغسِل السيّد المظلوم !

نقل الحاج انوار ان السيد حسن المدرِّس اختطفوه الىٰ مدينة (كاشمر) في شهر رمضان سنة (١٣١٦) الهجرية، وامر (الشاه رضا خان) الحاكم العسكري في المدينة ان ينهي وجود السيد ويخلّصه منه، الا ان الحاكم واسمه (اقتدار نظام) لم ينفّذ العملية، فنقلوه الىٰ مدينة مشهد تحت اقامة جبرية، ثم عيّن الشاه ضابطاً اسمه (مصطفويان) وشخصاً حقيراً اسمه (حبيب شمر) ، وثالثهم كلبهم رئيس مخفر مدينة قم . فأمرهم بتنفيذ عملية التصفية الجسدية بعد ان اعادوه الىٰ (كاشمر) مرة اخرىٰ .

كان الوقت عصر يوم السابع والعشرين من شهر رمضان المبارك، وكان السيد مسجوناً في البيت الذي فرضوا عليه الاقامة فيه، جاءه (حبيب شمر) ـ اسمه علىٰ مسمّاه ـ يقدم له شربة ماءٍ كان قد دسّ فيه سمّاً قاتلاً فرفض السيد ان يشرب وقال انني الآن صائم، وسوف اشربه وقت الافطار، فاكرهوا السيد علىٰ شربه اذ كانوا في عجلة من امرهم فأشربوه بالقوة ثم انتظروا ولكنهم لم يجدوا تأثيراً سريعاً فأجهزوا عليه وربطوا عمامته علىٰ رقبته وخنقوه، فقضىٰ نحبه مسموماً ومخنوقاً وغريباً وشهيداً .

بعد ذلك ارسلوا في الليل وراء الميرزا كريم الغسّال، ليغسل بدن السيد ﷺ ، ودفنوه خارج المدينة ، وأمر رئيس مخفر (كاشمر) العقيد (بيگلري) بهدم قبر السيد الشهيد، ولكن المؤمنين اعادوا بناءه فيما بعد، ليبقىٰ رمزهم الخالد في النطق بكلمة الحق أمام السلطان الجائر .

نقل احد السادة من مدينة (كاشمر) : انه في ليلة الثامن والعشرين من رمضان المبارك جاء الىٰ بيتنا كل من الشيخ حبيب اللّه آية اللهي، والحاج معاون الأطباء وهما يبكيان ويندبان !

سألتهما : ما الخبر ؟

قالا : البارحة قتلوا المدرِّس، ودفنوه فوق تلّ خارج المدينة .

وفي الصباح ذهبنا الىٰ المقبرة، ورأينا الغسّال ميرزا كريم، فسألناه هل علمت البارحة بقتل شخص جيء به الىٰ هنا ؟

حينَما سمع الميرزا كريم هذا الكلام خرّ باكياً، ثم قال: كنت البارحة نائماً، فرأيت في المنام سيداً كريماً ذا هيبة تحاكي هيبة الأولياء، اقترب مني وقال: قم، تحرّك، لقد قتلوا احد اولادنا ظلماً وجوراً، سوف يأتون به اليك، اغسله بدقة، وكفّنه وقدّم له من خير وخدمة مااستطعت.

فاستيقظت فزعاً ثم غلبني النوم، فجاءني الرجل نفسه في الرؤيا وكان الحزن عليه بادياً اكثر قال بصوت رفيع : قم تحرّك، سيأتون به الآن.

وبينما كنت كذلك اذ طُرِق الباب بشدّة. فقمت وفتحت الباب، فكان شرطي لدىٰ الباب، تقدّم نحوي وقال : ان سيداً مات عندنا في المخفر، تعال وغسّله !

فهمتُ الموضوع حالا، فجئت وكان خمسة الىٰ ستة من الشرطة يحملون مصابيح مع الجنازة، فغسلته، وكان السيد المظلوم مخنوقاً.[1]

ثم وهل تعلم ما ورّثه رئيس المجلس الوطني، هذا السيد الشجاع والعالم الصالح من أموال بعد استشهاده ؟

كل ما كان يملكه لم يتجاوز (٢٤) توماناً فقط، حقاً لقد فاز المخفّون.

١٤١ شفاء من مرض خطير !

رأوا العالم الورع السيد مهدى بحر العلوم (رضوان الله عليه) مسروراً مبتهجاً، فسألوه عن السبب ؟

قال : علمت اليوم أني شوفيتُ من مرض الحسد تماماً وتمكنت من السيطرة على هواي وتلجيمه بعد فترة صعبة من المجاهدة والترويض المستمر[2].

ومثله حقيق عليه ان يبتهج، وهنيئاً لكل مَن به ينتهج.

---

١ ـ مردان علم در ميدان عمل / ص٢٨٨ ـ ٢٩٢ ـ بالفارسية.

٢ ـ نقلاً عن الخطيب الورع الشيخ عبدالحسين الخراساني في مشهد المقدسة.

١٤٢ مِثالُ الحِلمِ والعَفوِ والكَرَمِ

حكىٰ احد العلماء : كنت جالساً قرب تلّ الزينبية وبجانبي رجل واقف ، وفي الأثناء وقعت عيني علىٰ المرحوم آية العظمىٰ السيد أبي الحسن الاصفهاني اكبر مراجع زمانه للشيعة أنه خرج مع مرافقيه من حرم الامام ابي عبد اللّه الحسين عليه‌السلام . فالتفتّ الىٰ الرجل وإذا به انطلق منفعلاً نحو السيد الاصفهاني وهو يقول بصوت عال : «سوف أشتمه بئس شتيمة» !

وبعد دقائق رأيته عاد باكياً وعليه آثار الخجل والندامة !

سألته عن السبب لهذه المفارقة العجيبة بين المَوْقفيْن ؟

فقال : لقد شتمت السيد حتىٰ باب منزله ، وهو لا يردّ عند الباب توقف وطلب مني انتظره ، دخل ثم رجع وبيده مبلغاً من المال، اعطاني ذلك وقال لي : راجعنا لدىٰ كل مضيقة تعترضك، اذ اخشىٰ أن تراجع غيرنا فلا يقضي حاجتك . ولكن لي اليك حاجة واحدة ! وهي انني اتحمّل كل شتيمة موجهة اليّ شخصياً، ولكن ارجوك ان لا تشتم عرضي واهل بيتي، فاني لا اتحمّل ذلك . واضاف الرجل وهو يرتعش : «ان هذه الكلمات التي قالها لي السيد الاصفهاني تركتْ اثراً بالغاً في اعماقي حتىٰ كدتُ أخرّ الىٰ الأرض ، وهذه دموعي جرتْ بلا ارادة مني، وانّي اشعر برعشة في اعماقي كما تراني»[1].

وهكذا كان السيد مثالاً للحلم والعفو والكرم ومصداقاً للحديث النبوي الشريف : « خير أُمتي مَن إذا سُفِهَ عليهم احتملوا ، واذا جُني عليهم غَفَروا ، واذا أُوذوا صبروا » .

١٤٣ التعفّفّ ورجُل العطاء

حكىٰ احد العلماء انه ذهب في كربلاء المقدسة الىٰ آية اللّه العظمىٰ الشيخ مرتضىٰ الانصاري قدس‌سره ، يطلب منه مساعدة مالية لسيد جليل من كبار العلماء، كانت زوجته تقترب من وضع حملها وله عيال كثير .

فقال الشيخ الانصاري : «ليس لديّ مال الآن سوىٰ مبلغ لمن يصلي ويصوم نيابة لميت» .

---

١ ـ بالفارسية پندهائى از رفتار علماى اسلام .

فقال له الوسيط : «انه سيد جليل ومتعفف، ولأنه كثير الاهتمام بدروسه ومطالعاته العلمية لا يتفرغ لهذه العبادة الاستيجارية».

يقول : فتأمل الشيخ الانصاري قليلاً، ثم قال : «اذن انا اصلي واصوم بدلا عنه، خذ هذه الأموال اليه».

وهذا بالرغم من كون الشيخ مرتضىٰ الانصاري لمكانته المرجعية كان كثير الانشغال وقليل الوقت، ولكنه تحمّل ذلك بدلا عن السيد المحتاج الذي لم يكن يعرفه بسبب التعفّف.

وهناك قصة اخرىٰ مشابهة لهذه القصة حصلتْ للسيد علي الدزفولي ﵀، وكان شديد الفقر حينما كان في النجف الأشرف، فذهب الىٰ الشيخ الانصاري ﵀ مباشرة ليطلب منه شيئاً لسدّ الفاقة .

فأجابه الشيخ : «ليس في يدي شيء اعينك به في الوقت الحاضر، ولكن اذهب عند فلان، خذ منه مبلغاً لصلاة استيجارية مدة عامين، وانا اصليها بدلا عنك»[1] .

١٤٤ ما اسمُ زوجة إبليس !؟

قيل : ان خطيباً مرحاً كان يتحدّث فوق المنبر، فقاطعه احد الحمقىٰ بسؤال غريب : مولانا ما اسم زوجة ابليس ؟!

فقال له الخطيب : لا يمكن الإعلان عن اسمها الاّ همساً في الأُذن ، تعال هنا !

فقام السائل ودنا اذنه إلىٰ فم الخطيب .

فقال له الخطيب : أيها الأحمق، كيف لي سبيل الىٰ معرفة اسمها ، فهل كنتُ حاضراً في عقد زواجهما يا جاهل !؟

وهكذا رجع السائل الىٰ مكانه ناكساً رأسه فسأله بعض الفضوليين: ماذا اجابك الشيخ؟

فقال الرجل : إذهب اليه ليهمس في أذنك، كما همس في أذني !

---

١ ـ حياة الشيخ مرتضىٰ الانصاري / بالفارسية .

١٤٥ خاطرةٌ مِن استاذ

الخاطرة هي للمفكر الاسلامي الكبير الشهيد مرتضىٰ المطهري ﵀ حول استاذه الجليل المرحوم الحاج ميرزا علي الشيرازي ﵀ ـ وهو ابن المجدّد الشيرازي الكبير ـ، يقول عنه في كتابه (العدل الالهي) ص ٢٦٧ :

قد كان من اعظم الرجال الذين لقيتهم طيلة حياتي، وكان في الحقيقة انموذج راقٍ للزهد والعبادة واليقين، يمثّل السلف الصالح احسن تمثيل، وقصة تعرّفي علىٰ هذا العالم الرباني الجليل هي كالتالي : في صيف عام (١٣٢٠) وعام (١٣٢١) الهجري الشمسي[1] سافرت من قم الىٰ اصفهان، ولأول مرة تعرفت علىٰ هذا الرجل العظيم واستفدت من احاديثه . وتحولتْ هذه المعرفة فيما بعد الىٰ تعلق شديد من جانبي وحب ولطف ابوي من جانبه .

وجاء بعدها الىٰ قم ونزل في الغرفة المخصّصة لي في المدرسة، وزاره فيها كل من سمع به وكان اليه مشتاقاً .

القصة بدأت في اصفهان، حينما اقترح عليّ زميلي وهو احد كبار المجتهدين الآن ومن اساتذة الحوزة العلمية في قم، ان نذهب الىٰ مدرسة الصدر لنستمع الىٰ محاضرات عالم كبير يشرح (نهج البلاغة) .

وكان هذا الاقتراح صعباً عليّ لأنني كنت اتخيل ان الطالب الذي يدرس كتاب (كفاية الاصول) في الحوزة لا يحتاج الىٰ حضور درس في نهج البلاغة، لأنه حينئذ يطالع نهج البلاغة بنفسه ويحل مشكله بأصل البراءة والاستصحاب (من القواعد العلمية في علم الاصول) !

ولما كانت تلك الأيام ايام عطلة، اضافة الىٰ ان زميلي هو صاحب الاقتراح، لذلك وافقت.

وحينما ذهبت ، ادركت خطئي حالا، وعرفت انني لم اكن افهم (نهج البلاغة) ، ولستُ الوحيد الذي يحتاج الىٰ استاذ بل يجب الاعتراف بأنه ليس هناك استاذ مهما كان قديراً يستطيع الإحاطة به .

---

١ ـ يوافق سنة (١٣٦٢) من الهجرة القمرية تقريباً ، وحدود (١٩٤١) السنة الميلادية .

وعلاوة علىٰ ذلك فقد وجدتُ نفسي مقابل رجل من اهل التقوىٰ والروح العالية، وممن (يشدّ الرحال اليهم)، كان هذا الرجل (يقصد آية اللّه ميرزا علي الشيرازي) مثالاً حياً لنهج البلاغة، ومواعظ هذا النهج غائرة في اعماق وجوده، واحسست أن روح هذا الرجل مشدودة بروح الامام علي امير المؤمنين عليه السلام ومتصلة بها.

وكنت كلما اراجع نفسي اجد أن اكبر ذخيرة روحية اكتسبتها هي احاديث هذا الانسان العظيم (رضوان اللّه تعالىٰ عليه وحشره مع اوليائه الطاهرين والأئمة الطيبين).

وكان للمرحوم الشيرازي ارتباط قوي وتعلق شديد بالنبي الاكرم واهل بيته الطاهرين.

ففي الوقت الذي كان فيه هذا الرجل يعدّ واحداً من الفقهاء المجتهدين، وحكيماً وعارفاً وطبيباً واديباً، حيث كان من الطراز الاول في الطب القديم وعلم الأدب، وكان يدرِّس كتاب (قانون ابن سينا) فهو كان من خدّام المنبر الحسيني، يرقىٰ المنبر ويوعظ ويبيّن مصائب سيد الشهداء الحسين بن علي عليه السلام. وقلّما لم يحصل انقلاب روحي لمن سمع خطبه. فهو عندما يوعظ ويرشد ويذكر اللّه والآخرة فإنك تلاحظ في نفسه ثورة روحية ومعنوية، وهو مشبع بحب اللّه ورسوله واهل بيته الىٰ اقصىٰ حدّ. فعندما يذكر اللّه تعالىٰ تتغير حاله ويصبح مصداقاً مجسماً لقوله تعالىٰ: ﴿ الّذينَ إذا ذُكِرَ اللهُ وجِلَت قلوبُهم وإذا تُليتْ عليهِم آياتُه زادتْهُم إيماناً وعلىٰ ربِّهم يتوكَّلون ﴾[1].

فكان كلّما يذكر اسم رسول اللّه صلى الله عليه وآله او اسم علي أمير المؤمنين عليه السلام فان دموعه تجري علىٰ كريمته.

دعاه آية اللّه العظمىٰ السيد البروجردي رحمه الله في سنة من السنين ليرقىٰ المنبر في منزله خلال العشرة الاولىٰ من شهر محرّم، فلبّىٰ الدعوة وكان يُحدِث في منبره موجة عارمة من الحماس ولم يتجاوز حدود نهج البلاغة وحضر منبره حينذاك اشخاص أغلبهم من اهل العلم والطلاب، فكان يسيطر عليهم معنوياً ويبعث في نفوسهم تحولات روحية طيبة، وترىٰ الدموع تتساقط من عيونهم من بداية حديثه وحتىٰ نهايته.

ويواصل الشهيد مرتضىٰ المطهري خواطره عن استاذه الشيرازي قائلاً: «أحتفظ لهذا الرجل بقصص كثيرة، من جملتها هذه الرؤيا: كان يوماً يلقي درسه ودموعه تتساقط علىٰ لحيته الكريمة، وهو يقول: رايت في المنام ان موتي اصبح وشيكاً، ووجدت الموت في نومي كما وصف لي من قبل. شاهدت روحي منفصلة عن بدني، ولاحظت بدني يُحمل

---

١ ـ سورة الأنفال / ٢.

الى المقبرة لدفنه، جاؤا به الى القبر ودفنوه وانصرف المشيّعون، فبقيت وحدي خائفاً مما سيحل بي . فجأة رأيت كلباً أبيض يريد ان يدخل عليّ القبر، فتخيلته اعمالي السيئة قد تجسّمتْ وجائتني بصورة كلب !

فاضطربتُ خائفاً، وفي هذا الأثناء .. جاءني سيد الشهداء الحسين بن علي عليهما السلام، وقال لي: « لا تحزن فإني سوف ابعده عنك ».

١٤٦ مِن عَطاءِ شَهرِ رَمَضان

مخيّم (كونكو لندن) للاجئين في العاصمة الدنماركية ، ينتظر فيه عشرات طالبي اللجوء من مختلف الدول المتأزّمة بالحرب أو الاضطهاد السياسي .

وبالطبع لا يخلو الجمع من لاجئين مسلمين بين ملتزم دينياً وغير ملتزم، كما لايخلو مثل هذا المكان من توترات عصبية بسبب الغربة وطول الانتظار وتعليق المصير والأجواء غير المحبّذة وما أشبه ذلك ، ولذلك تحدث في المخيَّم يومياً مشادّات على أبسط القضايا وتجد الوجوه مكفهرّة الاّ المتديّنين حيث يؤمنون (بقضاء اللّه وقدره) و (ان أرض اللّه واسعة) و (ان اللّه مع الصابرين) و (ان الحياة قاعة امتحان) و (ان مع العسر يسراً) ـ وكنت أمازح مع بعضهم بالقول : لا تقلقوا فإن الصعوبات هي في المائة الأولى من عمر الانسان ثم يرتاح تماماً ـ !

نعم في هذا المخيَّم قام المتديّنون البحرانيون بتحويل إحدى الصالات الى مسجد لإقامة الصلاة وتلاوة القرآن وقراءة الأدعية وإحياء المناسبات الدينية وإلقاء محاضرات واناشيد للأطفال .

ولما حلَّ شهر اللّه الكريم شهر رمضان المبارك اجتمعوا على أن يغيّروا أجواء المخيَّم الى أجواء رمضانية وممّا قاموا به تسجيل قائمة بأسماء المسلمين الذين يريدون ان يصوموا .

ثم جلسوا مع مدير المخيَّم وطالبوا بمواد غذائية معيّنة ولحوم مذبوحة على الطريقة الاسلامية . فنزل المدير الدنماركي الى رغبة الصائمين وأخذ الاخوة يومياً يوزّعون المواد الغذائية واللحوم للصائمين بانتظام وهدوء اظهر لغير المسلمين جانباً من الأخلاق الاسلامية، وكان الجميع معجباً يتساءل ما الذي غيّر هؤلاء وجعلهم هكذا !؟

ثم في العام الثاني وهو سنة (١٩٩١ م) من شهر رمضان حيث الاخوة انتقلوا من المخيّم التقيتُ بالمدير فقال لي : انكم صنعتم في العام الماضي معجزة ، فقد تخلّصنا من المشادّات والمشاجرات والمشاكل اليومية ، وهذه السنة نشعر في غيابكم بأهمية رمضانكم .

قلتُ له : نعم ذلك من عطاء شهر اللّه الكريم ﴿ شَهرُ رمضانَ الذي أُنزِلَ فيه القرآن هُدىً للناسِ وبيّنات مِن الهدىٰ والفُرقان ﴾ [١] . وشرحت له مدة دقائق معاني هذه الآية الكريمة عبر مترجم ، وكان متفاعلاً .

١٤٧ صَلاةُ اللّيل

السيد علي القاضي

يقول العلاّمة السيد محمد حسين الطباطبائي صاحب (تفسير الميزان) ﷺ : حينما كنتُ في بداية شبابي مقيماً بالنجف الأشرف لدراسة العلوم الاسلامية ، كنت بين حين وآخر أذهب للقاء بالمرحوم آية اللّه القاضي (من كبار العلماء والأساتذة في الحوزة) وذلك بحكم القرابة وصلة الرحم .

فذات يوم ، كنت واقفاً عند باب مدرسة كان يمرّ بها المرحوم القاضي في طريقه . فلمّا اقترب دنا اليّ، فوضع يده علىٰ كتفي وقال :

«يا بنيّ .. إنْ تريد الدنيا فصلِّ صلاة الليل، وانْ تريد الآخرة فصلِّ صلاة الليل» .

لقد ترك هذا الكلام اثراً تربوياً عميقاً في نفسي، فصرتُ من ذلك الوقت، بعد ما رجعتُ الىٰ ايران ألازمه مدة خمس سنوات ليلاً ونهاراً، ولم افرط بلحظة استطيع فيها ادراك فيضه وكمالاته الروحية [٢].

١٤٨ فاعليّة الاعتقاد

قال مؤسس الحوزة العلمية في قم المقدسة آية اللّه العظمىٰ الشيخ عبد الكريم الحائري ﷺ : كنا جالسين عند آية اللّه العظمىٰ المجدد الشيرازي في سامرّاء إذ دخل آية

١ ـ سورة البقرة / ١٨٥ .

٢ ـ (مهر تابان) ص١٦ ـ كتاب بالفارسية عن حياة العلامة الطباطبائي .

الله السيد محمد الفشاركي منقبض الوجه قلقاً ، ويظهر انه كان مضطرباً من مرض الوباء الذي اجتاح العراق في تلك الايام .

فقال لنا أستاذنا آية الله الشيرازي : هل تروني مجتهداً أم لا ؟!

قلنا : نراك مجتهداً .

قال : وهل تروني عادلاً أيضاً ؟

قلنا : نعم .

وكان يريد المجدّد الشيرازي الكبير بهذين السؤالين أن يأخذ من تلامذته الإقرار، ليصدّر حكماً لا يتردّدون في تنفيذه .

وهكذا لما اقررنا علىٰ اجتهاده وعدالته قال :

«إني آمر كل امرأة ورجل من الشيعة بأن يقرأوا زيارة (عاشوراء) نيابة عن الوالدة المعظمة للإمام الحجة (عليه السلام)، يقسمون عليها بحق ابنها (عجّل الله تعالىٰ فرجه) كي يشفع لنا الامام عند الله تعالىٰ فينجي الله المسلمين من مرض الوباء» .

يقول آية الله الشيخ عبد الكريم الحائري : «لمجرد صدور هذا الحكم التزم شيعة سامرّاء بالطاعة، وكانت النتيجة ان لا أحد منهم أصيب بهذا المرض ، في الوقت الذي كان في اليوم الواحد يموت من غيرهم عشرة الىٰ خمسة عشر شخصاً بسبب الوباء» .

هكذا كان مقام المجدّد الشيرازي في شدّة ولائه وعلاقته بالأئمة من اهل بيت رسول الله ﷺ[1].

١٤٩ حَبْلٌ ذو طَرَفَين

لقد اشتهر المرجع الكبير المرحوم آية الله العظمىٰ الميرزا مهدي الشيرازي في كربلاء بزهده واخلاقه وحلمه وتقواه واساليبه الصعبة في ترويض نفسه ومراقبة اعماله. وهو والد المرجع الديني الكبير آية الله العظمىٰ السيد محمد الشيرازي (دام ظله) .

كما اشتهر عن المرحوم مقابلته الإساءة بالاحسان، فكم من جهلة شتموه او اغتابوه ثم ندم بعضهم واصلح سريرته، في حين استمر بعضهم الآخر في غيّه، فكان السيد يوكل امره الىٰ الله ليحاسبه يوم يقف بين يدي الله عز وجلّ . فذات مرة قيل للسيد : «ان فلاناً ـ وكان

---

١ ـ الكلام يجرّ الكلام ـ ص ٥٤ .

يروّج الإشاعات حول السيد ـ قد ذهب الىٰ ايران، وقال عنك هناك في طول البلاد وعرضها اشياءً للتنقيص من مكانتك» !

فكان ردّه بهدوء وبراءة : «لقد ربط حبلاً بعنقه، واعطاني الطرف الآخر منه، لكي اسحبه يوم القيامة واحاسبه عند اللّه تعالىٰ» [1].

وهذا هو الفارق بين من ينظر الىٰ الدنيا، فيسرع الىٰ اصدار الأحكام العاجلة علىٰ هذا وذاك ويتوعّد للانتقام والتشفّي، وبين من ينظر الىٰ الآخرة، فيصبر حتىٰ يُصدِر الحكم ذلك الشاهد العادل القادر علىٰ كل شيء، فهل انت كهذا او كذاك ؟

كما لك الخيرة في انْ تختار حبلاً في عنقك والمظلوم يجرّك به الىٰ عدل اللّه او تختار الورع عن محارم اللّه والإعراض عن الشبهات . فلنذكّر أنفسنا الحديث القائل : «الظلم الذي لايُترَك فظُلْم العباد فيما بينهم ، يَقُصّ اللّه بعضهم من بعض» .

١٥٠ آيةٌ مِن القرآن

سافرت في سنة (١٩٧٦م) من النجف الأشرف الىٰ سوريا لزيارة مرقد السيدة زينب عليها السلام ، وعمري يومئذ (١٥) عاماً كان آية اللّه الشهيد السيد حسن الشيرازي ﷺ يقيم صلاة الظهر والعصر جماعة عند مرقد السيدة رقية بنت الامام الحسين عليهما السلام وصلتُ متأخراً فلم ادرك ثواب الجماعة ، ولكني ادركت ثواب اللقاء بهذا السيد العظيم في شخصيته وفكره واخلاقه ، جلستُ معه بعد ان ذهب المصلّون فعرّفته نفسي أني طالب للعلوم الدينية من البحرين أدرس في حوزة النجف الأشرف .

قدّم لي نصائحه البنّاءة وكنت بأمسّ الحاجة إليها في تلك الفترة وأنا في ريعان الشباب وقد نفخ في كياني روح العمل الاجتماعي، ودعاني الىٰ معرفة زماني الىٰ جانب طلب العلم والاهتمام بدروسي ، لم يطل اللقاء لضيق وقته ووقتي ايضاً ، فودّعته وهو يدعو لي بالتوفيق والنجاح، وكان الوداع وداعاً اخيراً وانا لا ادري بذلك، حيث رجعت الىٰ النجف ثم انقطعت عنه حتىٰ بلغني نبأ استشهاده الفجيع في لبنان سنة (١٩٨٠م) .

ولقد علمني آية كريمة أقرؤها لدفع شرّ الظالمين وبذلك قررتُ لأشتري بعض الكتب الثقافية والاجتماعية الممنوعة في العراق، فكانت مغامرة شاب مراهق، وكم من مغامرات نجحت واورثت صاحبها نجاحاً اكبر .

---

١ ـ أسرة المجدّد الشيرازي / ص٢٧٠ .

وهكذا أنزلونا من الحافلة عند الحدود العراقية ـ الأردنية ، واخذوا يفتشون المسافرين تفتيشاً دقيقاً ، فكنت لأول مرة ارىٰ تلك الطريقة في التفتيش ، اذ كانوا يقلبون الحقيبة علىٰ الأرض بكل ما فيها، ثم يأمرون صاحبها بإرجاع الأشياء اليها قطعة قطعة مع فتحها واحدة تلو الأخرىٰ.

فقبل ان يصل اليّ المفتش تلوتُ في قلبي الآية الكريمة التي اوصاني بها الشهيد السيد حسن الشيرازي: ﴿ وجعلْنا مِن بيْنِ أيدِيهم سَدّاً ومِن خَلْفِهم سَدّاً فأغشيْناهم فهُم لايُبْصِرون ﴾ كرّرتها مرّات حتىٰ انتصب المفتش أمامي قائلاً : ماذا معك في الحقيبة ؟

قلت ملابسي الشخصية، فهل افتحها ؟

قال : لا ، إمْشِ ! تحرّك !

١٥١ فَوَجَدا عبداً من عبادنا

نقل المرحوم آية اللّه العظمىٰ الحاج فاضل الشربياني المتوفىٰ سنة (١٣٢٢هـ) وكان من مراجع الدين في النجف الأشرف أن الحاج ميرزا أبا المكارم والحاج ميرزا أبا طالب الزنجاني استخارا بالقرآن الحكيم لأن يدرسا عند آية اللّه السيد حسين كوه كمري فظهرت الآية قوله تعالىٰ :

﴿ فوجدا عبداً من عبادنا آتيناه رحمةً من عندنا وعلّمناه من لدنّا علماً ﴾[1].

فالآية مناسبة في صميم المطلب ، لذلك حضرا دروس السيد ونالا درجة رفيعة منه في العلم[2].

١٥٢ روحي له الفداء

كان آية اللّه الحاج السيد محمد كاظم المدرسي ﵀ شديد الحب للامام المهدي صاحب الزمان ﵇ وكان يعيش الوله والشوق والانشداد الىٰ درجة لايتمالك دموعه عند ذكره.

قيل ـ والقائل هو تلميذه الفاضل الشيخ محمد كاظم أنوشيرواني ـ: انه ذات مرة أخذ في مناسبة يقرأ لنا بعض أشعار في مدح الامام المهدي والاستغاثة به ، ولكنه ماستطاع

---

١ ـ سورة الكهف / ٦٥.

٢ ـ الكلام يجرّ الكلام / ج١ ـ ص١٢٠.

إكمالها اذ خنقتْه العَبرة في عدة مقاطع منها وأخذتْ دموعه تتقاطر علىٰ خدّه فبدأ يمسحها بيده .

ومرةً اخرىٰ كنا في داره جالسين مع بعض الأشخاص نتحادث في موضوع يرتبط بالامام المهدي عليه السلام واذا بالسيد مرّ من قربنا فسمع اسم الإمام (عجّل اللّه ظهوره) فتفوّه من أعماق وجوده وبكل أحاسيسه قائلا : روحي له الفداء . فانتبهنا له واقشعرّتْ جلودنا لصوته في الوقت الذي كان منصرفاً الىٰ أمره وآخذاً في شأنه ونحن ننظر اليه . الا أن السيد مع حبه العميق وهذا الانشداد الروحي الشديد للامام الحجة المهدي عليه السلام لم يكن من النمط المُفْرِط ...

نعم لقد رفض العلاّمة المدرّسي رحمه الله هذا النمط القشري في العلاقة مع الامام الحجة عليه السلام انما اعتمد النمط القائل : كن في علمك وعملك كما أمرك القرآن والعترة الطاهرة ، وهنالك سوف يأتيك الحجة بنفسه . ان الامام عليه السلام ليس عند من يعتزل الحياة ولا يهتم بأمور الناس ، لأن الاسلام لايتجزّأ ، فما هو الفرق بين هذا الذي يبعّض في العمل بالآيات القرآنية حسب راحته وعافيته وبين الذي فعل ذلك في عصر الائمة عليهم السلام والامام بين يديه ، من هنا فان المهم في هاجس الحب للإمام عليه السلام والشوق للقاء به أن يقترن بالوعي العقلي والمعرفة القرآنية للوظيفة الشرعية التي يريدها منك الامام (أرواحنا لتراب مَقْدَمه الفداء).

١٥٣ قصّةُ المئة مليون تومان !

لعب المال في حياة البشر ولا زال يلعب أدواراً بنّاءة عند ما كان بأيدي الصالحين ، وهدّامة عند ما أسّرته قبضة المفسدين . بهذا عُرف المال قوّة وأصبحت له جاذبية ما فوقها من جاذبية إلّا ما لدىٰ أهل الايمان من قوىٰ معنوية وقيم نبيلة تجعلهم كالجبل الشامخ متعالين بوجه المال والثروة . والحق أن هؤلاء القمم الايمانية التي لن تركع لجاذبية المال وحب الثروات هم قلّة . ولقد تعرّفتُ علىٰ أحدهم في مشهد المقدسة وهو شيخ مجتهد ورع يدرّس الفقه والأصول والأخلاق ، ولا أفصح لك عن اسمه ومزيد العلائم لعلمي أنه يكره الظهور ، وستكتشف هذا الأمر بنفسك حينما تقرأ القصة التالية التي نقلها لي أحد كبار العلماء في مشهد المقدسة ، حيث قال ان عالماً من أصدقائه قد أقنع ثرياً من تجار طهران بدفع خمس ماله ، وكان المبلغ (أي الخمس) عبارة عن مئة مليون تومان ، وهو مبلغ ليس بالقليل طبعاً . فقال الرجل الثري انه معجب بشخصية المجتهد الفلاني في

مدينة مشهد وسوف لا يدفع هذا المبلغ الا اليه . فجاء العالم الىٰ هذا المجتهد الجليل وأخبره بالموضوع ، وكاد يذهل لما رفض المجتهد قبول المبلغ . وكلما أصرّ عليه قابله المجتهد بالإصرار علىٰ الرفض حتىٰ قال : إنني أخشىٰ أن يؤدي رفضك الىٰ امتناع الرجل من دفع الخمس أساساً فتكون قد حَرُمتَ المشاريع الاسلامية والحوزة العلمية منه وعطّلت واجب الخمس عند الرجل . وهذا ما لا تريده بالتأكيد !

فقال المجتهد الورع : اذا كان هذا المحذور بالفعل فإني أكتفي بإقناع الرجل أن لا يبقي المال عنده بل يدفعه لمجتهد آخر . فليتّصل بي هاتفياً .

يقول العالم : خرجتُ من عنده وأنا غارق في التفكير والعَجَب . خابرتُ الرجل وطلبت منه أن يتصل بالمجتهد ، وهكذا أقنعه بوجوب دفع الخمس وأن التشيّع منذ نشوئه الىٰ هذا اليوم قد بقي وانتشر بفضل الخمس الذي هو من حق أهل البيت : وهم أمروا بتوظيفه لإحياء مذهبهم ودعم أتباعهم . فقال له الرجل الثري : خذ مني هذه الأموال وتصرّف كما هو المطلوب الشرعي في رأيكم .

أجابه المجتهد : أنا لا آخذ المبلغ ولكني أقول ابحث عن مجتهد جامع للشرائط ، لديه من المشاريع النافعة للاسلام والتشيّع . فأعطه اياه .

هذا مع العلم أن المجتهد تبيّن كونه مديوناً وهو في أمسّ الحاجة الىٰ مساعدة ، والشرع يسمح له بالاستفادة من نصف هذا المبلغ (يعني خمسين مليون) لرفع حوائجه الشخصية مقدار ما يليق بمكانته .

وأخيراً أعطىٰ الرجل ذلك المبلغ الىٰ مجتهد في قم المقدّسة وهو سماحة آية اللّه العظمىٰ الحاج الشيخ ... (دام ظله) ليصرفه في المشاريع والمؤسسات والمدارس الدينية.

فالمال عند أهل الايمان والورع ليس مقصوداً بذاته بل يقصدونه إذا رأوا أنفسهم علىٰ مستوىٰ توظيفه للأهداف الخيّرة وموانع ذلك مفقودة .

١٥٤ جَنازَةٌ الىٰ بَيتِنا !

كان احد علماء الدين (الفقراء) يمشي مع ولده الصغير خلف جنازة ، فشاهد الولد امرأة تبكي خلف الجنازة وتولول وهي تقول : «ان عزيزي هذا يأخذونه الآن الىٰ مكان ليس فيه سراج ولا فرش ولا خبز» !

فالتفت الولد الىٰ ابيه فوراً وقال : هل يأخذون هذه الجنازة الىٰ بيتنا يا أبي !؟

١٥٥ اللّسان ومُشكِلة الإنسان

نقل فضيلة الشيخ كمال الدين الكنبدي الهمداني ـ دام بقاؤه ـ عن أحد أبناء مدينته المدعو الحاج حسين أنّه قال: رأيتُ فلاناً في المنام (ولم يذكر الراوي اسمه لي حتىٰ يتجنّب غيبة الرجل الميت) وكان يحرّك آلة، يُلقي فيها أشخاصاً يفصل لحمهم عن عظامهم، فسألته مستاءً متعجباً: ما هذا العمل الذي تعمله ؟ فقال: إن هؤلاء مذنبون، وإنّني لست راغباً في هذا العمل، ولكنّني أمرتُ أنْ أقوم به لأنّي أسأت في الحياة الدنيا لأحد العلماء، وهو الشيخ كمال الدين، وأرجو منك أنْ تذهب إلىٰ الشيخ وتسأله أنْ يصفح عنّي وقل له: قبل ثلاث ليالٍ عندما كنت منشغلاً بصلاة الليل تذكّرت اسمي، ولم تطلبْ المغفرة لي، بسبب تلك الإساءة التي بدرت منّي تجاهك.

قال الشيخ كمال الدين في تصديق هذه الرؤيا: صحيحٌ قد تذكّرتُ اسمه في الصلاة، ولكنّني كما قال لم أطلب له المغفرة بسبب تلك الإساءة، وكانت القضية كالآتي: إنّ المتوفّىٰ في حياته عندما كان مشغولا في بناء بيته، وضع الميزاب في جهة لم أوافق عليها، فقلت له: ضعه في الطرف الآخر من المنزل، فقال لي: «وما دخلك أنت ؟ ليست لك الصلاحية في إظهار الرأي في مسائل البناء، فأنت تعلم المسائل الدينية فقط، إذهب وانشغل في عملك، وعلّم الناس أحكامهم». ولأنّه قال هذا الكلام مستهزءاً، وفي حضور الناس فقد تألّمتُ منه كثيراً.

أقول: يا أخي في اللّه، احفظ لسانك، حذار أنْ تصدر منك كلمة توجب هلاكك فقد روي في الكافي عن الإمام الصادق عليه السلام إنّه قال: قال رسول اللّه صلى الله عليه وآله: «إنّ اللّه يعذّب اللسان عذاباً شديداً، ولا يعذّب باقي أعضاء الجسم كما يعذّبه، فيقول اللسان: إلهي عذبتني بعذاب لم تعذّب به عضواً آخر ؟

فيرجع الجواب: قد خرج منك كلام، ووصل إلىٰ مشارق الأرض ومغاربها، فأُريق بسببه الدم الحرام، ونُهب المال الحرام، وهتك العرضُ المحترمُ، قسماً بعزّتي وجلالي لأُعذّبنّك بعذابٍ لا أعذّب به باقي أعضاء الجسم». وقال رسول اللّه صلى الله عليه وآله: «لا يدرك عبد حقيقة الإيمان حتىٰ يحفظ لسانه». وفي هذا الحديث موعظة بالغة ايضاً للذي يُفتي الناس بغير علم فيضلّهم عن طريق الحق، ويرسلهم نحو الضلالة، يقول اللّه عزّ وجل: ﴿ وإنّ كثيراً لَيَضِلُّون بأهوائِهم بغيرِ علمٍ، إنّ ربَّك هو أعلَم بالمُعتدين ﴾[1].

---

١ ـ نقلاً عن كتاب (الاموات يتكلمون معنا) ص٧٧ ـ تأليف السيد محمد الرضوي.

١٥٦ مِن الأحلام العجيبة

الميرزا النائيني

قال المرجع الكبير المرحوم آية اللّه العظمىٰ الميرزا حسين النائيني ﷺ : رأيت مرّة السيّد محمّد الفشاركي في المنام، وكنت أعلم أنه كان ميّتاً فأمسكتُ بإبهامه، وطلبت منه أنْ يحدثني عن كيفية عالم البرزخ، فامتنع السيّد بشدّة وسحب إصبعه من يدي، فأمسكتُ به ثانية، فقال: لا تكرهني علىٰ الإجابة لأننا لسنا مأمورين بشرح حالات البرزخ، ثم قال بعد ذلك: أنا كنت أخشىٰ الموت لسببين: الأوّل أنّي كنت مديوناً لبعض الناس، والثاني أنّي كنت أخشىٰ علىٰ وضع أطفالي، ومَن يعولهم بعدي، فسمعت صوتاً، إلاّ أنّي لم أرَ قائله يقول لي: إنَّ هاتين المشكلتين ستحلاّن بأيدي أربعة عشر شخصاً. وعند ذلك استسهلتُ الموت، وعندما رفعوا جنازتي مرّوا في الطريق أمام محل مبيعات لشخصين كنت مطلوباً للأوّل منهما خمسون (مجيدياً)، ـ اسم عُمْلة ـ وللثاني عشرون أو ثلاثون (مجيدياً)، وكلّ منهما عندما رأىٰ جنازتي أبرأني من ديْنه، إلاّ أن ذلك لم يتضح لأحد.

يقول آية اللّه النائيني: عندما استيقظت من النوم ذهبت إلىٰ هذين الشخصين وسألتهما: هل تطلبان فلاناً مالا ؟ فأجابا: نعم، إلاّ أنّنا أبرأناه من ذلك، فسألتهما: متىٰ أبرأتماه ؟ فقال كلٌّ منهما: عندما مرّتْ جنازته أمام دكاني[1].

يُفهم من هذا ان الميت يعي بروحه ما يدور حول جنازته، وهذا ما تؤكده الاحاديث والقصص المعتبرة.

١٥٧ وأيضاً في الأحلام

نقل الشيخ آغا بزرگ الطهراني صاحب الذريعة في أعلامه عن أستاذه شيخ الشريعة أنّه قال: كنت في أيام الدراسة والتحصيل فقيراً، وكلّما احتجت إلىٰ كتاب ولم يكن لديّ القدرة علىٰ شرائه، كنت أذهب إلىٰ أستاذي الشيخ محمّد حسين الكاظمي وأستعير منه

---

١ ـ نفس المصدر / ص٢٨ مع تصرّف في الالفاظ.

الكتاب، وصدفة آحتجت في ظهر أحد الأيام الحارة الصيفية إلىٰ كتاب، وتحرّكت نحو بيت أستاذي، وفي الطريق آجتزت مقبرة الشيخ خضر، وفكّرت هناك أنه ربما يكون الاستاذ نائماً في هذه الساعة، فوقفت في جانب القبر، وقرأت سورة (يس) بنيّة أن لا يكون في ذهابي هذه الساعة مشقة للأستاذ، ثم نهضت وذهبت إلىٰ بيت الأستاذ، قرعت الباب، فلم يجبني أحد، وبعد لحظة قرعت الباب ثانية، ولم يمض وقت كثير حتىٰ فتح أستاذي الباب بنفسه، وكان في يده الكتاب الذي آحتجته، فسألته متعجباً: مَنْ الذي أخبرك أنّي خلف الباب، وإني بحاجة إلىٰ هذا الكتاب ؟

فقال : كنت نائماً ، فرأيت في عالم الرؤيا الشيخ خضر العفكاوي، وقال لي : سيأتي فلان وهو بحاجة إلىٰ الكتاب الفلاني إنهض وهيّأ الكتاب له ، فاستيقظت وأخرجت الكتاب من المكتبة ، وفي المرة الأولىٰ التي قرعتَ الباب كنتُ أبحث في المكتبة عنه.
يقول الشيخ فدهشتُ من سماع هذه القضية ، وشرحت للأستاذ موضوع زيارتي قبر الشيخ وقراءة سورة (يٰس) الىٰ روحه الزكية[1]. هذا وكانت وفاة الشيخ خضر بن شلال العفكاوي النجفي في سنة (١٢٥٥ هـ).

١٥٨ كَلِمَةُ الإسلامِ هِيَ العُلْيا

في عام ١٣٩٢ هـ ـ ١٩٧٢م تلقىٰ المفكّر الاسلامي الشهيد آية اللّه السيد حسن الشيرازي دعوة من اهالي البحرين الكرام لزيارة بلادهم وتفقّد احوالهم واوضاعهم. ولبّىٰ ﷺ الدعوة .. وطار الىٰ البحرين، واستُقبل في المطار استقبالا عظيماً ، حتىٰ قيل : لم تستقبل البحرين عالِماً دينياً بمثل هذا الاستقبال حتىٰ الآن .. فقد ذكر شهود عيان أن عشرات السيارات الصغيرة والكبيرة اقلّت المستقبلين الىٰ المطار..

وعند وصول السيد الشهيد الىٰ قاعة التشريفات اطلق الجميع ـ بشكل جماعي وبصورة مكررة ـ شعار «اللّهم صل علىٰ محمد وآل محمد» بحيث تساءل موظفو المطار: هل حدثت مظاهرة ؟ وكان الجواب : كلا : هذه ليست مظاهرة، وانما هي استقبال واحتفاء بعلماء

---

١ ـ نفس المصدر / ص١٢٧ .

الدين ! ونزل الشهيد العظيم ضيفاً علىٰ بعض الشخصيات المعروفة والمحترمة في البحرين والقىٰ ﷺ احدىٰ عشرة محاضرة دينية قيّمة، كل واحدة في احدىٰ الحسينيات .. وكانت تمتلأ بالجماهير وتفيض .. وكانت تسبق كل محاضرة منشورات تدعو الناس الىٰ حضور المحاضرة مع تحديد المكان والزمان . وكان يحضر محاضراته ـ بالاضافة الىٰ الجماهير الشعبية ـ عدد من الوزراء والسفراء واعضاء المجلس التأسيسي . وقد اجرىٰ ﷺ مقابلة اذاعيّة ، كما كتبت عنه الصحافة المحلية ونشرت عنه ..

واعظم خطوة خطاها الشهيد الكبير في البحرين هي : ان المجلس التأسيسي كان يناقش (الدستور) القانون الأساسي للبحرين وكانت المناقشة ـ حينذاك ـ متركّزة علىٰ مسألة تحديد هويّة دولة البحرين، وكان الاقتراح المطروح علىٰ بساط البحث بهذا الشكل: «دولة البحرين دولة عربية اشتراكية» وكان اقتراح آية اللّه الشهيد هو : «دولة البحرين دولة عربية اسلامية» لأن الأغلبية الساحقة من الشعب هم من المسلمين .

وقد اثار ﷺ هذه المسألة في المحاضرة الاولىٰ من سلسلة محاضراته وتابَعها متابعة شديدة، واتصل بعدد كبير من اعضاء المجلس التأسيسي للغرض نفسه، وقام بتحركات شعبية كثيرة لنفس الهدف . كما قام ﷺ بزيارة المجلس التأسيسي، فأجلس في مكان الدبلوماسيين وبعد انتهاء الجلسة تقدم للسلام علىٰ سماحته كل من : رئيس الوزراء ورئيس المجلس التأسيسي، واربعة من الوزراء، وخمسة عشر عضواً من المجلس .

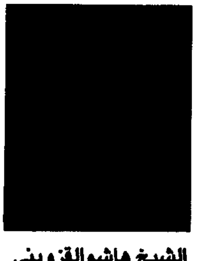
وقد تكللت هذه المساعي الحميدة بنجاح باهر، فعندما عُرضت المسألة علىٰ التصويب نالت اغلبية الأصوات، فسقطت كلمة «اشتراكية» لتتلألأ مكانها كلمة «اسلامية». ولا يخفىٰ ما في هذه الخطوة من أبعاد دينية وسياسية عظيمة، ومالَها من الأثر علىٰ القوانين العامة في البلاد . وبعد اقامة عدة ايام غادر ﷺ البحرين عائداً الىٰ لبنان. وجرت له مراسيم الوداع في المطار بأكثر مما استُقبل به من التكريم والتجليل .

هذا .. ولا زال أهل البحرين الكرام يتذكرون تلك الأيام السعيدة والذكريات الطيبة والمواقف المشرقة للشهيد الكريم . [1]

---

١ ـ آية اللّه الشهيد السيد حسن الشيرازي فكرة وجهاد / ص ٢٦٠ .

١٥٩ أينَ وَصَلْنا في البَحْث


الشيخ هاشم القزويني

نقل المرحوم الأستاذ جلال همائي خلال مقابلة اذاعية القصّة التالية : كنتُ مع آية الله الحاج الشيخ هاشم القزويني ، وهو من كبار اساتذة الحوزة العلمية بمدينة مشهد ، ندرس فترة شبابنا في اصفهان . فذات مرّة كنّا نتباحث الدرس ، واذا بالشيخ قد ساء حاله فافترش الأرض مغماً عليه ، فسارعتُ أطلب له طبيباً ، ولما حضر الطبيب وفحصه أمر بإعطائه ماءً محلّىٰ بالسكّر ، شرب قليلاً منه وفتح عينه. فجلس وفتح كتابه مباشرة وهو يسألني: أين وصلنا في البحث ؟ وكأنّه لم يحدث له طارىء !

والجدير بالذكر ان الطبيب أشار اليّ من خارج الحجرة ، فذهبتُ اليه ، فقال لي : « إن إغماء الشيخ كان بسبب شدة الجوع ، ناوله طعاماً في أسرع وقت » .

يضيف الاستاذ همائي : ولما حقّقتُ في أمره ، علمتُ انه لم يتذوّق طعاماً لمدة يومين . وذلك لشدّة فقره وتعفّفه وعدم إخباره أحداً عن حاله وجوعه [1] .

أقول : إنّ هذه الحالة من غير إفراط تكون أرضيّة لنموّ طالب العلوم الدينية كي تموت لديه الروح المادية حينما يعاشر الناس في المجتمع ، فيكون مثالاً للروحانيات والمعنويات كما كان بالفعل هذا الشيخ الجليل .

فقد ورد في الحديث عن النبي ﷺ : « ثلاث تورث القسوة، حبّ النوم، وحبّ الراحة ، وحبّ الأكل » وعكسه إذن يورث رقّة القلب .

١٦٠ إثباتُ وجودِ اللّه تعالىٰ

اعتكف العالم الكبير المرحوم الشيخ أحمد الشيرازي لتأليف كتاب حول (اثبات وجود اللّه تعالىٰ) .

وكان له ولد عمره سبع سنوات ، وذات يوم سأل أباه عن سبب عكوفه علىٰ الكتابة والمطالعة بهذه الدرجة من الاهتمام والانقطاع عمّن حوله ؟

---

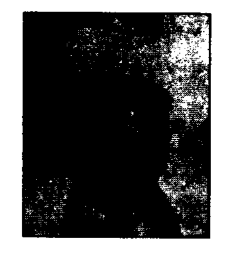
١ ـ بالفارسية (تعليم وتعلّم) / ص ٧٦ .

الاّ أن الشيخ لم يجبه ، ظناً بأن ولده في هذا العمر لا يستوعب الموضوع ، فلا داعي الىٰ الإجابة علىٰ سؤاله وصرف الوقت معه !

ولكن الولد لم يترك أباه ، فأعاد عليه السؤال ، فاضطرّ أبوه إلىٰ القول : انني يا ولدي أسعىٰ إلىٰ تأليف كتاب حول إثبات وجود اللّه تعالىٰ .

فقال الولد علىٰ البداهة : ﴿ أفي اللّهِ شكٌّ فاطرُ السّماواتِ والأرض ﴾ « سبحان اللّه إن البعرة تدلّ علىٰ البعير ، والروثة تدلّ علىٰ الحمير ، وآثار القدم تدل علىٰ المسير ، فهيكل علوي بهذه اللطافة ، ومركز سفلي بهذه الكثافة ، كيف لا يدلاّن علىٰ اللطيف الخبير »[1]

١٦١ هَنيئاً لك أيّها الميّت !


الشيخ ابراهيم الكلباسي

سماحة الحاج الشيخ محمد ابراهيم محمد حسن الكلباسي من العلماء الدارسين عند العلامة البهبهاني والسيد بحر العلوم والميرزا القمي (رحمهم اللّه تعالىٰ) .

كان هذا العالم الجليل قاضياً في منطقته، وذات مرّة دخل عليه شخص يتظلّم، فطلب منه أن يثبت دعواه بشاهد عادل . فذهب وعاد الرجل ومعه شاهد ظريف !

سأله القاضي عن مهنته أوّلاً. فأجاب الشاهد : مهنتي أغسل الأموات واكفّنهم وادفنهم! فقال له القاضي : هل تعلم الأحكام الشرعية لمهنتك هذه ؟

قال الشاهد : نعم ، بالتأكيد .

فسأله القاضي (من باب الاختبار) أسألة حول مهنته ، وأخيراً أسئلة : عندما تدخل الميّت في القبر وتضع عليه حجر اللّحْد ، بماذا تلقّنه ؟

فقال الشاهد : أقول له : هنيئاً لك أيّها الميّت ، حيث مُتَّ وسلِمتَ من الحضور عند القاضي للشهادة ! [2]

---

١ ـ كتاب (رنگارنگ) بالفارسية / ج ١ ـ ص ٤٠٨ ـ والكلمة رواية عن الامام عليّ (ع) في بحار الانوار / ج ٣ ـ ص ٥٥.

٢ ـ نفس المصدر / ج ٢ ـ ص ٢٣٤ .

١٦٢ مولودٌ مُبارَك


السيد النجفي المرعشي

آية اللّه العظمىٰ السيد شهاب الدين النجفي المرعشي ﵀ اسم عرفته جماهير المسلمين ضمن اسماء المراجع الكرام، وسمع الناس عنه الكثير من الفضائل. كتب تلميذه فضيلة السيد عادل العلوي قبساً عن حياته، واليك نبذة منه:

ولد سيدنا الأستاذ في النجف الأشرف صباح يوم الخميس في العشرين من صفر ـ (يوم أربعين الحسين ﵇) ـ عام ١٣١٥هـ، من أبوين كريمين اصيلين في الرفعة والشرف، عريقين في الفضل والأدب، فترعرع في احضان الفضيلة والتقوىٰ باراً بوالديه. نشأ في محيط مفعم بالعلم والعمل الصالح وبالمثل العليا والأخلاق الفاضلة.

حقاً ما قيل: إن المدرسة الاولىٰ للطفل هي البيت، والمدرّس الاوّل هو الأم، وان الواضع الاول لأساس اخلاقه وسلوكه هو الأب، فيترعرع الطفل علىٰ ما يجده ويلمسه في بيئته ومحيطه الاول، وتبقىٰ آثار ما أخذه متبلورة في وجوده لا تزول، وفي الأثر: العلم في الصغر كالنقش في الحجر.

حدّثني يوماً: أنه كان والده يصطحبه الىٰ درس المحقق الآخوند ﵀، وهو لم يبلغ الحلم. وعندما كانت والدته تطلب منه أن يوقظ والده، يصعب عليه أن يناديه، فكان يمسح بوجهه وخدّه باطن قدم والده، فيستيقظ بعد دغدغة لطيفة ولما يرىٰ هذا الموقف المتواضع من ولده البار تدمع عيناه رافعاً يديه الىٰ السماء، ويدعو لولده بالتوفيق.

وكان سيدنا الأستاذ كثيراً ما يقول: انما نلت هذا المقام وزاد اللّه في توفيقي ببركات دعاء والديّ عليهما الرحمة [1].

١٦٣ عناءُ التأليف

يقول فضيلة السيد عادل العلوي عن ما تحمّله أستاذُه السيد المرعشي من عناء في التأليف: حدّثني يوماً فقال: عندي أكياس عظيمة من مخطوطاتي ولكن لغربتي لايوجد عندي من يهذّبها.

---

١ ـ قبسات من حياة آية اللّه العظمىٰ المرعشي ـ تأليف السيد عادل العلوي.

وفي يوم آخر ضمن حديث شيّق قال : العلماء في قم خلال اشهر الصيف ـ حيث الحوزة تعطل دروسها لشدة الحر ـ يخرجون من قم الى أماكن خضراء ذات مناخ طيّب للاصطياف ، ولكن كنت اتحمل حرارة الصيف القاتل ، واتجرع حرارة المدينة من أجل الكتابة والتحقيق، وكنت أستظل جدار الدار هذه ، وبين ساعة وأخرىٰ أحمل كتاباتي باحثاً عن الظلّ ومرّت سنين وانا علىٰ هذه الحالة اكتب ثم اكتب ...

وكنت اشاهده ـ سنين ـ جالساً في محراب الصلاة قبل اذان الصبح وبيده كتاب يطالعه وينتقي منه لتأليف كتابه الكبير (إحقاق الحقّ) .

ويقول سيدنا الأستاذ في وصيته الاولىٰ لولده ، في مجال تصانيفه : واوصيه بتدوين كتابي مشجرات آل الرسول الاكرم ﷺ، وكذا ما علّقت علىٰ كتاب عمدة الطالب ، وسائر آثاري ورشحات قلمي ، فإني قد سهرت الليالي وتعبت الأيام في استخراجها من خبايا وزوايا مئات الكتب ، بل ألوفها علىٰ تشعب فنونها ، وبالجملة فانهما من حسنات الزمان ، فيهما فوائد ونوادر لاتوجد في غيرهما، جزاني اللّه بهما خير الجزاء.

وقال : وأوصيه بتكميل ما صدر عني من التأليف والتصنيف ونشرها ، وهي كتابات كثيرة، في الفقه والاصول والأنساب والرجال والدراية والتفسير والحديث والتاريخ والتراجم والمجامع والعلوم الغريبة والشاردة والسير والسلوك والمقامات وكتاباتي في أحوالي واكتشافاتي ومجاهداتي ومتاعبي .

وفي الحديث عن النبي ﷺ : « من مات وميراثه الدفاتر والمحابر وجبت له الجنة » .

١٦٤ لا تُنادوني بكلمةِ بابا

يقول فضيلة السيد عادل العلوي عن استاذه آية اللّه العظمىٰ السيد النجفي المرعشي ﵀: كنت جالساً في غرفته بجواره ، فدخل عليه رجل طاعن في السنّ من عوام الناس فقال بعد السلام والترحيب : سيدي أعرّفك بنفسي انا غلام الدلاّك واودّ ان اذكر لك قصة من حياتك ، كنتُ دلّاكاً في حمام عام ، وكنتَ ايام شبابك تأتي مع أولادك الصغار الىٰ ذلك الحمام ، فدخلتم يوماً ورأيتم أطفالاً ، فسألتني عنهم ، فأخبرتكم انهم أيتام ، فقلتَ لأولادك لا تنادوني بكلمة (بابا) رعاية لمشاعر هؤلاء الاطفال اليتامىٰ ثم أعطيتني نقوداً لأشتري لهم لوازم قرطاسية لمدرستهم فاشتريت ذلك .

يضيف السيد العلوي : حينما سمعت هذه القصة اهتزّت مشاعري وقلت في نفسي : اللّه اكبر ما هذه الأحاسيس المرهفة وكيف النواحي الاجتماعية الدقيقة .

١٦٥ مِثالٌ رائِعٌ في الاستقامة

يقول سماحة السيد عادل العلوي عن استاذه المرحوم سماحة آية اللّه العظمىٰ السيد شهاب الدين المرعشي ﷺ قائلاً :

كان يقيم صلاة الجماعة في المواعيد الثلاثة (الصبح والظهريْن والعشاءين) في حرم وصحن السيدة المعصومة عليها السلام .

حدّثني انه حينما استوطن قم المقدسة لم تكن تقام في السحر صلاة الجماعة في الحرم الشريف ، فقبل ستين عاماً كان الوحيد الذي سبق الناس الىٰ الحرم قبل طلوع الفجر بساعة من دون انقطاع حتىٰ في الشتاء ، وفي الليالي القارسة، وقد افترشت الأزقة بالثلوج، كان يحمل (جرافة) صغيرة ويفتح الطريق حتىٰ يصل الحرم ، فيجلس خلف الباب منتظراً .

قال : كنت اصلي وحيداً في باديء الأمر ، ثم ائتم بي واحد ، وهكذا ازدادت الجماعة، الىٰ آخر ليلة من حياته .

وانما حدّثني بهذا كشاهد لحديثه الشيّق حول المثابرة والاستقامة والصمود في العمل وكيف أن أهل العلم يصبرون في الدعوة الىٰ اللّه سبحانه وتعالىٰ ، ان البداية من الصفر ومن نفس الانسان . وبالتالي بركات اللّه ورحمته تنزل عليه .

كان يجيب يومياً علىٰ عشرات من الرسائل ، التي ترسل اليه من داخل ايران وخارجها لا سيّما من مقلديه .

اذكر في الأيام الأخيرة من عمره الشريف قد جاءته رسالة مفصّلة من إحدىٰ البلاد الافريقية تضم (١٧٠) سؤالاً ، وقرأتها عليه في ثلاثة أيام ، وكان يملي عليّ جوابها في كل يوم ساعة تقريباً . كان يقضي حوائج الناس بالمقدار المستطاع . ولايُثني عزيمته كبر السن ، ولا الأمراض والأسقام ، ولا الهموم والأحزان ، ولا القيل والقال . بل بكل صلابة وقوة وحول من اللّه يقاوم المصاعب والمشاكل . وكان خير مثال للخُلْق الاجتماعي وأفضل آية للآداب الاجتماعية الحسنة .

١٦٦ وصيّةُ الزُهّادِ والأتقياء

جاء في وصيّة المرحوم آية الله العظمىٰ السيد النجفي المرعشي لولده سماحة السيد محمود (حفظه الله) :

« واوصيه بصلة الرحم سيما اخوته واخواته ، وبالبر في حقهم فاني لم اترك لهم بعدي شيئاً من زخارف الدنيا ، وكل ما وصل الىٰ يدي صرفتها في ذوي الحاجات سيما أهل العلم حتىٰ النذورات الخاصة بي ، وسأخرج من الدنيا ولم ادع من حطام الدنيا للورثة قطميراً ووكلت أمرهم الىٰ ربي الكريم ، وابقيت لهم الذكر الجميل والمآثر والمعالي مع أني لو كنت بصدد ايراث المال لهم لبقيت الملايين ،لمكاني بين الناس وشدة وثوقهم بي فاعتبروا ياأولي الأبصار» .

وقال « واوصيه ان يدفن معي الخُمْرة (السجادة) التي صليت عليها سبعين سنة صلاة الليل » . أي كان عمره ثلاث عشرة سنة وهو يصلي صلاة الليل ، عسىٰ ان يبعثه ربّه مقاماً محموداً .

وقال : «واوصيه ان يدفن معي السبحة الفخاريّة التي استغفرت بعدد حبّاتها في الاسحار»[1].

١٦٧ هَل تَعرِف عن الحَسَدِ شيئاً ؟!

ينقل السيد العلوي ان المرجع المرحوم السيد المرعشي ـ ﷺ كان يحدّثنا عن الاخلاق والعرفان ، فذات يوم تحدّث عن الحسد فقال : الحسد في بداية الأمر كالنقطة السوداء في قلب الحسود ، فلابدّ أن يعالج الحسود نفسه بالأساليب التي ذكرها علماء الاخلاق ، كأن يدعو الله جل جلاله أن يزيلها منه ، ويفكّر في ذلك ، بأنه لماذا يريد إزالة النعمة من أخيه ، فإن الله هو المعطي وهو المانع ، هو النافع وهو الضار ، فيطلب النعمة من ربّه كما أنعم الله علىٰ محسوده ، ومن ثم يعالج نفسه ، فإن بذرة الحسد لولا علاجها وإماتتها في النطفة ، فإنها تنمو ، وتصبح في يوم شجرة ظلماء تأخذ تمام وجود الانسان .

ثم قال : كان والدي يحضر درس المحقق الآخوند صاحب الكفاية ، وكنت أرافقه في

---

١ - قبسات من حياة آية الله العظمىٰ المرعشي النجفي ـ تأليف السيد عادل العلوي .

الطريق ، وكان يرىٰ شخصاً ممن تلبّس بزي أهل العلم ، وما كان يراه والدي الاّ ويدعو عليه قائلاً: اللهم اخذله في الدنيا والآخرة ، وسمعت ذلك منه مراراً، فسألته يوماً عن سبب ذلك. فقال والدي : هذا الذي تراه كان يحضر مع شيخ آخر من بلدته درس الآخوند ، وكان الأستاذ يمدح صاحبه بالذكاء والفطنة، وإذا بفتيلة الحسد قد اشتعلت في وجود هذا الشيخ، وفي يوم ابتلي صاحبه ـ أي الطالب الذكي ـ بالزكام ، وكنت عنده لعيادته فدخل هذا الشيخ وقال له : عندي دواؤك فجاءه بمسحوق ووضعه في اناء وناوله. وبعد سويعة أخذ المسكين يتقيأ وتغيّر لونه ، وبعد ساعات ارتحل الىٰ جوار ربه، وعلمنا أنه سقاهالسّم ، وذلك من شدّة حسده، وقد أيتم أربعة أطفال من حنان الأب، وهكذا يفعل الحسد بأهله ويأكل الايمان كما تأكل النار الحطب .

وقال ﷺ إن الشيخ هادي من علماء النجف الأشرف قد كُفِّر وضُرِب بعصا الكفر نتيجة الحسد لا غير ، فانه كان عالماً فاضلاً لم يكتب الاّ الصواب ولم أجد في كتاباته ما يدل علىٰ الكفر والزندقة ، وانما كان منشأ القول بتكفيره ، أنه زار الميرزا حبيب في أيامه الاخيرة ، وكان شيخان لدى الباب ، فجيء بالشاي وشربه الشيخ هادي ، وأتىٰ الخادم ورفع قدح الشاي وحين الخروج من الغرفة التقىٰ بالشيخين ـ لعنة اللّه عليهما ـ فقالا له : الميرزا يقول طَهر القدح فانه قد شرب منه الكافر ، وسرعان ما انتشر هذا الخبر وارتحل الميرزا بعد ثلاثة أيام ولم يسأل عن حقيقة الحال ، ولكن ثبت أنهما قالا ذلك من عند أنفسهما حسداً للشيخ هادي، ولكن بقي تكفير الشيخ علىٰ ألسنة العوام ، مما آل الأمر الىٰ تشكيل مجلس في الصحن الشريف حضره علماء النجف ، وصعد المنبر أشهر خطباء النجف وبعد تعظيم مقام الشيخ هادي ورفع التهمة عنه ، شرب الشيخ من اناء قليلاً من الماء ثم شرب كبار علماء النجف من سؤره ، لكي يثبتوا للناس إيمان الشيخ وطهارته ، ولكن استمرّ العوام في تكفيره ، ومات الشيخان الحسودان الظالمان بذلّة بعد أن قضيا من عمرهما النحس أياماً عاشا بفلاكة وفقر ، ومأواهما جهنم وبئس المصير.

وفي الحديث انه خطب النبي في المسلمين قائلاً : « ألا أخبركم بأبعدكم مني شبهاً ؟ قالوا: بلىٰ يارسول اللّه . قال : الفاحش المتفحِّش البذيء ، البخيل ، الحقود ، الحسود ، القاسي القلب ، البعيد من كل خير يُرجىٰ ، غير المأمون من كل شرّ يُتّقىٰ» .

١٦٨ كرامَةُ الأولياء

نقل سماحة السيد العلوي بعض كرامات للمرجع المرحوم السيد المرعشي من باب ﴿أمّا بنعمة ربّك فحدِّث﴾ قائلاً :

أذكر نبذة علىٰ سبيل الاشارة ، وكان يقول : ما كل ما يُعلَم يُكتَب ويقال ، ولهذا احجم عن كتابة بعضها واذكر ما اشتهر بين الناس .

حدثني : انه في عصر البهلوي رضا خان عليه اللعنة والعذاب ، حينما أمر بكشف الحجاب وترويج السفور في ايران باسم (تحرير المرأة) وذلك بأمر من أسياده المستعمرين لإشاعة الفحشاء والمنكر ، ومن ثم سلب ثروات الامة الاسلامية ، وتزلزل قيمها الاخلاقية ، وتحطيم المثل الانسانية ، ونزع الروح الدينية من بين الشعوب المؤمنة .

في ذلك العصر المكفهر كان رئيس شرطة قم من الأنذال المجرمين ، وكان طويل القامة ضخم الجثة ، سمعت يوماً بعد صلاة الجماعة في حرم السيدة المعصومة عليها السلام عويل وصراخ النساء ، فاستفسرت عن ذلك ؟ فقالوا : إن فلان رئيس الشرطة دخل قسم النساء يكشف حجابهن ، فاسرعتُ اليه فوجدتُه يسحب القناع عن الرؤوس ، والنساء يبكين خوفاً وذرعاً، فانتفختْ أوداجي غيظاً ومن حيث لا أدري رفعتُ يدي وصفعت وجهه صفعة أُصيب بالدوار منها، وقلت له : ويحك يا قبيح في حرم السيدة معصومة تتجاسر علىٰ النساء .

فنظر اليّ بغيظ وقال : انا لك يا سيد !! وعلمتُ منه انه قصد قتلي .

ومن لطف اللّه سبحانه في اليوم الثاني ، أُخبرتُ أنه دخل السوق وسقط عليه سقف فمات من حينه ـ فإلىٰ جهنم وبئس المصير ـ . فرأيت لطف اللّه وعناية السيدة المعصومة، ويد اللّه الغيبية هي التي ضربت . إذ كنتُ ضعيف البنية لا أقاوم مثل ذلك الهيكل ، ولكن لا أدري كيف ضربته تلك الضربة المبرحة، التي كادت تقلع عينه من مكانها ، وقالت الناس آنذاك انما هلاك فلان من كرامة السيد .

١٦٩ مَنْ هو هذا السيّد العربي ؟!

آية اللّه العظمىٰ السيد شهاب الدين المرعشي ﵀ يتحدّث مع تلميذه صاحب الفضيلة السيد عادل العلوي قائلاً : ايام دراستي للعلوم الدينية وفقه أهل البيت ﵈ في النجف

الأشرف ، اشتقت كثيراً الىٰ رؤية جمال مولانا بقية اللّه الأعظم (عجّل اللّه فَرَجَه) وتعاهدت مع نفسي أن أذهب ماشياً في كل ليلة أربعاء الىٰ مسجد السهلة لمدة أربعين مرة ، لأفوز بذلك الفوز العظيم .

ادمت هذا العمل الىٰ (٣٦) أو (٣٥) ليلة أربعاء ، ومن الصدفة أني تأخّرتُ فِي هذه الليلة في خروجي من النجف الأشرف ، اذ كان الجوّ غائماً ممطراً ، وكان بقرب مسجد السهلة خندق ، وحين وصولي اليه في الليل المدلهم وأنا في وحشة وخوف من قطّاع الطريق ، سمعت صوت قدم من خلفي مما زاد في وحشتي ورعبي ، فنظرت الىٰ الخلف ، رأيت سيداً عربياً بزي أهل البادية ، اقترب مني وقال بلسان فصيح : يا سيد سلام عليكم ، فشعرت بزوال الوحشة من نفسي ، واطمأنتْ وسكنتْ النفس ، والعجيب كيف التفت اليّ اني سيد في مثل تلك الليلة المظلمة ؟

علىٰ كلٍ تحدثنا وسرنا ، فسألني اين تقصد ؟ قلت مسجد السهلة ، فقال بأي قصد ؟ قلت : بقصد التشرف بزيارة ولي العصر عليه السلام.

بعد خطوات وصلنا الىٰ مسجد زيد بن صوحان ، وهو مسجد صغير بالقرب من مسجد السهلة ، فقال السيد العربي : حبّذا ان ندخل هذا المسجد ونصلي فيه ونؤدّي تحية المسجد، فدخلنا وصلىٰ وأخذ السيد يقرأ دعاءً ، وكأن الجدران والأحجار تقرأ معه فشعرتُ وأحسست بثورة عجيبة في نفسي أعجز عن وصفها ، ثم بعد الدعاء قال السيد العربي : ياسيد أنت جوعان ، حبذا لو تعشيت ، فأخرج مائدة من تحت عباءته ، وكانت فيها ثلاثة أرغفة من الخبز واثنتان أو ثلاث خيارات خضراء طريّة وكأنها توّاً قُطِفَتْ من البستان وكانت ـ آنذاك ـ أربعينية الشتاء ، ذلك البرد القارس ، ولم انتقل الىٰ هذا المعنىٰ انه من أين أتىٰ بهذا الخيار الطري في هذا الفصل ؟! فتعشّينا كما أمر السيد، ثم قال: قم لنذهب الىٰ مسجد السهلة، فدخلنا المسجد وكان السيد العربي يأتي بالأعمال الواردة في المقامات ، وانا أتابعه، وصلىٰ المغرب والعشاء وكأني من دون اختيار اقتديت به ، ولم التفت انه من هو هذا السيد ؟

وبعد الفراغ من الأعمال قال السيد العربي : يا سيد هل تذهب مثل الآخرين بعد الأعمال الىٰ مسجد الكوفة أو تبقىٰ في مسجد السهلة، قلت : أبيتُ في المسجد ، فجلسنا في وسط المسجد في مقام الامام الصادق عليه السلام.

وقلت له : هل تشتهي الشاي أو القهوة أو السيجار حتىٰ أعدّه لكم ؟

فأجاب بكلمة جامعة (هٰذه الأمور من فضول المعاش ، ونحن نتجنّب فضول المعاش) أثّرتْ هٰذه الكلمة في أعماق وجودي ، كنت متىٰ ما أشرب الشاي واتـذكر ذلك المـوقف وتلك الكلمة ترتعد فرائصي .

وعلىٰ كلّ حال ، طال المجلس بنا ما يقارب الساعتين ، وفي هذه البرهة جرتْ مطالب أشير الىٰ بعضها :

١ ـ جرىٰ حديث حول الاستخارة فقال السيد العربي : يا سيد كيف عملك للاسـتخارة بالسبحة فقلت : ثلاث مرات صلوات وثلاث مرات (استخير اللّه برحمته خيرة في عافية) ثم آخذ قبضة من السبحة ، وأعدها ، فان بقي زوج فغير جيدة ، وان بقي فردٌ فجيدة .

فقال السيد : لهذه الاستخارة تتمّة لم تصل اليكم ، وهي عندما يبقىٰ الفرد لا يحكم فوراً أنها جيدة بل يتوقف ، ويؤخذ مرة أخـرىٰ عـلىٰ تـرك العـمل فـان بـقي زوج فـيكشف ان الاستخارة الاولىٰ كانت جيدة وان بقي فرد فيكشف ان الاستخارة الاولىٰ وسط .

قلت في نفسي حسب القواعد العلمية عليّ أن اطالبه بالدليل ، فأجاب : وصلنا من مكان رفيع ، فوجدت بمجرد هذا القول التسليم والانقياد في نفسي ، ومع هذا لم اتوجه انه من هو هذا السيد ؟

٢ ـ ومن مطالب تلك الجلسة تأكيد السيد العربي علىٰ تلاوة هذه السور بعد الفرائـض الخمس فبعد صلاة الصبح (سورة يس) وبعد الظهر (سورة عمّ) وبعد العصر (سورة نوح) وبعد المغرب (سورة الواقعة) وبعد العشاء (سورة الملك) .

٣ ـ ومن المطالب : تأكيده علىٰ هذا الدعاء بعد الفرائض الخمس (اللهم سرّحني مـن الهموم والغموم ووحشة الصدر ووسوسة الشيطان برحمتك يا أرحم الراحمين) .

٤ ـ لقد مجّد شرائع الاسلام للمحقق الحلي وقال : كلها مطابقة للواقع الاّ عدة مسائل.

٥ ـ التأكيد علىٰ تلاوة القرآن وهدية ثوابها للشيعة الذين ليس لهم وارث ، أو لهم ولكن لم يذكروا أمواتهم .

٦ ـ التأكيد علىٰ زيارة سيد الشهداء عليه‌السلام.

٧ ـ دعا في حقي فقال : جعلك اللّه من خَدَمَةِ الشرعِ .

٨ ـ قلت له : لا أدري هل عاقبة أمري بخير وهل انا مبيض الوجه عند صاحب الشرع المقدس فقال : عاقبتك علىٰ خير ، وسعيك مشكور ، وانت مبيض الوجه .

وهناك مطالب أخرىٰ لا مجال لتفصيلها .

فأردت الخروج من المسجد لحاجة ، فأتيت الحوض وهو في وسط الطريق قبل أن أخرج من المسجد تبادر الىٰ ذهني أي ليلة هذه ؟ ومن هذا السيد العربي صاحب الفضائل ؟ ربما هو مقصودي فما أن خطر هذا علىٰ بالي حتىٰ ورجعت مضطرباً فلم أجد أثراً لذلك السيد ولم يكن شخص في المسجد فعلمت أني وجدت من أتحسّس عنه ، ولكن أصابتني الغفلة ، فبكيت ناحباً ، كالمجنون رحت أطوف اطراف المسجد حتىٰ الصباح كالعاشق الولهان الذي ابتلي بالهجران بعد الوصال وكلما تذكرت تلك الليلة ذهلت عن نفسي وهذا إجمال من تفصيل .

١٧٠ لكيلا نتعاجز



الشيخ مرواريد والمؤلف

مع بدء شهر رمضان المبارك سنة (١٤١٦ هـ) أخذتُ أفكّر في من أهدي إليه ثواب ختم القرآن الحكيم في هذا الشهر الكريم ، فكان الامام الرضا عليه السلام قد حضر في بالي ، ومَن أوْلىٰ به وأنا مديون لعظيم إحسانه ، وما أقدّمه له ـ على فرض قبول اللّه تعالى ـ لا يوفي أقل القليل من كثير ما قدّمه اليّ هذا الإمام الرؤوف ، وما دام هو (الرضا) فهو يرضىٰ من أحبائه على قدر استطاعتهم بلا شك ، أليس هو الجواد ابن الجواد أبو الجواد؟ .

هذا مع العلم أن شهر رمضان ربيع القرآن ، وثواب تلاوة آية واحدة فيه يعادل ثواب ختم للقرآن كله في غير هذا الشهر ـ كما في الحديث عن النبي صلى الله عليه وآله ـ ، فكيف بثواب ختم واحد والقرآن (٦٢٣٦) آية ـ بناءً علىٰ أصحّ الأقوال ـ؟ فالختم الواحد في هذا الشهر العظيم يعادل ثوابه (٦٢٣٦) ختماً وفق الحسابات البشرية ، وأما الحسابات السماوية التي اليوم الواحد فيها عند اللّه كألف سنة عندنا فهي خاصة بالله الغني .

وهكذا بدأتُ أتلو بانتظام حتى ليلة الخامس من الشهر، إذ رنّ جرس التلفون، مكالمة خارجية تحمل نبأ ينعىٰ الينا ارتحال الحاج عبد النبي (خال زوجتي) الى رحمة اللّه تعالى في البحرين، عن عمر يناهز الخمس والخمسين عاماً، حيث كان في سجود صلاة العشاء وهو لم يكن يفطر من صومه، وكأنه كان مدعوّاً الىٰ الإفطار في الجنة (أعلى اللّه مقامه).

فانشغلتُ بالدعوة الى فاتحة وقراءة حسينية ومأدبة إفطارية في منزلي، وقد أخذ هذا الأمر مني وقتاً وجهداً مضاعفاً مما جعلني أتخلف عن الالتزام بالتلاوة في كل ليلة، وكنت أذهب الى الحرم وأجلس قرب الضريح جهة الرأس الشريف للتفرّغ والتدبّر في التلاوة الا انني وجدت الأيام والليالي تسبقني، واقتربت ليلة الثامن عشر من الشهر (ذكرىٰ وفاة والدي سنة ١٤٠٠ هـ) فكان عليّ التحضير للدعوة الى مجلس آخر وترتيب مأدبة إفطارية كالعادة السنوية عندنا ثواباً الى روح الوالد.

ثم حلّتْ ليالي ذكرىٰ استشهاد الامام علي عليه السلام وليالي القدر، فانشغلت بهذه المناسبات، وكلما كنت انظر الى الليالي تتقدم والقي نظرة الىٰ ما وصلتُ اليه في التلاوة فيقلقني بون المسافة، أبدأ بالضغط على نفسي لاستدراك ما فاتني حتى جعلتُ قسطاً من التلاوة في النهار ولكني بسبب الضعف الذي عادة يصاب به الصائم توقفت عن التلاوة في النهار خشية أن لا أقع في أخطاء غير شعورية فيُشكل حكم صومي، فاكتفيت بالتلاوة في الليل ولكن الركب متخلف، ماذا أصنع وأنا متعهّد أن لا ينقضي عليّ شهر رمضان حتى أُنهي ختماً واحداً وهو أبسط ما أتمكن إهداؤه الىٰ الامام الرضا عليه السلام. وفوق هذا كله جاءت إصابتي بالزكام ليزيد في الطين بلّة، فأخذت أردّد مع نفسي فكرة الاعتذار الىٰ الامام عليه السلام، وكدتُ أذهب الى الحرم عصر يوم الخامس والعشرين وألقي إليه عذري بأني لا أستطيع ختم القرآن الى قبل نهاية شهر رمضان مبرّراً لنفسي الآية ﴿ولا يكلّف اللّهُ نفساً إلّا وُسْعَها﴾ !! ولكني قبل الذهاب الى الحرم طرقت باب منزل العالم الورع آية اللّه الحاج الشيخ حسن علي مرواريد (دام ظله) وكنت أحضر عنده أياماً في الأسبوع لأرتوي من نبعه المعارفي الزلال بعض رشحات الهُدىٰ، وذلك اليوم ومن دون أن افصح لسماحة الشيخ عن حالي وقراري ذكر لي قصة أثناء الدرس نفخ بها روح العزيمة في نفسي، لقد دفعتني هذه القصة الى تقوية إرادتي والتغلّب على الحالة المتداعية عندي والتفكير في التبرير الواهي. قال الشيخ (حفظه اللّه): كان بيني وبين العلامة الأميني (صاحب الغدير) رحمه الله عهداً على أن أنبيه أنا في الزيارة هنا عند مرقد الامام

الرضا عليه السلام كلما ذهبت للزيارة، وينيبني هو في النجف الأشرف كلما دخل حرم الامام علي عليه السلام للزيارة وبعد سنوات سافرتُ الى النجف فدخلت عليه مكتبته (مكتبة أمير المؤمنين)، فأول ما بادرني إليه الشيخ الأميني قوله: اني لم أنس الزيارة بالنيابة عنك. قلت له: وأنا كذلك انيبك في زيارة الامام الرضا عليه السلام في مشهد المقدسة.

وبعد سنوات اخرىٰ جاء العلامة الأميني الى مشهد ليصوم شهر رمضان الكريم في جوار حرم الامام الرضا عليه السلام، فكان من بعد الإفطار الى أذان الصبح يقضي وقته عند الضريح الشريف بالصلاة تلو الصلاة.

سألته: ما هذه الصلاة التي تصلّيها طول الليل؟

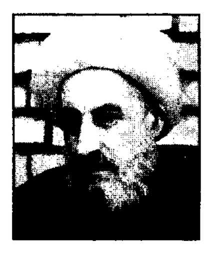
فقال: لما قرّرت السفر الى مشهد قلت مع نفسي ما الهدية المناسبة التي تجدر بي أن اقدمها الىٰ الامام الرضا عليه السلام، أليست العادة ان المسافر يحمل (هدية) إلى حبيبه ؟!

فطرأ على بالي أن خير هدية أن أهدي إليه ألف ركعة صلاة في كل ليلة (يعني خمسمائة صلاة ذات ركعتين)، أصليها في جواره.

وهكذا أنهىٰ العلامة الأميني في الليلة الأخيرة من الشهر المبارك ثلاثين ألف ركعة كاملة.

أقول: حينما سمعت هذه القصة، خجلتُ مع نفسي وأنا الشاب الذي يريد إهداء ختم واحد من القرآن الكريم للامام عليه السلام، وهو ليس بأمر صعب قياساً بما قام به العلامة الأميني (مع كِبَر سِنّه)! وراودني بالإضافة الى خجلي العجب من نقل الشيخ مرواريد لهذه القصة لي في صميم الفرصة المناسبة، ولما أخبرته بالقضيّة ابتسم! وهنالك لم أقرّر التراجع عن الاعتذار الىٰ الإمام الرضا عليه السلام فحسب بل ذهبت ولأربع ليالٍ متتالية الىٰ الحرم الرضوي اتلو الأجزاء الباقية عند الضريح الشريف باندفاع وانشداد قويّين، فختمتُ القرآن ليلة ختام شهر الصيام دون تعاجز، وكان ذلك من فضل ربي وبركة الامام الرضا عليه السلام وهداية الأستاذ آية الله مرواريد (أطال الله عمره الشريف).

من هنا فعلىٰ الانسان ان لا يزيّن عجزه بتبريرات هشّة.



الميرزا جواد التبريزي

١٧١ وهل يقتدي بهما آخرون ؟

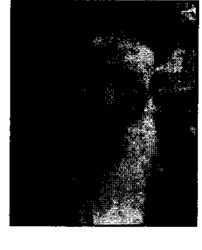
آية الله العظمىٰ الحاج الشيخ ميرزا جواد التبريزي (دام ظله) هو الآخر من مفاخر فقهاء الإمامية وواحد من أبرز الاساتذة الكبار في حوزة قم المقدسة. لما أنهىٰ مرتبة من دروسه في

حوزة قم المقدسة كان متلهفاً لمواصلة مراتبها العليا في حوزة النجف الأشرف ، الا أن ظروفه المادية كانت تمنع تحقيق هذه الأمنية حتىٰ ذات مرة ضمه مجلس مع جمع من العلماء وكان يحضره أحد التجار المتدينين ، فدار بين الجمع بحث علمي وفقهي قد أظهر فيه سماحة الشيخ علمه وأثبت جدارته بين الحاضرين حتىٰ نال إعجاب الرجل التاجر ، فجاء اليه بعد المجلس والتمسه أن يطلب منه خدمة ، فقال له سماحة الشيخ التبريزي اني منذ فترة أعيش ورغبة ملحة لمواصلة دروسي العليا في النجف الأشرف جوار مرقد الامام أمير المؤمنين عليه السلام ولكن الظروف المادية لا تساعدني. فتكفل الرجل الخيّر مصاريف سفره ومعيشته حتىٰ استغنىٰ الشيخ من أخذ راتب الحوزة في النجف الأشرف.

هكذا يمنّ اللّه تعالىٰ علىٰ عباده المتقين ، أليس هو القائل في محكم كتابه الحكيم (ومن يتق اللّه يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب) .

هذا ولقد انتقل التاجر المتدين الىٰ رحمة اللّه قبل سنوات قليلة ، فهنيئاً له أجره وقرّت به عينه يوم يفتحها علىٰ نعيم الجنة الخالدة ، وهل يقتدي بهما آخرون ؟

١٧٢ فَقيهٌ بروحِ الإخلاص



السيد احمد حجّت الكابلي

بعد أن أنهىٰ آية اللّه السيد أحمد حجت الكابلي دراسته في حوزة مشهد وانتقل الىٰ حوزة قم ثم انتقل في دروسه العليا الىٰ حوزة النجف الأشرف وبلغ درجة الاجتهاد في فقه الشريعة الاسلامية قرّر العودة الىٰ افغانستان لخدمة المسلمين من أهل الوطن .

الاّ ان بعضاً اقترح عليه عدم الذهاب الىٰ أفغانستان بسبب الظلم والاضطهاد للشيعة ، وقال له : مثلك بهذه الدرجة العلمية إنْ ذهبتَ الىٰ أفغانستان تُهضَم ، فلا أحد يعرف منزلتك. بينما اذا بقيتَ في النجف فقد تصلك المرجعية فتصبح رئيساً للمذهب . أو اذا سافرت الىٰ ايران أو الهند أصبحت مرجعاً محترماً .

فقال السيد أحمد : أما النجف الأشرف فمليئة بالفقهاء والعلماء وليس هناك حاجة إلي، وأما ايران ففي كلّ زقاق عالم ، وأما الهند فمستعمرة من مستعمرات الانجليز وانا أكره أن أعيش تحت سيطرة الكفّار .

أعود الىٰ وطني لأخدم أهل تلك الديار المحرومة مادياً ومعنوياً فلعلّي تمكنتُ من إعلاء

اذاننا فوق المنائر وفكرنا فوق المنابر ، وبعده لا يهمني كيف أعيش مادياً أو أن أحصل علىٰ احترام ومنصب [١].

فسلام عليه من عارف ما أعظمه ومخلصٍ ما أطهره ، انه الفقيه بروح الإخلاص .

١٧٣ المغفَّلُون والغافِلون

السذاجة والحُمْق والعصبية العمياء ، صفات من أسرة الجاهلية ، ويتأسف عقلاء كلّ مجتمع علىٰ تغلغل مثل هذه الصفات في بعض الناس ويتألمون لإفرازاتها الجاهلية وآثارها السيّئة علىٰ المجتمع ، والجاهل يفعل بنفسه وصديقه ما يعجز ان يفعله عدوّهما .

يُذكَر بهذه المناسبة انّ العلاّمة الشهيد الشيخ حسين آل عصفور (الذي قُتِل سنة ١٢١٦ﻫ وقبره في قرية شاخورة بالبحرين) كان يدرِّس فقه الشريعة الاسلامية ، وكان بين تلامذته طالب وقّاد الذهن جريء في مناقشة استاذه ، ولذلك اصبح ممّن يودّه الاستاذ ويهتم بمناقشاته . ومن ناحية أخرىٰ كان لدىٰ الشيخ خادم ساذج يحبّ الشيخ بعصبية عمياء ولم يكن عنده من العلم نصيب غير انه يحب خدمة العلماء بطريقته العفوية الدارجة بين قطاع من الناس قديماً وحديثاً .

كان الخادم ـ كما يملي عليه حُمقُه ـ يتصوّر ان هذا الطالب الجريء الذي يقاطع الشيخ في بحثه ويردّ عليه ويناقشه عدوّ للشيخ !

لذلك قرّر عند نفسه أن يخدم الشيخ ويسرّه بهذه الخدمة ! فَكَمَنَ لهذا الطالب ذات صباح خلف النخيل وأجهز عليه فقتله ، ثم جاء الىٰ الشيخ كعادته اليومية ، وهو ينتظر الفرصة المناسبة لإخبار الشيخ بهذه الخدمة !

انهىٰ الشيخ درسه في ذلك اليوم ولم يجد لتلميذه المتفوّق حضوراً ، فاستغرب قليلاً ، وزاد استغرابه في اليوم التالي . فرآه الخادم جالساً علىٰ عتبة المسجد ، ينظر يمنة ويسرة ويلقي ببصره بعيداً وكأنه يبحث عن شخص وينتظر قدوم أحد ، فسأله : مَن تنتظر يا سماحة الشيخ ؟

لعلك تفكّر في الذي أرحتك منه !

قال الشيخ : ماذا تقول ؟ !

---

١ ـ كتاب عن حياته بالفارسية، طبع في حوزة قم / تأليف السيد محسن حجت/ص١١.

قال الخادم : نعم لقد اصبحتَ منذ اليوم تلقي دروسك بحرية تامة ، لا أحد يعارضك في الجلسة ولا يشاغبك ولا يعاديك ! قال الشيخ : ماذا تقصد ؟ قال الخادم : اقصد ذلك الطالب المشاغب ، لقد قتلته لتستريح منه ! فضرب الشيخ علىٰ رأسه وبكىٰ بشدّة ، وطرد الخادم الأحمق من عنده للأبد[١]. والسؤال هنا لمجرد العبرة والدرس من التاريخ : هل علماء اليوم يطردون المؤيدين الغافلين والمغفَّلين مِن حولهم كيلا يسيئوا إلىٰ سمعة الاشخاص وينتهكوا حرمة أجواء العلماء المنافسين لهم في الخدمة الإسلامية ؟ !

سؤال ينتظر الجواب السريع مع التأني والتفكير في العواقب الدنيوية والاخروية ونحن نقول : (اللّهم نبّهنا من نومة الغافلين) .

١٧٤ رجلٌ مِنَ المَفاخِر

الشيخ محمد تقي بهلول .. وجه عرفتْه أحداث مسجد (گوهر شاد) في مدينة مشهد المقدسة في عصر الشاه رضا خان البهلوي سنة (١٣٥٤هـ) أي قبل ستين عاماً من هذه الكتابة وقد هرب من المجزرة بعد مشاركته الجهادية في قيادة الناس والتحريض علىٰ قوانين حكومة الشاه المناوئة للشريعة الاسلامية ، وقطع الصحاري مشياً علىٰ الأقدام حتىٰ وصل الىٰ أفغانستان ولكنه أُخِذ الىٰ السجن هناك لتواطيء بين ملكها وشاه ايران فعاش بين سجن ونفي مدة إحدىٰ وثلاثين سنة ، وسطّر بطولات ومفاخر للاسلام خلال تلك المحن ، فضرب بذلك الرقم القياس في مدّة اعتقاله واستقامته حتىٰ عاد الىٰ ايران في زمان حكومة الشاه محمد رضا قبل سقوطه وانتصار الثورة الاسلامية بسنوات قليلة.

الشيخ بهلول مع المؤلف

كتب الشيخ في مذكراته السياسية عن ظروف الافراج عنه قائلاً :

اختلفتْ حكومتا باكستان وافغانستان وتراميا في إعلامهما علىٰ بعضهما بعض ، ومما

---

١ ـ راجع التفصيل عن حياة الشيخ في كتابنا (علماء البحرين ، دروس وعبر) .

قالت اذاعة باكستان « ان دولة افغانستان تحتجز في السجن عالماً اسمه الشيخ بهلول مرتْ علىٰ سجنه (٣١) سنة من دون محاكمة » .

فضجّتْ الأوساط السياسية في البرلمان الأفغاني وتحرك بعض الشخصيات الشيعية في كابل حتىٰ دفع اغنياء الشيعة (١٥) ألفاً من النقد الأفغاني الىٰ ثلاثة وزراء كانوا يمتنعون من التصويت علىٰ اطلاق سراحي .

بعد ذلك خيّرتني الحكومة بين البقاء حرّاً في أفغانستان وتعيّنني مدرِّساً في (دار العلوم العربية) ، وبين العودة الىٰ ايران ، أو الخروج الىٰ حيث اختار من البلدان .

ولما كانت حكومة جمال عبد الناصر مخالفة لحكومة ايران اخترت اللجوء الىٰ مصر. ووافقتْ الحكومة المصرية عبر سفارتها في كابل فطرتُ الىٰ القاهرة وكتبت في اذاعة مصر ضد اليهود وامريكا وحكومة شاه ايران مقالات واشعاراً بالعربية والفارسية مدة عام ونصف .

ثم هاجرتُ الىٰ العراق وأقمت فيه سنتين ونصف سنة احاضر في الاذاعة عن الأوضاع السياسية في ايران ، اذ كانت الحكومة العراقية ايضاً مناوئة للشاه .

ولما تأزّمتْ علاقات الحكومة العراقية وحكومة الشاه أخذتْ الحكومة العراقية تحشد قواتها علىٰ الحدود وتسفِّر الايرانيين وتسلِّمهم الىٰ الحكومة الايرانية ..

ولكي لا يسلِّموني ذليلاً سلَّمتُ نفسي للسفارة الايرانية عزيزاً ومن موقع القوة والمبادرة الشجاعة .

وهكذا وصلت الىٰ الحدود ، فما أن وضعتُ قدمي علىٰ أرض ايران حتىٰ أخذوني الىٰ السجن للتحقيق والاستجواب وقد استمر ذلك خمسة أيام .

حينما قرأ الشاه أوراق الاستجواب الذي عمله معي (نصيري) رئيس المخابرات (السافاك) أصدر أمراً بالعفو عني .

والسبب في عفوه هو إجاباتي القوية للأسئلة التي طرحها عليّ نصيري بعد سرد الكلام عن واقعة مسجد گوهر شاد .

سألني : ماذا دعاك لتسلّم نفسك رغم عدائك الشديد للحكومة البهلوية الشاهنشاهية طوال السنوات الماضية ؟

قلت : انّ حكومة الروس والانجليز كانتا متعاديتين ، ولكن حينما تعرضتا لهجوم ألمانيا جمّدتا خلافاتهما واتحدتا في الحرب ضدّ الألمان .

وانا رغم عدائي للشاه وحكومته الظالمة فإني أقف معها في وجه اطماع البعث العراقي في اقليم خوزستان .

وسألني نصيري : نظراً لتاريخك الطويل في عملك ضد الحكومة الشاهنشاهية وخاصة قيادتك للمعركة في واقعة مسجد (گوهر شاد) أما خفتَ من الإعدام اذا تسلّم نفسك ؟!

قلت : أنا لستُ أقل من الفيلسوف اليوناني سقراط ، اقرأ كتاب محاكمته وإعدامه لترىٰ بأية شجاعة استقبل الموت .

لماذا أخشىٰ من الموت ؟ فالذي له أقارب في مدينة مشهد وله أقارب في طهران لايفرق لديه أن يقيم في مشهد أو يقيم في طهران . فأينما يعيش يكون مع أقاربه وبين أهله !

إنّ والدي ووالدتي وأختي والعديد من أقاربي يعيشون في عالم البرزخ ، وبنات أختي والبقية من أقاربي ، عماتي وخالاتي وأولادهن وأولاد أعمامي وأخوالي يعيشون هنا في عالم الدنيا .

فلا فرق عندي أن أعيش مع أولئك أو أعيش مع هؤلاء ، اينما أكون فإني بين أهلي وأقاربي وأحبّائي ![1]

١٧٥ كِتابٌ وكاتبٌ ودَلالات

ان لكتاب « منازل الآخرة » قصة مهمة جداً تكشف عن عظمة التربية الاسلامية التي تلقّاها مؤلفه الشيخ عباس القمي رضوان اللّه تعالىٰ عليه ..

قال المحدّث لولده الكبير : عندما ألّفت كتاب « منازل الآخرة » وطبعته ، ووصل الىٰ قم وقعتْ نسخة منه بيد الشيخ عبد الرزاق وهو شيخ كان يبين بعض الأحكام الشرعية كل يوم قبل الظهر في دار حرم المعصومة (فاطمة بنت الإمام الكاظم) عليها السلام.

وكان والدي المرحوم كربلائي محمد رضا من مريدي الشيخ عبد الرزاق والمعجبين به .. يحضر مجلسه يومياً ..

وبدأ الشيخ عبد الرزاق يفتح كتاب « منازل الآخرة » ويقرأ منه للمستمعين .

وذات يوم جاء والدي إلىٰ البيت وقال لي : شيخ عباس .. ياليت أنك مثل هذا الشيخ

---

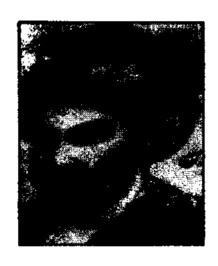
١ ـ بالفارسية (خاطرات سياسي بهلول) ص ٢٨٨ ـ ٢٩٤ / ويمكنك مراجعة النسخة التي ترجمناها الى العربيّة باسم (مذكّرات الشيخ بهلول).

الذي يبيّن لنا الأحكام تستطيع أن تصعد المنبر وتقرأ لنا من هذا الكتاب الذي قرأ لنا منه اليوم!!

وعدة مرات أردت أن أقول له : ان ذلك الكتاب من مؤلفاتي .. ولكني كنت كلّ مرّة أمتنع عن ذلك .. ولم أقل له شيئاً .. فقط قلت له : تكرّم بالدعاء لي ليوفقني اللّه [1].

إن عمق الإخلاص الذي يتجلىٰ في هذه القصة يدل علىٰ أن المؤلف عاش الآخرة منزلاً منزلاً ، حتىٰ أصبح قلبه معلّقاً بالملأ الأعلىٰ متيّماً بحب الوطن الحقيقي والحياة الحقيقية ..

١٧٦ هادِئٌ جِدّاً


نصير الدين الطوسي

كتب المحدث القمي الشيخ عباس ﷺ عن مكانة العالم الكبير الشيخ نصير الدين الطوسي .. ما يلي : « ومما اتفق له أن شخصاً أرسل إليه ورقة يشتمه ومن جملة ما فيها: (ياكلب بن كلب) فكان جوابه ﷺ هادئاً جداً .. ومن الجواب : وأما قوله يا كذا فليس بصحيح لأن الكلب من ذوات الأربع وهو نابح طويل الأظفار، واما انا فمنتصب القامة بادي البشرة عريض الأظفار ناطق ضاحك ، فهذه الفصول والخواص غير تلك الفصول والخواص ».

وهكذا ردّ علىٰ سائر فقرات ما ورد في ورقته بغاية المتانة وألقاه في غيابة جب المهانة.

يضيف الشيخ عباس القمي معلّقاً : لا عجب في هذا الخُلْق الشريف للمحقق الجليل لأن آية اللّه العلامة الحلي ﷺ يقول فيه : وكان هذا الشيخ أفضل أهل عصره في العلوم العقلية والنقلية وله مصنفات كثيرة في العلوم الحكمية الشرعية علىٰ مذهب الإمامية وكان أشرف من شاهدناه في الأخلاق نوّر اللّه ضريحه ، يقول الفقير وهنا محل التمثّل بهذا البيت :

كلُّ عِطرٍ شممتُه مِن المِسْك والقَرُنفُلِ فهو مِن أريجِ تلك الغُرّة التي هي كالسنبُلِ

ولقد تحلىٰ المحقق الطوسي بحسن الخلق هذا بالإلتزام بتوجيهات أمير المؤمنين ﷺ الذي سمع : « رجلاً يشتم قنبراً وأراد قنبر أن يرد عليه فناداه أمير المؤمنين ﷺ مهلاً ياقنبر دع شاتمك مهاناً ، ترضي الرحمٰن ، وتسخط الشيطان ، وتعاقب عدوك ، فوالذي فلق الحبة

---

١ - عن مقدمة كتاب (منازل الآخرة).

وبرأ النسمة ما أرضىٰ المؤمن ربه بمثل الحلم، ولا أسخط الشيطان بمثل الصمت ولاعوقب الأحمق بمثل السكوت عنه».

وقد مدح المخالف والمؤالف المحقق الطوسي .. قال جرجي زيدان في آداب اللغة العربية في ترجمته: «أنشأ مكتبة وشحنها بالكتب التي زادت علىٰ الأربعمائة ألف كتاب وأقام المنجمين والفلاسفة ووقف عليها الأوقاف فزهي العلم في بلاد المغول علىٰ يد هذا الفارسي كأنه قبس منير في ظلمة مدلهمّة».

ويضيف الشيخ عباس القمّي: وقد أوردت ترجمته في كتاب «الفوائد الرضوية» الذي هو في تراجم علماء الإمامية بما يتناسب مع ذلك الكتاب وذكرت أنه‌ﷺ من «وشاره» التي هي من توابع «جهرود» علىٰ عشرة فراسخ من قم إلاّ أنه ولد في طوس في الحادي عشر من جمادي الأولىٰ سنة ٥٩٧ وتوفي في أواخر يوم الاثنين الثامن عشر من ذي الحجة سنة ٦٧٢ ودفن في البقعة الكاظمية المنورة سلام اللّه علىٰ ساكنيها[١].

١٧٧ وإنّه لَقَسَمٌ لو تَعْلَمونَ عظيم

كان آية اللّه العظمىٰ الحاج الشيخ محمد حسن حجّتي ﷺ (نجماً من سماء العلم والتقوىٰ)[٢] متصدّياً لحل مشاكل الناس الاجتماعية والاصلاح بين المتخاصمين، ولمنزلته العالية في الورع والتقوىٰ كان لايتجرأ أحد من طرفَيْ النزاع أن يقسم عنده بالله تلفيقاً وكذباً، لأنه اشتهر في أنه ما أقسم أحد عنده الا وأصابه أذىٰ. وكانت طريقة الشيخ أن يفاوض الطرفين للوصول بهما الىٰ الصلح واذا لم يتصالحا يطلب من المنكِر ـ حسب الرأي الفقهي في الحكم والقضاء ـ أن يقسم عنده بالله، وهو يذكّره بأن المُقسِم اذا كان كاذباً سوف يتورط في مشكلة.

ذات مرة أتم الحجة علىٰ منكِر وفهّمه عاقبة القَسَم الكاذب، ولكن الرجل أصرّ علىٰ إنكاره بصلافة فأقسم بالله (كذباً) فما مضىٰ بضعة الأيام حتىٰ غرق ومات.

وفي قضية اخرىٰ كان رجل صاحب دكّان في السوق قد أقسم في حضور الشيخ تلفيقاً

---

١ ـ راجع المصدر المذكور.

٢ ـ كتاب بهذا الاسم صدر عن حياته مؤخراً بالفارسية والقصة نقلتها منه / ص٦٤.

وكذباً فما خرج حتىٰ بلغه خبر اشتعال النار في دكّانه، فاحترق فيه أكثر ماكان وخسر ماله.

ومرّة نشب نزاع بين عشائر احدىٰ القرىٰ القريبة لمدينته (كرمانشاه ـ الايرانية) فدعاهم سماحة الشيخ الىٰ منزله وأحضر قرآناً كبيراً مكتوباً بخط كبير كان يتلو منه في اليوم الواحد ثلاثة أوقات غالباً صباحاً وظهراً ومساءً، فأعطىٰ هذا القرآن العظيم بيد ولده فضيلة الشيخ الحاج محمد ليمرّ به علىٰ المتنازعين الحاضرين في المجلس كي يُقْسِموا علىٰ فضّ النزاع وعدم العودة الىٰ خوض الفتن. وهكذا أقسموا وتعهدوا وخرجوا من عند الشيخ برضا وتسليم، الا أن أحدهم بعد أيام خالف قَسَمه وعاد الىٰ النبش في الماضي الأسود، فمَا كان الا أن حصلتْ له حادثة اصطدام أودتْ بحياته.

١٧٨ قَدّم لَه ثَواب الحجّ كُلّ عام

كان في النجف الأشرف رجل من الحجاز يطلب العلم يُدعىٰ الشيخ علي الفرعي وكان قريناً للمقدس الشيخ علي مغنية في التقىٰ والفضل، ورفيقاً له في الدرس والبحث، فقضيا شطراً من الدهر متلازميْن جادّيْن في تحصيل العلم مجاهديْن في سبيله حتىٰ بلغا منه الذروة العليا.

وقد أصابهما من الفقر والعوز ما يصيب كلّ عالم وطالب ومؤمن ومتعمِّم هاجر الىٰ النجف ودرس فيه، ومن الصدف الغريبة ان الفقر كان ـ وما يزال ولن يزال ـ حليفاً لأهل العفاف والفضل، ووصفاً لازماً لذوي الإخلاص والإيمان، وكان اساتذتنا اذا تذمر أحدنا من الحاجة وشكا من الدين يطيبون نفسه بحديث قدسي: «جعلت العلم في الجوع، والناس يطلبونه في الشبع» وكنا ذات يوم في حقل من الشيوخ والطلاب، فدخلنا في فنون من الأحاديث، فانجرّ الكلام الىٰ النجف وما تحويه فقال المرحوم أخي الشيخ عبد الكريم: وماذا في النجف غير المشايخ والفقر، فاعترضه أحد الظرفاء وقال: لا يا مولانا ليس هناك اثنان فالمشايخ هم الفقر، والفقر هو المشايخ! وكلما كان الانسان عريقاً في المشيخة متقوماً في التحصيل والفضل كان نصيبه من العوز والفقر أكبر وأوفر.

لذا بلغت حاجة العليين الكبيرين العاملي والمدني [1] مبلغهما من العلم والايمان،

---

١ - العاملي هو الشيخ مغنية من جبل عامل والمدني هو زميله الشيخ علي من الحجاز ـ نسبة الىٰ المدينة المنوّرة ـ

وانسدّتْ دونهما السبل ، وضاقت عليهما الارض بما رحبت ، وكان الشيخ الحجازي يرقب من ذويه وأرحامه أن يرسلوا له نفقات السفر الى موطنه حيث انتهى من دراسته، وحاز الشهادة الكبرى بالاجتهاد المطلق ، فتأخروا عليه فأرسل اليهم يحثّهم ويستنجدهم ، وصادف في هذا الحين الذي ينتظر فيه الشيخ الجواب من قومه وصول خمسين ليرة ذهباً الى المقدس الشيخ علي مغنية من ذويه في جبل عامل بعثوا بها اليه لوفاء ديونه ونفقات سفره الى بلاده ، ولما قبضها أحب أن يؤثر بها صاحبه الحجازي ، ويقدمه على نفسه وولده ، ولم يخش الاّ شيئاً واحداً وهو أن يرفضها الشيخ علي الفرعي لعلمه بأن صاحبها الشيخ علي مغنية أحوج اليها منه ، فرأى ان « يحتال » للأمر ، فأخذ المال وذهب الى رفيقه وقال له : بشراك فقد جاء الفرج، وتيسّر ما عُسّر من أمرك ، أتاك المال من الحجاز وقبضتُه لك ، وهذا هو خمسون ليرة ذهباً ، فطابت نفس الشيخ وانشرح صدره ، وتسلم المال ويده ترتعش سروراً ، ووجهه يطفح بشراً ، فوفى ديونه وقضى حوائجه وابتاع أدوات سفره ، وودّع رفيقه عائداً الى بلاده يحدوه الشوق، ويهزّه الطرب اذ ترك النجف موفور الكرامة عالي الرأس ، ليس لدائن عليه حق ، ولا لغريم درهم ، ولما وصل الشيخ الى الحجاز علم كل شيء وفهم وجه « الحيلة » ومرماها، وبأي شيء يشكر هذه النعمة التي أنقذته من التهلكة ، لم يَرَ خيراً من الإسراع بإرجاع المال الى صاحبه مشفوعاً بكتاب يعترف فيه بالفضل والجميل ، وقبل أن يباشر بتهيئة المال تسلّم كتاباً من صاحبه الشيخ علي مغنية يقول فيه بعد التهنئة بوصوله سالماً : ايها الأخ الجليل اياك أن تفكر في إعادة المال ، فإنه من الله وفي سبيله ذهب ، هو لك بأجمعه ، لا أريد منك وفاء ولا جزاء .

وكأني بالشيخ وقد دمعتْ عيناه إكباراً لهذا الايثار الخالص المفاداة النادرة ! ماذا يصنع الشيخ الحجازي ؟ بينا يرى نفسه عاجزاً عن شكر المنعِم وهو يظن انه يقبل المال منه واذا به يضيف الى الاولى نعمة أجل واعظم ! ما يصنع ؟ وبأي شيء يكافىء الشيخ علي مغنية؟ ولم يكن المال من أهدافه ولا المادة من غاياته ، ولا هو منها في شيء فقد تعالتْ نفسه عن العالَم السفلي الى الملكوت الأعلى حيث لا يصعد الاّ نبي مرسَل أو ملك مقرَّب، فمن أراد مكافأة الشيخ علي مغنية فليعمل له في هذا السبيل سبيل الروح والقداسة لا سبيل المال والشهوات، إذن وجد الشيخ علي الفرعي الطريق الذي يمكن ان يؤدي به بعض ما عليه من حق ، فآلى

علىٰ نفسه أن يحج الىٰ بيت اللّه عن الشيخ علي مغنية في كل عام مادام حيّاً ، ووفىٰ بعهده وبقي مثابراً علىٰ ذلك حتىٰ وافته المنية .

أجل قد يفعل الانسان الخير رغبة في مرضاة اللّه ، وطمعاً في السعادة بعد هذه الحياة وفراراً من العقاب والعذاب ، وقد يفعل الخير لأنه مفطور علىٰ الخير ، فيصدر عنه من تلقاء نفسه لم يدفعه اليه عامل خارجي من رغبة في ثواب أو رهبة من عقاب .

ولكن الشيخ علي مغنية لم يُقدِم علىٰ تلك السماحة والمفاداة إلا بدافع نفسه وخلوص ضميره ، ولم يستمد الخير والصلاح الاّ من ينبوعه الفياض .

رجل منقطع عن أرحامه وأهله ، منقطع عن موارده وبلده لا يملك من دنياه شيئاً سوىٰ خمسين ليرة ذهباً تعادل يومذاك ألفاً أو تزيد ، هو أحوج اليها ممن كان ويكون يؤثر بها رجلاً لن يراه بعد اليوم ، وليس له فيه ولا في قومه أيّ غاية أو مأرب[1] .

١٧٩ عالِمٌ نموذَجي في المَهجَر

« الشهيد الثاني » اسم تلألأ في سماء الفقهاء ، واعتلىٰ قائمة اسماء الشخصيات الاسلامية، انه (الشيخ زين الدين الجبعي العاملي) . فقيه جبل عامل في لبنان .

قال ابن العودي عن الفقيه المجاهد الشيخ زين الدين العاملي (المعروف بالشهيد الثاني) : عندما هاجر الىٰ مصر ، كثيراً ما كان يُنعَت هذا الشيخ بالصلاح وحسن الأخلاق والتواضع ، وكان فضلاء (مصر) يترددون اليه للقراءة في فنون القرآن العزيز لبروزه فيها ، وكان هذا الفن نصب عينيه ، حتىٰ ان الناس كانوا يقرأون عليه وهو مشتغل بالصنعة ، لا يرمي المطرقة من يده ، الاّ اذا جاء أحد من الفضلاء الكبار فيفرش له شيئاً ، ويجلس هو علىٰ الحصير .بهذه الهمة العالية كان الشيخ ينشر معالم مذهب أهل البيت في تلك البقعة من مهجره الصعب [2] .

ويقول ابن العودي : ان الشيخ زين الدين العاملي ، الذي جاءنا الىٰ (مصر) قد جمع في شخصيته الاسلامية بين العلم والكرم . فكان في شهر رمضان لا يدع تلامذته وكل من يأتيه الاّ أن يفطرهم عنده ، وهم من أبناء السنة والجماعة . حتىٰ انهم غابوا عنه ليلة، فلما جاؤا بعد

---

١ ـ مع علماء النجف الاشرف / ص ١٨٧ مع تصرّف يسير.

٢ ـ نفس المصدر / ص ١٧٥ .

ذلك ، تلطف بهم كثيراً وقال :

كل من في البيت استوحش لكم البارحة لعدم مجيئكم ، فحتىٰ لطيفة ـ وهي بنت الشيخ الصغيرة ـ قد استوحشت[1].

نعم: ذلك من اخلاق علماء أهل البيت عليهم السلام فقد أدّبوهم وأحسنوا تأديبهم .

١٨٠ مُجتهدٌ شاب

يقول ابن العودي عن استاذه الشهيد الثاني الذي كان متخفياً في منزله من الأعداء بقرية (جزّين) سنة (٩٥٦) الهجرية اني رأيت في منامي ذات ليلة أن (الشيخ) علىٰ منبر عال ، وهو يخطب خطبةً ما سمعتُ مثلها في البلاغة والفصاحة ، فقصصت له الرؤيا، فدخل الىٰ البيت وخرج وبيده جزء ، فناولني اياه ، فنظرته ، فاذا هو (شرح الارشاد) قد اشتمل علىٰ خطبته المعروفة التي أخذت بمجامع الفصاحة والبلاغة .

وهذا في ذلك الزمان كان دليلاً علىٰ أن الشارح بلغ مرتبة الإجتهاد ، وكان الشهيد الثاني يومئذ في (٣٢) من عمره الشريف . وما كان يخبر أحداً بأنه مجتهد حتىٰ انتشر خبره سنة (٩٤٨) الهجرية ، فرجع اليه الناس يقلدونه في الاحكام الشرعية [2].

١٨١ الشّهيدُ الثّاني

يقول العلامة الكبير الشيخ محمد جواد مغنية رحمه الله :

وقد ترك الشهيد الثاني للمكتبة الاسلامية والعربية ٧٩ مؤلفاً في شتىٰ العلوم والفنون، منها كتاب « الروضة البهية في شرح اللمعة الدمشقية » في الفقه ، وعلىٰ هذا الكتاب مدار التدريس منذ عصر المؤلف ، حتىٰ اليوم ، وقد نال حظاً كبيراً من الاقبال والرواج ، وطبع مرات عديدة ، ومنها كتاب « مسالك الأفهام الىٰ شرائع الاسلام » في الفقه ايضاً ، وهو محل انظار المؤلفين والمدرسين والمجتهدين ، وعماد من أعمدة الشريعة الاسلامية .

وشاء اللّه سبحانه ان يختم حياته بالشهادة ، ليجمع له بين كرامتين : مداد العلماء ، ودماء الشهداء، فوُشِيَ به الىٰ السلطان في القسطنطينية بأنه يجمع حوله العلماء والفضلاء، ويبث مذهب التشيع ، فأرسل رسولاً في طلبه ، فجاء الرسول الىٰ بلده ، فقيل له : ذهب الىٰ الحج ،

---

١ ـ اللمعة الدمشقية / ج ١ ـ ص ١٧٢ .

٢ ـ نفس المصدر / ص ١٧٥ .

فذهب الىٰ مكة ، واسره وهو يطوف حول الكعبة بعد أن قام بزيارة النبي الأعظم ، وفي الطريق حرّض بعض المتعصبين الرسول علىٰ قتله ، فقتله في مكان علىٰ ساحل البحر ، وكان هناك جماعة من التركمان ، فرأوا في تلك الليلة نوراً ينزل من السماء ، ويصعد ، فدفنوه هنالك، وبنوا عليه قبة . وكان استشهاده يوم الجمعة في شهر رجب سنة ٩٦٦هـ.

وهكذا لم يسلم من محنة التعصب مَن عمل للألفة والقضاء علىٰ التعصب ، وقُتِل بسيف الحقد والبغضاء مَن لم يعرف في حياته الاّ المحبة والتسامح ، والاّ العلم والعمل ، والطاعة والعبادة ، خرج من بيته مهاجراً الىٰ اللّه ورسوله ، فأُخِذَ وهو يطوف حول البيت، واستُشهِد علىٰ محبّة آل النبي ، وهو يتلو القرآن ، وأيّ خاتمة أعظم وافضل من هذه ..[1]

١٨٢ دَعْهُم يُقلِّدون مَن يريدون


السيد محمد هادي الميلاني

نقل لي العلاّمة آية اللّه السيد محمد الحسيني الميلاني أن جدّه آية اللّه العظمىٰ السيد محمد هادي الميلاني ﷺ وهو المرجع الأعلىٰ في مشهد المقدسة كان يرسل الخطباء الىٰ أنحاء محافظة خراسان مدنها وقراها ويعطي كل واحد منهم مالاً ويقول له خذ هذا المال لكي تستغني من أخذ المال من الناس الذين تذهب اليهم للتبليغ ، ولا تذكر اسمي لهم ولاتدعوهم الىٰ تقليدي حصراً ، دعهم يقلدون من يريدون من المراجع الكرام.

١٨٣ حينَما أزْدادُ رجعيّةً !


السيد هادي المدرسي

ان من يقرأ مؤلفات سماحة العلاّمة السيد هادي المدرسي (دام ظلّه) وهي تربو علىٰ المائة، ويستمع الىٰ محاضراته المسجّلة وهي تقرب من أربعة آلاف شريط يجد صاحبها ذا تصوّرات اسلامية متواكبة مع الفهم العصري والنظرة الحضارية للدين والحياة، ولقد اهتدىٰ بتلك الكتب والمحاضرات الكثير من الشباب الجامعيين وغيرهم حتىٰ اعتُبر السيد واحداً من مهندسي الصحوة الاسلامية المعاصرة .

---

١ ـ مع علماء النجف الاشرف / ص ٤٧ .

ربما بعض قراء كتبه أو المستمعين لمحاضراته يظنّون أن سماحة السيد مُعْرِض عن التراث الديني القديم ويعتبر الاهتمام به سمة الرجعيّين، ولكن السيد يردّ قائلاً: حينما أتأمّل في أعماق تراثنا وأنظر في قيمنا المعنوية واخلاقياتنا الروحية وتقاليدنا الحسينية وكتب الأدعية أزدادُ رجعيةً!

ثم يشرح قوله بأن العصرية والحداثة لا تعني إلغاء التراث الصحيح والإعراض عن الاصالة، بل هي نقلها الىٰ الجيل الحاضر بثوب جديد وطريقة حديثة، فهذا يتطلب «الرجوع» الىٰ الأصالة بأداة الذوق الحيوي و إرادة التقدّم والتطوير في الوسائل.

وهكذا فإن الرجعية ـ بمعنىٰ التراجع وتكريس «جمود» فكري وتكرار ميّت للتراث ونقله الىٰ الناس بشكل مبهم ـ أمر يرفضه سماحة السيد المدرّسي تأسياً بجدّه الامام علي عليه السلام الذي رفض ذلك قائلاً: «لا تُقْسِروا أولادكم علىٰ أخلاقكم فإنهم خُلِقوا لزمان غير زمانكم»، فالعادات والتقاليد ليست الا ثوب للقيم، ولكل زمان عاداته وتقاليده، أما القيم فخالدة لن تتغيّر، والعالِمُ الحضاري هو الذي يعي هذه الحقيقة ويمارسها بحكمة، فيبدّل الثوب او ينظفه للحفاظ علىٰ سلامة ما يحتويه الثوب.

١٨٤ آدابُ السُلوك مع المُلوك

كان في جبل عامل قرية صغيرة متواضعة تدعىٰ «إمية» بكسر الهمزة، يعيش أهلها علىٰ زراعة الحنطة والشعير، وكان فيها عالم صالح، يخشىٰ اللّه، ويعمل بكتابه، ويتأدب بآداب الرسول وسنته، وكان في حياته ومظاهره لا يمتاز عن أضعف رجل في القرية، وفي ذات يوم اجتاز قرية «إمية» أحد ملوك الأيّوبيين، وهو في طريقه الىٰ بعض البلدان، فخرج أهل القرية لاستقباله والاحتفاء به، وبقي العالم الصالح في بيته لم يخرج مع المستقبلين، ولم يزر الملك مع الزائرين، فاغتاظ الملك من تصرف الشيخ وتجاهله له ولمكانه، ولكنه كان رشيداً عاقلاً، لا يقدم علىٰ عمل الاّ بعد البحث والرويّة، فبعث الىٰ الشيخ يسأله عن السبب؟. فأجاب بما هو مأثور ومشهور: «اذا رأيت الملوك علىٰ أبواب العلماء فنعم الملوك ونعم العلماء، واذا رأيت العلماء علىٰ ابواب الملوك فبئس الملوك وبئس العلماء».

فعظُم الشيخ في عيني الملك، وأكبره ايّما إكبار، واسرع الىٰ زيارته، وجلس متأدباً بحضرته، واستمع الىٰ حديثه بخضوع وخشوع، وامتلأت نفسه منه رهبة، وعرض عليه أن

يزوجه ابنته الخاتون ، فَقَبِلَ الشيخ ، وتم الزّواج . وبارك اللّه في هذا القران ، لأنه خالص لوجهه تعالىٰ ، ووهب للزوجين أولاداً وأحفاداً اعتزّ بهم الدين وتباهت بهم الانسانية ، وعُرِفوا بآل خاتون نسبة الىٰ امّهم بنت الملك ..

قال السيد محسن الامين في الجزء الخامس من (أعيان الشيعة) ص ١٣٠ الطبعة الثانية :

« خرج من آل خاتون ما لا يحصىٰ من العلماء في جبل عامل والعراق وبلاد العجم والهند وغيرها ، واليهم كانت الرحلة في « عيناتا » ـ قرية في جبل عامل سكنها الخاتونيون ـ فهاجر اليها ابن ناصر البويهي ، ليقرأ عليهم ، وقصدهم بعض أعاظم علماء العجم مع ولده بطريقه الىٰ الحج للاستجازة منهم في عيناتا ، ووزر أحد علمائهم لبعض القطبشاهية في الهند ، واستمر فيهم العلم الىٰ هذا العصر ، ثم رجع بتطور الزمن وانقلابه رأساً علىٰ عقب » .

والآن ، ونحن في سنة ١٣٨٢ هـ لا يوجد منهم عالم واحد .. والذي وزر في الهند هو الشيخ محمد بن علي بن خاتون العاملي ، فقد تولىٰ منصب رئاسة الوزراء في سلطنة عبد اللّه قطب شاه سنة ١٠٣٨ هـ في حيدر آباد ، وكان ملوك القطبشاهية من الشيعة ، وللشيخ المذكور رسم نادر في المتحف البريطاني بلندن ، وفي الجزء الـ ٤٦ من الاعيان صورة عنه مع الترجمة .

ونعود الىٰ حديث العالم الصالح جد آل خاتون لنتساءل : كيف أعطىٰ الملك ابنته الخاتون لشيخ فقير ، وترك الملوك وابناء الملوك ؟ ! وكيف تركت هي القصور والخدم والحشم لتعيش مع عابد زاهد في بيت اشبه بالمغاور وقرية اشبه بالمقابر ؟ !

الجواب :

ان عظمة العلماء والمتقين فوق عظمة الملوك والسلاطين ، لأنهم اقرب الناس من درجة النبوة ، ولا شيء فوق النبوة الاّ اللّه سبحانه .. وقد رأينا الجبابرة وأعاظم الحكام كيف يشعرون بالمذلة والصغر عند هيبة العلم والدين ، وكيف يعفرون الجباه والخدود بتراب العتبات المقدسة ، وقبور الأنبياء والأوصياء وورثتهم العلماء الصالحين.. وقديماً قيل : «الملوك حكام علىٰ الناس ، والعلماء حكام علىٰ الملوك » وكم من عزيز هوىٰ به الجهل والفسوق الىٰ الذل والهوان .. وكم من خسيس رفعه العلم والتقوىٰ الىٰ أعزّ مكان فقد قال اللّه تعالى :﴿يَرْفَعِ اللّهُ الذين آمَنوا مِنكم والذين أوتوا العِلْمَ دَرجات﴾[1].

---

١ ـ مع علماء النجف الاشرف / ص ٥٢ ـ ٥٣ .

١٨٥ جامِعُ الدين والعِلْم والعقل

روىٰ الشيخ عبد اللّٰه المقمقاني في كتاب « تنقيح المقال » عن أبيه أن المولىٰ البهبهاني سُئِل عن الصلاة خلف الشيخ يوسف صاحب الحدائق ـ وكانا معاصرين ـ فقال : لا تصح.. وسُئِل الشيخ يوسف عن الصلاة خلف البهبهاني ؟ . فقال : تصح .. فقيل له : كيف تصححها خلف من لا يصحح الصلاة بصلاتك ؟!.. قال : وأيّ غرابة في ذلك ؟! انّ واجبي الشرعي يحتّم عليَّ أن أقول ما اعتقد ، وواجبه الشرعي يحتّم عليه ذلك ، وقد فعل كل منا بتكليفه وواجبه .. وهل تسقط عنه العدالة لمجرد أنه لا يصحح الصلاة خلفي ؟!..

للشيخ محمد جواد مغنية ﷺ تعليق علىٰ هذه الرائعة وهو يقصد الشيخ يوسف البحراني :

أرأيت هذا القلب الكبير الذي لا يخفق بغير الايمان ؟ .. أرأيت هذا الصدر الرحب الذي يتسع للعدالة ، وان تكن عليه لا له ؟ .. أرأيت هذه النفس التي لا تعرف الاّ الصدق والانصاف والتواضع ..

وليس من شك أنّ هذا المنطق غريب علىٰ أكثرية شيوخ هذا العصر .. لأن كل شيخ من هذه الأكثرية أو الكثرة يرىٰ الدين مجسّماً في شخصه بالذات .. فعدم الثقة به معناه عدم الثقة بالدين ، وهذا عنده هو حدّ الكفر أو الفسق علىٰ الاقل ..

اما مَن جمع بين الدين والعلم والعقل ، اما من ينوب عن المعصوم حقاً ويمثله في حماية الشريعة واحيائها فلا يرىٰ في هذا المنطق أيّ غرابة مادام الدين يحتم الصراحة وإعلان الحق ، حتىٰ ولو كان علىٰ النفس ﴿ يا أيّها الذين آمَنوا كونوا قوّامين بالقِسْط شهداءَ للّٰهِ ولو علىٰ أنفسِكم أو الوالديْن والاقربين ﴾ النساء / ١٣٥ .

ولا أدري كيف يسمح أحدنا لنفسه أن يتكلم باسم الدين، ويدعي النيابة عن المعصوم، ويدعو الناس الىٰ الاقتداء به ، مع العلم بأنه لا يقتدي بمن ادّعىٰ النيابة عنه عندما يُمتحَن بكلمة تشبه كلمة البهبهاني بحق الشيخ يوسف ... بل يتنكر لقائلها ، ويبخسه جميع حقوقه ، ويسلبه أظهر ما تحلىٰ به من صفات ، واذا نصحه ناصح بالكف أو الاعتدال قال ان واجبي الشرعي يحتّم عليَّ هذا وأكثر من هذا ..

والآن ـ ايها القارىء ـ هل ظهر لك الفرق بين الأنانيين والمزيّفين الذين يكيّفون الدين حسب شهواتهم وأهوائهم ، وبين صاحب الحدائق الذي اتقىٰ اللّٰه حقاً ، ونطق بكلمة الحق

والاخلاص مؤثراً أمر الله ومرضاه علىٰ نفسه وهواه .

ونختم هذه الكلمة بالمقارنة التالية : سألت شيخاً عاد من النجف الأشرف الىٰ بلاده عاملة : هل بنيتم ـ سيادتكم ـ علىٰ الاجتهاد ؟

فقال : ألمثلي يقال هذا ؟ !

وتعرض الشيخ يوسف صاحب الحدائق في كتاب « الدرر النجفية » ص ٥٣ لمعنىٰ الاجتهاد، وللشروط المعتبرة في الفقيه، ولأقوال العلماء، ثم قال ما نصّه بالحرف الواحد : و «انا أقول : وان كنت ممن يقصر عن السباق في مضمار هؤلاء الفحول ، ويكبو جواده عن اللحاق في ميدان تلك العقول »

وهكذا هم علماء آل البيت عليهم السلام يزدادون تواضعاً كلما ازدادوا علماً (توفي سنة ١١٨٦ هـ).[١]

١٨٦ إنّ هذا لايُمكِن مُقاوَمَتُه

في سنة ١٣٠٩ هـ منح شاه ايران ناصر الدين القاجاري امتيازاً لشركة انكليزية بحصر التبغ، وكان المرجع الديني الاول يومذاك السيد محمد حسن المشهور بالميرزا الشيرازي، فأدرك ان هذه الشركة أكبر خطر يهدد اقتصاد ايران ، وانها طريق لتحكّم الاستعمار بمصير البلاد ، فلم يجد سبيلاً للقضاء عليها الاّ بتحريم التدخين علىٰ الايرانيين، وما شاع خبر التحريم حتىٰ تركه أهل ايران ، وكُسّرتْ كل نارجيلة وكل آلة من آلات التدخين ، حتىٰ نساء الشاه حطّمن آلات التدخين في القصر بما فيها نارجيلة الشاه، ولما علم الشاه بذلك لم يحرك ساكناً تجاه نسائه وخدمه ، واضطر الىٰ فسخ الامتياز ، واستراحت البلاد من شرور الشركة .



المجدّد الشيرازي يؤم المصلّين

وقيل : ان مدير الشركة سأل : كم يملك هذا السيد من الجيوش والأساطيل ؟ .

---

١ ـ نفس المصدر / ص ٧٤.

فقيل له : لا شيء .

فقال : وكم تبلغ ثروته من الملايين ؟ .

فقيل له : لا يملك شيئاً .

قال : ان هذا لا يمكن مقاومته ..

أجل ، لو كان يملك الأموال والأساطيل لأمكن أن يقاوم بأساطيل أعظم ، وبثروة أضخم، ولكنه يملك القلوب التي لا حول ولا قوة معها بالنار والدينار ..

وهكذا امد اللّه سبحانه هذا السيد بعونه ، وسدّده بتوفيقه حين علم منه الاخلاص في النية ، والصدق في العمل .

ويضيف العلامة الشيخ محمد جواد مغنية ﷺ قائلاً : ان صلة المعصوم بالناس انما هي صلة الأب الرؤوف بأبنائه الكبار والصغار ، الأبرار والفجار ، على السواء ، ومحال ان تكون للعالِم الأهلية لهذا التمثيل اذا لم يكن له عقل كعقل السيد الشيرازي ، وقلب كقلبه، محال ان يكون سيداً للجميع اذا لم يكن اباً للجميع .. واذا كان الانسان لا يبلغ درجة الاجتهاد الاّ بعد أن يتقن القواعد والأصول المقررة فإن المجتهد لا ينوب عن المعصوم الاّ اذا ملك القلوب ، ولا يملكها الاّ من كان بأوصاف السيد الشيرازي الذي أوجزها السيد الأمين في كتاب الأعيان بقوله : «كان ثاقب الفكر، راجح العقل ، بعيد النظر، مصيب الرأي، حسن التدبير ، واسع الصدر ، منير الخلق ، طليق الوجه ، صادق النظر ، أصيل الرأي ، صائب الفراسة ، قوي الحفظ، على جانب عظيم من كرم الخُلْق ، يوقّر الكبير، ويحنو على الصغير، ويرفق بالضعيف والفقير ، أعجوبة في احاطته ، وسعة مادته، وجودة قريحته ، آية في الذكاء ودقة النظر والغور، وكان بالاضافة الى ذلك اديباً يحب الشعر وانشاده ، ويجيز عليه ، فقصده الشعراء عرباً وعجماً ، وراجت بضاعة الأدب في أيامه » .

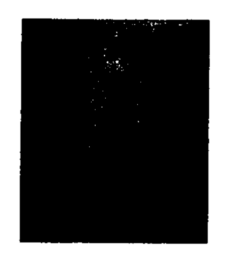
وبالتالي ، لو كان السيد الشيرازي عند الأجانب لوضعوا في أفعاله وآرائه مئات المجلدات، ولعرضوا حياته على المسرح مرات ومرات، وملأوا بها الصحف والإذاعات.. ولكنه عند الشيعة .. واتمنى لو توجه النجف وطلاّبها ومن يتخرج منها الى الاهتمام برجالنا من امثال هذا السيد الذين تفاخر بهم الأمم مدى الاجيال ...

وفي النهاية لقد أرسى السيد الشيرازي ﷺ المبادىء الأساسية للزعامة الدينية . فعلى كلّ مرجع من مراجع الدين أن يتخذ من سيرته دستوراً لجميع اقواله وأفعاله [1].

---

١ ـ مع علماء النجف الاشرف / ص ١٠٩ .

١٨٧ مثالٌ في نكران الذات



الشيخ محمد حسن المامقاني

كتب المرحوم العلاّمة الشيخ محمد جواد مغنية عن الفقيه الزاهد الشيخ حسن المـمقاني (أعلىٰ الله مقامهما) قائلاً :

نقدم هذا الشيخ مثلاً رائعاً في نكران الذات ، والاستخفاف بكل ما يتصل بمنافعه الشخصية من قريب أو بعيد .. فلقد أتته الشهرة بعد الخمول ، والغنىٰ بعد الفقر ، فزهد بالجاه والمال ، وأخذ نفسه بالأسلوب الذي عاشه ، وهو طالب فقير ، ولم يخرج منه الىٰ الترف والملذات ، والكبرياء والاستعلاء بل ازداد للناس تواضعاً ، ومن الله خوفاً .

وكان يفرق علىٰ الفقراء والمحتاجين كلّ ما يصل الىٰ يده من أموال الحـقوق الشـرعية ولايبقي لنفسه وعياله منها شيئاً ، وكانت تبلغ خمسين ألف تومان في السنة أو تزيد ، وكان اذا جاءه حقّ في الليل يوزعه في ساعته ، ولا يبقيه الىٰ الصباح ، وكان يقول : من كان أميناً علىٰ مال الله فليس له ان يأخذ منه شيئاً لنفسه ، حتىٰ لضرورة العيش ، لأن الأخذ لها يجره الىٰ الأخذ للتوسعة ، ثم يؤدي به هذا الىٰ اقتناء الأملاك والعقارات .

وهنا سؤال يفرض نفسه : من اين كان يعيش هذا الشيخ مع تعففه عن الحقوق ؟

قال ولده الشيخ عبد الله في ترجمته : كان يقنع بما يأتيه بعنوان الهدية ، حتىٰ الهدية له كان يوزع قسماً منها علىٰ الطلاب ..

وكانت حياته بعد المرجعية والرئاسة كما كانت قبلها ، لم يتغير شيء من مأكله وملبسه ومسكنه وسائر معاملاته ، فكان يسكن في دار متواضعة بالإجار ، واهداه احد المـحسنين مبلغاً من المال ليشتري به داراً ، ففرّقه علىٰ الفقراء ، ولما عاتبه صاحب المال قـال : لقـد اشتريت داراً في الآخرة لا تفنىٰ .. وقيل له : أتبقي أهلك بلا مسكن بعدك؟! . فقال: اللّـه لأهلي ، وها انا لا أملك شيئاً ، وكثيرون غيري لا يملكون دوراً .

وربما كان عمل هذا الشيخ القدّيس من باب الاحتياط لدينه ، كما هو شأنه فـي جـميع أموره ، وقد عرف الناس من سيرته انه كان يحذر ويخاف من هوىٰ نفسه ، تماماً كما يحذر ويخاف من عدو قوي ، وكان يمنع أرباب العمائم من تـلاميذه وغـيرهم أن يـمشوا خـلفه تعظيماً لشأنه [١].

---

١ - نفس المصدر / ص ١٠١ .

١٨٨ أخلاقيّة التعامُل مع المُعارِض

كتب الشيخ محمد جواد مغنية :

كان بعض السادات في النجف ينال من كرامة آية الله الشيخ حسن المـمقاني ﷺ ، ولا ينفك عن ايذائه ، ومع ذلك كان يبعث اليه الشيخ بالأموال والصلات ، وفي ذات يوم بلغه أن عليه ديوناً ، وان أربابها يضايقونه بالمطالبة ، فوفاها عنه ، وقال : الهي انت تعلم ان هذا السيد يسيء اليّ بدون سبب ، وقد وصلته ايثاراً لمرضاتك علىٰ هواي ..

هذي هي اخلاق ائمتنا الأطهار عليهم أفضل الصلوات ، فقد روي ان الخريث بن راشد قال لأمير المؤمنين ايام خلافته : لا أئتم بك ، ولن أشهد معك الصلاة ، ولن أئتمر بأمرك ، ولن يكون لك عليّ سلطان .

فقال له الامام : لك ذلك مع عطائك كاملاً (يعني انه يعطيه راتبه من بيت المال ولا يقطع حقوقه بسبب موقفه من الامام) ، علىٰ شريطة أن لا تعتدي علىٰ أحد ، فإن اعتديت عاقبتك بما تستحق .

ولو تجرأ اليوم طالب أو عالم فقير ، وقال لبعض المراجع : اني لا أصلي بصلاتك ، ولا أعتقد انك من أعلم أهل الأرض لألقاه في سلّة المهملات [١].

١٨٩ كيف نَنْـظُر الىٰ المال

أرسل أحد تجار قزوين الف ليرة ذهباً من سهم الامام الىٰ المرحوم آية الله العظمىٰ السيد محمد حسن الشيرازي (المجدِّد الكبير) ، فلما وصل الرسول الىٰ العراق وجد السيد منتقلاً الىٰ رحمة ربه، فأتىٰ بالمال الىٰ الشيخ حسن المـمقاني فرفضه . وقال للرسول : انه امانة في يدك علىٰ أن توصله للسيد ، وقد تعذّر عليك ذلك ، فيلزمك أن تُرجع الامانة الىٰ أهلها ، أو تطلب الإذن بالتصرف من مُرسِل المال .

قال الرسول : ان هذه الالف حق لله ، وقد تفحصتُ وسألت فتعيّن عندي إعطاءها لك .

قال الشيخ : لابد من إذن المُرسِل .

قال الرسول : خُذ المال ، وإنْ لم يرض المُرسل دفعتُ له المبلغ من مالي الخاص .

---

١ - نفس المصدر / ص ١٠٢ .

قال الشيخ: ان هذا المال بعينه ليس لك، فاذا أردتَ أن تؤدي الحق، فأدّه من مالك الخاص .

فأخذ الرسول المال ومضىٰ .

بهذا عُرِف علماء الشيعة ، وامتازوا عن غيرهم ، لا تغرّهم صفراء ولا بيضاء ، ولا يجرفهم الطمع الىٰ تأويل الشريعة وصرفها الىٰ الميول والاهواء ..

وبكلمة لقد ابتعد هذا الشيخ القدّيس عن الشبهات تماماً كما ابتعد عن الحرام البين ، وتورّع عن كلّ اسلوب يخشىٰ معه علىٰ دينه وآخرته ، من ذلك ان بعض التجار كان يمده بشيء من المال ، وهو طالب ، فكان الشيخ اذا التقىٰ بهذا المحسِن يتجاهله ، ولا يسلم عليه ، كي لا يظن انه يتملّقه ، ويتقرب اليه طمعاً في دنياه ، ولما عَلِمَ المحسن ذلك من الشيخ عامله بالمثل . كي لا يظن الشيخ انه يمنّ عليه بإحسانه .. لقد ابتغىٰ كلّ ممن اعطىٰ وأخذ أشرف المقاصد ، وانبل الغايات ، فابتعد عما يدنس هذه الغاية النبيلة ، والمقصد الشريف .. ولا اثر اليوم لهذا اللون من الإعطاء والأخذ .. ان الذين يدفعون قد اصبحوا أقل من القليل ، ومن دفع فلابد أن يُرتَّل له آيات الحمد والتمجيد .

وفي النهاية نحن لا نطلب من العالم ان يتحلىٰ بجميع مزايا هذا الشيخ القدّيس ، لنمنحه الحب والاحترام ، ونكتفي منه أن لا يتخذ الدين وسيلة للارتزاق .

توفي الشيخ حسن سنة ١٣٢٣ هـ[1]

هذا ومن روائع كلمات النور، كلمة قالها أمير المؤمنين عليه السلام : «مَن أحبّ نيل الدرجات العُلىٰ فليغلب الهوىٰ »[2].

١٩٠ التكفير ليس هو الحلّ

حضر العلاّمة السيد محسن الامين رحمه الله دروس المجتهد الكبير الشيخ الهمداني نحو ثماني سنوات، وقال في وصفه : «كان زاهداً في الدنيا معرضاً عنها .. عاشرناه امداً طويلاً، فلم نعثر منه علىٰ زلة، ولا صغيرة، وقد اعترف بذلك غيرنا ممن عاشره، وكانت فيه صفات العلماء المخبتين، والزاهدين الورعين حقاً، لم تُسمع في مجلسه غيبة من احد، واذا شعر من احد الجالسين انه يريد الخوض في ذلك صرف الحديث الىٰ جهة اخرىٰ .

---

١ ـ نفس المصدر / ص ١٠٥ .

٢ ـ غرر الحكم / ج٢ ـ ص ٦٩٤.

وكان في عصره رجل مشهور بالفضل، وله حلقة درس، ومؤلفات مطبوعة، وكان يقال: انه يطيل لسانه على اكابر العلماء .. فثارت ثائرة جماعة من العلماء، واصدروا فتواهم بتكفيره، وارسلوا الى شيخنا المترجم له ـ يعني الشيخ الهمداني ـ ليشاركهم في ذلك، فأبى، وقال: التكفير شيء عظيم لا أُقدِم عليه .. وصارت يومئذ مسألة الشيخ هادي حديث الناس من العلماء والطلاب وغيرهم في مجالسهم ومحافلهم، اما شيخنا فلم يكن احد يجسر على ذكر شيء في مجلسه[1].

١٩١ إنقاذٌ للمَوقف

عالمٌ من علماء الدين، طيب النفس، حسن الاخلاق، اسمه الشيخ ابراهيم بن مظفر النجفي، خرج الى مدينة البصرة بعد ان اتمّ مراحل جيدة من الدراسة في حوزة النجف الدينية.

فاستقر هناك بين الناس داعياً الى الحق ومبشراً بتعاليم الاسلام، يبلّغ الناس احكامهم الفقهية على ضوء فتاوى استاذه آية اللّه العظمى الشيخ محمد حسين الكاظمي.

استطاع هذا العالم بروحه الاجتماعية، واطعامه الطعام، وافشائه السلام، ورحابة صدره، وطلاقة وجهه، ان يكسب العديد من الناس ومن مختلف الشرائح. وكان تقدّمه هذا سبباً لأن يحسده بعض الوشاة، فجاؤا الى استاذه آية اللّه الكاظمي، قالوا: انه يسيء الى سمعة علماء الدين، حيث يعيش الغنى والترف والبذخ، في الوقت الذي ينبغي ان يكون العالم زاهداً!

فتأثر الشيخ الكاظمي بهذا الكلام، وعزل الشيخ عن منصب الوكالة الشرعية! ولكن سرعان ما ادرك الحالة فضيلة السيد ميرزا الطالقاني النجفي حيث ذهب الى الشيخ الكاظمي ﵀ وشهد بوثاقة الشيخ ابراهيم، وحُسْن تصرفه في البصرة، فعالج بعض ماتداخل الشيخ الكاظمي من الشك فيما نقل اليه الوشاة، فأقرّه على منصب الوكالة وخاب ظن الوشاة[2].

وهكذا ينقذ الموقف اولئك المبادرون الى الاصلاح، وهل يبعث اللّه ذوي الهمم الاصلاحية في المؤمنين اليوم ليقطعوا دابر الوشاة المعاصرين؟ ذلك هو المأمول.

ففي الحديث: «مَن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً او ليَسكت».

---

١ ـ نفس المصدر / ص٩٢ ـ ٩٣ ولمعرفة قضية الشيخ هادي راجع قصة رقم ١٦٧

٢ ـ معارف الرجال / ج١ ـ ص٣٩.

١٩٢ أنا ضَيْفكُما وهذا بيتُكما

ليلة الجمعة الثالث من شهر رجب (١٤١٤) ذكر سماحة الشيخ محسن قراءتي في حديثه الأسبوعي الذي يبثّه تلفزيون الجمهورية الاسلامية : ان أحد طلبة العلوم الدينية الذي كان يدرس في حوزة سامراء العلمية في عصر زعامة المجدّد الشيرازي الكبير ـ المتوفى سنة ١٣١٢ هـ ـ كان قد أفلس تماماً حتى كاد ان ينفجر لشدة الفقر وضائقته المالية، فاضطر الى المجيء لزيارة الامامين الهادي والعسكري عليهما السلام ، فلما قرأ الزيارة خاطبهما بحرقة قلب : إنكما تعلمان حالي، انا ضيفكما، وهذا بيتكما !

ثم خرج من الحرم الشريف وجلس في زاوية من الصحن الكبير. يقول : وبينما كنت جالساً إذ رأيت المرجع الكبير المجدّد الشيرازي ﵀ قد دخل الحرم وزار الامامين ثم خرج يتقدم نحوي ، وكنتُ مستغرباً ماذا يريد مني السيد الشيرازي ولما وصل عندي منحني مبلغاً من المال وقال : إن الضيف يجب ان يتحمّل الكثير من الصعوبات من الفقر والهجرة وغيرها !

قال هذا ومشى عني وتركني غارقاً في بحر من الدهشة والعجب، إلهي ما هو الارتباط بينه وبين الامامين ، وكيف عرف أني محتاج وأني عبّرت عن نفسي في الزيارة بالضيف والحال لم يكن احد يدري بذلك ؟!

١٩٣ يَبيع سجّادَ بيتِه

عندما جيء الى المرجع الكبير آية اللّه العظمى الشيخ مرتضى الانصاري ـ المتوفى سنة ١٢٨١ هـ ـ بمبلغ عشرين ألف تومانٍ من الحقوق الشرعية ـ اخماس وزكاة مثلاً ـ ، جاءه شخص في نفس اليوم كان الشيخ اشترى منه في وقت سابق قمحاً بالديْن، فطلب منه ماله، ان كان بالإمكان . فقال له الشيخ : أمهلني اياماً اخرى . فوافق الرجل وانصرف . وكان احد العلماء جالساً فقال للشيخ : كل هذه الأموال بين يديك فلِمَ استمهلت الرجل ولم تعطه مايطلبه منك ؟

قال الشيخ الانصاري : ان هذه اموال الفقراء والمحتاجين ولاعلاقة لي بها ، ولو كان عندي من مالي الشخصي لسدّدتُ الديْن ولكن أمهلته اياماً قليلة لأبيع سجّاد البيت لتسديد ذلك .[1]

---

١ ـ كتاب بالفارسيّة عن حياته (زندگانى وشخصيت شيخ) ص ٨٩.

١٩٤ لماذا وَضَعَ إصبعَه في فَمِه ؟!


السيد الدّرجئي

آية الله السيد محمد باقر الدّرجَئي ﵀ كان آية في العلم والورع والتقوىٰ، بحق كان وارث النبي الاكرم والائمة المعصومين ﵈ ، في البساطة وصفاء الروح وعدم الاكتراث بالأمور الدنيوية ، كان كملاكٍ هبط من العرش الىٰ الفرش .

يقول احد تلامذته : دعاه احد التجّار الأثرياء مع عدد من العلماء والطلبة، ومدّ مائدة وسيعة انيقة، عليها انواع الأطعمة اللذيذة ، ولكن السيد كعادته اكتفىٰ بتناول شيء قليل منها. ثم بعد الانتهاء وغسل الأيدي، قدّم صاحب الدعوة للسيد ورقة وطلب منه كتابة كلمة فيها تأييد له في أمرٍ ما .

فهم السيد ﵀ ان هذه الوليمة كانت مقدمة لإمضاء الورقة وما يدعم للرجل الثريّ موقفه في مخاصمته مع شخص آخر مثلاً . ففيها إذن شبهة الرشوة . من هنا تغيّر لون السيد وارتعدتْ فرائصه وقال: أيّ إساءة أسأتُها اليك حتىٰ وضعتَ هذا الزقّوم في حلقي؟! لماذا لم تأت بهذه الورقة قبل الأكل حتىٰ لا ألوث نفسي بهذا الطعام ؟!

ثم نهض مضطرباً وخرج الىٰ المدرسة وجلس عند الحديقة المقابلة لحجرته فوضع إصبعه في فمه حتىٰ استفرغ ما أكله، بعد ذلك تنفّس الصعداء ، وهذه كانت ديدنه عند كل مناسبة يشعر فيها أن اللقمة التي أكلها مشتبهة بـ(ميكروب) الحرام.[1]

١٩٥ في رِحابِ اللّه


الشيخ محمد تقي الشيرازي

كان سماحة الامام الشيخ ميرزا محمد تقي الشيرازي قائد ثورة العشرين وحيد عصره في التقوىٰ والخوف من اللّه تعالىٰ ، يقول وكيله في كربلاء وهو أحد تجّار السوق من المؤمنين : فلقد اتفق ان زرته يوماً في منزله لتصفية الحساب الجاري بيننا ، فلم أر أحداً في الدار ، فقلت في نفسي : لعله في الغرف الداخلية ، فدخلتها فلم أر أحداً أيضاً ،

---

١ ـ كتاب بالفارسية (همائي نامه) ص ١٧ ـ ١٨ .

فابتدر الىٰ ذهني بأنه قد يكون علىٰ عادته فوق سطح الدار لينفرد هناك بالعبادة . فارتقيتُ درج السطح ، حتىٰ اذا أشرفت عليه رأيته منهمكاً في سجوده مفترشاً الأرض يناجي ربه ويدعوه تعالىٰ ويمرغ انفه في التراب ويتضرع اليه سبحانه وقد خنقته العبرة، وقطّع انفاسه البكاء المرير، فانسحبتُ راجعاً دون أن يعلم باطلاعي عليه ونزلت رويداً رويداً حتىٰ اذا توسطت الدار، أخذت أصيح بصوت عالٍ : يا اللّه ! يا اللّه ! اين أنتم ياسماحة الميرزا ؟ بعد لحظات من هتافي هذا ردّ عليَّ الميرزا مجيباً : نعم ، انني ها هنا، انتظرني فقد أقبلتُ اليك . وعندما جاء وقد كفكف دموعه، ومسح التراب عن أنفه وجبينه ودرأ عن نفسه كل معالم التضرع والتوسل، أخذ يلاطفني بالكلام ويبتسم اليَّ، كأن لم يكن في شيء من ذلك قطّ .(١)

١٩٦ لكي لا تغيب شمسُ المُساواة

كانت عائلة المرجع الكبير الشيخ مرتضىٰ الأنصاري ﷺ في أزمة مالية ، لأن المبلغ الذي قرّره لها الشيخ مثلما قرّر لبقية العوائل التي كفلتها المرجعية الشيعية لم يكفِ لتوفير جميع حاجيات المنزل . فطلبت زوجة الشيخ من أحد المقرّبين له أن يتكلم مع الشيخ ليزيد في المبلغ قليلاً كي تتمكّن من القيام بشراء الحاجيات . فلما جاء الوسيط وتكلم مع الشيخ لم يسمع جواباً منه ، لا نفياً ولا اثباتاً . وفي الغد حينما جاء الشيخ الأنصاري الىٰ المنزل قال لزوجته : اغسلي ثوبي واجمعي لي الأوساخ (الغُسالة) في ظرف . فغسلت زوجته الثوب وأتتْ بما أمرها سماحة الشيخ ! فقال لها الشيخ : اشربي هذه الأوساخ !

فقالت وهي مندهشة : كيف لي أن أشربها وتشمئزّ منها نفس كل انسان ؟!

فقال الشيخ : نحن والفقراء في الأموال الموجودة بيدي علىٰ السواء لا ميزة لأحد علىٰ أحد فاذا أخذنا منها أكثر من حقنا فكأننا شربنا مثل هذه الأوساخ (٢) .

نعم لكي لا تغيب شمس المساواة والعدالة عن حياتنا يجب أن نكون هكذا دائماً .

١٩٧ انّ ضميري لا يقبَلُ ذلك

أهدىٰ احد مقلّدي المرجع الكبير الشيخ مرتضىٰ الانصاري ـ ﷺ عباءة شتوية ثمينة

---

١ - كتاب (الامام القائد ، الشيخ محمد تقي الشيرازي ، قائد ثورة العشرين في العراق) ص ١٨ .

٢ - نشرة (المبلّغ الرسالي) الصادرة في قم العدد/ ٣٢ ـ السنة ١٤١٤ .

للشيخ ، لا نظير لها في نوعها من حيث الجنس واللون والحياكة . وكانت تعادل ثلاثين ديناراً وألبسها الشيخ بيديه وخرج .

ولما جاء في اليوم الثاني للصلاة خلفه وجد الشيخ مرتدياً عباءته السابقة، فسأل الشيخ عن العباءة الجديدة، فقال : بعتها واشتريت بثمنها عدداً من العباءات (قيل كانت اثنتي عشر عشرة عباءة) ووزّعتها على المستحقين الذين لا يملكون عباءة شتوية في هذا الشتاء .

فقال الرجل : يا مولاي ان العباءة كانت لك وجئت بها اليك ليلبسها شخصك الكريم، لا لتبيعها وتشتري بثمنها كمية من العباءات وتوزعها .

فقال الشيخ : ان ضميري لا يقبل ذلك . [١]

١٩٨ أيّ دارٍ أحسن مِن هذا ؟!

وكذلك جاء احد مقلّدي الشيخ مرتضى الانصاري فقدّم اليه مالا من امواله الشخصية ليشتري بها داراً يسكنها وتوجه الى حج بيت الله .

أخذ الشيخ المبلغ وبنى به مسجداً في محلة الحويش في النجف الأشرف، عُرِفَ فيما بعد بمسجد الشيخ الانصاري تارة ومسجد التُرْك تارة اخرى ، وهو احد المساجد الشهيرة التي كانت عامرة بدروس الحوزة العلمية والمجالس والمواكب الحسينية وصلاة الجماعة و ..

ولما رجع الباذل، سأل عن الدار فأجابه الشيخ الأعظم :

وأيّ دار أحسن من هذا المكان المقدّس الذي يُعبَد فيه الله عز وجل ويُقدّس . ونحن عما قليل نمضي ونترك الدنيا بما فيها والدار تنتقل الى الآخرين ، ولكن هذا باقٍ وثابت لاينتقل ولا يذهب ولا يباع ولا يشترى، فسرّ الرجل التاجر من هذا العمل الالهي وازداد ولاءً للشيخ . [٢]

---

١ ـ نشرة (المبلّغ الرسالي) الصادرة في قم المقدّسة / العدد ـ ٣٢.

٢ ـ نفس المصدر .

١٩٩ الوَرَع والتَواضع

كان الشيخ عباس القمي ﷺ ذا ورع شديد، وقد اثبت ذلك في عدة مواقف، منها : انه استجاب لطلب المؤمنين لإقامة صلاة الجماعة في مسجد (گوهرشاد) بمشهد المقدسة وفي أحد الايام وبعد اتمام صلاة الظهر قال لمن حوله : لا استطيع ان اصلي العصر وخرج وعطل الجماعة الىٰ آخر الشهر (وكان شهر رمضان المبارك)، فلما سُئِل عن السبب قال : كنت في الركعة الرابعة فسمعت صوتاً ينادي من بعيد (يااللّه ، ان اللّه مع الصابرين) - يريد به الاقتداء - فدخلني السرور لكثرة المأمومين، فأدركت اني لست اهلاً لإمامة الجماعة ، لأن من شروطها عدم العُجْب الذي هو أساس الرياء .

وكان يظهر تواضعه الخاص لأهل العلم ورواة الحديث ولا يفضل نفسه علىٰ غيره ، ففي أحد الأيام كان الشيخ علىٰ المنبر فدخل مجلسه الملا عباس تربتي وهو أحد العلماء الأبرار من تربت حيدرية (مدينة في خراسان) وجلس في إحدىٰ الزوايا ولما التفت الشيخ اليه خاطب الحاضرين : ان الحاج آخوند (اي الملا تربتي) حاضر فاستفيدوا منه، ثم نزل من المنبر وطلب منه ان يرتقي المنبر بدلا عنه حتىٰ آخر الشهر.[١]

٢٠٠ علىٰ طريقِ الحُسين ﷺ

الشهيد السعيد السيد عبد الغني الجزائري كان من الخطباء الحسينيّين في العراق . عرفه المنبر مدة اربعين عاماً في العراق ودول الخليج وكان وكيلاً للامام السيد محسن الحكيم - اعلىٰ اللّه مقامه - في مدينة الحيرة العراقية .

في عام ١٩٨٧ ، وخلال التصفيات الجسدية التي شنتها السلطات البعثية المجرمة ضد خطباء المنبر الحسيني. فقد اغتيل شهيدنا علىٰ أيدي الغدر البعثية إثر خطفه ليلة (٢٠) صفر بعدما كان متوجهاً لإحياء مجلس حسيني في مدينة ابي صخير، وبعد تعرضه يوماً كاملاً لعمليات التعذيب التي يجيدها جلاوزة النظام ، اُلقِيت جثته الشريفة علىٰ الطريق بين النجف وكربلاء حيث كانت آثار التعذيب واضحة عليها. وقد وجد زوار الحسين ﷺ

١ ـ نفس المصدر السابق / العدد / ٣٣.

بعدما اكتشفوا جسده الطاهر قصاصة من الورق في جيبه كُتبتْ عليها البيتان :

بزوّار الحسين خَلَطتُ نفسي لِيَشفَعَ لي غداً يومَ المعادِ
وصِرْتُ بِرَكْبِهم أطوي الفيافي لأُحسَبَ منهمُ عند العِداد

ولقد ماثل الخطيب الشهيد الجزائري (ره) جدّه الحسين عليه السلام فكان عمره (٥٧) سنة، وتُرِكَ علىٰ رمضاء كربلاء عدة ساعات . فسلام عليه يوم وُلِدَ ويوم أستشهِد ويوم يُبعَث حياً[١] مع الحسين عليه السلام .

٢٠١ الموقفُ الاسلامي في الاختِلافات

السيد هبة الدين الشهرستاني

يقول آية الله السيد هبة الدين الشهرستاني رحمه الله :

كنتُ ذات يوم في منزل المرجع الكبير الشيخ آخوند الخراساني في النجف، وكان ذلك عندما بدأتْ ثورة الدستور (المعروفة بالمشروطة) في ايران سنة ١٣٢٤ هـ، وقد اختلف علماء الدين في هذه الثورة بين موافق لها ومخالف . كنت جالساً عند الشيخ ـ وهو قائد الثورة ـ اذ دخل سيّد وقال للشيخ : أنا اقلّد آية الله السيد كاظم اليزدي ـ وهو ممّن لا يؤيد الثورة ـ واريد ان أجري معاملة مع فلان فأخذتُ له موافقة السيد كاظم اليزدي لكن الرجل حيث يقلد سماحتكم فإنه يريد موافقتكم ورأيكم في الموضوع.

فقال له الشيخ الآخوند: إذهبْ وقل له عن لساني أن الآخوند يقول : اذا كنتَ تقلّدني واقعاً فيجب ان تضع موافقة السيد كاظم اليزدي وختمه وامضاءه علىٰ رأسك وتطيعه فوراً .[٢]

نعم .. ان اختلاف وجهات النظر لدىٰ كبار المراجع لن يستدعي الخصومة وإفشال مشاريع بعضهم لبعض وقطع الطريق عليهم كما يفعله جهلاء عصرنا المتلبسون بزيّ العلماء .

٢٠٢ عالِمةٌ يشيِّعُها سبعون عالِماً

هي الفقيهة الفاضلة، فاطمة بنت الشهيد الاول الفقيه المجاهد الشيخ محمد بن جمال الدين مكي العاملي رحمه الله كانت هذه العالمة المعروفة بـ(ستّ المشايخ) المكنّاة بـ (أم حسن)

---

١ ـ نشرة (المبلّغ الرسالي) الصادرة في حوزة قم / العدد / ٣٤ ـ سنة ١٤١٤ .
٢ ـ المقامات العليّة / ص ٤٩ .

تروي عن ابيها، وكانت أمها المكنّاة بـ (أم علي) أيضاً عالمة فقيهة تقية فكان الشهيد الأول يثني عليهما ويأمر النساء بالاقتداء بهما، والرجوع اليهما في معرفة الاحكام الفقهية والثقافة الاسلامية.[1]

وقد اهتم الشهيد الأول وزوجته (أم علي) بتربية ابنتهما فاطمة وتعليمها وتثقيفها، فكانت مثال المرأة المؤمنة المثقفة، حتىٰ صارت موضع احترام وعناية الفقهاء والناس عامة.

ومن قصصها الدالّة علىٰ سمّو اخلاقها وعنايتها الكبيرة بالعلم والعلماء، انها وهبتْ لأخويْها «محمد ابي طالب» و «علي ابي القاسم» ما يخصها من تركة ابيها في قرية (جزين) وغيرها، هبةً شرعية، ابتغاءً لوجه اللّه تعالىٰ، ورجاءاً لثوابه الجزيل.

وقد عوّضا عليها اخواها نسخة من القرآن الكريم، وكتابيْ (التهذيب) وكتاب (المصباح) للشيخ الطوسي ﷺ، وايضاً كتاب (الذكرىٰ) لأبيها الشهيد (اعلىٰ اللّه مقامه).

ومثل هذه العالمة الكريمة والمؤمنة الجليلة لما توفيت شيّعتها الجموع الغفيرة لتحمل جنازتها، ويحضر في تشييعها الىٰ قرية (جزّين) سبعون عالماً ومجتهداً من (جبل عامل)[2].

والحق انهم لم يشيعوا مجتهدة كريمة ابنة مجتهد شهيد فحسب، بل شيّعوا شهادة حية علىٰ انها خرّيجة مدرسة ابيها .. مدرسة اهل البيت عليهم السلام الرسالیّة.

٢٠٣ لا للعُجْب، لا للغُرور

كان الشيخ الانصاري ﷺ رغم مستواه العلمي، يصغي تمام الإصغاء الىٰ كلّ من يسأل ويناقش في اثناء الدرس، حتىٰ اذا كان المناقش من أصغر الطلبة.

قال ذات يوم علىٰ منبر الدرس: كنت ايام دراستي بخدمة شريف العلماء والمولىٰ النراقي والشيخ علي بن الشيخ (المعروف بكاشف الغطاء) كنتُ مغروراً بذهني وادراكي وذاكرتي، بحيث كنت كلما اتعمق في التفكير حول مسألة علمية فأصل الىٰ رأي فيها لا ابالي برأيٍ يقوله اساتذتي حول تلك المسألة ليس من باب الاجتهاد وانما من باب العناد. ولكني الآن وصلت الىٰ قناعة ضرورة الإصغاء حتىٰ الىٰ آقل الطلبة الىٰ ان ينهي كلامه ويوضح مراده، لأني حسب تجربتي لعلي أرجع عن رأي قد تبنّيتُه فإنه قد يطرح طالب مبتدىء فكرة جديدة وهي غائبة عن بالي[3].

---

١ - سفينة البحار / ج١ ص ٧٠٣. ٢ - اللمعة الدمشقية / ج١ - ص ١٢٠ - باختصار.
٣ - كتاب بالفارسية (زندگاني وشخصيت شيخ انصاري) ص ٧٨.

٢٠٤ دعوةٌ الىٰ مناظرة

كتب الشيخ التنكابني صاحب كتاب (قصص العلماء) ﷺ عام ١٢٩٠ هـ أيام حكومة الشاه ناصر الدين قائلاً :

«الظلم الآن كثير في مدن إيران وبلا حدود، بحيث أنه لا نظير له في أيّ دولة» .

وكتب في سنة ١٢٩٦ هـ. قائلاً :

منذ عدة سنوات والإفرنج يترددون إلىٰ ولاية «تنكابن» وفي فصل الربيع والشتاء يقيمون فيها لشراء الخشب ..

وحتىٰ السنة الماضية ١٢٩٥ هـ كان الناس السفلة يعاشرونهم ولا يحترزون منهم .. بل إن بعضهم كان يشرب الخمر كالماء .. وكان الإفرنج يهاجمون أهل الإسلام ويهزؤون بهم..

وعندما رأيت الأمر كذلك تحدثت مع والي البلدة فقلت :

إن المسلمين يخالطون الكفار .. وهم يطمعون بهم نظراً لفقرهم وفاقتهم ويوادّونهم ، ومودة الكافرين حرام بنص القرآن .. (...) ثم إنهم يشربون معهم الخمر (...) واستمرار ذلك يؤدي إلىٰ مزيد بُعْد الناس عن الإسلام ...

لذلك أقترح أن تدعوهم إلىٰ المناظرة .. وأنا علىٰ استعداد لذلك ... وإذا لا يسلكون طريق الإنصاف في المناظرة باهلتُهم .. إلا أن الوالي رفض ذلك .[1]

٢٠٥ التكفير والحلّ الأخلاقي

كان الشيخ محمود حفيد الوحيد البهبهاني من العلماء الكبار والأجلاء ولكن الميرزا المسيح الذي كان من العلماء المعاصرين له ونتيجة سوء تفاهم بينهما أفتىٰ الأخير بكفره... ومرت الأيام حتّى جاء الميرزا المسيح الىٰ قم للتشرف بزيارة المعصومة عليها السلام .. وصلىٰ جماعة في مسجد الامام الحسن العسكري ؑ وهو أحد اكبر مساجد قم المقدسة .

ولحسن الحظ كان الشيخ محمود قد جاء الىٰ قم قبل ذلك وعلم أن الميرزا المسيح يقيم الجماعة في المسجد فحضر واقتدىٰ بالميرزا في الصلاة وبعدها سأله مَن حوله باستغراب : الميرزا المسيح يكفّرك وانت تحضر جماعته ؟!

---

١ ـ نفس المصدر / ص٤٢١ .

فقال في الجواب : وما المانع .. لامنافاة في أن يشتبه الأمر علىٰ الميرزا ويحكم بكفري ولكن اعتبره انا عادلا ، وطبق المباني الفقهية فعندما يعمل كل منّا برأيه يكون مثاباً ومأجوراً.

وعندما بلغ هذا الموقف الى الميرزا المسيح بادر الىٰ زيارة الشيخ فتحوّلتْ الخصومة الىٰ صداقة.. وأصبح الميرزا دائماً مُعْجَباً بأخلاق الشيخ .

ويُنقَل شبيه هذه القصة عن الميرزا القمي (صاحب القوانين) مع الحكيم الكبير الشيخ (ملا) علي النوري .[1]

وهنا نتذكر الحديث النبوي الشريف : «الرفْق يُمْنٌ والخُرْق شؤم ... ما وُضِعَ الرفق علىٰ شيء إلّا زانه ولا ينزع من شيء إلّا شانه» .

٢٠٦ عجيبٌ ومُذهِش !

سمعت آية اللّه الحاج السيد محمد علي المددي (دام ظله) ـ وهو من علماء مشهد المقدسة ـ نقلاً عن آية اللّه الحاج السيد موسىٰ الزنجاني الشبيري (دام ظله) ـ وهو من علماء قم المقدسة ـ أن العالم الورع المرحوم الحاج الشيخ ابراهيم كلباسي كان يستخير اللّه تعالىٰ في كل شيء ، فذات مرّة دعاه أحد المؤمنين الىٰ مائدة ودعا علىٰ شرفه جمعاً من الأشخاص والوجهاء ، فوافق الشيخ وهو ناسٍ للاستخارة كما كانت عادته .

ولكنه تذكرها قبل أن يحين الموعد ، فاستخار وجاءت خيرته للذهاب الىٰ الدعوة غير جيدة . فاعتذر للرجل عن المجيء ، الا أن علامات عدم الارتياح ظهرتْ علىٰ وجه الرجُل ، فقال أنا دعوت اولئك الجمع علىٰ شرفك ، فكيف أخبرهم الآن بانتفاء الدعوة !

وكأني بك أيها القارىء ترفع صوتك علىٰ الشيخ تضامناً مع شعور صاحب الدعوة فتقول: أهذا وقت الاستخارة ياشيخ !؟

ولكن الشيخ تدارك الموقف وقدّر إحساس الرجل فقال له : إذن قل لهم أن الدعوة قد انتقلت الىٰ بيتنا ، فأتوني جميعاً ، وكان هذا هو الحلّ الوسط حيث لا ينفي الدعوة فينحرج الرجل مع المدعويّن ولا يخالف الشيخ استخارته .

والعجيب بل المدهش انه وبينما كان المدعوّون قد انتهوا من الأكل في بيت الشيخ ، واذا بنبأ يداهمهم ، وهو أن سقف الحجرة في بيت الرجل الداعي والتي كان الضيوف يفترض

١ ـ نفس المصدر / ص٢٨٢ .

جلوسهم فيها قد سقط وانهارت الحجرة ! فالجميع وبما فيهم الرجل رفعوا أيديهم شكراً لله تعالىٰ انهم لم يكونوا تحته .

وبالطبع قبّلوا يد الشيخ كلباسي وزاد اعتقادهم في استخارته ، وهل زاد اعتقادك أنت أيضاً ؟

٢٠٧ شِعْرٌ علىٰ الدرب

سافر المرحوم آية اللّه العظمىٰ السيد مهدي بحر العلوم الطباطبائي ـ المتوفىٰ سنة ١٢١٢ هـ (طاب ثراه) من النجف الأشرف الىٰ كربلاء مشياً علىٰ الأقدام وذلك لزيارة الامام الحسين سيد الشهداء عليه السلام ، وكان معه جمع من الأدباء والعلماء فلما وصلوا الىٰ احد منازل الطريق، استراحوا ساعة من التعب، ثم ارادوا مواصلة المسير لضيق وقت الزيارة، فلم يتمكن السيد بحر العلوم من مواصلة الدرب لضعفه ونحافة جسمه ، فتمثّل ببيت شعر بالفارسية :

از ضعف، بَهَرْ جا كه نشستم وَطَنْ شُد وَزِ گريه، زِهَر جا كه گذشتم چَمَنْ شد

فاقترح عليه بعض الحاضرين ان يعرّبه، فترجمه السيد مرتجلاً :

صار لي مِن فرْط ضعفي وطنٌ في كل وادي

ودموعي صيّرتْ لي بقعةً في كل نادي

وترجمه ايضاً السيد احمد العطّار الحسني البغدادي :

انـي حللتُ محلاً صار لي وطناً مِن فرْط ما بي مِن ضعفٍ ومِن وَهَنِ

وما مررتُ علىٰ ارضٍ مصرَّدةٍ إلاّ غَدَتْ روضةً مِن دمعي الهَتَنِ [1]

٢٠٨ مِن وطنيّة العُلماء

تحمّل المؤمنون والعلماء المجاهدون اعباء الجهاد ضد المحتلين الروس، فقد رُوي انه في مطلع القرن الثالث عشر الهجري هبّ اهل ايران لحرب الغزاة الروس من كل جانب، حتىٰ انهزم الغزاة وتقهقروا عن الاراضي الايرانية وكان من جملة العلماء الذين قادوا المجاهدين، العالم المبجّل السيد محمد المجاهد (الطباطبائي) وهو استاذ الشيخ مرتضىٰ الانصاري ، وكان مطاعاً تعتقد به الناس اعتقاد الاولياء . حتىٰ انه توضأ يوماً للصلاة من حوض ماء كبير

---

١ ـ معارف الرجال / ج١ ـ ص٦٤ .

في مدينة «قزوين»، فأخذ الناس ماء الحوض في قوارير وغيرها تبرّكاً حتىٰ نضب ماء الحوض، ومن جهة اخرىٰ كان السيد محمد المجاهد يجلس في الطريق ويرشدهم ويقوّي عزيمتهم لجهاد المحتلّين الروس.[١]

هكذا استفاد السيد من اعتقاد الناس به، لتحريضهم نحو الجهاد في سبيل اللّه والدفاع عن بلاد الاسلام.

واما الحكومة الشاهنشاهية في ايران، فكانت مترفة في نعيم الحكم ورفاه المُلْك.

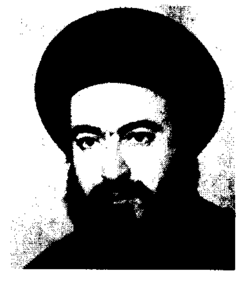
لذلك لما دفع المجاهدون بقيادة العلماء جيوش الروس الىٰ الوراء، اجتمع كبار العلماء وقادة الجهاد الاسلامي، ومعهم القائد آية اللّه السيد محمد المجاهد لتداول الامور. وجاء ولي عهد الشاه فتح علي واسمه الميرزا محمد علي ليحضر الاجتماع، مستثمراً حالة الانتصار التي صنعتها جهود العلماء وجهاد المؤمنين، فلم يعتن به السيد محمد المجاهد، ولم يوسع له في المجلس، فجلس وليُّ العهد كواحد من عامة الناس، فخجل وأصابته الدهشة حتىٰ سقطتْ قبّعته من رأسه لشدّة ما لاقاه من الاهانة، فقام وخرج غاضباً وطفق من تلك الساعة يدبّر مؤامرة علىٰ السيد محمد المجاهد، فتحالف مع الروس واطمعهم في العودة للاحتلال، وتمّ الزحف الروسي نحو مدينة (قفقاز)، واحتلوا مدينة (تبريز)، واشترطوا خروجهم منها بأن تدفع الحكومة الايرانية غرامات مالية للروس، في الوقت الذي كان الروس في هزيمتهم الاولىٰ التي فرضها عليهم المجاهدون بقيادة السيد محمد المجاهد قد اعلنوا استعدادهم لدفع خسائر الحرب للمجاهدين ان لم يلاحقهم المجاهدون في تراجعهم عن الاراضي الايرانية![٢]

وهكذا جلبتْ الخيانة الشاهنشاهية هزيمة نكراء لايران بعد انتصارات المجاهدين، مما ادّىٰ الىٰ خروج السيد محمد المجاهد الىٰ العراق واقامته في كربلاء، ولكن مرتزقة الشاه وولي عهده الخائن طاردوه الىٰ كربلاء، واخذوا يرشقونه بالحجارة، وعلىٰ يد بعض الجهلة من الناس ـ ومثل ذلك رأيناه في عصرنا ـ فمات مهموماً غريباً ومظلوماً شهيداً سنة ١٢٤٢ هـ وقبره في كربلاء جنب مدرسته الدينية بين الحرمين في السوق، وقد هدمتها حكومة صدّام سنة (١٩٧٩ م) وسوّتْ القبر مع الارض إكمالا للظلم الشاهنشاهي في ايران، ووفاء لأسيادهما

---

١ - معارف الرجال ج١ ـ ص ١٣٥.
٢ ـ نفس المصدر / ج١ ـ ص١٣٦.

الغزاة الروس. وهذا هو الفرق بين وطنية هؤلاء العملاء، ووطنية اولئك العلماء!


السيد حسن الشيرازي

٢٠٩ كلمةُ الإمام المهدي عليه السلام

انه اسم كتاب، ألّفه آية اللّه الشهيد السيد حسن الشيرازي رحمه الله . ولتأليف هذا الكتاب قصة نقلها الشهيد نفسه لبعض زملائه، وقد ذكروها في مقدمة الكتاب عن لسان المؤلف الشهيد كما يلي: «عندما كنت في سجون البعثيين في العراق، وتحت التعذيب الوحشي القاسي توسلت ذات مرة بمولاي وسيدي صاحب الزمان الامام المهدي ـ عجل اللّه تعالىٰ فرجه الشريف ـ أن يتولّىٰ نجاتي من هذا الظلم، وعاهدت الامام عليه السلام لقاء ذلك أن أقوم بتأليف كتاب يجمع ما روي عنه عليه السلام من زيارات، وأدعية، ورسائل، وسائر كلماته الشريفة ..

وراحت الأيام والليالي، ومضت الشهور تلو الشهور علىٰ إقامتي في السجون المختلفة في بغداد، وسجن بعقوبة حتىٰ خلّصني اللّه تعالىٰ ـ بدعاء صاحب الامر عليه السلام وفرّج عني وخرجت من سجون البعثيين وللّه الحمد .

وبعد فترة من الزمن جاءني أحد أقربائي ليقول لي: رأيت في عالم الرؤيا رجلاً ذا مهابة يشع وجهه نوراً قال لي: قل للسيد حسن الشيرازي حان الوقت لأن يفي بعهده لصاحب الأمر عليه السلام في تأليف الكتاب .

وكان الشخص ذاك لا يدري عن عهدي . لأني لم أكن قد حدّثت به بعد . فعزمت علىٰ ذلك وصرت أجمع المصادر المحتاج اليها لمثل تأليف هذا الكتاب .

ثم جاءني بعد مدة شخص آخر وقال لي مثل ما قال الأول ـ من غير ترابط بينهما ولا صحبة ولا سابقة إطلاقاً : (رأيت في الحلم ـ في عالم الرؤيا ـ أن صاحب الأمر عليه السلام يطالبك بعهدك معه عن الكتاب ...) .

واشتد عزمي وبدأت في تأليف هذا الكتاب «كلمة الامام المهدي عليه السلام» .

قال الامام الشهيد رحمه الله: وبعدما أنجزت القسم المهم من الكتاب رأيت ما يلي في عالم الرؤيا : رأيت شخصاً ذا هيبة، طويل القامة، جميل المحيا، له هيبة الأنبياء، وجلال

الصديقين، ووقار الخاشعين، لابساً حلة بيضاء قد توجّه إليّ فظننته صاحب الأمـر الامـام المهدي عليه السلام وقمت إجلالا له . وتقدمت أنا إليه، فلما اقتربنا أخذت بيده لأقبّلها . فبدرني هو وقبّل يدي . فلما قبل يدي علمت أنه ليس الامام المهدي عليه السلام.

فسألته عن نفسه وقلت له : من أنت ؟

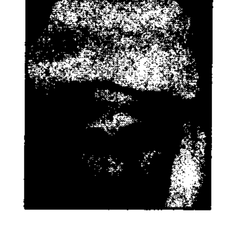
فقال : أنا من قبل وليّ اللّه .

وأحسست في عالم الرؤيا أن الرجل رسول من قبل الامام المهدي عليه السلام جاء إلي شاكراً لتأليف هذا الكتاب .

قال الامام الشهيد رحمه الله : ولأول مرة أرىٰ رؤيا مثل هذه عن واحد من تأليفاتي .. وأسأل اللّه تعالىٰ أن يقرنه برضاه، ويرضىٰ عني مولاي وسيدي صاحب الأمر الامام المهدي المنتظر عليه السلام الذي هو طريقي إلىٰ مرضاة اللّه تعالىٰ .

قال راوي القصّة : كان الامام الشهيد ـ قدس سره ـ يحدثنا بهذه القصة ونحن بجوار قبر رسول اللّه صلى الله عليه وآله بالمدينة المنورة، في طريقنا إلىٰ الحج في العام الماضي ..[١]

٢١٠ انتَ مَرْضيٌّ عندنا


الشيخ محمد طه نجف

القصة التـالية كـتبها العـالم الورع آيـة اللّـه السيد صـادق الشيرازي (حفظه الباري) لمؤلف كـتاب بـالفارسية «شـيفتگان حضرت مهدي (عج)» اي عشّاق حضرة المهدي عليه السلام هذا نصها :

بسم الله الرحمن الرحيم

نقل لي احد المؤمنين عن السيد جعفر بحر العلوم، المضمون التالي : انه كان يوماً فـي بيت السيد حسين بحر العلوم، نجل آية اللّه السيد علي بحر العلوم، صاحب كتاب «برهان الفقه»، وكان سماحته في ديوانه يستقبل الوفود والمراجعين، وكان من بين المراجعين الذين وفدوا عليه مروّض مسلم من الهند، وبعد ان استقر به المجلس وعرّف نفسه لسماحته، قال: بامكاني ان اخبركم عن كل ما تسألون بالقلم والقرطاس .

وبالفعل كان يجيب بصواب علىٰ الاسئلة العادية الّتي طُرحتْ عليه من الحاضرين . وذلك

---

١ – نقلاً عن مقدمة كتاب (كلمة الامام المهدي عليه السلام) .

وفق حسابات رياضية كان يحرّرها علىٰ الورق .

حينذاك اقبل سماحته عليه، وقال: هناك سؤال اظنّك لا تقدر من الجواب عليه.

قال المروّض : وما هو ؟ قال سماحته : انّه صعب وخارج عن وسعك .

قال المروّض : وليكن صعباً فانّي احاول الاجابة عنه، فما هو ؟

قال سماحته : الآن وقد اصررتَ فأخبرنا عن المكان الّذي يتواجد فيه سيّدنا ومولانا، ومن بوجوده استقرتْ الأرض ورُزق الخلق ، الحجة بن الحسن العسكري عليه السلام .

قال المروّض : نعم ، وبدأ يبحث عن الجواب من خلال حساباته الرياضية المعقدة، لكنّه ولأول مرّة ابطأ في الجواب مما دعا سماحته الىٰ ان يقول له : الم اقل لك انّك لاتقدر علىٰ الاجابة عن هذا السؤال ؟

فاجاب : اصبروا قليلاً لعلي اهتدي الىٰ الجواب . ثم بعد مدّة قال : ليس الأمر كما تظنّ، ولكن افكّر في أنّ الشيخ طه نجف من هو ؟

اجاب سماحته : انّ الشيخ محمد طه نجف، احد مراجع التقليد المعروفين عندنا في النجف الاشرف .

قال المروّض : الّذي تسألون عنه هو الآن في بيت الشيخ وعنده، وهنا اسرع سماحته بصحبة السيد جعفر ونفر آخرين متجهين نحو بيت المرجع آية اللّه الشيخ محمد طه نجف، وفي الطريق انتهوا الىٰ مفترق طرق ثلاثة، ينتهي احدها الىٰ بيت الشيخ، حيث التقوا هناك بإنسان في الزي العراقي يرتدي العباءة والعقال والكوفية، وعليه الوقار والسكينة، وتطفح من جوانبه هيبة وعزّ، فاجتازوه نحو بيت الشيخ، وما ان دخلوه الاّ ورأوا ديوان الشيخ مصفراً من الناس، حتىٰ الذي يستقبل المراجعين ويقدّم لهم الماء والقهوة، لكنّ الذي فاجأهم بالمرة هو جلوس الشيخ في ناحية من الحجرة، جلسة الحزين، ينبعث منه انين وزفير، تتساقط قطرات الدموع علىٰ كريمته، وهو يتمتم قائلاً : صار في يدي، فلم انتبه له، ولما انتبهتُ كان قد فلت من يدي .

فتعجب الواردون كثيراً، وتساءلوا ـ بعد التحية والسلام ـ علام يبكي الشيخ ؟ وكان الشيخ قد فقد كريمته أواخر أيامه، لذلك لم يلتفت لقدومهم الا بعد التحية والسلام فقام ورحّب بهم

وجلَس اليهم يحدّثهم بالحادث الذي تركه حزيناً، يكفكف دموعه ويخفي لوعته قائلاً انكم تعلمون برجوع الناس اليّ في مسائلهم واستفتاءاتهم وخصوماتهم، وانا أجيبهم وأفتي لهم، وافصل بينهم، وآخذ الاموال واعطيها وانصب القيّم والمتولّي ونحو ذلك . كل ذلك بتحرٍّ واجتهاد، ليوافق الشرع الشريف، غير انه منذ سنوات، أخذتْ تُقْرِيني فكرة : هل انّي مصيب في كل ما افتيت وما قضيتُ وأزاوِلُ وأعمَل، وهل اني مرضيّ عند اللّه ورسوله والائمة الطاهرين عليهم السلام ؟

وقبل ثلاث سنوات استشفعت الىٰ اللّه بمولاي امير المؤمنين عليه السلام في ذالك وطلبتُ منه بإلحاح أن أجِد في نفسي صواب او خطأ هذه الأعمال لو خَطَاءاً عن قصور لاتقصير.

فلما اشتد اصراري وتوسلي رأيت ذات ليلة في المنام مولاي امير المؤمنين عليه السلام فأخبرني : ان ما اريده سيتم عند ولده المهدي صاحب العصر والزمان عليه السلام فبقيت ارقب الايام والليالي، انتظر قدوم الحبيب في كل آن ولحظة، ولم احسب ان سأحصل عليه وأعرِفه وفي هذا اليوم بالذات وقبل مجيئكم بقليل خلا الديوان من المراجعين وكان خادمنا قد ذهب ليهيء بعض لوازم البيت .

فدخل رجل كانت تدل لهجته علىٰ انه من العشائر العراقية . فسألني بعد السلام عن مسألة فأجبتُ عنها، فأشكل عليه اشكالا علمياً، وحاولت الإجابة عن الإشكال، غير انه قاطعني ـ وهو عالم بمغزىٰ جوابي كله ـ بإشكال ثانٍ وبدأت اجيب عن الإشكال الثاني فقاطعني للمرة الثانية بإشكال علمي ثالث، وهكذا كلّما بدأت في الجواب بادرني بإشكال علمي آخر، حتىٰ خالجتْني افكار متناقضة حول الرجل وفضله، وانه كيف يمكن التوفيق بين معرفة هذه المباحث الدقيقة، وبين ظاهر رجل عشائري، بعيد كل البعد عن هذه المباحث العلمية . لكن غفلة عميقة خيّمتْ علىٰ ذهني، وانستني ما كنتُ بانتظاره وترقّبه من التشرّف بلقاء الحبيب .

واستمرتْ غفلتي عن حاجتي، ولم انتبه حتىٰ مع ضرب الرجل يده علىٰ كتفي وقوله لي : «انت مَرْضيٌّ عندنا» وزاد استغرابي من ان رجلاً يدلّ صوته علىٰ انّه من اهل البادية كيف يقول هذه الكلمة لمرجع تقليد ؟

وفجأة بعد مغادرته الديوان، انكشفتْ غفلتي، وعاودتني فطنتي، وتذكرتُ أملي وامنيتي

فطالما كنت افكّر بها، وارجو التصرف في حالي وموقفي عند ربّي ونبيي وائمتيعليهم السلام وقد اخبرني الرجل عن ذالك بقوله «انت مرضيّ عندنا» ولم انتبه . انه الحبيب الذي جنّدتُ نفسي لنصرته وصرفتُ عمري لخدمته حتىٰ دخل عندي، فيا اسفي علىٰ نفسي، فقد صار عندي وبمرأىٰ مني فلم انتبه له . لأتزوّد منه ومن نوره وبركاته، ولما انتبهتُ كان قد خرج عن وسعي، اليس حقيقاً لمثلي ان يئن ويبكي ؟

فقال السيد بحر العلوم للشيخ : «شيخنا لهذا جئناك» واحتملوا ان يكون الرجل ذو المهابة الوقور الذي رأوه قريباً من بيت الشيخ هو سيدنا ومولانا صاحب العصر (عجّل اللّه تعالىٰ فَرَجَه وجعلنا من انصاره واعوانه والمرضيِّين عنده بمحمّد وآله الطّاهرين).

٢١١ حيٌّ عاد مِن قبره !

توقفتْ دقّاتُ قلبه فجأة، فاعتبروه ميتاً، والميت يؤخذ الىٰ المغتسل، وهناك يُكفَّن ويُصلّىٰ عليه ثم يُحمَل الى المقبرة ويُدفَن أليس كذلك ؟

بلىٰ .. ذلك ما حدث للعالم الجليل الشيخ أمين الدين الطبرسي، (صاحب تفسير «مجمع البيان») المعروف !

الا ان الفرق بينه وبين غيره من الأموات هو انه فتح عينه في القبر، فوجد نفسه مدفوناً ! فنذر للّه تعالىٰ هناك، إنْ أنجاه اللّه وخرج حياً، كتب تفسيراً للقرآن الكريم . فما هي الا دقائق واذا بنبّاش كان يحفر القبر لينهب كفن الشيخ !

لقد استمر النبّاش في نبشه حتىٰ وصل الىٰ جسد (المتوفّىٰ) ! فأخذ يفتح الكفن (الغالي) انه يدرّ عليه ثمناً جيّداً في السوق ! ولكن كادت روح النباش تزهق عندما أمسك الشيخ بيده، وسرعان ما طمْأنه قائلاً : لا تخف، هذه قصتي، ولقد استجاب اللّه نذري ودعائي، فاذهب الىٰ بيتي وآتني بثيابي، وسوف اعطيك اكثر مما تريد، علىٰ أن لا تعود الىٰ نبش القبور مرة اخرىٰ فإنه عمل محرَّم !

وهكذا رجع الشيخ الطبرسي الىٰ البيت في وسط استغراب الجميع، فقام بتأليف كتابه في تفسير القرآن وفاءً للنذر ويعدّ كتابه الآن من أهم كتب الشيعة في التفسير . ثم انه انتقل الىٰ رحمة اللّه الواسعة شهيداً، في التاسع من شهر ذي الحجة سنة (٥٤٨) الهجرية، وذلك في هجوم شنّه المتمردون علىٰ السلطان سنجر السلجوقي في خراسان ، فقُتِل هذا الشيخ

وجمعٌ من الناس، ودُفِن جثمانه الطاهر في جوار مرقد الامام الرضا عليه السلام[1].

٢١٢ ذكاءٌ في سَبيل الحقّ

الخواجة نصير الدين الطوسي عالم حكيم، ذو معارف واسعة في علوم الهيئة والنجوم والهندسة والرياضيات، ومخترع جهاز الرصد الجوي في عصر كانت اوربا تتخبّط الجهل والظلمات، وهو ايضاً عالم في الفلسفة وفقه الشريعة الاسلامية، وكان ذا فطنة وذكاء، ولذا منع بفطنته المهاجمين المغول لأن يسفكوا المزيد من دماء المسلمين في بغداد ويدمّروا المساجد والمراكز العلميّة للعلماء، حينما سقطتْ من يد آخر خليفة للعباسيين. وقد همّ (هولاكو) ان يقتل علماء السنة الذين كانوا يتعاونون مع الخليفة العباسي، فأنقذهم الشيخ الطوسي من الموت. وحيث ان الحكام وخاصة المحتلين القادمين من خلف الحدود، لا يحسنون إدارة البلاد الا عبر العقول المحليّة الواعية، ولما وجد هولاكو في الشيخ الطوسي عقلاً متفوّقاً، تردّد في القضاء عليه، بل فكّر في الاستفادة منه، واشراكه في الحكم، ولكن الشيخ كان أذكىٰ من العدو، وهو يعلم ان امتناعه واعدامه شيئان متلازمان، من هنا قرّر استلام مسؤولية الأوقاف الشرعية، ليمنع استلامها من قبل الفسقة، ويعمل علىٰ حفظ الاماكن الدينية المقدسة.

يقال: إنه لما احتضر في مدينة الكاظمية، طلب منه المؤمنون ان يأذن لهم بنقل جثمانه بعد موته الىٰ النجف الأشرف، ليدفنوه في جوار الامام علي امير المؤمنين عليه السلام.

٢١٣ ألمْ يَعْلَم بأنّ اللّهَ يَرىٰ

أكمل أحد العلماء دروسه في حوزة النجف الأشرف، ولمّا أراد الرجوع الىٰ وطنه ذهب الىٰ استاذه للتوديع، فطلب منه نصيحة تسدّد مسيرته في طول الحياة.

فقال استاذه: لا تنسَ الآية التي تقول: ﴿ ألمْ يَعْلَم بأنّ اللّهَ يَرىٰ ﴾.

نعم يكفي الاعتقاد بمثل هذه الآية الكريمة ليتّجه الانسان نحو اللّه تعالىٰ في كل الحالات اذا ما جعلها الرقيبة عليها.

---

١ ـ عن كتاب بالفارسيّة (از كليني تا خميني) ـ ص٣٢.

٢١٤ ذَهَبَتْ الجُمعةُ ولَمْ أذهب !

يُنقل عن المرحوم آية الله العظمىٰ السيد محمد تقي الخونساري ﵀ انه كان يتمنّىٰ أن يكون موته بين ظهر الخميس وظهر الجمعة، إذ في الحديث عن الإمام الصادق﵇ أن ذلك أمان للمؤمنين من ضغطة القبر ، فلمّا كان ينتهي ظهر الجمعة ولايموت! يقول بحسرة وتأسف : هذه الجمعة ذهبت أيضاً ، وأنا لم أذهب ![1]

٢١٥ فهو إنسانٌ خطير !



السيد نوّاب الصفوي في حال الصلاة

في مقابلة مع تلفزيون الجمهورية الاسلامية بمناسبة الذكرىٰ (٣٨) لاستشهاد المجاهد الكبير السيد مجتبىٰ نوّاب الصفوي، قال احد زملائه في حركة فدائيي الاسلام: انه اشترك في مؤتمر الأردن حول القضية الفلسطينية، والتقىٰ السيد في المؤتمر بالملك حسين وقال له : انني اكره الملوك، ولكنك سيّد ! وفي هذا المؤتمر أقرّ المجتمعون بأن القضية الفلسطينية عربية قومية !

فقام السيد نوّاب الصفوي وصلّىٰ للّه ركعتين، ووقف بعمامته وهو يفرض هيبته علىٰ الحاضرين خلف المنصة هاتفاً : « ان كنتم تتكلمون عن القومية العربية، فأنا ابن خير نبي وهو عربي ! ولكن العرب لم يكونوا علىٰ شيء لولا دين النبي محمد، فالاسلام هو الذي انقذ العرب من حضيض الجاهلية وجعل لهم قيمة في التاريخ، والعرب من دون الاسلام يعني من دون قيمة» . ولقد اعجبتْ السيد قطب كلمة السيد نوّاب ايّما اعجاب !

يقال : لما بلغ قول السيد عبر الاعلام الى (بن غريون ـ الصهيوني) قال : انه يريد ان يعيد الاسلام، فهو انسان خطير !

---

١ ـ بالفارسيّة (عالم برزخ در چند قدمي ما) ص ١٠٩ .

وحينما حكمت عليه محكمة الشاه في ايران بالإعدام رمياً بالرصاص، خرج من قفص الاتهام فوقع علىٰ الارض ساجداً ! سأله القاضي: أتسجد وانت في هذا الوضع ؟!

قال السيد نوّاب : لقد كانت الشهادة في سبيل اللّه امنيتي التي طلبتها من اللّه ودعوت لنيلها فترة بعيدة، واليوم اشكر اللّه تعالىٰ علىٰ استجابة طلبي ودعائي. هذا وقد رفض أن تصمد عيناه حين إطلاق رصاصة الإعدام قائلاً اريد ان انظر الىٰ تلك الرصاصة التي تخرج من فوهة البندقية وتخترق صدري، وقد نفّذوا طلبه هذا، ولما اطلقوا عليه نادىٰ «اللّه اكبر» وهكذا ختم هذا العظيم المجاهد حياته البطولية بالشهادة والكرامة من اللّـه تـعالىٰ سـنة (١٣٣٤هـ) ، فسلام عليه يوم وُلِد ويوم استُشهِد ويوم يُبعث حياً .

٢١٦ درجة مِن الشّرْك الخفيّ

السيد محمود الطالقاني

كانت ابنة الفقيه المجاهد المرحوم آية اللّه السيد محمود الطالقاني عالمة مجاهدة مثل أبيها ، واسمها (اعظم طالقاني) وقد نالت ثقة الشعب الايراني بعد انـتصار الثـورة الاسـلامية، فانتُخبتْ ممثلة لأهالي طهران في مجلس الشورىٰ الاسـلامي ، اتذكر لها كلمة عبر الاذاعة حيث قالت : لما كنت ادرس تفسير القرآن الكريم عند والدي في السجن زمن الشاه ، بيّن لي ذات مرة درجات الشرك بـاللّه، ومنها اذا تمنّيتُ في قلبي ان يفرج عنّي ضابط السجن ! فهذه الأمنية درجة خفية من انواع الشرك . ان المؤمن باللّه حقاً يجب ان يفقد الامل عن كل ما سوىٰ اللّه تعالىٰ، فهو الذي يفرّج عن عبده، وهو القادر علىٰ كل شيء .

هذا ويقال ان آية اللّه الطالقاني كتب تفسيره للقرآن وهو في السجن، والكتاب مطبوع في أربع مجلدات يتناول بعض اجزاء القرآن الكريم .

٢١٧ زاوية هامّة في العمل !

كنت البارحة (١٢ / جمادى الثانية / ١٤١٣) استمع لخطيب حسيني في مدينة مشهد المقدسة، وكان موضوع حديثه حول (الاخلاص)، فذكر القصة التالية : تحدّث ذات مرة جمع من العلماء والمؤمنين عن بعض انجازاتـهم فـي حـضور آيـة اللّـه العـظمىٰ السـيد

البروجردي ﷺ ، لاحظ السيد بعد ان تكلّم الحاضرون عن انجازاتهم .. أن عالماً لم يتكلم بشيء !

فقال له السيد : هلاّ ذكرتَ شيئاً عن انجازاتك ؟

اجابه العالم بأدب : سيدي، اودّ ان تأذن لي بقراءة حديث عن جدّك علي امير المؤمنين عليه السلام فقط !

فأذِنَ له السيد . فقال العالم : قال علي عليه السلام : « أخلِص العمل فإنَّ الناقد بصير بصير». ثم ما أن سكت العالم حتىٰ أجهش السيد البروجردي بالبكاء، ثم قال : احسنت بتذكيرك ايانا الاخلاص .

وبعد هذه الجلسة كان السيد البروجردي يقول في كل مناسبة للعلماء والطلبة الذين يلتفّون حوله : « أخلِص العمل فإنَّ الناقد بصير بصير »

أجل إنّ ناقد العمل هو اللّه البصير الناظر الىٰ ما في قلب العامل، فان كان الاخلاص وراء عمله، كتب له الثواب، وإلّا فسعيه يذهب ادراج الرياح اذ لا اجر علىٰ الرياء .

وهذا لا يعني ان الذين كانوا يتحدثون عن انجازاتهم للسيد البروجردي ﷺ كانوا يراؤون، انما استحسن السيد موقف ذلك العالم حيث وضع اصبعه علىٰ زاوية هامة في العمل وهو (الاخلاص) وذلك من باب : ﴿ ذكِّر فإنّ الذِكرىٰ تَنْفَع المُؤمنين ﴾ .

٢١٨ حينما اعتَذَرتْ الأميرة !

قالتْ ابنة الشيخ مرتضىٰ الانصاري المرجع الأعلىٰ للشيعة في العالم ، الذي كانت كلمته مطاعة عند الناس وقاطعة الطريق علىٰ الحكّام : انه ذات يوم جاءت ابنة الشاه ناصر الدين لزيارة الشيخ في النجف الأشرف ، فدخلتْ المنزل ولما استقر بها المجلس قبل حضور الشيخ أخذتْ توزّع نظراتها الىٰ جوانب غرفة الشيخ، تتأمل في السرجين وهي فضلات الحيوانات تُجعَل قطعاً وتُجفَّف للتدفئة بدلا عن الفحم المشتعل في المنقل ، ورأتْ سُفرة من الخوص معلقة علىٰ الحائط ، والىٰ جانب المنقل الذي كان من الطين رأتْ سراجاً من فخار أضاءتْ الغرفة نصف إضاءة . فلم تستطع الأميرة بنت الشاه أن تخفي ما يدور في خُلدها من عجب ودهشة لزهد أكبر مرجع ديني في العالم الاسلامي والشيعي آنذاك .. فقالتْ للشيخ الانصاري لما حضر :

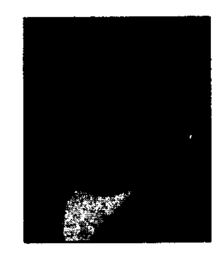
اذا كان العالم والمجتهد هكذا يعيش زاهداً فماذا يقول الشيخ علي كني ؟ ! ـ وهو من كبار علماء طهران الذي يخشاه الشاه ، وكان يعيش من الناحية المادية في رفاه الىٰ حدّما، ولعل سبب اغتياب الأميرة للشيخ كني هو موقفه المعارض لأبيها ناصر الدين شاه ـ.

من هنا غضب الشيخ الانصاري ولم يسمح لها ان تكمل كلامها اذ نهض من مكانه وقال بشدّة : ماذا تقولين ؟ ان هذا الكلام غيبة، اعلمي انك بهذا الكلام قد اشتريت لنفسك نار جهنم ، قومي واخرجي قبل أن ينزل اللّه من السماء عقاباً يشملني معكِ .

بكتْ الاميرة من كلام الشيخ الانصاري وقالتْ : سيدي، لقد اخطأتُ وتبتُ من خطأي ، اعتذر منك فلن ارتكب مثل هذه الحماقة مرّة أخرىٰ .

فعفىٰ عنها الشيخ وقبل اعتذارها ثم قال : أين انتِ من إبداء الرأي حول مكانة العلامة الشيخ علي كني ؟!(١)

٢١٩ مِن أجل الكرامة



السيد اسماعيل البلخي

كتبتْ السيدة خديجة ابنة الشهيد العلاّمة السيد اسماعيل البلخي ﵀:

كان والدي في سجون افغانستان محروماً حتىٰ من النظر الىٰ نجوم السماء عبر نافذة زنزانته ، حيث كان الشرطي خلف الباب يضع عليها ما يمنع النور نهاراً والنظر الىٰ السماء ليلاً، وحينما يسمحون له بالخروج مرة في اليوم الىٰ دورة المياه كانوا يلفّون رأسه بخرقة كيلا ينظر الىٰ ما حوله .

فذات مرّة أخذ يمشي خطوات متعمداً نحو باب الخروج من السجن بدلاً من دورة المياه ، فخاف الشرطي أن يكون السيد يقصد الفرار . ولكنه عاد الىٰ الشرطي وقال : لاتخف فإني دخلتُ السجن من أجل كرامتك وكرامة امثالك من ابناء هذا الوطن ، ولا أخرج من السجن الاّ بتحقيق هذا الهدف أو أن تحملوا جنازتي .

ومرة سمع السيد من داخل زنزانته شرطيين يتكلمان معاً أن هذا السيد سوف يُرفع الىٰ حبل المشنقة غداً في الصباح .

---

١ ـ سيماء الصالحين / ص ٣٦٥.

فضحك السيد وقال لهما : اذا كان ينقصهم حبل للمشنقة فإنه يمكنهم الاستعانة بشعر رأسي ولحيتي الطويلة التي منعوني من قصّها خمس سنوات ، حتىٰ اضطررتُ احياناً اقطع منها بأسناني .

٢٢٠ أثَرُ الكلمة

نقلَ لي حجّة الإسلام والمسلمين السيّد حسن الشيرازي نجل المرجع الرّاحل آية اللّه العظمىٰ السيّد عبد اللّه الشيرازي ﷺ : إنّه في عهد الشاه عبّاس الصفوي قَدِمَ وفدٌ من اوروبا إلىٰ إيران ، وكان العالم الفاضل الشيخ البهائي ﷺ شيخ الإسلام في الدولة الصفويّة آنذاك ، لذلك اجتمع به الوفد عندما كانوا ينتظرون مجيئ الشاه عبّاس .

في هذا الأثناء طرح رئيس الوفد المسيحي سؤالا علىٰ الشيخ كان يغلب عليه طابع الاستهزاء أكثر من كونه سؤالا استفهامياً حيث قال :

لماذا أنتم في الإسلام توجبون قراءة صيغة العقد في الزواج ؟! فما أثر الكلمات في الموضوع ، يكفي أن يتوافق الزوجان ولا يبدو حاجةٌ عقلائية إلىٰ التلفظ بكلمات الإيجاب والقبول في صيغة العقد !!

نظر إليه الشيخ البهائي لحظات بنظرة فيها شيء من الغضب ولكنه لم يتكلّم بكلمة ، وفجأةً قام من مكانه وهو يقول للرجل : (لا تأكل خُرأك) ! فخرج من المجلس من غير وداع. هنا ثارت ثائرة الرجل المسيحي واحمرّ وجهه من الغضب جرّاء الإهانة الّتي وجّهها إليه الشيخ، فكان يحسب دقيقةً تلو دقيقة متىٰ يأتي الشاه عبّاس لكي يعترض علىٰ موقف الشيخ.

حضر الشاه فابتدأه الرجل بالشكوىٰ والاعتراض قائلاً: أهكذا أدب علمائكم مع الضيوف؟!

هدّأه الشاه وأرسل خلف الشيخ البهائي يطلب حضوره للاستفسار عمّا حصل، سيّما أنّ الشاه كان يعلم جيّداً أخلاق الشيخ وأدبه وحكمته فلا يصدر عنه مثل هذا الموقف إلاّ لسبب وجيه .

جاء الشيخ باحترام وكأنّه لم يكن شيء قد حدث من قبل ، فأخذ يحيّي الحاضرين بما فيهم رئيس الوفد الغاضب ، فسأله الشاه عن الموضوع ، أجاب الشيخ قائلاً :

إنّ هذا الرجل يدّعي إنّ الكلمات لا أثر لها علىٰ الإنسان فأردت أن أبيّن له عكس ذلك،

وكيف أثّرت فيه كلمتي وحوّلته إلىٰ كتلة نارٍ غاضبة ، هذا أوّلا ، وأمّا ثانياً إنّني لم أقل له (كُلْ خرأك) وإنّما قلت (لا تأكُل خرأك) ، فبين النفي والإثبات فرقٌ عقلائيٌ واضح ، كيف لايفهمه الأخ ؟!

نعم من حقّه أن لا يتفهّم لأنّ الكلمة لها أثر كبير، وكلمات عقد الزواج لها آثار كبيرة إذن . فسكت الرجل المسيحي من شدّة الخجل .

٢٢١ بِسْمِ اللّٰه الرّحمٰن الرّحِيم

لمّا حضر الموت أحد كبار العلماء، طلب من المؤمنين حوله ان يناولوه ورقة وقلماً .

كتب في الورقة وهو بحالة الاحتضار : ﴿ بِسمِ اللهِ الرّحمٰنِ الرّحيم ﴾ فقط !

ثم قال لهم ضعوا هذه الورقة معي في القبر . سألوه : لماذا ؟ قال : حينما اخرج من قبري يوم القيامة، سوف احمل معي هذه الورقة في الحشر، واخرجها عند الحساب، لأقول للّه عزّ وجَل : انك ارسلتَ الينا كتابك الكريم، وجعلت عنوان كل سورة منه بشارة بالرحمة، فها انا جئتك اليوم بالعنوان، راجياً منك الرحمة والرضوان[١] .

٢٢٢ كرامةٌ مِن الامام الرضا عليه السلام

كان العالم الفقيه السيد حسين بحر العلوم وجيهاً في النجف الأشرف ، نافذ الكلمة، مطاعاً عند رؤساء القبائل النجفية .

وقد اصيب بفقد بصره سنين، ثم سافر الىٰ ايران سنة (١٢٨٤) الهجرية، بعد ان يأس من المعالجة عبر الأطباء ، فجاء الىٰ زيارة الامام الرضا عليه السلام مستجيراً به، ولم يستغرق الأمر طويلاً حتىٰ عاد إليه بصره بمباشرة بسيطة وكرامة واضحة من اهل بيت النبوةعليهم السلام. فرجع بعد ذلك الىٰ النجف الأشرف سنة (١٢٨٧ هـ) . [٢]

٢٢٣ خسِرَ الدنيا والآخِرة

جاء السلطان ناصر الدين شاه القاجار الىٰ النجف الاشرف سنة (١٢٨٧) الهجرية لزيارة مرقد الامام امير المؤمنين عليه السلام . فدخل عليه العالم الكبير الشيخ راضي النجفي ليطلب منه

---

١ ـ نفس المصدر ـ ص٢٠٨ .

٢ ـ معارف الرجال / ج١ ـ ص٢٨٨ .

إعفاء اهل النجف الاشرف من الخدمة العسكرية، وقد كانت الحكومة العثمانية فرضتها عليهم، فرحّب به السلطان مع كمال التبجيل والاحترام . الا ان وزير الشاه ناصر الدين - واسمه (حسين خان) - قد خان الشيخ عند ترجمة كلامه للشاه .

فقال للشاه (استصغاراً بالشيخ) : ان الشيخ يطلب منك مالا !

وبعد ان قدّم للشيخ بعض المال فهم الشاه ان الشيخ كان يريد منه أمراً لإعفاء اهل النجف من الخدمة العسكرية، ولم يكن يريد مالا. فعاقب الشاه وزيره، وأمر بقتله ومصادرة امواله، فخسر الوزير الدنيا والآخرة[1].

والعجب انطباق كلام الامام أمير المؤمنين عليه السلام على مثل هذا الخاسر : « الكذّاب والميت سواء ، فإن فضيلة الحيّ على الميت الثقة به ، فإذا لم يوثق بكلامه بطلتْ حياته »[2].

٢٢٤ مِن دروسِ الجِهاد الأصغر

كان الشيخ رحمة اللّه بن الشيخ جواد النجفي كما وصفه المؤرخون فقيهاً، عابداً، داعياً الىٰ الحق، آمراً بالمعروف، ناهياً عن المنكر، صلب الايمان، متفانياً دون اسلامه . وهكذا كان ابوه وجدّه ايضاً .

وكان الشيخ رحمة اللّه من عيون المجاهدين، فكانت له مواقف مشهودة في الجهاد ضد الانجليز سنة (١٣٣٣) الهجرية، اذ قاد قبائل سماوة العراق الىٰ حرب المحتلين، فكانوا يحاربون الكفر والشرك دفاعاً عن العقيدة والحرية .

والغريب انه لما احتل الانجليز العراق بقوة الأسلحة الفتاكة، اخذت سلطتهم الغاشمة تطارد رجال الثورة، وممن طاردوهم الشيخ رحمة اللّه، ولكنهم لم يظفروا به، حيث اختفىٰ بعيداً عن عيون المحتلين وعملائهم وعاش مختفياً إلىٰ يوم الأحد (٢٢) من شهر محرم سنة (١٣٥٦) ، اذ جاءته المنية لتنقله الىٰ دار السعادة الابدية، جزاء لجهاده العظيم في الدفاع عن الدين وبلاد المسلمين. فجاؤا بجثمانه الشريف الىٰ صحن حرم الامام علي عليه السلام ودفن جهة باب الطوسي .[3]

نعم، اذا كان لابد للانسان من الموت، فحريّ بالعاقل ان يعيش حراً، ويجاهد من اجل

---

١ ـ نفس المصدر ـ ص٢١١.

٢ ـ نفس المصدر / ص٢١٩.

٢ - غرر الحكم / ج ٢ ـ ص ١٣٩.

حريته . ثم يموت دون حريته، يموت واقفاً مرفوع الرأس، فتلك هي الحياة الكريمة .

٢٢٥ ما رأيُكَ في هذا العالِم ؟

الشيخ ابراهيم بن محمد حسن الخراساني الاصفهاني المعروف بالحاجي الكلباسي، واحدٌ من تلامذة السيد بحر العلوم، والشيخ جعفر كاشف الغطاء، والسيد علي (صاحب كتاب الرياض) .

التزم هذا العالم التقي مدة عام واحد العبادة من الليل حتىٰ الصباح، ليتأكد انه قد ادرك ليلة القدر التي هي خير من الف شهر . (١)

ولم يترك صلاة الجماعة وكان يقول لابنه أبي المعالي : عزيزي لا أرضىٰ أن تصلي الفرائض منفرداً .

ومن اخلاقيات هذا العالم العظيم انه كان يجمع الفقراء ويعطيهم حوائجهم من المواد الغذائية وغيرها لمدة عام واحد ، ولذا كان محبوباً عند الناس .

وبكلمة فقد كان مصداقاً للحديث الشريف : « طوبىٰ لمن طاب كسبُه ، وصلُحتْ سريرته ، وكرمُت علانيته ، وعزل عن الناس شرّه » .

كان بين هذا العالم الجليل ، وبين الشاه الذي كانت عاصمة حكمه آنذاك في مدينة اصفهان شيء من المعارضة والجفاء .

فالشيخ الذي كان في منصب القضاء الشرعي لم يهادن الشاه لنزواته، والشاه لم يصلح سريرته، فاضطهد الشاه القاضي حتىٰ دعا القاضي عليه، ولم تمض مدة حتىٰ انقلبتْ الاوضاع فعزل الشاه، فكتب القاضي الىٰ الشاه المعزول بيتين من الشعر مضمونهما: هل رأيت الدم المسفوك ظلماً، كيف سلب الامان من الشمعة، فلم يمنحها فرصة انهاء الليل الىٰ السحَر؟! (٢)

هذا ولقد انتقل الشيخ الكلباسي الىٰ رحمة اللّه في مدينة اصفهان سنة (١٢٦٢) هـ فما رأيك في هذا العالم ؟! (٣)

---

١ ـ مردان علم در ميدان عمل / ص١٣٧ . ٢ ـ مردان علم در ميدان عمل / ص١٣٨ .
٣ ـ بالفارسية از كليني تا خميني / ص٢٤٠ ـ بالفارسية .

٢٢٦ لِنَعُدْ الىٰ المعنويّات


السيد عبد الأعلىٰ السبزواري

قال لي سماحة آية الله السيد محمد الحسيني الميلاني (حفظه اللّه) انه زار المرجع الاتقىٰ السيد عبدالاعلىٰ السبزواري في النجف الاشرف عام (١٣٩٨هـ) فلما انفردت به طلبت منه أن يذكر لي بعض حالاته الروحية وماشاهده بنفسه في العلماء السابقين؟

فقال لي السيد : شاهدت بنفسي في حرم أمير المؤمنين عليه السلام في سالف الأيام أربعين مجتهداً يصلون صلاة الليل وهم يقرؤون في قنوت صلاة الوتر دعاء أبي حمزة الثمالي (وهو دعاء طويل ذو مضامين عرفانية رفيعة جداً ، قد علّمه اياه الامام زين العابدين عليه السلام).

وأضاف السيد السبزواري : نعم ولقد ذهب اولئك الأبرار فآل وضع حوزة النجف اليوم الىٰ ماتراه من الضعف والشتات نتيجة ظهور المادّيات ، ولايعود الوضع المعنوي الرفيع الاّ بالعودة الىٰ المعنويّات .

أقول : وبهذه المناسبة يجدر ذكر ابيات ابن عباس التي قال فيها :

اذا كثُر الطعامُ فحذّروني ... فإنّ القلبَ يُفسِده الطعامُ
اذا كثُر المنامُ فنبِّهوني ... فإنّ العمرَ يُنقِصُه المنامُ
اذا كثُر الكلامُ فسكّتوني ... فإنّ الدينَ يَهدِمه الكلامُ
اذا كثُر المشيبُ فحرّكوني ... فإنّ الشيبَ يَتْبَعُهُ الحمامُ[1]

٢٢٧ نقد الذّات

سمعت الخطيب الحسيني سماحة الشيخ عبدالحسين الخراساني ينقل عن استاذه المرجع الراحل السيد الخوئي رحمه الله قوله : ان الانسان أحياناً كثيرة يرىٰ تصرفات في الآخرين لايرتاح لها ، ولكنه ينسىٰ ذلك سريعاً فيرتكب مثلها أو أسوء منها . فمثلاً ذات مرّة دخلت

---

١ ـ رنگارنگ / ج٢ ـ ص٤٣٦ .

حرم الامام أمير المؤمنين عليه السلام فرأيت رجلاً يصلي مقابل الباب ، وقد سدّ الطريق علىٰ الزوار وأدىٰ الىٰ صعوبة الحركة هناك ، فقلت في نفسي كم هذا الانسان جاهل ! ومرّت الأيام واذا بي ومن غير انتباه أصلّي في نفس المكان حتىٰ ضايقت الزوّار وحصل بسببي تدافع في حركتهم ولكنني لم أشعر بتصرّفي السيّئ وبلغ بي الحدّ في الغفلة والنسيان إلىٰ أن أخذت اعاتب أحدهم مرّ من أمامي فقلت في نفسي أما وجد طريقاً آخر ؟!

حقاً ان الانسان لا يرىٰ عيوب نفسه ليندّد بها نفسه ، بينما يفتح عينيه شزراً علىٰ عيوب الآخرين ويندّد بهم علىٰ ذات العيوب التي هو يحملها وربما يحمل أقبح منها . لذا ـ والكلام للسيد الخوئي ـ أطلب منكم أن تذكّروني كلما رأيتم مني تصرّفاً خاطئاً .

ومثله يحصل لكل شخص مما يؤكد حاجتنا الدائمة الىٰ التذكرة والموعظة وعدم التكابر علىٰ الناصحين . قال النبي صلى الله عليه وآله : «كفىٰ بالمرء عيباً أن ينظر من الناس الىٰ ما يعمىٰ عنه من نفسه ويعيّر الناس بما لا يستطيع تركه ...»[1] .

٢٢٨ أعطىٰ ، فأعطاهُ اللّه

ذكر المرحوم النهاوندي في كتاب (راحة الروح) ان احد العلماء قال اني رأيت في المنام جماعة من الأموات فرحين وكان يمشي خلفهم رجل كبير السنّ وهو حزين . فسألته عن سبب حزنه .

قال : ان هؤلاء الفرحين يتصدق اهلهم بالخيرات، واما انا فلا أحد يتصدق لي .

قلت له : أليست لك ذرية تتصدق نيابة عنك ؟

قال : بلىٰ لي ولد يعمل عند النهر في غَسْل الأقمشة .

يقول العالم لمّا جلست من النوم ذهبت الىٰ النهر فرأيت ولد المرحوم يغسل أقمشة علىٰ حجر وهو يقول : « ضيق، ضيق ..». سألته : ماذا تعني بهذه الكلمة ؟

قال : ان رزقي ورزق عائلتي ضيّق وقليل .

قلت له : تصدّق لأبيك المتوفىٰ بشيء قليل .

قال : لا املك من مال الدنيا شيئاً .

قلت : تصدّق ولو بشيء بسيط جداً .

---

١ ـ بحار الأنوار / ج ٧٥ ـ ص ٤٧ .

فغضب الشاب مني ، فأخذ ثلاثة غراف من الماء وسكبه علىٰ جانب النهر، وقال : هذه خيرات لأبي، وليس عندي اكثر منها .

في اللّيلة الثانية رأيت الرجل في منامي فرحاً مسروراً . سألته: كيف حالك الآن ؟

قال: ان ذلك الماء القليل الذي سكبه ولدي تصدقاً لي قد نفعني وأزال حزني وجزعي، ارجو من اللّه ان يوسّع عليه من رزقه الحلال .

قلت : ان ذلك الماء لم يكن شيئاً ثميناً، ولم يكن قد اروىٰ به عطشاناً ، ليأتيك اجره وثوابه !

قال : انه لما سكب الماء، كانت سمكة صغيرة تلفظ انفاسها الأخيرة علىٰ حافة النهر، فوصل اليها ذلك الماء القليل، وانقذها من الموت، لأنه اتصل ذلك الماء بماء النهر، فتسلّلتْ السمكة الىٰ النهر . ولأجل هذا الخير الذي صدر عن ولدي، اكرمني اللّه تعالىٰ، وانا ادعو اللّه تعالىٰ ان يرزقه خيراً في دنياه وآخرته .

يقول هذا العالم : مرت شهور قليلة، فوجدت ولده قد بلغ الثراء، وصار احد كبار الأغنياء[1].

٢٢٩ كيف عُوقِب الرجُل ؟!

نقل لي أحد كبار المجتهدين في مشهد المقدسة وقد رفض أن أذكر اسمه في هذه القصة انه : لما كنت في النجف الاشرف جاءني أحد الطلبة الفقراء وكان مضطرباً وعلىٰ عجل من أمره فقال : ان زوجتي مريضة علىٰ سرير المستشفىٰ وهي تحتاج الىٰ قنّينة دم واحدة وسعرها خمسة دنانير وليس عندي هذا الثمن ، فأرجوك أن تكلّم (فلاناً) ليساعدني لشراء قنينة دم ، فزوجتي حالتها خطرة جداً .

فرفعتُ السماعة فوراً وكلّمت الرجل وهو مسؤول مالية بيت أحد مراجع الدين فقال لامانع فليأتني . فأسرع اليه صاحبنا مستبشراً ولكنه عاد اليّ مغموماً وهو يقول انه لم يعطني الا ديناراً واحداً .

لقد اغتظت من تصرفه بشدة ، ليس لأنه واعدني أن يدفع للرجل المبلغ كاملاً فحسب مع اني ذكرت له مورد الحاجة الانسانية بل لأن المال الذي بيده ليس ماله انما هو امانة مودعة

---

١ ـ كتاب بالفارسية رنگارنگ / ج٢ ـ ص٤٧٢ .

لديه لمساعدة الطلبة المحتاجين . فخرجتُ مع الطالب الفقير الىٰ صاحب دكان عند مسجد الهندي وهو ممن يعرفني ، فاستدنتُ منه أربع دنانير فاكتملَ ثمن قنينة الدم اعطيته وقلت أسرع الىٰ المستشفىٰ ، وقبل أن يبتعد كثيراً ناديتُه فأعطيته أيضاً ربع دينار من جيبي وقلت له اذهب بسيارة أُجرة خاصة ولاتتأخر .

ذهب وانتهت أزمة زوجته بسلام ، وطافت الأيام ، وكنت فيها لاأعطي ذلك الرجل وجهاً حسناً جرّاء تصرفه السيء للغاية مع هذا الطالب الفقير رغم كونه من أقاربي ...

ولما توفّي أردتُ أن أعرف حاله بعد الموت وكيف حاسبه اللّه تعالىٰ في عالم البرزخ. فقمت ذات ليلة ببعض الاعمال والتي منها تلاوة سورة الضحىٰ ، وسورة الشمس ، وسورة الشرح ، وسورة القدر ، وسورة الاخلاص ، وسورة الناس ، وسورة الفلق ، وسورة الكافرون ، حيث انك اذا أردت أن يجيبك المتوفىٰ علىٰ سؤالك لابد لك من تلاوتها مع التركيز قبل النوم أن تمسك بإبهامه حين تسأله . وهكذا رأيتُ الرجل في المنام جالساً عند المرجع الذي كان يعمل له وهو أيضاً متوفىٰ قبله ، فلما دخلتُ قام المرجع وخرج وهو يقول لي : يبدو أنك جئتَ تريد هذا !؟.

فأخذتُ بإبهامه وقلت له : كيف عاملك اللّه ؟

فكشف عن خلف رأسه فرأيت جرحاً عميقاً مدمًّلاً تشمئزّ منه النفس .. قال : هذا ماعوقبتُ به علىٰ التقصير الذي صدر مني تجاه ذلك الطالب الفقير وزوجته المريضة .

٢٣٠ لا مَوقِعَ للمِنَّة

في بداية مرجعية المرحوم آية اللّه العظمىٰ البروجردي ﷺ كتب احد تجار طهران صكّاً بمبلغ كبير، وبعثه بيد احد الاشخاص الىٰ السيد البروجردي، وقال : انه من الحقوق الشرعية (الخمس وغيره) .

وكانت طريقة التسليم غير مؤدّبة ، فأخذ السيد البروجردي ذلك الصكّ ورماه جانباً ثم قال للرجل : «لا تكرّروا هذه الطريقة مرة اخرىٰ، هل تظنون انكم تمنّون علينا بهذه الاموال، ان العلماء اشرف واعزّ واكرم من ان يهانوا بتسديدك للحقوق الشرعية اليهم بهذه الطريقة»[1].

---

١ ـ نفس المصدر / ص١٤٦ .

نعم، انّ في اموال كل مسلم حق معلوم (الخمس والزكاة وجوباً) ، وليس العلماء الاّ امناء بيت مال المسلمين وجسوراً الىٰ المشاريع الاسلامية، فليس في هذه المسؤولية الشرعية بين العاطي والآخذ موقعاً للمنّة .

٢٣١ شايُ الأمسِ

في سنةٍ من السنوات سافر العالمان الجليلان آية الله السيّد محمّد كاظم المدرّسي وآية الله الشيخ ذبيح اللّه القوچاني (رحمهما اللّه) في حافلة ، وحسب العادة يتوقّف الباص عند مقهىً من مقاهي الطريق من أجل الاستراحة .


السيد محمد كاظم المدرسي


الشيخ ذبيح اللّه القوچاني

فنزل العالمان وطلبا من صاحب المقهىٰ كأسين من الشاي ، وقال الشيخ للسيّد المدرّسي إنه قبل إحضار الشاي أذهب سريعاً إلىٰ (دورة المياه) لأجدّد الوضوء ثمّ أعود .

وفي الاثناء أُحضِر الشاي وشرب السيد كأسه وكان يبدو من طعمه مغلياً . ولمّا جاء الشيخ القوچاني قال له السيّد: إشرب الشاي فإنّهم لزيادة حبّهم لنا وترقّبهم لقدومنا قد طبخوه منذ أمس !

٢٣٢ هذا هو الطريق

سمعت آية اللّه الحاج الشيخ ميرزا علي الفلسفي (حفظه اللّه) ـ وهو من علماء مشهد المقدسة ـ نقلاً عن استاذه المرجع المرحوم السيد الخوئي ﷺ ان المرحوم استاذه آية اللّه العظمىٰ الشيخ محمد حسين الكمپاني الأصفهاني قال : كنت وزميل قروي ندرس أيام الشباب عند أحد العلماء ، فجاءنا يوماً واعتذر إلينا لإلقاء الدرس لأنه لم يسعه الوقت ليطالع ويحضّر له ، ولما ذهب التفت اليّ زميلي وقال هل تريد أن أخبرك لماذا


الشيخ الكمپاني الاصفهاني

قـال : انه كـان مشغـولا بزوجة تزوّج بها متعة مؤقتة !

لا أدري ـ والكلام للشيخ الكمپاني الأصفهاني ـ كيف بـلغ كـلام زمـيلي القـروي الىٰ استاذنا فطلب منه وبإصرار شديد أن يخبره كيف اطلع علىٰ الأمر ومن أخبره بذلك ؟!

فأجاب الطالب : كان والدي عالماً علىٰ مستوىٰ قريتنا ، يرجع اليه الناس في مسائلهم الدينية وهو يجيبهم ويبتّ في الزواج والطلاق والقضايا ، فمات وجـاء أهـل قـريتنا اليّ ونصبوني مكانه وأنا أجهل كل شيء عن الأحكام الشرعية ، ولم ينفع رفضي وامتناعي ، فاضطررت لفترة قصيرة الىٰ أن أمارس هذا الدور المفروض عليّ كرهاً ، ولكنني سرعان ما أنقذتُ نفسي وأصغيت لتأنيب ضميري فدعوت أهل القرية يوماً الىٰ كلمة هـامّة جـدّاً ، فأعلنت لهم في المسجد أيها الناس ان والدي كـان يـفتيكم وهـو عـارف بـعض الشـيء بالأحكام الشرعية أما أنا فقد أجبرتموني أن أحلّ محلّه وليست لي مـعرفة بـالأحكام ، فالذي حصل هو أن ما أفتيتكم به وعملته من عقد للزواج واجراء للطلاق لا يخلو من إشكال وخطأ ...

وهنا هاجمني الحاضرون وأشبعوني ضـرباً ، ولا أدري كـيف تـمكّنت مـن الهـرب ، فخرجت من القرية الىٰ الصحراء من غير هدف ومأوىٰ ، وبعد استراحة قـليلة فكّـرت أن أذهب الىٰ النجف الأشرف لدراسة العلوم الاسلامية ، وما قرّرت الحركة بـاتجاه النـجف وخطوت قليلاً الا لقاني رجل ساطع الوجه فقال : الىٰ أين ذاهب ؟

قلت : الىٰ النجف الأشرف .

قال : هل تريد صديقاً ؟

قلت : نعم وبكل تأكيد .

أتذكر اننا وصلنا الىٰ النجف ولم أشعر بالتعب ، ولعلّ السبب هو مؤانسـتي مـع هـذا الرجل الطيب . وهو جزاه اللّه خيراً منذ تلك المرافقة والصداقـة لا زال يأتـيني ويـتفقد أحوالي في حجرتي ، حقاً انه صديق حميم جدّاً ، ورغم ما عليه من هيبة فإنه متواضع الىٰ أبعد حدود ، يسلب حبّه قلب كل انسان يراه للوهلة الأولىٰ ، نـعم هـذا الرجـل هـو الذي أخبرني بأنك سوف تأتي غداً وتعتذر إلينا بتعطيل الدرس !

هنا فهم الأستاذ أن الرجل ذا الوجه الساطع وليّ من أولياء اللّه ولعـله الامـام الحـجة

(صلوات اللّه عليه) ولكن الطالب القروي لبساطته وصفاء نفسه لم يعرفه . لذا تـوجه الىٰ الطالب وقال له : اسأل هذا الرجل هل يقبل أن أزوره وأتعرّف عليه .

قال الطالب : بالتأكيد يقبل ، بل انه لشدة تواضعه وأخلاقه الحسنة ربما يقول أنه يزورك إذا أردتَ !

فجاء الطالب وأخبر صاحبه (الرجل المشعّ نوراً) بطلب الأستاذ .

فقال له الرجل : أبلغه انه لا داعي الآن الىٰ لقائنا ، بل إننا لمّا وجدناه أهلاً لذلك نزوره بأنفسنا !

ولقد كان لهذا الجواب وقع كبير وهزّة تربوية عظيمة علىٰ نفس الأستاذ .

نعم .. التراجع عن الخطأ والاجتناب عـن المـنصب المـغصوب دليـل صـفاء النـفس ومجاهدة الهوىٰ ، وهو دافع قوي للبحث عن العلم النافع ، وهما كافيان سبباً لمجيء الامام الحجة بن الحسن (صلوات اللّه وسلامه عليه) أو أحد من قِبَله الىٰ الشخص المتحلّي بهما فيدير أمره ويوجّه عقله ويتصادق معه .

فعلىٰ الباحثين عن الامام الحجة (أرواحنا له الفداء) أن يـوجدوا فـي أنـفسهم هـذه الشروط كي يأتيهم الامام بنفسه ، هذا هو الطريق لا تلك الطرق الملتوية النائية عن روح التعاليم القرآنية ونهج العترة الطاهرة . قال اللّه تعالىٰ : ﴿وأمّا مَن خاف مـقام ربّـه ونـهىٰ النَّفسَ عن الهوىٰ فإنّ الجنّة هي المأوىٰ﴾[1].

٢٣٣ لأنّه لا يَرُدّ الفقيرَ أبداً

قال المرحوم الملا محمد تقي البرغاني المعروف بالشهيد الثالث :

سمعتُ أبي يقول : رأيت في الرؤيا النبي محمد ﷺ جالساً وحوله علماء أجلاّء ، وكان اقرب الجالسين الىٰ رسول اللّه هو العالم الكبير ابن فهد الحلّي؇ . فتعجبتُ ، كيف يجلس هذا العالم قرب النبي وهو اقل شهرة من غيره من العلماء المشهورين . فسألتُ النبي ﷺ عن سبب هذا الاحترام والقرب لابن فهد ؟

اجابني رسول اللّه : ان هؤلاء العلماء الحاضرين هنا يكرمون الفقراء اذا كـانت لديـهم

---

١ ـ سورة النازعات / ٤٠ ـ ٤١.

اموال للمساعدة ، واذا لم تكن لديهم اموال يقولون لهم : ليس عندنا شيء .

اما ابن فهد الحلّي، ان كان لديه مال للفقراء اعطاهم منه، وان لم يكن لديه ، اعطاهم من ماله الخاص، فلا يرجع الفقير من عنده خالي اليدين . ولهذا السبب يكون له هذا الاحترام وحق التقرب والتقدم على غيره . (١)

٢٣٤ بين كيد النساء وكيد الشيطان !

قال أحد الخطباء المعروفين مازحاً مستمعيه تحت المنبر :

إني أخاف من النساء اكثر مما أخاف من الشيطان ! لأن القرآن يقول عن الشيطان : ﴿ إنّ كيْدَ الشيطان كان ضعيفاً ﴾(٢)، ولكنه يقول عن النساء : ﴿ إنّ كيدَكُنّ عظيم ﴾(٣)

وبينما لم يكمل حديثه واذا بواحد من (محبّي النساء) قام وخرج من المجلس استنكاراً لهذه المقارنة !.

أنا لا ألومه في هذا الحب لأن حبهنّ من صفات الأنبياء كما قال النبي ﷺ ، انما ألومه على عدم صبره كي يكمل الخطيب قصده !

وحيث لم أكن حاضراً في المجلس ولم يخبرني ناقل القصة عمّا أفاده الخطيب بعد ذلك فإني اوضح لقرّائي الأعزاء والقارئات العزيزات بأن الآية الثانية حكاية عمّا قال عزيز مصر (زوج زليخا) مخاطباً زوجته التي راودتْ يوسف عليه السلام والنسوة اللاتي اجتمعن معها ، فالآية إذن حكاية من اللّه تعالى للواقعة ، ثم لابدّ من الإذعان الى انّ كيد النساء يعظم بالفعل حينما يتفقن مع كيد الشيطان ، فأما النساء المؤمنات فلا كيد فيهن ما دُمن على الايمان .

٢٣٥ الذي كان لا يأمُر لِنفسه

نقل المرحوم آية اللّه العظمى الشيخ عبد الكريم الحائري رحمه الله ان استاذه الميرزا محمد تقي الشيرازي رحمه الله كان من عادته انه لا يأمر اي احد بقضاء حاجة شخصية له حتى افراد عائلته . وقد مرض يوماً، فأحضرت له عائلته الكريمة طعاماً خاصاً، فجاء به احد أولاده (الصغار) ووضعه عند باب غرفته، ورغم ان الميرزا الشيرازي بسبب مرضه كان مسجّى على فراشه ولم يستطع القيام فلم يقل لولده هات الطعام عندي !

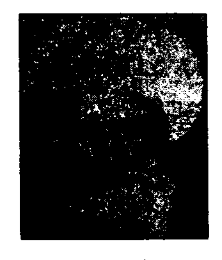
---

١ ـ المصدر المذكور / ص ٢٣٠ . ٢ ـ سورة النساء / ٧٦ .

٣ ـ سورة يوسف / ٢٨ ، المصدر المذكور / ج ٢ ـ ص ٣٦٠ .

ولما جاءت عائلته المكرّمة بعد ساعات ، وجدت الطعام بارداً لم يُلمس، فحزنتْ علىٰ ذلك، اذ كانت تعلم بأن الميرزا لم يأمر احداً بقضاء حاجاته الشخصية، وكان ولدها لا يعرف هذه الصفة في ابيه، فكيف اعطته الطعام ولم تقل له أن يضعه في متناول يد أبيه [١].

٢٣٦ ألَم تَرَكيف فَعَل ربُّك ... ؟!


ملاّعلي كني

في زمن المرحوم آية اللّه ملاّ علي كني، كان السلطان ناصر الدين القاجار يريد بناء قصر ملكي كبير، وكان هناك مسجد يعترض خطة البناء .

فاستفتىٰ السلطان علماء البلاد في جواز هدم ذلك المسجد، وفي المقابل يهدي السلطان ارضاً اخرىٰ لبناء المسجد فيها ، فأجازه بعض علماء البلاط، ثم جاء بعضهم الىٰ آية اللّه كني وهو كبير العلماء في ايران ليوقع علىٰ فتوىٰ الاجازة !

فقال لهم آية اللّه كني : سوف آتي الىٰ السلطان واوقّع الفتوىٰ عنده . ففرح السلطان وحاشيته وعلماء البلاط عندما سمعوا بموقف الشيخ !

أمر السلطان بإعداد القصر لضيافة الشيخ، فشهد القصر ذلك اليوم تحرّكاً ونشاطاً مميّزاً عن بقية الايام .

ولما دخل آية اللّه كني، استقبله السلطان، وعظّم مكانته وبالغ في الترحيب به .

وبعد ذلك الاحترام والاكرام وضعوا بين يدي الشيخ ورقة وقلماً ليوقع تحت العريضة المتضمّنة جواز هدم ذلك المسجد . فمدّ آية اللّه كني يده الىٰ العريضة ورفعها، قرأها ثم كتب تحتها (شيئاً) مع التوقيع، وقام ليخرج !

وقام السلطان والحاضرون، فشيّعوه باحترام وافر، ولما تمّ التوديع لدىٰ الباب، رجع السلطان مسروراً ليأخذ العريضة التي وقّعها الشيخ ، فقرأها واذا مكتوب فيها :

﴿ ألَمْ تَرَ كيفَ فَعَلَ ربُّك بأصحابِ الفيل ﴾ [٢] !

فانزعج السلطان بشدّة وتغيّر لونه، ولم يتجرّؤا علىٰ هدم المسجد، الا بعد وفاة الشيخ آية اللّه كني، حيث شرعوا في تخريب المسجد يوم وفاته وكان ذلك في صباح يوم الخميس (٢٧/ محرّم / ١٣٠٦) [٣] .

---

١ ـ مردان علم در ميدان عمل / ص١١٦ .
٢ ـ سورة الفيل / ١ .
٣ ـ المصدر المذكور / ص١٣١ .

٢٣٧ قَصْرٌ بلا سَقْف

أهدىٰ شخصٌ خاتماً الىٰ أحد الخطباء والوعّاظ الطرفاء ولم يكن علىٰ الخاتم فصٌّ! فقال له : مولانا، أطلبُ منك دعاءً !

فرفع الخطيب يده داعياً : اللّهم ارزقه قصراً في الجنة ليس له سقف ! [1]

٢٣٨ إنه شِبْلُ ابنُ أسَد !

يقول الشهيد الثالث العلاّمة الحاج ملاّ محمد تقي البرغاني القزويني، صاحب كتاب (مجالس المتقين) : لما سافرتُ الىٰ العتبات المقدّسة (يعني مراقد الأئمة الأطهار عليهم السلام في العراق) حضرتُ دروس السيّد علي، صاحب كتاب (الرياض) ـ في كربلاء ـ وفي يوم اخذتُ أناقش السيد في مسألة طرحها اثناء الدرس، وكان السيد لا يملّ مني في النقاش ولكن فوجئتُ في الاثناء بشاب يافع تدخّل بيننا واخذ يحاججني بأدلة علمية ومنطق لا يُقاوَم، ولمّا عجزتُ عن محاججته قلتُ له بعصبية : وأخيراً ماذا تريد أن تقول ؟

فالتفتَ اليّ السيد علي من فوق المنبر وقال : كلّمه بالدليل والمنطق، فهو شبل ابن أسد !

هنا امسكتُ عن نقاشه وقلتُ لمن جنبي : من هو هذا الشاب اليافع ؟

قالوا : انه السيد محمد مهدي ، إبن الاستاذ . فعلمتُ أن أباه قد أصاب في كلامه ، «إنه شبل ابن أسد»[2].

٢٣٩ في البحث عن لُقْمة حَلال

قيل : إن العالم الورع الشيخ عبدالله الزاهد كان يبحث مدة طويلة عن (لقمة حلال صافية يقينيّة) فلم يعثر عليها عند احد . حتىٰ اخبروه عن زاهد ورع يعمل زارعاً في خراسان ، فقصده الشيخ حتىٰ وصل اليه . فطلب منه (لقمة حلال صافية يقينيّة) !

قال الزارع : لو كنتَ جئتنا من قبل ، فقد كانت عندنا تلك اللقمة التي تبحث عنها . أمّا الآن فإن لقمة الخبز عندنا مشتبهة ، لأن السنة الماضية حينما كنت انشر البذور علىٰ الارض دخل ثوري ارض جارنا ، فذهبتُ وارجعتُه ، ولعلّه حمل حافره شيئاً من تراب ارض الجار ،

---

١ ـ نفس المصدر / ص٤٩٦ .

٢ ـ قصص العلماء / ص٤٣٣ .

وانتقل الى ارضي ! لذلك لا اتيقن الآن بحلية القوت الذي سوف استخرجه من حصاد هذه السنة حلّية خالية عن أيّ شبهة ![1]

٢٤٠ نُطفتان متقابِلتان

سأل احد السلاطين عالماً على سبيل المزاح : «لماذا يولد بعض اولادنا صالحاً، ويولد بعض اولادكم فاسداً» ؟!

فأجابه العالم بصراحة مقصودة : «لأنكم عندما تأكلون من طعامنا، ثم تواقعون زوجاتكم تخرج النطفة طاهرة ويصلح المولود . وعندما نزوركم نحن ونأكل من طعامكم، تخرج النطفة نجسة، ويفسد المولود»[2] .

٢٤١ لماذا الصّلوات على آل محمّد ﷺ ؟

ذكر محمد بن محمود الآملي في كتاب (نفايس الفنون) انه : صعد المنبر قاضي القضاة عبد الملك في مسجد جامع السلطانية في ايران، وكان جالساً كل من السلطان (خدابنده)، والعلامة الحلّي، وكبار رجال المملكة من السنة والشيعة، وكان موضوع القاضي يدور حول (الصلوات) .

فلما نزل طرح السلطان سؤالاً : لماذا حين الصلاة على النبي محمد نذكر (آله) ايضاً، بينما الانبياء الآخرون نكتفي بالصلاة عليهم فقط ؟

فعجز الخطيب عن الجواب . فقال السلطان (خدابنده) : لي في الجواب وجهان، فان كان الجواب صحيحاً انصفوني، والا فعليّ الغرامة !

اما الوجه الاول : فلأن اعداء النبي محمد ﷺ كانوا يقولون عنه انه (أبتر)، فلزم علينا ذكر آله عند الصلاة عليه لنؤكد انه ليس أبتر ابداً .

الوجه الثاني : هو ان اديان الانبياء السابقين كانت لعصورهم ثم انتهت ، بينما دين النبي محمد ﷺ جاء خاتماً للأديان، ليبقى خالداً لكل الأزمان ، فكان لابد لأهل بيته من بعده ان يفسروه وينشروه بين الناس في كل جيل .

لذلك قال لنا الرسول ﷺ : «اني تارك فيكم الثقلين، كتاب اللّه وعترتي اهل بيتي، ما ان

---

١ ـ خزينة الجواهر في زينة المنابر : ص٤٢٧ . ٢ ـ نفس المصدر والصفحة .

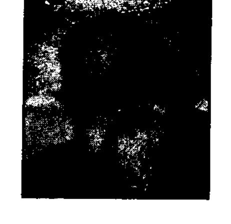
تمسكتم بهما لن تضلوا من بعدي»[١].

فاستحسن الحاضرون هذا الجواب من السلطان (خدا بنده) واثنوا عليه.

هذا، وقد سبق ان سأل احد العلماء يوماً العلامة الحلّي في حضور السلطان عن الدليل علىٰ جواز الصلوات علىٰ آل النبي محمد ﷺ، فتلا العلامة قوله تعالىٰ: ﴿ الذّين إذا أصابتهم مصيبةٌ قالوا إنّا للهِ وإنّا إليه راجِعون، أولئِك عليهِم صلواتٌ مِن ربِّهم ورحمة﴾[٢].

ثم شرح العلامة الحلي التاريخ الأسود الحافل لأولئك المعتدين علىٰ اهل البيت عليهم السلام وانهم كيف فجعوا قلب رسول اللّه ﷺ في اهل بيته الطاهرين عليهم السلام[٣].

٢٤٢ لا يأخُذ مِن الحقوق الشرعيّة



الشيخ الكوهستاني

كان آية اللّه الكوهستاني رحمه الله يعيش الزهد الكامل في حياته، ولم يفكر في زخارف الحياة الدنيا قطّ، فمن يدخل بيته لم يجد اثراً للتجمّل والتزيّن، فغرفة الضيوف وغرفته الشخصية كان فيهما حصير من صنْع مدينة (مازندران)، وقيل عرض عليه اهل الخير ان يأذن لهم بشراء سجّادات فاخرة لبيته، فلم يقبل. وما كان ايضاً يأخذ من بيت مال المسلمين حصته لمصاريفه الشخصية، رغم شدة حاجته.

كان في الأساس يكتفي بما يعود عليه من أملاك ورثها من جدّه وأبيه في قرية (كوسان).

يقال: إنه لما كان يدرس في حوزة مشهد المقدسة نفد ماله وافلس، فطلب من استاذه قرضاً قدره (٥٠) ريالا (يعني خمسة توامين).

فقال له استاذه: لماذا تأخذ بعنوان القرض، خذه من بيت مال الحقوق الشرعية التي بيدي، وهي اموال لأمثالك.

قال الشيخ: انني لا آخذ من الحقوق الشرعية لمصاريفي الشخصية.

فأخذ المبلغ بعنوان القرض. وفي تلك الليلة رأىٰ في المنام من يعاتبه ويقول: لماذا طلبتَ القرض من استاذك؟

قال له الشيخ: اذن ماذا كنتُ افعل؟

---

١ ـ المراجعات / ص١٩ ـ ٢٠ ـ نقلاً عن صحاح أهل السنة وبألفاظ متعددة.

٢ ـ سورة البقرة / ١٥٦.

٣ ـ خزينة الجواهر في زينة المنابر / ص٤٤١ و ٥٧٨.

اجابه : كان ينبغي لك ان تطلب من الذي تسمع اسمه الآن .... يقول الشيخ : وفي هذه اللحظة استيقظت من النوم، واذا بي اسمع صوت المؤذن الذي كان ينادي من مأذنة الحرم الشريف في دعاء قبل الأذان : اللّهم صلّ علىٰ عليّ بن موسىٰ الرضا، الامام الثامن عليه السلام.

فقمت وتهيأت سريعاً وذهبت الىٰ الحرم الشريف، لأعتذر من الامام الرضا عليه السلام حيث انني اقترضت من غيره، وهو صاحب الخير كله، لأنه ولي اللّه في الأرض [1].

٢٤٣ لقد أرهقتْني عباءتي هذه !

السيدالمدني

ذكر فضيلة الشيخ قراءتي (حفظه اللّـه) فـي مـحاضرته الأسبوعية ليلة الجمعة (٢٧ / ربيع الثاني / ١٤١٤) والتي تبثّ عبر تلفزيون الجمهورية الاسلامية، ان شهيد المحراب آية اللّه المدني الذي اغتاله المنافقون في مدينة تبريز كان من الزهد وقلة المال بحدّ لم يملك مايستبدل به عباءته المخروقة بعباءة سالمة، فلكي لا يرىٰ احد ذلك الخرق في عباءته كان يمسك المكان المخروق منها حين خروجه بين الناس .

فجاء ذات يوم الىٰ زيارة مرقد الامام الرضا عليه السلام ودعا اللّه تعالىٰ تحت قبّة الامام، وكانت مطاليبه كلها اخروية، كأن يحسن اللّه عاقبته، ويغفر له ذنوبه، ويرفع في الجـنة درجـاته، ويحشره مع الانبياء والصالحين، وما اشبه ذلك، يقول حينما هممت بالخروج من الحرم مودّعاً الامام عليه السلام شعرت بالتعب من امساكي لمكان الخرق في عباءتي مدة طويلة، وما كنت اريد ان ادعو اللّه بحاجة دنيوية، ولكنني استخدمت هنا اشارة لطيفة بحركة طبيعية ووديّة مع الإمام !

اذ رفعتُ مكان الخرق أمام ضريحه الشريف وقلت في قلبي للإمام : أيها الكريم لقـد أرهقتني هذه العباءة، فهل تتفضل عليّ بأحسن منها ؟!

٢٤٤ في التعدّديّة الزوجيّة

للإسلام في تشريع تعدّد الزوجات حكمة بالغة، رغم نفور بعض النساء من هذا التشريع ومحاولتهن التأويل والتبرير والتحريف ! ورغم ذلك ايضاً فإن الكثير من العلماء والمؤمنين

---

١ ـ بالفارسية مردان علم در ميدان عمل / ص١٣٥ .

قد امتثلوا لهذا الجواز الشرعي، فمنهم من أفلح في الوصول الىٰ شيء من تلك الحكمة، ومنهم من انشغل في معركة الغيرة بين النسوان، سعياً في الاصلاح بينهن ، ومنهم من دخلوا طرفاً في المعركة فخسروا كل شيء !

فالذين انتصروا علىٰ غيرة النساء التي ورد في الحديث الشريف بأنها كفر قد اثبتوا حسن ادارتهم وطيب معاشرتهم، وأجادوا إحياء هذه السنة النبوية المنسيّة، واكتسبوا بذلك ثواب الدنيا والآخرة . والسؤال هنا كيف يوزِّع الزوج حبّه للزوجات، علىٰ فرض مقدرته في العدالة من حيث الاهتمام بهن وتوزيع الوقت بينهن والانفاق لسدّ حوائجهن المادية ؟

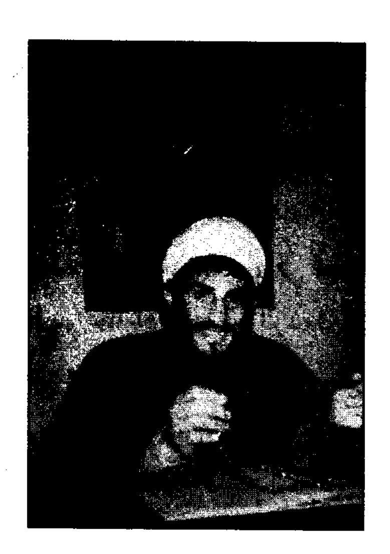
اقول : ان الشرع الاسلامي لم يوجب العدالة في الحب القلبي، لأن القلب لا يخضع لإرادة الانسان في الحبّ والبغض، انما المطلوب شرعاً ان لا يعكس ذلك علىٰ تصرفه معهن ، فيهتم بالتي يميل اليها ويهمل الاخرىٰ، لأنه حينئذ تختل العدالة بينهن فينتفي شرط جواز التعدد . وفي هذا الامر نقرأ قصة العالم الفاضل المرحوم الشيخ آل راضي ، نقلها لي الاستاذ آية اللّٰه السيد احمد المددي (دام ظله) : يقال : إنه كان متزوّجاً بأربع نساء مؤمنات متلائمات، قد احسن الاهتمام بهن من كل النواحي، وكنّ يحترمنه أيّما احترام، وكان بذلك قد صنع بيتاً زوجياً تسوده المحبة والخير، حتىٰ نال اعجاب واستغراب كل من يسمع عنه ذلك .

وذات مرة قال الشيخ لبعض اصدقائه : انني أكنّ في قلبي حباً اكثر لواحدة منهن ، ولكن ما استطاعت إحداهنّ حتىٰ الآن ان تكتشف من هي تلك الواحدة . ذلك لأني أتعامل معهن بالتساوي واتظاهر بالمودة مع كل واحدة علىٰ السواء، بشكل لا تشعر احداهن حبي لغيرها اكثر او أقل من حبي لها !

واني اتحدّىٰ كل من يدّعي انه قادر علىٰ اكتشاف ذلك من خلال تصرّفي وسلوكي معهن ؟!

وأخيراً اقول : إن التعددية الزوجية بهذه الطريقة الانسانية العادلة هي المطلوبة شرعاً، والمطلوب التشجيع لها دفعاً للمفاسد المحتملة، وكسباً للحكمة من وراء تشريعها، أما التي يقوم بها بعض هواة التعددية بدافع شهواتهم الحيوانية، فهي ليست اسلامية، والدليل يجدونه في نداءات ضمائرهم وتأنيبها لهم باستمرار !

٢٤٥ تكونُ موفَّقاً



لما كنت ادرس في الحوزة العلمية بالنجف الأشرف قبل سبعة عشر عاماً اي سنة (١٩٧٦)، كانت لشخصية الامام الخميني عندي جاذبية متميزة عمّا لغيره من مراجع الدين، وكما يقال: فان «لكل وردة عطرها». لذلك كنت مشدود المحبة لهذا الرجل، وحيث كنت في الخامس عشر من العمر لم اجد ما يمكن ان اتذرع به للكلام معه كثيراً، فكنتُ اكتفي بالنظر الىٰ هيبته الروحية فأرسل اليه نظراتي بدقة عندما كان يخرج من منزله المتواضع متجهاً الىٰ مسجد (التُرْك) في سوق (الحويش) ليؤمّ هناك جماعة المصلين أو يلقي دروسه ومحاضراته، او عندما كان متجهاً لزيارة مرقد جدّه الامام علي أمير المؤمنين عليه السلام في الساعة المحدّدة ليلاً، او عندما كنت اذهب الىٰ مجلسه الذي يستقبل فيه الناس، وكان لساني لم يتحرك هناك، وشفتاي الساكنتان كانتا قانعتان بتقبيل يمين السيد ولكن الىٰ متىٰ استمرُّ (أخرس) مع الحبيب هكذا ؟!

وذات مرة كنت خارجاً من مدرسة السيد كاظم اليزدي (الكبرىٰ) في شارع الرسول، حيث كنت اسكن حجرة منها، متوجهاً نحو حرم الامام علي عليه السلام واذا بالسيد الخميني عائد من الحرم بتلك الهيبة والمشي الموقّر، ولم يكن يرافقه الا الشيخ العرفاني. انها لساعة لقاء لا يفوّتها إلا نادم!

لذلك فلم اكتفِ بتقبيل أنامله، بل قلت له: سيدي التمسكم الدعاء الخاص!

فقال كلمتين فقط: تكون موفَّقاً. وكانت الكلمة الثالثة ابتسامته لي.

والآن إذ اكتب هذه الخاطرة بعد سنوات من ذهابها عن البال، ذكّرتني اياها رؤيا رأيت فيها الامام الخميني قدس سره البارحة (ليلة الجمعة ـ ٢٧ / ربيع الثاني / ١٤١٤) في حديث ودّي، فقد طرحت عليه بعض أسئلتي الكثيرة المتراكمة عبر السنوات!

ولما حان الوداع ـ حيث كان يبدو لي في المنام انه يغادر الحياة الدنيا بعد أقل من اسبوعين ـ التمسته الدعاء الخاص أيضاً، فقال: «انت موفّق»! فما العلاقة بين الكلمتين ؟!

٢٤٦ كان أبعَدُ نظراً مِن غيره

حُكِيَ أن طالباً كان ينال من المجدد الشيرازي ﷺ وينتقصه والسيد المجدِّد يسمع ذلك دون أن يرد عليه شيئاً حتىٰ اشتكىٰ إليه جماعة من أهل العلم وقالوا ينبغي اخراجه وفصله عن الحوزة ، لكن المجدِّد اجابهم : (اتركوه وشأنه) وكان يجري عليه الراتب الشهري الذي يعطيه للطلاب (كما ورد في قصة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام مع الخوارج أنه كان يجري عليهم عطاياهم، كما ان الرسول ﷺ قبل ذلك كان يجري علىٰ المنافقين عطاياهم) وهكذا بقي هذا الطالب في سامراء .

وبعد سنوات جاء جماعة من معارف ذلك الطالب من طهران لزيارة العتبات المقدسة في العراق فاقترح عليهم المجدد بأن يأخذوه وكيلاً عنه إلىٰ بلدهم حيث انهم يحتاجونه هناك .

فرحبوا بالفكرة مع علمهم بأنه ينتقص المجدد وكانوا متعجبين من سعة صدره ﷺ .

وبعد سنوات جرت قضايا «التنباك» كما اتفق ان اصبحت لهذا العالم مكانة رفيعة عند الأمة والدولة، ولما لم ير ناصر الدين شاه طريقاً الا بالقاء التفرقة بين رجال العلم، لعله يتمكن من انقاذ ما أبرمه من الامتياز مع البريطانيين، طلب من هذا العالم ان يهيء مجلساً يدعو فيه كافة العلماء ويخبرهم بان الشاه يريد أن يزورهم .

وهكذا فعل ذلك العالم فقد دعا العلماء البارزين في طهران وجاء الشاه وجلس وقال لهم في ما قال : التنباك ان كان حلالا فحلال محمد ﷺ حلال إلىٰ يوم القيامة فكيف يحرمه المجدد ؟ وان كان حراماً فلماذا كنتم تستعملونه قبل ذلك ؟

فقال احد العلماء في جوابه : التنباك حلال في نفسه لكنه حرم بالعنوان الثانوي لأنه ضرر علىٰ الإسلام والمسلمين كما أن الماء حلال لكن شربه للمستسقي الذي يوجب له الضرر حرام وهكذا فإن حلال محمد ﷺ حلال وحرام محمد ﷺ حرام لكنه ﷺ جعل الىٰ جنب هذا القانون قانوناً يحرم الحلال ويحلل الحرام، ففي الحديث (ما من شيء حرمه الله إلا وقد أحله لمن اضطر إليه) فالحرام يصبح حلالا للمضطر كما أن الحلال يصبح حراماً فيما إذا كان فيه ضرر وذلك طبقاً للقانون الذي وضعه رسول الله ﷺ حيث قال (لا ضرر ولا ضرار في الإسلام) .

وبعد مناقشات حامية دارت بين الشاه وبين العلماء غضب الشاه وتوجه إلى العلماء قائلاً: واخيراً ماذا تفعلون ؟

فلم يستطع أحد منهم مجابهة الشاه وتحدي غضبه الا هذا العالم (الذي كان في يوم ما طالباً في سامراء ينتقص المجدّد) فتوجه إلى الشاه قائلاً: إن امام المسلمين المجدد الشيرازي حرم التنباك لأنه ضرر على المسلمين ونحن بانتظار أن ينفّذ الشاه حكم المجدّد، فاذا نفّذ حكمه فهو وإلّا نحن ننفذه بالسيف. فغضب الشاه وخرج من دون أن ينال شيئاً.

وصل خبر هذا المجلس وما جرى فيه الى المجدّد الشيرازي في سامراء فطلب المجدّد اولئك الذين كانوا يقترحون اخراج هذا الطالب من الحوزة وفصله وقال لهم هل كنا نستفيد هذه الفائدة الكبيرة اذا كنا طردناه!؟

فاعترف الجميع باصابة نظر المجدد وانه كان ابعد نظراً وروّية منهم[1].

٢٤٧ حافِظٌ للقرآن ومحافظٌ عليه

يقول الشيخ محسن القراءتي في حديثه الأسبوعي ليلة الجمعة الذي بثّه تلفزيون الجمهورية الاسلامية ليلة (٢٢ / شعبان / ١٤١٤) :

انني سافرت الى إحدى البلاد الاسلامية فقال لي أحد كبار المسؤولين الذين التقيت بهم وهو يفتخر: نحن عندنا خمسمائة حافظ للقرآن، انتم كم من الحفّاظ عندكم في ايران؟

قلت له : نحن عندنا ملايين المحافظين للقرآن والمدافعين عن القيم القرآنية !



٢٤٨ قُل إنّما أنا بشرٌ مثلُكم !

﴿ إنّ هذا القُرآنَ يَهدي للّتي هي أقْوَم ويُبَشِّرُ المؤمنين الّذين يعملون الصالحات أنّ لهم أجراً كبيراً * وأنّ الذين لايؤمنون بالآخرة اعتدنا لهم عذاباً أليماً ﴾[2].

برز في عصرنا (الطفل المعجزة)

---

١ ـ كتاب ممارسة التغيير / ص٩٢ ـ ٩٣ . (مع تغيير طفيف)!

٢ ـ سورة الأسراء : الآية ٩ ـ ١٠ .

الذي حيّر العقول علىٰ مستوىٰ العالم بحفظه للقرآن الكريم كلّه وفهمه لآياته وإجابته علىٰ الأسئلة بها مع ذكر أرقامها وأسماء السور ، واذا طُلِبَ منه قرأ تتمّة الآية وحتىٰ الكلمات الأُولىٰ من أول الصفحة الىٰ ما بعدها من الصفحات . وكان قد ظهرت عليه هذه العبقرية القرآنية وهو في السنة الثانية من طفولته . ومنها اشتُهِر في الجمهورية الاسلامية وذاعتْ شهرتُه في العالم ، فقد جابَ السيد محمّد حسين الطباطبائي (الملقب بـعلم الهُدىٰ) بلاداً كثيرة ليلمس المسلمون وغيرهم واحدة من معاجز القرآن العظيم في هذا العصر المادي . ففي لقاءاته مع الناس في المساجد والمراكز العلمية والجامعات والأُندية أثبت السيد الطباطبائي وعمره الآن (ست سنوات) بما لا مجال فيه للشك أنّ اللّه تعالىٰ اذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون ، وأن الانسان إذا نظر اليه الربّ الجليل فتح عليه باب الخير الكثير . ولكن مَن هو الانسان المؤهّل لهذه السعادة ؟

وحيث كُنت في سفرة تبليغية الىٰ دولة قطر (شهر صفر المظفر من سنة ١٤١٩ هـ) أُسعدتُ بلقاء السيد (المعجزة) ووالده الكريم سماحة السيد محمد مهدي الطباطبائي (دام ظلّه) وأنتهزتُ الفرصة لأسألهما بعض أهم الأسئلة ، وهنا أعرض عليك منها سؤالين :

١ ـ قلت للطفل الكبير : هل ترىٰ نفسك معجزة كما يقولون عنك ؟

ابتسم وقال : ﴿ قُل انّما أنا بشرٌ مثلكم ﴾ ولم يتقدّم الىٰ بقية الآية .

حقاً كانت كغيرها من إجاباته علىٰ أسئلة الناس اجابة في غاية الحكمة والدقّة . .

٢ ـ قلت لوالده : كيف شعورك وأنت والد هذه النابغة القرآنية ؟

قال : أشكر اللّه تعالىٰ أن وفقني للسير بولدي الىٰ أنحاء العالم للتبليغ الاسلامي واثبات الحق والدعوة الىٰ اللّه عزّ وجل . فقد تبين لي أن الناس قد تبينت لهم أحقيّة مذهب أهل البيت عليهم‌السلام وأنّ الشيعة الحقيقيين ليسوا كما يشيع حولهم الكذّابون والخنّاسون ويتبعهم الجاهلون . فكم من أشخاص منبهرين سئلوني باستغراب هل أنتم شيعة ؟

قلت : واللّه نحن شيعة وجدّنا محمّد رسول اللّه صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم ، نوالي علياً وأبناءهُ المعصومين عليهم‌السلام .

٢٤٩ سِعةُ الصَدْر آلة الرئاسة

قال آية اللّه العظمىٰ السيد محمد الشيرازي (حفظه اللّه) في كتابه (ممارسة التغيير) نقل والدي ﷺ : أن رجلاً جاء إلىٰ الميرزا محمد تقي الشيرازي ﷺ يريد منه شيئاً من المال وحيث لم يكن المال متوفراً آنذاك للميرزا، اعتذر منه فأخذ الرجل يسبّ الميرزا في وجهه والميرزا ساكت لا يتكلم فأراد جماعة من الجالسين تأديب الرجل، لكن الميرزا اشار إليهم بعدم التعرض له وقال إن الفقر اوجب الحدة فيه فاتركوه وشأنه، فقام الرجل وذهب.

وبعد ايام جيء إلىٰ الميرزا بأموال لأجل قضاء صلوات وصيام عن الأموات ففرق الميرزا الأموال في مواردها وابقىٰ حصة منها لذلك الرجل واوصىٰ بها من يوصلها إليه حتىٰ يقضي عن الميت صلاته وصومه، فاعترض علىٰ الميرزا جماعة من الحاضرين وقالوا شيخنا هل السب من الكبائر الموبقة ؟

قال : نعم .

قالوا : وهل أنتم تشترطون العدالة فيمن يقضي صلوات الأموات وعبادتهم ؟

قال : نعم .

قالوا : فان هذا الرجل قد سبّكم قبل ايام فهلا اسقطه سبّه عن العدالة ؟

فتوجه الميرزا إليهم وقال : نعم اني اشترط العدالة فيمن يقضي صلوات الأموات وصيامهم، والسب أيضاً من الكبائر المسقطة للعدالة لكن سب مثله لمثلي لا يوجب سقوط عدالته ـ وأراد بذلك أنه قد سبه اضطراراً من جهة فقره لا انه قد سبه عن عمد ـ والميرزا زعيم المسلمين ينبغي له أن يعفو عن المذنبين والمعذورين تحت ضغط الحياة.

ونتذكر هنا حديثاً روي عن رسول اللّه ﷺ : «وجبتْ محبة اللّه لمن أُغضِبَ فَحَلِم ...» وقال أيضاً : «مَن كظم غيظه وهو يقدر على إنفاذه ملأه اللّه أمناً وايماناً» .

وعن أمير المؤمنين ﷺ «سعة الصدر آلة الرئاسة» .

٢٥٠ بَصَقَ في وَجْه الشيخ

ينقل عن العالم الكبير الشيخ زين العابدين المازندراني ﷺ الذي كان من المراجع الكبار قبل قرن من الزمان تقريباً أنه قصد زيارة الإمام الحسين ﷺ مع جماعة من اصحابه وفي

اثناء الطريق التحق بهم سيد فقير وطلب من الشيخ شيئاً من المال يصلح به امره .

قال له الشيخ : انني الآن لا احمل معي من المال شيئاً ، فاذا رجعتُ من الحرم الشريف تعال إلىٰ داري حتىٰ اعطيك ما تحتاجه .

لكنه اخذ يصرّ في طلبه، ولما لم ير من الشيخ جواباً بصق في وجه الشيخ مما سبب اثارة الذين كانوا معه فأرادوا تأديبه وضربه ، لكن الشيخ منعهم عن ذلك ومسح بيده البصاق الذي كان علىٰ وجهه وقال اني ارجو ان لا تمس وجهي النار يوم القيامة ببركة بصاق واحد من ذرية رسول اللّه ﷺ ثم توجه إلىٰ السيد وقال تعال إلىٰ البيت بعد رجوعي عن الحرم حتىٰ اعطيك ما قسّم اللّه لك وذهب إلىٰ الحرم الشريف [1].

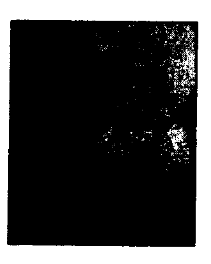
٢٥١ ثَمَنُ الوقت

يقول آية اللّه العظمىٰ السيد محمد الشيرازي (دام ظله العالي) في كتابه (ممارسة التغيير): لا أنسىٰ أيام كنت بصحبة والدي ﵀ وكان معنا المرحوم السيد حسين القمي﵀ - الرجل العالم والمجاهد المشهور - وكان أيضاً آية اللّه العظمىٰ السيد الميلاني﵀ وغيره، وكنا قد ركبنا سيارة من كربلاء إلىٰ سامراء وفي أثناء الطريق عطبت السيارة ، فسأل المرحوم القمي السائق عن المدة التي يستغرقها إصلاح السيارة؟

قال السائق: عشر دقائق، فتوجه القمي ﵀ إلىٰ خادمه وقال : افرش في الصحراء وأنزل الكتب، فنزل ونزل أصحابه : والدي والسيد الميلاني وغيرهما، فقال : نتباحث لئلا يذهب وقتنا اعتباطاً ، فأخذوا في المباحثة حتىٰ تهيأت السيارة، فركبنا جميعاً وتوجهنا إلىٰ سامراء. وبهذه المناسبة شعر منسوب لأمير المؤمنين ﵇ :

مامَضىٰ فات ، ومايأتي فأيْن   قُم واغْتَنِم الفرصةَ بين العَدميْن

٢٥٢ أُولىٰ صلاةِ جماعةٍ مِن نوعها



الشيخ كاشف الغطاء

انعقد في مدينة القدس الشريفة ليلة المعراج (٢٧ / رجب) عام (١٣٥٠ هـ) (١٩٣٣م) مؤتمر إسلامي لتدارس سُبُل التعاون في نشر الثقافة الاسلامية والدفاع عن البقاع المشرّفة وقضايا

---

١ ـ عن كتاب ممارسة التغيير / ص ٩٤.

اخرىٰ ذات العلاقة بالأمة ، فدُعي اليه كبار علماء المسلمين بمافيهم العلاّمة الكبير الشيخ كاشف الغطاء ﷺ . فلما وصل الشيخ تقدم الوجهاء الفلسطينيون والعلماء المشاركون الىٰ استقبال الشيخ كاشف الغطاء وكان في مقدمتهم مفتي القدس الشيخ الحسيني .

ذات ليلة طلب منه المفتي وكذلك مفتي نابلس الشيخ محمد تفاحة ـ وكان من أكابر علماء فلسطين سناً ـ والمشرف علىٰ المسجد الاقصىٰ أن يرتقي المنبر بعد صلاة المغرب وكان عدد الحاضرين يبلغ سبعين الفاً ، امتدت صفوفهم الىٰ خارج المسجد ، لقد فوجىء الشيخ كاشف الغطاء بهذا الطلب والالحاح ، ولكنه رغم ذلك ارتجل أمام جمهور الحاضرين فأفتتح خطبته بقوله تعالىٰ :﴿سُبحانَ الذي أسرىٰ بعبدِه ليلاً مِن المسجدِ الحرامِ الىٰ المسجدِ الأقصىٰ الذي باركْنا حَوْلَه﴾[1] واسترسل في الحديث حول هذه الآية ثم ربطه بالمواضيع التي من أجلها جاءت الدعوة الىٰ المؤتمر .

وبعد أن أنهىٰ خطبته التي سحرت المستمعين بحلاوة عباراتها وعمق دلالاتها ـ طلبت منه لجنة المؤتمر وأكابر الموجودين أن يصلي بهم جماعة فاستجاب لهم الشيخ واقتدت به الالوف من تلك الجموع الغفيرة ، وهو حدث عظيم في التأريخ الاسلامي ، وكذلك تركت خطابات الامام كاشف الغطاء في المؤتمر آثاراً بليغة قد حفرت في ذاكرة التأريخ السياسي الاسلامي للقضية الفلسطينية[2].

٢٥٣ ما النّفْع مِن وجودك

وُلد آية الله العظمىٰ السيد علي الميْبدي المرعشي سنة (١٢٦٠ هـ) وتوفي سنة (١٣١٣ هـ) .

رأيتُ عند حفيده سماحة السيد ناصر الميبدي (دام عزه) المقيم حالياً في مدينة مشهد المقدسة كتاباً مخطوطاً بخط جدّه المرحوم ، وهو بمثابة مذكّراته وقصص عن حياته، واسم الكتاب (إصلاح البلاد) . ذكر في مقدمته قصة التحاقه بالحوزة العلمية ودراسته الدينية قائلاً:

ذات مرّة سألني صانع كوز من فخار عن مسألة دينية وأنا شاب صغير السنّ ، ولكني

---

١ ـ الاسراء / ١ .

٢ ـ اقتباس عن مقدمة كتاب أصل الشيعة وأصولها / ص٨٧ طبعة قم المقدسة .

سكتُّ عن الجواب اذ لم أجد جواباً لسؤاله . وهناك عاتبتُ نفسي وقلتُ لها : ما النفع من وجودك ان تكون من ذرية رسول اللّه وسلالة السيدة الطاهرة فاطمة الزهراء ولا تعرف شيئاً عن دين جدّك ؟ !

فقرّرتُ عندئذٍ الالتحاق بالحوزة وطلب العلم فيها ومن بعد ذلك صرتُ كلما اتذكر السائل الذي دفعني سؤاله الىٰ هذا الاختيار أقوم بالدعاء له في صلاة الليل ، لأنه السبب لالتحاقي بطلاّب العلوم الدينية .

٢٥٤ لا للثَرْثَرْة ، نعم للهدوء

نقل آية اللّه نجومي الكرمانشاهي الذي كان كثير الحضور عند العلامة الكبير والمحقق الخبير آية اللّه الشيخ آغا بزرگ الطهراني صاحب موسوعة الذريعة والمؤلفات الاخرىٰ الكثيرة ، انه كنتُ ذات يوم جالساً معه في مكتبته وهو متعمّق في مطالعاته وكتابة ملاحظاته التي يريدها في تأليفه ودراسته العلمية والتاريخية ، فدخل شخص وقطع علىٰ الشيخ شريط افكاره بكلمات لا تنفع الدنيا ولا الآخرة ، واطال الجلوس الىٰ ما يقارب ساعة وهو كذلك ، وبينما كان الشيخ متورّطاً معه وكنتُ أنا منصرفاً الىٰ عملي في المكتبة قام الرجل وخرج ، فضرب الشيخ علىٰ فخذه وقال بحسرة وتألم : انظر كيف يتلفون أوقات عمرهم فيما لا يعنيهم ولا يعود اليهم بالنفع الدنيوي ولا الأُخروي !

آغا بزرگ الطهراني

أقول : وهنا جدير بنا ان نتذكر كلمة للامام علي عليه السلام : «شيئان لا يعرف فضلهما الا مَن فقدهما الشباب والعافية»[1] .

هذا ولقد كان الشيخ الطهراني آنذاك يناهز عمره التسعين سنة وهو ضعيف البنية منهوك الطاقة ، ورغم ذلك كان مكبّاً علىٰ القراءة والتأليف وحريصاً علىٰ دقائق عمره الشريف .

وفي الحديث عن علي عليه السلام : «إنّ عمرك مهر سعادتك إنْ انفدته في طاعة ربك»[2] .

---

١ - غرر الحكم / ج١ ص٤٤٩.

٢ - غرر الحكم / ج١ - ص٢١٨.

٢٥٥ عطاءٌ وتقدير

العلامة المجاهد الشهيد السيد اسماعيل البلخي عُرف بجهاده الطويل ودخوله السجن سنوات طويلة في أفغانستان ، وقد كتب أكثر ديوانه الشعري الثائر في زنزانته . ولكن حياته لم تتلخص في جهاده السياسي واشعاره الثورية وصبره في المعتقل وأخيراً استشهاده الأليم على أيدي الفسقة من مرتزقة السلطان داوود ، بل له اخلاق اجتماعية عالية أيضاً .

كتبت لنا ابنته خديجة المقيمة في مدينة مشهد المقدسة والتي ترأس العمل النسائي لحزب الوحدة الاسلامية في أفغانستان نقلاً عن الرجل الذي كان مرافقاً لوالدها : اننا ذات مرة كنّا مدعوّين الى بيت أحد المؤمنين في العاصمة الافغانية (كابل) ، فبعد أن تناولنا وجبة الطعام قدّم الى صاحب المنزل السيد البلخي رداءً وكيس حلاوة وظرفاً فيه بعض المال .

فقال له السيد : الرداء أضعه على كتفي ، والحلاوة احملها لأطفالي ، وأما ظرف النقود فلمن ؟

فقال صاحب المنزل: سيّدنا، فصل الشتاء على الأبواب ، اقبل مني هذه الهدية القليلة .

فأخذ السيد ذلك الظرف وأدخله في عمامته كعادته ، ثم خرجنا جميعاً نمشي في الطريق . وفي الاثناء وقع نظر السيد البلخي على فقير رثّ الثياب ، يبدو عليه مسيس الحاجة الى مساعدة ، وتقدّم الفقير نحوه ايضاً فسلّم وقبّل يده ، وبادله السيد بالسؤال عن حاله بأدب وعطف . فقال الرجل الفقير : الشتاء قادم وليس لديّ في المنزل فحماً للدفء ، وعائلتي سوف تهلك في برد (كابل) .

هنا أخرج السيد من عمامته الظرف وأخذ منه أجرة السيارة التي كان يريد الذهاب بها الى منزله ، ثمّ أعطى الفقير كلّ ما في الظرف وقال له : خذ هذا وأسرع لتسرّ عائلتك وتدفىء بيتك .

كان الفقير لا يصدّق ما رآه من الكرم وهذا العطاء الكبير ، فشكر السيد بلسان عاجز وهو يكرّر كلمة الشكر ويودّع .

فقال له السيد : لا تشكرني أنا ، فإن صاحب هذا المال هو هذا الرجل ، ادع له واطلب من

اللّه عزّ وجلّ أن يرزقه مالاً أكثر .

بذلك أعطىٰ السيد البلخي درساً في السخاء والتقدير لأهل العطاء .

٢٥٦ لا لِمصادرة الألقاب

لُقّب المرجع الديني الأعلىٰ آية اللّه العظمىٰ السيد أبو القاسم الخوئي ﵀ في النجف الاشرف بـ (زعيم الحوزة العلمية) ، وحصل ان طُبع هناك كتاب (تحرير الوسيلة) للامام الخميني ﵀ ، فكان لقب (زعيم الحوزات العلمية) يتصدر اسم الامام علىٰ غلاف الكتاب ، فما أن رأىٰ الامام ذلك حتىٰ احضر المسؤول الخاص بهذه الامور في مكتبه وسأله: من أمرك ان تلقّبني بهذا اللّقب ؟

ثم اضاف الامام :

إن لم تُحذَف هذه الجملة (زعيم الحوزات العلمية) من الكتاب فسوف آمر برمي الكتب هذه كلها في نهر دجلة !

وهكذا قاموا بإلصاق ورقة علىٰ آلاف النسخ من الكتاب حتىٰ لا تُقرأ هذه الجملة![1]

٢٥٧ مِن أخلاقيّات الإمام

جاء في مقالة لأحد مقرّبي القائد الراحل الامام الخميني ﵀ حول الامام والمرجعية:

انّ الامام الخميني عندما علم في النجف ان الحكومة العراقية استدعت المرجع الديني آية اللّه العظمىٰ السيد محمود الشاهرودي الىٰ بغداد ، أرسلني الىٰ بيت المرحوم لأتأكد من الموضوع . فامتثلتُ لأمر الامام وذهبت ، فتبين أن الموضوع صحيح كما وصلنا .

فعلىٰ أساس ذلك أرسلني الإمام الىٰ كربلاء ليلاً ، وحمّلني رسالة شفهية الىٰ محافظ كربلاء ، وقد كانت مدينة النجف تابعة لها إداريا .

فلم يمضِ يومان أو ثلاثة حتىٰ تلقينا مخابرة هاتفية تقول : ان القضية انتهتْ بخير ![2]

ما أجمل أن يكون مثل هذا التكاتف بين مراجعنا في كل عصر .

---

١ ـ نفس المصدر / ص ٢٤.

٢ ـ نفس المصدر / ص ٢٥.

٢٥٨ أصحابُ المال وأصحابُ العِلْم


الشيخ عبدالكريم الحائري

حينما بدأ آية اللّه العظمىٰ المرحوم الشيخ عبد الكريم الحائري ﷺ (المتوفىٰ سنة ١٣٥٥ هـ) يؤسس الحوزة العلمية في قم المقدسة أخذ في إعداد مجموعة من طلبة العلوم الدينية ، يتقنون اللغات الأجنبية ، لتبليغ الاسلام في انحاء العالم .

فلما وصل هذاالخبر الىٰ بعض التجار الاثرياء في سوق طهران ، هرعوا الىٰ مدينة قم وأعلنوا للشيخ بكل صراحة :

« اننا ندفع اليكم هذه الاموال (الحقوق الشرعية) لا لكي يتعلم طلبة العلوم الدينية (لغة الكفار) ، فاذا انتهجتم هذا النهج في الحوزة ، فاننا نمنع المال » !!

ولمّا رأىٰ الشيخ الحائري ان تأسيس الحوزة في بدايته مفتقر الىٰ مال ، ومن دونه لايمكن وضع حجر الاساس ، اضطر الىٰ ان يتراجع عن أهدافه السامية [١] .

أقول : كان ولا زال أغلب الذين بأيديهم المال ، لا يمتلكون العقل المفكِّر والتدبير الحضاري ، والذين يمتلكون هاتين الصفتين ، لم يكن لهم مالٌ لتنفيذ مشاريعهم العظيمة .

فما الحكمة في هذا الامر ، هل هي الامتحان لأصحاب المال وأصحاب العلم ؟

ذلك هو الظاهر ، فهنيئاً لأولئك المتعاونين من اصحاب المال واصحاب العلم الذين يكسبون بتعاونهم علىٰ البرّ والتقوىٰ رفعة في الدنيا وسمعة طيّبة في كلّ الأجيال ، كما يكسبونَ به الثواب الأعظم عند اللّه في الآخرة ، ولكن للأسف انهم قلّة قليلة ، وصدق اللّه تعالى إذ قال ﴿وقليل من عبادي الشكور﴾ [٢] .

٢٥٩ ربيعُ الوحدة الاسلامية


السيد شرف الدين

لأجل تعميق فكرة الوحدة الاسلامية التي كانت هاجسه الأكبر ، ومن أجل تأكيد الروابط والصِلات الودّية بين الطائفتين (الشيعة والسنة) كان العلاّمة الكبير السيد عبدالحسين شرف الدين ـ صاحب كتاب المراجعات ـ يقيم حفلاً كبيراً كل عام بمناسبة

---

١ ـ بالفارسية (مرجعيت و روحانيت) ص/١٨٨.

٢ ـ سورة سبأ / ١٣ .

المولد النبوي الشريف في اليوم الثاني عشر من ربيع الاول (وقد كان يرى بعض علماء الشيعة أنّ مولد النبي ﷺ كان يوم ١٢ ربيع الاول وإنْ كان معظمهم يرون أنه يوم ١٧ منه) ليكون أدْعى لرأب الصدع وجمع الشمل وإحلال الوئام وهو بعينه ماتخذته الجمهورية الاسلامية موسماً للوحدة بين المسلمين حيث جعلت مناسبة المولد النبوي الشريف اسبوعاً للوحدة يبدأ في ١٢ ربيع الاول من كل عام وينتهي في ١٧ منه.

وكان من عادته ﵀ اذا انتهى الاحتفال أن يذهب الى مسجد (السنة) للتهنئة والتبريك، وكان كل هذا حافزاً قوياً لجمع كلمة المسلمين التي كان يحرص عليها دائماً[1].

أقول: ان الوحدة سواء بين الشيعة او السنة او بين الطوائف نفسها لا تشمر من غير التمحور حول اصل ثابت ومشترك بين الجميع، وليس ما سوى (حبل اللّه) وهو القرآن الكريم يوجد محور آخر للأمة الاسلامية، فالاعتصام به عبر الأدوات المذكورة فيه سبيل قويم للوحدة الاسلامية الصحيحة وان أهم الأدوات هو سبل التسليم الخالص لسنة النبي ﷺ في تحقيق أهدافه القرآنية، ومن دون هذا المحور ليست الوحدة الا شعاراً فارغاً والداعون اليها يدورون في حلقة مفرغة، فهل نتأمل جيداً ودائماً في قوله تعالى ﴿واعتصموا بحبل اللّه جميعاً ولا تفرّقوا﴾.

إذن الاعتصام بمحور الحبل الالهي من قبل الجميع هو ضمان عدم التفرقة، كما أن التعاون على محور البر والتقوى هو السبيل لمنع التعاون على محور الإثم والعداون، والا فلاثمرة نافعة لأي مشروع آخر.

٢٦٠ أنا لا أصلَحُ للمرجعيّة

السيد الجليل والفقيه العادل السيد محمد الفشاركى ﵀ يعدّ من ابرز تلاميذ الميرزا الشيرازي الكبير وكان في حياة استاذه مدرِّساً قديراً في الحوزة، فلما انتقل استاذه الشيرازي الى رحمة اللّه الواسعة، جاء اليه بعض العلماء والمؤمنين يطالبونه أن يقبل منصب المرجعية الشيعية، فقال لهم: إني أعرف نفسي جيداً بأني لست كفوءاً لهذا المنصب، لأن المرجعية والزعامة الشرعية ما عدا العلم بالفقه والأحكام، إنها تحتاج الى أمور أخرى ايضاً، كالعلم بالقضايا السياسية ومعرفة المواقف الصحيحة في العمل

---

١ ـ جريدة الجهاد / العدد ـ ٧١٥ / السنة ١٤١٦هـ.

التطبيقي ، وانا في هذه الأمور انسان متردد وغير حاسم ، فإنْ اتصدىٰ لها أسبب خرابها وفسادها ، انا جيّد للتدريس ، ولا أجيد غير ذلك .

وبعد هذا الكلام أرشدهم الىٰ اختيار الميرزا الشيخ محمد تقي الشيرازي ، فهو أجدر وأكفأ منه للمرجعية والزعامة ، علاوة علىٰ قرابته من استاذه الميرزا الشيرازي الكبير[1].

٢٦١ كلمةُ الحسين عند الشيعة



الشيخ محمد جواد مغنية

كتب العلاّمة الكبير سماحة الشيخ محمد جواد مغنية ﷺ : في شهر رمضان المبارك سنة ١٣٨٧ هـ كنت في البحرين، وكان عليّ أن أصعد المنبر في كل ليلة بمأتم آل العريض الكرام بعد أن أزمع علىٰ موضوع يتقبله المثقف العصري وغيره علىٰ السواء، وكنت أحرص علىٰ بلوغ هذا الهدف كلّ الحرص.. أما الحكم بأني أدركت ما أردت وأملت فأدعه الىٰ أهل البحرين.

وفي إحدىٰ الليالي صعدت المنبر ، وقبل أن ابتدىء بالكلام سمعت صوتاً يقول : سلام الله عليك يا حسين ، ولعن الله من قتلك ، وكان الموضوع الذي أزمعت الحديث عنه لايتصل بالحسين ولا بيزيد من قريب أو بعيد ، وإذا بي أنسىٰ موضوع المحاضرة ، وأشرع بتفسير كلمة الحسين عند إطلاقها دون قيد ، وكلمة يزيد ، وماذا تعنيان عند الشيعة ، وقلت فيما قلت : إن التطور لم يقف عند حدود المادة ، بل تعداها الىٰ الأفكار واللغة ، لأنها جميعاً متلازمة متشابكة ، لا ينفك بعضها عن بعض .. وكلمة الحسين كانت في البداية اسماً لذات الحسين بن علي ﷺ ثم تطورت مع الزمن ، وأصبحت عند شيعته وشيعة أبيه رمزاً للبطولة والجهاد من أجل تحرر الانسانية من الظلم والاضطهاد ، وعنواناً للفداء والتضحية بالرجال والنساء والأطفال لإحياء دين محمد بن عبد الله ﷺ ، ولا شيء أصدق في الدلالة علىٰ هذه الحقيقة من قول الحسين ﷺ ، وهو في طريقه الىٰ الاستشهاد : « أمضي علىٰ دين النبيّ» .

أما كلمة يزيد فقد كانت من قبل اسماً لابن معاوية ، أما هي الآن عند الشيعة فإنها رمز للفساد والاستبداد ، والتهتك والخلاعة ، وعنوان للزندقة والإلحاد ، فحيث يكون الشر والفساد فثم اسم يزيد ، وحيثما يكون الخير والحق والعدل فثم اسم الحسين .

---

١ ـ نفس المصدر / ٢٠٩.

فكربلاء اليوم عند الشيعة هي فلسطين المحتلة . وسيناء والضفة الغربية من الأردن ، والمرتفعات السورية ، أما أطفال الحسين وسبايا الحسين فهم النساء والأطفال المشردون المطرودون من ديارهم ، .. وشهداء كربلاء هم الذين قُتِلوا دفاعاً عن الحق والوطن في (٥) حزيران .. وهذا ماعناه الشاعر الشيعي بقوله :

كأنّ كــــلَّ مكـــــانٍ كـــربلاءُ لدىٰ
عـــينِي وكـــلَّ زمـــانٍ يـــومَ عـــاشورا

وما أن نزلت عن المنبر ، حتىٰ استقبلني شاب مرحّباً وقال : هذي هي الحقيقة وهكذا يجب أن يفهم الإسلام وتاريخ الإسلام ، بخاصة كارثة كربلاء ... ثم وجه إليّ سؤالاً وافقني علىٰ جوابه ، ولم أكن أعرفه من قبل ، ولما عرّفوني به علمت أنه من سنة البحرين ، وأنه يشغل منصباً كبيراً في الحكومة [١] .

٢٦٢ امتحانٌ لِعالِميْن

خرج العالمان الكبيران (الشيخ البهائي العاملي) و (السيد مير محمد باقر الداماد) في موكب الشاه عباس الصفوي الىٰ رحلة للصيد والاستراحة . والمعروف ان العالميْن المذكورين كانا ممن يستعين بهما الحكم الصفوي في ايران لتطبيق احكام الشريعة الاسلامية.

كان (السيد مير محمد) بديناً ، وكان جواده يمشي متباطئاً . بينما كان (الشيخ البهائي) نحيفاً ، وكان الجواد الذي يركبه يمشي مسرعاً وموجفاً !

أراد الشاه عباس ان يمتحن علاقة هذيْن العالميْن القلبية ببعضهما ، لأن المعروف بين الناس أن العلماء (يتحاسدون) فيما بينهم !!

فاقترب الشاه من السيد وقال له :

انظر الىٰ جواد الشيخ انه ليس من الأدب والوقار ان يقود الشيخ جواده بهذه الطريقة !

فقال له السيد مير محمد : « كلامك صحيح ، ولكن الجواد الذي يركبه سماحة الشيخ البهائي يفعل ذلك لسروره بالشيخ ، لأنه يحمل علماً كبيراً علىٰ ظهره » !

وبعد قليل دنا الشاه من الشيخ البهائي وقال له :

« انظر ليس من المفروض ان يكون العالم سمينا يعجز الجواد عن حمله » !

---

١ ـ الشيعة في الميزان / ص ٤٥٤ ـ ٤٥٥ .

فردّ عليه الشيخ : « أجل ، السمنة ليس شيئاً جيداً ، ولكن بطء حركة جواد السيد مير محمد ليس من سمنة السيد ، انما لثقل علم السيد » !

يقال : نزل الشاه عباس من جواده فوراً ، وسجد للّه سجدة الشكر ، لكونه يعاصر عالميْن في هذه الدرجة من الاخوة وصفاء القلب [١].

٢٦٣ مِن عجائِب الاستخارة

نقل مؤلف كتاب (كاشف الاسرار) انه كان له في النجف الاشرف صديق اسمه ملاّ يوسف استخار ذات مرة بالقرآن الكريم لأجل عمل كان متردداً فيه فظهرت الآية : ﴿يُوسُف أعرِض عن هذا﴾ ! [٢]

وكان له صديق آخر اسمه ملا ابراهيم ، ففتح مرّة القرآن ليستخير ايضاً فظهر قوله تعالىٰ : ﴿ يا إبراهيم أعرِض عن هذا ﴾ ! [٣]

وكان ذات مرة يريد الفَصْد (أي الحجامة) ، فاستخار اللّه بالقرآن الكريم ، فظهرتْ الآية الشريفة : ﴿ أنزَلَ مِن السماءِ ماءً فسالَت أوديةٌ بقدَرِها فاحتمَلَ السيلُ زبَداً رابياً ﴾ الىٰ قوله تعالىٰ : ﴿ فأمّا الزبَد فيَذهَب جُفاءً وأمّا ما يَنفَعُ الناسَ فيمكُث في الأرض ﴾ [٤]

فعلمتُ من الآية أن الفصد صالح لي ، اذ يخرج الدم الفاسد ويبقىٰ الدم الصالح ، كالزبد الذاهب والنفع الماكث .

ومرة أخرىٰ .. فتحتُ القرآن الحكيم وانا عند ضريح الامام عليّ عليه السلام وكنت أريد أن أستخير للذهاب الىٰ درسٍ ، وانا متحير بين درس العلامة الشيخ محمد حسن (صاحب كتاب الجواهر) ودرس آية اللّه الشيخ مرتضىٰ الانصاري .

فظهرتْ الآية الشريفة : ﴿ كلتا الجَنّتيْن آتتْ أكُلَها ولَم تَظلِم مِنه شيئاً ﴾ ! [٥].

٢٦٤ قَطَعَ السلبيّة بروحٍ إيجابية

كان العلامة الشيخ محمد حسن (صاحب الجواهر) مرجعاً ، وله بين الشيعة عظمة الرؤساء وهيبة العظماء فعندما كان يتنقل من مكان الىٰ مكان ، كان يرافقه جمع من حاشيته فتزيده هيبة وبهاء .

---

١ ـ خزينة الجواهر في زينة المنابر / ص ٢٩٥.
٢ ـ سورة يوسف / ٢٩.
٣ ـ سورة هود / ٧٦.
٤ ـ سورة الرعد / ١٧.
٥ ـ سورة الكهف / ٣٣.

وعلىٰ عكسه كان المرجع المعاصر له ، آية اللّه العظمىٰ الشيخ مرتضىٰ الانصاري ، اذ رغم حيازته لأموال طائلة ، يجسّد اخلاق الزاهدين ولم يهتم بالمظاهر المهيبة .

وكما في عصرنا هذا جهلة يضربون علىٰ طبل أجوف عند مشاهدتهم لمثل هذا التفاوت بين العلماء ، فيتخذونه حديث المجالس ضد هذا العالم أو ذاك ، فكذلك في ذلك العصر كان لهم نظائر ، حيث جاء أحدهم الىٰ الشيخ مرتضىٰ الانصاري ﷺ ينتقد الوضع المرفّه لآية اللّه الشيخ محمد حسن النجفي (صاحب الجواهر) رحمة اللّه عليه .

وهل تعلم ماذا ردّ عليه الشيخ الانصاري ؟ !

قال له الشيخ : « نعم ان سماحة الشيخ محمد حسن يمثل جانب العظمة الاسلاميّة وأنا أمثّل جانب الزّهد في الإسلام »! [١]

وهكذا قطع جذور الشقاق بروحه الايجابية الرفيعة ، ذلك ما نتمناه ان يتكرّر في عصرنا هذا بين من يسألون عن غيرهم .

فلم يكن هباءً ان تنطبق عليهما آية ﴿ الجنّتين ﴾ التي سبقت في القصة الآنفة الذكر .

٢٦٥ كلُّ إناءٍ بالّذي فيه يَنْضحُ

ذكر الشيخ نصر اللّه بن مجلّي أحد الثقات المعتَمدين : انـي رأيت فـي المـنام أمـير المؤمنين عليّ ابن أبي طالب عليه السلام ، فقلتُ له :

« يا أمير المؤمنين ، لقد فتحتم مكّة ، وأعلنتم الأمان لمن يدخل بيت أبـي سـفيان ، ولكن في يوم عاشوراء وردتْ من آل أبي سفيان علىٰ أبي عبد اللّه الحسين ونسائه وأطفاله وانصاره مصائب تحترق لها القلوب ؟ !

فقال لي أمير المؤمنين عليه السلام :

وهل قرأت ابيات ابن الصيفي بهذا الخصوص ؟

قلت : لا لم أسمعها .

فقال أمير المؤمنين : استعلم ابن الصيفي تلك الابيات .

يقول الشيخ نصر اللّه .. بمجرّد أن قمتُ من النوم ، ذهبتُ مسرعاً الىٰ منزل ابن الصيفي، وهو من الشعراء المعروفين فالتقيتُ به ونقلتُ إليه رؤياي ، فما ان سمع ذلك حتىٰ شـهق

---

١ ـ خزينة الجواهر في زينة المنابر/ص ٢٩٥.

شهقة وبكىٰ بكاءً عالياً . ثم أقسم بالله وقال : حتىٰ هذه الساعة لم يطّلع اي أحد علىٰ كلمة واحدة من أبياتي ، ولقد أنشأتها في ذات الليلة التي رأيتَ الامام عليّ في منامك . ثم انشد لِي الأبيات قائلاً :

مَلَكْنا ، فكان العفوُ مِنّا سجيّةً
فلمّا ملكتم سالَ بالدَّمِ أَبْطحُ

وَحَلَلْتُم قَتْلَ الأُسارىٰ وطالَمَا
غَدَوْنا علىٰ الأَسرىٰ نَعُفُّ ونَصْفَحُ

فَحَسْبُكم هذا التفاوتُ بَيْنَنَا
وكلُّ إناءٍ بالذي فيه يَنْضَحُ (١)

٢٦٦ طَلبُ العلْمِ مشقّة لَذيذة

نقل آية الله العظمىٰ الشيخ الاراكي (حفظه الله) المقيم في قم المقدسة ، ان الشيخ عبد الكريم الحائري مؤسس الحوزة العلمية في قم ، كان يقول : « لما كنت في سامرّاء أدرس عند المرحوم محمد حسن المجدّد الشيرازي ، كانت لي حجرة في الطابق العلوي من المدرسة . وفي الصيف حيث تشتد حرارة الشمس ، كان يلتجيء طلبة المدرسة الىٰ الجوّ البارد في السرداب (تحت أرض المدرسة) وأما أنَا فقد كنت أبقىٰ في الحجرة والعرق يتصبَّبُ من رأسي ووجهي ، فكنت أخلع ثيابي واتَّزر بإزار لأُقاوم شدة الحرّ ، ففي الوقت الذي أتصبّب فيه عرقاً كنت أتفكّر وأتدبّر في معلوماتي الدراسية ، وكنت مسروراً بنفسي في ذلك الحين . لقد حصل مراراً أن استعصىٰ لدي حلّ مسألة من المسائل العلمية وانا في ذلك الحال ، فكنتُ أصاب بإرهاق من شدّة التفكير ، فأنام ثم أستيقظ بعد قليل لأواصل تفكيري ، واذا بي أجد الحلّ أمامي »(٢).

٢٦٧ الآن قم لنذهب وننام

نقل الشيخ علي خادم سماحة آية الله العظمىٰ الشيخ عبد الكريم الحائري‌رحمه‌الله مؤسس حوزة قم العلمية انه منتصف ذات ليلة من ليالي الشتاء كنتُ نائماً في ديوانية البيت ، سمعتُ طرقاً يطرق الباب ، فتحته واذا بامرأة فقيرة تقول : إن زوجي مريض وليس لدينا

---

١ ـ بالفارسية (قصه‌هاى شيرين) ص ١٥ .

٢ ـ مجلة (حوزه) الصادرة في حوزة قم المقدسة / العدد ـ ١٢ .

دواء ولا غذاء ولا فحم للدّفىء . قلتُ لها : في هذه الساعة لا يمكن مساعدتك ، واني لأُعلم ان الشيخ ليس عنده مال هذه الايام .

فعادتْ المرأة حزينة قلقة ، وكان الشيخ يسمع صوتاً ، فناداني مِن غرفته ، ولما عرف الموضوع قال لي : اذا سألنا اللّه يوم القيامة لماذا خيّبتم في هذه الساعة من الليل رددتم فقيرة كانت تأمل فيكم خيراً ، ماذا يكون جوابنا ؟

قلتُ : ماذا يمكننا أن نقدّم لها في هذه الساعة ؟!

قال : هل تعرف بيتها ؟

قلت : نعم ولكن الوصول اليه في الزقاق بين الثلوج والطين أمر صعب .

قال : قم لنذهب .

فانطلقنا معاً حتىٰ وصلنا الىٰ بيتها وتأكّدنا من حالها ومرض زوجها ، فقال لي الشيخ الحائري : إذهب الى الطبيب صدر الحكماء وأبلغه الخبر ليأتي الآن فوراً .

ذهبتُ وأتيتُ بالطبيب ، فعاينه وكتب له دواءً ، فقال لي الشيخ : خذ هذه الوصفة الىٰ الصيدلية واشترِ الدواء بديْن علىٰ حسابي . ذهبتُ وجئتُ بالدواء أيضاً . ثم أمرني الشيخ أن أذهب الىٰ دار بيّاع الفحم وآخذ منه فحماً علىٰ حسابه ايضاً ، فجلبتُ معي الفحم وقليلاً من الطعام .

تلك الليلة تهنّتْ العائلة الفقيرة بالطعام والدفء وانتعشتْ من أزمتها ، فالمريض باستعماله الدواء استعاد قواه وشبعتْ بطونهم ودفئتْ حجرتهم .

بعد هذا كله سألني الشيخ : في اليوم كم تأخذ لنا من اللّحم .

قلتُ : خمسمائة غرام .

قال : نصفه تعطي لهذه العائلة يومياً .

عند ذلك قال الشيخ : الآن قم لنذهب وننام [١] .

٢٦٨ مِن أعلىٰ المرتفعات المعنوية

نقل الشيخ زين العابدين السلماسي عن استاذه التقي العالم الرباني آية اللّه السيد مهدي بحر العلوم ﷺ، انه كان في كل منتصف الليل يجوب أزقّة النجف الأشرف ، يوزّع علىٰ

---

١ ـ مجلة (نور علم) ـ عدد ١١ ـ صادرة عن حوزة قم المقدسة .

فقرائها معوناته الخيرية بنفسه . وذات مرّة أعلن في حلقة درسه تعطيل الدرس ! فجاءني الطلبة يطلبون مني التدخّل لدىٰ السيد لعدم تعطيل الدرس . فقلت للسيد بحرالعلوم : لماذا قررت أن تعطّل الدرس ؟

قال السيد : لقد قررتُ ان لا أدرِّس !

مرتْ عدة أيام وجاءني الطلبة يطلبون منّي الاستفسار من السيد لمعرفة سبب التعطيل. فجئتُ مرّة أخرىٰ الىٰ السيد وبلّغتُه ما يسأل عنه الطلاّب .

فقال : انني أجوب زقاق النجف الأشرف في منتصف الليل نلم اسمع اصوات هؤلاء الطلاّب في التضرّع الىٰ اللّه ومناجاته آناء الليل ! فهؤلاء لايستحقون أن أُدرِّسهم .

ولمّا علم الطلاّب سبب تعطيل الدرس قاموا في منتصف الليل للصلاة والمناجاة متضرّعين الىٰ اللّه تعالىٰ . فعاد السيّد بحر العلوم الىٰ تدريسهم [١] .

ولَعمري اذا تربّىٰ طالب العلم بهذه المعنوية والصفاء الروحي هل تراه يسبّب الأذىٰ والمجابهة والاختلاف بين الناس ؟!

إلهي نبّهنا من نومة الغافلين ووفقنا الىٰ أعلىٰ مرتفعات الروحانيّين .

٢٦٩ أنا شُيوعيّ ، لا أُصلّي !


السيد عبد الحسين دسغيب

قال السيد مهدي إمام جماراني (حفظه اللّه) وهو ممثل الامام الخميني في دائرة الاوقاف .. إن أحد الشيوعيين قال لي : «انني أحبّ من بينكم أنتم العلماء شخصاً واحداً فقط، وهو السيد دستغيب الشيرازي » !

سألته : لماذا ؟

قال : كنت نائماً علىٰ منصة الاستراحة في السجن الانفرادي أيام الشاه . وكان الوقت منتصف الليل ، اذ فتحوا باب السجن ، رفعتُ رأسي واذا بسيّد معمَّم كبير السنّ قصير القامة ضعيف البنية أدخلوه معي . فأخفيتُ رأسي تحت اللحاف ونمتُ ولم أبالِ بشيء !

وقبل طلوع الشمس بدقائق ، شعرتُ ان يداً تمسح علىٰ رأسي بلطف ، فتحتُ عيني،

---

١ ـ قصص العلماء ـ ص ١٨٩ ـ طبعة بيروت المعرّبة ـ.

فسلّم عليّ السيد العجوز ، وهو يقول بلسان جميل : « ايها الاخ العزيز : قم لا تفوتك صلاة الصبح » فرفعتُ صوتي في وجهه غاضباً ، وقلت له : « انا شيوعي ، لاأصلّي » !

فقال السيد بهدوء تمام : « إذن اعذرني ، لقد أزعجتُك ، أرجوك أن تعفو عنّي » .

واصلت نومي ، ولما أفقتُ فيما بعد أعادالسيّد اعتذاره إلي وطلب مني المسامحة الىٰ درجة من التواضع حتىٰ خجلتُ من طريقتي التي واجهته بها ، فقلتُ له نـادماً : لا بأس ، والآن، تعال فوق المنصّة ، وانا اجعل مكاني علىٰ الأرض لأنك رجل عجوز .

لكنه رفض وقال :

«انك اسبق مني في السجن، وقد تحمّلتَ الاذىٰ أكثر مني، فأنت أحقّ بهذه المنصة».

فلم يقبل السيد ذلك المكان الافضل في السجن ، ولقد انجذبتُ الىٰ شخصيته الاخلاقية، فتأصّل حبّه في قلبي طوال معاشرتي له في السجن ، لذلك فهو أحب الاشخاص عندي بين كل العلماء !

هذا ولقد اغتيل الشهيد السيد دستغيب في مدينة شيراز حيث أُلقيت عليه قنبلة يدوية أثناء ذهابه الىٰ إقامة صلاة الجمعة (١٤ / شهر صفر المظفر / سنة ١٤٠٢) [1].

٢٧٠ بُكاءٌ علىٰ خَطأ

ذكر صاحب كتاب (لمعات النور) ، ان استاذه الشيخ حسن بن المرحوم الشيخ جعفر مؤلف كتاب (كشف الغطاء) قال يوماً في المجلس إن الشيخ الكبير (يعني الشيخ جعفر كاشف الغطاء) كان ينام قليلاً ، ثم يجلس ويطالع الكتب ويقرأ حتىٰ السَحَر وقت صلاة الليل، فيقوم الىٰ الصلاة والدعاء والتضرّع الىٰ اللّه حتىٰ الفجر حيث يصلي صلاة الصبح . وذات ليلة سمعنا صوت بكائه وصياحه ، فسارعنا اليه فوجدناه مغيّر الحال وقميصه مبلّل من كثرة الدموع ، وهو يضرب بيده علىٰ رأسه ويلطم وجهه ، مسكنا بيده وسألناه لماذا تفعل بنفسك هذا ؟

فلما هدأ قال : كنت البارحة عند أول الليل أفحص عن دليل من روايات أهل البيت عليهم السلام حول مسألة فقهية ذكرها علماؤنا الاعلام ، فلم اجد لها دليلاً ، فتعبتُ ولشدّة الارهاق قلت في نفسي : « اللّه يجازي علماءنا خيراً ، انهم حرروا مسألة من دون دليل » .

---

١ ـ كتيب بالفارسية أعدّ بمناسبة ذكرىٰ استشهاد دستغيب / ص ٢٩ .

بعد ذلك نمتُ فرأيتُ نفسي ذاهباً الىٰ زيارة مرقد الامام عليّ أمير المؤمنين ﷺ ، فلما دنوتُ الىٰ محلّ وضع الأحذية ، شاهدت (الايوان) الصحن الداخلي للحرم الشريف مفروشاً ، رأيت في صدر المجلس منبراً رفيعاً ، وعليه شخص ذو وقار وهيبة ، ووجهه يتلألؤ نوراً وكان يلقي درساً علىٰ جمع غفير من العلماء الاكابر .

فسألت هؤلاء : من هذا المدرِّس ؟

أجابوني : إنه المحقق الاول صاحب كتاب شرايع الاسلام . وهؤلاء علماء الشيعة الامامية . فسررتُ كثيراً ، خطوتُ نحو المنبر وسلّمتُ علىٰ المحقق الحلّي ، وأنا أتوقّع منه أن يلتفت اليّ ويشملني بعنايته ، ولكنه ما اهتمّ بمجيئي ، وردّ علىٰ سلامي ببرود . فداخلني الجفاء وقلتُ له : ألستُ من العلماء الامامية ؟

فردّ عليّ المحقّق بغضب : يا جعفر ، ان علماء الامامية قد تحمّلوا الاتعاب حتىٰ جمعوا روايات أهل البيت ﷺ من اطراف البلاد ، وسجّلوا كلّ رواية في محلّها مع اسماء الرواة، وأحوالهم ، وذكروا الصحيح منها والضعيف ، لكي تعثر أنت وأمثالك علىٰ أدلة الاحكام الشرعية دون عناء وتعب . وانت لم تراجع كتبك إلاّ أربع ساعات ولم تلاحظ مصادر أخرىٰ موجودة عندك ، ثم تعترض علىٰ العلماء بأنهم أفتوا بحكم من دون دليل ؟!

انظر الىٰ هذا العالم (واشار الىٰ ملاّ محسن الفيض ، وكان جالساً تحت المنبر) ، لقد الّف كتاباً وذكر الرواية التي تبحث عنها في عدّة مناسبات ، والكتاب موجود عندك !

ان كلام المحقق الحلّي قد هزّني بعنف حتىٰ فزعتُ من منامي ، وصرت نادماً علىٰ إساءة الظن بالعلماء الاعلام ، فهذه حالتي كما تراها ، فلِمَ لا أبكي علىٰ خطأي ؟![1]

٢٧١ لَذّة العُلماء الحَقيقيّة

يذكرون ان المرحوم الشيخ نصير الدين الطوسي ﵀ كان شديد العلاقة بطلب العلم والتوغّل في الحقائق العلمية ، العقلية منها والدينية .

فكان يفرش حوله الكتب المتنوعة ، فيطالعها علىٰ حساب ساعات نومه . ولما كان يملّ من كتاب ، يتناول كتاباً آخر في موضوع آخر ، وكان يجعل بجانبه إناء فيه ماء يرشّ به علىٰ وجهه بين حين وآخر لكي يتغلّب علىٰ نعاسه عند منتصف الليل .

---

١ ـ كتاب بالفارسية (زندگاني شيخ مرتضىٰ انصاري) ص ١٥٦ .

وكم حدث له ان اكتشف معلومة دقيقة في أثناء بحثه ومطالعاته فقام من مكانه منبسطاً ينادي فرحاً : « أين الملوك وابناء الملوك من هذه اللّذة » .

هكذا كانت لذّة العلماء الحقيقية يتحدّون بها لذّات اهل الدنيا من ملوك وأمراء وجهلاء الذين يتقلّبون من حرام على حرام الى حرام وفي حرام ، ويحسبون أنفسهم سعداء ، وخاب ماكانوا يحسبون .

﴿ تِلكَ الدّارُ الآخرة نَجْعلها لِلذين لا يُريدون عُلوّاً في الأرض ولا فساداً والعاقِبة للمُتّقين﴾ .

هذا وان العالم الجليل السيد حسين البروجردي في كتابه (نخبة المقال) حَسَبَ تاريخ ولادة الشيخ نصير الدين الطوسي وتاريخ وفاته بالحروف الأبجدية ضمن الشعر التالي قائلاً :

ثم نصيرُ الدين جدُّه الحَسَنْ ... العالمُ النحريرُ قُدوةُ الزَمَن

ميلادُهُ (يا حِرزُ مَن لا حِرزَ له) ... وبَعْدُ (داع) قد أجابَ سائلَه

جملة (يا حرز من لا حرز له) بحساب الأبجدية تصبح (٥٩٧) وهو سنة ميلاد الشيخ الطوسي بالهجرية ، وكلمة (داع) بحسب الابجدية تصبح (٧٥) سنة ، وهي مدة عمر الشيخ ﷺ[1] .

٢٧٢ أنا مُذنِبٌ ، هو غافِر

أوصى الملاّ كاظم الازدي البغدادي أن يكتبوا على كفنه شعره التالي :

أنا مُذنِبٌ ، أنا مُجرِمٌ ، أنا عاصي ... هو غافِرٌ ، هو راحِمٌ ، هو كافي

قابلتُهنَّ ثلاثة بثلاثة ... وستَغلِبَن أوصافُه أوصافي[2]

٢٧٣ خِطابَة عِندَ أهلِ القُبور



المؤلف زمن خاطرته

كنت أدرس في حوزة النجف الاشرف من سنة (١٩٧٤) الى (١٩٧٩) الميلادية الموافق لـ(١٣٩٤) الى (١٣٩٩) الهجرية ، مع جمع من طلبة العلوم الدينية من بلدنا البحرين ، وكنّا نجلس اسبوعياً كلّ عصر خميس غالباً للتمرين على الخطابة المنبرية ،

---

١ ـ بالفارسية (مردان علم در ميدان عمل) ص ٦٠.

٢ ـ كتاب "فارسية رنگارنگ / ج ٢ ـ ص ٣٥.

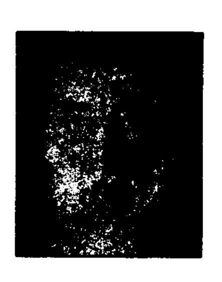
فكان يحضّر كل واحد منا كلمة يستغرق القاؤها عشر دقائق الى خمس عشرة لا أكثر.

وذات يوم جئت الى الجلسة وانا أحفظ آية ورواية وبعض الابيات الشعرية لكلمتي التي كنتُ على موعد لإلقائها.

طرقتُ باب منزل الأخ الذي نجتمع عنده، فلم اسمع جواباً، وتبيّن فيما بعد ان الجلسة كانت قد أُلغيتْ في ذلك اليوم، ولم يتمكّن الأخ من إخباري، وما أن خطوتُ بضع خطوات وإذا بصديق آخر قادم وهو لم يُخبَر بقرار الالغاء ايضاً. فاقترحتُ عليه .. ما رأيك بأن نذهب الى مقبرة (وادي السلام) لنلقي كلمتنا اليوم على أهل القبور؟! خاصة وأن الخميس يوم زيارة اهل القبور؟

وافق صديقي فذهبنا. جلست أنا على (سنام) أحد القبور، واخذتُ في كلمتي وكأني اتحدث الى جماهير من الأحياء، فكنت أشير بيدي، وأرفع صوتي تارة وأخفضه تارة أخرى، وانا متفاعل! وهكذا صنع صديقي، وفي الطريق تبادلنا ملاحظاتنا التصحيحية وكان سرورنا أنّنا زرنا أهل القبور والقينا عليهم كلمة، نتعلّم على رؤوسهم ايضاً! فلا أدري هل ضحكنا عليهم، أم ضحكوا علينا، وهل أعجبوا بخطابتنا أم أزعجناهم بها!

٢٧٤ فَسَحَ الطريقَ للأكفأ



السيد صدر الدين الصدر

كان آية الله السيد صدر الدين الصدر ﵀ والد الامام موسى الصدر (سلّمه الله من كلّ سوء) يدير شؤون الحوزة العلمية مع ثلاثة من مراجع الدين في قم المقدسة بعد وفاة مؤسسها آية الله العظمى الشيخ عبد الكريم الحائري.

وعندما جاء آية الله العظمى السيد البروجردي ﵀ الى قم، ترك له السيد الصدر محراب صلاة الجماعة ليؤمّ فيه المصلين، وفسح له لزعامة شؤون الحوزة حيث كان يراه الأكفأ[1].

٢٧٥ يومُ سرورٍ ومزاح

المزاح شيء مباح ولعله انقلب مستحباً ذا ثواب عند الله اذا اقترن بهدف جميل كإدخال السرور في قلب المؤمن.

يقال ان تلاميذ المرحوم آية الله العظمى الشيخ عبد الكريم الحائري (مؤسس حوزة قم

---

١ ـ مجلة نور علم / العدد ـ ٧ ـ ص ٧٩ ـ صادرة في حوزة قم.

العلميّة) قرّروا بين أنفسهم أن يمازحوا استاذهم يوم عطلة. فقالوا للشيخ الحائري : نحن لانريد تعطيل الدرس غداً.

فلما وجدهم الشيخ مصرّين علىٰ ذلك قال : لابأس سوف القي لكم الدرس.

ففي صباح اليوم التالي أرسل الشيخ الحائري خادمه (كربلائي علي شاه) ليأتي بخبر حضور التلاميذ فعلاً أم لا !

عاد الخادم وأخبر الشيخ انهم حاضرون ومنتظروك. فتحرك اليهم الشيخ وارتقىٰ منبر الدرس، فما أن شرع في الكلمة الأولىٰ حتىٰ قام التلاميذ وخرجوا الىٰ ساحة المدرسة وهم يضحكون !

عَلِمَ الشيخ مقْلَبَهُم فضحك ونزل من المنبر وجاء بينهم في الساحة وأخذ يقول : ان الهدف أن نتعلم وندرس، ولقد مزحتم وضحكتم، فالآن ما دمنا كلّنا حاضرون فلننتهز الفرصة ونعُد الىٰ الدرس.

وافق الجميع وعادوا الىٰ أماكنهم فارتقىٰ الشيخ الحائري المنبر ونظر اليهم ولما شاهدهم قد أعدّ كلّ منهم قلمه ودفتره وهم ينتظرون من الشيخ أن يبدأ في القاء الدرس، فاجأهم بالنزول من المنبر، فودّعهم ضاحكاً عليهم وهو يقول : مرّة انا أكون بلا تلاميذ، ومرّة أنتم تكونوا بلا معلّم، واحدة بواحدة[1]!

وهكذا ضحكوا جميعاً وكان يوم سرور وعطلة واستراحة.

٢٧٦ سيرة أخلاقية رفيعة

نقل لي أحد المجتهدين الأفاضل وهو من أبرز تلامذة السيد الخوئي ﷺ إنه قبل ثلاثين عاماً ـ تقريباً ـ ذهبتُ من النجف الىٰ كربلاء لزيارة مرقد الإمام الحسين ﷺ وكنت في الغالب أذهب الىٰ حمّام عمومي ـ مخصوص للعلماء تقريباً لا علىٰ وجه الانحصار ـ أغتسل فيه غسل الزيارة ثم أتوجه الىٰ حرم الإمام ﷺ. ذات مرة دخلت فكان (الدلاّك) يدلّك رجلاً فانتظرت ريثما يأتي دوري، وبينما كنت أنتظر واذا بآية اللّه السيد محمد الشيرازي يدخل الحمام وهو آنذاك كان الرجل الاول في كربلاء، فاقترن مجيء السيد بانتهاء الدلاّك من ذلك الرجل، فما أن رأىٰ الدلاّك السيد الشيرازي حتىٰ قام فوراً وأخذ يدلّكه باحترام من دون أن

---

١ ـ بالفارسية (مردان علم در ميدان عمل) ص ٤٦٤.

يكونا ـ الدلاّك والسيد ـ قد راعيا دوري ! فغاظني هذا التصرف منهما ولكني تمالكت حتىٰ انتهىٰ ، فذهب السيد ليصبَّ علىٰ نفسه الماء وتقدمتُ أنا بين يدي الدلاّك ، ولما انتهىٰ مني قمت لأصب علىٰ نفسي الماء فصادف دخولي خروج السيد ، فسلّم علىّ ولكني أجبتهُ ببرودة من جرّاء ذلك التصرّف . خرج السيد الىٰ القسم الآخر ليرتدي ثيابه ، ولما خرجت أنا بعده وجدته مرتدياً ثيابه جالساً ينتظرني، فاقترب منّي وسلّم بحرارة وسأل عن حالي ثم قال : هل صدر مني مايسيءُ اليك ؟

قلت له : كان ينبغي أن تراعي دوري وانتظاري .

قال : ماكنت منتبهاً أنك في الانتظار ، ومهما كان فانّ كلّي لك اعتذار .

وهكذا تمّتْ مصافحة الوداع في جوّ الرضا والابتسامة ورحّب بي إلى بيته ثم خرج وأنا أخذتُ أرتدي ثيابي ، ولما جئت أدفع أُجرة الحمّام ، قال الرجل : ان سماحة آية اللّه الشيرازي قد دفع عنك .

نعم لقد أصلح السيد ماحصل سهواً ، وذلك من جميل السجايا الأخلاقية التي عُرِف بها هذا السيد الجليل .

٢٧٧ صَلاةُ الصّامدين



السيد ابو ترابي

الساعة الآن تشير الىٰ السابعة الأ ربعاً، ليلة الجمعة (١٦/ جمادي الثانية / سنة ١٤١٣).

هذا هو سماحة الشيخ قراءتي يحدّثنا عبر تلفاز الجمهورية الاسلامية عن أهمية الصلاة، حيث نقل القصة التالية : تعرفون العالم المجاهد فضيلة السيد أبي ترابي (حفظه اللّه) الذي خرج حديثاً من أسر الصّداميين ، وعاد الىٰ البلاد بعد سنوات طويلة قضاها مع الأسرىٰ تحت التعذيب في سجون العراق .

يقول السيد أبو ترابي : يوم ساقونا الىٰ الأسر كان معنا شباب من الحرس الثوري وقوات التعبئة المؤمنة (البسيج) ، فأشبعونا ضرباً وتعذيباً لم نَرَ مثله من قبل ولم نسمع عنه مثيلاً ، اتذكر اثنين من الشباب المؤمن ، رأيتهما بعينيّ هاتين ، قلعوا عينيهما من الحدقة ونحن مربوطون نستنكر الجريمة ونهتف (اللّه أكبر) .

وعندما اظلمت السماء تركونا على الارض مكبّلين بالسلاسل ، ودماؤنا تسيل من كل جانب ، وجروحنا العميقة والحارقة تلامس التراب والأحجار التي افترشناها بآلامنا وآهاتنا .

ولكن مع كل هذه المآسي ، قمنا في فجر تلك الليلة نصلي صلاة الصبح . ولا أنسى اننا صليناها مرتين ، اذ لم يكن هناك صوت أذان نتأكد به وقت الفجر فاتخذنا بياض جهة المشرق علامة لدخول الوقت فلمّا صلّينا تيمّماً ونحن بتلك الحالة انمحى ذلك البياض فتبين انه كان فجراً كاذباً ، فانتظرنا حتى شعّ الفجر الصادق (وهو البياض الذي يتزايد وضوحاً وجلاءاً حتى يتصل بشروق الشمس) . وهكذا صلينا ثانية مع (الفجر الصادق) .

٢٧٨ يا أيتها النفس المُطمئنّة



السيد علي الخامنئي

ذكر سماحة الشيخ قراءتي القصة التالية ايضاً، وانا أتذكرها جيداً، وقد كنت وقتها في طهران ، شاهدتها على شاشة تلفزيون الجمهورية الاسلامية ، وانا أنقلها كما شاهدتها بمشاعري : لما كان سماحة آية اللّه المجاهد السيد علي الخامنئي قائد الجمهورية الاسلامية في ايران (دام ظله العالي) ، يؤمّ المصلين في صلاة الجمعة بجامعة طهران ، انفجرت (اثناء خطبة الصلاة) قنبلة موقوتة وسط المصلّين ، كان قد زرعها أعوان صدام المتسلّلون من العراق داخل سجّاد موضوع على مسافة غير بعيدة عن امام الجمعة سماحة السيد الخامنئي، وكان بعض الابرياء من المصلين جالسين عليه من دون علم .

وفجأة ارتفعت أشلاؤهم وتناثرت أبدانهم وعرجت أرواحهم الى بارئها ، وكأنّهم كانوا وهم في حين الطمأنينة مخاطبين بقوله تعالى : ﴿ يا أيّتها النفسُ المطمئِنّة إرجعي الى ربّك راضيةً مرضيّةً فادخُلي في عبادي وادخُلي جنّتي ﴾[1] .

والغريب جداً ، ان صوت الانفجار الهائل كان في اثناء خطبة سماحة السيد الخامنئي فلم يتحرك من موضعه شبراً أو فتراً ، بل واصل الخطبة بثبات الايمان وطمأنينة القلب .

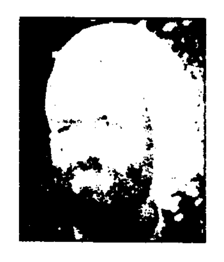
والاروع في هذا الموقف المذهل هو اختيار السيد الخامنئي آية قرآنية في خطبته بعد

---

١ ـ سورة الفجر ٢٧ ـ ٣٠.

الانفجار مباشرة تناسب الموقف وهي : ﴿ ربّنا أفرِغ علينا صبراً وثبِّت أقدامنا وانصُرنا على القوم الكافرين ﴾[١].

٢٧٩ صار صار، ما صار ما صار



الشيخ محسن القرائتي

« ما شاء اللّه » « إحتطْ كيلا تعتذر » « صلّ علىٰ محمد وآل محمد » « رجاءٌ بلا ازعاج» «الخير فيما وقع » « مِن الحُبّ يصبح الشوك ورداً » « محمد رسول اللّه » «الحسود لا يسود» «أطفالي بانتظاري» «أنا حائر في الصحراء» «لو وُجِد الحُب اشتريناه بأي ثمن » ...

هذه العبارات وعشرات أمثالها يمكنك قراءتها خلف حافلات النقل وشاحنات الحمل وسيارات الأجرة في ايران ، وخاصة التي تتنقل بين المدن ، وهي عبارات تعكس روحية قائلها واصحاب تلك الناقلات وتكشف من حيث يعلم أو لا يعلم عن نفسيته التفاؤليّة أو التشاؤمية في الحياة وما لاقاه من مشاكل وعقد.

يقول فضيلة الشيخ محسن قراءتي ـ حفظه اللّه ـ كنتُ ذاهباً الىٰ مكان لأجل أمر من الامور وانا كلّي أمل واصرار علىٰ أن يتحقق الذي أصبو اليه ، وقد كان شعوري بهذا الاتجاه الىٰ درجة لو لم يتحقق ذلك الأمر لأصبتُ بردّة فعل نفسية حادّة ، فبينما كنتُ جالساً في السيارة وانا مشدود الأعصاب واذا بي أقرأ خلف سيارة كانت أمامنا هذه العبارة الفارسية : « شُدْ شُدْ ، نَشُدْ نَشُدْ » وترجمتها : « صار صار ، ما صار ما صار » !

هنا راجعتُ نفسي وقلتُ لها : بالفعل ، فليكن ما يريده اللّه ، لا ما أريده أنا ، انما الذي عليَ هو السعي ، والباقي علىٰ اللّه تعالىٰ ، فاذا سعيتُ ولم يتحقق الذي أريده فلماذا ازعج نفسي واجعل عيشي وعيش عائلتي ومن حولي مُرّاً ، أليس اللّه عزّ وجل يقول : ﴿ وما تَشاؤنَ إلاّ أنْ يشاء اللّه إنّ اللهَ كان عليماً حكيماً ﴾[٢] ونقرأ في دعاء الافتتاح : «لعلّ الذي ابطأ عني هو خير لي لعلمك بعاقبة الامور » . ونقرأ ايضاً : « اللّهم افعل بنا ما أنت أهله ولا تفعل بنا ما نحن أهله » .

إذن الحق هو في هذه العبارة : « صار صار ، ما صار ما صار »

---

١ ـ سورة البقرة / ٢٥٠ .

٢ ـ سورة الانسان / ٣٠ .

وهكذا هدأت أعصابي وكنتُ انطلق نحو ذلك الأمر بروحية عالية ونفسية متوكّلة بالسعي العملي والممزوجة بالتسليم للّه تعالىٰ والرضا بقضائه وقدره .

إن الانسان المسلم المصاب بالانفعالات النفسية والنزعة العصبية لا يكون علاجه الاّ بهذا الايمان والعقيدة وما أكثر المصابين في عصرنا بخيبة أمل ومشاكل لم يتصوّروها يوماً، فهم يفتقرون الىٰ هذا النوع من الايمان والرضا والقناعة ليعودوا الىٰ توازن نفسي وفكري وعملي ناجح ، ذلك هو المطلوب .

٢٨٠ أسكَنَهُ اللّهُ فسيحَ الكَرَم

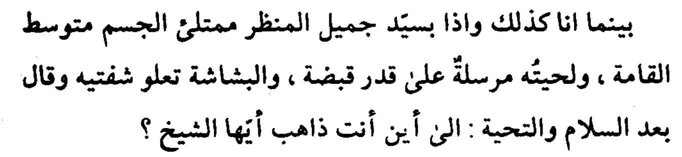


السيد مصطفى الخميني



المؤلف زمن خاطرته

كنت في الخامس عشر من عمري - أواخر سنة ١٩٧٥ م - اسكن حجرة في جامعة النجف الدينية الواقعة بين النجف والكوفة . كان آية اللّه السيد الصدر يصلي بنا صلاة الصبح جماعة في مسجد الجامعة ، ذات مرّة قرّرت بعد الصلاة وقبل طلوع الشمس اذهب الىٰ زيارة مرقد الامام علي بن أبي طالب ﷺ ، ولما خرجتُ من الحرم الشريف وقفتُ قرب مدرج سوق الحويش بداية شارع الرسول انتظر سيارة أجرة للعودة الىٰ الجامعة .



بينما انا كذلك واذا بسيّد جميل المنظر ممتلئ الجسم متوسط القامة ، ولحيتُه مرسلةٌ علىٰ قدر قبضة ، والبشاشة تعلو شفتيه وقال بعد السلام والتحية : الىٰ أين أنت ذاهب أيّها الشيخ ؟

قلتُ : ذاهب الىٰ جامعة النجف الدينية .

قال : خذ سيارة لي ولك ، فإني ذاهب الىٰ الكوفة .

قلت : حسناً .

وهكذا أوقفتُ سيارة وجلسنا معاً في الخلف ..

سألني السيد : من أي بلد ؟

قلت : من البحرين .

قال بعد ترحيبه بأهل البحرين : متىٰ جئت الىٰ النُجف ؟ وماذا تدرس ؟

قلت : انا جديد هنا منذ عام واحد تقريباً ، أدرس النحو والصرف (قواعد اللّغة العربية) .

قال السيد (وهو يريد أن يختبرني) : كلمة (البحرين) من أي الصيغ الصرفية ؟

قلتُ : صيغة المثنىٰ ومفرده البحر ، ويأتي جمعه مكسَّراً علىٰ البحار !

فابتسم السيد وقال: يظهر انك درست القواعد العربية جيّداً ، جِدَّ في طلب العلم فانه يصنع لك مستقبلاً زاهراً.

وصلنا الىٰ الجامعة ، فاستأذنتُ من سماحته واخرجتُ الأجرة لصاحب السيارة فلم يقبل وقال : انت ضيفنا ، تفضّل ، أنا أدفع الأجرة .

شكرته ونزلتُ مودِّعاً ولم أسأله : من أنت وما اسمك ؟ وانما اكتفيت بقولي : التمسكم الدعاء .

مضت أشهر ونحن عاكفون علىٰ دروسنا حتىٰ جاء اليوم الذي انتقلنا الىٰ داخل النجف وسكنّا حجرة من حجر مدرسة السيد كاظم اليزدي (الكبرىٰ) الواقعة بين سوق الحويش وشارع الرسول وهي ملاصقة لبيت الامام الخميني .

وهنا يجدر بي الشكر لمتولي المدرسة سماحة العلاّمة السيد عبد العزيز الطباطبائي اليزدي حفيدالمرجع المرحوم صاحب المدرسة فلقد اهتمّ بقبولنا في المدرسة رغم قلّة الحجر الفارغة وكثرة الطلب عليها وكثرة الطلبة .

كانت حجرتي الأُولىٰ جهة اليمين عند مدخل المدرسة في الطابق الأرضي ، وكانت الساعة الثامنة إلّا دقائق صباحاً اذ رأيتُ ذلك السيد الجليل دخل المدرسة فسلّمتُ عليه فردّ سلامي وقال يبدو انك انتقلتَ وهذه حجرتك ؟

قلت : نعم هذه حجرتي ، تفضّل أحضر لك شاياً .

قال : انا الآن عندي درس هنا فسوف أراك في وقت آخر غداً ، وهكذا كان بعض أيام الاسبوع يأتي قبل موعده مع الطلبة بدقائق ويجلس في الواجهة الأمامية لحجرتي وانا احضر له شاياً وهو يكلّمني حول أمور تربوية ونصائح لا غنىً للطلبة عنها ثم يذهب الىٰ الطلبة ليلقي عليهم محاضرته في الفلسفة الاسلامية .

ذاك هو المرحوم آية اللّه الشهيد السيد مصطفىٰ الخميني ﷺ ولقد حزنتُ علىٰ استشهاده بشدّة وكنت عند جنازته في المسجد الذي اجتمع فيه المشيّعون بما فيهم السيد الخوئي والشهيد الصدر وحضر الإمام الخَميني بهيبته الربانية وقامته الصلبة ايضاً، ولم انسَ قراءة الفاتحة علىٰ روحه الزكية كلما كنتُ أدخل لزيارة الامام علي عليه السلام حيث ان قبره الشريف عند مدخل رواق الحرم (اسكنه اللّه فسيح الكرم) .

٢٨١ زواجٌ بسيط

نقل آية الله العظمىٰ السيد محمد الشيرازي (دام ظله العالي) في كتابه (السبيل الىٰ إنهاض المسلمين) ، في سياق موضوعه حول البساطة والاكتفاء بالقليل ، وتجنب الإسراف والتبذير والتعقيد في الامور ، بما في ذلك أمر الزواج .. نقل عن والده بأن السيد عبد الهادي الشيرازي ـ الذي اصبح فيما بعد المرجع الاعلىٰ للمسلمين الشيعة في النجف ـ لما تزوج بداية شبابه كان الفرق بين ليلة زواجه وقبلها هو أن الزوجة ـ وهي عمّة المرجع السيد محمد الشيرازي نفسه ـ هيّؤوا لها ثوباً جديداً واحداً ، وفرشاً جديداً واحداً ، ثم انتقلت من غرفتها الىٰ غرفة السيد عبد الهادي الشيرازي ﷺ ، وعاشا سعيدين .

نرجو أن يتخذ الشباب هذه البساطة في الزواج طريقاً سهلاً ويسيراً لإكمال النصف من دينهم . فليس الاسراف والترف والتبذير والتنافس في ذلك يجلب السعادة ، بل ـ كما تؤكد التجارب وتقول الروايات الاسلامية ـ ان ذلك سبب إما لتعاسة الحياة الزوجية ومآلها الىٰ الفشل ، وإما ذهاب أجر الزواج أُخروياً وربما الاثنين معاً .

٢٨٢ طريقٌ ينتظِر سالكِيه

السيد محمد باقر الشيرازي

سماحة العلاّمة آية الله السيد محمد باقر الشيرازي (دام ظله)، هو النجل الأكبر للمرجع الراحل السيد عبد الله الشيرازي ﷺ، وواحد من كبار الفقهاء المجتهدين المقيمين في مدينة مشهد المقدسة ، وهو صاحب مؤلفات قيّمة وخدمات خيّرة وجهاد مرير، وكانت نجاته من سجن بغداد في نهاية عام (١٣٩١هـ) لطفاً من ألطاف الله تعالىٰ وفضلاً من عطاء أهل البيت ﷺ . التقيتُ بسماحته وطلبتُ منه أن يكتب لكم من جميل القصص ، فتفضل علينا بكتابة ما يلي : كانت للمرحوم الوالد آية الله العظمىٰ السيد عبد الله الشيرازي ﷺ صفات فاضلة كثيرة ، منها صلابته في أمر الدين ، وقد استمر عليها طيلة حياته المباركة ، وكان جهاده في العراق وايران تأسيساً علىٰ هذه الصلابة ، ولحرصه علىٰ عزّة الإسلام وقوّة الحوزات العلمية كان يسعىٰ كثيراً الىٰ تقريب وجهات النظر بين العلماء العاملين ، اتذكر اني كنت برفقته والإمام الخميني ﷺ

والسيد المدني إذ دخلنا على آية الله العظمى السيد الحكيم بداية مجيء الإمام الخميني الى النجف وذلك لإقناعه باتخاذ موقف اكثر جدّية في الجهاد ضد شاه ايران بعد ارتكابه المجزرة في انتفاضة خرداد المجيدة عام (١٣٨٢ هـ) لأن السيد الحكيم كان في تلك البدايات متردداً في مواكبة هذا التحرّك ، فكشف لنا السيد الحكيم عن مبرّرات موقفه المتردّد قائلاً :

١ ـ اخشى ان يسيطر الشيوعيون على السلطة حال سقوط الشاه ، كما سيطر عليها الوطنيون بزعامة الدكتور مصدّق فأساؤا الى المراجع والعلماء بما فيهم آية الله الكاشاني الذي كان له دور كبير في تلك الثورة ضد الشاه .

٢ ـ لا نتمكّن من العمل لأجل العراق وايران في وقت واحد .

٣ ـ ان العمل لأجل العراق أولى وأهم ، لأن الحكومة العراقية ضررها على الاسلام والشيعة اكبر من ضرر الشاه في ايران .

وأضاف السيد الحكيم ﷺ : وأنا مع ذلك متردّد في قضية العراق ، إذ أخشى أن لا يستجيب الشعب العراقي لفتوى الجهاد ، واذا استجاب تَرَكَنا في وسط الطريق فتكون دماء الشهداء قد أُريقتْ من غير جدوى.

ولكن الوالد ـ والكلام لنجل السيد الشيرازي ﷺ ـ مضى في جهاده على ساحة العراق وايران معاً ، وخصّ اكثر مساعيه للعراق بالتعاضد مع السيد الحكيم ﷺ ولما نُقل السيد الى مستشفى بغداد ولم يتجرّأ اكثر الناس والعلماء من الذهاب الى عيادته خوفاً من ان يتعرّضوا للملاحقة من قبل أجهزة الاستخبارات البعثية كان السيد الوالد أول من كسّر طوق الخوف هذا ، فذهب لعيادة السيد الحكيم الى بغداد ثم التحق به الآخرون ، وكان لهذه الخطوة الجريئة الأثر الكبير في التفاف الناس حول السيد من جديد وحضورهم العظيم في مراسم توديعه حين سفره الى لندن لمواصلة العلاج ، ثم مشاركتهم في تلك المواكب المهيبة المعروفة في تشييع جثمانه الطاهر ، حتى اضطر رئيس الجمهورية أحمد حسن البكر الى أن يحضر التشييع نفاقاً .

ولك أيها القارىء أن تسأل : لماذا تختلف آراء المراجع فتتباين مواقفهم ، واذا علمنا انهم ليسوا اشخاصاً لأنفسهم بل ان لهم اتباعاً في المجتمع فاننا نعلم ما لهذا الاختلاف والتباين من آثار سيّئة على الإسلام والأمّة ؟!

يجيب سماحة العلامة السيد محمد باقر الشيرازي قائلاً : ان هذه الاختلافات والتي عايشها فقهاء الاسلام في طول التاريخ تشبه اختلافهم في الآراء الفقهية التي يفتون فيها لمقلّديهم في الأحوال الشخصية ، وهي ظاهرة كظاهرة اختلاف اللغات والألسن والألوان التي هي من السنن الإلهية .

لقد كتب السيد الوالد في رسالته الىٰ الإمام الخميني بعد انتصار الثورة : ان نظير هذا الاختلاف والتباين في الرأي والموقف كان موجوداً بالأمس القريب بين آية اللّه العظمىٰ الشيخ عبد الكريم الحائري مؤسس حوزة قم العلمية ومن بعده أيضاً آية اللّه العظمىٰ السيّد البروجردي (قدّس سرّهما) من جهة وبين آية اللّه العظمىٰ السيد حسين القمي وآية اللّه السيد يونس الأردبيلي والسيد الوالد وغيرهم من كبار العلماء من جهة اخرىٰ ، حيث ان هؤلاء نهضوا في وجه رضا خان البهلوي (والد شاه ايران المخلوع) بينما سالمه الشيخ الحائري واستمر السيد البروجردي علىٰ ذلك النهج المسالم للشاه الابن ، ويعترف الجميع انه لولا هذا الموقف من الأخيرين لما تأسستْ حوزة قم واتّسعتْ فانتجتْ رجالاً كالإمام الخميني ﵀ ولازالت تُنتج الكثيرين من الأفاضل .

فليس لتعدّد مواقف المراجع ضرر ما داموا يتجنّبون الوقوع في التجابه والتصادم ، بل ان للتعددية هذه محاسن كثيرة كما نراها في صلح الحسن وثورة اخيه الحسين ﵉، وأما لدىٰ المراجع فانها ـ اي التعدّدية ـ يعود سببها الىٰ اكتمال مبرِّرات التحرّك عند مرجع وعدم اكتمالها عند مرجع آخر أو وجود معذوريات معيّنة تعود الىٰ الطبيعة الثقافية والنفسية للفرد نفسه وهي بالنسبة اليه حجة شرعية لا مفرّ له منها ، فيكون كل واحد منهم لديه دليله الخاص الذي يتّبعه في سلوكه ، فهذا لا يعني اختلافاً بدافع البغضاء والعداء كما يصوّره أعداء الإسلام لجهلة الناس كي يستفيدوا من ورائه لصالح أهدافهم الخبيثة ، بل اختلاف له فوائده شريطة أن لا تجهضها الحدّيات التسقيطيّة فتصبّ في رغبة الأعداء .

بهذه النظرة الىٰ ظاهرة الاختلاف والتباين يجب علىٰ الإنسان المسلم أن يبصر الواقع من حوله ويتفهّم التعدّدية في الآراء وفي مواقف المراجع الدينية .

أقول : مضافاً الىٰ توعية الناس بحقيقة هذه المباينات ـ وانها ليست نابعة من مصالح ذاتية للمراجع وحاشاهم وهم رجال أتقياء ـ تبقىٰ ضرورة تطوير جهاز المرجعية الىٰ حيث يرىٰ الشيعة فائدة انتمائهم المذهبي وتضحياتهم للدين امراً اساسياً لحل الخلافات

انتصادميّة ، وإلاّ فإنّها لاتُذهِب بالجهود ودماء الشهداء والأموال الشرعية هباءً فحسب بل تشكّكِ الجيل الناشىء في جدوائية الانتماء الىٰ المذهب وأصل الاعتقاد بالعلماء والدين .

من هنا فان السبيل لتقريب وجهات النظر والقضاء علىٰ الاختلافات السيّئة وبالتالي قطع الطريق علىٰ استغلال الاعداء لظاهرة الاختلافات وركوبهم جهلة الأمة يكون في اللقاء المنتظم الهادف بين المراجع كي يتعرفوا على وجهات نظر بعضهم بعضاً مباشرة ، فمادامت حلقة اللقاء والحوار مفقودة تبقىٰ المشكلة قائمة والعناء هو العناء.

فاللقاءات الهادفة ـ وليست الحاصلة علىٰ هامش مجالس الفاتحة أو أسرّة العيادة للمريض ـ هي الطريق الذي ينتظر سالكيه اليوم قبل الغد ، فليتنافس عليه كل العاملين لحبّ اللّه ورُسُل المودّة بين عباد اللّه .

٢٨٣ مِن روائع (الصِدَف)

سمع العالم الورع ملاّ محسن فيض الكاشاني حينما كان شاباً يعيش في مدينة قم أن عالماً جليلاً اسمه السيد ماجد البحراني يدرِّس العلوم الاسلامية في مدينة شيراز ، ففكر أن يهاجر اليه ليكتسب منه العلم ، فاستخار أولاً بكتاب اللّه الحكيم فظهرت الآية :

﴿ فلولا نَفَرَ مِن كلّ فِرقة مِنهم طائفةٌ ليتفقّهوا في الدّين ولِيُنْذِروا قومَهم إذا رَجَعوا إليهم لَعلّهم يَحذَرون ﴾[1]

ثم تفاءل بديوان شعر منسوب الىٰ الامام علي عليه السلام ، فظهرت الأشعار التالية :

تَغَرّبْ عن الأوطانِ في طَلَبِ العُلىٰ
وسافِرْ ففي الأسفارِ خَمْسُ فوائدِ

تَفَرّجُ هَمٍّ واكتسابُ معيشةٍ
وعِلْمٌ وآدابٌ وصُحْبَةُ (ماجِد)

ذاك من جميل التوافق وروائع (الصدف) . وهكذا شدّ الرحال الىٰ السيد ماجد البحراني ودرس عنده حتىٰ أصبح من كبار علماء الدّين [2]. وكانت وفاة فيض الكاشاني في سنة (١٠٩١ هـ) .

---

١ ـ سورة التوبة / ١٢٢ .

٢ ـ مسافرت در اسلام (بالفارسية) ص ٢٠ ويراجع كتابنا (علماء البحرين دروس وعبر) .

٢٨٤ الذين يؤمنون بالغيب

الشيخ الٰهي الخراساني

حينما تشعر بانسداد الأبواب البشرية ، اعلم أن اللّه يدعوك الىٰ بابه ، يريد أن يذكّرك بما قد نسيته ، ولكن الأمر يتحقّق مشروطاً بإيمانك بالغيب وانقطاعك الىٰ اللّه وحده . ونحن في حاجة مع هذا الإيمان الخالص والانقطاع الحقيقي أن نجعل الطاهرين من أولياء اللّه وسيلة إلىٰ الطلب ، فإنهم الشفعاء الذين أذِن لهم الرحمٰن بالشفاعة ورضي لهم قولا ، فهم منارات الطريق اليه .

بهذه المناسبة أقدّم اليك ـ أيها القارىء الكريم ـ قصّة سماحة العلّامة الحاج الشيخ علي أكبر إلهي الخراساني (حفظه اللّه) ـ مدير مجمع البحوث الاسلامية التابع للآستانة الرضوية المقدّسة ـ في مدينة مشهد المقدسة ، حيث نقل لي سماحته قائلاً : في مطلع شبابي حينما صاهرتُ العالم الربّاني آية اللّه الحاج ميرزا حسن علي مرواريد (دام ظله) سنة ١٣٨٨هـ ق (١٣٤٧هـ. ش) ذهبت أبحث عن دار أشتريها بمواصفات تناسب رغبتي وظروفي ، وبعد بحث ومتابعة علمتُ أن آية اللّه السيّد عماد الاسلام البختياريّ ﷺ يريد أن يبيع داره الكائنة في شارع (دَريا دِل) . ومن حُسْن الطالع أنها كانت تتّصف بالمواصفات التي أريدها. ولما التقيتُ بالسيّد قال إنه عرض داره للبيع وجاءه من رغب في شرائها ، ولكن الصفقة لم تُعقَد ، فإذا كنتَ راغباً فيها فإني أفضّل بيعها عليك مع تخفيض ألفَي تومان أيضاً . شريطة أن تأتيني الساعة الثامنة من صباح يوم السبت في دائرة التسجيل الرسميّ وبيدك عشرون ألف توماناً .

ولعلّ السيّد خفّض من ثمن الدار لمحبّته الشخصية لي ولكوني صهر العالم الربّاني سماحة آية اللّه مرواريد (دام ظله) .

ثم علاوة علىٰ رغبتي في داره لاتصافها بالمواصفات المطلوبة عندي وتفضّله بالتخفيض في سعرها فإنها كانت من الناحية المعنوية ذات بركة خاصة لأنها لأحد المتقين الذي كان قد صلّىٰ فيها سنوات طويلة وعبد فيها ربّه ، وعقد فيها مجالس التعزية الحسينية كل أسبوع ، وكانت منتدىٰ لرثاء أهل بيت النبيّ ﷺ في كل مناسبة .

فودّعت السيّد الجليل وأنا اُفكّر في كيفية جمع هذا المبلغ خلال يومين .

المطلوب الآن هو (٢٠) ألف تومان ، وليس عندي إلا عشرة آلاف ، أعطاني ايّاها والدي البارّ الحاج محمد حسين (حفظه اللّه) بذلتُ جهدي واتصلتُ بكل من يستطيع أن يوفّر لي

قرضاً مقداره عشرة آلاف تومان . ولكن كل الأبواب التي طرقتها لم تُفتَح بوجهي ، علماً أن أخي وبعض أصدقائي سعوا جميل سعيهم ، فلم يعودوا الا بالاعتذار من عدم تمكّنهم من حصول المبلغ . وهنا كانت الساعات الأخيرة من يوم الجمعة تمضي، ومعها يكـاد اليأس يقضي علىٰ أملي ، ويخيِّب أمنيّتي في الحصول علىٰ تلك الدار .

ومع أذان المغرب في ليلة السبت (حيث صباح الغد الساعة الثامنة تُحسَم فيها المعاملة) جئتُ الىٰ حرم الإمام الرضا عليه‌السلام بحال الانقطاع الىٰ اللّه تعالىٰ ، وقفتُ أمـام الضـريح الشريف متوسّلاً بالوليّ الرؤوف ، أتذكّر نفسي بالفعل كنتُ منقطعاً اليه عزّوجل، إذ لم أحمل ذرّة من الأمل تجاه المخلوقين .

كنت أفكّر بالهديّة الثمينة التي إنْ أُقدّمها الىٰ الامام عليه‌السلام سوف لا يردّها إلّا بالإحسان ، أليس هو كريماً من أولاد الكرام ؟

هنا شعرت بأنه قد أُلقي في روعي أن أصلّي لكل معصوم من المعصومين الأربعة عشر عليهم‌السلام ركعتَيْ صلاة ، أعقبهما بالصلوات علىٰ محمد وآله ألف مرّة فيصبح المجموع (٢٨) ركعة و (١٤٠٠٠) صلوات علىٰ محمد وآل محمد .

قرأتُ الزيارة ثمّ جلست عند جهة الرأس الشريف وبدأت بأداء هذه الصلاة والصلوات. أهديتُ الركعتين الأُولَيين الىٰ النبيّ الأكرم محمد صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم ، وعقّبتُهما بألف صلوات عليه وعلىٰ آله النجباء الطاهرين ، ثم أهديتُ مثلها الىٰ أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه‌السلام ، ثـم الصدّيقة الحوراء فاطمة الزهراء سيّدة نساء العالمين ، ثـم الامـام الحسـن ، ثـم الامـام الحسين، ثم الأئمة من ولده (السجّاد والباقر والصادق والكاظم والرضا والجواد والهادي والعسكري والحجّة المهدي) عليهم‌السلام .

وحين الفراغ نظرتُ الىٰ الساعة فرأيت أنها كانت تشير الىٰ وقتٍ من أذان الفجر . قمتُ الىٰ جهة قدمَيْ الامام الرضا عليه‌السلام ، فقلت له : «هذا ما استطعت عمله لكم ، ولا قياس بينه وبين ما تستطيعون عمله لي ، والكريم لا يردّ المحتاج يامولاي» .

قلتُ هذا وخرجت لأدرك صلاة الصبح التي كان يصلّيها جماعةً سماحة آية اللّه الحاج الشيخ مرواريد في مدرسة ميرزا جعفر الدينية ، وكانت فيها غرفتي أيضاً . خطوتُ بِضع خطوات ، وقبل أن أصل الىٰ (الكشوانية ـ محلّ الأحذية) رآني العالم الفاضل التقيّ سماحة الحاج الشيخ ضياء الدين الآملي ـ وهو ابن المرجع الديني المرحوم الشـيخ محمد تـقي الآملي صاحب الكتاب المعروف «مصباح الهدىٰ في شرح العروة الوثقىٰ» ، وهو أيضاً صهر

المرجع الراحل آية اللّه العظمىٰ السيد حسين القميّ (رضوان اللّه عليهم أجمعين) ، وهو كذلك أحد حفّاظ القرآن المعروفين ـ ناداني فجئتُه وتعانقنا فسألني عن حالي .

قلت له : ألتمسك الدعاء .

قال : باللّه عليك ، أخْبِرني ماذا طلبت من الامام الرضا عليه السلام ؟

قلت : حاجة ماسّة ، إذا أراد فهو يشفع لي عند اللّه لقضائها .

قال : ما رأيك أن تأتيني هذا اليوم لنتناول وجبة الفطور معاً ؟ أنا قادم من طهران ونزلت ضيفاً عند سماحة العلّامة السيّد جعفر سيّدان ، وأنت صديقه .

قلت : حسناً .

ودعته وانطلقتُ الىٰ صلاة الجماعة خلف آية اللّه مرواريد . ومع طلوع الشمس طرقتُ باب منزل السيّد سيّدان (حفظه اللّه) امتثالا لدعوة الشيخ الآمليّ ولصداقتي مع السيّد .

وهنا بيت القصيد ، ماذا ياتُرىٰ يمكن أن يحصل ؟!

لا تستغرب ، أكلنا الفطور مع الشيخ ، ثم تحدّثنا فذكرتُ له حاجتي الىٰ قرضٍ لشراء الدار، فسألني كم تريد ؟

قلت له : عشرة آلاف توماناً ، فأدخل يده في جيبه حالا وأخرج رزمةً ، هي المبلغ الذي به يكمل ثمن الدار !

فنظرتُ الىٰ الساعة وكانت تشير الىٰ السابعة ، لم يبق علىٰ الموعد إلّا ساعة واحدة ، حيث يُفتَرض أن أكون حاضراً في دائرة التسجيل الرسمي ، والا ذهبتْ عني الدار . ولقد أدهشتْني هذه الاستجابة السريعة للدعاء ، فنظرتُ الىٰ الشيخ نظرة تعجّب وتشكّر ، ثم ودّعته مسرعاً الىٰ الدائرة ، حتىٰ دخلتها والساعة هي الثامنة بالضبط ، وكان السيّد البختياري (البائع) ينتظرني والرجل الآخر قد أعدّ وأكمل الأوراق وإنما كان ينقصها توقيع السيّد فقط !

واذا بالسيّد يلتفت الىٰ مسؤول الدائرة ويقول له : لقد بعتُ داري لهذا الشيخ ، وبألفين أقل من السعر ! وفي وسط استغراب المسؤول وتعجّبه الشديد من هذا التخفيض الكثير قام الرجل الآخر معترضاً وقال : إنني أريد الدار ، وقد تصرّفتُ فيها بهدم مقدَّم الباب (وذلك مناورةً منه ليُخضِع البائع الىٰ الأمر الواقع) .

ولكن السيّد ردّ عليه :

أولاً إننا لم نتفق بشكلٍ نهائيّ ، ولم نوقّع صفقة البيع ، وان مجرّد الكلام المبتور بيننا سابقاً لا يعتبر بيعاً شرعياً ولا قانونياً .

وثانياً أنت بتصرّفك في ملكي من غير استئذان قد ارتكبتَ حراماً وعليك دفع غرامة . وبحكم القانون أستطيع رفع شكوىٰ ضدّك ، والآن إذا عفوتُ عنك فإياك أن تعود الىٰ مثله مرة أخرىٰ .

وأخيراً صارت الدار المنشودة ملكاً لي ، والعجيب انني لما أردت القيام بتجديد بنائها فيما بعد استمر الشيخ الآملي في كرمه وعطائه وهو يقول : ابنِ دارَيْن مماثلتيْن ، واحدة لي والأخرىٰ لك !

وحيث رأيته ذا نفع في مساعداته لي كنت آخذ منه مالا وأبني ، ولما اكتمل البناء ، قال لي الشيخ : إنّ الدار كلها لك ولا أريد منك شيئاً ! وانما قلت لك واحدة منهما لي فلأجل أن لا تتردّد في استلامك مني المال للبناء !

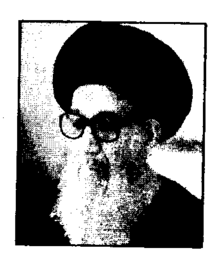
وهذا من جميل التوفيقات الإلهيّة ، جزاه اللّه عنّي خير الجزاء وأسكنه فسيح دار الجنة مع الأولياء .

وهكذا أصبحت لي تلك الدار سكناً الىٰ جانب (سَكَن الزواج) الذي قال عنه ربنا تعالىٰ: ﴿ومِن آياته أنْ خَلَقَ لكم مِن أنفسِكم أزواجاً لِتَسْكُنوا اليها وجَعَل بينكم مودّةً ورحمةً إنّ في ذلك لآياتٍ لقومٍ يتفكّرون﴾[1].

وحقاً كانت حياتي الزوجية سكينة ومودة ورحمة ولقد عشتُ في تلك الدار اثنتي عشرة سنة عيشاً هنيئاً ورزقنا اللّه تعالىٰ فيها ولدَيّ العزيزين (مجتبىٰ وزهراء) .

أخي القارىء وأختي القارئة : إن في هذه القصّة مواقف عقائدية وأخلاقية وشرعية كلها نابعة من بصيرة الايمان بالغيب، فهل نحن من الذين يؤمنون بالغيب ؟

٢٨٥ عند تأسيس الحوزة


السيدالكلپايگانى

بثّ تلفزيون الجمهورية الاسلامية ليلة (٢٩) جمادىٰ الثانية عام ١٤١٤ مقابلة مع حجة الاسلام والمسلمين السيد جواد الگلپايگاني فقال عن والده المرجع المرحوم آية اللّه العظمىٰ

---

١ ـ سورة الروم / ٢١.

الگلپايگاني ﷺ .

لمّا قرّر استاذه آية اللّه العظمىٰ الشيخ عبد الكريم الحائري ﷺ أن ينتقل من حوزة أراك الىٰ مدينة قم ليؤسس فيها الحوزة العلمية أخذ يدعو العلماء والأساتذة الىٰ الاقامة في قم فكتب رسالة الىٰ تلميذه المبرَّز السيد الگلپايگاني يطلب منه المجيء الىٰ قم ليساهم في وضع الحجر الأساس للمؤسسات العلمية والخيرية في الحوزة . فلبّىٰ السيد الگلپايگاني دعوة استاذه الشيخ الحائري وانتقل الىٰ قم المقدسة .

لاشك أن مرحلة التأسيس تواجه مشاكل مالية كثيرة ، إذ أنّ بناء وتشييد المدارس الحوزوية وأماكن سكن للطلبة وإعداد رواتبهم الشهرية وبناء مستشفىٰ ومستوصف لهم وما أشبه ذلك يفتقر الىٰ مال كثير .

يقول السيد الگلپايگاني كما ينقل ابنه السيد جواد : انه ذات مرّة دخلتُ علىٰ الشيخ الحائري فوجدته قلقاً شارد البال ، فلمّا جلستُ عنده صارحني بأن المشكلة المالية قاصمة لظهره . والحقيقة انني تأثرتُ بقلقه وودّعته ، وأصبحت شارد البال مثل استاذي، لا أهتدي الىٰ حلّ لما نعانيه الاّ التوسّل بالإمام الحجة (عجلّ اللّه فرجه) وبعد ذلك استلقيتُ ونمتُ واذا بي أرىٰ حلماً عجيباً ، سمعتُ صوتاً يقول لي : ببركة الامام الحجّة سوف تتوجّه الأنظار الىٰ قم فتأتي اليها أموال المسلمين الشرعية (الزكوات والاخماس) قل للشيخ الحائري : لاتقلق نفسك كثيراً .

استيقظتُ من النوم وذهبتُ الىٰ الشيخ فأخبرته برؤياي . وبعد أيام قليلة اخبرني .

فقال الشيخ : «اني اخجل من الامام موسىٰ بن جعفر الكاظم ان اوصي بإخراج جنازتي من جواره الكريم» .

وهكذا فارقت روحه الطاهرة ، فجاؤا بجثمانه ليدفنوه عند ضريح الامام الكاظم عليه السلام جانب القدمين ، فلما حفروا هناك ، وجدوا قبراً محفوراً، فدفنوه فيه . ثم تبيّن انه قبر حفره احد الخلفاء العباسيين لنفسه يوم السبت بتاريخ (١١ / جمادي الاولىٰ / ٥٩٧) ، وهو يوافق يوم ميلاد الشيخ الطوسي تماماً، ولم يتوفق له الخليفة فكان من نصيب الشيخ الذي جاءته المنية يوم الاثنين (١٨ / ذي الحجة /٦٧٢)، تغمده اللّه بواسع رحمته واسكنه فسيح جنته[1] .

---

١ ـ نفس المصدر / ص٥٨ .

الشيخ: ان رؤياك كانت صادقة .

وكان يقصد الشيخ أن مالاً وصله من أهل الخير لسدّ حوائج الحوزة .

٢٨٦ أجهزة الكمبيوتر

يقول سماحة السيد باقر الگلپايگاني : عندما ذهبتُ مع والدي الىٰ لندن للعلاج شاهد هناك أجهزة الكمبيوتر ، فسأل عنها ، ثم قال : إن كانت تنفع عملنا في الحوزة العلمية ومشروع دار القرآن الكريم اشتروها .

فقال له أحد المرافقين : إنها أجهزة غالية جدّاً.

فقال السيد الوالد : مادامتْ نافعة للاسلام اشتروها ، فإن الذي يدفع الثمن لستُ أنا بل هو سيدي الإمام المهدي صاحب الزمان (عجل اللّه ظهوره) .

ولقد استُخدمتْ هذه الأجهزة في المدارس الدينيّة والمراكز العلميّة والمستشفىٰ ودار القرآن الكريم التي أسّسها سماحته في مدينة قم المقدّسة إستخداماً موفّقاً .

٢٨٧ أنا اسمي مهدي

من المشاريع الخيرية النافعة التي أسّسها المرجع الكبير آية اللّه العظمىٰ الگلپايگاني‏ؒ بناؤه مستشفىٰ خاصاً لطلبة العلوم الدينية وعوائلهم في مدينة قم المقدسة .

يقول مدير المستشفىٰ في المقابلة التي بثّها تلفزيون الجمهورية الاسلامية ليلة الثالث من شهر رجب (١٤١٤) : إنه لما طلب مني السيد الگلپايگاني قبل (٢٧) سنة ان انتقل من طهران الىٰ قم لأتحمّل ادارة المستشفىٰ كنتُ متردداً كثيراً ، حتىٰ رأيتُ في المنام رجلاً عليه سيماء الأوصياء ﷺ رافقته الىٰ جميع مرافق المستشفىٰ وأخذ يستطلع وينظر فيها ثمّ قال لي : انه لعمل صالح ، فالحمد للّه انّ أموالي صُرفتْ في محلّها .

قلتُ : أموالك أنت ؟ ومن تكون يا سيدي ؟

قال : انا اسمي مهديّ .

قلتُ : أيّ مهدي أنت ؟

قال : أنا المهدي الذي تسمع عنه !

٢٨٨ كأس المرجعيّة

نقل خطيب ارتقىٰ المنبر في بيت سماحة السيد عبد الحميد الاصفهاني حفيد المرجع المرحوم السيد أبي الحسن الاصفهاني : ان السيد الگلپايگاني ذهب في أيام شبابه الىٰ زيارة مرقد الامام علي عليه السلام، فرأىٰ في الرؤيا أمير المؤمنين يقدّم له كأساً ليشرب منه ، فأخذه وشرب ، وطلب من الامام كأساً آخر لأستاذه السيد أبي الحسن الاصفهاني ـ الذي كان يومئذ مرجع المسلمين الشيعة ـ ولكنّ الامام عليه السلام قال : لقد اسقيناه من هذا الكأس قبلك .

ذلك هو كأس المرجعية الذي يشربه أولئك المؤمنون بالغيب المتوكّلون علىٰ اللّه ، ومن يتوكل علىٰ اللّه فهو حسبه .

٢٨٩ محمّد رضا ، هِبة اللّه

نقل الخطيب فضيلة الشيخ فاضلي في مجلس فاتحة المرحوم آية اللّه العظمىٰ السيد محمد رضا الگلپايگاني الذي انعقد في الحسينية النجفية في مشهد المقدسة في الليلة الثانية من شهر رجب (١٤١٤) أن عالماً اصيب بألم شديد في حنجرته ، فلمّا يأس من علاجه علىٰ ايدي الأطباء ، قدم الىٰ زيارة مرقد الامام الرضا عليه السلام ودعا اللّه تعالىٰ تحت قبّته الشريفة وتضرّع متوسلاً بالإمام وأهل البيت عليهم السلام ثم عاد الىٰ محل سكناه .. وبينما هو نائم رأىٰ المرجع الديني السيد الگلپايگاني جاءه ومسح علىٰ حنجرته، فاستيقظ من نومه ولم يجد ألماً فيها قط . فذهب الىٰ مدينة قم وتشرّف بمحضر السيّد فأخبره بهذه القصة . ابتسم السيد الگلپايگاني وجرتْ دموعه ، سأله العالم : هل في القضية ما يمكننا سماعه ؟

فاكتفىٰ السيد الگلپايگاني بالقول : ان الامام عليه السلام لا زال متفضّلاً عليّ منذ توسّل به والدي المرحوم السيد باقر ، حيث كان رزقه اللّه تعالىٰ إناثاً دون ذكور فطلب من اللّه تعالىٰ ولداً ذكراً ، فاستجاب اللّه تعالىٰ دعاءه وتوسّله بالامام الرضا عليه السلام فكنتُ انا المولود الذي سمّاني والدي « محمد رضا » .

أقول : وفي هذه الليلة ايضاً نقل سماحة الشيخ السبحاني في كلمة له بثها تلفزيون الجمهورية الاسلامية : ان المرحوم والد المرجع الكبير آية اللّه العظمىٰ السيد محمد رضا الگلپايگاني قدس سره طلب من اللّه عز وجل ان يرزقه ولداً يفقّهه في الدين ويجعله من المروّجين

لشريعة محمد سيّد المرسلين وان يطيل في عمره . وهكذا اعطاه اللّه تعالىٰ السيد الگلپايگاني الذي سمّاه محمد رضا ولقّبه بـ(هبة اللّه) وصار فقيهاً في الدين ومروِّجاً له وطال عمره الىٰ سبع وتسعين عاماً .

٢٩٠ تحسين أخلاق الطلبة

نقل سماحة الشيخ فاضلي : ان أحد المدرّسين المتصدّين لإدارة حوزة قم المقدسة زار المرجع المرحوم آية اللّه العظمىٰ الگلپايگاني قبل وفاته بأسبوع واحد ، فاستفسر منه السيد عن وضع الحوزة ادارياً ودراسياً ، فأخبره جانباً من الأخبار والتطورات ، فقال له السيد الگلپايگاني : انكم تفكرون في كلّ شيء وفكّروا كذلك في تحسين اخلاق طلبة العلوم الدينية .

ورُوي عن النبي الأكرم ﷺ : « دواء القلب خمسة أشياء .. قراءة القرآن بالتدبّر ، وخلاء البطن ، وقيام الليل ، والتضرّع عند السحَر ، ومجالسة الصالحين » .

٢٩١ مِن الخطباء الذاكرين

كان آية اللّه العظمىٰ الگلپايگاني ؒ شديد الحب والولاء للامام الحسين عليه السلام ، فكان يجمع أهله وعياله ليلة عاشوراء في بيته ويقوم بنفسه فيقرأ لهم مقتل الحسين وماجرىٰ عليه وعلىٰ أهل بيته وانصاره من المصائب في كربلاء . وكان يقول : أريد بهذا ان يسجّلني ربّي واحداً من أحباء الحسين والخطباء الذاكرين لمصيبته .

٢٩٢ اللّهُ أكبر !

بعد سنوات من انتقال آية اللّه العظمىٰ الحائري الىٰ رحمة اللّه تعالىٰ ومجيء آية اللّه العظمىٰ السيد البروجردي الىٰ قم وتصدّيه لزعامة الحوزة العلمية فيها ، وكان السيد الگلپايگاني آنذاك حديث العهد بالتصدي لمهام المرجعية ، انعقدتْ جلسة في حضور السيد البروجردي لتدارس أوضاع الحوزة ، فاجتمعتْ كلمة كبار الاساتذة علىٰ أن يكون جانب كبير من ادارة الحوزة بيد السيد الگلپايگاني ، فاستنكف السيد من قبول هذه المسؤولية الثقيلة وخاصة انها تستلزم منحه شهرية للطلبة بينما كان السيد من هذه الناحية غير متمكّن.

فألحّ سماحة الشيخ مرتضىٰ الحائري ـ ابن المرجع المؤسس ـ الذي كان جالساً في صف

السيد الگلپايگاني علىٰ ان يتقبل السيد هذه المسؤولية ، ولكن السيد أكّد استنكافه وعدم قبوله بها وذكر للحضور أن السبب الأساس هو العجز المالي ، الاّ أن الحضور بما فيهم زعيم الحوزة والمرجع الديني الكبير السيد البروجردي ألحّوا عليه وبإصرار حتىٰ وافق السيد .
وكان عليه أول الأمر الإعلان عن منح الرواتب الشهرية لطلبة الحوزة وكانت بداية الشهر علىٰ الأبواب وليس بيد السيد مال . فاضطرّ الىٰ الاقتراض من أحد الأثرياء ليبدأ توزيع الرواتب والباقي علىٰ اللّه تعالىٰ .

وذات مرّة أخذ قرضة مؤجّلة ، اذ كان عليه تسديدها في وقت وأجل محدّد ، فلما اقترب موعد التسديد ذكّره به أحد مقرّبيه ، إلاّ أن السيد لما لم يكن لديه مال اكتفىٰ بقوله: «اللّه أكبر»!

وإذ كنا غداة يوم التسديد جالسين عند السيد واذا برجل دخل ووضع بين يديه مبلغاً من « الحقوق الشرعية » بمقدار الديْن الذي كان علىٰ السيد تسديده في ذلك اليوم. فقال السيد : « اللّه أكبر » !

سأله أحد الجالسين عن سبب التكبير ، أجابه السيد بابتسامة فقط .

ثم قال الرجل الذي جاء بالمال : لقد أُلهِمْتُ أن آتي إلىٰ قم وادفع هذا المبلغ الىٰ سماحتكم[1].

٢٩٣ حرّية التقليد

ذكر سماحة السيد جواد الگلپايگاني : ان والده المرحوم آية اللّه العظمىٰ الگلپايگاني سمع أن عالماً كان قد استفتىٰ عند المرجع الكبيرالسيد البروجردي ﵀ من نقلّد في المسائل الفقهية التي تجوّزون الرجوع فيها الىٰ الفقيه من بعدكم ؟

فكتب السيد البروجردي في الجواب : تراجعون فيها الفقيه الگلپايگاني .

وكان هذا العالم يريد تصوير تلك الورقة ونشرها للدعوة الىٰ تقليد السيد الگلپايگاني بعد وفاة السيد البروجردي . فطلبه السيد الگلپايگاني ليحضر عنده ومعه تلك الورقة فلما قرأها السيد وضعها في صندوقه وقفله .

فقال له العالم : سيدنا أُريدها ، انها ورقتي !

---

١ ـ من مقابلة مع ابنه سماحة السيد جواد الگلپايگاني في التلفزيون الايراني .

قال السيد : انها ورقتك ، ولكنها تتعلق بي ، فإن نشرتها قطعتَ الطريق أمام الناس لتقليد غيري من المراجع الكرام ، اتركوا الناس ليختاروا المرجع الذي يقتنعون به ، فالتقليد حرٌّ في مذهب أهل البيت عليهم السلام .

٢٩٤ مع القرآنِ الكريم

يقول سماحة السيد جواد الگلپايگاني (حفظه اللّه) :

كان والدي رحمه الله يتلو في اليوم جزءاً من القرآن الكريم ، وفي أيام العطل يتلو أكثر من جزء واحد . وحصل أن كان يهدي اليه الوفود أو الشخصيات الذين يأتون للقاء بسماحته نسخة من كتاب اللّه العظيم ، فكان الوالد يختم تلاوة تلك النسخة المهداة ثم يعطيها لدار القرآن الكريم التي أسّسها لدراسة وحفظ العلوم القرآنية والنسخ القديمة والحديثة المتعدّدة للقرآن وبلغات مختلفة ، وهي مؤسسة كبيرة في قم المقدسة .

وعن النبي صلى الله عليه وآله : «ان الذي ليس في جوفه شيء من القرآن كالبيت الخرب»[1].

٢٩٥ كأنّ قبراً مُعَدٌّ له سَلَفاً

قال أحد المقرَّبين من السيّد الگلپايگاني اتّصل بنا السيد قبل وفاته بساعات من علىٰ سرير المستشفىٰ وقال : لا يبدو في الأفق ما يدلّ علىٰ نجاح الأطباء في معالجتي . اكشفوا الأرض مقابل قبر استاذي المرحوم الشيخ عبد الكريم الحائري (في حرم السيدة معصومة عليها السلام) تجدون لي قطعة أرض هناك !

قلتُ للسيد : ستعيش عمراً طويلاً ان شاء اللّه وتعود الينا بسلامة .

قال : استعدّوا ، واذهبوا الىٰ المكان الذي ذكرته لكم فلعله يحدث أمر .

يقول الشيخ : ذهبنا الىٰ المكان وحفرنا ونحن لا نتوقع فيه أرضاً خالية يمكن حفرها للقبر، اذ كما نعلم أن تلك المساحة في الحرم الشريف كلها قبور لكبار الفقهاء والمراجع (رحمهم اللّه). ولكن فوجئنا بترابٍ بكْر لم يُلْمَس من قبل . وظهر بالفعل هناك بعد الحفر مقدار مترين وكأنه قبر معدٌّ من قبل ، لمسنا تراب القبر فلم نجد أثراً لمدفن ميّتٍ مندرس الأثر، فهذه كرامة عظيمة تكشف عن جانب من مكانة السيد الگلپايگاني رحمه الله.

---

١ - كنز العمال / ج١ - ص٥٥٣.

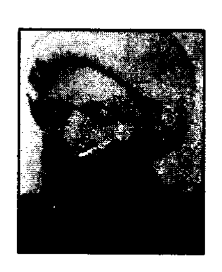
٢٩٦ المهندّس الألماني

ذكر الخطيب البارع سماحة الشيخ الفلسفي في مجلس ترحيم أقامه قائد الجمهورية الاسلامية آية اللّه السيد عليّ الخامنئي (دام ظله العالي) بمناسبة رحيل المرجع الكبير السيد الگلپايگاني ، مشيراً الىٰ كثرة المشيّعين لجنازة الفقيد وتعطيل المدارس والأسواق حزناً علىٰ وفاة الگلپايگاني ﷺ : أن المرحوم آية اللّه العظمىٰ السيد البروجردي قام ببناء مركز اسلامي كبير في (هامبورك) ـ بألمانيا ـ. وتقرّر تشييد قبّة علىٰ المبنىٰ كالقبب الموجودة في انحاء ايران ، الا ان المهندس الألماني لم يستوعب الشكل المطلوب للقبّة . فدعاه القائمون علىٰ المشروع الىٰ أن يزور ايران ويلقي نظرة علىٰ القبب فيها لتتشكل في ذهنه فكرة عن ذلك . فلما وصل المهندس اخذوه الىٰ مدينة قم ، فشاهد القبة الذهبية لحرم السيدة معصومة عليها السلام وقبّة مسجد الأعظم ، وكان منبهراً بما شاهده ، فطلب لقاء المرجع الديني السيد البروجردي الذي سمع عنه كثيراً ، ولمّا كان السيد في وضع صحي خطير قال له مرافقوه لنذهب الىٰ مشاهدة قباب مدينة اصفهان التاريخية ثمّ نعود ، فإن كانت صحة السيد جيدة التقينا به ، وحيث كنا نتجوّل في شوارع اصفهان مع المهندس الألماني إذ فوجئنا بتغيّر وجه المدينة كاملاً حيث عطّلت الأسواق وارتفعتْ الأعلام السود وشرعتْ مكبّرات الصوت في المآذن بتلاوة القرآن وانقطع بثّ الأغاني من النوادي الماجنة وعلتْ وجوه الناس الحزن والكآبة .

سألنا ما الخبر ؟ قالوا : لقد انتقل السيد البروجردي الىٰ رحمة اللّه تعالىٰ .

فاستغرب المهندس الألماني من هذا الارتباط العميق للناس بمراجع الدين ، وكان في غاية الانبهار والتعجب .

٢٩٧ مِن أخلاق الصّالحين



ملا علي الهمداني

ضايقتْ سلطات الشاه الجائرة سماحة آية اللّه المرحوم ملا علي آخوند الهمداني ، حتىٰ هجر مدينته (همدان) وانتقل الىٰ مدينة (مشهد) المقدسة اعتراضاً علىٰ تصرفات السلطة الظالمة .

وكان في مشهد المقدسة آنذاك المرجع الكبير آية اللّه العظمىٰ السيد محمد هادي الميلاني ﷺ حيث كان يتمتع بمكانته العلمية والاجتماعية ، فدخل عليه الشيخ ملاّ علي اخوند الهمداني ، وضيّفه السيد الميلاني في داره

وبالغ في إكرامه .

ومن جهة أخرىٰ كان العلامة الطباطبائي صاحب (تفسير الميزان) يأتي ا لىٰ (مشهد) لزيارة الامام الرضا ﷺ سنوياً في كل صيف ، فهو أيضاً كان يـرد عـلىٰ آيـة اللّـه العـظمىٰ الميلاني . فاتفق هذه المرة أن اجتمع العالمان الكبيران في بيت السيد الميلاني مدّة شـهر واحد ، وهي فرصة ثمينة لمثل هؤلاء العلماء لتبادل الآراء .

يقول فضيلة الشيخ أحمد الرحماني الهمداني (حفظه اللّه) : ذات يوم خـرج العـلامة الطباطبائي من منزل السيد الميلاني متجهاً الىٰ حرم الامام الرضا ﷺ، فخرجتُ معه ، وفي الطريق سألته عن مكانة الشيخ ملاّ آخوند الهمداني العلمية والمعنوية .

فقال بصوت هادىء ورزين : « علىٰ الناس أن يهاجروا من الأطراف والاكناف والأماكن البعيدة الىٰ مدينة (همدان) لزيارة سماحة الآخوند والاستفادة من مكانته الرفيعة» .

وبعد أيّام طرحتُ نفس السؤال علىٰ الآخوند الهمداني وسألته عن السيد الطباطبائي ، فقال آية اللّه الآخوند : « منذ فترة كنت أدعو اللّه تعالىٰ بدعاء ورد أنّ من يقرأه يرزقه اللّه كنزاً. فتبين لي أن دعائي هذا قد استجابه اللّه ، والكنز هو سماحة السيد الطباطبائي الذي رزقني اللّه صحبته هذه المدة »[1].

رحمة اللّه تعالىٰ علىٰ هذيْن العَلَميْن اللذيْن تحلّيا بـالاخلاق الاسـلامية البـناءة ، إنـها دروس للناس والعلماء في التقوىٰ والفضيلة والإنصاف والحوار والتلاقي .

٢٩٨ بَلِّغْ سلامي إليه

قال العالم التقي المرحوم الشيخ اسماعيل الشاهرودي : خرجنا في قافلة من إيـران الىٰ حج بيت اللّه الحرام ، وعندما وصلنا الىٰ مفازة قرب مكّة المكـرّمة ضـللنا الطـريق ، وكـنا عطاشىٰ ، ونفد وقود سيارتنا أيضاً ، فذهبتُ انا الىٰ مرتفع بعيداً عن أصـحابي ، وصـليتُ ركعتين صلاة الإمام الحجة ﷺ أدعو اللّه تعالىٰ متضرعاً اليه لأن ينقذنا ممّا نحن فيه . وفي هذا الأثناء رأيتُ رجلاً عربياً تقدم اليّ وقال: ياشيخ اسماعيل ، ماذا جرىٰ ؟

قلتُ : ضيّعنا الطريق .

قال : أنا أعرفه .

قلتُ : سيارتنا ليست فيها وقود .

---

١ ـ مقدمة كتاب (صد وبيست حديث) بالفارسية / ص ١١ .

قال : لا يهمّ !

وكان معه قدح ماء ، سقىٰ به أصحابي وأرواهم ، ثم قال : اركبوا .

فركبنا ، وتحرّكت بنا السيارة (التي كانت خالية من الوقود) !

وفي الطريق سألني العربي : من تقلّد ؟

قلتُ : الحاج السيد أبا الحسن الاصفهاني .

قال : بلّغ سلامي إليه اذا زرته في النجف .

ثم سألني : هل تعرف الآخوند ملاّ علي الهمداني ؟

قلتُ : أنا لا أعرفه شخصياً ، ولكنه من مشاهير العلماء .

فقال : بلّغ سلامي إليه أيضاً .

وغاب عن عيني في الحال ! [1]

من يكون هذا الرجل يا تُرىٰ ؟

القرائن تجيب انه المهديّ المنتظر ، القائم الموعود الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً ، بعد ما مُلئت ظلماً وجوراً . فسلام عليه يوم ولد ويوم غاب ويوم عاش غريباً ويوم يخرج غالباً.

٢٩٩ قال وقلتُ

التقيت في مطار دولة خليجية في شهر صفر المظفر سنة (١٤١٥هـ ـ ١٩٩٤م) بأحد الاخوة من أبناء السنة فقال : أنتم الشيعة لماذا لا تكونوا سُنّة ؟

قلت : إن الشيعة مسلمون كالسنة ، فهم يشهدون أن لا إله إلّا اللّه وأن محمداً رسول اللّه.

قال : اذن ما هذا الذي تفعلونه أيام محرّم ؟ فهل رسول اللّه أمركم بذلك ؟

قلت : اذا كان عندك ولد عزيز عليك لدرجة لا توصف ، فقتله شخص متعمداً قتلاً فجيعاً وهو عارف بمقامه عندك . فالذي يشاركك في هذا الحزن بكل ما يملك من احساس وبكاء ودموع لأجل مواساتك والتضامن مع المصيبة الاليمة التي ألمّتْ بك ، ماذا تقول له ؟

قال : أشكره بالطبع وأرىٰ فيه صديقاً حميماً وأشفع له في قضاء حاجته متىٰ ما تأزّم .

قلت : أما كان رسول اللّه صلى الله عليه وآله يحبّ سبطه الحسين عليه السلام حباً جمّاً . وقد أجمع المسلمون كلهم شيعة وسنة أنه كان يقبّل شفتيه ، ويحمله علىٰ كتفه ويمشي به في المسلمين، ويُجلسه علىٰ فخذه وهو علىٰ المنبر يخطب في الناس .. وبعد الرسول الأمين أما كان

---

١ ـ مقدمة كتاب (صد وبيست حديث) بالفارسية / ص ١٠ .

الحسين ذا منزلة عظيمة بين المسلمين في علمه وتقواه وعطائه للناس ، هذا الانسان قتله يزيد بن معاوية الذي وصفته كتب التاريخ بأنه كان فاسقاً فاجراً شارباً الخمور .. فنحن الشيعة المسلمون نواسي رسول اللّه في ذكرىٰ هذه المصيبة العظيمة علىٰ قلبه الكريم ونتضامن مع أهل بيته بالحزن والبكاء .

قال : ولكن هناك تصرفات غريبة تجري في هذه المراسم عندكم !

قلت : نحن نتكلم عن أصل القضية أما بعض التصرفات الشاذة لبعض الشيعة فهذا أمر لا يضر بالأصل ، والعلماء يحاولون اصلاح هذه الشواذ من التصرفات بالتي هي أحسن (وليس الأخشن) ، علماً ان بعض التصرفات الاخرىٰ تحتاج الىٰ تفسير ، لأنها رموز تشير الىٰ معاني مقدسة .

قال : يجب أن لا يختلفوا مع السنة .

قلت : السنة هم مختلفون (رسمياً) علىٰ أربعة مذاهب (الحنفي والحنبلي والشافعي والمالكي) ومع ذلك لديهم اختلافات واسعة وآراء متباينة ، فالمتديّنون منهم يتقاتلون في أفغانستان مثلاً والقوميون منهم يتقاتلون في اليمن مثلاً . وكذلك الشيعة طبعاً مختلفون ولكنهم أقلّ تقاتلاً . إن الاختلاف يا أخي مرضٌ أصاب المسلمين جميعاً وعلىٰ درجات. يجدر بنا أن نعيه ثم نحسن التعامل معه وبحكمة . قال : كيف ؟ قلت : يجب أن نعي بأن الاختلاف علىٰ نوعين ، نوع جائز ونوع غير جائز . فالجائز منه هو ما لا يضرّ بالأصول والاساس ولا يخرج عن كونه اجتهادات حُرّة من أجل إزالة الغبار الجاثم علىٰ الفكر الاسلامي طوال قرون وهذا خاص بالعلماء والمتخصصين ، وأما غير الجائز منه فهو الذي يمارسه الناس الذين لا يعلمون الحقائق كلها ، فهؤلاء واجبهم أن يسكتوا ويتركوا الأمور تُناقَش عبر العلماء . لذلك فأنتم ليس عليكم إلّا المحبة للجميع وترك العصبية فانها من الجاهلية ، وهذا ما نقوله للشيعة أيضاً . وبهذا فإن القضية تُترَك للعلماء المتخصصين ولا تُرمىٰ بعلاقات الناس (السنّة والشيعة) في مطبّات طائفية تخدم اعداء الأمة الاسلامية .

قال : ياشيخ لقد مات سيدنا الحسين وذهب عند ربّه ، ومات يزيد وذهب عند ربّه ، ألم يكن مكتوباً علىٰ جبين الحسين أن يموت في تلك الساعة وبتلك الطريقة ، فَلِم الحزن عليه؟

قلت : ان اللّه تعالىٰ يقول في القرآن الكريم : ﴿اللّهُ يتوفّىٰ الأنفُسَ حين موتها﴾ . فاذا وقع الموت بسبب جريمة ارتكبها شخص ، فهذا الموت جاء قبل حينه ولم يكن من اللّه، بل من الذي ارتكب الجريمة ، لذلك فإن أحكام الشريعة الاسلامية تعاقب القاتل بالقتل ويقول اللّه تعالىٰ: ﴿ ولكم في القصاص حياة ياأولي الألباب﴾ فإذا لم يُقتَص من المجرم ولم نقف

مع المظلوم في ادانة الظالم لم تبق حياة للمجتمع ولا أمان للانسان علىٰ حياته وممتلكاته .
فيزيد بن معاوية حينما ندينه والحسين عليه السلام حينما نتذكره ونبكي علىٰ مظلوميته فلكي يعتبر الانسان في كل جيل عاقبة الشرّ وعاقبة الخير فلا يتقرب الىٰ أخلاق يزيد والمجرمين ، بل يكون دائماً مع الحسين والمظلومين .

٣٠٠ أُذكُر له هذه العَلاٰمَة !

نقل المرحوم الآخوند ملاّ علي الهمداني أن في عصر الميرزا الشيرازي الكبير خرج عدّة من شيعة (القطيف) ـ في الجزيرة العربية ـ الىٰ زيارة الإمام الرضا عليه السلام في إيـران ، فَسَـطا عليهم قطّاع الطريق وسلبوهم كل ما كان لديهم من مال وزاد . وكان بين هؤلاء الزوّار سيد من أهل القطيف يعتبر امير القافلة وقد ضُرب ضرباً مبرحاً بسبب دفاعه عن اولئك الزوّار ، وبعد هروب السّراق بينما كان ملقئ علىٰ الأرض التفت السيّد فرأىٰ رجلاً بجانبه يسمّيه بـاسمه ويقول : لماذا أنت قلق الىٰ هذه الدرجة يا فلان ؟

قال له السيد القطيفي : لقد نُهِبت القافلة ، ولا زال طريقنا الىٰ مشهد الرضا عليه السلام بـعيداً، والذي كان عندنا من زاد سلبوه ، وليس لدينا في هذه الصحراء مأوىٰ .

فأخرج الرجل من جيبه مالاً ، وأعطاه للسيّد وقال : إن هذا المال يوصلكم الىٰ سامراء (في العراق) ، وهناك تذهبون عند نائبي الميرزا الشيرازي ، وهو يعطيكم من المال مايوصلكم الىٰ مشهد الرضا عليه السلام.

فقال السيد القطيفي : إن ميرزا الشيرازي لا يعرفنا ، فكيف يصدّقنا ؟

قال الرجل : قولوا نحن رسل (المهديّ) واذكروا له هذه العلامة . (وذكرها له) !

وهكذا غادرت القافلة المنهوبة حتىٰ وصلتْ الىٰ سامراء وتشرّفتْ بلقاء الميرزا الشيرازي . فلمّا اخبره الرجل القطيفي طلب منه الميرزا ان يذكر له تلك العلامة .

فقال : إنّ الرجل واسمه مهدي ذكر : أنك والملاّ علي كني كنتما في حرم السيدة زينب عليها السلام ، وكانت أرض الحرم تعلوها أوساخ بسـبب كـثرة الزوّار وإهـمالهم النـظافة ، ففرشتَ أنت عباءتك وأخذتَ تجمع الأوساخ فيها وترميها خارج الحرم ، وكان ذلك الرجل ينظر اليك بفخر واعتزاز من حيث لا تراه .

يقول السيد القطيفي: ما أن نقلتُ للميرزا الشيرازي هذه الكلمات حتىٰ أجهش بالبكاء.

وقال : أيها السيد ذلك هو مولانا الامام المهدي صاحب العصر والزمان !

فقام الميرزا الشيرازي وأعطىٰ السيد القطيفي مالاً يوصل قافلته الىٰ مشـهد الرضـا عليه السلام.

وقال له : اذهب هناك إلىٰ ملاّ علي كني وانقل له هذه القصة .

يقول السيد القطيفي : جئنا الىٰ ملاّ علي كني في ايران ونقلنا له القصة ، فبكىٰ بكاءً شديداً أكثر من بكاء الميرزا الشيرازي .

قلنا له : إنك بكيتَ أكثر من الميرزا ؟

قال : بكائي لأن الميرزا أقرب مني الىٰ مودّة الإمام عليه السلام ولو كنت اقرب اليه لحوّلكم اليّ (فأنا محروم من لطف الإمام بهذه الدرجة)[1].

٣٠١ حين احترقتْ الطائرة !

نقل لي ثقة من تلامذة المرحوم آية اللّٰه الحاج السيد محمد كاظم المدرّسي قائلاً : كنت جالساً بمحضر العالم الورع ذي المعارف الالهية آية اللّٰه الشيخ الحاج مرواريد (دام ظله)ـ وهو من أكابر علماء مشهد المقدسة ـ اذ دخل الخطيب الحسيني الشيخ حسن يوسفي وهو صديق لخطيب حسيني معروف في مدينة مشهد اسمه الشيخ مصطفىٰ خبّازيان كان قد لقي حتفه مع (١٣٥) راكباً في طائرة (توبولوف) التي سقطت في أجواء مدينة طهران سنة (١٤١٣هـ) بسبب اصطدامها مع طائرة حربية تدريبية لغفلة اعترت مسؤول برج المراقبة في المطار . يقول الشيخ يوسفي رأيت صديقي الشيخ خبّازيان هذا في المنام وسألته كيف كنت حين الحادث ؟

فقال : كنت جالساً في الطائرة واذا ظهر أمامي في مقدمة الطائرة رجل يشعّ نوراً ذو مهابة فابتسم لي ، فخطر في قلبي أنه مولاي الامام الرضا عليه السلام فأشار الىٰ شاب جميل المنظر رأيته واقفاً بجانبي ، وفهمت ان معنىٰ اشارته له أنه ارفق به فإنه من محبّينا . فقرّب الشاب وردةً الىٰ أنفي لم أشم طيبها من قبل ، واذا بي صرتُ في الجوّ خارج الطائرة ، أراها من تحتي وأرىٰ نفسي جالساً فيها من دون حاجز ، وفجأة اشتعلتْ النار في الطائرة ومن فيها وأخذتْ تهوي الىٰ الارض وأنا أُشاهد ذلك .

أقول ولهذه القصة تتمة أخبرني بها سماحة آية اللّٰه السيد محمد الميلاني (دام ظله) الذي حضر تشييع جنازة الشيخ في مشهد المقدسة : انه كانت في التابوت من جسمه فقط يده التي بها خاتم دُرّ النجف كان مكتوب عليه (عليٌّ صراطُ حقٍ نُمْسِكُه) وهي جميع الحروف المقطّعة من بدايات سور القرآن الكريم . وهذه من معاجز القرآن والولاية .

---

١ ـ نفس المصدر / ص ٢٦.

٣٠٢ للخُطباءِ المنبريّين



الملاعلي الهمداني

يقول فضيلة الشيخ أحمد الرحماني الهمداني (حفظه الله):

كان آية الله الآخوند ملاّ علي الهمداني ﵀ يعقد مجلس عزاء في مدرسته الدينية لمدة ثلاثة أيام بمناسبة وفاة سيدة نساء العالمين فاطمة الزهراء عليها السلام. وفي هذا المجلس كان يصعد المنبر وعّاظ من المدرسة ومن خارج المدرسة .

أتذكر جيداً في اليوم الثالث من هذه المجالس ، صعد المنبر المرحوم الحاج الشيخ محمود مفتّح ، وقرأ مقاطع من خطبة الزهراء عليها السلام ، وبعده وفّقت أنا لقراءة قسم من مقدمة هذه الخطبة حول مجيء السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام مع النسوة المؤمنات الىٰ المسجد إذ أمرتْهنّ بضرب ستار بينهنّ وبين (الرجال) في المسجد وكيف ابكتْ السيدة ببكائها الحاضرين في المسجد . كنتُ أقرء الخطبة بصوت عال ولحن حزين ومن دون ترجمة حتىٰ ضجّ الناس بالبكاء .

وفي ذلك اليوم بكىٰ آية الله الهمداني والعلماء الكرام بكاءً كثيراً علىٰ مصيبة فاطمة المظلومة بنت النبي محمد (عليها وعلىٰ أبيها آلاف التحية والسلام) .

وبعد اختتام المجلس دخل آية الله الهمداني مكتبة المدرسة ، ودخلنا خلفه . فأطرىٰ عليّ كثيراً وكنتُ مبتدئاً في القراءة المنبرية حينذاك ، ثم سألني سماحته : أتريد أن تصبح منبرياً ؟

قلتُ : يجتمع الاخوة ليالي الخميس ويصعدون المنبر ! (كناية اني معهم) .

فقال : إذا أردتَ أن تصبح منبرياً ، لا تنس شيئين :

الأول : إصعد المنبر بنفس القصد والنية التي تصلي بها ركعتي صلاة للّه تعالىٰ .

الثاني : إعْلمْ أن الناس الجالسين تحت المنبر قد وضعوا أشرف أجزائهم تحت اختيارك وهو (العقل) ، فانظر ماذا تضع في عقولهم ! [1]

---

١ ـ نفس المصدر / ص ٣٣.

٣٠٣ ما أكْرَمَكَ يا محمّد ﷺ

نقل آية الله الهمداني (طاب ثراه) : كان المرحوم آية الله الشيخ محسن الأراكي عالماً ذا منزلة رفيعة في مدينة (أراك) ـ الايرانية ـ . وما كان يلقي درسه في تفسير القرآن إلاّ بعد تحضيره بشكل جيّد بالمطالعة في كتاب (مجمع البيان في تفسير القرآن) .

فذات ليلة كان يطالع هذه الآية الكريمة : ﴿ يَرفعُ اللهُ الذينَ آمَنوا مِنكم والّذين أوتوا العِلْمَ درجات ﴾[1] فوقعت عينه على الحديث النبوي التالي : قال رسول اللّه ﷺ : « من جائتْ منيّته وهو يطلب العلم ، بينه وبين الأنبياء درجة » .

يقول الشيخ محسن الأراكي ﵀ : شقّ عليّ قبول هذا الحديث ، إذ كيف يمكن أن تكون بين طالب العلم ومقام الانبياء درجة واحدة ؟ !

ثم نظرتُ في سند الحديث واذا به حديث مُرْسَل (يعني رواته محذوفون من السند) وهذا ساعدني على ردّ الحديث ، وعدم الاعتماد عليه !

بهذا الاستنتاج أغلقتُ الكتاب وغلبني النوم ، وفي الغد عندما جئت الى المدرسة لإلقاء البحث على الطلبة ، رأيتُ رجلاً سوّياً من الناس دخل بين الطلبة وأنا في بداية إلقاء الدرس ، فسلّم وقال : يا سماحة الشيخ عندي معك كلام !

ظننته ذا حاجة يمكنني قضاؤها له بعد انتهاء الدرس ، فلا داعي الى أن أقطع البحث ، لذلك قلت له : استرح في تلك الحجرة ، فسوف آتيك بعد الدرس .

قال الرجل : ياسماحة الشيخ ، إنني البارحة رأيتُ رسول اللّه ﷺ في المنام وقال لي: إذهبْ غداً الى المدرسة وقل لفلان (الشيخ محسن) : إن الحديث الذي قرأته البارحة وشككتَ في فحواه صادر عنّي فلا تشك في صحّته ! [2]

ما أكرمك يا محمد ، صلّى عليك مليك السماء يا محمّد ، يا أول مَن سُمّي بأحمد .

٣٠٤ إنّ عِمامَتي بيضاء

نقل فضيلة الشيخ أحمد الرحماني الهمداني (دام عزّه) قائلاً : كنتُ جالساً عند أحد مراجع الدين في قم المقدسة ، فذكر المرحوم آية اللّه الآخوند ملاّ علي الهمداني قائلاً : إنّه

---

١ ـ سورة المجادلة / ١١ .

٢ ـ نفس المصدر / ٣٩ .

كان شديد الاهتمام والاحتياط في الحفاظ علىٰ ثقة الناس بالعلماء. ثم ذكر القصة التالية بإجلال وثناء : جاء ثريٌ من أهل الخير إلىٰ آية اللّه الآخوند وقال له : عندي مزرعة كبيرة ، قيمتها الآن (٨٠٠٠) آلاف تومان ـ وهو مبلغ كبير في ذلك الزمان وإنني أحبّ أن أهبها لسماحتكم.

فقال آية اللّه الآخوند : إنْ تبيعها الآن وتعطيني ثمنها لأوزّعه علىٰ الطلاّب أقبلها منك، وإلاّ فلا أريدها !

كان في المجلس شخص من أحبّاء الشيخ وكما يدّعي انه من أصدقاء الرجل الثريّ فبادر الىٰ القول مخاطباً سماحة الشيخ : لماذا لا تقبلون الهدية انّ هذا الرجل يحبّ أن يهبكم مزرعته ؟!

فأعاد الشيخ كلامه الذي قاله ، مع حذف وساطته الشخصية هذه المرّة ، اذ قال : وزّع بنفسك ثمن المزرعة علىٰ الطلاّب كرواتب شهرية ، فبهذا الشرط أقبل منك الهديّة .

ثم وضح الشيخ الآخوند للشخص الوسيط فيما بعد بأنه إنْ قَبِل المزرعة وقيمتها الآن (٨٠٠٠) آلاف تومان فسوف تصل قيمتها عند الناس فيما بعد ثمانمائة ألف ، وبعد مدة تصل الىٰ ملايين ، وهذا يصبح سبباً لأن يسيء الناس الظن بالعلماء وينظروا اليهم نظرة سيئة فيتساءلوا : من أين له هذا ؟! وبالتالي تتضعضع عقيدتهم وتهتز ثقتهم بهم .

ولذلك عُرف الشيخ الآخوند بقوله الذي كان يكرّره دائماً لطلبته :

« إنّ عمامتي بيضاء ، يجب أن أراقبها كيلا تتوسّخ ، ذلك لأن القماش الأبيض تبدو عليه الوساخة بسرعة ولو كانت قليلة »[1].

أقول : ان هذه الشدة في الاحتياط لا تعني عدم التملّك المطلق ـ وخاصة إذا كان من تحسين الوضع الاقتصادي للاسلام والمؤمنين ـ بل تعني ضرورة الانتباه المستمر ورعاية الغاية في الورع .

٣٠٥ واصِلْ دراستَك يا ولدي

نقل المرحوم آية اللّه الآخوند ملاّ علي الهمداني : انه كان في اطراف مدينة اصفهان ولد لأحد القرويّين شديد الشوق لطلب العلم والالتحاق بالمدارس الدينية ، وأبوه يمنعه من ذلك

---

١ ـ نفس المصدر / ص ٤٤ .

ويقول له : ان في هذا الطريق فقر وجوع وحرمان ، ولكنه أخيراً تنازل أمام اصرار ولده وإلحاحه الشديد ، فما أن وافق قام الولد وقبّل يده . صمد مكانه لحظات فدمعت عينه فرحاً، قبله الامام صاحب الزمان عليه السلام لأن يكون جنديّاً في ركابه ، فمن أسعد منه .

فحمل ـ وهو في الرابع عشر من عمره ـ لحافاً وفراشاً وبعض الحاجات البسيطة وانتقل الى مدرسة في اصفهان ، وكانت من المدارس القديمة الخربة الى حدّ ما ، وطلاّبها لم يتواجدوا فيها دائماً .

وبعد أيام ورد عليه أبوه يحمل معه شيئاً من الخبز والمؤن ، وليتفقد أحواله ، وكان الوقت شتاءً بارداً والثلوج تنزل وتغطي الأزقة والبيوت فوجده من غير أبسط الحاجات . فأعاد عليه والده عتابه : ألم أقل لك ان هذا الطريق ليس فيه سوى الفقر والجوع ؟ وقف الولد باتجاه القبلة وقلبه متألم من هذا الكلام ، وتدور في عينيه الدموع وهو يخاطب الامام صاحب الزمان عليه السلام : يامولاي ، راعني كيلا يقولوا ليس لديك سيد !

فبعد أن جلس الوالد مع ولده سويعات قام ليخرج قبل غروب الشمس ، ولكنه وجد باب المدرسة مقفولاً والمفتاح بيد الخادم الذي لا أحد يعرف مكانه في تلك الساعة . فاضطر الأب الى أن يبقى مع ولده حتى اليوم الثاني ، ولكن الامر كان صعباً عليهما ، إذ لم يكن لديهما سراج يضيء الحجرة بالاضافة الى أن لحافاً واحداً لا يكفيهما معاً ، وهذا الأمر دفع أبوه الى أن يعاتب الولد مرة اخرى : ولدي ما اسوء هذه المعيشة ! عُدْ معي الى البيت غداً ، لاحاجة لك في هذا العلم الذي تطلبه في اجواء المشقة !؟

لقد تألم الولد من كلام أبيه ، وكان يعتصر قلبه ألماً واذا بطارق يطرق باب المدرسة ، فهبّ الولد الى الباب ينادي : من الطارق ؟

قال الطارق : افتح لي الباب .

قال الولد : آسف ، ليس عندي المفتاح ، والخادم غير موجود .

قال الطارق : ادفع الباب ينفتح .

فدفع الباب وانفتح ، وإذا بنور شعّ في المكان ، فقال له الطارق : قل لأبيك بأن لايعاتب كثيراً ، لقد دفعتُ مالاً وسوف يأتون لكم غداً بالفحم ، وفي مكان كذا من حجرتك شمعة ، خذها وأنر بها الحجرة ، وقل لأبيك : نحن أيضاً لنا صاحب !

يقول الولد : عدتُ الى الحجرة ، فسألني أبي : من كان وراء الباب ؟

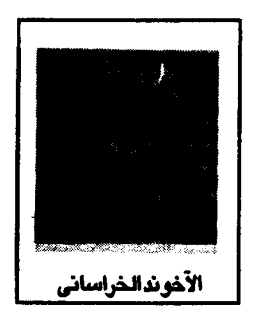
قلتُ: أولاً يجب أن أنظر هل الشمعة التي ذكرها موجودة في ذلك المكان من الحجرة؟

فجئتُ إلىٰ نفس المكان فوجدتُ فيه شمعة ، هنالك نقلتُ القصة لأبي وهو غارق في العجَب . فعانقني وقبّلني وقال : واصل دراستك يا ولدي .

وهل تعلم من كان الولد وماذا أصبح ؟

هو المرجع المعروف السيد أبو الحسن الاصفهاني الذي أعلىٰ الله مقامه[1] .

٣٠٦ صراحةُ الشّجْعان



الآخوند الخراساني

كان في عصر المرجع الكبير آية الله المجاهد الشيخ الآخوند الخراساني صاحب (الكفاية) ﵀، شخص يلبس زيّ العلماء ولم يكن ملتزماً بـ(التقوىٰ) ! وبعد مدّة خلع الزيّ وانضمّ إلىٰ خدمة أحد الحكام الظالمين . فسمع أن الشيخ الخراساني قال عنه : إنه فاسق . فجاء الىٰ الشيخ معترضاً: هل أنت قلتَ عني بأني فاسق؟!

فقال له الشيخ : لا ، وإنما قلتُ : إن فسقك أصبح ظاهراً ! [2]

٣٠٧ لا تَنْسَ شعيرَ الحِمار !

نقل الآخوند ملاّ علي الهمداني ﵀ : أن عالماً كان متصدّياً في احدىٰ القرىٰ للأنشطة الدينية كصلاة جماعة وتبليغ الأحكام الشرعية . وكان في تلك القرية خان (إقطاعي) يخاف العالم ، لذلك أخذ يرسل اليه سنوياً مقداراً من الشعير لإطعام حماره ، ليدفع عن نفسه تقريع العالم ويكسبه إلىٰ جانبه فيذكره في المجالس بالخير والصلاح .

إلاّ أن العالِم تنبّه جيّداً الىٰ ما يرمي اليه الإقطاعي ورأىٰ أن الشعير أصبح حاجزاً للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . لذلك قرّر أن يبيع حماره كي يستغني عن شعير الرجل ، وبالتالي يسهل عليه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . وهكذا نفّذ قراره وباع الحمار .

وذات مرة كان يحدّث الناس علىٰ المنبر ، وكان الإقطاعي جالساً ، فأمره بالمعروف ونهاه عن المنكر بالوصف لا بالاسم ،فعرف الإقطاعي أنه المعنيّ بالكلام ، فقال للعالِم فوراً : لاتنس شعير الحمار .

---

١ ـ جمع بين المصدر الذكور ص٤٦ وكتاب بالفارسية عن حياة السيد الاصفهاني صدر مؤخراً عن (منظمة الاعلام الاسلامي) ضمن سلسلة (لقاء الأبرار) .

٢ ـ نفس المصدر / ص ٦٥ .

فردّ عليه العالم : نعم ، ولكنيّ بعتُه ، فليس عندي حمار ! [١]

بهذا سجّل العالم المخلص موقفه المشرّف ليكون مثالاً لمن بعده من العلماء المبلّغين لرسالات اللّه الذين يخشونه ولا يخشون احداً إلّا اللّه .

٣٠٨ يا صاحبْ زمانْ ـ جَدّتي

نقل لي أحد المؤمنين الثقات من أهل الكويت ، انه سمع أحد الخطباء الايرانيين يقول: كنت جالساً في حافلة لأسافر الىٰ مدينة نائية من مدن ايران، وذلك في زمن الشاه .

لم يكن علىٰ المقعد بجانبي أحد ، وكنت أخشىٰ ان يجلس عندي من لا أرغب في جواره، فيضايقني في هذا الطريق البعيد . فسألت اللّه تعالىٰ في قلبي :

الٰهي ان كان مقدّراً ان يجلس عندي أحد ، فاجعله انساناً متديناً طيباً مونساً ؟!

جلس المسافرون علىٰ مقاعدهم ، ولم أرَ من يشغل المقعد الذي بجانبي ، فشكرت اللّه اني وحيد !

ولٰكني فوجئتُ في الدقيقة الأخيرة قبل الحركة ! بشاب مظهره كـ(الهيبيز) وبيده حقيبة صغيرة من صنع بلد أجنبي ، وكأنه من غير ديننا ، فتقدم حتىٰ جلس عندي ، قلت في قلبي : يا ربّ أهكذا تستجيبَ الدعاء؟!

تحركتْ السيارة ولم يتفوه أحد منا للثاني بكلمة ، لأن الانطباع المأخوذ عن المعمّمين في أذهان مثل هؤلاء الاشخاص كان انطباعاً سيّئاً ، بفعل الدعايات المغرضة التي كانت تبثها أجهزة النظام الشاهنشاهي ضد علماء الدين . لذلك آثرت الصبر والسكوت وانا جالس علىٰ اعصابي ، حتىٰ حان وقت الصلاة (أول وقت الفضيلة) ، واذا بالشابّ وقف ينادي سائق الباص : قف هنا ، لقد حان وقت الصلاة !

فرد عليه السائق مستهزئاً وهو ينظر اليه من مرآته :

اجلس ، اين الصلاة واين أنت منها ، وهل يمكننا الوقوف في هذه الصحراء ؟

قال الشاب : قلت لك قف وإلاّ رميتُ بنفسي ، وصنعتُ لك مشكلة بجنازتي !

ما كنتُ استوعب ما أرىٰ واسمع من هذا الشاب ، انه شيء في غاية العجب ، فأنا كعالم دين أوْلىٰ بهذا الموقف من هذا الشاب (الهيبيز) ! وعدم مبادرتي الىٰ ذلك كان احترازاً عن

---

١ ـ نفس المصدر / ص ٦٦ .

الموقف العدائي الذي يكنّه بعض لعلماء الدين ، لذلك كنت انتظر لأصلي في المطعم الذي تقف عنده الحافلة في الطريق .

وهكذا كنت أنظر الىٰ صاحبي باستغراب شديد ، وقد اضطر السائق الىٰ أن يقف علىٰ الفور ، لما رأىٰ اصرار الشاب وتهديده .

فقام الشاب ونزل من الحافلة ، وقمت انا خلفه ونزلت ، رأيته فتح حقيبته واخرج قنينة ماء فتوضأ منها ثم عيّن اتجاه القبلة بالبوصلة وفرش سجادته ، ووضع عليها تربة الحسين الطاهرة وأخذ يصلي بخشوع ، وقدّم لي الماء فتوضأت انا كذلك وصليت (صلاة العجب)!

ثمّ صعدنا الحافلة ، وسلّمتُ عليه بحرارة معتذراً اليه من برودة استقبالي له أولاً ، ثـم سألته : مَن أنت ؟

قال : ان لي قصة لابأس ان تسمعها ، لم أكن أعرف الدين ولا الصلاة وانا الولد الوحيد لعائلتي التي دفعتْ كل ما تملك لأجل أن أكمل دراسة الطب في فرنسا . كانت المسافة بين سكني والجامعة التي ادرس فيها مسافة قرية الىٰ مدينة. ركبتُ السيارة التي كنت استقلّها يومياً الىٰ المدينة مع ركاب آخرين والوقت بارد جداً وأنا علىٰ موعد مع الامتحان الأخير الذي تترتب عليه نتيجة جهودي كلّها .

فلما وصلنا الىٰ منتصف الطريق عطبتْ السيارة ، وكان الذهاب الىٰ أقرب مصلّح (ميكانيك) يستغرق من الوقت ما يفوّت عليّ الحضور في الامتحانات النهائية للجامعة، لقد أرسل السائق من يأتي بما يحرّك سيارته وأصبحتُ انا في تلك الدقائق كالضائع الحيران ، لا أدري اتجه يميناً أو يساراً ، أم يأتيني من السماء من ينقذني ، كنتُ في تلك الدقائق اتمنىٰ لو لم تلدني أمي (و أن تشق الأرض لأخفي نفسي في جوفها) ، انها كانت أصعب دقائق تمرّ عليّ خلال حياتي وكأن الدقيقة منها سهم يرمىٰ نحو آمالي ، وكأني أشاهد أشلاء آمالي تتناثر أمامي ولا يمكنني انقاذها أبداً .

فكلما انظر الىٰ ساعتي كانت اللحظات تعتصر قلبي ، فكدتُ أخرّ الىٰ الأرض وفجأة تذكرتُ ان جدتي في ايران عندما كانت تصاب بمشكلة أو تسمع بمصيبة ، تقول بكل احاسيسها : « ياصاحب الزمان »

هنا ومن دون سابق معرفة لي بهذه الكلمة ومن تعنيه قلتُ وبكل ما أملك في قلبي من حبّ وذكريات عائلية : « يا صاحبْ زمانْ جدّتي »! ذلك لأني لم أعرف من هو

(صاحب الزمان) ، فنسبته الىٰ جدتي علىٰ البساطة ، وقلتُ : فانْ أدركتَني مما أنا فيه ، أعدك أن أتعلم الصلاة ثم اصليها في أول الوقت !

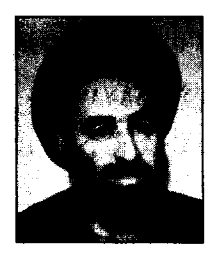
وبينما انا كذلك ، واذا برجل حضر هناك فقال للسائق بلغة فرنسية : شغّل السيارة ! فاشتغلتْ في المحاولة الاولىٰ ، ثم قال للسائق : اسرع بهؤلاء الىٰ وظائفهم ولا تتأخر، وحين مغادرته التفتَ اليّ وخاطبني بالفارسية :

نحن وفينا بوعدنا ، يبقىٰ أن تفي انت بوعدك ايضاً !

فاقشعرّ له جلدي وبينما لم استوعب الذي حصل ذهب الرجل فلم أرَ له أثراً .

من هناك قرّرتُ أن أتعلم الصلاة وفاءً بالوعد ، بل وأصلي في أول الوقت دائماً[1].

٣٠٩ إشارةُ الخبّاز



السيد محمد تقي المدرّسي

في عام (١٩٦٧م) وبسبب الانشطة الرسالية في كربلاء ، أخذتْ عناصر المخابرات العراقية تطوّق بعض المساجد والمدارس والبيوت وحرم الإمام الحسين والعباس عليهما السلام ، وهي الاماكن التي كانت المخابرات تحتمل أن يتواجد فيها العلامة المجاهد السيد محمد تقي المدرسي رجل الفكر والجهاد في عراق الظلم والاستبداد .

يقول لي السيد : كنت في ذلك الوقت في حرم الامام الحسين سيد الشهداء عليه السلام ، ولم أكن أعلم بالاستنفار لاعتقالي ، وعند خروجي من الحرم قلت مازحاً لأحد الاصدقاء الذي كان يمشي معي وهو من علماء الدين : « ان ملتقانا في سجن النهاية » !

وهكذا أخذت أمشي كالعادة متجهاً نحو بيتنا المطوّق ، وصلتُ الىٰ خبّاز في بداية زقاقنا ، تقدمت اليه لأشتري منه خبزاً ، فأشار اليّ بعينه (انهم يبحثون عنك) ، ولكنني لم أعرف مايعنيه الخبّاز من إشارته ، أعادها أكثر من مرة ، وكنت أعتبر اشاراته لا تعني أمراً خطيراً، وأساساً كان بالي مشغولاً في أمور أخرىٰ .

أخذت الخبز ومشيت بشكل طبيعي نحو البيت ، ولكني شعرت علىٰ طول الطريق ، بوجوه جديدة وكانت عيونهم وحركاتهم غريبة ، ورغم ذلك لم يخطر ببالي أني انا المطلوب !

---

١ - هذه القصة قرأتها ايضاً في كتاب بالفارسية اسمه (داستانهاى نماز) ـ ص ١٢٣ مع تفاوت قليل.

فدخلت بيتنا ، واذا بوالدي ووالدتي يحتضناني بعجب واستغراب، سألني والدي : كيف جئت ، أما رأيت البيت محاطاً بعناصر المخابرات ، ما رأوك في الطريق ؟!

قلت : كلا .

قال : انهم يبحثون عنك ، جاءوا الىٰ البيت وفتّشوا زواياه واستجوبونا .

قلت : اني جئت ولم يسألني أحد .

صدق اللّه تعالىٰ : ﴿ وجَعلْنا مِن بيْنِ أيديهِم سَدّاً ومِن خَلْفِهِم سَدّاً فأغشَيْناهم فهُم لايُبْصِرون ﴾[1]

٣١٠ مِن عِنايات اللّه تعالىٰ

ومن عنايات اللّه تعالىٰ لآية اللّه المجاهد السيد محمد تقي المدرسي (حفظه اللّه)، انه في سنة (١٩٧١م) كان مطارداً من قبل اجهزة المخابرات البعثية في العراق وذلك إثر اعتقال خاله العلامة آية اللّه الشهيد السيد حسن الشيرازي‏.

فاختفىٰ في بيت مهجور بكربلاء ، وصادف ان حدثت سرقة كبيرة في إحدىٰ البيوت المجاورة لهذا البيت ، فجاءت الشرطة تبحث عن السارق أو للتحقيق في ملابسات الحادث، فأخذتْ تفتش البيوت كلها الاّ ذلك البيت المهجور ، فلم يطرقوا بابه أو يقتحموه، في الوقت الذي يفترض بناءً على الحسابات البشرية ان يبدأوا التفتيش عن السارق أو المسروقات من البيت المهجور ، فلعلّه مخبأ له . ولكن للّه في رجاله ألطاف خفية ، ذلك من فضل اللّه ، وكان اللّه للمؤمنين نصيراً .

يقول السيد المدرسي : علمت فيما بعد انني في تلك الساعة التي كان يفتش فيها الشرطة تلك البيوت، كنت مشغولاً بالدعاء وانا لا أدري ما يدور حولي خارج البيت!

٣١١ مهمّةٌ رساليةٌ موفَّقة

بسبب انشطته الرسالية اضطر أن يهرب العلامة المجاهد آية اللّه السيد محمد تقي المدرسي (دام ظلّه) من العراق سنة (١٩٧١ م) ، فحكم عليه حزب البعث العراقي بالإعدام غيابياً .

---

١ ـ سورة ياسين / ٩.

وأخذ السيد يواصل نشاطه عبر البلاد الحرّة ، كلبنان والكويت هادفاً انقاذ العراق وشعبه المسلم من (العسكرتارية ـ البعثية) .

في سنة (١٩٧٥) قرّر السيد رغم المخاطر ان يقتحم الحواجز (الأمنية) في العراق فيدخل وطنه لإجراء اتصالات ولقاءات حركية هامة مع العناصر الجهادية هناك ، بالإضافة الىٰ شوقه العميق لزيارة العتبات المقدسة التي نشأ في اجوائها منذ أن فتح عينيه علىٰ الحياة وهو من عائلة علمائية عريقة في التديّن والجهاد .

يقول السيد المدرسي : دخلت الأراضي العراقية بسيارة أقودها شخصياً ، فعند الحدود ، عمىٰ اللّه عين الشرطي الذي فتح جوازي (المزوَّر) ولم يتعرف علىٰ صورة حامله !

واصلت المسير الىٰ النجف الأشرف ، وهي المحطة الاولىٰ لمهمتي الرسالية ، فزرت مرقد الامام علي عليه السلام ثم زرتُ عمتي وهي زوجة المرجع الديني الورع المرحوم آية اللّه العظمىٰ السبزواري ، الذي استغرب بعجب بالغ لما وجدني عند الباب .

بعد ذلك اتجهت نحو مسجد السهلة ومسجد الكوفة ، وزرت ايضاً مقام المجاهد الثائر الفقيه الصالح زيد بن علي السجاد عليه السلام وهناك لاحظت اني مراقب بسيارة أمن شخصية ، فأينما اتجه تتجه خلفي . فكّرت في المهرب منها فأوقفتُ السيارة في مكان مظلم ودخلت المسجد ، ثم عدت اليها فتحركت من دون فتح الإضاءة ، انطلقتُ الىٰ كربلاء عبر طريق فرعي ترابي كنت أعرفه قديماً .

ولما وصلت الىٰ كربلاء مدينتي وساحة ذكرياتي الجميلة ، زرتُ البطلين الشهيدين الحسين والعباس عليهما السلام أولاً ، ثم عقدتُ جلساتي مع الأصدقاء وخرجت الىٰ بغداد لإتمام مسيرة اللقاءات الخاصة ، وزرت مرقد الامامين الكاظم والجواد عليهما السلام وانطلقت خارجاً الىٰ مدينة سامراء، حيث زيارة مرقد الامامين الهادي والعسكري عليهما السلام والتقيت بمن لابد أن التقيه ايضاً .

هنا تمت فصول المهمة الصعبة ، فاستفتحتُ كتاب اللّه الكريم (القرآن الحكيم) مستخيراً للعودة الىٰ بغداد ، فكانت الآية ناهية ، وللعودة الىٰ كربلاء ، فكانت ناهية ، وللعودة الىٰ النجف ، فكذلك .. فاستخرت اللّه تعالىٰ للبقاء في سامراء ، فظهرت الآية الكريمة ناهية ايضاً ، فاستخرت للذهاب الىٰ الكويت ، فطالعتني الآية بالإسراع في الخروج من العراق !

وهكذا انطلقت نحو الحدود العراقية ـ الكويتية ، فدخلت الكويت آمناً ، ثم وردتني أخبار من الأصدقاء أن المخابرات البعثية استنفرت في البحث عنك !

شكرت ربّي علىٰ نعمة التوفيق لأداء المهمة والخلاص من يد المجرمين ، ولكني أخذت أعود بذاكرتي، من يا ترىٰ علم بوجودي في الأراضي العراقية فأخبر المخابرات؟!

تذكرت انّ رجلاً كان يعرفني سابقاً ، وكأنه انزرع أمامي وجهاً لوجه مرة واحدة .

فقال لي : ماذا تفعل هنا يا سيد ؟

قلت : جئت لأزور جدّي الحسين ، وانا علىٰ عجل الآن .

قال : كيف التقي بك ثانياً ؟

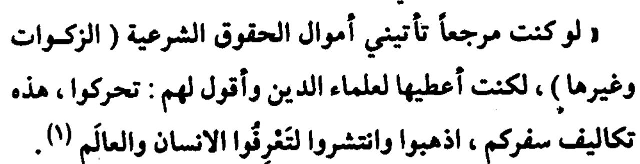
قلت : في كربلاء ليلة الجمعة عند ضريح الحسين عليه السلام ! ولكني لم أذهب تلك الليلة، حذراً من أن يكون الرجل يتعاون مع المخابرات العراقية علىٰ الإثم والعدوان ، وبالفعل كان الرجل كذلك .

٣١٢ الانتشار ضرورةٌ حضاريّة



الشيخ عبد الحسين الأميني

العلاّمة الأميني (صاحب الغدير) واحد من الذين قدّموا خدمات جليلة للاسلام والامة ، عاد من سفره الىٰ بلاد الهند ، وكان انطباعه عنها مايلي :



« لو كنت مرجعاً تأتيني أموال الحقوق الشرعية (الزكوات وغيرها) ، لكنت أعطيها لعلماء الدين وأقول لهم : تحركوا ، هذه تكاليف سفركم ، اذهبوا وانتشروا لتَعْرِفُوا الانسان والعالَم [١] .

ولا أراني بحاجة الىٰ أكثر من تعليقة واحدة ، والمرحوم الأميني كان يعرفها جيداً ، أقول : «لقد زرعوا (لو) فلم يحصدوا شيئاً سوىٰ المزيد من (آه) ، فعلىٰ من تقرأ مزاميرك ياداوود» !

ولكن الانتشار لتبليغ الدين يبقىٰ هو الضرورة الحضارية التي تنادي المراجع والعلماء والخطباء ، فبالانتشار والتوسّع يأتي المال أيضاً أما قال اللّه تعالىٰ :

﴿ ومَن يُهاجِر في سبيلِ اللهِ يَجِد في الارضِ مُراغَماً كثيراً وسَعةً ومَن يَخرُج مِن بيتِه مهاجِراً الىٰ اللهِ ورسولِه ثُمّ يُدرِكْه الموتُ فقد وَقَعَ أجرُه علىٰ اللهِ وكان اللهُ غفوراً رحيماً﴾ [٢]

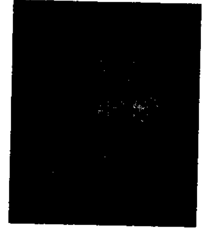
---

١ ـ نقلاً عن كتاب بالفارسية (حماسة غدير) تأليف محمد رضا الحكيمي .

٢ ـ سورة النساء / ١٠٠ .

من هنا فإن ادارة الحوزات العلمية ينبغي لها أن تسهّل الطريق لإرسال العلماء الىٰ انحاء العالم ، فما أحوج الناس في مشارق الأرض ومغاربها الىٰ مبلّغين !

٣١٣ مجتهدٌ اليوم ومرجعٌ غداً



المرحوم السيد السيستاني

حكىٰ لي أحد العلماء السادة والخطباء المعروفين في مدينة مشهد المقدسة انه : قبل ثلاثين عاماً تقريباً حينما قرّرت شراء دارٍ من أخي ذهبتُ معه إلىٰ مسعِّر ، وكانت العادة أن المسعِّر اذا خمّن سعر دارٍ يُخصَم منه ألفان ثم تُمضىٰ المعاملة بين الطرفين، فلمّا سعّر الرجل دار أخي بمبلغ ، قال لي أخي خصمتُ من هذا المبلغ ثلاثة آلاف ، وكان يريد أن يخدمني بهذا الإرفاق ، وكنت أنا لا أقبل الا بما لو كان يتعامل مع رجل أجنبي . فلاحظ المسعِّر نقاشنا وظن اننا نتنازع علىٰ السعر فقام من مكانه ودنا حتىٰ يصلح بيننا، فلما أدرك أن (النزاع) يدور حول تخفيض من البائع وعدم قبول المشتري بضرر البائع ابتسم وعاد الىٰ مكانه وهو يقول : ما دام نزاعكما من هذا النوع فواصلا فيه !

ولما تمّت بيننا الموافقة علىٰ السعر بقي تسعير الأشياء المضافة الىٰ الدار والتي تُحسب عرفاً علىٰ حِدة وبسعر مستقل ، ولكن أخي أبىٰ أن يحسب لها حساباً مستقلاً فقال إنها ضمن سعر الدار ولا حاجة الىٰ أن تدفع لي مبلغاً إضافياً ، من أين تستطيع توفير المال وأنت طالب فقير في الحوزة الدينية . فمنه الإصرار علىٰ الإرفاق ومنّي الإصرار علىٰ عدم الإضرار به حتىٰ قرّرت الذهاب الىٰ مسعِّر في المحلّة كان كبير السنّ معروفاً بالتديُّن ، ولما جئته وجدته جالساً يترحّم علىٰ العالم المقدّس آية اللّه الحاج السيد علي السيستاني (أعلىٰ اللّه مقامه) - وهو جدّ المرجع الديني المعاصر السيد علي السيستاني (دام ظله) ، فقبل السؤال منه عمّا جئتُه لأجله سألته ما علاقتك أيها الحاج بالسيد السيستاني رحمه الله ولماذا هكذا تترحّم عليه؟

فقال انه كان ذا كرامات عجيبة ، عرفتُه من قرب ، اللّه يرفع من درجاته في الجنة ، لقد رأيت منه أشياء غريبة ، لا تكونَ إلّا لمن قطع أشواطاً في التقرّب الىٰ اللّه تعالىٰ .

قلت : فما هو الشيء الذي تتذكره عنه الآن ؟

قال : لقد أخبرني يوماً أن ولده الحاج السيد محمد تقي لا يبلغ في العلوم الاسلامية

مقاماً محموداً ، فهو مجرّد إنسان متديّن ورع وعالم في حدوده لا أكثر ، بينما يولد له ولد اسمه اسمي سوف يدرس حتىٰ يبلغ درجة الاجتهاد ويصبح مرجعاً كبيراً للشيعة في العالم .

وكان هذا قبل ولادة حفيده السيد علي السيستاني بسبع سنوات ، وإني أرىٰ هذا الحفيد مجتهداً اليوم ومرجعاً غداً .

وكذلك تحقّقت الكرامة وصدق التنبّؤ للجدّ في حق الحفيد السيّد السيستاني (متّع اللّه المسلمين بطول بقائه) .

٣١٤ هٰذِه مِن الواجبات

حمل آية اللّه الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء ﷺ راية الاسلام في وجه المستعمرين الانجليز ونادىٰ بالجهاد ضد الصهاينة المحتلين لفلسطين المسلمة ، وله في القضايا السياسية والاجتماعية مواقف مشرفة قد توّج بها سمعة العلماء الصالحين وسجّل الرأي الاسلامي الواضح للمسلمين الشيعة في قضايا الامة الاسلامية الراهنة ، سيما قضية فلسطين المحتلة . وقد عُرف الشيخ كاشف الغطاء في أوساط علماء السنة والجماعة بحرصه الجادّ علىٰ وحدة المسلمين .

يقال انه سُأل مرة : « ما بال سماحة الامام كاشف الغطاء يتدخل في السياسة وهو رجل دين » ؟

فرد قائلاً : « اذا كان مفهوم السياسة يعني طلب الخير ، والخدمة للناس ، وارشادهم، ومنع الفساد والخيانة ، فاننا حتىٰ قمة رؤوسنا غارقون فيها ، وهذه من الواجبات . ان هذه السياسة، هي النيابة العامة (للنبي والائمة وهي خاصة بفقهاء الدين الاسلامي) وهي الزعامة الشرعية والخلافة الالهية التي قال عنها اللّه تعالىٰ لداود :

« ياداود انا جعلناك خليفة في الارض فاحكم بين الناس بالحق ... »

فسياستنا سياسة النبي والائمة ، السياسة الخالية من كلّ أنواع الهوىٰ والطمع والتلوّث بالمعاصي »[١]

---

١ ـ مجلة (حوزه) العدد ٥٦ ـ ٥٧ ـ ص ٣٤١ ـ صادرة في حوزة قم .

٣١٥ مِن دروسِ الأخوّة الايمانيّة

جاء قادم من إحدىٰ الدول الخليجية الىٰ مدينة قم المقدسة ، فالتقىٰ بمرجعه الذي هو سماحة آية اللّه العظمىٰ السيد محمد الشيرازي (دام ظله العالي)

سأله السيد الشيرازي ـ كعادته ـ عن أوضاع المسلمين والمؤمنين في تلك الدولة وفي أثناء سرد الرجل لمجموعة من الاخبار ، ذكر اسم أقرب مسجد الى منزله .

فقال له السيد الشيرازي : من يصلي فيه ؟

قال : العالم الفلاني ، وذكر اسمه .

قال السيد : وهل تصلي خلفه ؟

قال : أبداً !

قال السيد : ولماذا ؟

أجابه الرجل : لأنه يجاهركم بالغيبة سيّدنا !

قال السيد : هذا هو السبب فقط ؟

قال : نعم سيدنا ، انه فاسق بارتكابه الغيبة وكلامه ضدّكم .

فقال له السيد الشيرازي انا أقول لك : اذهب وصلِّ خلفه ولا تبالي !

قال الرجل باستغراب : سيدنا ، انه باغتيابكم وتمزيقه لصفوف الناس وبثه التفرقة حتىٰ بين العائلة الواحدة بسبب ان فيها من يقلدكم ، لا تبقىٰ له عدالة ، أليست عدالة الإمام شرط صحة الاقتداء به كما اتفق الفقهاء وسماحتكم منهم ؟ !

ابتسم السيد وكرّر قائلاً : انا صاحب الحق ، فقد عفوت عنه ، ومتىٰ ما اغتابني فان عفوي له باق علىٰ حاله ، اذن عدالته لا تكون ساقطة من هذه الناحية ، فالتزمْ بصلاة الجماعة خلفه ، وانصحه بالتي هي أحسن وبدون حضور الآخرين ، كيلا تأخذه العزّة فيصرّ علىٰ موقفه ، كونوا اخوة متحابين في اللّه ، متعاونين لدين اللّه . ذلك من دروس الاخوة الايمانية .

وفي الحديث عن علي عليه السلام : «المؤمن مَن طهّر قلبه من الدنيّة» وقال ايضاً : «المؤمن غريزته النصح»[1].

---

١ - غرر الحكم / ج١ ـ ص٨٤ و٤٧.

٣١٦ أنا جبرئيل !

قرأت قبل سنوات كتاباً (لا أذكر اسمه) جاء فيه : سافر أحد العلماء واسمه السيد جبرئيل ، ومعه عنوان منزل احد العلماء ، فلما وصل وكان الوقت منتصف الليل طرق الباب، فاستيقظ صاحب الدار ينادي : مَن وراء الباب ؟

اجابه السيد : انا جبرئيل !

فقال العالم لزوجته : لقد نزل علينا الوحي ! فهذا جبرئيل يطرق الباب !

ولمّا استقرّ الضيف وجلس سأله العالم : هل تشتهي طعاماً ؟

قال السيد جبرئيل : بالطبع ، أنا جبرئيل الارض آكل من طعامكم ، هل حسبتَ أني جبرئيل السماء !!

٣١٧ سَقَطَ الجنين

في يوم من سنة (١٩٩١) الميلاديّة الموافق لسنة (١٤١١) الهجرية ، جاءني أحد الاخوة المؤمنين في حسينية الامام المهدي بالدنمارك ، وقال بأن زوجته الدنماركية تريد ان تعلن اسلامها بحضورك .

قلت : لا بأس .

وبعد أن استفسرت منه نبذة عن حياتها اتفقنا علىٰ أن يأتي معها صباح الغد.

فاجتمعنا في الموعد ، ولبّىٰ صديقي الغالي الأستاذ أبو عبد الله دعوتي له فحضر ايضاً.

في البدأ تحدّثتُ أقل من ساعة واحدة حول مفاهيم اسلامية عامة ، كالتوحيد والنبوة والامامة والجنة والاخلاق والهدف من الحياة وحقيقة السعادة والطريق اليها ، والدعايات المغرضة ضد الاسلام في الغرب ومحاربة المسلمين ، وان الاسلام لا يعادي أهل الكتاب وعن مكانة المرأة في الاسلام . ، والىٰ آخر هذه المفاهيم ، بغية ان يأتي قبولها للاسلام بدافع أقوىٰ وبصيرة أفضل ولكيلا تصطدم بواقع بعض المسلمين المنحرفين فتندم علىٰ اعتناقها للاسلام ، وساهم الاستاذ ابو عبد الله في المزيد من البلورة لهذه المفاهيم ايضاً وهو صاحب خبرة قديمة في هذا المجال .

ولكن قبل أن تنطق المرأة بكلمة الشهادة ، طلبتُ منها أن تذكر لنا سبب قبولها للإسلام ؟

فقالت : قبل أن اتزوج بزوجي هذا ، كنت اكثر من عشرين عاماً لا أنجب رغم انني تزوجت لهذا الغرض أكثر من واحد ، ثم حصل الطلاق ، ذلك لأني شديدة الحبّ للطفل.

وبعد ما تزوجت مع هذا الرجل المسلم أخذ يكلمني عن الاسلام ويجلب اليّ كتباً ومجلات اسلامية ، وفي الحقيقة كان يهمني الحمل أكثر من الدين ، على عكس زوجي المسلم ، الذي يهمّه الدين في الدرجة الاولىٰ .

واستمرت الايام والشهور ، ولم أرَ للحمل أثراً ، فتأكّد لي بأن النقص مني ، لا من غيري. فحزنتُ على ما آل إليه أمري ، وأخذتْ الكآبة تستولي على حياتي حتىٰ ذات مرة قال لي زوجي : ان في الاسلام قانوناً اسمه (النذر) فمن له حاجة ينذر للّه تعالىٰ اذا حصل عليها قدّم خيراً وعمل صالحاً .

فقلتُ في نفسي : فلمَ لا أقدم على النذر ؟

لذلك قررتُ ان انذر للّه تعالىٰ اذا حملتُ سوف اعتنق هذا الدين !

فبعد مرور شهر على النذر حملت ، وكان الفرح الذي استولىٰ عليّ في درجة لاتوصف .

وهنا جاء دور الوفاء بالنذر ، الاّ ان اعتناقي للاسلام يعني الالتزام بالحجاب وترك العديد من العادات التي كبرنا معها في مجتمعنا كالاختلاط والمصافحة ونوع المأكولات وغيرها .

واصعب من هذه الامور كلّها هو المقاطعة التي كنت انتظرها من أهلي وصديقاتي .

وهكذا صرتُ بين كمّاشتين ، فكنت في مأزقٍ ماعرفته في حياتي من قبل ، فوسوس اليّ الشيطان قائلاً : « مادمتِ حصلتِ على حاجتك ، فلا حاجة لأنْ تورطي نفسك في المشاكل باعتناقك للاسلام » .

واخيراً قررت ان لا أسمح للصراع الذي احتدم في نفسي بالاستمرار ، اذ قضيتُ عليه بقراري الحاسم التالي : « نعم لا حاجة لاعتناق الاسلام ، فها أنا قد حصلت على مأربي » !

ولكن بعد أقلّ من اسبوعين من اتخاذ هذا القرار ، وعدم التفكير في العودة عنه والتوبة الىٰ اللّه سقط الجنين !

فعرفت ان اللّه حق والاسلام حق والنذر حق والحساب حق والعقاب حق ، ولا مجال للمناورة ولا المجاملة في المعتقدات الاسلامية ، فهي متصلة بالغيب من اللّه القادر على كلّ شيء . فرجعتُ الىٰ اللّه نادمة ، وقررتُ ان اعتنق الاسلام ، الذي دلّتني تجربة النذر على حقانيته .

وها انا الآن أُسمعُكم شهادتي التي علمنيها زوجي (فقالت بالعربية) :

(اني اشهد أن لا اله الاّ اللّه وحده لا شريك له ، واشهد أنّ محمداً عبده ورسوله)

واضافت قائلة : واني من شيعة الامام علي ولي اللّه ووصي رسوله من بعده .

وهكذا باركنا لها اسلامها وتشيّعها ، متمنين لها سعادة الدنيا والآخرة ، بجاه سيدنا محمد وآله الطاهرين وأصحابه الصالحين ، آمين يارب العالمين .

٣١٨ رَقَبَتي ناعمةٌ لا تتحمّل العذاب

ينبغي للانسان المسلم ان لا يعطي رأيه في القضايا الدينية الاّ بعد التأكُّد من صدورها عبر مرجع ديني أو عالم مطّلع بالأحكام الشرعية .

ان الالتزام بهذا المنهج من شأنه ان يعالج الكثير من سلبيات المجتمع ومشاكل الحياة وما يعانيه الناس .

فعلى الانسان ان يعلم بأن كلّ ما يصدر عنه من توجيه وفتوى يكون قد جعل رقبته جسراً للناس فيه وسوف يسأله اللّه تعالى ان كان الجسر قد ادّى بالمارّين عليه الى المعاصي والاخطاء أم الى الطاعة والهناء .

هذا الكلام هو للعلامة آية اللّه السيد محمد تقي المدرسي (حفظه اللّه تعالى) الذي يضيف قائلاً : « انّ جدّي المرحوم آية اللّه العظمى السيد ميرزا مهدي الشيرازي كان في كثير من الأحيان يبكي حينما يطلبون منه فتوىً في قضية شائكة ، فكان يجيبهم ـ حسب تعبيره ـ: ان رقبتي ناعمة ، لا تتحمل العذاب »[١].

وفي الحديث عن علي عليه السلام : «ان العاقل مَن نظر في يومه لغده»[٢].

٣١٩ مِن أجل إصلاح القلوب

يقول آية اللّه الملكي التبريزي ـ المتوفى سنة ١٣٤٣ هـ ـ رحمه الله :

كان لي شيخ جليل عارف قدّس اللّه تربته (يقصد آية اللّه الشيخ حسين قلي الهمداني) وما رأيتُ له نظيراً ، سألته عن عمل مجرَّب يؤثر في إصلاح القلب وجلب المعارف الألهيّة ؟ فقال رحمه الله : ما رأيتُ عملاً مؤثراً في ذلك مثل المداومة على سجدة طويلة في كل يوم وليلة مرة

---

١ ـ التمدن الاسلامي / ص ٢٧٧.

٢ ـ غرر الحكم / ج١ ـ ص٢٣٨.

واحدة ، يقال فيها : « لا إله الاّ انت سبحانك اني كنت من الظالمين » شريطة أن يقرأها ويتصوّر نفسه في سجن الطبيعة مقيَّداً بقيود الاخلاق الرذيلة ، وهو يقرّ للّه تعالىٰ قائلاً : «إلٰهي لم تفعل ذلك بي ولم تظلمني انما انا الذي ظلمتُ نفسي واوقعتُها في هذه الرذيلة والبُعد عنك».

ثم بالإضافة الىٰ هذه السجدة والاذكار يداوم علىٰ قراءة سورة القدر في ليلة الجمعة وفي عصرها مائة مرّة .

ويضيف آية اللّه التبريزي : وكان أصحابه يعملون بذلك ،كلّ منهم علىٰ حسب سعيه ومجاهدته ، وبعضهم كان يكررها ثلاثة آلاف مرّة .

وبالجملة فإن هذه السجدة وبركاتها معروفة عند العاملين بها ولكن بشرط المداومة والمعرفة [١].

٣٢٠ جوازُ اختلاف الرأي

قال الامام الخميني ﷺ يوماً في درسه للفقه الاسلامي الاستدلالي المعروف في الحوزة بـ (بحث الخارج) :

انّ مسألة (اليانصيب) من مسائل الفقه الاجتهادية ، وقد تختلف فيها آراء المجتهدين، لأن مثل هذه المسألة ليست من مسائل الفقه الضرورية (البديهيّة) والواضحة ليتفق فيها الجميع .

في هذه المسألة (اليانصيب) كان المشهور أن المرحوم الخونساري والمرحوم السيد يونس الاردبيلي (رحمهما اللّه) يقولان بجوازها .

طبعاً اجتهادهما أدىٰ الىٰ الجواز وهذا لا يبرر أن نطعن فيهما لأنهما أفتيا بذلك ، كما انه ليس لهما أن يطعنا فينا لأننا لا نقول بالجواز ، بل يمكنهما أن يبحثا المسألة معنا بحثاً علمياً .

يجب ان يكون السادة ـ الطلاّب ـ متنبّهين جيداً الىٰ أعمالهم الصغيرة ، وأن يكونوا متنبهين الىٰ ألفاظهم جيداً ، حتىٰ ـ لاسمح اللّه ـ لا يُسلَب التوفيق منهم بواسطة شطر كلمة ، أو يُخرَجون من زمرة المحصّلين ، أو يُخرَجون عن الطريق الإلٰهي والصراط المستقيم . [٢]

---

١ ـ سيماء الصالحين / ص ١٩٤ ـ نقلاً عن كتاب (اسرار الصلاة) ص ٢٧٠ .

٢ ـ نفس المصدر / ص ٢١٢ ـ نقلاً عن رسالة نوين (بالفارسية) ج ٢ ص ٢٦٦ .

٣٢١ إذا اغتبتَ أحداً، تطهَّرْ

قال أحد كبار العلماء: لما كنتُ في شبابي طالباً في مدرسة علمية، تعرّض بعض الاشخاص لغيبة آية الله العظمىٰ السيد حجت ﷺ في المجلس الذي ضمّني معهم، فاستمعتُ للغيبة انجراراً مع الجوّ الذي كان يحكم ذلك المجلس. هذا مع ان السيد كان أستاذي، لأني درست عنده فترة، وحصلتُ منه علىٰ جائزة في مسابقة علمية أجراها لنا مع طلبة آخرين. فغدوتُ اعاتب نفسي، لماذا سيطر عليّ جوّ ذلك المجلس فاغتبتُ السيد. صرتُ بعد ذلك ابحث عن فرصة مناسبة لألتقي به واسترضيه عني، حتىٰ جاءت الفرصة في صيفٍ كان السيد قادماً الىٰ زيارة مرقد السيد عبد العظيم الحسني (في طهران). فذهبت الىٰ البيت الذي يقيم فيه، وكان الوقت عصراً، فلما فتحوا الباب، قلت: اخبروا السيد حجّت ان فلاناً عند الباب.

كان السيد في غرفته، فأذِنَ لي بالدخول. اتذكر عندما دخلتُ عليه، رأيته واضعاً قلنسوة علىٰ رأسه متكئاً علىٰ مسند، وكان يبدو عليه أثر المرض والتعب لشيخوخته.

قلتُ له: سيدي، جئتُ لأقول لك شيئاً!

قال: ما هو ذلك الشيء؟

قلت: انني اغتبتك بعض الشيء! ولكنني استمعت اليها من الآخرين أكثر! والآن انا نادم علىٰ ذلك بشدة، ولأني قررتُ ان لا استغيبك مرة أخرىٰ، ولا استمع للغيبة ايضاً، جئتُ اليك لتعفو عني!

قال السيد حجّت وبكل طيب وعظمة: ان الغيبة لأمثالنا علىٰ نوعين!

تارة تكون الغيبة استهزاء بالاسلام وتوجيه اهانة للدين وتارة تكون الغيبة موجّهة لشخصي انا!

يقول هذا العالم: حيث اني عرفتُ ماذا يقصد السيد حجّت، اجبته: انني ما أهنتُ الاسلام، وانما اغتبتك انت شخصياً!

فقال السيد: إذَن عفوتُ عنك.

ويضيف هذا العالم الذي نقل قصته في محاضرته حول التوبة وحقوق الناس: ان الانسان اذا أراد أن يتوب، يلزمه اعطاء حقوق الناس التي عليه، فاذا اغتاب أحداً أو اتّهمه مثلاً

وجب عليه ان يسترضيه ، واذا كان طرفه ميتاً ، وجب عليه ان يستغفر اللّه له علىٰ اغتيابه ويطلب المغفرة لأولئك ، ويحسن بالخيرات لهم ، حتىٰ يجلب رضاهم [1].

واخيراً ، هل تعلم من هو هذا العالم الذي غلب علىٰ هواه يوم كان شاباً وهو في بداية اشتغاله بدراسة العلوم الدينية ؟

هو العلامة الشهيد آية اللّه المطهري ﷺ. ولم يصل الىٰ الدرجة التي وصل اليها في حياته الاّ بعد ان مارس الجهاد الاكبر لترويض نفسه .

هكذا يطهّر الهادفون في الحياة نفوسهم من ادران الخطيئات ، حقاً انها عملية تربوية شجاعة ، ولذا فإنها تستعقب خيراً وعظمة .

٣٢٢ يا مُحسِن قد أتاك المُسيء

نشب نقاش علمي ساخن بين عالمين كبيرين ، هما المولىٰ خليل القزويني والملاّ محسن فيض الكاشاني ، وكانت النتيجة أن لم يقتنع أحدهما برأي الآخر ، والقناعة ـ كما تعلم ـ ليست بالقوة ، فانفضّ المجلس من دون ان يحمل احدهما علىٰ الآخر حقداً أو كراهية .

مرّتْ أيام قليلة فعرف المولىٰ خليل انه كان مخطئاً ، والحق في الموضوع هو بجانب الملا محسن ، فخرج مشياً علىٰ قدميْه من مدينته (قزوين) الىٰ مدينة (كاشان) .

جاء وطرق باب منزل الملاّ محسن الكاشاني ورفع صوته من وراء الباب : يا محسن قد أتاك المسيء !

عرفه الملاّ محسن من صوته ، فجاء مسرعاً ، وفتح الباب فعانقه وادخله المنزل . ثم بعد ساعة من الجلوس قام المولىٰ خليل القزويني وعاد الىٰ مدينته (قزوين) . حاول الملاّ محسن ان يبقيه عنده اياماً . ولكن المولىٰ خليل أجابه : انني جئتك لأعترف لك بخطئي وصحة رأيك لا اكثر [2].

٣٢٣ رسالة اللقاء والتلاقي

سألني أحد زوّار الامام الرضا عليه السلام في مشهد المقدسة قائلاً : هل بلغتَ درجة الاجتهاد وقد بلغها فلان ـ كما يقولون ـ ! .

---

١ ـ مردان علم در ميدان عمل / ص ١٦٣ .

٢ ـ الفوائد الرضوية / ١٧٣ .

قلت : أنا أصغر خادم لكل مجتهد تتوفر فيهم ثلاثة شروط ماعدا الشروط الثابتة في الكتب الفقهية ، علماً أن حقيقة هذه الشروط الثلاثة لاتنفك عن الشروط الثابتة ، ولكني ابرزها لتكون أمام المرأىٰ شاخصةً دائماً حتى يؤتي الاجتهاد ثماره النافعة :

الشرط الاول : كما يدقّق المجتهد في سند الرواية التي يجلس لأجلها ساعات طويلة لاستنباط حكم فقهي منها ، فليدقّق أيضاً في سند الخبر الذي يقرؤه هذا وذاك في أُذنه عن فلان وعلان فلربما يرميه في مجابهات تُتْلِف عليه نتاج اجتهاده والهدف من الدراسة .

الشرط الثاني : وكما يقرأ آراء السابقين بدقة ليناقشها في حضور طلبته فيرد عليها أو يقبلها أو يضيف إليها بغرض إشباع الرؤية ـ حسب الطريقة المتداولة في بحث الخارج الاستدلالي للفقه ـ فإنه حبّذا وبهذه الدقة تعامل ايضاً مع آراء معاصريه ، فلايكتفي بالسماع عنهم أو القاء نظرة سريعة في عناوين كتبهم ليصدر حكماً يكبّ به الناس في ساحة التراشق والتنابز بالألقاب .

الشرط الثالث : أن يفرّ من الغرور والعُجْب بالنفس كفراره من لهيب نار تلاحقه .

ثم أضفت الىٰ الزائر الكريم : لا خير في ألف مجتهد ان لم يلتقوا معاً ، أو كحدٍ أدنىٰ لم يهدموا بعضهم بعضاً ، كما لا خير في حوزات وعلوم تكون عقيمة في بثّ الاصلاح .

فقال الزائر : إذن ما هي الخطوة اللازمة ؟

قلت : أن تشكّل ثلّة من ذوي الهمم وفداً لإبلاغ المراجع والعلماء رسالة اللّقاء والتلاقي ، وتذكّرهم بهذه الشروط الثلاثة ، والإصلاح في الحوزات علىٰ مستوىٰ تكثيف الدروس العقائدية والأخلاقية والتربوية ، والا فـ:

«لو كان في العلم من دون التُّقىٰ شرفٌ لكان أشرف خلق اللّه إبليس»

٣٢٤ ولِمِثلِهِم فَلْتَذْرِفِ الدّموع

قيل : إن آية اللّه العظمىٰ البروجردي ﵀ كان شديد الحبّ لأهل البيت ، وقلبه يعتصر ألماً وحزناً عند سماعه للمصائب الفجيعة التي وردت عليهم . فذات مرّة أقام في بيته مجلس قراءة حسينية ، فصعد المنبر ملاّ الانصاري القمي ، وقرأ اشعار آية اللّه الكمپاني، حيث يصوّر فيها مصيبة الزهراء البتول بنت خير الانبياء محمد ﷺ ، فبكىٰ آية اللّه البروجردي حتىٰ أغمي عليه ، فجاء الحاج أحمد (خادم السيد البروجردي) مسرعاً يوقف الخطيب

القمي عن المواصلة [1] أجل ولمثلهم فلتذرف الدموع وليصرُخ الصارخون ويضجّ الضاجّون ويعجّ العاجّون ... إنّ المصاب عظيم .

أجل ولمثلهم فلتذرف الدموع وليصرُخ الصارخون ويضجّ الضاجّون ويعجّ العاجّون ... إن المصاب عظيم .

٣٢٥ السلامُ عليك يا أمير المؤمنين

الشيخ فاضل اللنكراني

عامٌ بعد وفاة الامام الخميني (رضوان الله عليه) ـ يعني سنة ١٤١٠هـ ١٩٩٠م ـ سافر المرجع الديني الحاج الشيخ محمد فاضل اللنكراني (دام ظله) الىٰ لندن لعلاج قلبه، وكان قد وصل اليها أوائل شهر رمضان الكريم .

نقل لي نجله سماحة الشيخ جواد (دام عزه) أن القائم بالأعمال الايراني في لندن جاء لزيارة الوالد في المستشفىٰ وقال ان مغنّياً ايرانياً واسمه (شهرام ناظري) مدعوّ الىٰ لندن لحفل غنائي في صالة (آلبرت هال) وفي ليلة التاسع عشر من الشهر المبارك حيث يحزن فيها المسلمون (الشيعة خاصة) للمصيبة التي حلّت بهم في استشهاد أمير المؤمنين علي عليه السلام ، فماذا نصنع ؟ قال سماحة الشيخ اللنكراني : أخبروه انه لو شارك في الحفل سوف يُسلخ جلده حينما يعود الىٰ ايران !

ولما أُخبر المغنّي ، فقال : أبلغوا سلامي الحار وتحياتي الوافرة الىٰ سماحة الشيخ وقولوا: إن (شهرام ناظري) حينما وافق علىٰ الدعوة كان قد تلقّاها بتاريخ ميلادي ، لم يعرف انه يتوافق مع التاسع عشر من شهر رمضان ، والناس قد اشتروا تذاكر الحفل قبل أربعة أشهَر ولا سبيل لإرجاع المبالغ أو تغيير التاريخ ، خاصة في الغرب حيث المواعيد مضبوطة وفق مجموعة ارتباطات اخرىٰ . ولكن يوعدك (شهرام) انه سوف يبدّل حفل السرور والطرب الىٰ مجلس بكاء علىٰ مصاب أمير المؤمنين عليه السلام والحزن الشديد لفقد أعظم رجل في تاريخ البشرية بعد النبي الأكرم صلى الله عليه وآله .

---

١ ـ مردان علم در ميدان عمل / ص ١٩٨ ـ ١٩٩ .

وجاء القائم بالأعمال في اليوم التالي وأبلغ الشيخ اللنكراني كلام المغنّي وكان ذلك قبل إجراء عملية القلب للشيخ ببضع ساعات .

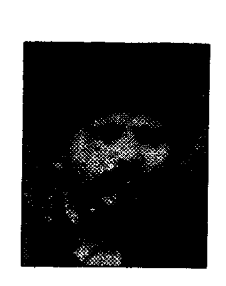
أتذكر ـ والكلام لنجل الشيخ ـ عندما أُخرج الوالد من غرفة العملية ففي اللحظة الأُولىٰ من إفاقته وعودة حواسه قال : «السلام عليك ياأمير المؤمنين» . ثم أُغمي عليه . ولمّا أفاق في المرّة الثانية سألني : ماذا صنع (شهرام) في الحفل ؟

قلت : لقد وفىٰ بوعده ، وكانت أشعاره الحزينة في مقام علي عليه السلام ومظلوميته ومصابه قد أبكت الحاضرين والحاضرات الذين لم يتوقّعوا يصنع بهم المغنّي هكذا .

فشكر الوالد اللّه تعالىٰ ودعا له بالخير .

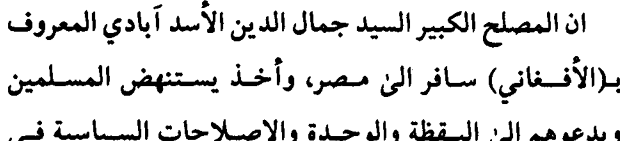
وأما الأطباء المسيحيون الذين أجروا له العملية فقد قالوا ان مسيرة علاجه وتحسّنه السريع كانت خارجة عن فهمنا للقوانين الطبّية ، فقد شعرنا بأنّ النجاح في هذه العملية الصعبة موجّه من جهة أخرىٰ ، ولا ندري تفسيراً لهذه الظاهرة . نعم ... سلام عليك ياأمير المؤمنين يا لغة الأتقياء والموقنين .

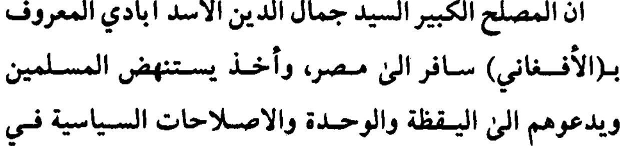
٣٢٦ عجيبٌ أمرُكم



السيد جمال الدين

سمعتُ من محاضرة لسماحة الشيخ الفلسفي (دام ظله) القاها زمن الشاه :





ان المصلح الكبير السيد جمال الدين الأسد آبادي المعروف بـ(الأفغاني) سافر الىٰ مصر، وأخذ يستنهض المسلمين ويدعوهم الىٰ اليقظة والوحدة والاصلاحات السياسية في البلاد الاسلامية ، والوقوف بوجه الاستعمار الغربي والاستبداد الداخلي .

وبالطبع فإن هذا التحرك لم يكن يعجب الحكومة المصرية ، فقررتْ إبعاد السيد جمال الدين الافغاني عن مصر، فوصل الىٰ ايران، وكانت عاصمتها آنذاك مدينة اصفهان..

وبمناسبة قدومه عقد العلماء والوجهاء مجلساً كبيراً لاستقباله وكان الشاه القاجاري قد حضر المجلس للقاء به ايضاً .

كان السيد الافغاني في المجلس يلعب بسبحته ، يرميها ثم يلقفها ، يلفّها بإصبعه ثم يفتحها ، وكان الشاه جالساً بجانبه ، فقال له أحد الحاضرين :

« لا يليق بك هذا ايها السيد ، ان اللّعب بالسبحة خلاف الأدب في الجلوس مع الشاه» .

فردّ عليه السيد ، والشاه يسمعه : عجيب امركم ، تعترضون عليّ وانا العب بسبحتي التي هي ملكي الشخصي ، ولا تعترضون علىٰ هذا الشاه الذي يلعب في بلاد الاسلام كما يشاء ، ومن دون ان يرىٰ مصلحة الامة ومصيرها ؟!

٣٢٧ مِن مناقبيّات المرجعيّة

لما انتقل الىٰ رحمة اللّه تعالىٰ المرجع الكبير الشيخ مرتضىٰ الانصاري زعيم الحوزة العلمية في النجف الاشرف سنة (١٢٨١) الهجرية ، أضحىٰ الناس يسألون أفاضل تلامذة الشيخ وكبار العلماء عمّن هو جامع لشرائط التقليد لكي يرجعوا اليه في الأحكام الشرعية .

فاجتمع العلماء الافاضل في بيت تلميذ الشيخ الانصاري رحمه الله وهو الشيخ حبيب اللّه الرشتي الذي كان من ابرز علماء عصره بعد استاذه ، ولكن اتفقت كلمة العلماء بما فيهم الشيخ الرشتي علىٰ أن يكون المرجع هو قرينه وزميله آية اللّه العظمىٰ الميرزا محمد حسن الشيرازي . فأرسلوا اليه ، وطلبوا منه أن يحضر الاجتماع ، وكان أعاظم العلماء حاضرين كذلك، كالشيخ حسن نجم آبادي ، والميرزا عبد الرحيم النهاوندي ، والميرزا حسن الآشتياني . فلما حضر الميرزا الشيرازي تكلّم القوم ، وخاطبوه قائلين : لابد للناس من مرجع في التقليد والرئاسة الدينية ، وقد اتفقنا علىٰ سماحتكم مرجعاً ورئيساً .

فقال الميرزا الشيرازي : اني لم استعد لذلك ، ولا استحضر ما يحتاج اليه الناس ، وسماحة الشيخ حسن فقيه العصر أوْلىٰ بذلك مني .

فقال الشيخ حسن : واللّه ان ذلك حرام عليّ ، لما فيّ من الوساوس ، ولو دخلتُ فيه أفسدتُه ، وانما هو واجب عينيّ عليك انت بالخصوص .

وتكلم كل واحد من أكابر العلماء بنحو ما تكلم الشيخ حسن .

وهكذا اتفقوا علىٰ الميرزا الشيرازي بوجوب قبوله لمنصب رئاسة المرجعية الكبرىٰ للشيعة في العالم الاسلامي الكبير. فقبلها الميرزا الشيرازي ودموعه تجري علىٰ خدّيه ومحاسنه .

يقول المحدث القمي الشيخ عباس صاحب كتاب (مفاتيح الجنان) انه حدثني السيد حسن الصدر عن استاذه الشيرازي قائلاً : « ومن غريب الاتفاق الذي لم يحكه التاريخ منذ

خلق اللّه الدنيا ان انحصرتْ رئاسة المذهب الجعفري في تمام الدنيا بسيدنا الاستاذ في آخر الأمر ، كما انه لم يتفق في الامامية رئيس مثله في الاذعان له والجلالة ونفوذ الكلمة»[١].

٣٢٨ لِمَن هذا البيت ؟

كان العالم الواعظ والناصح التقي السيد محسن الأعرجي الكاظمي معروفاً بـزهده الىٰ جانب صفاته الحميدة الأخرىٰ .

فمن زهد هذا العالم قناعته برزقه المتواضع ، وبيته البسيط ، الىٰ درجة لم يكن عنده شيء (كالمنضدة) ليضع عليها المصباح حين المطالعة ، فنظر الىٰ جانبه يوماً ، فرأىٰ بعض الآجرّ فصفَّه علىٰ بعضه ، ووضع المصباح عليه ، وانكفأ الىٰ المطالعة .

ذات مرّة رأىٰ أحد كبار العلماء واسمه زين العابدين السلماسي في منامه بيتاً كالقصر، وسيع الساحة ، مذهَّب الجدران ، يَسُرُّ الناظرين والساكنين !

فسأل : لمن هذا البيت ؟

قيل له : انه بيت السيد محسن الكاظمي .

فتعجب وقال : ان بيته في مدينة الكاظمية (بالعراق) بيت حقير ذو باب صغير ، من اين له هذا البيت العظيم ؟ !

أجابوه : انه دخل من باب صغير ، وقنع بالبيت الحقير ، فدخل باباً كبيراً ، وسكن بيتاً قريراً ، وهكذا اعدّ له اللّه معيشة واسعة مرفّهة جميلة .[٢] ﴿وما عند الله خير وأبقىٰ أفلاتعقلون﴾[٣].

٣٢٩ همسةٌ في أُذنِ بعض الوكلاء

حاز آية اللّه العظمىٰ الشيخ مرتضىٰ الانصاري ﷺ المرجعية العليا للشيعة في العالم كله ، وهذا يعني انه تصل اليه من أموال الزكاة والخمس وغيرها مبالغ كبيرة جداً ، ولكنه لم يأخذ منها لشخصه شيئاً ، حتىٰ وجد المؤمنون حياته المالية عند وفاته كما كانت عند بدء دراسته

١ ـ الفوائد الرضوية / ص ٤٨٤ ـ. ٢ ـ مردان علم در ميدان عمل / ص ١١٢ .

٣ ـ سورة القصص / ٦٠.

العلوم الدينية لما قدم الىٰ النجف الاشرف أول شبابه من مدينة (دزفول) الايرانية. وكان بيته كبيت أفقر الناس في النجف، وهو المرجع الاعلىٰ لهم.

قال له أحد المؤمنين يوماً: ايّها الشيخ، انك تبذل جهداً عظيماً، حيث بيدك مثل هذه الاموال، وانت لا تصرف منها في شؤونك الشخصية!

فقال له الشيخ متواضعاً: «أيّ جهد ياهذا!.. ليس ما أقوم به شيئاً عظيماً»

قال الرجل: «وهل هناك عمل اعظم من جهادك هذا»؟

أجابه الشيخ: «ليس مهمّاً، إنّ عملي هذا يشبه عمل الحمالين في مدينة (كاشان) - مدينة ايرانية - حيث يأخذون مالاً من الناس في المدينة ويذهبون به الىٰ مدينة (اصفهان)، ليشتروا ما يطلبونه منهم، ثم يعودوا ليسلّموا البضائع لأصحابها في (كاشان)، دون ان يختلسوا من تلك الاموال أو البضائع شيئاً [1].

أقول: ولتكن هذه همسة في أُذن بعض الوكلاء في بعض العصور وعصرنا أيضاً!

٣٣٠ إبنةُ عالم

كان في مدينة بروجرد (الايرانية) عالم ذو منزلة بين الناس، حتىٰ نال شهادة (الاجتهاد) من المرجع الأعلىٰ السيد البروجردي (رحمه الله).

ولكنه كانت له ابنة خفيفة العقل فمثلاً كانت تدخل مسجد أبيها وتصرخ وسط المصلين حتىٰ ضاق أبوها ذرعاً وأرهق الىٰ درجة لم يتحمّل. فجاء الىٰ السيد البروجردي يشكو اليه حاله، فأرشده السيد الىٰ عارف كبير في طهران (الشيخ رجب علي الخياط) وكان معروفاً بصلاحه وتقواه وكان حقاً من أولياء الله. فلما اتاه وقصّ عليه حال ابنته، تعمّق الشيخ في تفكير ثم بعد لحظات رفع رأسه وقال: «لقد كنتَ في سالف ايامك تأخذ مال الخمس من حقوق آل محمد وتصرفه علىٰ نفسك بدلاً عن المستحقين وهذه البنت من أثر ذلك الأكل»[2].

وفي الحديث الشريف: (كسب الحرام يبيّن في الذرّية) [3].

---

١ - المصدر المذكور / ص ١٥٢ نقلاً عن كتاب للشهيد مرتضىٰ المطهري.

٢ - بالفارسيّة (راز خوشبختى) ص٤١.

٣ - سفينة البحار: ج١ / ص٧٢٤.

٣٣١ القَدَر سَبَقَ السيف

تسنّم الحكم في أواخر عهد الملكيين في العراق (عبد الوهاب مرجان) بدلاً عن (نوري السعيد) .

ولما كان عبد الوهاب مرجان يدّعي انه مسلم شيعي ، شكّل آية اللّه العظمىٰ السيد محمد الشيرازي (دام ظله العالي) وفداً للقاء به ، وكان السيد آنذاك في بداية اشتهاره المرجعي .

والهدف من اللقاء هو طلب اجراء (قانون العتبات المقدّسة) الذي وضعه السيد محمد الصدر في إبّان رئاسته ، ولم ينفّذ بعد تنحيته عن الرئاسة .

وقد قابل الوفد رئيس الوزراء ، فأردف السيد الشيرازي حديثه عن القانون المذكور والحثّ علىٰ تطبيق الشريعة الاسلامية في الحكم بشكل شامل .

ولما عاد الوفد من اللقاء ، حدث انقلاب (١٤ ـ تموز) العسكري بعد مدة قصيرة ، فأعدم الانقلابيون رموز الملكية الجائرة في العراق بما فيهم (بهجة العطية) مدير الأمن العام .

وتبين فيما بعد ان الوفد حينما خرج من عند الرئيس ، كان قد اصدر الرئيس أمراً الىٰ المعدوم (بهجة العطية) مدير الأمن العام بإلقاء القبض علىٰ سماحة السيد محمد الشيرازي وأخيه الشهيد السيد حسن ! ولكن القدر سبق السيف [١] .

٣٣٢ بيْن الزُهد والرَّخاء

بين الزهد فيالدنيا والرخاء في الآخرة مسافة عمر، وطول العمر وقصره بيد اللّه تعالىٰ، المهم أن يقرّر المؤمن السير علىٰ الخط الرسالي ، والباقي علىٰ اللّه . في القصة التالية عن الشهيد السعيد آية اللّه السيد حسن الشيرازي نقرأ هذا المعنىٰ :

اقترح بعض علىٰ السيد الشهيد ان يستأجر داراً في بيروت حيث لايناسب مقامه السكن في الفندق ، ردَّ السيد بقوله : ان تكاليف ومصروفات وجودي في الفندق أقل من استئجار دار وأنا وحدي ، ولا أحب أن أفرط ...

وعدة مرات وَدَّ بعض التجار ان يشتري له داراً في دمشق ، ولكنه ﷺ أبىٰ وقبض الأموال

---

١ ـ اضواء علىٰ حياة (آية اللّه العظمىٰ السيد محمد الشيرازي) ـ ص ٥٢ .

وصرفها في شؤون الحوزة العلمية الدينية الزينبية .

وكان الشهيد (رضوان اللّه عليه) كثير الاقتراض لإدارة شؤون الحوزة العلمية والمؤسسات الخيرية ، وذات مرة قال له أحد المؤمنين : لماذا تقترض وتعطي بسخاء لهذا وذاك ؟!

فأجاب رحمه الله : مادام لم أُسجن من أجل الاقتراض في سبيل اللّه ، ولم تصبني إهانة من ذلك ، فلماذا لا أقترض واترك الامور الدينية تقاسي المشاكل ؟ !

ويكفينا ـ في هذا المجال ـ ان نعلم دليلاً علىٰ قدس الفقيد الشهيد ومدىٰ وَرَعه وزهده وتقواه ـ انه عندما استُشهد لم يخلّف من الارث حتىٰ فلساً واحداً بل أن ديونه من أجل الاسلام والمسلمين كانت عشرات اضعاف كل ما كان يملكه من ملابس وأثاث بسيط وكتب ونحوها . فهنيئاً له هذا المقام الشامخ في التقوىٰ وبُعد النظر والانقطاع الىٰ اللّه تعالىٰ [1] .

أقول : وجميل ماورد من الأحاديث هنا هو قول أحد المعصومين عليهم السلام : «مَن أصبح وأمسىٰ والآخرة أكبر همّه جعل اللّه الغنىٰ في قلبه ، وجمع له أمره ، ولم يخرج من الدنيا حتىٰ يتكمّل رزقه . ومَن أصبح وأمسىٰ والدنيا أكبر همّه جعل اللّه الفقر بين عينيْه، وشتّت عليه أمره ، ولم يَنَل من الدنيا إلاّ ما قُسّم له» .

٣٣٣ رجلٌ باع كُلّه للّه !

إنّ لهروب آية اللّه السيد حسن الشيرازي من جحيم البعث في العراق سنة (١٣٩٠) هـ الموافق لـ (١٩٧٠م) قصة تشبه المعجزة . هل تحبّ أن تعرف كيف ؟

يقول رحمه الله في إحدىٰ مقالاته :

« ... كانت الساعة تشير الىٰ الثانية بعد الظهر ، عندما جاء بعض الزملاء الأعزّاء الىٰ البيت، وبيده موافقة علىٰ سفري مشفوعة ببطاقة الطائرة ، وفي نفس اليوم ما

---

١ ـ كتاب الشهيد آية اللّه السيد حسن الشيرازي ، فكرة وجهاد .

كانت عقارب الساعة تشير الىٰ السادسة بعد الظهر الاّ وكانت الطائرة تخترق بي أجواء العراق هاربة من كل الاشباح المخيفة في الدنيا المجتمعة في بغداد ، ولكن نبضات قلبي الخافتة (فقد كان ضغطي هابطا الىٰ سبع درجات لشدة المرض بعد ذلك التعذيب الوحشي) كانت تنبض الكارثة بحذَر ، فما دامت الطائرة في الجو ، فأنا في الكارثة ، فكم أُعيدت الطائرات المقلعة من بغداد ، لأن البعثيين يعيدون فحص اسماء المسافرين بعد إقلاع الطائرات ، فاذا أبدىٰ أحدهم ملاحظة حول أحد المسافرين أُعيدت الطائرة وأُوقِفَ المسافرون ريثما يتخذ البعثيون قراراً بشأن المسافر الذي أبديت حوله الملاحظة.. فكيف بي وانا الذي أُثيرت حوله ضجة كبيرة وكتبت صحف بيروت : انه سيصل الىٰ بيروت لإجراء عملية جراحية ، ولا يتوقع أن يعود الىٰ العراق في وقت قريب ؟

ولكن نبضات قلبي لازالت ساكنة ، رغم بشارة المضيّفة بأن الطائرة وصلت الىٰ الميناء الجوي في بيروت ، فأنا بعدُ في الطائرة ، ومن الممكن أن تواصل قوسَ النزول الىٰ بغداد قبل أن تفتح علىٰ مسافريها أبواب الحياة .

وعندما وصلتُ الىٰ مفتش الجمرك فتح حقيبتي اليدوية ليجد فيها مع الملابس العادية سِكّينة صغيرة للفواكه فأراد أن يبدأ فتح حقيبتي بنكتة ، فقال : هل المشايخ يحملون السكاكين في حقائبهم ؟ فقلت : طبعاً .. أولستَ تعلم أنني قادم من بغداد .. فقال: إذن الحمد للّه علىٰ السلامة .. ولم يعلم أن لكلمته معنىٰ أكبر من الكلاسيكية التي عناها.

وحينما هممت بالركوب في سيارة خارج المطار ، شعرتُ بكَفٍ توضع برفق علىٰ كتفي، فالتفتُّ لأرىٰ أحد أصدقائي العراقيين ، وهو يقول لي : لقد كنت معك ، ولكن الآن استطيع أن أقول لك : الحمد للّه علىٰ السلامة .

ودخلت الىٰ دائرة البريد لأُبرق الىٰ أخي [1] اننى وصلت بالسلامة ، ثم جاءني في الغد مسافر يقول : وصلتْ برقيتك ، وقَبْلها وصلتْ برقية تمنعك من السفر ، واتصلت الجهات المختصة لاسلكياً بالطائرة لتعود بك الىٰ بغداد ، ولكن ربّان الطائرة أجاب بأن المسافرين خرجوا منها الىٰ الجمرك ، فلا يمكنه اعادتهم الىٰ الطائرة .

ودخلتُ مستشفىٰ من مستشفيات بيروت في الغرفة المحتجزة لي ، واطللت من شُرفتها علىٰ بيروت ، هذا الصدر الضيق الذى يجيش بالمتناقضات ، فوجدت قلبي ينبض نفس

---

١ ـ يقصد المرجع الديني المجاهد آية اللّه العظمىٰ السيد محمد الشيرازي (دَام ظله العالي) .

النبضات الكئيبة ، التي كان ينبضها في بغداد ، فقد خرجت من صراع من أجل الحياة الىٰ صراع من أجل الرسالة ، فستكون بيروت سنوات قادمة قاعدة عملي ، ولابد أن أعمل فيها شيئاً ، وكيف يمكنني ذلك ؟ فهنا ملتقىٰ التيارات الموجهة بامكانات دُول ، وانا لستُ الاّ فرداً واحداً يواجه أكثر من حكومة معاوية ، وأكثر من حزب مُعادٍ، وليس وراءه إلاّ قلب واحد يخفق بالحرارة ، ولعله القلب الوحيد الذي وجدته يخفق بهذه الدرجة من حرارة الايمان ، هو قلب أخي الذي يظن بي جيراً ، ويأمل مني كثيراً ، ولكنه هو بدوره لايملك الاّ حرارة الايمان ، وهو بدوره باق في العراق يعاني صراعاً مريراً من أجل الحياة والرسالة معاً ، فلا استطيع أن أمدّ اليه يداً لإنقاذه أو تخفيف الضغط عنه ، ولا استطيع أن أقوم بعمل رسالي يروي بعض ظمأه الىٰ الاعمال الرسالية . ولعل كلّ قَدَمٍ أرفعها هنا اضعها عليه هناك ، فأنا أعلم أن البعثيين يقتصّون منه علىٰ كلّ عمل أقوم به أنا ، فانهم يعاقبون القريب بالبعيد ويشدّدون الضغط علىٰ من في قبضتهم بذنب الذي لا تطاله ايديهم ، اذن فماذا أفعل انا ... يااللّه .. انت وجِّهني وأيّدْني.. فليستْ هناك حكومة توجّهني وتؤيدني .. ولن أرضىٰ أن أسير في ركاب قوة من الارض ، فأنا بِعتُ كلّي للسماء . وقال القرآن لي ولأمثالي : ﴿فاستبشِروا بِبَيعِكم الذي بايعتُم به﴾ ولا أريد أن أفسخ صفقة السماء ، ولا أريد أن أكون من الذين وبّخهم القرآن بقوله : ﴿ أتستبدِلون الذي هو أدنىٰ بالذي هو خير ﴾ .. يااللّه .. أنت وليّي .. وليّ المؤمنين .. تولاّني فقد استسلمتُ لك .. يارب دُلّني في صعاب الرسالة كما انقذتني أنت لا غيرك من مخالب الموت والذُل قبل أيام .. دلّني يا الٰهي فليستْ هنالك قوة اطمئنّ اليها لإنقاذي .. فقد تمزقتُ في السجن وتحت التعذيب ، والآن أحاطت بي مشاكل لتهرس ما تبقّىٰ من أشلائي .. أبقِ عليّ يا ربّ ولا تهملني هكذا حصيراً في الرياح المتوحشة .. يااللّه .. أجب نبضات قلبي التي تهتف بك ، وامسح عن وجهي كآبة الحيرة، كما مسحتَ عنه كآبة الخوف والقلق .

لقد كان الزائرون يتوافدون عليّ ، وكنتُ أبادلهم سلاماً بسلام ، ولكني كنت شارداً مُبدّداً ، لا أستطيع تجميع قوّتي وتركيز نظراتي ، وكانوا يغفرون إنهاكي ، فأنا مريض هارب من جحيم الدنيا ، ولكني حتىٰ اليوم لم أجرأ علىٰ غفران ذلك ، لامن أجل الزائرين ، وانما من أجل ضعفي في اداء رسالة أشعر بأنها ملقاة علىٰ عاتقي ... صرت عاتباً علىٰ نفسي ، أعلك اعصابي ، وامتص عافيتي ، وحيّرتُ الاطباء الذين كانوا يشرفون علىٰ علاجي ، لماذا

تتدهور صحتي ؟ تصوروا أن الزيارات والقراءة تؤثّر فيّ ، فأرادوا منع الزيارات والكتب عني، فقلت لهم : إمنعوا شلال التفكير أن يحفر في صُدغي .. ذقتُ بعض المرارة التي كانت تنهب اصحاب الرسالات وهم يرون الحواجز تطرق رسالاتهم حاولت أن اسلّي نفسي بضعفي ، فلم أجده مقبولاً لا أمام الله ولا أمام ضميري .. وبقيتْ ضربات قلبي الخافتة الكئيبة همساً خاشعاً يطوف على أبواب رحمة الله ، وهي تقول بأنينها المكبوت : يا ربّ إن رحمتك وسعتْ كلّ شيء ، وانا شيء ، فلتسعني رحمتك .. »[1].

٣٣٤ صاحبُ الشَّعائر الحُسينيّة

يقول أحد المؤمنين رأيت في المنام وكأني أسأل ملك « الرضوان » الحافظ على قائمة اسماء أهل الجنة عن المفكّر الشهيد آية الله السيد حسن الشيرازي ، الذي اغتاله عملاء صدام في بيروت سنة ١٩٨٠ ، هل هو من أهل الجنة ؟ !

فنظر (رضوان) في القائمة ، ولكنه لم يجد هذا الاسم ! فقلت له : انه السيد حسن ابن المرجع التقي الورع الميرزا مهدي الشيرازي رحمه الله ، صاحب المواقف الجهادية المعروفة ، وله مؤلفات خدمت الفكر الاسلامي ، وله مشاريع خيرية وعلمية وطلبة علوم دينية ، انه مؤسس الحوزة الزينبية في سوريا جوار مرقد السيدة زينب (عليها السلام) . كيف لا تجد اسمه في عداد أهل الجنة ؟ ! هذا شيء عجيب !

فأخذ رضوان يتصفّح القائمة ثانية ، وهو متحيّر ! وأنا استطردت قائلاً له : انه السيد حسن الشيرازي ، الذي استشهد على أيدي القتلة البعثيين العراقيين . صاحب كتب ومؤلفات كثيرة، منها موسوعة الكلمة (كلمة الله) و (كلمة الاسلام) و (كلمة الرسول الاعظم صلى الله عليه وآله) و (كلمة الامام المهدي عليه السلام) و (كلمة الامام الحسن عليه السلام) وله كتاب اسمه (الشعائر الحسينية) وكتاب آخر (التوجيه الديني) ... وهنا قاطعني رضوان وكأنه تذكر شيئاً فقال : نعم اسمه عندنا في "قائمة (صاحب الشعائر الحسينية).

أقول : هنيئاً للخطباء الحسينيين ، وكل من يخدم القضية الحسينية من كاتب وقائل وصاحب مأتم ومتبرّع ومعزّي ولاطم وباكٍ ، وساقي ماء ، وناظم شعر ، وحامل راية وأعلام مواكب العزاء وكل شيء يتصل بالحسين المظلوم الذي قال عنه جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله :

---

١ ـ كتاب عراق البعث ص ٨ ـ ١٣ ، وراجع المصدر المذكور آنفاً .

حسين مني وانا من حسين » و « الحسين سفينة النجاة ومصباح الهدىٰ » و«ان لدم الحسين حرارة في قلوب المؤمنين لا تبرد أبداً» ، ذلك ومن يعظّم شعائر اللّه فانّها من تقوىٰ القلوب .

٣٣٥ لِمثْل هذا فليَعمَل العامِلون

إنّ الشيخ حسين بن الحاج نجف (تبريزي الأصل) ، ولد في مدينة النجف الأشرف سنة (١١٥٩) الهجرية ، ونشأ فيها حتىٰ صار من أعاظم العلماء ومن الأجلاء والكرماء.

كان مثالاً في التقوىٰ والصلاح وطهارة النفس ، حتىٰ كان اعتقاد الناس فيه جميعاً علىٰ نحو اعتقادهم في سلمان الفارسي (رضوان اللّه عليه) .

كان الشيخ حسين رحمه الله يعقد في يوم الغدير في النجف الاشرف مجلساً عامّاً ، فتفِد عليه الناس من الزائرين ومن أهالي النجف ويضعون بين يديه الأموال الشرعية والتبرعات الخيرية وما يجود به المحسنون للمشاريع الاسلامية .

وذات مرّة دخل الشيخ جعفر كاشف الغطاء المجلس ، وكان معروفاً بمشاريعه الخيرية ودعمه للفقراء وللمحتاجين ، فانتظر حتىٰ خرج الناس ثم قام أمام مرأىٰ الشيخ حسين نجف ، فجمع الأموال كلها في ردائه من غير استئذان من الشيخ ، وانصرف مودِّعاً . !

لا يأخذك العَجَب بعيداً أيها القارىء ، انّ هذين الشيخين ، ومعهما عالمان آخران ، كانوا متآخين في اللّه وناذرين أنفسهم لتطبيق القيم السماوية علىٰ أرض الواقع .

يقول الشيخ محمد حرز الدين في كتابه معارف الرجال : ان الشيخ حسين نجف كانت تُجبىٰ اليه الأموال من أهل الخير والإحسان ، وكان زميله السيد بحر العلوم يهتم بشؤون التدريس وتعليم الفقه لطلبة العلوم الاسلامية ، وزميلهما الشيخ كاشف الغطاء متصدياً للتقليد والفتوىٰ ، وزميلهم الرابع الشيخ ابن محي الدين يقوم بالقضاء ورفع الخصومات في المجتمع [١] .

فهم أربع فقهاء اجتمعت كلمتهم علىٰ التعاون في إحياء الدين وإنعاش الضعفاء والمساكين، وهكذا جاءت غاية عملهم ان يشيّدوا مجتمعاً دينياً علىٰ صرح عال ، ليلتزم كلّ فرد فيه بوظيفته الشرعية .

ان هؤلاء الفقهاء الأربع لم يصلوا الىٰ هذه المرتبة المتفانية من الخدمة والتعاون الاّ بعد أن

---

١ ـ معارف الرجال / ج ١ ـ ص ٢٦١ .

نسفوا الجشع والحسد والانانية من نفوسهم الكريمة و ﴿لمثل هذا فليعمل العاملون﴾[1].

٣٣٦ إنّ مدينتَكم هذِه كالجنّة !

قَدِم الواعظ التقي الشيخ جعفر كاشف الغطاء (المتوفىٰ سنة ١٢٢٨ هـ) من العراق الىٰ ايران ، فمرّ بإحدىٰ المدن الشمالية الجميلة والتي كان الالتزام الديني فيها ضعيفاً ، فطلب منه المؤمنون أن يصلّي بهم جماعة ، فحيث كانوا يتوقّعون حضور كثيرين لا يسعهم المسجد ، أقاموا الصلاة في ساحة المدينة وطلبوا من سماحة الشيخ ان يحدّثهم بعد الصلاة . فاعتذر لهم بضعف لغته الفارسية . ولكن المؤمنين أصرّوا ، فارتقىٰ المنبر وقال :

أيّها الناس كلكم تموتون ، والشيخ ايضاً يموت ، إذن فكّروا في يوم الآخرة .

ومما قاله ترطيباً ومزاحاً :

ايّها الناس .. ان مدينتكم هذه كالجنة ، ففي الجنة قصور وفي مدينتكم قصور ، وفي الجنة بساتين وحدائق ، وفي مدينتكم بساتين وحدائق ، وفي الجنة لا صلاة ولا صيام ولا عبادة ، وفي مدينتكم كذلك لاصلاة ولا صيام ولا عبادة ![2]

فضحك الحاضرون وانتبهوا لمقصود الشيخ كاشف الغطاء .

بهذا الأُسلوب اللّبق فتح الشيخ آفاقاً في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ودعا الناس والمؤمنين الىٰ الالتزام الأكبر بالصلاة والصيام .

٣٣٧ كيف تُفسِّر الكذب ؟

كنت اتحيّر أحياناً كيف أفسّر بواعث بعض الاكاذيب التي تنتشر بين الناس وتعمل فيهم كالمنشار القاطع أوكالنار في الهشيم؟ كيف تُصنَع هذه الاكاذيب ؟ وكيف يتجرأ صانعها علىٰ التفوّه بها لدىٰ هذا وذاك ، بلاخوف من اللّه ، ورادع من الضمير ، وتفكير في عذاب القبر ، وحساب يوم القيامة ؟

نعم كنت متحيراً كيف يحدث مثل هذا في مجتمعاتنا ، ويتلقىٰ القبول من بعض السذّج ايضاً و (المؤمنين) احياناً .

ولكن هذه الحيرةُ زالتْ ، عندما علمتُ بأن الكذب قد يكون عادة لدىٰ بعض كما السذاجة

---

١ ـ سورة الصافات / ٦١.

٢ ـ الفوائد الرضوية / ص ٧٣.

في قبوله عادة ، فهما تجريان في سلوكهم كما يجري الدم في عروقهم . والقصة التالية تعينك في فهم (المقصود) :

لقد جئت لزيارة الامام الرضا عليه‌السلام برفقة أختي المؤمنة أم أحمد (أدام اللّه عزّها) وكان معنا زوجها الكريم وابن أختي الأُخرىٰ فضيلة حجة الاسلام الشيخ يحيىٰ (حفظه اللّه وسدّد خطاه) وهو عالم يفيد الناس والمجاميع الدينية في مدينة جهرم الايرانية ، وله مكانته بينهم . وقد سكنّا شقة قرب الحرم الرضوي الشريف ، شارع (إمام رضا عليه‌السلام ـ المعروف بشارع طهران) .

وذات يوم خرج فضيلة الشيخ يحيىٰ الىٰ الشارع ليشتري حاجة مستعجلة ، فلما عاد أخبرني انني التقيت في الشارع علىٰ سبيل الصدفة بالزائر (فلان) من جيراننا في البحرين، وقد سلّم عليك ايضاً . قلت : عليك وعليه السلام .

وبعد اشهر عندما عادت أختي الىٰ البحرين ، وعاد الشيخ يحيىٰ الىٰ محل سكنه في مدينة جهرم اتصلتْ أختي وقالت : انّ فلاناً رجع الىٰ البحرين ، وأخبر والد الشيخ يحيىٰ بأنّ ولدك رأيته في مشهد يمشي في السوق حالق اللحية !

وقد اغتاظ أبوه لهذا النبأ ، اذ صدّق الزائر فأنحىٰ باللائمة علىٰ ولده الشيخ ، فأخبرتُه بأن الرجل كذّاب ، وقد كان الشيخ معنا في زيارة الامام الرضا عليه‌السلام ولحيته أطول من لحية خاله الشيخ عبد العظيم !

وأما أنا ـ كاتب هذه السطور ـ فقد شكرتُ اللّه تعالىٰ علىٰ عدم لقائي بالرجل ونجاتي من سموم لسانه ، رغم أني لم اسلم من أمثاله !

ثم انني حقّقتُ في شخصية هذا الرجل وأقاربه فثبت انه معروف باختلاقاته علىٰ الناس واشاعاته ضد الأشخاص ، ودافعه في اكثرها المزاح والهزل ولكن مهما يكن فإنها صفة سيّئة للغاية ، ليس بالنظر الىٰ النهي الوارد عنه في الاسلام فحسب . حيث جاء في الحديث : « لا يَدْخُل الايمان في قلب امرىء حتىٰ يَتْرُكَ الكذْبَ جِدّه وهَزَلَه) وانما بالنظر الىٰ ايذاء الناس ايضاً وإحداث بلبلة في العلاقات وإبعاد الأحباب عن بعضهم بعضاً .

والكذب حتىٰ في المجالات الاجتماعية والسياسية وعند محاولات إسقاط المنافسين قد يكون منشأه مثل هذا الرجل المريض المعتاد ، لذلك وجب التأكّد من كلّ خبر ، اذ لعلّه يعود أصله الىٰ نظير هذا الرجل ، أليس اللّه تعالىٰ يقول في محكم كتابه الحكيم: ﴿ ياأيّها الّذين

آمَنوا إنْ جاءَكم فاسِقٌ بنبأٍ فتبيَّنوا أنْ تُصيبوا قوماً بجهالة فتصبَحوا علىٰ مافَعلتُم نادِمين﴾[١]

ثم ان الذين يتكلمون علىٰ الأشخاص مهما يكن ظاهرهم موصوفاً بالتديّن فإن مجرّد كلامهم علىٰ الأشخاص غيبة ، والغيبة فسق ، ولا يجوز قبول النبأ الذي يأتي به المستغيب (الفاسق) ، فاذا التزم سامع الاخبار بهذه اللّفتة في الآية الكريمة ، وجب عليه نبذ الخبر الذي ينقله من يتظاهر بالتديّن ايضاً ، ذلك لأن الفسق قد اثبته علىٰ نفسه بمجرد نقله الاخبار السلبية عن هذا وذاك ممّن لم يتجاهروا بالمعصية . فالاخبار المنقولة في هذا الزمن الرديء تُحمَل علىٰ الكذب الاّ بعد التبيّن والتحقيق والتأمّل . وبهذه الطريقة نكون قد وضعنا خطانا علىٰ طريق الإصلاح لما فسد من أمور المسلمين ، وهذه ضرورة يشعر بها كلّ غيور علىٰ سلامة دينه ودنياه ، ولأهله ومجتمعه والأجيال الآتية .

٣٣٨ شَرْطُ القضاء بين النّاس

طلب الحاكم العباسي من السيد الشريف الرضي ان يقبل منصب القضاء في الدولة . فقال السيد وهو يتقاعس عن الدخول في جهاز الحكم الغاصب : ان بين عقلي وهواي نزاع طويل، وهما يطلبان مني ان أحكم بينهما بالعدل، فلما احضرتهما عندي نطق عقلي وقال : لك الآخرة نسيئةً ، وأريد أيضاً ان امتعك في الدنيا بحلالها ، فاعدل بيننا في الحكم! فأنا حكمت لعقلي ، ثم مضتْ ايام فغلبني هواي وحكمتُ له . ولقد استمر هذا النزاع بين عقلي وهواي مدة (خمسين) عاماً ـ يقصد مدة عمره في ذلك الوقت ـ ، وانا أميل تارة الىٰ العقل وتارة الىٰ الهوىٰ ! فالذي لا يمكنه الحكم بالعدل بين عقله وهواه ، ولا يحسم الامر بينهما بعد خمسين عاماً ، كيف يستطيع ان يتصدىٰ لمنصب القضاء في الحكم بين المتنازعين من الناس ، في الوقت الذي انا أعرف ان الحقّ مع عقلي دائماً ، بينما في قضايا الناس يصعب عليّ احراز الحق ومعرفته بدقّة ؟!

فابحث ايها الحاكم عن عالم يتصدىٰ لهذا المنصب وقد فرغ من القضاء بين عقله وهواه بالعدل ، فأصلَحَ بينهما وجعلهما متفقيْن في طاعة اللّه وطلبِ رضاه ، انه الأصلح للقضاء بين الناس ![٢].

---

١ ـ سورة الحجرات / ٦.

٢ ـ خزينة الجواهر في زينة المنابر / ص ١٤٥ .

هكذا فرّ الشريف الرضي من التورط في التعاون مع الطواغيت واعانتهم في البقاء على الحكم . ولكن اذا ألزمتْ الظروف الزمانية والمكانية عالماً صالحاً أن يقدّم خدمة للناس من موقع كهذا فلا بأس ، ولعله وجب . ذلك لأن القيم مدرَّجة والقصد هو اللّه والطريق تقيّة .

٣٣٩ متىٰ اصطَلَح الذّئب مع الشّاة

كان في القديم عالم تقي ، عارفٌ باللّه وَرِعٌ عن محارم اللّه .. وكان يرعىٰ الأغنام كشغل بعض الانبياء . وذات مرة دخل ذئب بين اغنامه ، ولكن الذئب سالم الأغنام ولم يفترسها !

فاستغرب بعض من شاهد (الحالة السلمية) للذئب ، فسألوا العالم العارف : متىٰ اصطلح الذئب مع الشاة ؟

قال العالم : حين اصطلح الراعي مع اللّه ! [١]

وفي الحديث عن الامام علي عليه السلام : «فاز مَن أصلح عمل يومه واستدرك فوارط أمسه»[٢].

٣٤٠ مِن هُموم المؤلِّفين



كتبتُ كتاباً سنة (١٩٨٠ م) حول الحكمة من مناسك الحج وأسميته « الحج قِيَمٌ وقيام» ، ولما اعتُقلتُ ظلماً ونُفيتُ من بلدي زوراً وأنا بملابسي التي كانت عليّ في السجن طلبتُ من والدتي الصبورة السيّدة فاطمة الشريفي ـ حفظها اللّه من كلّ سوء ـ أن ترسل لي الكتاب لأطبعه في المهجر، وبما أن تصوير الكتاب في بلادنا بجهاز الاستنساخ كان أمراً يبعث الشك والأذىٰ أرسلوا الأصل بيد مسافر ، والذي حصل في مطار دبي هو ضياع حقيبة المسافر اليدوية والكتاب فيها .

هذه كانت الحادثة الاولىٰ لضياع جهدي ، والجهد الآخر الذي ضاع كان في سنة (١٩٨٢م) حيث سهرت وفي حوزة القائم بطهران علىٰ ترجمة الفتاوىٰ الجديدة للامام الخميني الىٰ اللغة العربية مع مقدمة مفصّلة حول المرجعية والتقليد ومرونة الفقه الاسلامي وحيويته وشموليته لكل عصر ، ورغم اني صوّرتها أعطيتُ الأصل للمرحوم فضيلة السيد

---

١ ـ نفس المصدر / ص ١٥٥ .

٢ ـ غرر الحكم / ج١ ـ ٥١٦.

عباس المهري ﷺ كي يأخذ لها موافقة مكتب الامام الخميني، وأعطيتُ صورتها بيد سماحة السيد مرتضىٰ القزويني (حفظه الله) لذات الغرض حيث كان قريباً من مكتب الامام في طهران ، والعجيب أن كلتا النسختين (الأصل والصورة) ضاعتا من السّيّدين الجليلين ، أما السيد المهري فبسبب انتقاله من داره ، وأما السيد القزويني فبسبب سفراته وكثرة اشتغالاته.

والجهد الثالث في هذا المجال هو عكوفي منذ سنة (١٩٨٤ م) إلىٰ (١٩٨٨ م) علىٰ تأليف كتاب حول تاريخ علماء البحرين وذكر أحوالهم وعطائهم منذ بداية ظهور الاسلام حتىٰ العصر الحاضر ، ولقد استغرق تأليف الكتاب مدّة أربعة أعوام وهو كذلك اختفىٰ في سوريا فترة ، وأخيراً طبع بعد ستّ سنوات من التعطيل ، وهذا يعني انني عشت ست سنوات علىٰ مضض خشية ضياع الكتاب . فالدرس الذي علّمتني هذه الحوادث هو أن اصوّب ما أجهد في كتابته وأصرف عليها وقتي ومالي حتىٰ أكاد أحياناً أنسىٰ الاهتمام الكامل بعيالي .

وعندما كنت اصوّر هذا الكتاب (قصص وخواطر) في احدىٰ محلاّت مدينة مشهد صادفتُ رجلاً في الخمسين من عمره ، قال : هل يمكنني أن أسألك ؟

قلت : تفضّل ، إن كنت أعرف الجواب أجبتك وان لا أعرفه أعتذر إليك .

قال : هل تعتقد أن لله ناراً في الآخرة يُحْرِق بها المذنبين ؟

قلت : هكذا قال سبحانه في قرآنه الحكيم .

قال : أما أنا فلا أعتقد ان رحمة الله الواسعة تسمح بخلق النار وحرق المذنبين فيها!

قلتُ ـ وانا مشغول بترتيب صفحات الكتاب لتصويرها وهي اكثر من ستمائة ورقة ـ : نحن نذعن لكتاب الله الذي صرّح وأكّد انه خالق الجنة لأهل الصلاح والتقوىٰ والمظلومين ، وخالق النار لأهل الفسق والجرائم والظالمين .

قال : إذن ما هو تفسير قول الله تعالىٰ : ﴿ وسارِعوا الىٰ مَغفرةٍ مِن ربّكم وجنةٍ عرضُها السماوات والأرض ﴾[1] فاذا كان عرض الجنة بسعة السماوات والأرض فأين يكون موضع النار ؟

قلتُ : هذا بحث طويل وأنا تراني مشغولاً بهذه الأوراق ، ولكن إعلم ان الله القادر علىٰ خلق الجنة بهذه السعة فإنه قادر علىٰ خلق النار بسعة أخرىٰ يعذّب فيها الذين يعذّبون

---

١ ـ سورة آل عمران / ١٣٣ .

الأبرياء في هذه الدنيا ، والاّ فأين عدالة اللّه ؟

فهل تتصوّر أن من العدل أن يُدخِل اللّه تعالىٰ الجنة كلاً من الحسين المظلوم ويزيد بن معاوية ، وان يجمع بين الطفل الرضيع وقاتله حرملة ؟!

قال : انا لا أتصوّر ان رحمة اللّه لا تشمل يزيد بن معاوية وغيره ... فاذا تابوا تاب اللّه عليهم !

قلت : نعم اذا تابوا وقُبلتْ عند اللّه ، ولكن هل بالفعل تاب يزيد ، والتوبة لها شروطها الصعبة لأن مثل هؤلاء الطواغيت والمجرمين داسوا حقوق الناس وسفكوا دماءهم وهتكوا أعراضهم ونهبوا أموالهم وهدموا ديارهم ، فكيف يجلبوا رضا ملايين المتضرّرين ، بينما التوبة الميسَّرة هي لإمحاء القطيعة بين العاصي وربّه ، كأن يكون تاركاً للصلاة شارباً للخمر وما الىٰ ذلك من ذنوب شخصية ، أما حقوق الناس فحساب اللّه فيها للغاصبين عسير ، حتىٰ ولو كانوا شهداء في سبيل اللّه .

ثم لا تنس تتمّة الآية التي تلوتَها لي اذ تقول : ﴿ سارِعوا الىٰ مغفرةٍ مِن ربِّكم وجنة عرضُها السماواتِ والأرضِ أُعدَّتْ للمتّقين ﴾ [1] فالجنة اعدّها اللّه للمؤمنين المتقين لا للمجرمين القتلة وهو القائل عنهم في آية أخرىٰ ﴿ ونَسوقُ المجرِمين الىٰ جهنّم وِرْداً ﴾ [2] ﴿ إنّا مِن المجرمين منتقِمون﴾ [3] ﴿ إنّ المجرمين في عذابِ جهنّم خالدون ﴾ [4] .

وبينما أنا مشغول بالأوراق ـ كما ذكرتُ لك آنفاً ـ قاطعني الرجل وقال : اللّه أرحم الراحمين، وما يدريك ما في قلب المذنبين .

قلت : لست انا الذي أدخلهم النار حتىٰ أدري ما في قلوبهم ، اللّه العالم بما في القلوب وهو الذي يتخذ القرار ، فهو أدرىٰ بأهل الجنة ومن يستحق النار . واللّه الذي تقول عنه أرحم الراحمين كذلك هو اشدّ المعاقبين ، والا فالذي تعتقده انت ما هو الاّ تشجيع لارتكاب المزيد من الذنوب والجرائم.

أخذ الرجلِ المتعصِّب دربه ليخرج وهو يقول : أنا أقول ان مغفرة اللّه أوسع من كلّ شيء .

هذه بعض هموم المؤلّفين ، واليك بعض آخر منها باختصار :

---

١ ـ آل عمران : الآية ١٣٣ ـ ١٣٥ .

٢ ـ سورة مريم / ٨٦.

٣ ـ سورة السجدة / ٢٢.

٤ ـ سورة الزخرف / ٧٤.

ان لتأليف الكتاب سهراً وعناءً وتعباً ، خاصة بالنسبة الىٰ كتابة المواضيع الدقيقة والموجّهة نحو أمور حسّاسة ، واذا نظرنا الىٰ وضع المؤلف عائلياً ومشاكله في الغربة وغيرها فإن معناه أن أتعابه مضاعفة ، أقول هذا لتعرف قيمة هذا الكتاب ! ثم وبعد الانتهاء من مرحلة الكتابة والمراجعة وتصحيح الأخطاء المطبعية واضافة المستدركات أو التي تطرأ من أفكار جديدة حين المراجعة وما الىٰ ذلك ، تأتي مرحلة طباعة الكتاب التي لاتتحرّك الاّ بوقود الدرهم والدينار !

ليست هناك أزمة في المال عند المسلمين وهم أثرىٰ شعوب العالم، انما الأزمة ١ ـ «في سوء التوزيع وصرف الاموال في غير محلّها » ٢ ـ « الروح المادية التي أماتت عند الكثيرين روح العطاء والمسارعة الىٰ الخيرات والباقيات الصالحات » ٣ ـ « عدم معرفة الأهم والمهم » ، وبكلمة « ذهاب الأولويات » !

فهذه ثلاثة أسباب ، وأنت عارف بمصاديقها الكثيرة في مجتمعاتنا ، فمن مصاديق السبب الأول الاسراف والتبذير في المناسبات ، أبسطها مثلاً الفساتين الغالية جدّاً التي تشتريها بعض الفتيات والنساء الخليجيات خاصة من أجل ليلة واحدة يشاركن في مناسبة زواج لأحد المعارف، ثم ترميها لتشتري فستاناً آخر في مناسبة أخرىٰ وهلُمّ جرّا ...

واما مصاديق السبب الثاني فليست غائبة عن فراستك ! فلا آخذك الىٰ أمثلة بعيدة، فهذا كتابنا الذي سبق ذكره واسمه «علماء البحرين دروس وعبر » مرّت علىٰ تجميده في دار النشر بلبنان قرابة ستة أعوام ، ولو كانت أموال بالكفّ لما كان يجري عليه هذا الحكم الجائر ولم نقترض لطباعة كتب قيمة بينما تُطبع هنا وهناك كتب من النفع عقيمة !

وأما مصاديق السبب الثالث والتي تجدها في أهل الخير الذين يقدّمون المهم علىٰ الأهم من حيث لا يشعرون ، ولعلّهم معذورون ، ومصاديق هؤلاء الطيبين ليست قليلة في مجتمعاتنا كما تعلم ...

فلقد التقيتُ قبل شهر[1] بأحد كبار أثرياء أغنىٰ دولة خليجية ، رجل معروف بمساهماته في المشاريع الخيرية ، طلبتُ منه أن يتكفّل بطباعة هذا الكتاب الذي بين يديك أو كتابي الآخر « وعي التعامل مع الاختلاف » وهي كتب لها أهميتها القصوىٰ في معالجة ما تعانيه مجتمعاتنا من أزمة الثقافة السليمة والاخلاق الحسنة ، في الوقت الذي نرىٰ تُصرف أموال

---

١ ـ ونحن الآن في سنة ١٤١٦هـ ١٩٩٥م .

في طباعة كتب قليلة النفع وبعضها عديمة النفع ان لم تكن مضرّة في تربية النشأ الجديد ، مما تكرّس حالة التخلّف في الامّة .

فقال لي هذا الحاج الخيِّر : لقد ساهمت قبل سنوات بآلاف الدنانير لطباعة كتاب في بيروت ثم اتضح انه كتاب لا فائدة فيه ، فتوصّلتُ الىٰ نتيجة هي أن أعطي مالي لإشباع الجياع وقضاء حوائج الفقراء .

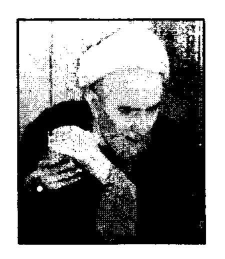
قلتُ : أبارك لك هذه الروح المعطاء ، ولكن يمكنك معرفة الكتاب عبر معرفة مؤلفه وطموحه أو القاء نظرة علىٰ الكتاب ولو من خلال الفهرس والعناوين ، وحتىٰ احياناً من اسم الكتاب قد تعرف انه نافع لمعاناة الناس أم يصبّ في واد بعيد . ثم ان مشاكل المجتمع بما فيها مشكلة الفقر قد عالجها رسول الله بتهذيب الاخلاق حتىٰ قال : « انما بعثتُ لأُتمم مكارم الاخلاق » فاذا تحسّنت أخلاق الناس ارتفعتْ الكثير من المشاكل ، وهذا لا يعني عدم مساعدة الفقراء بل الجمع بين العمل الثقافي والأخلاقي وبين مساعدة الفقراء هو المطلوب، وهذا ما كان رسول الله يعمل به ويحثّ عليه ، فليس شيء علىٰ حساب شيء.

وأخيراً واعدني الحاج بالخير ، والمسافة بين الوعد والإنجاز لا يعلم طولها وعرضها الاّ الله ![1]

تقول : لماذا أطرح لك هذه الهموم ؟

أقول : كان دأب المصلحين والعلماء الصالحين أن يكتبوا همومهم ضمن خواطرهم لعلّ مَن يأتون بعدهم ينتفعون بها فيمنعوا بعض الظلم الواقع علىٰ الهادفين لخير العباد والبلاد ، ونحن من المتأسين بهم ، نكتب للاّحقين وربما لبعض المعاصرين !

٣٤١ نَعَمْ للّغة العربيّة


الشيخ محمد تقي الفلسفي

يقول الخطيب الشهير سماحة الشيخ محمد تقي الفلسفي (حفظه الله) في كتاب له باللغة الفارسية حول (فنّ الخطابة) ماترجمته[2] :

لقد دعاني أحد التجار المحترمين ممن درس الاقتصاد في

---

١ – ملاحظة مرت ثلاث سنوات ولا خبرا ولو كنا ننتظر الحاج لما طُبع الكتاب. علماً أنه حتىٰ في مساعداته للفقراء قد لعب عليه بعض المتزلّفين ، وهذه مبعث الحزن والأسىٰ !

٢ ـ ملاحظة : هذه القصة وقعتْ في زمان شاه ايران المخلوع.

خارج ايران الىٰ منزله لإجراء عقد زواج ابنته مع ابن أحد أمراء الجيش ، وكان يحضر في المجلس أكثر من عشرين نفراً بعضهم من كبار الضبّاط . فكنت وكيلاً عن البنت لإجراء صيغة العقد ، وبعد اكمال الخطبة قرأت العقد مرتين باللغة الفارسية ليفهم الحضور مضمون العقد ثم أعدت قراءته باللغة العربية ولأكثر من مرة كما يقتضي الاحتياط الشرعي ، ثم ختمته بالصلاة علىٰ محمد وآل محمد، وبينما أخذ الحاضرون يتناولون من الحلوىٰ والفواكه توجّه نحوي أحد أمراء الجيش ـ والذي كان حين قراءتي لخطبة العقد دقيق التركيز والاصغاء ـ فقال : لماذا لم تقرأ صيغة العقد باللغة الفارسية ؟.

قلت : قرأتها مرتين بالفارسية .

قال : أقصد لماذا لم تكتف بها ؟.

قلت : حسب فتاوىٰ الفقهاء ان قراءتها بالعربية لازمة لمن يتمكن منها .

قال : نحن مسلمون ولساننا فارسي ، فاللازم أن نقرأ خطبة العقد بالفارسية وكذلك حتىٰ الصلاة نصليها بلغتنا !.

قلت : هل أنت جادّ في كلامك وتريد الجواب القاطع ؟

قال : نعم .

قلت : ان القرآن كتاب سماوي للاسلام وقد نزل باللغة العربية . فتعاليمنا الدينية بهذه اللغة .

قال : لا أفهم . فليكن القرآن بلغة عربية ، ونحن لغتنا فارسية فلابد أن تكون خطبة الزواج بالفارسية .

قلت : في بلادنا (ايران) مضافاً الىٰ من يتكلم الفارسية هناك أيضاً قوميات أخرىٰ كالبلوچ مثلاً ، أنا أسألك ، النشيد الوطني لإيران يذاع بكم لغة ؟.

قال : فقط بالفارسية .

قلت : لماذا لايذاع بكل اللغات التي تتكلم بها القوميات في ايران ؟

قال : لأن اللغة الفارسية لغة رسمية في البلاد فلابد أن يكون النشيد الوطني باللغة الرسمية.

قلت : أنت تمنح أربعين مليون انسان في ايران أن تكون لهم لغة رسمية واحدة ولاتمنح مليارد انسان مسلم في العالم أن تكون لهم لغة رسمية واحدة في الدين ، والمسلمون يتكلمون

بلغات عديدة ، فالصلاة التي هي من أروع الأناشيد الدينية بلغة عربية وهي لغة القرآن ، وتقول نحن مسلمون ولأن لغتنا فارسية فنصلي بلغتنا ؟!.

نعم لقد كان لهذا التشبيه في المقارنة والاستدلال أثر عميق على الحاضرين الذين كانوا يصغون لهذا الحوار . وأما المناقِش الذي كان ذا رتبة عالية في الجيش فقد غرق في التفكير للحظات ثم قال : معذرة[1].

ونحن نقول : نعم للغة العربية ، لأنها لغة القرآن والأمة ولغة أهل الجنة ، وكذلك نعم للوحدة البشرية لا للقومية والعرقية الجاهلية (وان اكرمكم عند الله أتقاكم) .

٣٤٢ تطبيق الأهم والمهم

كان آية الله الحاج ميرزا محمد القمي استاذ المرحوم الشيخ عباس القمي صاحب كتاب (مفاتيح الجنان) قد جسّد الفضائل الاخلاقية في سلوكه تجسيداً رائعاً وجذّاباً .

فمن سجاياه الحميدة العطف على الناس ومساعدتهم ،الى درجة كان المخطئون يسارعون في اللجوء الى داره طلباً للأمان ، فيأتي الميرزا القمي ويعالج المشكلة بالّتي هي احسن وفق الأحكام الشرعية الرائدة .

ومن سجاياه الجميلة تفقّده لأحوال السادة من ذرية الرسول صلى الله عليه وآله ، وخاصة الفقراء والمحرومين منهم . وامّا تواضعه وتقواه فيذكّران الانسانَ المسلم بأولئك المؤمنين الذين ربّاهم الاسلام المحمّدي .

ويمكنك ان تجد فيه هذه الخصال الإيمانية من خلال قصته الآتية :

حينما بدأ المرحوم آية الله العظمى الشيخ عبد الكريم الحائري عليه السلام - وهو تلميذ المجدِّد الشيرازي الكبير - يدرِّس الطلبة والعلماء في (قم) ، وانتظمت شؤون الحوزة العلمية بوجوده المبارك ، كان الميرزا القمي من أكابر الأساتذة فيها قبل مجيء الشيخ الحائري ، الاّ ان الميرزا فاجأ الجميع بصعوده على منبر الدرس وإعلانه : « اننا درسنا موضوع (الأهمّ والمهم) سنين طويلة ، وفي الوقت الحاضر ان حضور درس آية الله الحائري من الأهمّ ، فقوموا الى درسه » .

فنهضوا كلّهم وذهبوا الى درس آية الله العظمى الحائري رحمه الله ، الاّ ابناء الميرزا القمي

---

١ ـ كتاب بالفارسيه (سخن وسخنوري از نظر بيان وفن خطابه) ـ ص٢٩٧ .

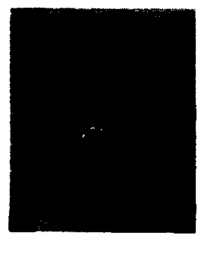
(ميرزا محمد تقي وميرزا محمد باقر) اذ قالا لأبيهما :

« اننا نريد الاستفادة من دروسك » ، لكنه طلب منهما ايضاً ان يذهبا للاستفادة من دروس لشيخ الحائري (أعلىٰ اللّه مقامهم جميعاً)[1].

أقول : لا يستطيع أحد الغلبة علىٰ حبّه للظهور، والتواضع لمن يراه أفضل منه في القيادة ، إنْ لم يكن قد تمرّس في ترويض نفسه وتهذيبها من قبل .

وهذا من مقام الاتقياء الذين ارتفعوا الىٰ اللّه ، فصاروا ينظرون الىٰ الدنيا وما فيها من بهجة وزهو ، نظرة استصغار .

٣٤٣ صدقةُ السرّ



السيد ابو الحسن الاصفهاني

سمعت من سماحة السيد عبد الحميد الاصفهاني (حفظه اللّه) حفيد المرجع الكبير آية اللّه العظمىٰ السيد أبي الحسن الاصفهاني رحمه الله نقلاً عن آية اللّه حجّت رحمه الله قال: كان في كربلاء طالب اسمه (السيد علي الاصفهاني) يذهب الىٰ النجف الأشرف للزيارة ولكنه يتأخر شهرين أو ثلاثة أشهر .

فسألته مرة : لماذا تتأخر ؟ ألا تفكّر في دروسك ؟

قال : يجذبني حبّ السيد أبي الحسن الاصفهاني ، هذا المجتهد الورع الكبير ، وماتدري كم هذا الرجل عظيم !؟

قلت : وهل وجدت منه ما يدعوك لهذا الإعجاب ؟

قال : كنت مجذوباً بعباداته وهيبته المعنوية ، فقد كان يخرج عند بداية الفجر الىٰ حرم الامام أمير المؤمنين عليه السلام ليصلي الصبح ، وكنت مع بعض مرافقيه امشي خلفه .

وذات يوم ، تأخر السيد في الخروج من المنزل ، ولم يكن أحد من مرافقيه ايضاً قد حضر، وربما كان السيد اخبرهم من قبل ان لا يأتوا ذلك اليوم ، وانا ما كنتُ أعلم بذلك لأني لست من مرافقيه المقرّبين الثابتين .

فانتظرته كثيراً وكاد اليأس يتسرّب الىٰ كياني ويأمرني بالانصراف ، فهممتُ بالذهاب الىٰ الحرم لوحدي ، واذا بالسيد خرج يمشي وحيداً ، فمشيت خلفه بمسافة ، ولم يكن يدري أو

---

١ ـ مجلة (نور علم) تصدر عن حوزة قم / العدد ١١٢ ـ ص ٨٨.

يتوقع أحداً يمشي ورائه ، وكانت السماء مظلمة وأذان الصبح بعد لم يحن . مشىٰ هذا المرجع العظيم حتىٰ رأيته ادخل ظرفاً ويبدو فيه نقود من طرف باب منزل أحد الفقراء ، ثم واصل مشيه .

هنالك اطلعت علىٰ (صدقة السرّ) التي يمارسها الأولياء بعيداً عن الرياء . فازددتُ انجذاباً لشخصية هذا المرجع الكريم .

٣٤٤ أنا لا أُدخّن

بعض يقول لا يستطيع ترك ما اعتاد وتعوّد عليه ! وخاصة معاشر المدخّنين !

بهذه المناسبة نقل الشهيد آية الله المطهري أن المرحوم آية الله حجّت (أعلىٰ الله مقامه) كان كثير التدخين ، ولم أر له مثيلاً في اشعاله سيجارة بعد سيجارة .

فلمّا مرض، جاء الىٰ طهران للعلاج فنصحه الأطباء بترك التدخين لصالح رئته .

فمازحهم السيد حجّت أول الأمر قائلاً :

أنا أريد رئتي للتدخين ، فإذا أمتنعُ عن التدخين فلا حاجة لي إلىٰ رئتي !

ولكنه بعد هذا المزاح قال بجدّ : من هذه الساعة أنا لا أدخّن .

كانت هذه الكلمة وكانت وراؤها إرادة صنعتْ منه الرجل المهاجر من عادة مضرّة ، فلم يدخّن بعد ذلك قط [١].

وفي الحديث عن علي عليه‌السلام : «أفضل العبادة ترك العادة»[٢].

أتمنىٰ للمدخنين ارادة ، والاّ فمن الله نرجو الصبر !

٣٤٥ لفتةٌ رائعة

لما كان الشيخ آخوند الخراساني صاحب (الكفاية) طالباً يدرس عند آية الله العظمىٰ الشيخ مرتضىٰ الانصاري رحمه‌الله وهو من أفضل طلبته المجدّين ، كان عنده ثوب واحد فقط .

فغسله ذات مرة وانتظر حتىٰ ينشف ، ولكن اقترب وقت الدرس والثوب لازال رطباً.

فلبس (الجبّة) رابطاً أكمامها . ولفّ علىٰ نفسه عباءته وأسرع الىٰ الدرس . جلس في ركن واستمع الىٰ درس استاذه ثم مع نهاية الدرس خرج مسرعاً إلىٰ محل سكناه لكيلا يطّلع

---

١ ـ مجلة نور علم العدد (١٠) (بالفارسية) تصدر عن حوزة قم .

٢ ـ غرر الحكم / ص١٧٦.

أحد على ما هو عليه ! ولكنه فوجيء بعد قليل بمن يطرق باب حجرته ، فتح الباب واذا بأستاذه الشيخ مرتضىٰ الانصاري يسلّم عليه ويقدّم له رزمة أخرجها من تحت عباءته وهو يقول بأدب ومحبّة : اعتذر من مزاحمتي لك في هذه الساعة ، وكنتُ أستطيع أن أُحضر لك ثوباً جديداً ، ولكن أحببتُ أن أعطيك ثوبي ، أرجو أن تُفرحَني بقبولك لهذه الهدية »

قال كلامه هذا وودّع التلميذ فوراً ، حتىٰ ما استطاع تلميذه أن يشكره . ولما فتح الرزمة وجد فيها ثوبين من ثياب أستاذه ، إنّها لهدية ذات قيمة معنوية أكبر من قيمتها المادية بالتأكيد[١].

والرائع في القصة هو لفتة الأُستاذ الىٰ وضع التلميذ من خلال جلوسه في الركن وسرعة خروجه بعد الدرس ومعرفته عن عفّة نفس هذا الطالب.

٣٤٦ بَكّاءٌ بمعنىٰ الكلِمة

نقل آية اللّه العظمىٰ الشيخ محمد علي الأراكي (دام ظله) أن الخطيب المنبري سماحة السيد محمود الخونساري أراد أن يرىٰ صلاة ليل العالم الورع آية اللّه نور الدين العراقي رحمه الله ، لأنه كان سامعاً بأنه بكّاء في الليل ، حتىٰ يقال أنه عندما كان في منتصف الليل يناجي في صلاته وتهجّده (العفو ، العفو) يجتمع المارّون في الزقاق قرب بيته متأثرين بذلك الصوت الخاشع الممزوج بالبكاء الدافيء.

فصادف أن المرحوم آية اللّه العراقي دعا بعض المؤمنين الىٰ حضور إفطار خلال شهر رمضان المبارك ، وكان من بين المدعوّين هذا السيد الخونساري (المشتاق الىٰ رؤية المرحوم في صلاة ليله) .

يقول السيد الخونساري : لما انتهينا من الإفطار وذهب الجميع ، جلستُ مكاني ، ولما رآني المرحوم العراقي جالساً قال لخادمه : أحضِر لحافين . فأخذ واحداً وأعطاني الآخر . استلقيت في فراشي ، وحاولتُ أن أبعِد النوم عن عيني حتىٰ السَحر وقت صلاة ليله . فعند السحَر رأيته قام وخرج يتوضّأ ثم أخذ يصلّي وهو يظن أني نائم ، فلما وصل الىٰ كلمة

---

١ ـ بالفارسية (مركى در نور) كتاب عن حياة آخوند الخراساني / ص ٦٠.

(العفو.. العفو.. العفو..) بدأ يكرّرها وهو يبكي بشدّة حتىٰ اختنق من شدة البكاء.

ويضيف آية اللّه العظمىٰ الأراكي قوله: بانّ المرحوم آية اللّه نور الدين العراقي كان ايضاً بكّاءً حسينياً لا نظير له، فلقد رأيته بعينيّ هاتين في العشرة الاولىٰ من المحرّم حيث كانت المجالس الحسينية تقام في بيته من أوّل طلوع الشمس حتىٰ الظهر، والخطباء يتوالون واحداً بعد آخر علىٰ المنبر، والناس يتوافدون بكثرة من (أراك) وأماكن أخرىٰ، فمن بداية المجلس حتىٰ نهايته كانوا يضعون أمام الشيخ عدّة مناديل لينشف بها دموعه، فكانت تتبدّل بأخرىٰ.

أنا لم أعرف ما هذه الدموع التي لم تنقطع ففي يوم عاشوراء كان بكّاءً بمعنىٰ الكلمة[1].

٣٤٧ مِن أسرار التاريخ!

«ضياء السلطنة» ابنة سلطان إيران فتح علي شاه، كانت ذات مال وجمال وكمال، أراد الشاه من آخوند ملاّ حسن اليزدي صاحب كتاب (مهيّج الأحزان) ـ المتوفىٰ سنة ١٢٦٤ هـ ـ أن يطلب يد ابنته (ضياء السلطنة) لابنه. فرفض الشيخ واعتذر قائلاً: يصعب أن تعيش بنات السلاطين في بيوتنا نحن الرعية!

ثم اقترح الشاه علىٰ الميرزا القمي صاحب كتاب (القوانين) أن يطلب يد ابنته، فرفض هو أيضاً!

ولمّا توفىٰ الشاه سافرتْ ابنته هذه الىٰ النجف الأشرف وطلبتْ من السيد محمد مهدي الطباطبائي أن يطلب يدها، فامتنع السيد!

ثم ترجّتْ من الشيخ محمد حسين صاحب كتاب (الفصول) أن يتزوّجها فلم يقبل الشيخ ايضاً!

ثم أرسلتْ الىٰ السيد ابراهيم الموسوي القزويني أستاذ صاحب كتاب (قصص العلماء) يخبره أنها ترغب في الزواج به (كزوجة ثانية). فردّ السيد: أن طلباتكنّ أنتنّ (بنات السلاطين) كثيرة، ونحن ليس لدينا غير الفقر والفاقة!

فأرسلتْ إليه قائلة: إنني لا أطلب منك مالاً، بل أنا أصرف عليك وعلىٰ عيالك.

فردّ السيد: إن لي زوجة وأولاداً يصبرون علىٰ عسر المعيشة وصعوباتها، والزواج بكِ

---

١ ـ بالفارسية مردان علم در ميدان عمل ص ١٤٢.

يستلزم أن أهجر زوجتي وأولادي ، وهذا شيء قبيح لايتلائم مع الوفاء .

فأرسلتْ اليه قائلة : أنتَ كن مع زوجتك وعيالك ، إنما أريد أن أحمل اسمك فقط (بأني زوجتك) . ولكن السيد امتنع أيضاً حتىٰ يئستْ ضياء السلطنة [1] .

وهذا من أسرار التاريخ .

٣٤٨ صَدْرُ المجالس

الشيخ الفيّاض والمؤلف

لا أدري هل صادف أن رأيتَ وارداً الىٰ مجلس وهو يحاول الجلوس في الصدر ولو علىٰ حساب الآخرين ومضايقتهم ! وكم يكون مزعجاً مثل هذه التصرفات التي يقوم بها بعض وهو يحسب أنه يخدم بها شخصيته ويرفع شأنه .

ذات مرّة دعاني أحد علماء مشهد الىٰ مجلس في داره ، فلما دخلتُ قام سماحة حجة الاسلام والمسلمين الشيخ فيّاض ـ دام عزّه ـ من صدر المجلس فاسحاً لي مكاناً لأجلس عنده، ولكني أصررتُ علىٰ الجلوس بين الناس ، الاّ أن الشيخ بقي واقفاً يحثّني علىٰ المجيء عنده، فلبّيت دعوته وإصراره بالتالي وجلست علىٰ يمينه . وكلما جاء عالم تغلغل بنفسه في صدر المجلس او بدعوة الذي يعرفه حتىٰ شعرتُ بضيق شديد . فقرّرتُ الخروج من الصفّ (أعني من الصدر) والجلوس مع الناس . ولقد أعجبني تضامن الشيخ فيّاض الذي دعاني الىٰ يمينه ، حيث خرج معي وجلسنا بعيداً عن ضيق المكان وضيق الخُلُق وضيق النَفَس ، ولا أدري كيف يرغب فيه بعض ويصرّ عليه مهما كلّف نفسه والآخرين من ضيق وعَرَق !

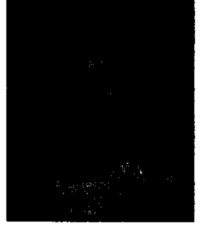
يقال : إن قضية الجلوس في صدر المجالس ، ومن يجلس ومن لا يحق له أن يجلس أصبحتْ سبباً لبعض النزاعات والخلافات بين الأشخاص في مدينة (أراك) الايرانية ، فقرّر المرحوم آية اللّه العظمىٰ الشيخ عبد الكريم الحائري ، استاذ الامام الخميني (رحمهما اللّه) أن ينسف هذه السنّة السّيّئة ، ويُحيي محلّها سنة الاسلام الحسنة ، والتي تقول : إجلس أينما رأيت مكاناً خالياً .

---

١ ـ قصص العلماء / ص ١١ .

يقول الامام الخميني لناقل هذه القصة : بأن استاذه الحائري أقام في أراك فترة من الزمان لأجل أن يمحي هذه السنة السيئة التي كانت وراء تلك النزاعات ، فكان يدخل المجالس ويجلس أينما وجد مكاناً خالياً فأخذ الآخرون يقتدون به ، وبذلك أحيىٰ سُنَّة الاسلام وأمات سنة الجاهلية . ويا ليت بعضاً يقتدي بهؤلاء العظماء[1].

٣٤٩ سلسلة دروس مترابطة



السيد عارف الحسيني

في سنة (١٩٨٠) الميلادية تعرّض المسلمون الشيعة في باكستان الىٰ الاعتداءات من قبل مسلّحين من أشرار مدعومين من قبل بعض مراكز القوىٰ في حكومة ـ ضياع الحق ـ الباكستانية . ولم يتفوّه أحد في الدفاع عن الشيعة المسحوقين في هذه الواقعة الدامية ، فقام العلامة الشهيد السيد عارف حسين الحسيني العالم الباكستاني الشجاع بحركة رائدة، اذ أعلن يوم عيد الفطر يوم حزن للمسلمين الشيعة في باكستان . فدعاهم الىٰ اجتماع منظّم يعربون فيه عن تنديدهم للظلم الذي يُمارَس بحقهم هناك ، فعطلتْ الأسواق وامتنع الطلاّب من الذهاب الىٰ المدارس ، وبكلمة واحدة أعلنتْ الجماهير طاعتها للبيان الذي أصدره زعيمهم السيد عارف الحسيني ، والذي أعلن استعداده الجريء لكل ما يترتب علىٰ موقفه الجهادي الحق .

فألقتْ الحكومة الباكستانية القبض علىٰ هذا العالم المجاهد ، والاعتقال ـ كما تعرف ـ هو اللغة الذاتية للحكومات الجائرة في طول التأريخ .

فخرجتْ الناس معترضة علىٰ اعتقال السيد ، واستمرت في المظاهرات السلمية مدة (٢٢) يوماً وكان شعارهم: (كل أرض كربلاء وكل يوم عاشوراء) . والحكومة الباكستانية واصلت في اعتقال المتظاهرين واخيراً وصل عدد المعتقلين الىٰ (٤١٦) . فلما رأت الحكومة هذا الاصرار من الناس أعلنتْ في اليوم الثاني والعشرين إطلاق سراح المعتقلين وفيهم السيد عارف الحسيني . ولكن الحكومة اصطدمتْ بقرار السيد الذي امتنع عن الخروج من السجن ، حيث قال : « انني في السجن هذه المدة بدأتُ أُدرِّس المعتقلين

---

١ ـ بالفارسية مردان علم در ميدان عمل / ص ١٥٣ .

الآخرين سلسلة دروس مترابطة حول تفسير القرآن . فلا زالتْ هذهالدروس لم تـنته ، فـلن أخرج من السجن الاّ بعد إنهائها » !

وهكذا بقي السيد مقيماً في السجن بإرادته أياماً يدرِّس فيها المعتقلين تفسير القـرآن ويكمل معهم البحوث التي بدأها لهم .

بهذا الموقف البطولي سجّل هذا العالم صفحة مشرقة أخرىٰ في تاريخ المسلمين الشيعة المضطهدين هناك [1] .

ومثل هذا العظيم لا يسمح له الظالمون أن يبقىٰ طويلاً بين المظلومين خشية أن يوصلهم الىٰ شاطىء النجاة ويسحب البساط من تحت أقدام الطغاة . لذلك اغتالته رصاصة الأُجَراء الذين هاجموه بعد صلاة الصبح مباشرة في اليوم الخامس من الشهر الثامن سنة (١٩٨٨) الميلادية وأردوه قتيلاً وارتحل شهيداً .

٣٥٠ روحٌ واحدة في ثلاث قوالب

كتب حجة الاسلام السيد جواد هادي ، تلميذ الشهيد السيد عارف حسين الحسـيني وصديقه المرافق يقول : جاءه أحد الطيّبين يحمل اليه كلاماً يذمّني فيه ويحاول أن يسقطني من عينه . فقال له السيد : « نحن روح واحدة في ثلاثة قوالب » !

بهذه الإجابة الحكيمة قطع طريق الوشاية والنميمة وحافظ علىٰ صداقته معي كما حافظ علىٰ ودّ الرجل إذ جعله النفر الثالث [2] .

ورد في الحديث : « مَن جدّد أخاً في الاسلام بنىٰ اللّه له برجاً في الجنة » .

وفي حديث آخر ورد : « إنّ اللّه تعالىٰ يحبّ المداومة علىٰ الإخاء القديم فداوِموا عليه » .

حقاً لقد طبّق الشهيد عارف الحسيني هذيْن الحديثيْن خير تطبيق ، فهل نحن كذلك ؟

٣٥١ الوظيفةُ الشرعية

درس العلاّمة الشهيد السيد عارف حسين الحسيني في حوزة النجف الأشرف من سنة (١٣٤٦) الىٰ (١٣٩٣) للهجرة ، وسافر منها الىٰ حوزة قم المـقدسة ، ثـم عـاد الىٰ وطـنه

---

١ ـ بالفارسية (سيد عارف حسين الحسيني از ولادت تا شهادت) / ص ٢٨ .

٢ ـ نفس المصدر / ص ٢٤٦ .

باكستان . عُرف في مسيرته العلمية والجهادية بصفات فاضلة كثيرة كالعبودية للّه والتهجد آناء الليل والبكاء من خشية اللّه ، والولاء لأهل البيت عليهم السلام وحبّه الشديد للحسين الشهيد سبط النبي محمد صلى الله عليه وآله . وكانت له اخلاق حميدة اشتهر بها بين من عرفوه وعاشروه ، كان شجاعاً وصبوراً ، واعياً وخدوماً ، كثير التفكير في معاناة الناس وشديد الاهتمام بقضاياهم .

يقول أُستاذه آية اللّه حرم پناهي : وجدتُ فيه استعداداً علمياً في علم الفقه والأصول يمكّنه بسهولة أن يبلغ درجة الاجتهاد ويصبح مرجعاً للتقليد .لذلك قلتُ له : إبق في الحوزة وواصل دراستك فإني أرىٰ لك مستقبلاً مرجعياً عالياً ، لأن باكستان ليس فيها مرجع تقليد .

ولكن العلاّمة السيد عارف حسين الذي كان شديد الودّ لخدمة الناس ، وقيادة شؤونهم لرفع ظلامة المحرومين في باكستان ، قال لأستاذه : أنا أشعر بالمسؤولية ، ولقد تبيّنتْ لي وظيفتي الشرعية ، فلا استطيع أن أبقىٰ هنا [1] .

فهاجر الحوزة العلمية الىٰ ساحة العطاء ، ليقول للآخرين إن المجتمع يحتاج الىٰ علماء متصدّين ميدانيين كالأطباء الدوّارين بين الناس بطبّهم ، وليس كلّ الحلول في أن يصبح الجميع مجتهدين وخاصة اذا كان الاجتهاد في واد غير واد الناس وبعيداً عن حاجاتهم الفعلية ! ثم ان المطلوب أن تكمّل الأدوار بعضها بعضاً دائماً .

٣٥٢ حاذقٌ في قطع الجيوب !

نقل لي الخطيب الفاضل سماحة العلامة الحاج السيد جعفر سيّدان (حفظه اللّه) ـ وهو من كبار علماء مشهد المقدسة ـ أن عالماً من تبريز في سنوات ماضية طلب من الامام الرضا عليه السلام أن يوفقه لزيارته ، فرأىٰ الامام في الرؤيا يدعوه الىٰ مشهده المقدسة ولكنه قال : اذهب الىٰ مقهىٰ ... وقل لـ«مشتي رجب جيب بُر» أن يرافقك في الزيارة !

يقول العالم : انتبهت من النوم وكلّي عجب واستغراب ! كيف يطلب الامام الرضا عليه السلام الإتيان بهذا الرجل المشتهر بين الناس بـ«جيب بُر» ـ يعني قاطع الجيب ـ لحذاقته النادرة في سلب الناس ما في جيوبهم من غير إحساسهم به .

ملكتني الدهشة وأخذتُ أتساءل مع نفسي كيف أذهب الىٰ هذا المقهىٰ وهو مكان يجتمع فيه سيّئوا السمعة ؟ وهل أمامي طريق سوىٰ الإستجابة لطلب الامام المعصوم عليه السلام ؟

---

١ ـ نفس المصدر / ص ٢٢٨ .

وهكذا وسط استغراب الناس الذين سألتُهم عن عنوان المقهىٰ دخلتُ علىٰ الرجل ، وهو كذلك استغرب من مجيء عالم دين اليه ، ولكنه ازداد غرابةً حينما أخبرته برؤياي !

فقال بصوته الغليظ : ولكن لا أملك زاداً ونفقة .

قلت : زادك ونفقتك عليّ كما ان زادي ونفقتي علىٰ صاحب الدعوة الامام الرضا عليه السلام !

قال : ما دام كل شيء بالمجّان فإن الامتناع دليل الحماقة !.

قلت : قم إذن وتحرّك .

فخرجنا في حافلة (باصّ) متجهين الىٰ مشهد المقدسة ، الا أني خوفاً من أن الرجل ربما يقطع جيوب الركّاب أمرتُه أن يجلس علىٰ المقعد الأول كيلا يكون أمامه مَن يسلبه ما في جيبه ، فأكون أنا موضع تهمة بسببه .

قطعتْ الحافلة مسافة ساعات حتىٰ أظلمتْ السماء ، فقال بعضنا للسائق من الأفضل أن نبيتَ في منطقة قريبة ثم نواصل الطريق غداً في الصباح .

قال السائق : لا داعي لذلك ، فأنا أتمكن من القيادة في الليل ، ففي الصباح أنتم في مشهد المقدسة بسلام .

ولم تكن إلاّ ساعة واذا اثنان مسلّحان قطعا الطريق وأوقفا الحافلة وركبا يهدّدان : اعطونا ما لديكم من مال قبل أن نستولي عليه بعد قتلكم فتخسروا المال والنفس !

وليس من شك أن الخيار الأول هو الارجح من السلب والقتل معاً . وهكذا بدأ كل راكب يُخرِج ما لديه فيجمعه أحد السارقين علىٰ دفعات ويعطيها لصاحبه الواقف جنب المقعد الأول عند الباب في المقدمة .

واستمر السلب حتىٰ مؤخرة الحافلة ، والسارق الأول مستمر أيضاً في ادخال تلك الأموال في جيبه ، ولما نزلا وتحرّكتْ الحافلة ، أخذ الركّاب يلومون السائق وزاد بعضهم اتهامه بالتواطؤ مع قطّاع الطريق ، لأنه رفض الاستراحة حتىٰ الصباح . فكانوا يقولون ماذا نصنع في السفر بيد خالية ، وكيف نعود الىٰ مدينتنا الآن ؟!

فقال السائق المسكين : أنا لا أريد منكم أجرتي .

وقال الركّاب : وهل هذا يشبعنا من الجوع ؟!

هنا قام صاحبي (مشتي رجب جيب بُر) وأخذ يخاطب الجميع : رجاءً بلا إطالة ولامجادلة .

فبدأ يسأل كل واحد منهم مقدار ما أُخِذَ منه فأعطاه إياه ، وحيث كنتُ أعلم أنّ صاحبي (مشتي رجب) لم يملك مالاً معه سألتُه بصوت عال : مِن أين جئتَ بهذه الأموال ؟

فقال وهو يضحك : هذه أموالكم ، فكلما كان يستلم السارق الواقف عندي من صاحبه ويُدخِله في جيبه كنت أُخْرِجُه منه وهو لا يعلم ، وهكذا فلقد نَزَلا من الحافلة وليس في جيبه ريالاً واحداً . فاندهش الركّاب من فِعْله العجيب وشكروه علىٰ إنقاذهم وإرجاع أموالهم أيضاً.

ولمّا وصلنا الىٰ مشهد المقدسة اغتسل (مشتي رجب) غسل التوبة الىٰ اللّه عما سبق من قطعه لجيوب الناس وراح يزور الامام الرضا عليه‌السلام باكياً ويشكره علىٰ هدايته له .

وهنا علمتُ مغزىٰ رؤياى ، لماذا الامام الرضا عليه‌السلام طلب مني الإتيان بهذا الرجل في السفر الىٰ زيارته .

٣٥٣ لماذا بكىٰ الشيخ الكاظمي ؟

المرحوم المقدّس الكاظمي ، واحد من العلماء الزاهدين الذين تجرّدت قلوبهم عن حبّ الدنيا والتلذّذ بزينتها . لقد زاره أحد علماء البلاط الايراني في النجف الأشرف ، ولمّا دخل عليه في بيته المتواضع تأثر من ضيق معيشته . وكان قد رحّب به المقدّس الكاظمي ولكنه لما أطال الجلوس قال له : ان زيارتك لي أمر مستحبّ وسبب للثواب ان شاء اللّه الاّ انها مقترنة مع جلوس زوجتي واطفالي تحت حرارة الشمس الحارقة في ساحة البيت اذ ليست عندنا سوىٰ هذه الحجرة التي نحن جالسون فيها الآن ، لذلك فإني أخشىٰ أن نقع في أمر محرّم من أجل أمر مستحب !

فاختصر الزائر جلوسه من غير زعل ثم ودّع المقدّس الكاظمي وقلبه يعتصر ألماً علىٰ فقره وهو بهذه المكانة من العلم والتقوىٰ . فحينما عاد الىٰ ايران ، سأله الملك : ماذا أتيت لنا من هدية العتبات المقدسة ؟ فقال العالم : أتيتُ لك بقصة عالم كبير هذه معيشته، فنقل القصة الىٰ الملك .

فأرسل الملك مالاً كثيراً الىٰ المقدّس الكاظمي . ولكنه رفض أن يستلم المال فكلّما أصرّ عليه الرسول أصرّ الكاظمي علىٰ عدم القبول ، فسأله الكاظمي عن قصة المال ؟

قال الرسول : ان العالم الذي زارك نقل الىٰ الملك وضعك المالي فأهدىٰ اليك الملك هذه الأموال .

هنا أجهش المقدس الكاظمي بالبكاء واكّد على عدم قبوله للمال مرة أخرى. فرجع الرسول مع الأموال الى ايران ، بعد ذلك سُئل الكاظمي عن سبب بكائه ورفضه لهدية الملك ؟ فقال: إنّ عِلْمَ الملك بحالي وارساله هذه الأموال يكشف لي اني مرتكب معصية ما، معصية سبّبتْ لي ان يُسجَّل اسمي في ديوان الظالمين ! [١]

أقول : كم جميلٌ أن نتدبّر هنا في الحديث القائل : « إنّ الدنيا مشغلةٌ للقلوب والأبدان، وإنّ اللّه تبارك وتعالى سائلنا عمّا نُعّمنا في حلاله فكيف بما نُعّمنا في حرامه ».

٣٥٤ لا تَنْسَوا الصدقة

مع طلوع الشمس في يوم من أيام صيف سنة (١٩٨٢ م) ، قبل ان ننطلق في سيارة (بي . إم . و) الالمانية من طهران الى حوزة القائم العلميّة الواقعة على بعد (٣٥) كيلو متراً خارج طهران ، أخرجتُ من جيبي صدقة فوضعتها أمامي على الواجهةالداخلية للسيارة وانا جالس على يمين السائق وهو واحد من الأصدقاء .

خرجنا من حدود المدينة واصبحنا نسير في شارع ضيّق ذي اتّجاهين ذهاباً واياباً للسيارات الكبيرة والصغيرة على السواء ، وكان هذا الشارع المسمّى بـ(جادة خراسان) معروف بالصدامات العنيفة وحوادث السير الكثيرة . والشارع يرتفع عن سطح الأرض بمتر واحد بين زيادة ونقصان في امتداده الطويل ، وتجد على طرفيه بين مسافة وأخرى تلاً من الأحجار والتراب والنفايات المرميّة هنا وهناك ، ذلك من مخلّفات النظام الشاهنشاهي البائد الذي عمد إلى ترك المنطقة الجنوبية من طهران تعيش الفقر والحرمان .

كنا نسير بسرعة تسعين كيلو متراً تقريباً واذا بنا نواجه شاحنتين تتسابقان ، ولم يتنازل أحدهما للآخر كي يفتح الطريق للطرف المقابل . وهكذا اصبحنا بين أمرين لا ثالث لهما ، إما الصدام مع الشاحنة وجهاً لوجه (فننعجن) ! وإما الانفلات والخروج من الجادّة الى حيث يشاء اللّه !

ويبدو ان احتمال البقاء في الأمر الثاني كان هو الأقرب الى مشيئة اللّه تعالى ، فمال السائق الى حافّة الشارع ولكن عجلة سيارتنا فقدتْ توازنها عندما مستْ طرف الإسفلت، فأوشكنا على الانقلاب أمام الشاحنة مما يعني انها تأتي علينا لا محالة . الاّ أن السائق تغلّب

---

١ ـ (بالفارسية) مردان علم در ميدان عمل / ص ٢٢٥ .

علىٰ الموقف فأخرج السيارة من الصدام المواجه فصدمنا بتلٍّ من مخلّفات البناء، هنا لا أدري ماذا حصل ولكني كنت اسمع صوتاً كصوت احتكاك الحديد بالحجر، فارتفع الغبار فلم أرَ شيئاً غيره، غبتُ عن بقية فصول الحادث ثم عدتُ أشعر بأني اصبحت تحت أنقاض، لذلك اخذتُ أسحب نفسي الىٰ الوراء، حتى استلقيتُ من شدّة الضعف. وبعد قليل حيث انجلىٰ الغبار رأيتُ حولي رجالاً متفرّجين وكان صدري رطباً فلمسته واذا هو من أثر دم نازف ولم أعرف مصدره. هناك سمعتُ واحداً من المتفرّجين يقول للثاني: ليس لهذا من حظ في البقاء، فإنه الىٰ الموت أقرب منه الىٰ الحياة!

فصرخ في وجههم الأخ جلال الوكيل، السائق الذي خرج من الحادث سالماً فقال لهم: بدل هذا الكلام خذوه الىٰ أقرب مستشفىٰ. فتحرّك ضميرهم وحملوني الىٰ سيارة لأحدهم وأنا اقرأ في هذه اللحظات كل ما ورد ببالي من آية ودعاء واستغفار ورجاء الىٰ اللّه القادر علىٰ ما يشاء.

وحينما أدخلوني الىٰ غرفة الطبيب، وشاهدني بتلك الحالة تملّص من معالجتي، وقال: خذوه الىٰ مكان آخر أنا الآن مشغول بالآخرين لا أستطيع أن أتحمل مسؤوليته، ولكن إحدىٰ الممرّضات ـ التي اغتاضتْ من تصرّف الطبيب ـ تقدّمتْ وأخذتْ تغسل وجهي وتقوم بالإسعافات الأولية وتضميد بعض الجروح ولم تكن غير ثلاثة وللّه الحمد، الاّ أنها قالتْ يلزم أخذ أشعة للجمجمة والصدر للاطمئنان علىٰ سلامتهما من النزيف الداخلي، وهذا الأمر ليس بيدي. شكرتُها ثم أخذني الأصدقاء الذين وصلوا خلال تلك الساعة فور علمهم بالحادث ونقلوني الىٰ مستشفىٰ آخر للأشعة والتصوير وتبيّن أن كلّ شيء علىٰ حاله السابق والحمد للّه. وكتب لي الطبيب بعض الفيتامينات لدفع آثار الرضوض نتيجة انفلاتي من السيارة خارجاً حين انفتاح الباب.

والغريب هنا أن كلّ من شاهد السيارة الملتوية رغم قوتها كان يقول بأن الذي كان فيها لم يخرج سالماً بالتأكيد.

أقول: ان الحياة بيد اللّه واهبها الأول والأخير، وهو الذي جعل في دفع الصدقة دفعاً للبلاء الصغير والكبير، فلا تنسوا الصدقات أيها الأحباء.

ولعلّك تسألني عن الشاحنتين اللتين سبّبتا لنا هذا الحادث الخطير؟

أجيبك: ان ديدن الأقوياء الجالسين فوق الأسرّة المتحصّنة بسور من الحماية لاينظرون

الىٰ مَنْ تحتهم والىٰ ما يتركون خلفهم حينما يدهسون الضعفاء ، وهذه الحقيقة لا تـخص سوّاق الشاحنات بل كلٌّ حسب درجته ومنزلته ومجاله ، وخاصة الاثرياء واصحاب السلطة في المجتمع الاّ المتقون منهم وهم قلّة ، من هنا فإن الشاحنتين واصلتا مسـابقتهما كأن لم يحدث ما يوجب توقفهما ، وهل يتحمل غير المتقين مسؤولية أخطائهم؟!

٣٥٥ السيّد أنفعُ لكم منّي

« پونا » مدينة هندية تبعد عن « بومبي » مسافة ثلاث ساعات بـالقطار ، دخـلتها سـنة (١٩٨٥ م) للتبليغ الديني وتفقّد احوال المسلمين وخاصة الطلبة الجامعيين العرب ، في هذه المدينة مسجد كبير للشيعة يسمّىٰ (اماميارة) يؤمّ فيه المصلّين الهنود والعرب والايرانيين سيّدٌ معمّم من نفس البلد . تعرّفتُ عليه بدعوته الىٰ الفندق حيث تناولنا وجبة الغداء معاً ، ثم دعاني الىٰ وجبة في يوم وقال : طرأتْ لي سفرة مستعجلة الىٰ بومبي ، ربما تستغرق ثلاثة أيام ، ما رأيك أن تؤمّ المصلّين مدّة غيابي ؟.

قلتُ : حسناً .

في اليوم الاول بعد انتهائنا من الفريضة قال احد المأمومين وهو ثريّ من المساهمين في بناء المسجد وينحدر من أصل فارسي : ان قراءتك عربية فصحىٰ ، تتلفظ الألفاظ في الصلاة أحسن من السيّد !

قاطعتُ كلامه وقلتُ : صلاة السيد صحيحة والمهمّ هو أن يتقبّل اللّه تعالى .

ثم بعد يوم أقيم مجلس فاتحة في المسجد ، فارتقيتُ المنبر بعد تلاوة لأحـد الاخـوة المؤمنين لآيات من الذكر الحكيم ، فتحدثتُ باللغتين العربية والفارسية مع ذكر مـصائب حسينية لستُ متخصّصاً فيها بالطبع ولكن رجاء الثواب ولكيلا يخلو مجلسنا من ذكر أهل البيت عليهم‌السلام ومع ذلك فقد طرح عليّ الرجل الثريّ والذي كان هذه المرة معجباً بكلمتي علىٰ المنبر فكرة الاقامة في « پونا » واستلام المنبر والمحراب والمسجد وانه يرتّب لي بيتاً وراتباً شهرياً وخادماً ايضاً !

وهذا يعني (انقلاباً ابيض) علىٰ السيّد الهندي الطيّب ، ولو كنت أفعله هل كان يقبل اللّه منّي صلاة في ذلك المسجد ، وهل يرتفع دعائي الىٰ سماء الاستجابة ، وهل يرتاح ضميري ، وهل تحسن عاقبتي ، وهل هذه رسالتي وطموحي في الحياة ، ثم ماذا يقول الناس الواعون

الذين تؤلمهم الصراعات والخلافات الناتجة من هذه التجاوزات والمصالح الذاتية ؟!

من هنا قلتُ للرجل : ان السيّد أنفع لكم مني ولستُ أنا إلاّ ضيفه ، وسوف أغادر الهند بعد أيام ، وهكذا انقذني ربّي من تلك (الورطة) !

٣٥٦ حَكَم القضاء ، حَتَم القدَر

نقل لي سماحة آية اللّه الحاج السيد أحمد المددي ـ دام ظلّه ـ ، وهو كان استاذنا في النجف الاشرف ، ويُعَدُّ اليوم من أفاضل اساتذة حوزة قم المقدّسة : ان المرحوم آية اللّه العظمىٰ الميرزا محمد الطهراني أصيب بفقد البصر فلم يرَ شيئاً ، فوفد اليه العلماء في النجف الاشرف لعيادته الاّ سماحة آية اللّه العظمىٰ الشيخ ميرزا حسين النائيني ﵀ حيث لم يكن يعلم بالنبأ .

مضتْ أيام حتىٰ صادف اجتماع هذيْن العالميْن المرجعيْن في مجلس بمناسبة ما .

والمعروف ان الشيخ النائيني كان ثقيل السمع ، فعاتبه الميرزا محمد الطهراني الذي كان جالساً جنبه أني فقدتُ بصري فجاء لعيادتي كلّ العلماء وأنت لم تأتِ !

في البداية لم يسمع الشيخ النائيني ما قاله الميرزا الطهراني حتىٰ رفع صوته قليلاً فعرف المقصود فاعتذر اليه بعدم علمه بالخبر .

هنا ارتجل الميرزا الطهراني أبيات شعر فارسية ذات مطلع عربيّ تدلّ علىٰ نفسه المطمئنة لقضاء اللّه وقدره وقريحته الشعرية الرائعة وأريحيته اللطيفة ، فمن تلك الأبيات قوله :

حَكَـمَ القـضـاء ، حَـتَمَ القَـدَرْ ‌ ‌ ‌ زِتو بُرْدِه سَمْعُ وزِمَن بَـصَرْ

تو بگو چِسـان دَهَـمَتْ خَـبَرْ ‌ ‌ ‌ مَنِ تازه كورُ وتو كُـهْنه كَرْ

ومعناها : إن القضاء حكم والقدر كان محتوماً لأن يسلب منك السمع ومني البصر ، قل لي كيف اخبرك وأنا حديث العمىٰ وأنت قديم الصمم !

٣٥٧ القرآن والتوافُق الفِطري

بداية عام (١٩٨٨ م) كنتُ في (بارشلونا) وهي أهمّ المقاطعات الاسبانية وأثراها ، ولقد دفعني حب الاستطلاع الىٰ الدخول في جامعة طلاّبيّة قرب ساحة (بلاس كاتلونيا) وهي ساحة معروفة في مركز المدينة . اخذتُ ـ دون أن ألبس العمامة طبعاً ـ أتجوّل في أقسام

الجامعة واقرأ الاعلانات على الجدران حَشْراً مع الطلبة الجامعيين والجامعيات . في الأثناء سمعتُ اثنين يتكلّمان العربية بلهجة مغربية ، اقتربتُ منهما وتجاذبنا أطراف الحديث ، وعند اقتراب ساعة درسهما تواعدنا لنلتقي غداً . وفي اليوم الثاني رأيت قرب القسم العربي فتاتين محجّبتين تتباحثان الكتاب الذي بين يديهما ، وبدا لي انهما أجنبيتان ، و (للفضول) سألتهما : مِن العرب ؟

قالتا : لا ، نحن أسبانيتان نتعلم اللغة العربية .

قلتُ : أسبانيتان ومحجبات يعني أنكما مسلمتان ، أليس كذلك ؟

قالتا : بلىٰ ولكننا حديثا عهد بالاسلام .

سألتهما : كيف ولماذا ؟

قالت إحداهما : لقد كنّا نقرأ في الأديان القديمة والافكار البشريّة فلم تقتنع فطرتنا بها، حتىٰ ذات يوم اعطانا أحد المسلمين القرآن الحكيم ، فما قرأنا الكلمة الاولىٰ فيه وهي ﴿ بِسمِ اللّهِ الرّحمٰنِ الرّحيم ﴾ حتىٰ استولىٰ علينا شعور غريب من التوافق الفطري، فكلما انتقلنا من آية الىٰ آية ومن سورة الىٰ سورة كان هذا الشعور يتعمّق في روحنا، وهكذا عثرنا علىٰ ضالّتنا فاعتنقناها بقناعة وبصيرة .

أقول : ذكّرني كلامهما بما قاله لي أحد شباب البحرين في مأتم محلّة (السكّيّة) سنة (١٩٧٦م) ، بعد محاضرة القيتها حول عظمة القرآن الكريم وضرورة قراءته والتدبّر في آياته ، حيث قال الأخ : إني تعرّضتُ قبل فترة لحالة اضطراب نفسي شديد ، فألتجأت الىٰ تلاوة القرآن الكريم فشعرتُ براحة نفسية عجيبة ، وبعد مدّة تركتُ التلاوة فعادتْ إليّ الحالة السابقة ، فتحتُ القرآن مرة ثانية وتلوتُ آيات فصرتُ اشعر بالراحة والطمأنينة ثانياً ، وهكذا التزمتُ بكتاب اللّه ولم أترك تلاوته بعدئذ .

٣٥٨ اختلاف أهل التمييز والخبرة

اذا أختلف أهل التشخيص والتمييز من كبار العلماء في الشهادة بأعلمية مرجع من مراجع الدين هل يكون ذلك مخّلاً بالمقياس في انتخاب المرجع ؟

أجاب على هذا السؤال الهام جدّاً سماحة العلامة الشيخ محمد تقي آل الفقيه العاملي في كتابه : « جامعة النجف في عصرها الحاضر » قائلاً :

سألني مرة الحاج عليوي او اخوه الحاج سعدون ـ وهما من مؤمني سويج شجر «ناحية الفجر» التابعة للواء الناصرية من ألوية العراق ـ: هل الشيخ عباس الرميثي من اهل التمييز ؟

قلت : نعم .

فقال : انك تختلف معه في الترجيح، فهو يرجّح الشيخ محمد رضا ياسين، وانت ترجّح السيد محسن الحكيم، فما هو السبب ؟

فقلت له : انك وأخاك تاجران في الطعام (الحنطة والشعير) وكلاكما مؤتمن (أي أمناء صادقون) ، فقد يُعرَض عليكما نموذج من الحنطة، فيقول احدكما قيمتها كذا لأن فيها بريقاً ولمعاناً، وذلك يدل على جودة خبزها، ويقوّمها الآخر بقيمة دون تلك القيمة ويقول : ماقاله أخي حق ولكن لونها ابيض وحبّتها ضخمة، ومثلها لا يكون جيداً في الخبز.

فهل ترىٰ أن احدكما خان ضميره ؟

قال الحاج : لا .

قلت : وهكذا يختلف أهل التمييز . فقد يرىٰ احدهم مرجُحةً في مرجع لا يراها الآخر، وهذا لا يضرّ بورعهم وأمانتهم ونصحهم للمؤمنين، بل هو نوع من اختلاف وجهات نظر قد سمح بها الاسلام ما دامت لا تخرج عن القيم الأخلاقية والحدود الشرعية .

٣٥٩ من سويسرا إلى قم المقدّسة


السيد حسين البروجردي

كتب الدكتور (چهرازي) أستاذ جامعة طهران في (زمن الشاه) ورئيس مكافحة المخدرات والخمور في ايران، انه برفقة الدكتور السويسري (آرشه تونك) أمين عام المنظمة الدولية لمكافحة الخمور والمخدّرات ذهبنا الى قم المقدسة للقاء بالمرجع الكبير آية اللّه العظمىٰ السيد البروجردي (رحمه اللّه) ، وكان الدكتور (آرشه تونك) قادماً الى ايران لمعرفة دوافع تحريم الخمر في الاسلام ، دخلنا حسب الموعد على السيد البروجردي ، فقبّلنا أنامله الكريمة وكان زهده ومظاهر حياته المعنوية ، وهيئته الجذّابة وجبهته العريضة ونظراته الودودة وترحيبه الحار وسؤاله عن حالنا قد أضفىٰ على هذا اللقاء نسيم المعنويات التي لاتوجد الا عند هؤلاء الروحانيين .

في البدء شكرتُه على منحه لنا هذا اللقاء ثم عرّفتُ الدكتور (آرشه تونك) وقلت انه سافر الى اندونيسيا وجاء الى ايران، وهو شديد الاشتياق لرؤيتكم، ولديه أسئلة بخصوص مهنته ومنصبه في مكافحة المشروبات الكحولية المسكرة.

فأذن سماحة السيد بطرح الأسئلة، فقال الدكتور (آرشه): يا سيادة المرجع، لماذا حُرِّم في الاسلام استعمال المخدّرات وشرب الخمور؟

فأجابه السيد البروجردي: ان الانسان بسبب امتلاكه للعقل فهو أشرف المخلوقات، ولقد خلقه اللّه كذلك من أجل أن يتكامل نحو الخير والفضائل، ولم يكتفِ جلّ جلاله بتركيب العقل والشعور فينا بل أرسل إلينا تعاليماً للحفاظ على العقل وتنميته، من تلك التعاليم هو تحريم الخمور والمسكرات والمخدّرات لأنها تضعف دور العقل في الحياة، وكذلك فإن العقل السليم أيضاً قد حرّمها إذ يراها عدوة لها وآفة لتكامل الإنسان وسعادته.

الدكتور (آرشه تونك): أجل، هذا شيء معقول ولكن اذا لا يبلغ الشرب الى حدّ السكر وذهاب العقل والشعور فهل التحريم ينتفي؟

السيد البروجردي: كلا.. التحريم باق حتى للقليل الذي لا يؤدي الى السكر.

الدكتور: لماذا؟

السيد: حينما علمنا أن الفاصل بين الإنسان وبهيمة الأنعام هو امتلاك الانسان للعقل وانعدامه لدى البهائم، وعلمنا ايضاً أن من واجب الإنسان الحفاظ على هذه الوديعة الالهية بكل جدّ ومثابرة، فإن ايّ خطر يهدّد بالنفوذ الى داخل قوىٰ الانسان ليخملها ويضعفها يكون حراماً، ومن المؤكد أن الخمر حتى القليل منه يؤدي الى خمول القوىٰ وضعف المشاعر تدريجياً. مضافاً الى ذلك فإن اللّه تعالى خالق الإنسان يعلم طبيعة هذا الموجود انه اذا بدأ بالقليل يفرط فيه ولا يتوقف عند حدّ. أما تجده كلما استولىٰ على مال طلب المزيد واذا حصل على شهوة بحث عن الأكثر واذا وصل الى منصب فتّش عن منصب اكبر، وهكذا فإن اتباع خطوات الشيطان مقدمة للتخطي على خطىٰ الشيطان، والبدء بالقليل (غير المسكر من الخمر) مقدمة للازدياد حتى بلوغ المسكر منه، بل وحتى الجلوس على مائدة الخمر من دون شربه يوسوس الشيطان لتناوله، فيتمّ الاستدراج حتى الاستيلاء الكامل، أليس كل من أصبح مدمناً علىٰ الخمر كان بادئاً أول ما بدأ بالجلوس مع المدمنين والنظر اليهم ثم البدأ بالقليل منه؟!

(وهنا تلا السيد البروجردي ـ قُدّس سرّه) بعض الآيات القرآنية حول تحريم الخمر).

فقال الدكتور السويسري (آرشه تونك) وكان معجباً بهذه الإجابة السديدة حول الحكمة من تحريم القليل من الخمر: «منذ عشر سنوات أُشغل منصب رئاسة المنظمة الدولية لمكافحة الخمور والمخدّرات، وخلالها التقيت بشخصيات كثيرة في العالَم سواء الدينية او السياسية او الاجتماعية ودار بيننا حوار لمدة ساعات طويلة حول الخمر ومضارّه، ولكنني لم احصل على إجابات كاملة ومقنعة كالتي سمعتها الآن من سماحتكم. ان ما ذكرتموه يكفي سنداً للاتكاء عليه في مهمتي لمكافحة هذا الإدمان الضارّ، ان الحقيقة التي عثرت عليها في هذا اللقاء هي أن اتباع نصائحكم خير سبيل لنيل أهدافنا. باسمي وباسم المؤسسات الدولية العاملة في تحقيق هذه الأهداف اشكر سماحتكم وأتمنىٰ أن نتوفق في هذا الطريق بقيادتكم».

ويختم الدكتور (چهرازي) ـ كاتب هذا المقال ـ:

وهكذا قبّلنا أنامل آية الله العظمىٰ السيد البروجردي وودّعناه والعَجَب يغمرنا من ذلك الوجه المبتسم المشعّ نوراً وصاحب الصدر الواسع والثغر المرحّب وما حوله من آثار الزهد وبساطة العيش. وكان صديقي الدكتور (آرشه تونك) السويسري شديد التأثر حين وداع السيد البروجردي. ولما رجع الى سويسرا بعث لي رسالة يقول فيها: بلّغ سماحة السيد سلامي واعجابي وشكري واشتياقي[1].

٣٦٠ حُمّىٰ غامضة!

أُبتُلي بحمّىٰ شديدة ومجهولة السبب، عجز الأطباء في ايران أن يشخّصوا السبب الغامض لهذا المرض الذي كان يضعف قواه بشدّة. وبالطبع كان كل طبيب يحتمل سبباً ولكنهم لم يعرفوا السبب الأساس حتىٰ قلق عليه الامام الخميني، فكان يوصي نجله السيد أحمد الاهتمام بالموضوع، فلم يكن يوماً لا يتصل فيه السيد أحمد للسؤال عن صحّة هذا العالم الجليل. وقد كان يقول له: ان الوالد يدعو لك في كل يوم بالشفاء.

وأخيراً وباقتراح من الامام الخميني للعلاج في خارج ايران سعىٰ حثيثاً نجله السيد أحمد فسافر آية الله الحاج الشيخ محمد فاضل اللنكراني (وهذا اسمه) الىٰ ألمانيا، وهناك

---

١ ـ كتاب بالفارسية (مناظرة دكتر و پير) ـ ص٤٨٧ تأليف الشهيد العلامة السيد عبد الكريم هاشمي نژاد.

استنفر الاخصائيون لمعرفة سبب هذه الحمىٰ الغامضة ، وفي النهاية استقّر رأيهم علىٰ انه مصاب بسرطان الدم !

فانهالوا عليه بالأدوية الكيماوية الشديدة للغاية . ولكنه بدل التحسّن كانت صحته تنحىٰ باتجاه المزيد من الضعف والتدهور .

وهنا مسك الشيخ سبحة الزهراء عليها السلام فأخذ خيرة . واذا به يقرّر فوراً العودة الىٰ ايران ، فنصحه الأطباء بعدم مغادرة المستشفىٰ ومقاطعة العلاج الكيماوي . ولم يثنِ ذلك عزم الشيخ ، فشكرهم علىٰ مساعيهم وخرج قافلاً الىٰ ايران .

يقول نجله سماحة الشيخ جواد (حفظه اللّه) والذي كان مرافقاً لوالده المكرّم اننا حملناه الىٰ الطائرة ولم يكن قادراً علىٰ حركة ، فجئنا الىٰ منزلنا في قم المقدسة آيسين من الطبّ الحديث، وأملنا هو باللّه تعالىٰ عبر أوليائه الصالحين أئمة أهل البيت عليهم السلام .

وكان من بين تلامذته وأحبائه الذين يزورونه ويعودونه سيد موسوي (من نسل الامام موسىٰ بن جعفر الكاظم عليه السلام) قال : اننا (١٤) سيداً موسوياً عندما تتعسّر علينا مشكلة معينة نجلس لوحدنا فقط ونتوسل بأئمة أهل البيت عليهم السلام ، وذلك بقراءة كل واحد منا ألف مرّة (الصلوات علىٰ النبي وآله) ثم نقرأ (حديث الكساء) . فهل تأذنون أن نعقد لكم هذا التوسّل؟

قال الشيخ اللنكراني : هذا فضل منكم لا يُردّ .

فقام اولئك السادة الموسويّون بعملهم وكان في اليوم التالي قد اشتدّ الألم في ركبة الشيخ حتىٰ أنساه حمّاه ، فأُخِذَ الىٰ طبيب يعالج هذا الألم المفاجىء ، واذا يكتشف انها ملتهبة بسبب حادث قديم كان قد تعرّض له الشيخ ولم يهتم بعلاجه في حينه ، وهذا الالتهاب لم يكن الا مصدر الحمّىٰ لديه !

وهكذا عوفي الشيخ اللنكراني (دام ظله) من حمّاه ومن ركبته أيضاً (مصدر الحُمّىٰ) ببركة التوسل بالمعصومين الأربعة عشر (صلوات اللّه وسلامه عليهم أجمعين) .

٣٦١ كُـلْ ياكُمّي

أحياناً تكون العزلة عن الجهلة في زمن تسيطر عليه الروح المادية والمصالح الذاتية أمراً حكيماً . ذلك ما فعله العالم الكبير الشيخ ميثم البحراني ـ المتوفىٰ سنة (٦٢٥ هـ) ـ حيث اعتزل بعض العلماء والناس ، فكتب اليه هؤلاء رسالة يلومون فيها عزلته .. جاء فيها : (العجب

منك مع شدّة مهارتك في جميع العلوم والمعارف وحذاقتك في تحقيق الحقائق وإبداع اللطائف ، قاطن في ظلول الاعتزال ومخيم في زاوية الخمول الموجب لخمود نار الكمال ...) .

فكتب الشيخ ميثم في جوابهم :

طلبتُ فنونَ العِلْمِ أبغي بها العُلىٰ   فَقَصَّر بي عمّا سَمَوْتُ به القُلُ

تبيّن لي أنّ المَحاسِنَ كلّها   فروعٌ وأنّ المالَ فيها هو الأَصْلُ

فلما وصل اليهم الكتاب ، ردّوا عليه : (إنك أخطأتَ في ذلك خطأً ظاهراً ، وحُكْمُك بأصالة المال عجب) !

فكتب في جوابهم هذه الأسطر وهي لبعض الشعراء :

قد قال قومٌ بغيرِ علمِ   ما المَرْءُ إلاّ بأكْبَرِيَه

فقلتُ قولَ امرىء حكيمِ   ماالمرْءُ إلاّ بِدرْهَمَيه

مَن لم يكُنْ درهَمٌ لديْهِ   لم تلتفتْ عروسُه إلَيه

ثم لما رأىٰ أن المراسلات لا تنفع هؤلاء عزم العراق لزيارة عتبات الأئمة الطاهرين عليهم السلام ، وفي أحد الأيام لبس أخشن ثيابه وارثّها ، ودخل مجلساً من مجالس أولئك الأشخاص ، فسلّم عليهم ، فردّ عليه بعض ولم يجبه آخرون ، فجلس في صف النعال ولم يلتفت اليه أحد ، فدار بين الحاضرين بحث حول مسألة علمية صعبة من دون حلّ فأجاب عنها الشيخ ميثم بتسعة أجوبة دقيقة جميلة . فتوجه اليه بعضهم مستهزءً وقال له : (ياخليلك، اخالك طالب علم ...) .

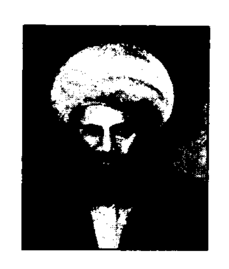
ثم بعد ذلك أحضروا الطعام ولم يطعموه معهم ، بل أفردوا له بشيء قليل من الطعام في صحن واجتمعوا هم علىٰ المائدة ، فلمّا انقضىٰ المجلس قام وعاد في اليوم التالي اليهم وقد لبس ملابس فاخرة بهيّة ، لها أكمام واسعة ، وعلىٰ رأسه عمامة كبيرة ، فلما قرب منهم سلّم فقاموا تعظيماً له واستقبلوه تكريماً به واجتهدوا في توقيره ، واجلسوه في صدر المجلس المشحون بالعلماء ، ولما شرعوا في البحث تكلم معهم بكلمات عليلة لا وجه لها من الصحة والعلمية . ولكنهم قابلوا كلماته بالتحسين واذعنوا له علىٰ وجه التعظيم، ثم حضرت المائدة فبادروا اليه بأنواع الطعام بأدب واحترام ، فألقىٰ الشيخ (قدس الله روحه) كُمّه في ذلك الطعام وقال : (كُلْ يا كمّي ، كُلْ يا كمّي) .

فتعجّب الحاضرون واستغربوا من فعله هذا ، ثم استفسروا عن معنىٰ ذلك الخطاب ، فقال الشيخ : (انكم اتيتموني بهذه الأطعمة اللذيذة لأجل أكمامي الواسعة لا لمكانتي العلمية ، والاّ فأنا صاحبكم بالأمس ، لم أرَ منكم تكريماً ولا تعظيماً اذ جئتكم بهيئة الفقراء وسجيّة العلماء ، واليوم جئتكم بلباس الجبّارين وتكلّمتُ بكلام الجاهلين فقد رجّحتم الجهالة علىٰ العلم ، والغنىٰ علىٰ الفقر ، وانا صاحب الأبيات التي أرسلتها لكم في اصالة المال وفرعية الكمال فقابلتموها بالتخطئة وزعمتم انعكاس القضية).

فاعترفوا بخطأهم واعتذروا ممّا صدر منهم من تقصير في حقه [١].

وفي الحديث عن الامام الحسن المجتبىٰ عليه السلام : «عجبتُ لمن يفكّر في مأكوله كيف لا يفكّر في معقوله» .

٣٦٢ هل تَعْلَم السرّ للمقام المحمود ؟


المقدّس الأردبيلي

في كتاب لئالي الأخبار ، ورد نقلاً عن العالم الجليل ملا محسن توسيركاني قوله :

ان المقدس الأردبيلي رحمه الله وصل الىٰ درجة رفيعة من التقوىٰ والعلم والعبادة ، لأنّه عندما كان طالباً في إحدىٰ المدارس الدينية ويسكن وحيداً في إحدىٰ حجرها جاءه ذات يوم طالب يفتقر الىٰ مكان ، فألحّ عليه ان يشركه في السكن معه، لكنّ المقدّس الأردبيلي رفض في البداية ولما رأىٰ اصراره الشديد ، وانه مضطر لابدّ من ايوائه وافق ولكن بشرطٍ واحد ، وهو أن لا يُطْلِعْ أحداً علىٰ أيّ سرّ يراه في الحجرة منه ، قَبِل الطالب وبعد مدة انتهىٰ ماعندهما من مال ، ونفِد كلّ طعام كان في الحجرة ، فضاق بهما الجوع وظهر عليهما اثر الضعف .

حتىٰ ذات يوم جاء أحد أقارب الطالب ليزوره فلمّا رآه بتلك الحالة من الضعف ! سأله : ماذا يجري عليك في هذه المدرسة ؟

امتنع الطالب من الجواب ، لأن جوابه كان يستلزم الكلام عن حال المقدّس الأردبيلي ،

---

١ ـ ذرايع البيان / ج ٢ ـ ص ١١٢ . ويراجع كتابنا (علماء البحرين دروس وعبر) ص٧٧.

وكان قد عاهده ان لا يكلّم أحداً عنه .

لكن الزائر أصرّ وأقسم على الطالب بأن يخبره عن سبب ضعفه . فأضطر ان يتكلم عن شيء من فقرهما وان الضعف ناتج من الجوع .

فأعطاه مالاً وطعاماً ، وقال له .. هذا لك ولصديقك ! حمل الطالب ذلك الى الحجرة ، فسأله المقدس الأردبيلي : من اين هذا المال والطعام ؟

قصّ عليه الطالب ما جرىٰ له ، وانه اضطر الى الكلام ! فقال المقدس الأردبيلي : لقد نقضتَ العهد الذي كان بيني وبينك ! ان هذا رزق قد أتانا من الله تعالىٰ فإنني لا أرده ، لك نصفه ولي النصف ، ولكن الفراق قد حلّ بيننا !

ثم صادف ان في تلك الليلة أن أجنب المقدّس الأردبيلي .

فخرج في منتصف الليل الىٰ الحمام ليغتسل كيلا يفوته وقت صلاة الليل التي كان ملتزماً بها أشد الالتزام . فجاء وطرق باب الحمّام العام ، فقال صاحب الحمّام : لا نفتح الاّ مع أذان الصبح . فقال المقدس الأردبيلي : أعطيك أجرة أكثر ممّا تأخذه .. اسمح لي بالدخول للاغتسال سريعاً . فلم يقبل صاحب الحمام ، فزاده الأردبيلي نقوداً أكثر فلم يقبل أيضاً ، فأعطاه كلّ ذلك المال الذي حصل عليه من زميله ، وذلك حرصاً علىٰ الغسل لكيلا تفوته صلاة الليل في تلك الليلة .

فلما رأىٰ صاحب الحمام ان المبلغ كثير .. سمح للمقدّس الأردبيلي ان يدخل الحمّام ، فاغتسل وجاء لتهجده وعبادته ، ولم يفكر في جوع بطنه أبداً ، لأنه كان لإشباع جوعه الروحي أكثر حرصاً واندفاعاً .

لذلك قد أكرمه الله بتلك الكرامات العالية والمقامات الجليلة . وهو القائل في محكم كتابه الكريم : ﴿ ومِنَ اللّيل فتَهجّد به نافلةً لكَ عسىٰ أنْ يَبْعَثَكَ ربُّك مقاماً مَحموداً ﴾[1]

٣٦٣ قُرآنُنا الصّادق

التقىٰ أحد الأجانب بجمع من العلماء في طهران قبل سنوات طويلة وكان يريد ان يثبت لهم أنّ القرآن قد (أخطأ) حينما ذكر بأن فرعون قد غرق في البحر و(انتهىٰ) !

ذلك لأن البحّاثين في بلاده قد حفروا البحر وحصلوا علىٰ جسد فرعون ، والآن محفوظ

---

١ ـ خزينة الجواهر / ص ٦٥٢ ـ سورة الاسراء / ٧٩.

هذا الجسد في صندوق ، مكتوب على لوحة قبره (فرعون موسى) .

فردّ عليه احد العلماء الحاضرين .. نعم ، ان قرآننا يصدق ما تقوله . وهذه آية الحق التي تصرّح : ﴿ فاليومَ نُنجّيك ببدنِك لتكونَ لِمَن خَلفَكَ آيةً وإنّ كثيراً مِن النّاسِ عن آياتِنا لَغافلون﴾ فسكت الرجل الأجنبي وأخذ يتصبّب عرقاً من الخجل والهزيمة .[1]

٣٦٤ نعم للقائد المَجهول

ذهبتُ الى طبيب أسنان في طهران ، اسمه الدكتور كياني ، فلمّا جلستُ على « كرسي طبابته » . وبعد أحاديث التعارف ، وهو يعدّ ادوات عمله من الإبرة والدواء والقطن وغير ذلك سألني : هل تعرف العلامة السيد ... ؟

قلت : نعم قرأتُ له ، وهو من العلماء الأفاضل والمجاهدين في سبيل اللّه .

قال : عجيب هذا العالم !

يأتيني بين مدّة وأخرى لإصلاح اسنانه ، ولكنه يرفض ان ازرقه إبرة تخدير ، إنه يفضّل الألم الشديد ويتحمله بقوة ، حتى يرأف له قلبي حينما ادخل المخراز الكهربائي في اسنانه .

قلتُ : وهل سألته لماذا يرفض ابرة التخدير ؟

قال : سألته مرّة فأجابني ان له اصدقاء في سجون بعض البلاد يرضخون تحت اقسى انواع التعذيب الجسمي والنفسي، فيريد ان يتحسّس آلامهم، تضامناً مع أعزائه المعتقلين. انه رجل عظيم في نظري ، وقلّما رأيتُ مثله بل لم أرَ .

قلتُ للطبيب : انك تسمع عن الجندي المجهول ، وهذا هو (القائد المجهول) .

وهنا أقول ، انه ليس مجهولاً فحسب ، بل مظلوماً ايضاً ، حتى انني لا استطيع ذكر اسمه!

٣٦٥ وقال الرّسول ...

نقل سماحة الشيخ محسن قراءتي في محاضرته الاسبوعية ليلة الجمعة من شهر شعبان المعظّم سنة (١٤١٤) ان أحد العلماء وقف عند ضريح النبي الاكرم ﷺ وبيده القرآن الكريم فخاطب رسول اللّه قائلاً : يانبيّ الاسلام لا أدري هل أنت راضٍ بحال أمتك وسلوك ابنائها مع قرآنك هذا؟ انني أريد منك الإجابة بآية تظهر لي في القرآن الذي بيدي . ففتح

---

١ ـ خزينة الجواهر / ص ٦٩٩ ـ سورة يونس / ٩٢.

القرآن واذا بالآية التالية تنتصب أمام عينيه :

﴿ وقال الرسولُ ياربِّ إنّ قومي اتّخذوا هذا القرآنَ مَهجوراً ﴾[١]

أجل ان «القرآن ظاهره أنيق ، وباطنه عميق ، لا تُفنىٰ عجائبه ، ولا تنقضي غرائبه ، ولاتُكشَف الظلمات إلّا به»[٢] هكذا قال أمير المؤمنين عليه‌السلام .

٣٦٦ إنّ العصبيّة مِن الجاهليّة

في سنة (١٩٩٠) الميلادية ، دخلتُ مكتبة عربيّة في العاصمة الدنماركيّة (كوبنهاجن)، ولأن الخروج في تلك الشوارع بالعمامة أمر غير مستحسن لم أخرج معمَّماً، ولكن الشمائل ، والكلمات التي ترددت علىٰ لساني عند السلام والتحية وتبادل الكلام مع صاحب المكتبة ، كشفت عن علاقتي بالفكر الاسلامي والتعليم الديني واني لست بعيداً عن أخبار الساحة الاسلامية ومراكزها والعاملين هناك .

فارتاح لصداقتي منذ اللقاء الاوّل ، فكنت بين مدة وأخرىٰ أزوره من دون ان اعرّفه بنفسي كثيراً ، ولم يكن يعرف أني من اتباع مذهب أهل البيت عليهم‌السلام .

أما هو فكان ممن يستحق الدعاء للهداية ! ولقد كان محتاراً في مذهبي وهو يخجل ان يسألني بصراحة .. لذلك أعطاني كتاب (بطلان عقائد الشيعة) لمؤلف باكستاني قد اشرك (الدولار) باللّه الواحد القهّار وليس العكس في نظري لأنه الأصل عنده (الدولار) ! فقال اقرأه انّه كتاب جيد !

أخذت منه الكتاب ، وأنا أقول له ينبغي للانسان ان يقرأ ويستمع للقول ثم يختار الأفضل والأحسن ، أليس اللّه تعالىٰ يقول في القرآن : ﴿ فبشّر عبادِ الذينَ يستمعونَ القولَ فيتّبعونَ أحسنَه . أولئِك الذينَ هَداهُم اللّهُ وأولئِك هم أولوا الألباب ﴾ .

وبعد اسبوع تقريباً رجعت اليه فوجدت عنده شاباً من اصدقائه ، فبادر وعرّفه بي بأني من لبنان ! (وكان يبدو بينهما حديث مسبق عني) ...

سألته من أيّ مدينة في لبنان ؟

قال : شيعي من الجنوب !

قلت : أهلاً وسهلاً بك .

---

١ ـ سورة الفرقان / ٣٠.

٢ ـ كتاب أعلام الدين في صفات المؤمنين / ص١٠٢ .

قال : كأني مرة رأيتك في (سنتر جعفري) (هو مركز اسلامي للشيعة هناك)! ـ كان من سؤاله يريد أن يستدرجني في كلامٍ يكتشف به مذهبي ـ.

قلت : ربما ، ولكني أتردد على أكثر من مركز واحد !

وحينما لم يكتشف شيئاً من هذا الجواب قال : هل أنت شيعي ؟

قلت : نعم أنا مسلم من شيعة أهل بيت النبيّ محمد صلى الله عليه وآله .

ـ في الاثناء وهو ينظر الى صديقه صاحب المكتبة وكأنه يريد أن يفهمه نجاح خطته ـ

قال: عفواً انا لست شيعياً ، انما قلت لك ذلك لكي أعرف هل انت من الشيعة أم لا ؟

قلت : المهم ان نكون مسلمين متآخين في اللّه ، نتعارف ونتعاون على البرّ والتقوى في مجالات الخير للاسلام والشباب المسلم في الغرب .

قال : الكلام عن التعاون جيد ، ولكن التعاون مع الذين لا يكذبون ولا ينافقون !

قلت : كيف ؟

قال : ان الشيعة يؤمنون مثلاً بالتقية ، والتقية تعني الكذب ، وهم يقولون شيئاً ويكتمون شيئاً آخر ، وهذا نفاق ، فالتعاون على أساس اللاّثقة غير ممكن !

قلت له : إنك في أول اللقاء قلتَ لي بأنك شيعي ، ثم قلتَ لستُ شيعياً، وانما دعاك الى هذا الكذب والنفاق حبّ الاستطلاع على مذهبي !

فقاطعني وهو مرتبك : كان الذي صدر مني لأجل مصلحة تهمنا وهي معرفتك .

قلت : ان المسلم الشيعي اذا قال شيئاً على خلاف مايعتقده فإنّما لأجل مصلحة ودفع مضرة ، وهذا لا يجوز له الاّ في حالات الخطر على حياته وعرضه وشرفه . ألم تقرأ في التأريخ تلك المجازر التي ارتكبت في حق الشيعة ؟! فهذا هو التقية عندهم ، والانسان في كلّ العالم سواء كان مسلماً أو غير مسلم عندما يتعرض لخطر ، يكتم الذي يعرضه للخطر . وأنت قد تفعل التقية ولم تسمّها ، علماً ان الذي فعلتَه الآن ليس بتقية بل هو كذب صريح ، لأن الخطر لايهدّد حياتك أو عرضك ، فكان بإمكانك أن تسأل عن مذهبي من دون أن تقول عن نفسك خلاف الواقع . ان التقيّة بالمفهوم الذي يعمل به الشيعة طبيعة في كلّ كائن حيّ .. ودليلهم الشرعي قوله تعالى : ﴿ إلاّ مَن أُكرِهَ وقلبُه مُطمئِنٌّ بالإيمان ﴾[1] وهي الآية التي

---

١ ـ سورة النحل / ١٠٦ .

نزلت في حق عمّار بن ياسر حيث تفوّه بالكفر تحت التعذيب ولكنّ الرسول ﷺ برّأه ودافع عنه ، أليس هكذا ؟!.

سكت أخونا وانتقل الحديث علىٰ لساني الىٰ موضوع الوحدة بين المسلمين ونبذ التفرقة والظنون السيّئة ، وضرورة العمل علىٰ التحقيق في التاريخ الاسلامي ، وتعريف الاسلام بشكل يخدم الجيل الجديد ، وذلك اعتماداً علىٰ القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة المتفق علىٰ صحّتها عبر اتفاقها مع روح القرآن الكريم ، كتاب اللّه الصادق الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .

وهنا أخرجت لصاحب المكتبة كتابه الذي أعطانيه قبل أيام وقلت له انني قرأته ولي عليه ردود تقنع كلّ مسلم منصف ، وفي الاثناء لاحظتُ صديقه قد تشاغل بتصفيف الأشرطة وكان ويبدو عليه الخجل والهزيمة التي صنعها لنفسه .

ودعتهما ثم عدتُ بعد أيام وكان الأخ صاحب المكتبة وحده ، فقدمتُ اليه الكتاب القيّم (ثم اهتديت) لمؤلّفه الجليل سماحة الشيخ محمد التيجاني ، حيث يروي فيه قصة اعتناقه لمذهب الشيعة ويردّ علىٰ الاشاعات الكاذبة ضد الشيعة .

قلتُ له : أرجو أن تقرأ هذا كما قرأت كتابك .

أخذ الكتاب وواعدني أن يقرأه .. وقال انه بعد اسبوعين ينتهي منه .

وجئته بعد اسبوعين !

فقال : اعتذر .. فإني ما قرأته ، بسبب انشغالي بالعمل .

قلت : آتيك بعد اسبوعين !

ولما جئته بعد اسبوعين لم أجده ، وعُدتُ اليه بعد شهر تقريباً .

فقال : عفواً ، لقد كنت مسافراً الىٰ لندن .

قلت : ضع الكتاب عندك شهراً آخر .

قال : لا ، خذه .. فإن مؤلفه عندنا انسانٌ منحرف ، وقد حرّم علماؤنا ان نقرأ كتبه !

فأعطاني الكتاب ، وانا قلت له :

هذا هو الفرق بين الفكر القوي المتماسك ، والفكر الضعيف المتهاوي !

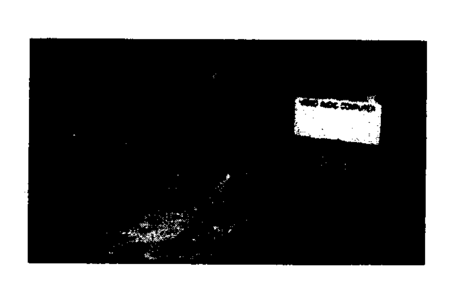
اننا نقرأ كتبكم وأنتم لا تقرأون كتبنا .. أليس هذا دليل قوّتنا وثقتنا بمعتقداتنا ، ولكنكم اثبتّم العجز . وأضفت إليه :

ان الاسلام يتجلّىٰ في مفاهيمه الحقيقية عندما يسود المسلمين جوّ الحرية والأخوة والانفتاح ، والاّ فمن التخلف الىٰ تخلف أكبر وذلك ما يدمي قلب نبيّ الأمة محمدﷺ.

سكت الأخ ، ثم انشغل بزبونه ، وانا ودّعته ، ولم أعد اليه ، اذ لا فائدة مع المتعصّبين ؛ لأن الرسول الأمين محمد بن عبد الله ﷺ قال : ان العصبية من الجاهلية .

٣٦٧ صلاةٌ في الأرض وأخرىٰ في السّماء

في الساعة الثانية ظهراً بتاريخ (١٩٩٣/٣/٣١م) نزلتُ من الطائرة الفرنسية (ترانزيت) في مطار (ديغول الدولي) في باريس ، قادماً من الدنمارك .



أول ما فعلته في المطار ، ذهبتُ لإسباغ الوضوء ، ثم شخّصت تجاه القبلة بـ(البوصلة) ، وفرشتُ للصلاة واضعاً التربة الحسينية الطاهرة أمامي(انها أطهر من أرض المطار ومن الأرض كلّها) ؟! صليتُ صلاة الظهر، وكانت الأنظار شاخصة إليّ . ولدىٰ قيامي الىٰ صلاة العصر طرأ ببالي ان التقط صورة تذكارية ، فأعددتُ الكاميرا ووضعتها جانباً حتىٰ أرىٰ الشخص المناسب ليلتقط لي صورة !

فالتفتُ الىٰ الخلف ، فقد يكون مالا يليق ظهوره في الصورة ، واذا بامرأة سافرة كانت جالسة علىٰ الكرسي ، وقد ظننتها عربية ، فقلت في نفسي .. أطلب منها أن تصور ، وبالتالي سوف لا تظهر هي في الصورة من خلفي ! نعم ، انها لفكرة ذكية !

فقلتُ لها باللغة الإنجليزية : هل ممكن ان تلتقطي لي صورة يا مدام ؟

فأجابت بالعربية : نعم . فقامت ، وناولتها الكاميرا ، والتقطت لي صورتين .

وبعد الصلاة .. سألتني المدام : من اين الأخ ؟

قلت : من شيعة البحرين . وانتِ من أين ؟

قالت : من لبنان . (وبينما كنتُ أنظر بين يدي) أخذتْ تتكلم عن لبنان وشعبه المسلم وقالت انها ذاهبة الىٰ زوجها اللبناني الثّريّ الذي يعيش في (أمستردام) .

قلت : هل انت مسلمة أم مسيحية ؟

قالت : انا مسلمة سنية لكنني غير متعصّبة ولست ضدّ الشيعة !

قلت : ما رأيك في الإسلام ؟

قالت : قرأت كثيراً عن الاسلام، ولكن للأسف قد شوّه المسلمون وجه الاسلام الجميل.

قلت : ما رأيك في الحجاب ؟

قالت : انا مقتنعة بالحجاب ، ولكني منذ صغري ما لبسته فلم اتعوّد عليه .

وفي النهاية وافقتني على قناعاتي حول الاسلام وقضايا المسلمين والحجاب ، فقالت انها تفكر أن تلبسه . أقول : ذلك من بركة الصلاة !

هذا ، ولقد صادف وقت صلاة المغرب والعشاء وانا في الطائرة أيضاً ، اذ قمتُ مصلّياً في زاوية من الطائرة الكبيرة رغم اشمئزاز المضيّفة الفرنسية من هذا التصرف ، والغريب انها سرعان ما غيّرتْ طريقتها معي ، عندما طلبتُ منها أكلة خضروات بدل اللحوم ، علماً أني كنت حاجزاً هذه الأكلة ، ولكن كان هناك خطأ في الحجز ، فلم تكن لديهم أكلة الخضروات جاهزة ، ولكن المضيّفة رغم ذلك دبّرت الأكلة وكانت مهتمة بطلبي هذا ، وليس تغيرها بعد ذلك الاشمئزاز من صلاتي في ناحية الطائرة الاّ نوعاً من فضل اللّه وبركة الصلاة وعناية السماء ، والحمد للّه على كل حال . فتلك صلاة في الارض وهذه في السماء !

٣٦٨ إنّ الحقَّ زَرْعُه لن يموت

أول من التقى بالشهيد المظلوم آية اللّه السيد حسن الشيرازي في (سجن بعقوبة) بالعراق في أواخر الستينات هو العلوية الكريمة والدته المؤمنة التي كانت من أشد الناس حزناً وبكاءاً عليه ومن أكثرهم دعاءً وتضرّعاً الى اللّه تعالى لخلاص ابنها ونجاته من يد السّفاكين البعثيين . وكان قد ترك اعتقال ابنها العزيز تأثيراً أليماً في قلبها العطوف. فلازمها ذلك حتى وفاتها (رضوان اللّه عليها) .

يقال .. هرعتْ الى لقاء ابنها لمجرّد أن سمعت خبر السماح لها باللقاء ، وذلك بالرغم من كبر سنّها وصعوبة السفر بالنسبة إليها من كربلاء الى بغداد .

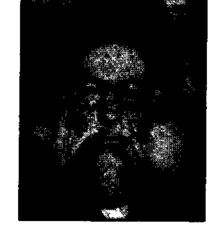
فعندما دخلت « سجن بعقوبة » تقدّم ابنها السيد حسن ليقبّل يدها ، ولكن بسبب تغيّر ملامحه من أثر التعذيب القاسي الذي لاقاه الشهيد على يد البعثيين في السجن لم تعرف الأمّ ابنها . فكان الإبن جالساً أمامها بينما هي تلتفت يميناً وشمالاً وتسأل : اين ابني حسن ؟

فقال لها ابنها : انا ابنكِ ، انا حسن يا أمّاه .

ولكن الأم لم تصدّق ذلك .

حاول السيد بكل جهده ان يظهر نبرات صوته الأصلي لوالدته المكرّمة وليقنعها تلميحاً بأن الذي غيّر التعذيب ملامحه هو ابنها السيد حسن ، فبعد محاولات صعبة صدّقتْ الأم فاحتضنتْه وانفجرتْ بالبكاء حتىٰ ابكتْ كلّ الجالسين ، واما الشهيد فكان يتجلّد أمام والدته ويحاول تهدئتها ومسح دموعها التي راحتْ تسقي شجرة الحق وتعلن للتأريخ « انّ الحق زرعه لن يموت »[1] .

٣٦٩ جزءٌ مِن بَدَنِ الشّهيد



السيد عبد الحسين دستغيب

آيـة اللّـه السيد دستغيب شهيد المحراب وصاحب المؤلّفات التربوية والأخلاقية المعروفة، بعد أن تقطّع جسمه الشريف بفعل القنبلة التي أُلقيتْ عليه وهو يمشي في طريقه الىٰ إقامة صلاة الجمعة بمدينة (شيراز) تناثر بعض أجزاء جسمه الطاهر الىٰ كلّ جهة .

حاول المؤمنون ، والدموع تجري من عيونهم ، والغضب يشتدّ في قلوبهم علىٰ المنافقين القتلة ان يجمعوا الأجزاء المتناثرة ويدفنوها مع الجسم . وبعد ان تمّت مراسم الدفن حصل ما يلي : نقل لي أحد علماء شيراز وهو ينقل عن ابن الشهيد ، فضيلة السيد هاشم دستغيب ان امرأة صالحة من الجيران جائتنا بعد يوم من الدفن وقالت انها رأت الشهيد دستغيب في المنام ، يقول لها ان جزءاً من بدني علىٰ سطح البيت الذي استشهدتُ بالقرب منه ، يُرجىٰ منك إخبار المؤمنين ليدفنوه بسرعة .

يقول ابن الشهيد .. ذهبنا واذا كان بالفعل شيء من اجزاء بدنه الشريف علىٰ ذلك السطح ، فدفنّاه قرب مدفنه الطاهر .

---

١ ـ (آية اللّه الشهيد السيد حسن الشيرازي ـ فكرة وجهاد) ص ١٢٥ .

٣٧٠ مِن أجل الصّديق لا أدخُل النّار

اشتهر المرجع المجاهد آية اللّه العظمىٰ السيد حسين القمي ﵀ بزهده وتقواه وجهاده ضد الحكومة البهلوية .. واشتهر ايضاً في مجال الاخلاق الاجتماعية بالصداقة وفق المعايير الشرعية ، فكان مع صديقه الىٰ حدّ المشروع ، وعند المحذور الشرعي كان يرفض ان يدوس المعيار الشرعي لأجل سواد عين الصديق وحبّه له .. فكان يقول دائماً : انا اساير صديقي الىٰ باب جهنّم ، ولكني من أجله لا أدخل جهنّم أبداً .

حتىٰ أنه لمّا علم أن أحد أولاده الذي كان يدرس العلوم الدينية في الحوزة ، لا يحضر الدروس بانتظام واستمرار ، قطع راتبه الشهري الذي يُعطىٰ لطالب العلوم الدينية في الحوزات العلمية من بيت المال الاسلامي وقال له :

« انني لا استطيع صرف هذا المال عليك ، بناءً علىٰ ذلك تعهّد بنفسك للكدّ والعمل ، كيف أعطي من مال الحجّة بن الحسن الامام المهدي (عجّل اللّه فرجه) لطلبة لا يدرسون العلوم الدينية » .

فأطاعه ولده ، وذهب يعمل . وكذلك حينما كان السيد القمي يريد السفر ، كان ﵀ يطلب من تلامذته الراغبين في السفر معه ان يرافقوه لينتهز ساعات سفره ايضاً في تدريسهم وتعليمهم ، كيلا يكون قد صرف علىٰ نفسه من ذلك المال للسفر من دون عطاء مقابل ، وما أفضل أن يكون ذلك هو طلب العلم . (١)

٣٧١ آخِرُ موديلات الكَفَن !

في يوم من ايام شهر ذي الحجة سنة (١٤١٢ هـ) دخلتُ سوقاً في مدينة مشهد ، اسمه (بازار ـ رضا) ، فرأيت في إحدىٰ الدكاكين قطعة مكتوب عليها بالفارسية (آخرين مدلهاي كفن) يعني (آخر موديلات الكفن) !

قلتُ لصاحب الدكّان مداعباً : « وهل هناك موديلات للأكفان » ؟!

ردّ عليَّ ضاحكاً : نعم شيخنا ، ان الاكفان التي نبيعها هي من أفضل الاقمشة وعليها كامل

---

١ ـ مجلة (نور علم) الصادرة في حوزة قم / الدورة الثانية العدد الاول / ص ٨١ .

الادعية مع سورة ياسين بخط الزعفران والتربة الحسينيّة !

فقلتُ : الحمد للّه ما متُّ ، ورأيتُ آخر موديلات الكفن !

٣٧٢ استخارةٌ عجيبة

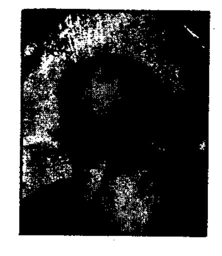
درس الشيخ مرتضىٰ الانصاري في بداية شبابه عند المرحوم شريف العلماء في حوزة كربلاء المقدسة .

ثم عاد الىٰ بلدته (شوشتر) الايرانية ، فلم ترضَ أمُّه ان يرجع الىٰ كربلاء ليواصل دراسته، فألحّ عليها كثيراً ، ولكن دون جدوىٰ ، وأخيراً وافقتْ علىٰ الاستخارة بالقرآن الحكيم .. فإنْ كانت الآية تكشف عن جودة ذهاب ولدها وافقت علىٰ ذهابه، والاّ فلا!

فاستخار الشيخ الانصاري وظهرت الآية الكريمة : ﴿ لا تَخافِي ولا تَحزَنِي إنّا رادُّوه إليكِ وجاعلوهُ مِن المُرسَلين ﴾. فأسرّته الآية ووافقتْ أمّه علىٰ ذهابه [1] .

فذهب الشيخ مرتضىٰ وصار من كبار العلماء والمراجع الذين عادت اليهم الرئاسة الكبرىٰ للمسلمين الشيعة في العالم .

٣٧٣ طعامٌ ذو بَرَكة


الشيخ الكوهستاني

آية اللّه الكوهستاني قدس سره كان يحب الفقراء ويعطف عليهم بحرارة . بيته في (مازندران) ـ شمال ايران ـ لم يخل منهم، ومائدته كانت مفروشة علىٰ الدوام، و(الحساء) لم يتغير نفسه طول السنة ، ومن دون تكلّف ومجاملة !

لم يحصل ان لا تجد أحداً علىٰ هذه المائدة ، ولم يكن يفرّق بين شخص وآخر ، من أيّ طبقة أو شريحة يريد أن يكون ، هذا هو الشيخ ايها الناس !

يقول الشيخ أسد اللّه ربّاني :

ذهبتُ مع جمع من المؤمنين الىٰ زيارته يوم عيد الفطر المبارك ، فرأيت في ذلك اليوم أكثر من ثلاثمائة شخص قادمين اليه من بعيد وقريب ، ليأكلوا من طعام الشيخ ، اذ كانوا

---

١ ـ بالفارسية (رنگارنگ) ج٢ / ص١٨٥ .

يعتقدون ان طعامه سبب السعادة والشفاء من كلّ داء ، وعلىٰ أساس هذا الاعتقاد كانوا يأخذون فضالة الطعام ونتف الخبز معهم ايضاً للتبرّك وشفاء مرضاهم [١] .

٣٧٤ إنّ عظيماً يموتُ قريباً

يقول الشيخ حبيب اللّه الواعظي ساكن مدينة (گرگان) : قبل خمسة ايام من وفاة آية اللّه الشيخ محمد الكوهستاني .. رأيتُ في المنام ان القمر وكان بدراً كاملاً يقترب من الغروب ، وفجأة رأيته تحرك نحو المشرق وكأنه لهيب نار ! تابعته بنظراتي فوجدته أفل في المشرق ، ولكن شعاع نوره كان باقياً .

جلست من النوم وانا أتأمل في تفسير هذه الرؤيا ، فلم يركن فكري الىٰ تعبير مقنع، حتىٰ ذهبت الىٰ العالم الجليل السيد رضا اليزدي ، ونقلت إليه رؤياي .

فقال : انّ انساناً عظيماً سوف يموت قريباً .

مضتْ ايام قليلة ، فبلغنا نبأ وفاة آية اللّه الشيخ محمد الكوهستاني ، وانه سوف ينقلون جنازته من (مازندران) الىٰ (خراسان) ليواروه تراب مشهد الرضا عليه السلام، وذلك في ليلة الجمعة (١٤ / ربيع الاول / سنة ١٣٩٢)[٢] .

أقول : راجعتُ الآن خارطة ايران فوجدت محافظة مازندران تقع في الغرب من محافظة خراسان فغروب القمر في الشرق كما حصل في الرؤيا يتناسب مع نقل الجنازة من مازندران (الغرب) الىٰ خراسان (الشرق) . أليس هذا أمراً عجيباً ؟!

٣٧٥ الولدُ علىٰ سرّ (خالِه) !

سنة (١٩٩٣ م) كنت جالساً في بيت أحد الأصدقاء في الدنمارك وكان هناك ولد من البحرين في الثاني عشر من عمره ، قادماً مع عائلته لزيارة أقاربه . سألته بماذا تخبرنا عن البحرين ؟ فقال ببداهة وأسلوب جادّ : رجل صدمتْه سيارة فطارت روحه ، فصدمتها طائرة !

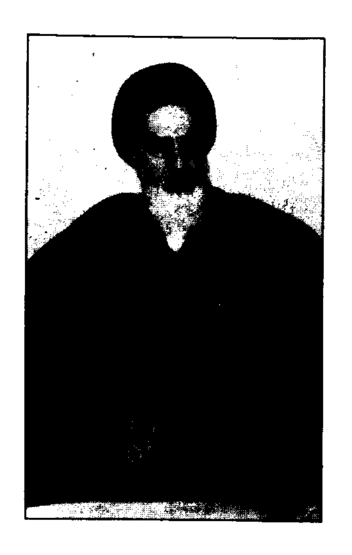
ولما انتهينا من الضحك علمت أنه ابن اخت صديقنا العزيز الذي هو بدوره صاحب نوادر ونُكَت . وفي الحديث الشريف ان الولد علىٰ سرّ خاله .

---

١ ـ بالفارسية (مردان علم در ميدان عمل) ص ١٢٦ .

٢ ـ نفس المصدر / ص ١٢٧ .

٣٧٦ أنا أمُنُّ عليكَ ، لا أنتَ



جلس بين يدي الامام الخميني رجل ، وقدّم اليه أموالاً من الحقوق الشرعية الواجبة عليه. وأخذ يتكلم للامام آية اللّه العظمىٰ السيد الخميني بطريقة وكأنه يمنّ علىٰ الامام بإعطائه ذلك .

فقال له الامام : « أنا ينبغي ان أمنّ عليك ، لأني أرفع عن كاهلك مسؤولية ثقيلة، وأضعها علىٰ كاهلي لاأنت تمنّ عليّ »[1]!

٣٧٧ لقد بَرَدَ شايُكم ..

سعىٰ في الكويت ثلة من المصلحين الىٰ الجمع بين سماحة المرجع الديني آية اللّه العظمىٰ السيد محمد الشيرازي (دام ظله العالي) وأحد العلماء الذي عُرف بشدّته وغلظته في منازعة السيد وتعبئة الأجواء ضدّه . فدعوا هذا العالم الىٰ بيت أحدهم دون اخباره بالأمر، حيث كانوا يظنون ان حديث الأخوة والإصلاح يمكن طرحه في هذا الجمع بشكل عفوي . اما السيد الشيرازي ، فقد أخبروه بالموضوع ، لعلمهم بأنه يمتلك من سعة الصدر والمرونة ما يمكّنه من اللقاء مع مناوئيه مهما كانوا حدّيين ـكما نقل لي أحد هؤلاء الساعين الىٰ الخير ـ.

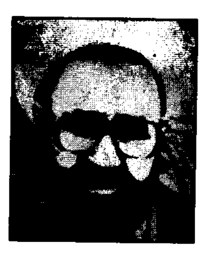
يقول الأخ .. بمجرد أن رأىٰ ذلك العالم السيد الشيرازي بدأ يوجه كلماته الحادّة الىٰ السيد وبكلّ شدّة ومن دون رعاية ما يقتضيه الأدب ، وفي الأثناء أحضرنا الشاي بين أيديهم. وكان السيد الشيرازي يستمع اليه ويبتسم في وجهه .. ولمّا انتهىٰ من كلامه وقد طال حدود خمسة عشر دقيقة ، التفت اليه السيد وقال له ببرودة أعصاب : « لقد برد شايكم شيخنا ، تفضلوا اشربوا ... » !!

وفي الحديث : «ليس بعاقل مَن انزعج بقول الزور فيه ، ولا بحكيم مَن رضي بثناء الجاهل عليه» .

---

١ ـ بالفارسية (سرگذشتهاى ويژه امأم) ج ٢ ـ ص ٨١

٣٧٨ استمرارٌ علىٰ خطّ الواجب


الشيخ مرتضى المطهري

في زمن شاه ايران المخلوع ، كانت مجلة نسائية ماجنة تصدر في طهران اسمها (زن روز)، ولا تستغرب اذا كان العلامة الشهيد آية اللّه المطهري يكتب فيها مقالاته الهادفة ! ولذلك نالته ألسنة الجاهلين بالطبع ، واشاعوا أقاويل كثيرة حول الشهيد المطهري بهدف النيل من شخصيته ، بما فيهم بعض المعمّمين والمتدينين ! يقول الكاتب الايراني (مصطفىٰ رحمان دوست) ـ الذي كان يتحدث في مقابلة تلفزيونية ليلة الحادي عشر من شهر ذي القعدة سنة ١٤١٣ بمناسبة يوم المعلّم وهو ذكرىٰ استشهاد الشيخ المطهري رحمه الله انني سألته يوماً لماذا تكتب مقالاتك في هذه المجلة وتوضع صورتك بالعمامة .. انها لاتليق بمكانتك ؟!

فأجابني الشيخ المطهري : انكم تقرأون مقالاتي في الكتب والمجلات الدينية ، ولكن قراء هذه المجلة لا يقرأون تلك الكتب والمجلات ، فأحببت ان أوصل اليهم الأفكار الإسلامية لعلهم يهتدون . فهذا استمرار علىٰ خطّ الواجب التبليغي ليس أكثر.

٣٧٩ الجامعةُ الاسلاميّة أو العربيّة

تحت هذا العنوان قال المرحوم العلاّمة الشيخ محمد جواد مغنية رحمه الله في كتابه (صفحات لوقت الفراغ) : منذ سنوات سألني معمّم ، ايّهما تُفضِّل الجامعة العربية أو الاسلامية ؟

قلت : ليست العبرة بالأسماء بل المسمّيات ، فأيّ حركة أو فئة تهدف الىٰ القضاء علىٰ الظلم والفساد والفقر والجهل من الداخل ، وتقاوم البغي والعدوان من الخارج فهى خير ، حتىٰ ولو سمّاها الناس لادينية ،والعكس بالعكس . قال سبحانه :

﴿ فأمّا الزَبَد فيَذهَب جُفاءً وأمّا ما يَنفعُ الناسَ فَيَمْكُث في الأرض ﴾

وفي الحديث الشريف : « خير الناس انفع الناس للناس ، وشرّ الناس من تخاف الناس من شره » .

٣٨٠ لماذا لُقّب الشيخ بالمحقّق ؟

كان الشيخ ابو القاسم المحقّق ﷺ يدرّس طلبته في المسجد ، واذا بمجنون دخل عليهم، فأمر الشيخ بإخراجه ، وفي تلك الليلة رأىٰ الشيخ ابو القاسم المحقّق في منامه مَن يعترض عليه ، ويقول : لِمَ أخرجتَ المجنون من المسجد !

وفي اليوم الثاني أخذ الشيخ يدرّس الطلبة في المسجد ، واذا بالمجنون نفسه يدخل المسجد ، فأمر الشيخ بطرده ايضاً !

وهكذا رأىٰ في المنام ما رآه الليلة الاولىٰ . ولكنه اصرّ علىٰ موقفه ، فحدث ان دخل المجنون مرة ثالثة في المسجد ، وأمر الشيخ بطرده .. مستنداً في عمله الىٰ الأحاديث الواردة بعدم السماح للمجانين أن يدخلوا المساجد ، لأنهم في الغالب يحملون معهم النجاسة والوساخة وما أشبه .

الاّ انّ الشيخ في الليلة الرابعة بعد طرده المجنون للمرّة الثالثة ، رأىٰ الذي كان يراه في المنام يعاتبه بشدّة .. لم لا تسمع كلامي وانا أقول لا تطرد المجنون ؟

فأجاب الشيخ : اننا نعمل بالأحاديث التي تأمرنا بطرده ، وفي مقام الالتزام بالاحكام الشرعية لانعتمد الاحلام ، لأنها ليست من مصادر الاستنباطات الشرعية ، فبناءً عليه اذا جئتني ألف ليلة في المنام وأمرتني بالسماح لدخول المجانين في المساجد لما اصغيتُ لك !

فابتسم له الرجل (الذي كان يبدو انه من المعصومين ﷺ أو من قبلهم وقال للشيخ أبي القاسم المحقّق: كنتُ أريد ان امتحنك ، فوجدتك حقاً ، أنك (المحقّق) في علمك بأحكام الدين[1].

والجدير بالذكر انّ الاحلام الصادقة أيّدها الاسلام في حدود (المبشّرات) أما أن تكون من مصادر التشريع وبناء المواقف الخارقة للضرورات الشرعية . فهو أمر مرفوض ، هذا بالنسبة الىٰ الأحلام الصادقة واما الكاذبة والمشبوهة فان المؤمن لا يسمح له ان يحدّث بها نفسه أبداً.

---

١ ـ خزينة الجواهر / ص ٥٨١ .

٣٨١ اطمئن فإن رحمة اللّه واسعة

جاءني شاب في الدنمارك سنة (١٩٩٠م) وقال عن أحد المتديّنين هناك : إني أقسم باللّه قد رأيته بعيني هذه خارجاً من (دار السينما التي تعرض الافلام الجنسية) !!

قلت له : استغفر اللّه ، دع عنك هذا الكلام واياك أن تنقله لأحد ، ان اللّه ستّار لمعاصي عباده ، تخلّق بأخلاق اللّه سبحانه .

قال : هذا اذا كان الرجل يعيش مع نفسه ، ولكنه ليس كذلك ، فهو ممن يعاشر الآخرين فيؤثر فيهم ، فمن الواجب فضحه والتحذير منه .

قلت : مهلاً مهلاً .. لا تتسرّع في الحكم على الأشخاص قبل أن يأتيك النبأ اليقين ، فلعل في الأمر سرّ .

قال : أوَ أكذّب نفسي وقد رأيته بعيني ؟

قلت : نعم ، لأن العين قد تخطأ ، كما الفكر قد يظلم . هذا أولاً ، وأما ثانياً فإن الانسان العاصي يُذكَّر ويُنصَح لا أن تقوم بفضحه واسقاطه من عيون الناس ، ان هذا الأمر يأتي بعد اليأس من هدايته وذلك اذا كان أيضاً ممن يؤثر في غيره .

شكرني على هذا الموقف وقال : جزاك اللّه خيراً على هذا الكلام الصائب ، فقد كـدتُ أذهب عند هذا وذاك لأفضحه. الحمد للّه الذي أرسلني اليك قبل غيرك .

قلت : ان من الأساليب الخاطئة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو الشدّة من دون خطة والتسرّع من دون تحقّق ، وهذا يمنع العاصين من الرجوع الى اللّه ، لأن الشخص الذي يجد نفسه مفضوحاً عند الناس يعتقد ان هدايته لا تنفعه ما دامت سمعته سقطت ، وهكذا يصبح الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر هنا قد ارتكب بنفسه منكراً وداس برجله معروفاً وهو لا يدري .

انتهى الموقف مع هذا الشاب ، وطافت الأيام ودارت الأشهر حتى جَمـَعَني مجلس مع الأخ (المريب) ، فآن الأوان في مناسبة فطفق يقول :

كنتُ قبل أشهر قد وقفتُ عند محلٍ لأشتري بعض الفواكه ، وكانت الفواكه موضوعة على رفّين أمام الباب من جهة الخارج (أي في الشارع) فوضعت حقيبتي اليدوية على الفواكه من الرفّ التحتي وأخذت الكيس بيدٍ وباليد الأخرى أنتقي الفواكه الجيدة من الرفّ الفـوقي وأضعها في الكيس حتى أتممتُ ، فلما أردتُ الدخول الى المحلّ للوزن ودفع الثمن نظرت

الىٰ حقيبتي لأحملها معي فلم أجدها ، تركت الكيس محلّه وأنا أُلقي بنظراتي في الجهات من حولي لعلّي أكتشف أمر الحقيبة وفيها كل ما أملك من نقود بالاضافة الىٰ هويتي ومذكرة فيها أرقام تلفونات وعناوين هامة . وأنا بهذه الحالة من الاستنفار رأيت شخصاً يمشي علىٰ بُعد عشرينِ متراً مشيةً مشبوهة فأسرعت خلفه ، فما أن أحسَّ بي ركض ، فركضت نحوه ، اقتحم محلاً فاقتحمتهُ كذلك ، فرمىٰ الحقيبة واختفىٰ بين الحاضرين في المحل ، وبينما أخذت حقيبتي وهممت بالخروج نظرتُ حولي واذا بالمحل عبارة عن (سينما سِكْس) ، ارتعدتْ فرائصي وارتفعتْ دقّات قلبي حين الخروج وأنا أقول في نفسي : ماذا يظن بي لو رآني مَن يعرفني خارجاً من هذا المحلّ الموبوء ؟!

وهنا همستُ في أذنه وقلتُ له : اطمئن ، فإن رحمة اللّٰه واسعة !!

ثم أخبرت ذلك الشاب بحقيقة الأمر ففرح وشكرني ، والحمد للّٰه ربّ العالمين .

أخي القاريء : تأكد أنّ أكثر الظنون والاكاذيب المنشورة علىٰ العلماء الصالحين أساسه إلتباسات ونقلٌ بلا حساب . فاحذر ولا تكن ممن يهدم سمعة غير المستهترين .

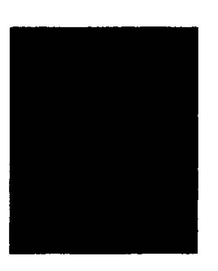
٣٨٢ لا يَنبغي التقابُل

كتب أحد العلماء رسالة الىٰ الامام الخميني ، يطلب فيها مالاً لبناء مدرسة دينية في المدينة التي كان يسكنها ، وذكر فيها مبرّره ودافعه الىٰ هذا المشروع بأن في المدينة يعيش سنة وشيعة ، فالسنة عندهم مدرسة دينية والشيعة ليست لهم مدرسة !

فلما قرأ الامام الخميني ﷺ الرسالة قال مستنكراً : « لا ينبغي التقابل مع السنة . لا يكفي هذا دليلاً وحجّة ، فلأنْ عندهم مدرسة ، اذن يجب ان تكون عندنا مدرسة ايضاً »[1].

نعم عند الامام يجب توحيد الصف الاسلامي ونبذ التفرقة ، هذا هو منطق الذين ارتفعوا في طموحهم وشخّصوا منابع الفتن في الامة الاسلامية .

٣٨٣ نابغةٌ إبن نابغة



السيدالشهرستاني

كتب العلامة السيد محمد اسماعيل طالب الشهرستاني :

أذكُر قصة سمعتُها في صغري من كبار المؤمنين ، وأنقلها عن أحدهم وكان رجلاً طاعناً في السنّ ذا عقل وعقيدة ، وكما أعلم انه كان ممن قضىٰ عمره في العبادة ، كلّما كان يرىٰ أحداً

---

١ ـ در ساية آفتاب / ص ١٢٢ (كتاب بالفارسيّة عن حياة الامام الخميني) .

من أسرتنا يبدأ فوراً يحدّثنا عن علوّ مقام جدّنا (رحمه اللّه تعالىٰ) في العلم والفضيلة .

كان يقول : ان في سنة من السنين قَدِم جدّك الكبير المرحوم الحاج ميرزا محمد علي الشهرستاني من كربلاء الىٰ (كرمانشاه) في طريقه الىٰ مشهد المقدسة ، فجاء العلماء وكبار الوجهاء لزيارته ، ورغم كونه شاباً كان فقيهاً ومتبحّراً في أغلب العلوم والفنون ، لم يتطرّق الحاضرون إلىٰ موضوع الا وأعطىٰ العلّامة الشهرستاني فيه توضيحاً بديعاً ، وفي ذات يوم رجاه بعض المؤمنين المعجبين بشخصيته أن يتزوج من فتيات المدينة ، فبعد أخذ وعطاء حول الموضوع واستلام الضوء الأخضر من السيد قرّر عدة من الوجهاء أن يخطبوا له ابنة الميرزا أحمد رئيس العلماء ، وكان أكبر علماء الدين هناك ، فوافق والدا البنت ولكنهما تردّدا من حيث صعوبة تغرّبها وابتعادها عنهما ، لأنه اذا تمّ الزواج فإنها تذهب مع السيد الىٰ كربلاء، وهي البنت المدلّلة والعزيزة علىٰ قلب والديها . في تلك الليلة رأىٰ أبوها (ميرزا أحمد) النبي ﷺ في المنام مُعْرِضاً وجهه عنه ، كما رأت الأم فاطمة الزهراء عليها السلام معرضة عنها ، فبكيا معتذرين وهما يستوضحان من رسول اللّه وابنته الزهراء سبب إعراضهما، فكان الجواب منهما :

«لماذا لا تزوّجان ابنتكما بولدنا ، أما تعلمان انه سوف يولد منهما فقيه» !!

ان العجب في هذه الرؤيا هو وحدة الموضوع في منامين مستقلين لشخصين اثنين ، فلما استفاقا هرعا الىٰ محل سكن السيد الشهرستاني في الحال ، وقالا له : يابن رسول اللّه نقدّم ابنتنا بين يديك بكل فخر وسرور ، أهلاً وسهلاً بك في أسرتنا ومرحباً بك في مدينتنا .

مَضَتْ علىٰ هذا الزواج المبارك بعض سنوات ، حتىٰ يوماً كان جمع من العلماء في كربلاء يناقشون معضلة علمية ولكنهم لم يهتدوا الىٰ شاطىء الحلّ فيها ، واذا بصبيّ في الحادي عشر من عمره دخل عليهم فقاموا تعظيماً له وأجلسوه في صدر المجلس وبعد السكوت المطبق لمدة دقيقة تفوّه أحد الحاضرين بالمعضلة العلمية فأجاب عليها الصبيّ إجابة واضحة كاملة مقنعة !

ولم يكن هذا الصبيّ الا النابغة الكبير الميرزا محمد حسين الشهرستاني الذي أخبر عن ولادته رسول اللّه وابنته الزهراء في تلك الرؤيا ، فكان هذا الولد حافظاً للقرآن كله في السابع من عمره ولم يبلغ الحُلُم الا بلغ درجة الاجتهاد في علم الفقه الاسلامي وأخذ يعمل بفتوىٰ نفسه في الأحكام الشرعية ، وهكذا تلألأ في سماء المرجعية الدينية اسم آية اللّه العظمىٰ

الحاج ميرزا محمد حسين الشهرستاني ، وكانت وفاته ليلة الثالث من شهر شوّال سنة (١٣١٥) الهجرية في كربلاء المقدسة[1]. انه نابغة إبن نابغة ؟!

٣٨٤ جواب لا يسمعه كل أحد !

نقل لي فضيلة حجة الاسلام الحاج الشيخ محمدي ـ وهو من علماء مشهد المقدسة ـ انه رافق المرجع الورع آية اللّه العظمىٰ الحاج الشيخ بهجت (دام ظله) شهر ربيع الأول سنة (١٤١٧هـ) إلىٰ لقاء العالم العارف آية اللّه الحاج الشيخ مرواريد (دام ظله) رداً علىٰ زيارته له، فمما سمع من العالمين الجليلين قصة نقلها الشيخ بهجت انه في سنوات سابقة التقىٰ مع خطيب في مدينة (رشت) الايرانية فأخبره الخطيب انه في بداية ارتقائه المنبر يسلّم أولاً علىٰ أبي عبداللّه الحسين عليه السلام ، فإن سمع منه الجواب واصل في قراءته للحاضرين ، وان لم يسمع نزل من المنبر واعتذر لهم .

فسألتُه كيف بلغتَ هذا المقام ، حيث تسمع جواب سلامك من الامام عليه السلام ؟

فقال : كنت في السابق أصعد المنبر في بيت أحد المؤمنين وكان يصعده قبلي بساعة خطيب أفضل مني علماً والقاءً وصوتاً ، وأنا أُراقب نفسي ، فكلما خطر في قلبي حسد تجاهه عاقبت نفسي بالامتناع عن صعود المنبر أربعين يوماً ، بهذه المراقبة والمحاسبة والمعاقبة روّضتُ نفسي حتىٰ أصبحتُ أسمع جواب سلامي علىٰ الحسين عليه السلام .

نتمنىٰ هذا المقام الرفيع لكلّ السالكين الىٰ اللّه .

٣٨٥ نافذةٌ علىٰ علم السرّ

يقول العالم الفاضل الشيخ محمد شريف الرازي في كتابه (گنجينه دانشمندان) لما كنا في السنوات الماضية ندرس في حوزة قم المقدسة ، كان آية اللّه العظمىٰ روح اللّه الموسوي الخميني يدرِّس الاخلاق في المدرسة الفيضيّة يومَيْ الخميس والجمعة .. فكان يبدأ الدرس في أغلب الايام بهذه الآية المباركة : ﴿ يا أيّها الّذين آمَنوا إتّقوا اللّهَ ولتَنْظُر نفسٌ ما قدّمتْ لِغَدٍ﴾ ثم يتحدث عن الاخلاق بأسلوب روحاني جذّاب وكلمات نورانية ويختم الدرس رافعاً يديه الىٰ السماء وقلبه يغمره الحزن والخشوع : «الٰهي هَبْ لي كمالَ الانقطاع اليك ، وأنِرْ

---

١ ـ عن مقدمة كتابه بالفارسية (نان ودوغ).

ابصارَ قلوبِنا بضياءِ النظر اليك ، حتىٰ تَخْرِقَ ابصارُ القلوب حُجُبَ النور ، فتصِلْ الىٰ معدنِ العظمة وتصير أرواحُنا معلَّقة بعزِّ قُدْسِك ، آمين يا ربّ العالمين » .

أقول : ان الأخلاق الحميدة نافذة واسعة تُفتَح علىٰ بركات (علم السرّ) الذي قال عنه الامام الصادق عليه السلام لولده اسماعيل: «يابني اجتهد في تعلُّم علْم السرّ ، فإنّ بركته كثيرة ، أكثر ممّا يُظن . يابني مَن تعلَّم علْمَ العلانية ، وتَرَكَ علم السرّ يُهلَك ولا يُسعَد ، يا بُني إنْ أردتَ أن يكرمك ربّك بعلم السرّ ، فعليك ببغض الدنيا ، واعرفْ خدمة الصالحين ، وأحْكِمْ أمرك للموت ، فاذا اجتمعتْ فيك هذه الخصال الثلاث يكرمك ربّك بعلم السرّ » .

٣٨٦ تَفضَّلوا نشرَب شاياً !

نقل الخطيب البارع سماحة الشيخ محسن قراءتي في دروسه الاسبوعية ليلة الجمعة (٢٣ ذي القعدة من هذا العام ١٤١٣ هـ) .. كان في مدينة جهرم الايرانية عالم يلقَّب بـ(حق شناس). أراد بعض الشبّان المهووسين ان يستهزأوا به ، فاتفقوا علىٰ أن يطرقوا باب داره ويرموه بكلمة نابية . فلما طرقوا الباب ، وجاء الشيخ عند الباب قال له أحدهم: انك أيها الشيخ هل تعلم لأي شيء تنفع ؟

قال العالم والابتسامة علىٰ وجهه : لا .. حبّذا علّمتموني لأي شيء أنفع ؟!

قال الشاب : تنفع انْ تعيش مائة عام قبل هذا العصر !

فقال العالم وابتسامته لم تفارق شفتيه : إني أعرف نفسي حتىٰ لذلك الزمان لا أنفع ، والآن فما رأيكم أن تتفضّلوا عندي ونشرب شاياً !

فخجل الشبّان وعادوا من حيث جاؤا وهم ناكسو الرؤوس .

٣٨٧ تبليغٌ ليوم واحد !

الشيخ هاشمي الرفسنجاني

يقول سماحة العلاّمة الشيخ هاشمي الرفسنجاني (رئيس جمهورية ايران الاسلامية):

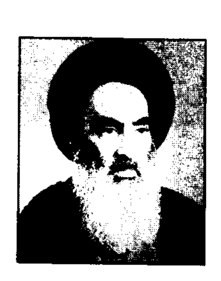
أول مابدأت أدرس في الحوزة العلمية كلما تعلمت شيئاً شعرت بالحاجة الىٰ تبليغه ، وفي العام الثالث والرابع من دراستي شرعت أروّج علوم الشريعة بين الناس ، وحيث كان

الناس يعرفون اني لا آخذ منهم مالاً إزاء التبليغ كانوا يرحّبون بي .

ومن خواطري في تلك السنوات أن طالباً من زملائي رغّبني في التبليغ في قريته (كمره) وهي من الأرياف التابعة لمدينة (خُمَيْن) ، فانطلقت نحو العنوان الذي أعطاني إيّاه وكانت المناسبة أربعينية الامام الحسين ٧ فنزلتُ من السيارة وبيدي حقيبتي المملوءة بالكتب ، دخلتُ مقهىً كان على الشارع الرئيسي للقرية ، وكانت التعب قد أخذ مني مأخذاً وأنا الانسان الخجول في نفس الوقت . فنمت في المقهىٰ حتىٰ جاءوا في الصباح وأخذوني الىٰ المكان الذي يعقدون فيه المجلس الحسيني ، ولعلّهم كانوا يريدون اختباري فوراً ، فارتقيت المنبر وحسب عادة الخطباء بدأت موضوعي بالآية الشريفة ﴿ ألم أَعْهَد إليكم يابَني آدم أنْ لاتعبدوا الشيطان إنّه لكم عدوّ مبين ﴾[1] فتحدثتُ لهم عن مفاسد عبادة الشيطان وأهمية عبادة اللّه تعالىٰ ، ولكن كان اسلوبي فيه شيءٌ من الجِدّة !

فبعضهم ارتاح للموضوع والاسلوب معاً ، وبعض لم يعجبه ذلك وهم الأكثر ، لذلك كانت محصّلة الاختبار أن خطابي لم يحظ علىٰ التأييد والقبول الكامل ، ولمّا كنت غريباً في تلك القرية ، وليس لي مأوىٰ استأذنتهم في الذهاب الىٰ المقهىٰ بحجة جلب حقيبتي ، وأنا أفكّر في عدم الرجوع اليهم ، فخرجتُ مشتّت البال لا أدري هل أعود الىٰ قم أم أبقىٰ عندهم أُواصل التبليغ كيفما كان ، فاستخرتُ اللّه بالقرآن الحكيم فظهرتْ الآية ﴿لو اطّلعتَ عليهِم لَولّيتَ منهم فراراً ﴾[2] فركبتُ السيارة فوراً وعدتُ الىٰ قم المقدسة ، فكان هذا التبليغ لمدة يوم واحد[3]!

٣٨٨ حدود الحريّة وضَرورة الأخلاق


السيد علي السيستاني

طلبتُ من الأخ الكريم سماحة الحاج السيد محمد علي الرّباني (دام توفيقه) أن يذكر لي مالديه من خاطرة مع استاذه آية اللّه العظمىٰ المرجع الديني الحاج السيد علىٰ السيستاني (دام ظله العالي) حيث كان قد تتلمذ عنده أكثر من اثنتي عشرة سنة ورافقه في سفره الىٰ حجّ بيت اللّه الحرام مرتين مـاعدا

---

١ ـ سورة يس / ٦٠. ٢ ـ سورة الكهف / ١٨.

٣ ـ مجلة (حوزه) العدد / ١١ ـ ص ٤٠.

مرافقته له في النجف الأشرف . فذكر علىٰ سبيل العجالة ماكان عليه السيد السيستاني من أخلاق كريمة بداية شبابه والتي كانت قاعدة انطلاقته وتوفيقاته ، يقول السيد الرّباني : إن طالباً قد حضر درس استاذنا السيستاني يوماً وأجرىٰ معه نقاشاً حامياً حول مسألة علمية ، فصدرت عنه تجاه سماحة السيد إساءة أدب أثناء الرّد والنقد ، وكان الطالب يحاول الاستنصار لرأي المرجع الأعلىٰ زعيم الحوزة العلمية السيد الخوئي ﷺ مقابل رأي السيد الاستاذ ولكن دون حجّة منطقية ، وهو أمر في أصله جميل لأنه نابع من الحرية الفكرية في عملية الاجتهاد الذي يعتزّ مذهب التشيّع بفتح بابه منذ أكثر من ألف عام إلاّ أن طريقة التلميذ المناقش للسيد السيستاني كانت لاتمت الىٰ الأخلاق والاحترام بصلة ممّا جعل السيد يتألّم كثيراً ، وبعدما خرجتُ برفقته من محلّ الدرس متوجّهين الىٰ المنزل ذكر لي السيّد انه : لمّا كنت في الثامن عشر من العمر أنهيتُ دراسة الفلسفة بفهم دقيق لمفاهيمها المعقَّدة حتىٰ أُصبتُ بعض الأحيان بشيء من العُجْب والغرور ، وكنت لذلك معجباً بالفلاسفة ومشدوداً الىٰ أفكارهم ، ومع هذا حضرتُ في حوزة مشهد المقدسة دروس آية اللّه العظمىٰ الشيخ الحاج ميرزا مهدي الاصفهاني (قدس سره) وكان ناقداً للفلسفة وشديداً علىٰ الفلاسفة ، ولازال صوته يدوي في أُذني حيث كان يخطب فينا وهو يهاجم أنصار علم الفلسفة قائلاً : «هل انكم تريدون صنع مذهب في وجه مذهب أهل البيت عليهم السلام من أنتم وماشأنكم ، ارتدعوا ، عودوا الىٰ رشدكم ، دعوا هذه الفلسفة الممتزجة بالآراء الغريبة عن منهج الائمة الطاهرين عليهم السلام» .

ولكني رغم ذلك لم أُناقشه بإساءة أدب فأستنصر لفلاسفة كنت أُؤيّدهم واستمر حضوري لدروسه حتىٰ أقنعني تدريجياً بإعادة النظر في التأييد المطلق لعلم الفلسفة وحبّي المبالَغ فيه للفلاسفة ، فصرت محايداً في الأمر لامؤيّداً ولا مندِّداً ، وهناك اكتشفت فائدة التواضع والأدب وضرر العُجْب والغرور .

أقول : ولقد أكّد لي حجّة الاسلام والمسلمين الحاج السيد جواد الشهرستاني (حفظه اللّه) ـ صهر السيد السيستاني (دام ظله العالي) ـ هذا الموقف من السيد اتجاه الفلسفة المتداولة في الحوزات العلمية ، حيث يرىٰ بعض حرمة تعلّمها بينما يرىٰ بعض آخر أن الضرر الأكثر فيها هو اتلاف الوقت إذ لاحاجة إليها في استنباط الأحكام الشرعية ، ويرىٰ بعض ثالث أهمية تعلّمها القصوىٰ لأنها تفتح ذهن المتعلِّم . وفي نظري القاصر أن النظريات

الفلسفية قد تطوّرتْ حديثاً وفنّدتْ النظريات القديمة فإذا كان لابدّ لتقوية ذهن الطالب من دراسة الفلسفة فاليدرس الجديدة منها على أن يدرس قبلها دراسةً واعية لمعارف القرآن وأحاديث أهل البيت ﷺ لكي يوظّف الفلسفة في خدمة القرآن والعترة عند عملية الاصطكاك بالآراء المناوئة للاسلام . فلا يؤخذ من هذه الفلسفة ما يتعارض مع القرآن والعترة، وكذلك الموقف بالنسبة الى الفلسفة القديمة .

٣٨٩ جيشُ اللّيل ، وجيشُ النّهار

يذكر في التاريخ انّ عالماً كان وزيراً لأحد الملوك الشباب ، وكان هذا العالم يصرف أموال وزارته في حوائج الناس والامور الاسلامية لذلك البلد . فوشى به الحُسّاد الى الملك بأنه يصرف أموالاً بلا حساب !

فأحضره الملك .. وقال له : ماذا تفعل بالأموال ؟

فقال العالم الذي عرف أنّ حسّاده وشوا به : ايها الملك .. أنت شاب جميل ، اذا باعوك في سوق العبيد تساوي قيمتك ستين درهماً، واذا باعوني انا (الشيخ العجوز) فسوف لا تصل قيمتي الى أكثر من عشرين درهماً... واما جنودك ، فكلّ رمح يحملونه في أيديهم لايعدو ذراعين ، وكلّ سهم يرمونه لايتجاوز مائة ذراع ... فهل بالامكان ان نسيطر على اطراف هذه البلاد الواسعة بقيمتك وقيمتي أو برماح الجنود وسهامهم هذه وأنت محاط بكثرة الاعداء ؟

انا هيّأت لك جيشين إضافيين .. جيشاً في الليل وجيشاً في النهار !

جيش الليل يرفعون أيديهم الى اللّه تعالى بالدعاء لك ، لأنك احسنتَ اليهم وقضيت حوائجهم المادية . وهؤلاء يصبحون لك أيضاً جيش النهار يدافعون عنك ، لأنك تدافع عن الاسلام والمسلمين بحكومتك هذه . واني اصرف المال لتقوية هذين الجيشين، وهذا أكبر دعم لرسوخ الحكم وبقاء الدولة .

فاقتنع الملك بهذا المنطق الحكيم من وزيره العالم، فقرّبه منه أكثر ممّا كان عليه سابقاً .

فالحكم الذي يقوم على أساس السيف والسجون والمشانق ونفي أهل الحق ، لن يرضى عنه اللّه وشريعته الاسلامية الغرّاء ، ومآله العدم ، إنْ عاجلاً أو آجلاً .

بينما الحكم الذي يعتمد على محبة الناس وخدمة الشعب كلهم ، يدوم تحت رضى اللّه

تعالىٰ . هذا ما أراده العالم الوزير [1] . ويقول الشاعر :

هـات قـلباً ولا تُـضِعْ　　　أيَّ قـلبٍ مـا تسـتطِعْ

٣٩٠ خُذْ هذا المفتاح

ليلة الاحد ، الثاني من شهر رجب ، سنة (١٤١٣) الهجرية ، الساعة التاسعة وعشر دقائق ، ذلك هو الوقت الدقيق لكتابة السطور التالية :

ذكر سماحة السيد الحسيني (حفظه اللّٰه) في محاضرته الاسبوعية المتسلسلة حول (الاخلاق فى العائلة) قصة حول التوكل علىٰ اللّٰه تعالىٰ قائلاً : نقل لي أحد المؤمنين من قوات التعبئة (البسيج) انني خرجتُ الىٰ جبهة الحرب ضد صدام دفاعاً عن الاسلام وايران، في الوقت الذي كانت أربعة أشهر باقية علىٰ عقد ايجار المنزل الذي كنت أسكنه مع زوجتي.

قالت لي زوجتي حين الوداع : ماذا أعمل اذا انتهتْ مدة الايجار وانت لم ترجع من الجبهة؟

قلت لها : لقد توكلنا علىٰ اللّٰه ، ومن يتوكل علىٰ اللّٰه فهو حسبه ، ألستُ ذاهباً الىٰ خدمة الاسلام ، فصاحب هذا الدين يتكفل بكلّ شيء .

ثم بسبب الانشغال في الحرب نسيتُ العودة في الموعد المقرّر واذا بي أرىٰ في المنام ذات ليلة ، سماحةُ الامام آية اللّٰه العظمىٰ السيد الخميني ﵀ ، فأعطاني مفتاحاً ، وقال خذ هذا المفتاح وانتقل الىٰ هذا البيت !

ولما استيقظت تذكّرت الموعد وكان قد مضتْ أربعة أشهر بالضبط فذهبتُ الىٰ قائد مجموعتنا ، فأخبرته بهذه الرؤيا ، وقصة المنزل الذي اسكنه مع زوجتي . فمنحني اجازة العودة لاستعلام وضع المنزل وحال زوجتي .

فلما وصلت واذا بصاحب البيت كان رامياً أثاثي خارجاً ، وزوجتي كانت حائرة لاتعرف ما تصنع ، وأنا لا أدري ماذا أفعل هل انفعل من هذه الحالة فأتصرف بغضب مع صاحب البيت العديم الضمير ؟

كلاّ ، بل أخذتُ أعالج الموقف بذات الحالة التي ودّعت فيها زوجتي قبل أربعة أشهر، اذ

---

١ ـ السبيل الىٰ انهاض المسلمين / ص ٢٧٨ .

حينما خرجت الىٰ الجهاد في سبيل الحقّ كنت متوكّلاً علىٰ اللّه ، والآن فان من شروط التوكل الرضا ، والراضي بما يصيبه في سبيل اللّه لن تتركه السماء ...

بهذا الاعتقاد الايماني اخذتُ اتصرّف وانا أشاهد وضع الاثاث المرميّ جنباً وحالة زوجتي المسكينة .

فقلت لها : انتظري فسوف اذهب بحثاً عن منزل آخر .

خرجت مسرعاً ولم ابتعد عن المنزل إلاّ مسافة خطوات ، واذا بأحد السادة الاجلاّء من العلماء لاقاني في الطريق وسألني : الىٰ اين ذاهب ؟

قلت : بحثاً عن منزل .

فمدّ يده في جيبه وأخرج منه مفتاحاً قائلاً : خذ هذا المفتاح ، وانتقل الىٰ هذا البيت لأيّ مدة تشاء ومن دون مقابل !

٣٩١ أَطْلُبُ حُسْنَ العاقبة

نقل حجة الاسلام والمسلمين الشيخ محسن قراءتي (حفظه اللّه) : كنت أدعو اللّه تعالىٰ عند ضريح الامام الرضا ثامن الحجج عليه السلام .

فبينما كنت ازور وأدعو كغيري من العلماء والزوّار المنتشرين اطراف قبر الامام الغريب ، وردتني فكرة ، فقمتُ لتنفيذها حالاً !

حيث وزّعتُ نظرة حولي ، واذا ببعض أفاضل العلماء رأيتهم في حال العبادة والخشوع فقمتُ الىٰ الاول وطرحت عليه السؤال التالي :

اذا أخبرك أحد بأن اللّه في هذه الساعة يستجيب منك طلباً واحداً فقط فماذا تطلب؟

قال العالم : أطلب حسن العاقبة .

شكرته وقمت الىٰ عالِم آخر وطرحت عليه نفس السؤال من دون ان يعرف جواب العالم الاول . فأجابني بنفس الجواب الذي قاله صاحبه .

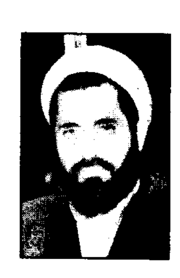
ثم قمتُ وجلست عند عالِم ثالث وسألته ذا السؤال وهو لا يعلم جواب الاول والثاني .

فقال ما قاله لي العالمان الاولان .

نعم .. حسن العاقبة ، مطلوب كلّ مؤمن ومؤمنة .

٣٩٢ الواعِظ الباكي ،كما رَأتْه عيني

كنتُ ولازلتُ منذ سبعة عشر عاماً ، واحداً من الملايين المجذوبين لطريقة الخطيب المرحوم فضيلة الشيخ أحمد الكافي رحمه الله في مواعظه المؤثرة واسلوبه الجماهيري الرائع ، حقاً انه خدم المنبر الحسيني في ايران وزرع في نفوس مستمعيه الكثير من مفردات الولاء لأهل البيت عليهم السلام والمفاهيم العقائدية والتربويّة ، وقد انتقل الىٰ رحمة اللّه شهيداً في أواخر عهد الشاه ، وقيل بعمليةٍ مدبَّرة من الحكومة الطاغية ادّتْ الىٰ انقلاب سيارته في طريق جبلي علىٰ مقربة من مدينة مشهد المقدسة .



الشيخ احمد الكافي

الشاهد .. انني في النجف الاشرف ، بين سنوات (١٣٩٥ ـ ١٣٩٩) الهجرية كنت في أكثر الاحيان افتح جهاز المسجّل وأستمع الىٰ مواعظ هذا الخطيب الجليل ، حتىٰ ينيمني صوته !

ما عدا أسلوبه الخطابي ، فان بكاءه الشديد حين تفاعله مع موضوعه كان يترك الاثر العميق علىٰ روحيتي ، لم أرَ خطيباً حسينياً بكّاءً كهذا الخطيب الذي يسبق مستمعيه في البكاء من كلّ قلبه وشعوره .

ربما تصوّر بعض انّه كان يتباكىٰ كوسيلة لإبكاء المستمعين ! ولٰكني أنفي هذا التصوّر ، وأراه نوعاً من سوء الظنّ بهذا العالم الخطيب الفاضل ، وذلك بالدليل الآتي :

جاء فضيلة الشيخ الكافي الىٰ النجف الاشرف لزيارة مرقد الامام عليّ عليه السلام سنة (١٣٩٧) الهجرية ـ علىٰ ما اتذكر الآن ـ ، فذهبت اليه بشوق كبير لألتقي بمن جذبني اسلوبه الخطابي مدة من الزمن ، وكان جمع من العلماء والطلبة يدخلون عليه وجمع يخرجون ، ولكنني لم أخرج الاّ بعد أن أشبعتُ نظراتي فيه وتأملاتي حول شخصيته . وفي تلك الليلة خرجت الىٰ حرم الامام عليّ أمير المؤمنين عليه السلام فكنت جالساً عند الضريح الشريف قبل أذان الصبح بساعة ، وهو الوقت الذي يشعر الزائرون فيه بطعم العبادة للّه والزيارة لولي اللّه ، إن الهدوء يمسح بلطفه الروحاني آذان الخاشعين والمصلين والداعين في تلك البقعة الكريمة تحت القبة الذهبية العالية علوّ أهل العروج من المتقين والموالين لعليّ أمير المؤمنين عليه السلام وفجأة اخترق الهدوءَ صوتُ بكاء شديد ، لم يكن هذا الصوت جديداً بالنسبة الىٰ أذني .. رفعت

نظري من صفحة القرآن الذي كان بين يدي فنظرت جهة اليسارجهة باب الدخول ، حيث مصدر البكاء ...

نعم ، انه الشيخ الكافي ، كان منفجراً بالبكاء مجرد أن وقعت عينه على الضريح ، رأيته يسرع الى الضريح بلهفة كأنه ينظر الى من فيه بروحه الولائيّة الرفيعة ، وبينما هو يقترب رمى عباءته يميناً ، وراح يقبّل مولاه علياً .

٣٩٣ خطيبٌ عجيب

نقل لي سماحة حجة الاسلام والمسلمين الشيخ علي السيّاح (دام عزه) أن أحد الخطباء المعروفين كان في مدينته يُعتبر أبلغ الخطباء وأكثرهم شعبيّة ، فكلّ خطيب يأتي الى مدينته ويرتقي المنبر لا يتفوّق عليه بشيء جديد ، ففي اختياره للمواضيع واطلاعه على القضايا العصرية وطرحها للناس وفي قراءته لمصيبة الحسين عليه السلام وإبكاء الحاضرين وفي صوته وأسلوبه لم يكن أحد من الخطباء القادمين الى المدينة يمتازون عليه بشيء . الاّ انه لما جاء الخطيب البارع الشيخ أحمد الكافي هزمه في قدرته العجيبة على البكاء والابكاء ، فكان يوعظ الناس بأسلوب عاطفي شديد التأثير عبر دموعه ا لجارية حين الموعظة وبكاءه الشديد .

فقد قال لي الخطيب نفسه : حقاً فإن الشيخ الكافي قد تفوّق عليّ في هذا الأمر ، ذلك لأن البكاء ليس تحت الإرادة بل له تفاعلات داخل النفس ورقّة في القلب ودوافع أخرى لم أكن أنا أهلها مع الأسف .

أقول : ان الشيخ أحمد الكافي رحمه الله امتاز في نفس الوقت بقدرته على ذكر طرائف يُضحِك بها مستمعيه ويرطِّب بها أجواء المجلس ثمّ سرعان ما يقلب الأجواء الى الحزن فيُبكي المستمعين بفاصلة دقائق . فمن هذه الناحية أيضاً لم أجد له نظيراً في الخطباء ، أليس عجيباً هذا الخطيب ؟!

٣٩٤ كيف كان أيّام صَباه ؟

مَن عرف الخطيب الحسيني البكّاء الشيخ أحمد الكافي رحمه الله عرف مدى حبّه العميق لأهل البيت وخاصة لسيد الشهداء الامام المظلوم الحسين بن علي بن أبي طالب عليهما السلام .

يقول معلّمه سماحة حجة الاسلام السيد حسن مؤمن زاده : لما كنت أدرِّس في مدرسة

(ملّي) في مدينة مشهد تلاميذ المرحلة الابتدائية كان من بينهم الشيخ الكافي ايام صباه ، وبينما ينطلق التلاميذ ساعة الفسحة والاستراحة الىٰ ساحة اللعب والترفيه كان هذا الصبيّ (الشيخ الكافي) يأتي عندي ويعطيني (ريالين) ـ من النقد الايراني ـ ويقول : إرث أبا عبد اللّه الحسين عليه السلام ، فأنا أرثيه وهو يبكي بكاءً شديداً .

وكان لم يبلغ الخامسة عشر من عمره حتىٰ اشتهر بصوته الحزين في قراءته لدعاء كميل ليالي كلّ جمعة في حرم الامام الرضا عليه السلام[1].

٣٩٥ قضاءُ حوائج النّاس

صاحب كتاب (الفصول في علم الاصول) العلاّمة آية اللّه الشيخ محمد حسين الاصفهاني رحمه الله كان من كبار العلماء الكرام ، توفّي سنة (١٣٦١) من الهجرة تقريباً في كربلاء المقدسة .

سألوه ذات يوم : اذا أُعلِمتَ أن منيّتك قريبة وانه لا يبقىٰ من عمرك الاّ ساعات قليلة ، بماذا تشتغل في هذه الساعات ؟

قال : أجلس علىٰ عتبة بيتي لأقضي حوائج الناس ، فلعل محتاجاً يأتيني لحاجة أقضيها له حتىٰ ولو كانت هذه الحاجة طلب استخارة[2] .

أقول : ان مثل هؤلاء العلماء قد أذعنوا جيّداً لمثل الحديث القائل : « حوائج الناس اليكم نِعَم اللّه عليكم فلا تملّوا النعم » صدق مولانا عليّ أمير المؤمنين عليه السلام .

٣٩٦ غايةُ المساعي في الحُلولِ السلميّة


الشيخ محمدتقي الشيرازي

في ثورته علىٰ التواجد العسكري للبريطانيين في العراق وفرضهم حكومة عميلة لهم كان قد تدرّج آية اللّه العظمىٰ الشيخ محمد تقي الشيرازي رحمه الله قائد ثورة العشرين في العراق ـ المتوفىٰ سنة ١٣٣٨ هـ مسموماً شهيداً ـ علىٰ ثلاث مراحل حكيمة :

---

١ ـ نفس المصدر / ص ٢٨٢ .

٢ ـ بالفارسية (پندهائي از علماء اسلام) / ص ٣١ .

المرحلة الاولىٰ .. اعتمد فيها الحوار والمفاوضة .

المرحلة الثانية .. اعتمد فيها الدعوة الىٰ المظاهرات الجماهيرية ، بعد أن رفض البريطانيون الاصغاء الىٰ مطاليب الشعب العراقي المسلم وعلماء الدين الافاضل .

المرحلة الثالثة .. أعلن فيها الكفاح المسلح ، وذلك عندما استخدم المحتلون البريطانيون مع المعارضة اسلوب القمع والنفي ..

يقال ان في نهاية المرحلة الثانية حدثت القصة التالية :

استدعىٰ (الميجر بولي) الحاكم البريطاني في محافظة الحلّة العراقية كلاً من : « الشيخ محمد رضا نجل آية الله الشيرازي، والشيخ عبد الكريم العوّاد، ومحمد شاه (الملقب بالهندي)، وأحمد القنبر، والشيخ هادي آل كمونة، والشيخ كاظم أبو ذان، وآية الله السيد محمد عليّ الطباطبائي، والشيخ عمر الحاج علوان ، مع شخصيات أخرىٰ من الزعماء ورؤساء العشائر، بحجة انه يريد استشارتهم» وهؤلاء من حواريي المرجع القائد الشيخ محمد تقي الشيرازي في كربلاء، فتردّدوا في الذهاب خشية أن تكون الدعوة الموجّهة مصيدة لهم .

غير ان الامام الشيرازي ، أمرهم بالذهاب اليه ، ولو أدّىٰ ذلك الىٰ شنقهم ، لأنه كان ـ طاب ثراه ـ يقدّم غاية مساعيه لكي يتوصل مع البريطانيين الىٰ حلول سلميّة في موافقتهم علىٰ حقوق الشعب العراقي ، والتي كانت عبارة عن :

ـ خروج قوات الاحتلال البريطاني من الاراضي العراقيّة .

ـ اقامة دولة ينتخبها الشعب المسلم في العراق .

فأطاع المدعوّون أوامر قائدهم الشيخ محمد تقي الشيرازي ، فذهبوا الىٰ الحاكم البريطاني لينظروا ماذا عنده لقيادة المعارضة الاسلامية . فلمّا وصلوا القىٰ عليهم القبض ونفاهم الىٰ جزيرة (هنجام)في الهند .

بعد هذه الخيانة البريطانية دخلتْ الثورة بقيادة الشيرازي مرحلتها الثالثة (الكفاح الدفاعي المسلّح) [1].

أقول : نعم هذه من المواقف الرساليّة الّتي لا يستغني عنها كلّ قائد رشيد ، وكذلك كان عليّ أمير المؤمنين عليه السلام مع المنتقدين له ، وأما مع المحاربين فقد كان عليه السلام ينصحهم قبل بدء

---

١ ـ اقتباس من كتاب الحقائق الناصعة في الثورة العراقية سنة ١٩٢٠ م .

المعركة ، ذلك لأن الإسلام دينُ الحبّ والحرية والحوار والسلام ، والقوي المخلص لا يخاف النقد أبداً. يقول اللّه تعالى : ﴿فبما رحمةٍ مِن الله لِنْتَ لهم ولو كنتَ فظّاً غليظ القلب لانفضّوا من حولك﴾[1].

ويقول الشاعر :

ما كان صعباً مشكلاً ... بالرِّفق يَسْهَلُ حلُّه

٣٩٧ هؤلاء قَرّروا اتّباع الأخلاق

في (١٢ / شهر رجب / ١٤١٣هـ) نقل لي احد العلماء الثقاة ممن لا يعتبر ضمن العاملين في مرجعية آية اللّه العظمىٰ السيد محمد الشيرازي (دام ظلّه العالي) انه لما حلّ سماحة السيد في الكويت ، هارباً من بطش الحكومة العراقية الجائرة بداية السبعينات الميلادية ، أخذ أحد العلماء هناك يقول لجماعته كلاماً يستنقص به مقامالسيد ، ومما قاله « انه أعلم منه» ، فذهب بعض الحاضرين الىٰ السيد الشيرازي ، ينقلون إليه ما قاله الرجل . فأجابهم السيد ما يلي : « انتم اشخاص مؤمنون ، لا أراكم نمّامين ولا كذّابين ، وانا لا أعتقد أنّ فلاناً من شأنه هذا الكلام عنّي ، وبالنسبة الىٰ أعلميته ، فمن يقول أنا أعلم منه ، لعله هو أعلم مني بالفعل ، لأني أراه انساناً لا يكذب » !

هذه الاخلاق من السيد جعلت أولئك الاشخاص في ضمائرهم يقارنون بين عالمهم وبين هذا السيد العظيم ، فقرّروا اتباع الاخلاق والتقوىٰ ، وتركوا ذلك العالم الذي أوقعه حسده فيما كان يريده لهذا السيد الجليل .

٣٩٨ الحوار دليلُ قوّة



الشيخ مرتضىٰ المطهري

كان استاذ في جامعة طهران زمن الشاه المخلوع يحدّث الطلبة الجامعيين عن الماركسية ويروّج لها ويهاجم الاسلام ويستهزىء بالعلماء .

فسمع عنه المفكّر الاسلامي الكبير آية اللّه الشيخ مرتضىٰ المطهري ﵀ فقال له يوماً : لماذا أنت تهاجم الاسلام ،

---

١ ـ سورة آل عمران / ١٥٩ .

فإن كنت علمياً فأنا أدعوك الىٰ الحوار العلمي في ندوة علنية بحضور جميع الطلبة الجامعيين ، لنرىٰ من يقول الحق ويعتمد المنطق والدليل.. الاسلام أم الماركسية ؟ !

يقول الدكتور حدّاد عادل الذي ينقل هذه القصة : ان الرجل بعدما تحدّاه الشيخ المطهّري بهذه الدعوة الشجاعة افتقدناه في الجامعة فتبيّن انه استقال وانتقل الىٰ مكان مجهول .. هروباً من المواجهة وفراراً من الخجل والهزيمة [١] .

وهكذا فإن الحوار دليل قوّة والتهرّب منه دليل ضعف .

٣٩٩ ثلاثةُ أيّام قبْل الحادث

بعد انتصار الثورة الاسلامية في ايران ظهرتْ فرقة اغتيالات لتصفية أعمدة الثورة واغتيال رجالها البواسل عُرفتْ باسم « الفرقان » ، يقول الدكتور حدّاد عادل : كنا بعد الثورة نعمل مع الشباب المتديّن في الاذاعة فبلغنا خبر أن آية الله الحاج الشيخ المطهري ممّن تريد هذه الفرقة تصفيته جسدياً . فخرجنا للقاء به لنتزوّد من توجيهاته القيّمة فيما يتعلق بالاذاعة الاسلامية ونخبره بالموضوع ايضاً ليأخذ حذره ، وهكذا عندما تمّ حديثه معنا قال له أحد لاخوة : ان هناك من يهدّدكم بالإغتيال . فقال الشيخ المطهري بهدوء تام ومن دون مبالاة : ما الاشكال ، فسوف يصنعون لكم خبراً للبثّ !

وكان ذلك قبل اغتياله بثلاثة أيام ، حيث فُجِعْنَا برحيله واستشهاده الاليم [٢] .

وفي الحديث عن الامام الصادق عليه السلام : «عجبتُ للمرء المسلم لا يقضي الله عزّوجلّ له قضاءً الا كان خيراً له ، وإنْ قُرِّضَ بالمقاريض كان خيراً له ، وإنْ ملك مشارق الأرض ومغاربها كان خيراً له» [٣].

٤٠٠ هذا هُوَ الجوابُ الصحيح !

وقعتْ هذه الطريقة قبل مائة عام تقريباً ، والطرائف تُقْرَأ بِنَهَم !!

قال أحد العلماء في ايران : ذهبنا برفقة عرّيس الىٰ قرية في أطراف مدينة (تبريز) ، ليأخذ عروسه الى المدينة ، ففوجئنا بدخول رجل يظهر عليه الغباء والسذاجة ، وكانت علىٰ

---

١ - ـ بالفارسية ـ مجلة (آموزش ودرمان) العدد ٦ ـ سنة ١٤١٤ هـ .

٢ ـ نفس المصدر المذكور آنفاً .

٣- اصول الكافي / ج٢ ـ ص٦٢ .

رأسه عصابة تشبه العمامة ، وقال : أنا عالم هذه القرية ، وينبغي علىٰ كل مَن يطلب يد فتاة من قريتنا أن يدفع لي رسماً مالياً قدره ثلاثون توماناً .

أخذتُ أناقشه في تصرّفه هذا ، ولكنه أصر علىٰ موقفه ، حتىٰ كان يلوّح بأنه يمنع خروجنا من القرية مالم ندفع !

وأخيراً .. تقدمتُ اليه بالاقتراح التالي تلطيفاً لأجواء الفرح والزواج وحلاً للموقف بالتي هي أحسن .

فقلت له: أسألك ثلاثة أسئلة ، إنْ أجبتَ علىٰ كلّ واحدة منها، أعطيتك عشرة توامين ، وإذا أجبتَ عليها كاملة فلك ثلاثون تومانٍ كاملة . وكل سؤال لم تجب عليه طرحنا عنك عشرة ، فهل أنت موافق ؟

قال الرجل : لا بأس ، اسأل .

فسألته : لماذا يضع المؤذن يده علىٰ أذنه أثناء الأذان ؟!

تأمل الرجل وحاول أن يستحضر جواباً ، فلم يستطع ، ثم قال : لا أعلم .

فقلت : إذن خسرتَ عشرة توامين ، وبقي عليك أن تجيب علىٰ سؤالين آخرين : بالطبع تعرف أن الصّيّاد حينما يريد أن يرمي ، يفتح عيناً ويغمض أخرىٰ ، فهل تعرف لماذا ؟!

تأمل الرجل وحاول مرة أخرىٰ أن يفتش في زوايا مخه عن جواب لهذا السؤال ، فلم يسعفه حظّه . فاعترف بعدم علمه بالجواب .

فقلت له : إذن طارتْ عشرة أخرىٰ، وبقي سؤال ثالث، فإنْ أجبتَ علىٰ هذا السؤال، حصلتَ علىٰ عشرة توامين فقط : إنّ في فصل الشتاء ترىٰ الدجاجة في البيت تقف علىٰ رِجْلٍ واحدة ، فهل تعرف السبب ؟!

تأمل الرجل المسكين ، وفكّر كثيراً وحاول جهد إمكانه أن لا يخسر هذه العشرة ، بعد أن خسر العشرين ، ولكنه استسلم قائلاً : لا أعلم !

فسكت ناكساً رأسه ! وتجاهلته أنا منشغلاً بالآخرين حتىٰ تحركنا مع قافلة العرّيس لنخرج من القرية ، فلحق بي الرجل الىٰ باب القرية وهو يقول : ياشيخ ، أرجوك ، فإنْ لم تعطني مالاً، أعطني إجابات الأسئلة الثلاثة !

فقلت له : أما المؤذن فإنه يضع يده علىٰ أذنه ، لأنه إذا وضعها علىٰ فمِه لا يخرج صوتُه!

فقال الرجل الساذج : أحسنتَ ، هذا جواب صحيح !

واضفت إليه : وأما الصيّاد الذي يغمض عيناً وينظر بأخرىٰ حين الرمي ، فإنه إذا أغمض عينيه كلتيهما فسوف لا يرىٰ شيئاً حتىٰ يرميه !

وهكذا استحسن الرجل جوابي من دون ان يتأمل !

ثم قلت : وأما الدجاجة، فلأنها إذا رفعتْ رجلها الثانية أيضاً ستسقط علىٰ الارض!

هنا قال الرجل البسيط : صدقتَ ، بالفعل هو كذلك ... (١)

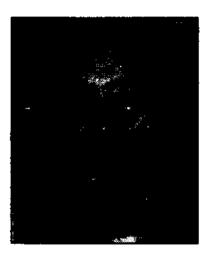
٤٠١ لا يَرضىٰ اغتيابَ العلماء

قال فضيلة الشيخ التوسلي (حفظه اللّه) : إن جمعاً من طلبة العلوم الدينية كانوا يجلسون في ديوانية الإمام الخمينيّ في النجف الأشرف ، يراجعون دروسهم ، وأحياناً كان بعضهم ينال من العلماء الذين لا يتّفقون معهم في الرأي، بل ربما قال بعضهم : لماذا الإمام الخميني لايتجاوزهم ويستلم زمام المرجعية العليا؟!

فجاء يوماً آية اللّه الشهيد السيد مصطفىٰ ابن الإمام يقول لهم : إنّ الإمام سمعكم تغتابون العلماء، يقول انه لا يرضىٰ اغتياب أحد منهم وخاصة فى بيته، ولا يسمح لإهانة أي أحد هنا(٢).

في الرواية انه سأل رسول اللّه ﷺ يوماً : هل تدرون ما الغيبة ؟ فقالوا : اللّه ورسوله أعلم. قال : «ذكْرك أخاك بما يكره» قيل : أرأيت إنْ كان في أخي ما أقول ؟ قال : «إنْ كان فيه ما تقول فقد اغتبتَه ، وإنْ لم يكن فيه فقد بهتَّه»(٣)

٤٠٢ أوصيكُم بنظْم أمرِكم



السيد محمد حسين البهشتي

في منتصف ليلة العشرين من شهر جمادى الثانية سنة (١٤١٤هـ) ليلة ميلاد سيدة نساء العالمين فاطمة الزهراء (عليها آلاف التحية والثناء) . فتحتُ المذياع والتقطت اذاعة الجمهورية الاسلامية لأسمع اذان الصبح ، فلم يكن الوقت قد حان .. الآن كلمة لفضيلة الشيخ محسن قراءتي (حفظه اللّه)

---

١ ـ كتاب بالفارسية رنگارنگ / ص ١٤٨.

٢ ـ مجلة (پاسدار إسلام) الصادرة في قم / العدد ١٣ ـ ص ٤٩ .

٣- بحار الانوار / ٧٥ ـ ص٢٢٢ .

كانت تذاع ، فذكر الشيخ هذه القصة وانا سجّلتها لك فوراً: ان الشهيد المظلوم آية اللّه السيد محمد حسين بهشتي ﷺ كان يقود سيارته في ساعة متأخرة من ساعات الليل في زمن الشاه وذلك في اوج معارضة العلماء لنظامه العلماني الظالم، يقول الذي كان مع الشهيد بهشتي في السيارة .. ان السيد البهشتي توقف عند الاشارة الحمراء ينتظر الضوء الاخضر ، ولم يكن في تلك الساعة سيارات في الشارع ولا شرطيّ مرور.

فقلت للسيد : لا تقف مادام شرطي مرور غير موجود ، وليست هناك سيارات في الشارع!

فقال السيد بهشتي : « صحيح اننا ضد النظام ، ولكننا مع النظم » . ذلك لأن النظم في أمور الحياة من صفات المؤمنين وهو من وصايا عليّ إمام المتقين ﷺ : «أوصيكم بنظم امركم» .

٤٠٣ تعالوا أحكي لكُم قصّة

تبليغ معالم الدين بين الناس ، عمل من أعمال علماء الدين (المـعممين) علىٰ وجه الاولوية وليس الانحصاريّة ، فهم أولىٰ بتبليغ الدين لانّه مجال تخصّصهم ، ولكنه علىٰ غيرهم ايضاً القيام بهذا العمل قدر المستطاع ، فالانسان المسلم رسالته ان يبشّر بالاسلام ويدعو اليه في أي موقع كان ، أما عالم الدين فهو بالاضافة الىٰ ذلك عليه أن يبحث عن مواقع أكثر حاجة الىٰ معرفة الدين ، وكلما تحمّل العناء للوصول الىٰ المواقع الصعبة التي يزهد فيها الآخرون غالباً، فانه يستحق ثناءً أكثر وثواباً أكبر .

في هذا السياق نقرأ ما ذكره الشهيد (الدكتور) آية اللّه السيد بهشتي ﷺ في إحدىٰ محاضراته بداية انتصار الثورة الاسلامية في ايران بالحرف الواحد :

في سنة (١٣٢٦) الهجرية ـ قبل ٣٣ عاماً ـ كنا مع آية اللّه المنتظري عزيزنا هذا العالم المجاهد الصامد المتقي وإخوة آخرين ـ أحدهم الشهيد آية اللّه المطهري ـ نتبادل المشورة حول ذهابنا للتبليغ في شهر رمضان الىٰ القرىٰ النائية ، تلك القرىٰ التي يصعب الوصول اليها ويزهد فيها الآخرون .

وقررنا ان نخبر سماحة المرجع الديني آية اللّه العظمىٰ السيد البروجردي ﷺ بقرارنا هذا، فأخبرناه بواسطة الامام الخميني الذي كان في ذلك الوقت مدرّساً كبيراً في الحوزة ونحن نتتلمذ عنده ، رحّب السيد بهذا القرار ودعىٰ لنا بالتوفيق ، وكنا قد قررنا ان نحمل معنا

تكاليف السفر وزاد الاقامة في القرىٰ لكيلا نكلّف الناس الضعفاء . فكان المطلوب مائة تومان لكل واحد منّا ، وكان أكثرنا لا يملك هذا المبلغ ، فأكمله السيد البروجردي .

اتذكر كان عددنا سبعة عشر شخصاً ، وقد اتفقنا أن يكتب كل منا تقريراً عن سفره حين العودة ، ذلك لكي ندرس الفكرة فان كانت مفيدة ، نخطط لها لشهر محرم وصفر ورمضان العام القادم ايضاً ،

وهكذا انتشرنا ، ولما عدنا وراجعنا التقارير .. كان أروعها تقرير آية اللّه المنتظري ، حيث قال فيه : انني انطلقت الىٰ أبعد قرية من قرىٰ مدينة (نجف آباد) في اطراف (فريدن) وكان وقت حصاد المحاصيل الزراعية ، فوجدتُ الناس القرويّين رجالاً ونساءً واطفالاً يخرجون من منازلهم الىٰ مزارعهم صباحاً ، ويعودون مساءً ، يقومون هناك بدكّ القمح وتنظيفه وتعبئته اذا كان الجو معتدلاً ، والا فانهم يستريحون في المزرعة حتىٰ تعتدل الرياح وتتناسب مع عملية الدّكّ والتجميع .

من هنا رأيت انه من الصعب أن أجمعهم في مكان داخل القرية ، فالجدير بي ان اشتري بعض الشاي والسكّر (القند) واذهب معهم الىٰ المزارع ، فاخذت اناديهم وقت الاستراحة : تعالوا أحكي لكم قصة ! فأبدأ حديثي معهم بقصة مشوّقة ثم احشّيها بآيات وروايات ومسائل فقهية .

يضيف الشهيد السيد البهشتي في خطابه بعد ذكره هذه القصة قائلاً : هذا هو طريقنا طريق العمل مع الناس والحضور معهم ، اننا لا نحيد عنه بأي ثمن [١] .

٤٠٤ اسمٌ لم يَجتمِع مع صورة

كان آية اللّه الدكتور السيد البهشتي يعمل في المعارضة الاسلامية ضد الشاه بسرّيّة وذكاء واخلاص .

فممّا قام به من عمل وكان في منتهىٰ الأهمية مساهمته في تأليف كتب المادّة الدينية للمدارس الحكومية ، والغريب انه لم يقبل ان تطبع تلك الكتب باسمه أو يكتب اسمه ضمن المساهمين في التأليف .

وقد سُئِلَ بعد انتصار الثورة الاسلامية عن سبب عدم قبوله ذلك فقال : لأن الكتب كانت

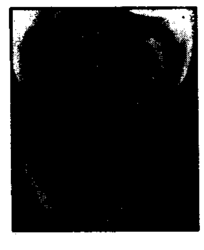
---

١ ـ كتاب بالفارسية عن حياة السيد البهشتي (أو بتنهائي يك امت بود) / ص ٣٥٩ .

تتصدّرها صورة الشاه وانا بطبيعتي كنت أكره الشاه وحكومته الظالمة ، فما كنت أتحمّل ان أرىٰ اسمي علىٰ كتاب وصورة الشاه تكون فيه .

هذا وقد أعيدتْ طباعة تلك الكتب بعد انتصار الثورة وعليها اسم مؤلفها الشهيد آية اللّه البهشتي (أعلىٰ اللّه مقامه)[1].

٤٠٥ تناسُبٌ بيْن الرُّؤيا والحقيقة



الشيخ محمد المنتظري

الشهيد السعيد فضيلة الشيخ محمد المنتظري ، ولد حدود سنة (١٣٦٣) الهجرية من عائلة متدينة مزارعة في مدينة (نجف آباد) التابعة لمحافظة اصفهان ، واستشهد سنة (١٤٠٠ هـ) في حادث انفجار فجيع أودىٰ بحياة (٧٢) من أعاظم رجال الثورة الاسلامية في ايران ، وفي مقدمتهم الشهيد المظلوم آية اللّه البهشتي ، وكان عمره ـ أي الشيخ محمد ـ (٣٧) عاماً تقريباً .

يقول والده آية اللّه العظمىٰ الشيخ حسين علي المنتظري بعد استشهاد ولده : كانت لي جدّة فاضلة مؤمنة (اللّه يرحمها) ، صارت في سنواتها الاخيرة قعيدة الارض ، وحينما رجعتُ من سفر ، قالت لي : خلال غيابك رزقك اللّه ولداً له مستقبل زاهر !

قلت لها : كيف ؟

قالت ان ليلة ولادته رأيتُ في المنام النبي الاكرم ﷺ والسيدة فاطمة الزهراء عليها السلام واثني عشر اماماً بهيبة جليلة ، كلهم جالسون في اطراف هذه الحجرة يدعون اللّه تعالىٰ، وانا دعوت معهم ، ثم استيقظتُ من نومي ، فوجدت ولدك هذا فاتحاً عينه علىٰ الحياة.

هذه رؤيا جدتي ، ولي انا قصة بهذه المناسبة انقلها لكم : انّ لزواجي سابقة عجيبة . مايرتبط بي شخصياً لا انقله ، لكنني انقل مايرتبط بولدي محمد وهو كما يلي : عندما أردتُ ان اتزوج ، استفتحتُ بالقرآن الكريم ، فظهرتْ الآية الشريفة : ﴿ والّذينَ يقولون ربَّنا هَبْ لنا مِن أزواجِنا وذُرّياتِنا قُرّةَ أعيُنٍ واجعلْنا للمتّقينَ إماماً﴾[2]

---

١ ـ بالفارسية (شهداء روحانيت در صد سالة أخير) ص ٥١٥ .
٢ ـ سورة الفرقان / ٧٤.

كان هذا الموضوع في بالي حتىٰ ذات ليلة رأيت في المنام أني اطالع في الصفحة الاولىٰ من كتاب (مكاسب) الشيخ مرتضىٰ الانصاري مبحث البيع ، واذا بعيني اليمنىٰ خرجتْ من الحدقة فسقطتْ علىٰ الكتاب ، وكنت في رؤياي هذه متعجباً ممّا حدث ، اذ رغم سقوط عيني كنتُ ابصر وأرىٰ ، كيف يكون هذا ، عيني خرجتْ ولكنّي لم أفقد نور البصر ، هذه الرؤيا كانت في فترة انعقاد نطفة ابني محمد . ان قرّة العين المذكورة في الآية الشريفة تعني نور العين. وهذه الرؤيا مع الآية الشريفة (التي استفتحت بها للزواج) بينهما تناسب عجيب جداً [1].

٤٠٦ مِن أجْل الآخرين

عندما كان يدرس في صغره ـ والكلام لآية اللّه العظمىٰ المنتظري عن ابنه الشهيد الشيخ محمد ـ إنْ كان يأخذ مني (١٠) توامين (النقد الايراني) كان يعطي الطلبة المحتاجين تسعة منها فيشتري بها كتباً لهم ويشوقهم للدراسة ، وهو يذهب بتومان واحد يشتري بعض الخبز اليابس فقط فيأكله من دون شيء معه .

ورغم ان معيشتنا الخاصة في المنزل كانت بسيطة جداً ، الاّ انّ ولدي محمد كان يستشكل علينا دائماً ، فذات يوم اشتريتُ مقداراً من البرتقال للبيت وكان افضل ممّا كنت اشتريه من قبل . سمعته يقول لأمّه : انا لا آكل هذا البرتقال ، نحن يجب ان نأكل البرتقال الذي يأكله الناس العاديّون ، مهما أصرّت عليه أمّه ، رفض ان يأكل ، وقال : إنْ عشتُ هكذا ، فانه يترك علىٰ روحيّتي اثراً سلبياً .

ويضيف الشيخ المنتظري قوله عن ولده الشهيد : انه في هذه الايام الاخيرة ايضاً، حيث انتصرت الثورة واصبح نائباً للشعب في مجلس الشورىٰ الاسلامي (البرلمان) ، كان يعيش في غرفة صغيرة تابعة لإحدىٰ المؤسسات الحكومية ، فلم يكن في أي وقت يفكر في معيشته الشخصية ، دائماً كان يفكر في الآخرين وفي المجتمع ومن آجل الناس، ويفكر في أكثر أوقاته في حركات التحرّر العالمية ، وسُبل دعمها [2] .

---

١ ـ كتاب عن حياة الشهيد المنتظري ، تأليف مصطفى ايزدي / ص ٤٧ .

٢ ـ نفس المصدر / ص ٥١ .

٤٠٧ وأناكذلك صِرتُ شهيداً

بعد استشهاد اثنين وسبعين عالماً ومفكراً ومثقّفاً من قيادات وكوادر الثورة الاسلامية في إيران .. بانفجار رهيب دبّره المنافقون قال سماحة الشيخ اسماعيل الفردوسي ممثل أهالي مشهد في مجلس الشورىٰ الاسلامي والذيكان من مجروحي هذا الحادث :

« انني كنت بجانب الشيخ محمد المنتظري تحت الأنقاض والأحجار التي سقطتْ علينا في ساعة الانفجار ، وما كان يمكنني رؤيته طبعاً ، إلاّ أنني كنت أسمع صوته يتمتم بذكراللّه تعالىٰ ، ثم انقطع صوته ، وبعد قليل عاد وقال كلمته الاخيرة : وأنا كذلك صرتُ شهيداً . فعلمتُ أن روحه قد عرجتْ الىٰ السماء »[1].

٤٠٨ إرادةٌ صَلْبة وعطاءٌ مستمر

وُلد في (١١ / ربيع الاول / ١٢٩٣هـ) ـ الموافق ـ (٧ / ٤ / ١٨٧٦م) في طهران ، وتوفّي في النجف الاشرف ليلة الجمعة (١٣ / ذي الحجة / ١٣٨٩هـ) ـ الموافق ـ (٢٠ / ٢ / ١٩٧٠م) ، بين هٰذين الفاصلين عاش مع الكتاب والقلم ولم يمل من حملهما ساعات متتاليات طويلات، لأنه وجد قيمة وجوده في الإخلاص للّه وحمْل الأمانة وكون الانسان هادفاً في حياته ، هذه العناصر شكّلت حركته العلمية المستميتة ، ومثل هذا الرجل لايكون الاّ صاحب إرادة صلبة ، والتي برز جانب منها في القصة التالية :

كان الشيخ (آقا بزرگ الطهراني) ـ وهذا اسمه ـ يدخّن في اليوم الواحد مايقارب (١٠٠) سيجارة ، وذات مرّة وقع مريضاً ، فقال له الطبيب : عليك بالتقليل من التدخين حتىٰ تتركه تدريجياً ، والاّ فصحّتك تسيء بشدّة .

ولمّا كان الشيخ يريد صحته لإنجاز أهداف كبيرة يجتاز بها الىٰ درجات رفيعة في الجنة قرّر وهو يقول : بعد خمسين عاماً من التدخين ، فإنّي من الآن فصاعداً لن أُدخّن .

وهكذا استعاد الشيخ صحته التي كادتْ تودّعه ! فأخذ يواصل عمله الكبير في تحقيقاته

---

١ ـ مقابلة تلفزيونية مع سماحته بعد الحادث .

العلمية الواسعة ، وكان من نتاجها (٢٣) كتاباً في مختلف العلوم الاسلامية ، وأبرزها كتابان قيّمان ، (طبقات أعلام الشيعة) في (١٤) مجلّداً ، و (الذريعة الىٰ تصانيف الشيعة) في (٢٩) مجلّداً ، قضىٰ في تأليفهما سنوات طويلة معتكفاً في مكتبة المدرسة العلمية في سامراء التي أسّسها المجدّد الشيرازي الكبير ، كما سافر من أجل تحقيقاته العلمية الىٰ أنحاء ايران والعراق وسوريا وفلسطين والحجاز ومصر ، وزار فيها (٦٢) مكتبة عامة وخاصة . وهو الىٰ جانب اهتمامه الشديد بالدراسة والتأليف كان من السواعد العاملة في الكفاح المسلّح الذي قاده أستاذه الشيخ محمد تقي الشيرازي ضد الاحتلال البريطاني في العراق . وكان الشيخ (آقا بزرگ) كثير المتابعة لأخبار العالم والاكتشافات الحديثة ، وعُرف بالصّمت وقلّة الكلام وعدم التعصّب للرأي ، فلم يحّمل رأيه علىٰ غيره ويفرض عقيدته عليه ، كان يقول دائماً : (إنّ الطُرُق الىٰ اللّه بعدد أنفاس الخلائق) فليس الصحيحُ منحصراً فيما يعتقده الانسان لنفسه فقط ، بل قد يكون الصحيح أيضاً هو مايعتقده الآخرون ، فللحق دائرة واسعة وللصواب مصاديق كثيرة . وجاء عن أدبه وأخلاقه أنّه كان يقبّل حتىٰ الاطفال ويتقدّم بنفسه الىٰ استقبال الضيف ، وحين الوداع يشايعه حتىٰ الباب . وكان يراسل أصدقاءه وأولاده وأحفاده المنتشرين هنا وهناك صلةً للأرحام وإرشاداً لهم [١].

٤٠٩ فليَكُنْ مزاحُكم أيضاً بِجِدّ

كانت (الجديّة) من الصفات البارزة في المجاهد الشهيد الشيخ محمد المنتظري ، حتىٰ اشتهر عنه القول : « اذا أردتم أن تمازحوا ، فليكن مزاحكم ايضاً بجدّ » !

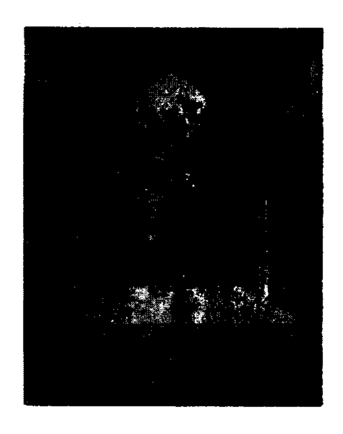
وعلىٰ هذا الاساس كان ينهي دروسه في الحوزة العلمية بسرعة فائقة ، فالدروس التي يدرسها الآخرون علىٰ (بطئهم) خلال عامين ، كان الشيخ محمد يدرسها خلال ستة أو سبعة أشهر [٢].

---

١ ـ من مقال قدّمه الاستاذ محمد آصف الىٰ مؤتمر (الكتاب والمكتبة في الحضارة الاسلامية) المنعقد في مشهد المقدّسة سنة ١٤٠٦ هـ برعاية (مجمع البحوث الاسلامية التابع للآستانة الرضوية المقدّسة) .

٢ ـ نفس المصدر / ص ٢٨٢ .

٤١٠ مـزارٌ في تايْلَند


مزار الشيخ احمد القمي في تايلند

إنّـه مـن مـواليـد عـام (٩٢٢هـ) ـ الموافـق ـ (١٥٤٣م)، اسـمه الشـيخ أحـمد القـمّي ، هـاجر الىٰ تـايلند وعمره يقارب الخمسين عـاماً ومـعه جمع من التجار الايرانيين .

نشط الشيخ مـن خـلال عـلاقاته التجارية ، ونفذ فـي تـلك الاوسـاط ببركة أخلاقه وذكائه ومـعرفته للّـغة الاجنبية حتىٰ اهتدىٰ علىٰ يده الكثير من الناس فتركوا البوذية واعتنقوا الاسلام موالين أمير المؤمنين علي عليه السلام ومنتهجين مذهب أهل البيت عليهم السلام .

بعد مُضيّ عشر سنوات من استقرار الشيخ في مدينة (آبوديا) العاصمة القديمة لتايلند ، تزوّج الشيخ فتاة تايلندية من عائلة محترمة ، ولمّا وجد التجّار فيه براعة وأمـانة وحكـمة انتخبوه رئيساً ومُشرِفاً علىٰ قطاعهم التجاري . وبعد وفاة المِلك التايلندي (نارسون) أسند الملك الجديد (سونگ هام) سنة (١٦٠٩م) وزارة الداخلية والتجارة الخارجية الىٰ صـديق الشيخ وكان متنفّذاً في السلطة و اسمه (چاموئن) وهذا بدوره حوّل منصب مديرية الأجانب للتجارة الخارجية الىٰ الشيخ أحمد القمّي ، فبالاضافة الىٰ عنوانه الديني والتجاري كسب الشيخ عنواناً سياسياً في تايلند ، ومع نجاحه في هذا المنصب نصبه المِلك بعد فترة وجيزة مسؤولاً علىٰ الموانىء والجمارك والتجارة الخارجية (قسم الاجانب) ، وهذا المنصب يلي منصب وزير الخارجية والتجارة ، وأهميته نابعة من كون المـلك أخـذ يـقود البـلاد نـحو الازدهار الاقتصادي عوضاً عن تقوية البنية العسكرية كما كانت سياسة الملك السابق ، ولما توفي صديقه (چاموئن) تعين الشيخ محلّه وزيراً للداخلية والتجارة الخارجية ، وبقي فـي هذا المنصب الرفيع الىٰ سنة (١٦٢٨م) حتىٰ تقاعد لِكِبَر سنّه . ولقد وظّف هذا العالِم الجليل حياته التجارية والسياسية والاجتماعية لنشر الاسلام والتبليغ لمذهب أهل البيت عليهم السلام هناك، وأسّس الشيخ مراكز تعليمية وبنىٰ مساجد و نشر التعاليم الاسلامية والخط العربي واللّـغة الفارسية بواسطة أتباعه وأولاده وأحفاده .

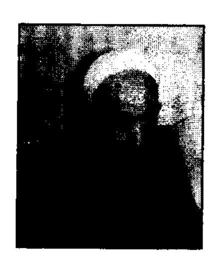
والىٰ هذا اليوم يستمر ذلك العطاء وآثاره في تايلند . وقبره في (كلية تربية المعلّم) في مدينة (آبوديا) مزار عظيم ، بُني عليه حرم وقبّة ذهبيّة اللّون بخصائص المعمارية الاسلامية ، ومكتوب علىٰ حجر مقابل المقبرة باللّغة الانجليزية والتايلندية مايلي :

«الشيخ أحمد ، رئيس وزراء تايلند في آبوديا ، وُلِد في محلّة (پايين شهر) بمدينة قم المركز الاسلامي لايران في سنة (١٥٤٣م) ، وكان من الشيعة الاثني عشريّة ، هاجر الىٰ (آبوديا) في زمان السلطان (نارسون) الكبير» .

هذا وتُزيَّن كل يوم مقبرته ﷺ بالورود الطريّة والمختلفة الألوان ، وربما أشعل بعض الزائرين عوداً معطّراً علىٰ قبر الشيخ ، وهذا لا يختصّ بالمسلمين بل شوهد العديد من غير المسلمين يأتون الىٰ الزيارة لاعتقادهم أنّ الشيخ صاحب كرامات[١].

وهكذا صدق اللّه تعالىٰ : ﴿ ومَن يُهاجِر في سبيلِ اللهِ يَجِد في الأرض مَراغَماً كثيراً وسَعَة و مَن يَخرُج مِن بيتهِ مُهاجِراً الىٰ اللهِ ورسولهِ ثُمّ يُدْرِكه الموتُ فقد وَقَعَ أجرُه علىٰ اللهِ وكان اللهُ غفوراً رحيماً ﴾[٢].

٤١١ أنت مع الإنصاف تَربَح !



الميرزا جواد الطهراني

نقل لي سماحة العلّامة الشيخ إلهي الخراساني (حفظه اللّه) أنّ أستاذه المرحوم آية اللّه الشيخ ميرزا جواد الطهراني (أعلىٰ اللّه مقامه) كان اذا يريد في مجلس درسه أن يناقش رأي أحد كبار العلماء يبدأ أوّلاً في الثناء عليه ثُمّ بغاية الأدب والتواضع يطرح ماعنده من رأي علمي ناقد .

أتذكّر مرّةً ذكر رأياً للمرحوم الشيخ محمد حسن النجفي (صاحب جواهر الكلام / الموسوعة الفقهية الكبيرة) فبدأ يمجّد مقامه العلمي ويثني علىٰ خدماته الجليلة وكتابه الجواهر ، وبعد ذلك تطرّق الىٰ رأيه الناقد لرأي الشيخ وهو يقول : ربما نقدي لرأي الشيخ نابع من عدم فهمي لرأيه . ثم يطلب من الطلبة الحاضرين في الدرس أن يعينوه لفهم رأي

---

١ ـ مجلة مشكاة / العدد ٤٦ ـ الصادرة عن مؤسسة الدراسات الاسلامية التابعة للحرم الرضوي الشريف في مشهد المقدسة .

٢ ـ سورة النساء / ١٠٠ .

الشيخ كي يسحب انتقاده . واذا كان يناقشه أحد الطلبة فيقتنع بعدم صحّة رأيه يعلن لهم بشجاعة وصراحة قائلاً : أنا مخطىء [١].

وهكذا تكون مع الإنصاف قد تربح العلم والأدب والأخلاق ، فما أجمل أن نكون كذلك .

٤١٢ زارِعٌ ومَزْرَعة

بدلاً عن اسمه الكامل كان العالِم الربّاني الشيخ ميرزا جواد الطهراني يكتفي في مؤلفاته بذكر مايلي : (جواد الطهراني) وحيناً آخر يكتب (ج) وحيناً ثالثاً (جواد) وحيناً رابعاً (ج - زارع) .

ذات مرّة سُئِل لماذا اخترتَ لفظة (زارع) وهو ليس لقبك ؟

فأجاب الشيخ : انني أقصد منها المفهوم اللغوي لأن (الدنيا مزرعة الآخرة) فنحن في هذه الدنيا زرّاع لآخرتنا .

أقول ومثله حيث ركب سفينة الإخلاص لا يبحث عن البذخ والإسراف لا في الحياة ولا بعد الممات ، أما في الحياة فواضح ، ولكن كيف بعد الممات لايبحث عن البذخ والإسراف؟!

يقول سماحة الشيخ إلهي الخراساني (حفظه الله) فيما كتبه عن مختصر حياة أستاذه : ذات يوم كنت جالساً في محضره فأراني صُرَّةً كانت بيده وقال : «في هذه الصُرَّة كَفَني كلّما أذهب الى جبهات الحرب المفروضة على الجمهورية الاسلامية أحمله معي ، وقلت للاصدقاء مرّات عديدة أينما في الجبهة وقعتُ شهيداً أو مُتُّ ادفنوني في نفس المكان بهذا الكفن ، و لا أُجوّز لكم نقل جنازتي الى مدينة مشهد أو مكان آخر» .

ويشير الشيخ بنفسه الى هذا الزهد العجيب في وصيته : «ادفنوا جثماني في مقبرةٍ عامّة خارج المدينة أو أي مكان مباح يكون خارج المدينة ، ومن دون تأخير وبلا تطبيل إعلامي للناس و لا تقيموا مجالس يوم السابع ويوم الأربعين ، واذا أراد أحد في أي وقت يبعث لي ثواباً فليطلب الغفران لي ، أنا راضٍ ومسرور أنْ هكذا يكون موتي ودفني ، كي لا يتجشّم العناء أحد من أجلي . واذا رغب أبنائي في أي وقت أن يعملوا لي خيرات فإنّه يسرّني قليل

---

١ ـ كرّاس عن حياته صادر من مؤسسة الدراسات الاسلامية للحرم الرضوي .

من الصلاة والصوم إنْ شاء اللّه تعالىٰ ، وإنّي أُوصيهم بتقوىٰ اللّه وطاعته تعالىٰ في كل الحالات من حياتهم . والسلام علىٰ من اتّبع الهدىٰ» .

هذا ولقد توفي الشيخ في (٢٣ / ربيع الاول / ١٤١٠) ودفن في مقبرة (جنّة الرضا) وهي مقبرة عامّة للناس والشهداء خارجة عن مدينة مشهد المقدسة .

٤١٣ لِماذا لم يَطرُق الباب ؟

كان العالِم الربّاني والعارف التقيّ الشيخ ميرزا جواد الطهراني ﷺ مواظباً في أخلاقيّاته الكريمة أنْ يراعي أبسط الامور الانسانية . تقول زوجته المكرَّمة أنّه ذات مرةٍ عاد الشيخ من سفرٍ فوصل الىٰ البيت بعد منتصف الليل ، وكنّا والاطفال نائمين ، فلكي لا يزعجنا لا يطرق الباب ، وبقي خلف الباب متّكئاً علىٰ الحائط حتىٰ شعرتُ بوجود شخص هناك فقمتُ وتفحّصتُ ثم فتحتُ له الباب[1].

٤١٤ عساك بخير يا ولدي

نقل لي أحد العلماء الأفاضل أن في تشييع جنازة العارف الربّاني آية الله الحاج ميرزا جواد الطهراني الذي جرىٰ في مدينة مشهد المقدسة انه شوهد أحد الشبّان يبكي خلف الجنازة بشدة . فسألناه هل لك قرابة مع المرحوم ؟ قال : لا . قلنا : فما سبب بكائك الشديد عليه ؟

قال : انه كان صاحب قلب رحيم وروح كبيرة وصدر واسع وعطف وحنان ، فلقد كان الشيخ قبل سنوات يمشي فصدمته بدراجتي صدمة عنيفة حتىٰ سقط بعيداً وسقطتُ أنا جانباً أتألم ، وكنت خائفاً من غضب الشيخ لأن الخطأ كان مني بلا شك . في الأثناء رأيته قد دنا مني وأخذ يتفقد حالي ، يسألني : كيف حالك ياولدي ، عساك بخير ، إن شاء الله ما تأذّيتَ ... قم ياولدي خذ دراجتك وأحذر مرة ثانية أن تؤذي نفسك !

وبينما كنت خجلاً من كلمات الشيخ ورأفته العظيمة وعفوه الكبير قمت وأخذت درّاجتي وقام الشيخ فأخذ عمامته وعباءته المرميّتين علىٰ الأرض ، فودَّعني بابتسامته العريضة .

---

١ ـ كرّاس صدر عن حياته من مؤسسة الدراسات الاسلامية التابعة للحرم الرضوي .

صرتُ بعد هذا الموقف مشدوداً الىٰ حبّه ولا أنسىٰ فضله ، لقد أعطاني درساً في الحلم والعفو والترفّع عن الأمور التي كم يحدث مثلها في المجتمع ويسبب مشاكل بين الناس فتتوالد بينهم العداوات منها ، بينما لو كانوا منذ البداية يتربون علىٰ معنوية هذا الشيخ لحلّت المشاكل وانجلت العداوات عن صدورهم .

٤١٥ مِن نُبل القيم

اشترىٰ الشريف الرضي ﷺ كتباً بعشرة آلاف دينار .

ولما حمل الكتب الىٰ البيت أخذ يتصفّحها فوجد في حاشية واحد منها شِعْراً بخط صاحب الكتب .. يقول فيه لولا فقره وحاجته الىٰ المال لما اضطر الىٰ أن يبيع كتبه .

فأعاد الشريف الرضي الكتب كلها الىٰ صاحبها ولم يأخذ منه الدنانير التي اشترىٰ بها الكتب [1] . وعن علي ﷺ قال : «من جاد ساد» [2].

وهذا من نُبل القيم التي عبّر عنها المثل القائل : «اني لألقم اللقمة أخاً من اخواني فأجد طعمها في فمي» .

٤١٦ قلوبُهم غُلْف ...

لا تدري كم تزعجني الخلافات عندما تتقاطر فيها التهم والغيبة والطفيليات لتجري في مجالس الاسقاط والانانيات ، ثم تحفر لها قنوات في الناس لتميت فيهم الوحدة وتقتل الهمم، وتفتح في المآل سبيلاً للكافرين علىٰ المؤمنين . حقاً انها لعملية قذرة . والذي يزيد الألم ويحزّ في القلب حينما تعلم حقيقة الأمور وما وراء الزوبعات من جهل واغراض دنيوية دنيئة . والأمرُّ من ذلك اذا كان الاختلاف بين أطراف يدّعون الاسلام، والأتعس في كل هذا أن الاختلاف بين المسلمين لم يكن علىٰ أمر يستحقه ، فكل الخلافات علىٰ (قشرة بصل) والتاريخ والتجربة شاهدان عادلان !

فقبل مدة سمعتُ من مصدرين موثوقين ، ان معمّماً (أعرفه بالصلافة) قد أتّهم عالماً (اعرفه بالبراءة) بأنه وراء فتنة ظهرتْ في إحدىٰ البلاد الاسلامية العربية !

فلأني كنتُ اتابع فصول هذه الفتنة ، وأعرف ابعادها ، دفعتني المسؤولية الدينية الىٰ أن

---

١ ـ سفينة البحار / حرف الراء .
٢ ـ غرر الحكم / ج٥ ـ ص١٥٢ .

أمسك قلمي فوراً ، واسطّر الىٰ هذا المعمَّم (الصلف) ما أملاه قلبي المجروح .. فأنصحه بالتقوىٰ وبكل معاني الوحدة ، مذكّراً اياه بآلام الناس ، وآمالهم المذبوحة من القفىٰ .

ومما جاء في بعض السطور التي كتبتها له :

« من جوار مرقد الامام الرضا ﷺ أبعث اليكم تحياتي القلبية الوافرة ، داعياً الاله القدير ان يمنّ عليكم بدوام الموفقية وتمام العافية .

اما بعد : يسرّني ان اثمّن عطاءكم في خدمة الحالة الاسلامية علىٰ امتداد السنوات الماضية، وأرجو من اللّه تعالىٰ ان يزيد في توفيقاتكم للمزيد من الخدمة والتقدم والعطاء، لكي تحصد الاجيال القادمة افضل الثمار وأكثرها نفعاً ، ذلك لأن الاهداف الكبيرة في الحياة تتطلب النقلة من الجيد الىٰ الاجود باستمرار ، وإلاّ فإن الجمود علىٰ مكتسبات محدودة ليس الاّ عكوف علىٰ التخلف عن ركب الحياة المتقدم دوماً .

من هنا يجدر بخدّام الاسلام جميعاً ان يستثمروا المكتسبات ويجعلوها خصبة لمكتسبات أكبر . وليس الاختلاف والاعتداء علىٰ حرمة المنافسين الاّ تآكل للمكتسبات، وتعريض لها علىٰ رياح الفناء وإفساد لما تمّ من العطاء . ولقد نهانا اللّه تعالى عن ذلك قائلاً : ﴿ وأطيعوا اللّهَ و رسولَهُ ولا تَنازَعوا فتَفشَلوا وتَذهَب ريحُكم واصبِروا إنّ اللّهَ مع الصّابرين ﴾[1] ويقول أيضاً : ﴿ لاتَبخَسوا النّاسَ أشيائَهم ﴾[2] فالنزاع وإلغاء الآخرين عمل غير جائز ، وهو بالاضافة الىٰ الوقوع في المحرّمات كالغيبة والتهمة وسوء الظن فانه يستلزم دعوة المنافس الىٰ الردّ بالمثل وهذا هو الاستنزاف الداخلي الذي ينهك الاسلاميين قواهم ، وينخر في جسم الحالة الاسلامية والتي ضحىٰ لأجلها الجميع بجهودهم وأموالهم وأوقاتهم ودموعهم ودمائهم وآهاتهم... ثم لا يكون المستفيد الاّ العدوّ المشترك وطواغيت الارض .

ان القيادة الناجحة هي التي يسع صدرها لمنافسها الذي هو من ذات الطريق .. والساحة الاسلامية تبحث عن رجال يتجاوزون الأطر الضيقة بتحمّل غيرهم من المنافسين .

انني ادعوكم الىٰ هذه الروح الرياضية الكبيرة ، والاّ فانتم بغيرها سوف تثبتون من أنتم!

وانا لستُ إلاّ واحداً من أقلّ خدّام الدين ، ورسالتي هي الاصلاح بين المؤمنين ، وشعاري هو : ﴿ ذَكِّر فإنّ الذِكرىٰ تَنفَع المؤمنين ﴾

واني أرجو ان تكونوا من هؤلاء المؤمنين ، وبعد ذلك اعذروني علىٰ هذا التجرّي ، والعذر عند كرام القوم مقبول ... » .

---

١ ـ سورة الانفال / ٤٦ . ٢ ـ سورة الاعراف / ٨٥ .

طويت الرسالة التي كانت من صفحتين طويلتين ، ولما أردتُ ارسالها اليه ، ترددت خشية ان يحملها محمل سوء ، فأكون قد زدتُ في الطين بلّة ...

فقررتُ ان استخير اللّه تعالىٰ بكتابه الحكيم القرآن الكريم ، فبعد قراءتي لبعض السور القصار والدعاء المأثور، فتحتُ القرآن فانتصبتْ أمامي الآية الشريفة : ﴿قلوبُهم غُلْف ..﴾ !!

علمتُ ان رسالتي حكمة في غير محلها ، والبذرة الصالحة تُودع في قلب ارض خصبة صالحة ، لتثمر الصلح والاصلاح والمصالحة وكلّ مشتقات هذه الكلمة الطيبة . ولكن لكي لا أرمي رسالتي في سلّة المهملات ، اقتطفتُ لك بعضها وأمَلي ان لا يكون قلبك مغلّف بالكبر والصلافة ، كقلب الذي تمنيت له الهداية .

٤١٧ الىٰ الخطباء والموجِّهين

الشيخ محمدعلي الخراساني



الشيخ عبدالحسين الخراساني

كان يعتقد الشيخ محمد علي الخراساني ﷺ ان الخطيب الحسيني لكي تكون خطابته مؤثرة في القلوب وتترك اثراً علىٰ سلوك المستمعين .. لابد له أن يُسْبِقَ كلامه بالعمل . حتىٰ فى إبكاء الناس ، يجب ان يُبكي نفسه ويبكي علىٰ ما مضىٰ من عمره، ويقول مناجياً في تهجده آناء الليل واطراف النهار : « في المعاصي قد بلىٰ عمري ، وانحنىٰ ظهري من حمل المعاصي » ثم يبكي وهو يقرأ مصيبة سيد الشهداء الامام الحسين ﷺ .

وكثيراً ما كان ينقل الحديث الشريف الذي يقول : « ان اشد الناس عذاباً يوم القيامة ، من وصف عدلاً ثم خالفه الىٰ غيره».

يقول ابنه الواعظ الشيخ عبد الحسين الخراسانى (حفظه الباري) :

« لما كنت صغيراً ، كان يأخذني معه الىٰ المجالس الدينية ، يقرأ ويعظ من فوق المنبر حتىٰ يصل الىٰ المراثي الحسينية فيطلب مني ان اختم المجلس بقراءة ابيات عن مصائب أهل البيت.. فيناديني من علىٰ المِنبر : « اقرأ يا عبد الحسين » .

ومرة قال لي الوالد : « اياك والكذب من أجل ان تُبكي الناس » وكان يقول : « عِظْ نفسك ، ثم عِظِ الناس » و « لا تصعد المنبر لأجل المال » .

٤١٨ المرأة الشمطاء

نقل لي بعض العلماء الثقات ـ والكلام للواعظ التقي الشيخ عبد الحسين الخراساني ـ:
ان أحد كبار العلماء رأىٰ في المنام عجوزاً شمطاء ، كانت جالسة علىٰ مفرق طريق في السوق ، وهي مزيّنة بما تتزيّن به الفواحش ، فكلما مرّ هناك أحد ، دعتْه الىٰ نفسها ، فلم ينجو منها احد الاّ شخصاً واحداً ، كلما حاولتْ إغراؤه عجزتْ من استمالته الىٰ نفسها ، ذلك هو المرحوم الشيخ محمد علي الخراساني . فانه حين رأىٰ اصرارها ، خلع نعله من رجله ، وجعل يضربها به علىٰ رأسها .

وفي الاحاديث الشريفة لأهل البيت ﷺ تشبيه للدنيا بالمرأة الشمطاء التي تزيّن نفسها وتدعو أهل الهوىٰ .

ولما كان الشيخ الخراساني متأسياً بالامام علي ﷺ قد طلق الدنيا ثلاثاً لا رجعة له فيها.. أصبح صامداً أمام الاغراءات الدنيوية في حياته وكان تمثاله في الاذهان كذلك بعد مماته .

٤١٩ هكذا كان أبي

كان الواعظ المرحوم الشيخ محمد علي الخراساني .. قد امتزجت مواعظه بكيانه المعنوي ، فتجسمتْ في فعله وعمله ، بل حتىٰ في حاله في النوم .

يقول ابنه فضيلة الشيخ عبد الحسين واليوم جاوز عمره الشريف الستين عاماً : اتذكّر انني لما كنت صغيراً كان أبي نائماً يكلّم نفسه في النوم قائلاً : « ما هذه الدنيا الدنية، التي تعلّق بها قلبك » .

وكان يدخل المنزل وأنا كنت صغيراً اتلو القرآن الكريم صباح كلّ يوم علىٰ سطح المنزل، فيسمع صوتي ، يقول : « أكْرِموا عبد الحسين بجائزة »

وكان يمازحني ، ويمازح بعض مَن في البيت ببعض الكلمات اللطيفة . وما كان حُسْن خُلقه ومعاشرته الطيبة مع أفراد عائلته ومَن حوله الاّ انعكاساً صادقاً لقلبه الخاشع وروحه العالية وسلوكه المرن ونفسه المطمئنة .

٤٢٠ خُذوا مِن هذه العَقارِب والحيّات

يُذكَر من كرم الواعظ التقي الشيخ محمد علي الخراساني (طاب ثراه) انه الىٰ جانب زهده الذي كان الىٰ حدّ لم يملك لنفسه داراً حتىٰ آخر عمره .. كان يعطي مايحصله من المال لكلّ من يراه محتاجاً ، سواء من طلبة العلوم الدينية أو الناس العاديين . فكاناذا رأىٰ أحدهم في الطريق ، مدّ يده الىٰ جيبه وأخرج ما فيه من دون حساب ، فيضعه في أيديهم وهو يقول : « خذوا هذه العقارب والحيّات »

يشير الىٰ الدراهم والدنانير بأنها تتبدّل الىٰ عقارب وحيات في قبر صاحبها ان لم ينفقها في طاعة اللّه عزّ وجلّ ، وحصل مرات ان رأىٰ بعض الفقراء والضعفاء والسادة والعلويات يحتاجون الىٰ مساعدة ، وجيبه خالٍ من النقود ، فيقترض لهم ثم يصلي صلاة الاستيجار فيسدّدها من مال الصلاة .

٤٢١ لم يَأخُذ مِن بيت المال شيئاً

مرض الواعظ الشيخ محمد علي الخراساني ﵀ فصار طريح الفراش . وجاء لعيادته اثنان من مراجع ذلك الزمان ، وهما آية اللّه العظمىٰ السيد أبو الحسن الاصفهاني ، وآية اللّه العظمىٰ الميرزا النائيني ﵀ .

فلما أرادا الخروج ، وضعا تحت فراشه مقداراً من المال ... فعلم الشيخ بذلك ، ولما كان الميرزا النائيني يعلم ان الشيخ لا يأخذ من الحقوق الشرعية بادر قائلاً : « هذا من خالص مالي» ـ أي انه ليس من الحقوق الشرعية ـ وحينئذ قبل الشيخ هديّته ، والاّ كان يرد المال، لأنه كان يحترز من أخذ الأموال الشرعية من بيت مال المسلمين .

٤٢٢ زواج الدّنيا والأذنىٰ !

سمعتُ فضيلة الشيخ عبد الحسين الخراساني (حفظه اللّه تعالىٰ) يحدّث ان والده كان بعد عمر طويل يقول : لقد عمرتُ (١٢٠) سنة لكن لازلت لم اصبح آدمياً !

كناية ان الانسان مهماً تكامل فهو يحتاج الىٰ كمال ايضاً وباستمرار .

فلا يغتر شخص بنفسه ويأخذه العُجْب الىٰ الغرور والتكبّر علىٰ النـاس والتـعالي عـلىٰ الحق ، أو يتوقف عن اصلاح نفسه والاستزادة من العلم والبحث عن الافضل .

وينقل عنه ايضاً ، انه كان يقول في مواعظه للناس : ان لفظة (الدنيا) مؤنثة (أدنىٰ) ـ علىٰ وزن (فُضلىٰ) التي هي مؤنثة (أفضل) ـ ولا تتزوج (الدنيا) الاّ الانسان (الأدنىٰ)، فالذين يحبّون الدنيا هم الأدنون !

٤٢٣ حُبّ أهلِ البيت ، هو الشّرط

أرسلتْ السلطات الايرانية شخصيْن الىٰ النجف الأشرف للـقضاء عـلىٰ الواعـظ التـقي الشيخ محمد علي الخراساني ﷺ، لأنه كان يعارض علىٰ المنبر علناً الاوضاع السياسية فـي ايران آنذاك (ايام ثورة الدستور ـ قبل تسعين عاماً تقريباً ـ) . فبعد مضيّ مدة ، جاءا الىٰ الشيخ وقالا : « أعف عنا ، فإنا مقصّران مذنبان » .

فقال لهما : ما شأنكما ؟

قالا : إننا جئنا للقضاء عليك ، فكنا نتربص بك الدوائر ، وننتظرك في الزقاق ونـترصد الفرصة لقتلك ، وكانت تمنعنا موانع ، فننصرف حتىٰ فرصة أخـرىٰ ولكـنها لم تأت تـلك الفرصة قطّ ، حتىٰ شعرنا بأنّ شيئاً فوق رأسنا يتدخل في الأمر ، والآن جئنا اليك نـادميْن معتذريْن ، نسألك العفو ، لاننا نريد الرجوع الىٰ ايران .

فأجابهما الشيخ الخراساني :

« أعفو عنكما شريطة أن تواظبا في بقيّة عمركما علىٰ أن تموتا علىٰ محبة أهل البيت عليهم السلام فانّ اللّه لا يعذّبكما بولايتهم ، والا زاد اللّه في عذابكما » .

٤٢٤ هذا الشيخ يخافُهُ السيّد !

الشيخ الواعظ ، محمد علي الخراساني المرحوم ، الذي عاصر المرجع الكبير آيـة اللّـه العظمىٰ السيد محسن الحكيم ايضاً ، كان متشدّداً في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وكثير النصح للناس والموعظة للشباب ، فكان يمرّ بالسوق في النجف الاشرف شهر رمضان المبارك، وينهىٰ أرباب الدكاكين عن الإجهار بالافطار، أو إطعام المفطرين في الشهر العظيم.

فكان بعض من يفطر، اذا رأىٰ الشيخ مقبلاً، يخفي سيجارته وراء ظهره مثلا.. فيقال له : إنت لا تخاف من مرجع المسلمين آية اللّه العظمىٰ السيد الحكيم وتخاف من هذا الشيخ !

فيقول المفطر : هذا الشيخ يخافه السيد الحكيم نفسه !

٤٢٥ قنّينات البيبسي كولا

ذات مرة رأىٰ الشيخ محمد علي الخراساني ﷺ قنّينات (البيبسي كولا) وكانت في بداية انتشارها في النجف الاشرف ، فسأل ابنَه الشيخ محمد تقي الذي كان يرافقه : « ما هذه القنّينات » ؟

فبيّن له ابنَه : بأنها مشروبات تُشرَب اذا ثقلتْ المعدة من الغذاء ، حتىٰ يتحلّل الغذاء ويسهل الهضم !

فقال الشيخ : «العَجَب من هؤلاء الناس ، لماذا يأكلون هذا المقدار الثقيل من الطعام حتىٰ يحتاجوا الىٰ ما يهضمه ، فليأكلوا بمقدار لا يثقل علىٰ معدتهم » !

هذا وكان من اسباب طول عمره الذي جاوز المائة ، انه لم يأكل أكثر من قابليته واشتهاءه» ، وكان يقوم الليل في أوقات السحر للصلاة والعبادة . وكان ﷺ يكثر من أكل (العدس) لأنه يرقّ القلب ويهيّىء النفس للبكاء، وهو أكل الانبياء كما في بعض الروايات.

٤٢٦ كرامةٌ مِن حُسْن الضّيافة

سافر العالم العابد الشيخ المرحوم الحاج ميرزا أحمد الكافي اليزدي ، الىٰ زيارة مرقد الامام الرضا ؑ ، وهناك طلب منه بعض المؤمنين ان يقيم عندهم ، فبعد اصرارهم الشديد وافق علىٰ البقاء وبعد مدة أُصيب بألم في عينيه وانتهىٰ به الىٰ العمىٰ . فراجع الاطباء في مشهد ولكنه لم يحصل علىٰ علاج .

يقول الشيخ : فلما يئستُ من الاطباء ، قلت لنفسي : انني جئت الىٰ مشهد المقدّسة لمجاورة الامام الرضا ؑ ، كما جاور أخي الحاج ميرزا حسن مرقد الامام عليّ ؑ في النجف الاشرف ثلاثين عاماً ، أفهل يصحّ أن أكون هنا فاقد العينين اعتمد العصا أو من يأخذ بيدي الىٰ حرم الرضا ؟

فذهبتُ الىٰ الحرم الرضوي الشريف وجلستُ مقابل الضريح وجهاً بوجه الامام الرضاؑ.. متضرّعاً الىٰ اللّه تعالىٰ ، وانا أقول للامام الولي : « سيدي جاءك (العميان) من بلادهم ، فرجعوا من حضرتك وهم يبصرون . وانا جئتك ببصري لأجاورك ، فأصبحت أعمىٰ، فهل هذا من حُسْن ضيافة الأولياء للغرباء يا مولاي ؟!

وهكذا بينما ابكى واتضرع واعاتب عرضتْ عليّ حالة غفوة ، فصرتُ كأني أرىٰ راكباً يقترب مني علىٰ ناقة، حتىٰ دنا مني وقال : تحرّك يا شيخ !

قلت : دعني أفصح عن ألمي وأملي .

قال : تقصد ألم عينيك ؟

قلت : نعم .

فقال : خذ هذه العصابة وامسح بما فيها عليهما .

فأخذتها وأخرجتُ ما فيها ، ومسحت به علىٰ عينيّ ، فانفتحتا وعاد اليهما النور .

هذا ولم يعد الىٰ الشيخ ألم العين حتىٰ آخر عمره الذي قضاه في سبيل اللّه وخدمة الاسلام ، حيث انتقل الىٰ رحمة اللّه تعالىٰ ليلة الاثنين من منتصف شهر رجب سنة (١٣٨٩) الهجرية المصادف لوفاة السيدة زينب بنت عليّ عليهما السلام .

وقيل انه وفي اللحظة الاخيرة عند الاحتضار قال ثلاثاً: السلام عليك يا أبا عبد اللّه[١].

٤٢٧ وَجْهٌ علىٰ الأولياء غيرُ خفيّ

كان المرحوم الشيخ زين العابدين السلماسي من خواص اصحاب العلاّمة الكبير آية اللّه العظمىٰ السيد مهدي بحر العلوم ـ المتوفىٰ سنة ١٢١٢ هـ ـ ؒ .

يقول : رافقتُ السيد الىٰ حرم الامام أمير المؤمنين ؑ ، فرأيته بعد أن قرأ اذن الدخول الىٰ الحرم المطهّر بأدب وخشوع ، استند الىٰ عتبة الباب وهو حادق بنظره الىٰ زاوية ودموعه تجري ويترنّم شعراً بصوت خافت !

فاقتربتُ منه لأسمع ماذا يقول ، فسمعته يقرأ شعراً فارسياً هذا معناه :

« كم هو لذيذٌ الاستماع الىٰ صوتك في تلاوة القرآن ، صوتك الأخّاذ والجذّاب يامولاي ،

---

١ ـ نفس المصدر/ ج ٧ ص ١٥٨ .

وان النظر اليك يا سيّدي كالإصغاء الى كلام اللّه تعالى » .

وقف دقائق هكذا ثم عاد الى المنزل ولم يدخل الحرم ، فسألته :

« سيدي .. ماذا كان هناك ، اذ لم تدخل الحرم ؟ » .

فقال السيد بحر العلوم : « رأيت مولاي صاحب الزمان (عجل اللّه فرجه) داخل الحرم المطهّر مشغولاً بتلاوة القرآن الكريم » .

ويُنقَل عن العالم الربّاني الملا حسين علي الهمداني ، العارف المربّي ، الذي عاش بداية القرن الثالث عشر الهجري ، انه كان يقول : ان من خصائص حرم الامام علي‌عليه‌السلام اذا انتبه العرفاء المؤمنون لانفسهم ترتفع الحجب عن أبصارهم ، فينظرون بعين الملكوت ، ويشاهدون حقيقة الاشياء والاشخاص تحت القبّة الشريفة [1] .

٤٢٨ الوحدةُ نِداء كلّ ضمير



(مومباسا) مدينة كبيرة تأتي بعد (نايروبي) عاصمة (كينيا) الواقعة في جنوب شرقي القارة الافرقية ، سافرت اليها سنة (١٩٨٣ م) في شهر رمضان المبارك للتبليغ الديني ، فالتقيت بعلماء من اخوتنا السنة وشخصيات أخرى ناشطة . ودعاني احدهم بعد صلاة العصر الى إلقاء كلمة في المسجد الذي كان إماماً فيه اما الموضوع الذي اخترته للالقاء ، فهو عن أهمية الوحدة بين المسلمين ، لأنها الرسالة التي كتبها شعوري حرفاً بعد حرف منذ عام (١٩٧٦ م) حيث اعتبرته مبدأ انشطتي الثقافية والاجتماعية الدينية ، وقد سلكتها بالحرص على التوحيد والنصح واللقاء والحوار والدعوة الى السلم والإخاء على كلّ الاصعدة .

فالوحدة بين العاملين الاسلاميين بكل تعدّدياتهم كانت همّي القديم ولا زلتُ أحمله وسوف لن أحيد عنه بعون اللّه تعالى ، رغم قناعتي بالافضل واحتفاظي بآرائي حول الجهات الفاعلة في المجتمع ، وهذا أمر طبيعي ومن حقّ كلّ انسان حرّ ، شريطة ان تكون قناعته

---

١ ـ نفس المصدر / ج ٧ ـ ص ٢٣٥ .

بالافضل غير نافية لمكانة الآخرين وتعدّياً على قناعتهم .

وقفت خلف المنصة ، وكان جموع المصلين من اخوتنا السنة الكينيين يستمعون لحديث الوحدة وقد نال الموضوع إعجابهم التام ، لأن الوحدة نداء ضمير كلّ مسلم ومسلمة .. إنما الطريق اليها مُغْبَرّ !

وبعد أن ختمتُ الكلمة بدعاء الوحدة نزلت من المنصة وجاء الاخوة يصافحونني مودّعين وشاكرين ، ولما ذهب الجميع وبقيتُ مع عالمهم الجليل واثنين من الاصدقاء أحدهما هو سماحة الاخ الكريم الشيخ عبد الرحمٰن (من أصدقائنا الخليجيين) جلس عندنا اثنان من الشباب وطرحا السؤال التالي باحترام وأدب : « كيف نتوحّد معكم ، في الوقت الذي نحن نصلي كذا وأنتم تصلون كذا ، نحن نتوضأ كذا ، وأنتم تتوضؤون كذا ، نحن نسجد على أي شيء طاهر ، وانتم تسجدون على تربة خاصة » ؟

قلت : ونحن نتناقش حول هذا الموضوع تحت هذا السقف ، لنفترض فجأة اهتزّت جدران المسجد وزلزلت الارض من تحتنا وأخذ السقف يوشك ان يسقط على رأسي (انا المسلم الشيعي) ورأسك (انت المسلم السنّي) ، ماذا تتصرّف قبل كل شيء ؟

هل نواصل النقاش أم ننقذ أنفسنا والآخرين من الحادث ، ثم في عملية الانقاذ نتناسى جميع الخلافات ونجمّد كل الأسئلة ؟

قال : نترك النقاش ونتعاون للانقاذ .

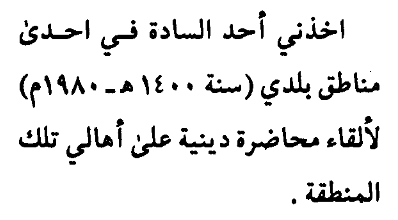
قلت : هذا هو المطلوب من الوحدة بين السنة والشيعة ، فاننا جميعاً ندين بدين الاسلام ونشهد ان لا اله الاّ اللّه وحده لا شريك له ، وان محمداً عبده ورسوله ، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كلّه ولو كره الكافرون ولو كره المشركون . نؤمن بقرآن واحد وكعبة واحدة وقبلة واحدة ومئات المشتركات الأخرى . هذه الامة الواحدة بكل مفترقاتها الجانبية معرّضة اليوم لخطر الابادة .. فعلينا ان نتعاون على البر والتقوى من أجل الانقاذ .

باللّه عليكم قولوا بلسان الضمير والفطرة ، اذا كنا نتنازع تحت جبل ، وصخرة كبيرة تتدحرج باتجاهنا من الأعلى ، ألسنا نترك النزاع ونفرّ من خطر الموت ؟ واذا نجا بعض وجُرح بعض آخر ، أليس الناجي يقوم بإسعاف المجروح ولو بدافع انساني كحدّ أدنى ؟ فكيف اذا كان اجتمع معه دافع الاسلام ايضاً ؟ !

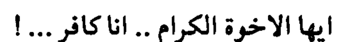
أيها الاخوة .. ان الصليبية الحاقدة والصهيونية العالمية رغم اختلافاتهما قد اجتمعتا على

إبادة المسلمين من دون فرق بين سنة وشيعة ، فإنّ من الحكمة والعقل والانسانية والاسلام ان نترك النزاع المدمِّر ، لنوحِّد الجهود في مواجهة خطر الابادة .. وليس الانشغال بالقيل والقال الا سقوط في فخّ أعدّته للمسلمين تلك الايادي الخفيّة العاملة لصالح الصليبية والصهيونية في بلاد الاسلام ، ألا تكفينا المآسي الماضية والحاضرة ، فلِمَ لانعتبر؟

٤٢٩ أنـا كـافِـــر .. !



المؤلف في البحرين



اخذني أحد السادة في احدىٰ مناطق بلدي (سنة ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠م) لألقاء محاضرة دينية علىٰ أهالي تلك المنطقة .

فبعد حمد اللّه والثناء عليه ، والصلاة والسلام علىٰ سيدنا محمد وآله الطيبين الطاهرين.. قلتُ : السلام عليكم ورحمة اللّه وبركاته .

ايها الاخوة الكرام .. انا كافر ... !

فأخذ الحاضرون يراجعون أنفسهم ، هل سمعوا كلمة غير متوقّعة ؟!

فأعدتُ الكلمة نفسها وملأ فمي : انا كافر !!!

فتأكدوا انهم سمعوها كما هي ، ولكنهم أخذوا ينظرون الىٰ بعضهم مستغربين ! ويتسائلون مع انفسهم ما القصة ؟! شيخ يقول أنا كافر ! عجيب !

فلم أتركهم في الحيرة إلاّ لحظات ، حتىٰ تلوتُ عليهم الآية الكريمة :

﴿ فمَن يَكْفُر بالطّاغوت ويُؤْمِن باللّهِ فقد استمسك بالعُروة الوُثقىٰ لا انفِصام لها واللّهُ سميعٌ عليم ﴾[1]

نعم .. أنا كافر بالطاغوت ومؤمن باللّه ، فهل أنتم ترغبون في هذا النوع من الكفر .. اذن تعالوا نتمسّك بالعروة الوثقىٰ ونتوحّد في الكفر بالطاغوت والايمان باللّه السميع العليم.

وهكذا استبشر الحاضرون بضحكهم اللّطيف ، لأنهم اكتشفوا معنًى جديداً للكفر !

---

١ ـ سورة البقرة / ٢٥٦ .

٤٣٠ مع الصالحين في كل الحالات

لقد كانت الركيزة المهمة لدىٰ أُسرة الشيرازي الكريمة والسمة البارزة في حياتهم: اعتقادهم الاصيل واخلاصهم الكبير لأهل البيت عليهم السلام وهم المعصومون الأربعة عشر وكأنهم كانوا يرون انفسهم الفرع المتواضع، لتلك الشجرة الرفيعة والدوحة الهاشمية المنيعة. وكيف لا وهم عليهم السلام حجج اللّه علىٰ خلقه، وخلفاؤه في أرضه، وبهم يمسك السماء ان تقع علىٰ الأرض الاّ بإذنه، وبهم يُنزّل الغيث ويُنفّس الهم، ويُكشَف الضر.

يقال اتفق ان مرّت كربلاء المقدسة بظروف قاسية، حيث اكتسحها وباء الطاعون، وأخذ من كل بيت فداءاً، ومن كل دار حصة، ولم يترك بيتاً الا وقد دخله. حتىٰ انه أودىٰ بحياة السيدة زوجة الميرزا محمد رضا نجل الامام القائد الميرزا محمد تقي الشيرازي شقيقة آية اللّه العظمىٰ السيد ميرزا مهدي الشيرازي، لكن البيت الوحيد الذي تخطاه الوباء ولم يدخله كان هو بيت آية اللّه العظمىٰ السيد ميرزا مهدي الشيرازي، وذلك علىٰ أثر دعاء والدته المكرّمة وتوسلها بالخمسة الطيبة من اصحاب الكساء عليهم السلام باستمرار، وذكر مصائبهم ومناقبهم كل يوم، ومداومتها علىٰ دعاء التوسل المعروف.

ومما يذكر أن شخصاً موثوقاً كان قد رأىٰ في تلك الايام رؤيا صادقة، انه قد خرج من كربلاء المقدسة، واذا به يرىٰ علىٰ مشارف كربلاء تمثالاً مخيفاً قد فتح فاه وكشّر عن انيابه يطلب صيداً كالسبع الضاري واذا بهاتف يقول:

هذا هو وباء الطاعون وقد هاجم كل دار في كربلاء واقتنص منها فريسة، سوىٰ دار السيد ميرزا مهدي الشيرازي، فانه لا يجرأ علىٰ دخولها، وذلك لمواظبة أهلها علىٰ التوسل باصحاب الكساء عليهم السلام، واقامة التعزية والمراثي عليهم، ومداومتهم علىٰ الدعاء المعروف بدعاء التوسل.

ولا عجب فانهم عليهم السلام، كما في زيارة الجامعة الكبيرة، المأمن والملجأ لكل مستجير: «فاز من تمسك بكم، وأمن من لجأ اليكم ...»[1].

---

١ ـ الامام القائد الشيخ محمد تقي الشيرازي / ص٤٣.

٤٣١ عالِمٌ بين زوجة و زوجة

نقل لي فضيلة الشيخ أحمد آل عصفور (حفظه اللّه) : كنا ندرس كتاب اللمعة عند المرحوم الشيخ عباس المظفر النجفي ، وكان من كرم اخلاقه يزوّدنا بالتعاليم النافعة قبل البدء في الدرس .

قال لنا ذات يوم : كانت لي زوجة سابقة ، أكنّ لها من المودّة والتقدير فوق ما للزوجة من مودّة . والسبب هو اخلاقها الحميدة .. اذ كانت تجلس مبكرة ، تؤدّي صلاتها في أول الوقت، ثم تأتي بتعقيبات الصلاة ، من أدعية وتلاوة للقرآن الكريم ، ثم تقوم الىٰ مجلس الضيافة (المعروف عند النجفيين بالبرّاني) ، فتكنس الفرش ، وتحضر الكتب الدراسية للطلاب الذين يأتون عندي في الصباح ، ثم تفتح الباب الخارجي لقدومهم ، فاذا قلتُ لها : ان هذا العمل الذي تقومين به، خارج عن واجبك كزوجة ، فلاتتعبي نفسك كثيراً ياعزيزتي.

تقول لي : أريد أن اسجّل نفسي في عداد الذين يشاركون أهل العلم وأنا من خدّام مذهب أهل البيت عليهم السلام .

انها كانت امرأة في غاية التديّن والاخلاق ، لقد ماتتْ ومات معها سروري ونشاطي . لأنني ابتليتُ بعدها بامرأة عكسها تماماً .. فهي تطرد الطلبة الذين يأتون اليَّ وتقول انها لاتتحمل صوت المحاورات العلمية !

٤٣٢ بحثاً عن الأصْوَب

قال المرحوم الآخوند ملاّ علي الهمداني :

كنا جالسين في محضر العالم الجليل الحاج الشيخ أبي القاسم ميرزا القمي رحمه الله ، اذ دخل علينا المرجع الكبير آية اللّه العظمىٰ الشيخ عبد الكريم الحائري رحمه الله ، فلما استقر في مجلسه، عرض مسألةً علىٰ الميرزا القمي ، وقال : ما رأيك في جوابها ؟

فلما أجابه الميرزا وتأمل الحائري في الجواب قليلاً نادىٰ خادمه فوراً وهو يقول : لقد جاءني هذا السؤال من مدينة (أراك) ، وأنا كتبت جوابي ، ولكني أرىٰ أن جواب سماحة

الميرزا القمي أصوب من جوابي ، أسْرِعْ وخذ جوابي وأرسل اليهم جواب الميرزا [١] .

نعم .. ليس عيباً اذا أخطأ غير المعصوم ، ولكن العيب ان يصرّ عليه اذا اكتشف خطأه، أو احجم عن الذهاب وراء اكتشاف الصحيح والأصح . وما أحوجنا الىٰ مراجع تقليد يلتقون ببعضهم بحثاً عن الأصوب الذي ينقذ الناس من الحيرة والخطأ .

٤٣٣ إصرارٌ علىٰ الحوار

كان الحاج كريم خادماً في صحن حرم الامام الحسين عليه السلام في كربلاء المقدّسة، يقول:

لما كنت في سنّ العشرين خادماً في الحرم الشريف أتذكر ذات ليلة قد أعلن المسؤول: ان ابواب الحرم ستغلق بعد قليل ، فالرجاء من الزّوار مغادرة الحرم الحسيني .

في هذا الاثناء رأيت آية الله البهبهاني والعلامة الشيخ يوسف البحراني المعروف عنهما الاختلاف حول بعض الآراء يتحاوران في موضوع علمي ساخن ، فلما سمعا النداء خرجا الىٰ الصحن وهما مستمران في الحوار .

وبعد دقائق سمعت المسؤول ينادي أيضاً : إن ابواب الصحن الشريف ستغلق ايضاً ، فالرجاء من الزّوار ان يخرجوا .

وانا كنت أراقب العالميْن الجليليْن السيد البهبهاني والشيخ البحراني إذ مشيا حتىٰ وقفا خلف باب القبلة من الصحن الشريف جهة الخارج وهما مستمران في حوارهما الساخن بكل هدوء واحترام أحدهما الآخر .

ذهبتُ الىٰ البيت حيث كان الوقت منتصف الليل ، نمتُ قليلاً ثم رجعتُ قرب الصبح لافتح باب الصحن ، فوجدتُهما لازالا واقفين يتباحثان ، ولقد انبهرت بهما وتعجّبتُ من قدرتهما علىٰ هذا البحث والحوار الطويل .

ثم عند الفجر .. توادعا وافترقا ، فذهب الشيخ يوسف البحراني ليؤمّ صلاة جماعته ، حيث كان ملتزماً بها كل صباح ، وذهب السيد البهبهاني يفترش عباءته علىٰ الارض فصلّىٰ ثم ذهب الىٰ بيته [٢] .

أقول ولا أدري لماذا الاختلاف في وجهات النظر لدىٰ بعض المعاصرين ملازمٌ للقطيعة

---

١ ـ كتاب بالفارسيّة (مردان علم در ميدن عمل) / ص ١٧٧ .

٢ ـ قصص العلماء / ص ٤٠٦ .

والكراهية ، أليست هذه من الأمراض النفسية والاخلاقية التي لا تجدر بهم ان كانوا دعاة للاخلاق ، وان لم يكونوا فلا يدّعوها ، ولقد كبُر مقتاً عند اللّه أن يقولوا ما لايفعلوا !

٤٣٤ سلطانُ الدّين أم سلطانُ الدّنيا ؟

قال لي حجة الاسلام والمسلمين السيد عبد الحميد الاصفهاني ، حفيد المرجع المرحوم آية اللّه السيد أبي الحسن الاصفهاني ، نقلاً عن المرحوم الشيخ محمد حسن زين العابدين، عن السيد باقر بلاط .. وزير تشريفات البلاط الملكي في العراق ايام الملك فيصل الثاني ، وهو من المسلمين الشيعة :

لما ورد الملك عبد اللّه (ملك الاردن) ضيفاً علىٰ الملك فيصل في بغداد ، رتّبتُ له زيارة الىٰ حرم الامام علي بن أبي طالب عليه السلام وكان من العادة أن يتم لقاء الضيوف والوفود مع مراجع الدين في الحرم الشريف ايضاً ، المرجع الاعلىٰ في ذلك الوقت هو السيد أبو الحسن الاصفهاني الذي كان متصدياً لرئاسة العالم الشيعي ، بينما آية اللّه العظمىٰ الشيخ النائيني كان متصدياً للجانب العلمي والدراسي في حوزة النجف الاشرف .

خرجتُ مع الملك عبد اللّه في سيارة التشريفات الخاصة ، ومعنا الحرس وأعضاء الوفد المرافق .. وكان الموكب مهيباً للغاية ، وكان الملك من شدة تبختره لم يسعه ثوبه الملكي المزيّن بالجواهر والنياط ، كان يتكلم بتكبّر ، ولا يرىٰ قيمة لأحد من الجالسين حوله .

فقلتُ في نفسي .. كيف سيكون لقاء مثل هذا الانسان مع مرجع المسلمين الشيعة ، اخشىٰ ان يحصل مالا يسرّني ، فتوسلت بكل قلبي الىٰ الامام عليّ عليه السلام ان يريه عظمة المرجعية عندنا. فكنت أحاول في الطريق أن أمهّد لهذا اللقاء بالكلام حول شخصية السيد أبي الحسن الاصفهاني ومكانته العلمية والدينية في العالم الاسلامي وانقياد المسلمين الشيعة الىٰ أوامره ، وانه رئيس النجف مدينة العلم والعلماء ومركز الاشعاع الديني .

فقال لي الملك وهو لم يُعر بالاً لكلامي : « انت شيعي ، والشيعة يغالون في مدح علمائهم».

قلتُ : من أين لك هذا الانطباع الخاطىء عن الشيعة ؟

قال : انا صديق للدولة العظمىٰ (الانجليز) ، وقد أخبروني عنكم كثيراً !

يضيف الوزير السيد باقر بلاط : أخذ الملك عبد اللّه يتكلم باستهزاء ، وفي نفس الوقت

يذكر حكومة بريطانيا بإحترام وعظمة ، حتىٰ وجدته يشعر بالحقارة أمام الانجليز، فاستغربتُ لهذا الملك الفاقد لعزته أمام المشركين والمتعزّز هكذا علىٰ المسلمين!

وبينما يقترب موكبنا الىٰ النجف الاشرف زاد خوفي من اللقاء بينه وبين السيد الاصفهاني، سيما ان السيد لم تكن عربيته فصيحة واما الشيخ النائيني فسمعه كان ثقيلاً يصعب عليه الاستماع ، والملك لا يرفع صوته بالتأكيد !

كنتُ متحيّراً ماذا سيحدث بعد قليل ؟

فوّضت أمري الىٰ اللّه ، وخاطبتُ الامام عليّ عليه السلام في قلبي ، ان يحفظ ماء وجهي ويحافظ علىٰ عزّتنا أمام هذا الملك المتبختر .

ومن أجل احترام طرفي اللقاء كانت طريقة دخولهما تتم عبر بابين منفصلين ينفتحان علىٰ الضريح الشريف من جهتين متقابلتين ، فيلتقي الطرفان عند الضريح في وقت واحد .

وأخيراً التقىٰ الطرفان ، بل التقىٰ المتباينان ، اذ كانت هيئة المرجع الديني الكبير السيد أبي الحسن الاصفهاني هيئة الزّهاد ، وهيئة الملك المتكبّر هيئة الساخرين !

فبعد العناق والتحيات وكلمات جانبية وجّه السيد المرجع السؤال التالي الىٰ الملك : من اين تؤمَّن الموارد المالية للأردن ؟

كان السؤال بالنسبة الىٰ الملك محرجاً، وغير متوقع ! فأجابه الملك عبد اللّه : نحن دول صغيرة ، لابد لتأمين وضعنا سياسياً واقتصادياً ان نعتمد علىٰ الدول العظمىٰ ! ولقد تكلّفتْ بريطانيا بتزويدنا المياه الصالحة للشرب وتأسيس محطة كهرباء ، ونحن لها من الشاكرين الاوفياء !

واستمر الملك يمجّد الانجليز ، وانهم عقول مفتّحة ومتطوّرة . فردّ عليه السيد أبو الحسن الاصفهاني رحمه الله :

أليس من المؤسف ان نمدّ نحن المسلمون ايدينا الىٰ المشركين . في اعتقادنا أن هذه ذلة واهانة ، انني مستعد ان امدّكم بالمال قدر ما تختاجون لتعتمدوا علىٰ أنفسكم وتستغنوا عن الدعم البريطاني المشروط بالتبعية السياسية والثقافية .

بهذا الكلام أضحىٰ الملك صغيراً بين يدي السيد ، فانكمش واعتدل في مجلسه بعد تلك الغطرسة والتكبّر ، اذ وجد نفسه أمام رجل ذي يد بيضاء لمصالح المسلمين وذي وعي سياسي لايستهان ، ينظر الىٰ أفق بعيد .

ثم انتهى اللقاء بتوديع الملك ودعاء السيد الاصفهاني لعزة الاسلام والمسلمين ، وشكرتُ اللّه تعالىٰ بهذا الموقف المشرِّف لمرجعنا العظيم . وفي طريق العودة الىٰ بغداد، قال لي الملك عبد اللّه ، وكان غارقاً في التفكير : «يا سيد باقر .. كلّ ما ذكرتَه لي عن عظمة هذا السيد كان قليلاً . انّه في اعتقادي أعظم ممّا ذكرتَه» .

٤٣٥ ما رأيتُك إلاّ هذا اليوم

سمعتُ آية اللّه الحاج الشيخ حسين سيبويه (حفظه اللّه) يقول : جئت مع والدي المرحوم آية اللّه الشيخ محمد علي ، وهو من كبار علماء كربلاء المقدّسة ، الىٰ مدينة النجف الاشرف ، وذلك للمشاركة في تأبين المرجع الكبير آية اللّه العظمىٰ السيد عبد الهادي الشيرازي ﷺ سنة ١٣٨٢ الهجرية ، كنا جالسين في المقبرة عند باب الطوسي من حرم الامام علي ﷺ، وكان آية اللّه العظمىٰ السيد الخوئي ﷺ جالساً جنب والدي يتناقشان في أمر ، وطال النقاش بينهما فلما خرجنا من المقبرة سألت والدي : « حول ماذا كان نقاشكما » ؟

فقال والدي (طاب ثراه) : « كنا نتكلم حول التوسل وزيارة الائمة الطاهرين وان اثرها علىٰ حياتنا مشروط بمعرفة مقام الأئمة والتوجه اليهم حين الزيارة والتوسل . فنقل له السيد الخوئي : انه كان في النجف الاشرف أحد السادة الفقراء من طلبة العلوم الدينية مستأجراً داراً في منطقة (الحويش) من أحد ملاّكي (البو شربة) ، وكان عنيف التعامل مع السيد ، لايعرف التسامح حين يأتي رأس الشهر ، ولا يصبر عليه .

ذات مرة تخلّف هذا السيد الفقير عن دفع الايجار بعض اليوم ، فهدّده المالك بإخراجه من البيت، وبعد مشادات عنيفة معه ، أمهله يوماً واحداً فقط .

وكان السيد كأكثر الطلبة يزور الحرم كلّ يوم ويصلي هناك ، ويدعو اللّه تعالىٰ ، ولكن لم يكن دعاؤه بحرقة قلب وتوجه تام والحاح علىٰ الاستجابة . اما هذه المرة حيث المشكلة كانت خانقة والمهلة قليلة ، جاء الىٰ الحرم الشريف لائذاً بضريح الامام عليّ أمير المؤمنين ﷺ باكياً متضرعاً الىٰ اللّه تعالىٰ ، ملحّاً علىٰ الامام ليحلّ مشكلته ويفرّج عن همّه. ثم رجع الىٰ البيت ، ونام ، فرأىٰ في منامه الامام عليّ ﷺ. يخاطبه : لماذا هكذا انت قلقٌ ؟ فشرح السيد الفقير وضعه المعيشي للامام ﷺ ، فواعده الامام بأن الخير واصل اليه قريباً .

إلا أن السيد سأل من الامام : ألم تكن تسمع ندائي كلّ يوم بعد صلاة الظهر طوال هذه

المدة، أما كنتُ استحق استجابة الدعاء من اللّه تعالىٰ ؟ !

اجابه الامام : « إني ما رأيتك الاّ هذا اليوم »

فاستيقظ السيد من نومه ، وعلم ان الالحاح في الدعاء هو الذي جلب الاستجابة ، وان الدعاء من دون الحاح وحرقة قلب لا يؤثر ، وهذا هو التوسل الحقيقي بالائمة عليهم السلام.

يقول السيد الفقير ، وانا جالس اعبّر رؤياي وأتأمل فيما رأيت واذا بالباب يُطرق .. وكانت ساعة بعد يقظتي ، فتحتُ الباب فوجدت أمامي سماحة آية اللّه العظمىٰ السيد أبو الحسن الاصفهاني رحمه الله سلّم عليّ وناولني مالاً وهو يقول : هذا ثمن إيجار منزلك !

وكان هذا في الوقت الذي لم يكلّم الرجل السيد الاصفهاني عن مشكلته قط ، ممّا يكشف وجود علاقة غيبية بين الامام المعصوم ونائبه الفقيه العارف باللّه تعالىٰ ايضاً .

٤٣٦ ثلاثٌ مِن رذائل الأخلاق

نقل لي سماحة السيد عبد الحميد الاصفهاني حفيد المرحوم آية اللّه العظمى السيد أبي الحسن الاصفهاني المتوفىٰ سنة ١٣٦٥ من الهجرة : ان آية اللّه الشيخ عبد النبي العراقي رحمه الله نقل للمرحوم آية اللّه حجّت رحمه الله انه لما كنتُ في النجف الأشرف لم أكن أميل الىٰ السيد الاصفهاني وذلك تأثراً بالكلام الذي كان ينشره عليه مخالفوه . وكنتُ في ذات الوقت أرىٰ نفسي أعلم منه ومن غيره ، فلمّا كانت تعترضني معضلة علمية ولم استطع حلّها كنتُ أستنكف من الاستعانة بأحد والسؤال منه، حتىٰ اجتمعت لديّ عشرة أسئلة من أعقد المسائل العلمية في الفقه والاصول فلم استوعب حلّها .

وسمعتُ يوماً ان رجلاً من المروّضين الهنود قَدِمَ الىٰ النجف ، فسألتُ عنه حتىٰ التقيه لأطلب منه إنْ كان يتمكن من إعطائي طريقة للقاء برجل صعب اللقاء ، وكنتُ أقصد اللقاء بالإمام الحجّة عليه السلام لأطرح عليه أسئلتي ولأختبر المروّض في نفس الوقت أيضاً .

فعلّمني المروّض شيئاً وقال اذهب الىٰ الصحراء وافعل كذا ، فانّ أول من يأتيك هو الذي تريده .

فانطلقتُ الىٰ صحراء قريبة من النجف وعملتُ بما قاله المروّض ، فوقعت عيني من بعيد علىٰ رجلٍ قادم نحوي فلما وصل إليّ رأيت عليه عمامة خضراء ، ساطع الوجه وكان قد تخيّل لي انّ كلّ خطوة يخطوها تساوي عدّة خطوات من خطواتنا نحن .

سلّم عليّ وقال ماذا تريد منّي ؟

قلتُ له من غير انتباه : أنا لا أريدك ، إذهب وشأنك !

قال : انك طلبتني أنا .

قلتُ : لستَ أنت المطلوب !

لم أكن في تلك اللحظات أعرف معنىٰ كلامي ، وكنتُ لا أتوقعه الإمام الحجّة ﷺ، فتركني ومشىٰ ، فجأة تذكرتُ كلام المروّض ان أوّل من يأتيك هو ذاك الذي تريده ، فنهضتُ بسرعة واخذت أركض خلفه واناديه : قف يا مولاي أنا أريدك أنت .

ولكنه لم ينظر اليّ ، فكما قلتُ ان خطوة منه كانت تساوي في تخيّلي خطوات مما نخطوه نحن ، لذلك كلّما كنتُ أركض خلفه لم أصل اليه حتىٰ بعُد عني ، وتعبتُ من اللحاق به فألقيتُ نفسي علىٰ الأرض ، وأنا انظر اليه من بُعْد مسافة فرأيته دخل كوخاً . وأنا بعد استراحة يسيرة نهضتُ من مكاني وأخذتُ أمشي علىٰ مهلي باتجاه الكوخ حتىٰ وصلتُ فطرقتُ الباب . جاء رجل غير ذلك الذي تأكدتُ انه الإمام ، سألته : إن رجلاً بهذه المواصفات رأيته دخل هنا ، هل يمكنني اللقاء به ؟

قال : انتظر حتىٰ استأذن عليه .

وقفتُ دقائق فعاد الرجل وقال ان سيّدي ومولاي قد أذن لك بالدخول .

دخلتُ وكان يشعّ نوراً ، فلمّا جلست بين يديه نسيتُ ما جئتُه من أجله اذ استولتْ عليّ هيبته ، ثم بعد دقائق معدودة من سكوتي قال لي الإمام : إنني مشغول ، فإن لم تكن عندك حاجة يمكنك الذهاب . فقمتُ مودّعاً ، وما أن وضعتُ رجليّ خارج الكوخ تذكرتُ أسئلتي فعدتُ طارقاً للباب ، فجاء الخادم قلتُ له استأذنْ لي علىٰ مولاي فإني تذكرتُ أسئلتي . ذهب ثم عاد وقال : تفضّل . دخلتُ ولكن من دون جدوىٰ ، فقد نسيتُ كلّ شيء ، وهذه المرّة قمتُ بنفسي فودّعته . وما أن خرجتُ من الكوخ تذكرتُ أسئلتي !

كنت في حالة غريبة جدّاً ، قرّرت هذه المرّة اسيطر علىٰ ذاكرتي فأدخل بسرعة واطرح الأسئلة قبل نسيانها . وهكذا طرقتُ الباب للمرّة الثالثة وانا أقول في نفسي كيف يمكن إضاعة هذه الفرصة الثمينة التي حصلَتْ عليها بعد سنوات من الانتظار وماذا يكون مصير أسئلتي ان لم أحصل من الإمام علىٰ إجابتها .

جاء الخادم : وقال : كم مرّة تدخل ، ماذا عندك ؟ ألا تعلم ان الإمام مشغول بشؤون الأمة .

قلت : معذرة اسمح لي بالدخول للمرّة الأخيرة ، فقد كنتُ أنسىٰ أسئلتي كلّما دخلتُ عليه (روحي فداه) .

قال : لقد خرج الإمام ،فإن تريد نائبه استأذن عليه .

قلت : حسناً .. إستأذن عليه .

عاد بعد قليل وقال تفضّل ، دخلتُ واذا هو بالمرجع الكبير السيد أبي الحسن الاصفهاني، جالس مكان الإمام الحجة عليه‌السلام.

فغرقتُ في بحر من العجب والاستغراب الممزوج بالخجل نظراً لموقفي من السيد . الاّ أن السيد الاصفهاني رحّب بي أشد الترحاب وسألني عن أحوالي وحاجتي .

فذكرت له قصتي وأسئلتي .

قال السيد : نعم ، الإمام روحي فداه كثير الاشتغال قليل الوقت وأما الاجابة علىٰ اسئلتك فإنك تجدها في كتاب فلان صفحة كذا وكتاب كذا صفحة كذا ...

لقد دلّني علىٰ المصادر التي يمكنني مراجعتها لتحصيل الاجابات . بعد ذلك قمتُ مودّعاً السيد الاصفهاني ، عائداً الىٰ النجف الأشرف وأنا مشتّت التفكير ، لا أدري أن الذي حصل لي ورأيته وسمعته أكان في يقظة أم في منام !؟

مضىٰ يوم علىٰ هذه القصة وجئتُ الىٰ لقاء السيد الاصفهاني في داره ولأول مرّة . فلمّا دخلتُ عليه قام السيد واحتضنني مبتسماً وكأنه يريد أن يقول لي ان الذي رأيته وسمعته كان حقيقة وليس حلماً .

من ذلك اليوم التزمتُ السيد الاصفهاني (طاب ثراه) واستغفرتُ اللّه لنفسي علىٰ مواقفي السابقة من سماحته ، وعلمتُ ان « العداء للمراجع » و « التأثر بالكلام الذي يشاع ضدّهم » و « التكبّر في تعلّم العلم والبحث عن الحقيقة » كلها من رذائل الاخلاق.

٤٣٧ أنت بنفسك كتابُ أخلاق

الشيخ مهدي النراقي ـ المتوفىٰ في سنة ١٢٠٩ هـ رحمه‌الله مؤلف كتاب (جامع السعادت) الرائع في شرح المفاهيم الاخلاقية المطبوع حديثاً في ثلاثة مجلدات ، كان مجسّداً للاخلاق الفاضلة قبل أن يسطّر في كتابه الحروف حولها ، هذا ما تقرأه في القصة التالية :

عندما الف كتابه (جامع السعادات) في علم الاخلاق وتزكية النفس بعث نسخة منه قبل طباعته الىٰ المرحوم آية اللّه العظمىٰ السيد مهدي بحر العلوم ، ذلك المثل الأعلىٰ في التقوىٰ المعروف بلقاءاته مع الامام الحجّة (عجل اللّه فرجه) ، ليستنير من ملاحظاته القيّمة حول

الكتاب . وبعد فترة من إرساله الكتاب انطلق الشيخ من بلدته في ايران متجهاً الىٰ النجف الاشرف للقاء بالسيد بحر العلوم وتقصّي آرائه حول الكتاب . فانتشر خبر مجيئه وجاء العلماء للقاء به والسلام عليه ماعدا السيد بحر العلوم !

مرّت ايام والشيخ بين مَن يدخل عليه ومَن يخرج مِن عنده ، حتىٰ قلّت لقاءاته ، فقام بنفسه لزيارة السيد بحر العلوم .. دخل عليه وسلّم وجلس متواضعاً ولكنه لم يحصل علىٰ ودّ السيد واحترامه وترحيبه كما هو المتوقَّع . جلس قليلاً ثم خرج ، وعاد بعد ايام ، كذلك لم يُعِرْ له بالاً ، وكأنه لا يعرفه أبداً .

وقرّر في المرة الثالثة ان يدخل علىٰ السيد بحر العلوم بشكل طبيعي تماماً من دون ان يفكر انه ضيف وان السيد ينبغي له أن يأتيه ، أو انه لماذا دخل علىٰ السيد مرّتين ولم يرحّب به كما هو المفترض اخلاقياً .

وهكذا جاء وطرق الشيخ الباب ، عرف السيد بأن الشيخ وراء الباب فقام بنفسه حافياً واحتضن الشيخ بحرارة وبالغ في احترامه له بكل ترحيب ومحبّة ، وبعد أن سأله عن حاله قال : « لقد ألّفتَ كتاباً حول الاخلاق وتزكية النفس ، وبعثتَ بنسخة منه اليّ ، وانا قرأته من أوله الىٰ آخره بدقة ، حقاً انه كتاب رائع في الاخلاق ونادر في تربية الذات ، واما السبب في انني ما جئتك ، ولما جئتني لم أُعِر لك أهمّية فلأجل ان اختبر مدىٰ التزامك بما كتبتَه في الاخلاق وضبط النفس والصبر والحلم وكظم الغيظ !

كنت اقصد من تصرّفي معك كيف تكبح هواك وتسيطر علىٰ غضبك ! هل انت مثل الذين يكتبون ما لايعملون ويقولون ما لا يفعلون ؟

ولكن ثَبت الآن انك لست منهم ، وقد نلتَ في الاخلاق وتزكية النفس درجة عالية ، فأنتَ بنفسكَ كتاب أخلاق ، تهدي الآخرين بأخلاقك ، وليس بكتابك فحسب »[1] .

٤٣٨ هذه أخلاقُنا مع أهلِ الكتاب

كان السيد مرتضىٰ عَلَمُ الهُدىٰ زعيم الشيعة وحوزاتها العلمية المتوفىٰ سنة (٤٣٦) الهجرية .. يمنح طلبة العلوم الدينية رواتب شهرية ، وفي سنة من السنوات عرض جفاف علىٰ الناس واصابهم القحط والفقر، فقام السيد بالإنفاق عليهم ايضاً ، وكان في الناس رجل من اليهود ، قد شمله القحط وضاقت يداه ، فاضطرّ الىٰ المجيء الىٰ السيد ، فقال انني مستعد

---

١ ـ كتاب بالفارسية (مردان علم در ميدان عمل) / ص ١٨٨ .

أن أدرّس الطلبة علم النجوم مقابل إعانتي ، الاّ ان السيد حيث لم ير حاجة الىٰ ذلك اقترح عليه ان يحضر دروس الشريعة الاسلامية مقابل ما يعطيه من مال . فوافق الرجل ، وأخذ يحضر الدروس ويصغي للافكار الاسلامية وتعاليم الدين ، واستمر فيها حتىٰ اهتدىٰ الىٰ الاسلام لما رأىٰ ذلك السلوك الانساني الرفيع وهذا الفكر السماوي الحكيم .[1]

وهكذا تصرّف النبي الاكرم ﷺ مع اليهود وأهل الكتاب حتىٰ اهتدىٰ الطيّبون منهم الىٰ الاسلام ، ودخلوه رغبة وقناعة وشوقاً .

٤٣٩ النّاسُ في رَجُل

السيد مرتضىٰ عَلَم الهدىٰ ؒ من أجلاّء علماء الاماميّة ، كانت له قرية تعود ملكيتها اليه شخصياً . فأوقف منافعها وعائداتها الىٰ مصرف شراء الورق لتأليف وطباعة كتب العلماء .

كان هذا الزعيم الشيعي الكبير في درجة من الكرم والعطاء بحيث يقصده كلّ محتاج وكلّ معوز من غير الشيعة وغير المسلمين أيضاً .

واما مجلسه فكان مفتوحاً للضيوف والواردين عليه باستمرار ، سُأل مرة أبو علاء المعرّي الشاعر العربي المشهور ، وهو عائد من العراق : كيف وجدت السيد مرتضىٰ ؟

فأنشد قائلاً :

يا سائلي عنه لمّا جئتَ تسألُهُ ... ألا هو الرجُل العاري مِن العارِ

لو جئتَه لرأيتَ الناسَ في رجُلٍ ... والدَّهرَ في ساعةٍ والارضَ في دارِ [2]

٤٤٠ نقاشٌ حُسِمَ بعد الموت



الشيخ المجلسي

قال المرحوم السيد نعمة اللّه الجزائري المتوفىٰ سنة (١١١٢ هـ) : لقد قُمت من أجل طلب العلم بأسفار كثيرة في بلاد الاسلام ، حتىٰ سمعتُ مرة أن علاّمة اسمه الشيخ المجلسي قد برز نجماً في اصفهان (مدينة في ايران) .

فشددتُ رحلي للسفر اليه والاستفادة من علمه . وبعد حضوري في حلقات درسه ، والاستنارة بضياء تقواه واخلاقه الفاضلة ، صرتُ من أقرب التلاميذ اليه وصار يعتبرني كواحد من عائلته ، فكنتُ أدخل بيته . ولقد وجدت معيشة

---

١ ـ فقهاي نامدار شيعة (ص ٦١) كتاب بالفارسية .

٢ ـ نفس المصدر / ص ٦٤ .

الشيخ المجلسي في سعة ورفاه جيّد ، وكان اهتمامه بحلال الدنيا وزينتها اهتماماً مشهوداً وهذا جعلني لا أرتاح كثيراً ، فكنت اتحيّن فرصة للنقاش معه حتىٰ فاتحته يوماً بما في قلبي ، ولٰكني وجدت نفسي قاصراً في اقناع الاستاذ ، لذلك ختمت كلامي معه قائلاً : « مولانا انت غوّاص بحر العلم ، وانا بالقياس اليك قطرة ، فإنْ لم تجد فائدة لهذا النقاش ، لنتعاهد علىٰ انه مَن مات منا قبل الآخر، يأتيه في المنام ويخبره أن الحقّ مع من كان »

بعد فترة من الزمان مرض العلامة المجلسي وانتقل الىٰ جوار اللّه تعالىٰ ، ولبس المسلمون ثوب العزاء لفقده الاليم ، وعطّلت الاسواق سبعة ايام ، وانشغل الناس بكل فئاتهم في مجالس الترحيم ، وانا نسيتُ عهدي مع العلاّمة حول الموضوع المذكور .

وبعد اليوم السابع من وفاته ذهبت الىٰ قبره ، فأخذتُ اتلو آيات من القرآن الكريم، وأهدي ثوابها الىٰ روحه الزكية ، ثم بكيتُ عليه ودعوت اللّه تعالىٰ ان يفتح عليه ابواب الخير في دار الآخرة ، وبينما انا كذلك غلبني النوم فرأيته خارجاً من قبره وعليه لباس جديد وجميل . تذكرتُ حالاً انه ميّتٌ ، فأخذتُ بإبهامه وقلتُ له : سيدي ، لقد حان وقت وفائك بالعهد الذي كان بيني وبينك . اخبرني كيف تلقيتَ الموت؟ وبعد الموت ماذا رأيت ؟ وهل الحقّ في الموضوع الذي ناقشناه كان معي أم معك؟

فأجابني المرحوم المجلسي قائلاً :

« لما مرضتُ ، وبلغ مرضي حدّاً يعجز عن تحمّله البشر ، طلبتُ من اللّه عز وجل ان يأخذني اليه ، وتلوت قوله تعالىٰ : « لا يكلّف اللّه نفساً الاّ وسعها »[1] .

الٰهي لا طاقة لي بهذه الآلام ، بلطفك أرحْني يا ربّ . فبينما كنت أناجيه تعالىٰ ، واذا برجل جليل الشأن دخل وجلس عند رجلَيّ ، وسأل عن حالي وصحتي . فشكوت إليه آلامي. فوضع كفّه علىٰ اصابع رجلَيّ ، وسألني هل سكنتْ آلامها ؟

قلت : نعم ، سكنتْ .

وكلما كان يمرّر كفّه بشكل تصاعدي ، كان يسألني عن حالي ، وانا أجيبه بأن الألم قد ذهب ، واني اشعر براحة .

وهكذا حتىٰ وصلتْ كفّاه الىٰ صدري ، فشعرتُ بذهاب آلامي كلها ، ولٰكني فجأة رأيت جسدي مطروحاً علىٰ الأرض وانا في زاوية انظر اليه !

ورأيت أهلي وعائلتي حول جسدي يضجّون بالبكاء والعويل ، وأنا أقول لهم اني شوفيتُ وليس بي أيّ ألم ، فلماذا تبكون ؟ ولكنهم لم يسمعوني قط .

---

١ ـ سورة البقرة / ٢٨٦ .

كنت أشاهد هذه الحالة ، حتىٰ جاء المؤمنون ، وحملوا نعشي علىٰ تابوت متّجهين صوب المغسل ، واما انا فقد كنتُ أتقدم المسيرة من فوق الجسد .

غسلوا جنازتي ، ثم صلّوا عليها ، ثم أخذوها الىٰ المقبرة ، وحفروا لها قبراً ، وانا متحيّر اتساءل مع نفسي : ماذا يريدون ان يتصرّفوا بهذه الجنازة ؟

وكنت أفكر في تلك اللحظات أنهم اذا ادخلوا الجنازة في تلك الحفرة ، سوف امتنع من الالتحاق بها ، ولكن لما وضعوها داخل الحفرة ، وجدتُ نفسي مشدوداً اليها من دون ارادة . فلما صرتُ معها في الحفرة ، رأيتهم قد سدّوها عليّ ، وما هي إلاّ لحظات إذ سمعتُ منادياً يقول لي : ياعبدي يا محمد باقر ، ماذا أعددتَ لهذا اليوم ؟

فعدّدتُ كلّ حسنة عملتُها في الحياة ، ولكنّهم رفضوا قبولها ، فتحيّرت في أمري ، ولامفرّ من تلك الحفرة ، هنا تذكرتُ وانا في هذه الوحشة والظلمة ، ان يوماً كنتُ امرّ في السوق الكبير باصفهان ، فرأيتُ جمعاً من الناس مجتمعين علىٰ رجل من المؤمنين ، يتهمونه بالانحراف عن الدين والعقيدة ويكيلونه الضرب والشتائم ، ويطالبونه بتسديد القروض التي كانت لهم عليه . وكلما كان يستمهلهم لم يمهلوه .

فاحترق له قلبي ، وقلت في نفسي ، الىٰ متىٰ اصبر علىٰ هؤلاء الجهلة ، فوقفت صارخاً في أولئك الجمع أقول : « ويل لكم ، تعالوا معي لأعطيكم كلّ ما تطلبونه من هذا الرجل » وحملتُ ذلك المسكين الىٰ البيت ، وأدّيتُ ديونه عنه ، واحسنت اليه بكل احترام .

لقد تذكرت هذا العمل الانساني في تلك اللحظات الموحشة من القبر ، فأسرعتُ في إخبارهم بذلك ، فقبله اللّه تعالىٰ قبولاً حسناً ، وأمر بفتح باب رحمته في وجهي ، فوسّعوا القبر عليّ ، وانا الآن منعّم بأنواع النعم ، ومأنوس بلقاء المؤمنين الوافدين اليّ ، ومسرور بدعائهم لي وتلاوتهم القرآن علىٰ روحي واحسانهم بالخيرات .

ثم قال العلاّمة المجلسي : « أيها السيد الشريف ، لو لم تكن عندي في الدنيا تلك النعم من الرزق الحلال ، كيف كنتُ أعين الناس بها » ؟

فاستيقظت من النوم ، وعلمتُ ان ما جمعه العلامة المجلسي في الدنيا من المال كان عين الصواب ، اذ كان ينفقه في مصلحة الدين ومنفعة الاسلام والمسلمين [1] .

فالمال نعم العون للدين اذا انفقه صاحبه للفقراء ووسّع به علىٰ عياله وقدّم منه للمشاريع الاسلامية ، هذا هو الدرس الذي لم يتعلّمه اكثر الناس . فمن أيّ الناس أنت ؟

---

١ ـ منتخب التواريخ / ص ٦٧٢ .

٤٤١ صعوبة الاستمرار في الإخلاص

السيد عبدالهادي الشيرازي

نقل سماحة الشيخ قراءتي في دروس القرآن الكريم ليلة الجمعة (٦ / شعبان ١٤١٣) التي تبث عبر تلفزيون الجمهورية الاسلامية في ايران ، ان شهيد المحراب آية الله المدني، سافر الىٰ النجف الاشرف في سنة من السنوات ، والتقىٰ هناك بالمرجع الديني الكبير المرحوم آية اللّه العظمىٰ السيد عبد الهادي الشيرازي ، فطلب منه السيد المدني ان يدعو له اللّه تعالىٰ بأن يرزقه الاخلاص في النيّة .

فقال له السيد عبد الهادي الشيرازي (أعلىٰ ا للّه مقامه) :

ليس صعباً اكتساب الاخلاص ، انما الصعب الاستمرار عليه اذا حصلته .

٤٤٢ يُخبِر عن مَوْتِه ويستعدّ

نقل لي سماحة الشيخ علي الكاتبي المرندي (دام عزّه) وهو من كبار علماء الدين الافاضل نقلاً عن والده الميرزا عباس ، أن جدّه الميرزا محمد المرندي المتوفىٰ سنة (١٣٤٢) الهجرية ، قال له قبل وفاته : سوف يرزقك اللّه تعالىٰ ولداً ، فسمّه علياً ، وأعطه من قِبَلي هذه السجّادة هديّة ليصلي عليها ! ثم كان قبل وفاته بثلاثة أيام يقول :

« أعدّوا لي كفناً زهيد الثمن ، لأني أريد يوم القيامة أن أُحشر مع الفقراء »

وفي عصر يوم وفاته بساعات ، طلب جريدتين (وهما سعفتان من النخل تُكتَب عليهما آيات وأدعية وتوضعان مع الميت في القبر ، وهما من مستحبات الدفن) .

ثم قال لعائلته : جيئوا بعشاءكم ، وكلوا الآن .

فقال له ولده : « ليس الآن وقت العشاء ، انه العصر »

قال : « تعشّوا الآن ، لأنكم وقت العشاء ، سوف تنشغلون بي ... »

فقال له ولده : « لماذا تتشاءم ، وتقول هذا ياأبي » ؟

قال : لقد قلتُ لك وسوف ترىٰ !

وهكذا حصل وقت العشاء ما قاله جدّي ، حيث انشغلوا بتجهيزه .

٤٤٣ خطابةٌ بِلُغةِ الجِنّ !

صادف أن نمتُ في غرفة مع أحد الخطباء أثناء سفرة تبليغية مشتركة لاحدىٰ الدول الاوروبية إنّ نومي ليس تهويماً ولا رقوداً ، بل أمر بينهما ، لذلك منعني (شَخير) الشيخ من النوم حتىٰ غلبني النعاس في وقت متأخر ، ثم ما علمتُ كيف نمت .

وفي الصباح ، ذكرت له عمّا حصل لي البارحة بسبب (شخيره) فقال : نعم تلك خطابة بلغة الجنّ !

٤٤٤ موهبةُ الفِكْر المتجدِّد



السيد هادي المدرسي

مفكّر متجدّد ، خطيب مفوّه ، كاتب أديب ، شاعر بارع ، مدير مدبّر، ذو اخلاق اسلامية متحركة في المجالات الفردية والاجتماعية ، ذلك هو سماحة العلامة الكبير السيد هادي المدرّسي (أدام اللّه ظلّه) .

تنبئك عن ذلك مؤلفاته ومحاضراته القيّمة في مواضيع اسلامية كثيرة، منها دروسه في نهج البلاغة التي يشرح فيها كلمات الامام عليّ أمير المؤمنين عليه السلام برؤية اجتماعية واعية .

نقل لي أحد طلبته من علماء الدين : كنت في مكتب سماحته بطهران أسطّر محاضراته من الاشرطة علىٰ الورق ، فكلما اتقدم في الكتابة اجد أفكاراً ناضجة وجذابة فأتفاعل معها للغاية وانا استغرب كيف يستخرج السيد هذه الافكار والتحاليل الجميلة من كلمات الامام علي ولم يسبق لي ان سمعتها من غيره . هذا مادفعني الىٰ ان أسأل سماحته يوماً :

سيدنا .. من اين تأتيك هذه الافكار والتحاليل الناصعة ؟

يقول الاخ : نظر اليّ سماحة السيد بابتسامته المعبّرة ، ولم ينطق بكلمة ، ثم أخذ يتابع أعماله في مكتبه ، من اتصال ولقاء ومطالعة كتاب وقراءة جريدة وغير ذلك ، ثم جاءني بعد ساعات وقال : « الانسان يفكّر ويعمل ، يعمل ويفكر ، هكذا تنمو لديه موهبة الفكر المتجدّد».

٤٤٥ مِن أجلِ الشّهداء جميعاً

في عراق الرافدين أرض عليّ والحسين ، قدّم الشعب المسلم آلاف الشهداء قرابين على درب الاسلام والحرية ، والتخلص من صدّام وحزبه الجهنّمي . ينتمي شهداء الاسلام في العراق الى جميع التوجهات الاسلامية المعارضة ، وفي مقدمة الشهداء تلمع رموز ثلاثة رئيسية ، وهم الشهيد السعيد آية الله العظمى السيد محمد باقر الصدر ، والشهيد السعيد آية الله المجاهد السيد حسن الشيرازي ، والشهيد السعيد العلامة المجاهد السيد مهدي الحكيم.

فلهؤلاء الطلائع مواقف جهادية سابقة ، ولهم مكانتهم بين أتباعهم وامتداداتهم الجماهيرية في العراق ، ولاشك انّ عملية الغاء أحد من هؤلاء ، إلغاءٌ لامتداداتهم الى ابناء العراق ، وهذه التجزئة تمزيق لوحدة الصفّ المطلوب تحقيقها في مواجهة الجاهلية الصّدامية المدعومة عالمياً .. وقد قال الله تعالى :

﴿ إنّ اللّهَ يُحبّ الّذين يقاتِلون في سبيلِه صفّاً كأنّهم بُنيانٌ مرصوص ﴾[1]

من هذا المنطلق ، وانطلاقاً من الحديث القائل : « خير الولاة مَن جَمع الُمختلَف ، وشرّ الولاة مَن فرّق المُؤتَلَف » لقد أحسن الاختيار سماحة العلاّمة آية الله السيد محمد تقي المدرّسي (حفظه الله) وهو أحد ابرز قادة المعارضة العراقية ، في اعلانه سنة (١٤٠٧هـ) اسبوعاً باسم شهداء الاسلام في العراق ، تُحيى فيه ذكرى الشهداء كلّهم سنوياً من دون التجاوز على أحد منهم وتجاهل أدوارهم في القضية العراقية ، وفي هذا الاسبوع تُذكَر القضية نقاطاً على حروف، ذكراً شمولياً وموضوعياً. بهذه المناسبة القى سماحة العلاّمة السيد هادي المدرّسي (دام ظلّه) كلمة في سنة (١٤١٢هـ ـ ١٩٩١م) ، جاء فيها :

« في الحديث عن الشهداء ، قد يشعر الانسان بالعجز ، ذلك لأن الشهيد يبقى أعلى مستوى وقيمة، وأنبل شرفاً، وهو الذي تحدث بدمه، فلا تستطيع الكلمة ان تصوّر قيمة الدم. ومن الصعب ان تصوّر الكلمة حالة العروج الروحي التي تمتع بها الشهيد حتى فاضتْ روحه الى بارئها ،الاّ ان ذلك لا يلغي المسؤولية تجاه الشهداء ودمائهم ...

وشهداؤنا أعزاء النفس، كرماء الروحية ، أمثال الشهيد آية الله السيد حسن الشيرازي، والشهيد آية الله السيد محمد باقر الصدر والشهيد العلامة السيد مهدي الحكيم ، وكلّ شهداء

---

١ ـ سورة الصفّ / ٤.

الاسلام في العراق ، والعالم الاسلامي (رضوان اللّه عليهم) .

يقول الشهيد السيد الشيرازي : أتوا إليّ في سجن النهاية بورقة فيها ثلاثين اسماً ، قالوا لي: تخرج علىٰ شاشة التلفزيون ، وتعترف علىٰ نفسك انك جاسوس ، وعلىٰ الاسماء المدوّنة في الورقة !

نظرتُ في الاسماء ، فوجدتهم من خيرة العلماء الفاعلين في مختلف المناطق الاسلامية، منهم : الشيخ محمد شيخ الشريعة ، في باكستان . والسيد موسىٰ الصدر ، في لبنان . والشيخ محمد تقي الفلسفي ، في ايران . والسيد مصطفىٰ الخميني ، في النجف (العراق) .

ففكرت في نفسي ، وقلت لها :

أنا أقف أمام التلفزيون ، وأقول : هؤلاء جواسيس ، وانا واحد منهم ! ؟

سألوني : ماذا قلتَ ؟ هل تفعل ذلك لتنجي نفسك من الإعدام ؟

قلت : مستحيل .

فاستمر التعذيب الشرس لي بكل قسوة .

ويتابع الشهيد الشيرازي قصته ، قائلاً :

كنت معلّقاً (٤٨) ساعة من رجلي ، ورأسي الىٰ الاسفل ، فمرّ بجانبي وزير الدفاع عبد العزيز العقيلي وقال : ما يُصبرك يا سيّد ؟ !

فرددتُ عليه : الايمان .

ويضيف سماحة العلامة المدرسي في كلمته بعد ذكره هذه القصة عن خاله الشهيد الشيرازي ، قائلاً : ان الشهداء الثلاثة « الشهيد آية اللّه السيد محمد باقر الصدر ، والشهيد آية اللّه السيد حسن الشيرازي ، والشهيد العلامة السيد مهدي الحكيم » متقاربون في الشهادة ، ومن حيث العمر والانطلاقة . وكل واحد منهم يختلف مجاله عن أقرانه وزمانه .

اذ كانوا مؤلّفين ، حيث لا مؤلّفين في ذلك الوقت (الستينات) . ويتمتّعون بشجاعة فائقة، حيث انعدمتْ الشجاعة الاّ عند القليل . فالشهيد الشيرازي ، كان يلقي القصائد أمام الالوف المجتمعة ، وكان خمسة وزراء بعثيين عراقيين جالسون ، وهو يقول عن (ميشيل عفلق) مؤسس حزب البعث :

أوَ ليس قد سمّاه يَعْرُبُ عفلقاً	وبقلبهِ حِقْدُ الصليب دماءُ
وأبوه جاء لسوريا مستعمِراً	والأمّ باريسيّةٌ عَجْماءُ
داسوا عفافَ المُحْصَنات	لأنّهم لُقَطاء لم يُعرَف لهم آباءُ

وبالتالي دفع ثمن شجاعته (١٣) رصاصة أصابته ستّ منها في رأسه . في بيروت أثناء

ذهابه الىٰ فاتحة الشهيد الصدر (سنة ١٩٨٠ م) التي أقامها بنفسه .

والشهيد الصدر الذي خطب وأعلن (أنا ماضٍ في طريقي) ـ طريق المعارضة لصدّام والدفاع عن الاسلام ـ فقد دفع ثمن شجاعته الاعدام مع أخته بنت الهدىٰ في سجون العراق.

والشهيد الحكيم الذي دفعته شجاعته بالذهاب الىٰ (الخرطوم) ، ودخل بملابسه وشخصيته العلمائية ، فاغتالته العصابة البعثية ، ودفع ثمن شجاعته[1] .

٤٤٦ إنّ حَبلَ التزوير قصير

اذا دخل الفقر قال الكفر « خذني معك » !

الكفر في اللغة يعني سِتْر الشيء وانكاره ، فالذي يستر علىٰ فطرته المؤمنة باللّه ويتنكّر لنداء الضمير الحق ، يقال له كافر .

والكفر درجات في كلّ المجالات ، ففي المجال المعيشي حيث حاجة الانسان الىٰ المال والغذاء ان لم يستنر بالعلم للبحث عن الطرق النزيهة لسدّ حوائجه المعيشية أرشده جهله الىٰ التحايل والدجل لهذا الغرض . وفي المجال الثقافي فان الفقر العلمي والتربوي يـدعو الىٰ الكفر والانحراف وإنكار الحقائق .

نقل لي بهذه المناسبة سماحة السيد حسين السبزواري عن والده المرجع الديني الكبير المرحوم آية اللّه العظمىٰ السيد عبد الاعلىٰ السبزواري :

انه ذات مرة خرج استاذه السيد ابو الحسن الاصفهاني الىٰ بعض قرىٰ العراق بـغير زيّ (العمّة) ومن دون مرافقين أيضاً . فرأىٰ رجلاً يدعو الناس الىٰ نذورات وخيرات لمقام كان صانعه بنفسه هناك ، علىٰ انه مقام للامام الحسين عليه السلام .

تساءل السيد الاصفهاني في نفسه انني لم أقرأ في الكتب بأن للحسين مقاماً في هـذه القرية، لذلك دنوتُ من الرجل ، فسألته :

هل هذا مقام الحسين بن علي بن أبي طالب عليهما السلام ؟

قال : نعم .

قلت : كيف ؟

قال : حينما خرج الحسين الىٰ كربلاء ، مرّ علىٰ قريتنا وصلّىٰ هنا ركعتين !

قلت : من ذكر لك هذا الكلام ؟

---

١ ـ نقلاً عن كتاب (العلامة المدرسي مواقفه وأفكاره) ص ١٥ و ٢٠٥ ـ ٢٠٨ تأليف منصور الشيخ.

قال : هذا كلام العالم الاصفهاني ! ـ وهو لا يعلم ان الذي يتكلم معه هو الاصفهاني ولكنه بزيّ الناس العاديين ـ!

قلتُ له : انه كلام ليس له أساس من الصحة .

فردّ عليه الرجل : اسكت ، لا يسمعك أحد ، فيخبر عليك المرجع الاصفهاني !

فتركه السيد الاصفهاني عائداً الىٰ مقرّه النجف الاشرف ، ثم أرسل اليه من يأتي به ، فلما حضر الرجل خجل من عمله واعتذر للسيد الاصفهاني ، فأمره السيد أن يزيل ذلك المقام المزعوم ، ويزاول عملاً شريفاً للعيش الحلال . ثم أعطاه مالاً يسدّ به حاجته ويستغني به عن التحايل والتزوير علىٰ الناس .

٤٤٧ نقدٌ جارح والحلُّ في التزاور



في العاصمة الدنماركية حيث قلة اللقاء بين المؤمنين وشدّة الانصراف نحو العزلة والذاتية القيتُ سنة (١٤١٣هـ ـ ١٩٩٢م) محاضرة حول أهمية اللقاء والتزاور بين المهاجرين، وذكرت روايات بهذا الشأن ، كقول رسول الله ﷺ : «من زار أخاه في بيته، قال الله عزوجل له : أنت ضيفي وزائري ، عليّ قراك وقد أوجبت لك الجنة بحبك اياه» وقوله: «الزائر أخاه المسلم أعظم أجراً من المزور» وقوله : «الزيارة تُنبِتُ المودّة» . وقول الامام علي عليه السلام : «لقاء أهل الخير عمارة القلب» وقوله : «لقاء الإخوان مغنم جسيم وإنْ قلّوا» . وقول الامام الباقر عليه السلام : «تزاوروا في بيوتكم فإن ذلك حياة لأمرنا ، رحم الله عبداً أحيا أمرنا»[1].

ولما نزلتُ من المنبر همس في أذني شابّ جريء ومؤدب في نفس الوقت ، قال : شيخنا ما أجمل هذه الروايات وكم هي واضحة في أهمية التزاور بين المؤمنين ، وليت

---

١ ـ راجع المجلد الرابع من ميزان الحكمة / ص٢٩٧ ـ ٢٩٨ .

صفاءالنفوس وبساطة اللقاءات الأخوية تعود كما كانت من قبل ، ولكن عندي سؤال بريء ، هل تسمح لي به ؟!

قلت : تفضّل ، الحرية مبدأ كريم .

قال : هذه الروايات التي قرأتها لنا لنزور بعضنا بعضاً وان في الزيارة تولد المحبة والتفاهم ثم التعاون على البرّ والتقوىٰ ، هل يقرؤها المراجع والعلماء ؟! واذا يقرؤها هل يعملون بها ؟! وأضاف الأخ : لا أقصد إحراجك ، بل أودّ أن أقول بأن المراجع والعلماء لو كانوا يتزاورون عملاً بمثل هذه الروايات الجميلة لناقشوا في لقاءاتهم أفكارهم وخلافاتهم وخرجوا الينا إما بالوحدة الفكرية ، وإما بالتقارب الفكري ، وإما بالاتفاق علىٰ عدم إنزال الخلافات الىٰ الناس رأفة بحالهم ، أنهم لا يستوعبون بعضهم البعض بدقة فتراهم يتعاركون وتنهدم انجازاتهم علىٰ رؤوسهم ، ومن نتائجها أن يصبح أمثالنا لاجئين الىٰ دار الكفر يتربّىٰ أطفالنا في أجواء الفسق واللادينية ، مَن ياترىٰ يتحمّل مسؤولية ما جرىٰ في بلداننا نتيجة الاختلافات البغيضة ، في اعتقادي ـ والكلام للناقد ـ هم المراجع الذين لا يجلسون مع بعضهم بعضاً ، هم العلماء الذين يشركون الناس في خلافاتهم ، فترىٰ كل واحد منهم يتترّس بجمْعٍ من الناس ليواجه بهم جمعاً آخر ! فلم نعرف ما هو الدين الصحيح الذي يسعد الناس ويوحّد قلوبهم ! فلو كانوا يحسمون خلافاتهم بالعمل بهذه الروايات فقط حول التزاور والتلاقي لانتهتْ أكثر الأزمات . أليس كذلك ؟!

تركتُه يواصل التحدّث بما في قلبه ، فهو رغم تألّمه كان يتكلّم بهدوء ورزانة قائلاً :

نعم ينبغي لمراجعنا وعلمائنا أن يدركوا هذه الحقيقة جيداً كيلا يكونوا ممن يأمرون الناس بالبرّ وينسون أنفسهم .

أين التواضع مع بعضهم ؟

أين التفاهم بينهم ؟

أين التعاون علىٰ البرّ والتقوىٰ ؟

والغريب جداً أن أهل الدنيا بعد سنوات من الحرب يجلسون علىٰ طاولة المفاوضات ويتفقون علىٰ حل الأزمات والخلافات بينهم ، بينما نحن ندعي الآخرة ونفوسنا مليئة بالحقد علىٰ من اختلفنا معه ، ولن يأتي يوم لمسح ما صنعه الأمس .

هذا في الوقت الذي نجد الامام الصادق ﷺ يقول لنا : «لو تكاشفتم ـ أي تصارحتم وتفاهمتم ـ ما دُفنتم ... » وقال « حُقْد المؤمن مقامه ، ثم يفارق أخاه فلا يجد عليه شيئاً ، وحقد الكافر دهره» .

كيف هذه الروايات العظيمة لا يعمل بها بعض المراجع والعلماء ، أفهل يتوقعون بعد ذلك أن يعمل بها الناس والشباب ؟!

هنا سكت الأخ لحظات ثم قال :

أخي أعتذر اليك من هذه الكلمات الحادّة ، فقد خرجتْ مني بغير قصد التجرّي علىٰ مقام المراجع والعلماء الرفيع ، ولكنهم مهما يكونوا فإنهم غير معصومين . فالرجاء أن تبلغهم ما نعانيه نحن في الغرب بعد أن ضاقت علينا الأرض في بلداننا وكان أهم الأسباب فيه هو اختلافات العلماء وعدم التزامهم سلفاً بالتزاور المثمر للإسلام نفعاً وللأمة عزّة وتعاضداً.

إني وملايين الناس المشتّتين والمتضرّرين وكذلك أولادنا وأحفادنا الذين ينحرفون عن الدين هنا أو يرتدّون عنه سوف نحاسب الذين سبّبوا لنا هذه الويلات والمآسي باختلافاتهم!

توقّف الأخ وعينه تدمع ، نظرتُ فيهما فتذكرتُ أباه وهو من الوجهاء المتديّنين في بلدنا ، فلم أجد بدّاً الا التضامن مع احساسه الجريح وقلبه النظيف ، تذكرته يوم كان جالساً مع والده يستمع الىٰ محاضرتي حول (الجهاد الأكبر والجهاد الأصغر) في ليالي القدر (١٩ ـ ٢٣) من شهر رمضان سنة (١٣٩٧هـ ـ ١٩٧٨م) في مسجد معروف عندنا .

نعم أخي القارىء نقد الأخ الذي لم أجد عليه غبار الحقد وارد علىٰ سلوك بعض المراجع والكثير من العلماء دون مجاملة مع العلم أن هناك عدد غير قليل ممن يتزاورون ويتلاقون الاّ أن مشاكل الحياة أكبر من حجم لقاءاتهم من ناحية ، وتغلغل جهلة يعملون علىٰ خَلق الاختلافات والمجابهة من ناحية اخرىٰ ، والأقبح من الاختلاف والتفرق هو الإسقاط والايقاع بالمنافس والذي لا يصدر الاّ من الحمقىٰ أو الذين لايتقون اللّه . إن ما عند المسلمين من خير وعزّ وكرامة فلوجود المحبة والوحدة والتماسك ، وما عندهم من شرّ وذل واهانة فلوجود الشحناء والتفرقة والتباعد . وهما تارةً يبدءان من القمّة وينتشران علىٰ أفراد الأمة وتارةً يصدران من الأفراد ويتأثر بهما المراجع والعلماء ولكن هؤلاء حيث يشكّلون

القمم يمكنهم عمل الكثير سواءً في الأول (أعني التماسك) اذا كانت ثقافتهم ثقافة المحبة والائتلاف أو الثاني (أعني التباعد) اذا كانت ثقافتهم ثقافة الحدّية والاختلاف.

وبهذه المناسبة ذكرت للأخ قصة نقلها لي أحد كبار العلماء أن في انتفاضة خرداد المجيدة (سنة ١٩٦٣م ـ ١٣٨٤هـ) لما أعلنت إذاعة ايران (الشاه) عصراً أن السيد روح اللّه الخميني حكمت عليه المحكمة العسكرية بالإعدام، قام آية اللّه المجاهد السيد محمد الشيرازي في كربلاء ليلاً وذهب الىٰ النجف الأشرف فأقنع آية اللّه العظمىٰ السيد الخوئي بضرورة رصّ صفوف المراجع لمنع تنفيذ حكم الاعدام بآية اللّه العظمىٰ السيد الخميني، فإنه لو نُفّذ لفتح هذا الباب علىٰ كل مجتهد يعارض القوانين الجائرة في البلاد. فبعد أن اقتنع السيد الخوئي بالفكرة أقنعه أيضاً بأن يذهبا معاً الىٰ منزل آية اللّه العظمىٰ السيد محمود الشاهرودي، فأقنعاه بالفكرة وبالذهاب ثلاثياً الىٰ الكوفة لعقد جلسة مرجعية طارئة مع آية اللّه العظمىٰ السيد محسن الحكيم. وتمخّض اللقاء بين هؤلاء المراجع دفاعاً مشتركاً عن آية اللّه العظمىٰ السيد الخميني في ايران، حيث اتصل السيد الحكيم بالسفير الايراني في بغداد فوراً، ولما كان الوقت ساعة متأخرة من اللّيل اعتذروا له علىٰ ايقاظ السفير، ولكنه رفض اعتذارهم، فجاء السفير علىٰ الخط، فطالبه السيد الحكيم أن يتصل فوراً بالشاه ويبلغه موقف المراجع المندِّد بإعدام السيد الخميني.

وعلىٰ صعيد آخر قاموا بارسال برقيات بهذا الخصوص الىٰ الشاه وغيره يحذّرونه من تنفيذ حكم الإعدام. وهكذا نجا السيد الامام من الموت، فنفاه الشاه الىٰ تركيا ومن ثَم دخل الىٰ العراق ودفع السيّد الشيرازي آلاف الجماهير لاستقباله والحفاوة به حتىٰ قدّمه إماماً للجماعة مكانه في صحن الامام الحسين عليه السلام واقتدىٰ به أيضاً، وكتبت الجرائد البيروتية في وقتها: «ان الخميني ثار في قم، والشيرازي أوصل صوته الىٰ العالم من كربلاء»[1].

وقال بعض العلماء في حينه أيضاً: ان العمل الذي قام به آية اللّه الحاج السيد محمد الشيرازي في جمعه المراجع الثلاث لم يسبق له مثيل في المائة عام الماضية في الحوزات العلمية.

---

١ ـ مجلة الاسبوع العربي / العدد ـ ١٠٢٩ ـ ص٢٨.

ولقد جُمعتْ البرقيات والرسائل في كتاب طبعه جماعة السيد في كربلاء باسم (كفاح العلماء الأعلام)[١].

أجل كنّا بالأمس هكذا ولو كان تستمر تلك الحالة الوئامية لازدادت البركات وعمّ الازدهار، ولم يحدث من الخسائر الفادحة على الجميع ونزوح المؤمنين وأبناء الشيعة إلىٰ ديار الغربة والكفر بحثاً عن معيشة قانونية أو استقرار بلا قلق.

فلنتأمل في كلمة الامام الصادق عليه السلام ولكن بقصد العمل بها خالصاً لوجه الله: «تزاوروا فإن في زيارتكم إحياء لقلوبكم، وذِكْراً لأحاديثنا، وأحاديثنا تعطّف بعضكم علىٰ بعض، فإن أخذتم بها رشدتم ونجوتم، وان تركتموها ضللتم وهلكتم، فخذوا بها وأنا بنجاتكم زعيم»[٢].

٤٤٨ ما الحيلة ؟!

سمعت العالم الورع الحاج علي حشمت پور ـ وهو رجل طاعن في السنّ مقيم في مشهد المقدسة ـ:

ان استاذه المرحوم الحاج الشيخ محمد تقي الآملي (صاحب كتاب مصباح الهدىٰ في شرح العروة الوثقىٰ) قال: لقد مرّت عليّ في النجف الأشرف ضائقة مالية صعبة الوصف، وعلىٰ أثرها شُلّتْ قدرتي علىٰ التفكير وكاد عقلي يتعطّل!

فدفعني الجوع وحالة العيال الىٰ الخروج الىٰ ساحة المنزل واصرخ وأقول:

ما الحيلة ؟!

ما الحيلة ؟!

واذا بي أسمع هاتفاً يجيبني: إنها في ترك الحيلة! نظرتُ حولي بحثاً عن مصدر هذا الصوت فلم أجد له مصدراً، فعلمتُ أنها ليستْ إلّا مكاشفة من العالَم الأعلىٰ.

نعم .. الحيلة في ترك الحيلة. وبالتزامي لهذه المكاشفة الروحية والهداية المعنوية

---

١ ـ راجع المجلد الأول من كتاب (نهضت امام خميني) تأليف السيد حميد الروحاني.

٢ ـ بحار الأنوار / ج٧٤ ـ ص٢٥٨.

أصبحتْ أموري الدنيوية منتظمة ومنفرجة .

إنها امتحانات عسيرة تعطي نتائجها الجميلة في الساعات الأخيرة ، ولذا سُميتْ امتحانات !

٤٤٩ عند حَبْل المشنقة



الشيخ فضل الله النوري مشنوقاً

وجاءت ساعة الشنق للرجل الشامخ آية الله الشيخ فضل الله النوري ﵀، وكان الناس المغلوبون على أمرهم يتفرجون على الموقف من بُعْد مسافة ويحول بينهم وبين منصّة الشنق رجال الشرطة .

فأحضروا الشيخ بعمامته البيضاء وعباءته، وكان ماسكاً بيده عصاه ومحاطاً بالمأمورين.. يمشي مشية الصامدين وكأن الصبر يمشي متمثلاً في رجل ، ثابت القدم ، بارد الأعصاب ، مطمئن النفس ، سليم القلب .

هكذا وصفه أعداؤه الذين انبهروا بقوة شخصيته الايمانية العظيمة . وقد نقلوا تلك اللحظات كما يلي : ألقى الشيخ النوري نظرة على الناس المتجمهرين ، ثم نظر الى السماء وتلا قوله تعالى : ﴿ وأُفوِّض أمري الى اللّهِ إنّ اللّهَ بصيرٌ بالعباد ﴾ .

ثم خطا نحو المشنقة .. وكان الوقت ساعة ونصف قبل غروب الشمس من اليوم الثالث عشر من شهر رجب سنة (١٣٢٧) للهجرة، يوم ميلاد الامام علي أمير المؤمنين عليه السلام.

وفي الاثناء عصفتْ رياح شديدة وكانت لحيته البيضاء الطويلة تجاذبها الرياح يمنة ويسرة ، ولكن الشيخ البالغ من العمر سبعين عاماً لم تحرّكه رياح الهزيمة سياسية كانت أم طبيعية.

وفجأة نادى الشيخ خادمه من بين الناس ، واسمه (ناد علي) ، فأخذ يشق صفوف الناس حتى أوصل نفسه الى الشيخ وقال : نعم سيّدي . فخمد ضجيج المتجمهرين ، لينظروا ما شأن الشيخ مع خادمه . فرأوه قد أدخل يده في جيبه وأعطى خادمه (ختمه) الذي كان يوقّع به

رسائله وبياناته فأمره أن يكسر الختم كيلا يقع بعد شنقه بيد أعدائه فيزوّرون به آراءه ومواقفه للناس ولمن يأتي من بعده . انه حقاً لمن المواقف البطولية الفريدة من نوعها . فنفّذ الخادم طَلَب الشيخ أمام عين الشيخ ومرأىٰ الناس .

عند ذلك رمىٰ الشيخ بعصاه علىٰ الأرض ، ثم خلع عباءته السوداء الرقيقة الصيفية ورماها أمام الناس ، ثم أركبه الشرطة علىٰ ظهر بغلة استعداداً للشنق فأخذ يخطب في الناس عشر دقائق .. فمما قاله لهم : « الٰهي اشهد أنني قلتُ للناس ما لزم لي قوله . الٰهي كن شاهداً أنني أقسمتُ للناس بقرآنك الكريم . الٰهي اشهد لي في هذه اللحظات الاخيرة فإني اكرّر قولي لهم: ان القائمين في هذه الحكومة أناس ليس لهم دين ، ولقد أضلّوا الناس بدعاياتهم ، ان اساس هذه الحكومة مخالف للاسلام ، وليبقىٰ الحكم بيني وبينكم عند النبي محمد بن عبد الله ﷺ .

وهنا أخذ الشيخ عمامته ورفعها بيده يلوح بها أمام الناس وهو يخاطب العلماء : أنه إذا سلبوا مني هذه العمامة ، اعلموا أنهم سوف يسلبونها منكم يوماً .. ثم رماها الىٰ الناس .

وفي هذا الاثناء وضعوا حبل المشنقة في رقبة الشيخ ، وحرّكوا البغلة من تحته ورفعوا الحبل ، فأصبح الشيخ معلّقاً مشنوقاً . وهبّت الرياح بشدة مرة أخرىٰ وارتفع الغبار من الأرض وكان الجوّ حاراً والناس يتصبّبون عرقاً .

يضيف راوي هذه اللحظات ، اننا رأينا فيما بعد كيف ابتُلي كلّ من ساهم في هذه الجريمة، فتورّط في مشاكل لم يحسب لها حساباً من قبل (١) .

٤٥٠ حَصَلَ كما تنبّأ الشيخ

كان لآية الله الشهيد الشيخ فضل الله النوري ولد فاسق شرور ، سألوا الشيخ مرّة : كيف يُخرج اللّهُ الميتَ من الحيّ والظلمة من النور ؟

فقال الشيخ : انني أرىٰ في هذا الولد الفاسق ايضاً ما لا ترونه أنتم ، انه قاتلي الذي سوف

---

١ ـ بالفارسيّة (شهداى روحانيت) / ص ١١٧ ـ ١١٨ .

يصفّق تحت جنازتي وانا على المشنقة !

قالوا : لماذا صار هكذا ويصبح كما تتنبأ ؟

قال : لأنه شرب حليباً نجساً وتربّى أيام رضاعته في حجر امرأة خبيثة !

فلمّا طلبوا منه شرح القضية ، أضاف قائلاً : لما كنت أدرس عند المجدّد الشيرازي الكبير في حوزة سامراء بالعراق ، وضعتْه امّه ولم يكن عندها حليب لترضعه ، فاستأجرنا امرأة لم نحقق في تديّنها فأرضعتْه عامين كاملين ، بعد ذلك تبيّن انها كانت ناصبية شديدة الكره والعداء لأهل البيت عليهم السلام .

وهكذا حصل كما تنبأ الشيخ ، حيث كان يصفّق لشنق أبيه ويبارك أقرانه إعدام هذا العالم المجاهد .[1]

٤٥١ متىٰ قَتَلْنا أنفسَنا ؟!

الشيخ التبريزي

في الاول الى الرابع من محرم عام (١٣٣٠) للهجرة انتشرت عساكر الروس في احتلال محافظة آذربايجان الايرانية، فأعلن العلامة المجاهد ثقة الاسلام التبريزي وجوب مقاومة الاحتلال الروسي ، ولكن شراسة العساكر قهرتْ المقاومة حتىٰ وصلوا الىٰ بيت العلامة التبريزي وهم مارّين علىٰ أجساد الشهداء الذين سقطوا في حماية البيت ، فأخذ الغزاة الروس سماحة الشيخ التبريزي الىٰ السجن وطلبوا منه إصدار بيان في شرعية الاحتلال وأن التواجد العسكري للروس في آذر بيجان أمر ضروري للأمن . وإنْ رَفَضْ أُعْدِم !

فردّ عليهم الشيخ التبريزي قائلاً : أنا مسلم ، ولا أكتب ضد وطني شيئاً ، أنتم أطردوا كلّ من في آذر بايجان صغيراً وكبيراً حتىٰ تحصلوا علىٰ الأمن الكامل (كناية أن الناس ليسوا معكم) !

ولما رأوا من الشيخ موقفه الرافض هذا اقتادوه الىٰ منصّة الإعدام ومعه ثمانية من قيادات

---

١ ـ التقوىٰ وما أدراك ما التقوىٰ / ص ١١ .

المقاومة علماء دين ورجال مؤمنين وذلك أمام الملأ في ساحة المدينة وفي يوم عاشوراء سنة (١٣٣٠) للهجرة تحدّياً لكلّ المشاعر الدينية والوطنية .

ثم برّرت دولة الروس الجائرة اعدامها لهؤلاء العلماء بان دولة ايران ضربتْ حـصانة العلماء عرض الحائط في إعدامها للشيخ فضل الله النوري ! [1] أرأيت كيف نقتل أنفسنا بأنفسنا حينما نصّر على عدم التفاهم ؟ أليس على المسلمين أن يعتبروا كيلا يعطوا المبرّر لأهل الباطل ليفتكوا بهم ؟ لقد استنكرتُ في خطاب ذات مـرة المـجازر التـي يـرتكبها الصرب في البوسنة واليهود في لبنان والأمريكان في العراق ، ثم وجّهت الخطاب الىٰ أبناء هذه الشعوب قائلاً : أتعلمون لِمَ دماؤكم رخيصة عند هؤلاء ؟ لأنها رخصت عندكم أولاً . فلو كنتم تحترمون بعضكم وتحتاطون في الدماء والأرواح لاحترموكم ...

ومثل هذا قلته لفضيلة السيد عالمي أحد وزراء حكومة ربّاني الأفغانية فتأثر وجـعل ملاحظتي موضوعاً لمحاضرته التي ألقاها بعد يوم في مدينة مشهد المقدسة علىٰ جموع المهاجرين الأفغان .

٤٥٢ تلك الصّلاةُ الشاهدة


السيد محمدكاظم اليزدي

لقد استشهد السيد محمد رضا في إحـدىٰ المـعارك ضـد الاحتلال البريطاني ، ويريد المؤمنون أن يـنقلوا هـذا الخـبر المفجع الىٰ أبيه المرجع السيد اليزدي ، ولكنّهم متحيّرون في الاسلوب المطلوب .

فكان كلّ واحد منهم يحوّل موضوع الإخـبار الىٰ غـيره ، حتىٰ استقرّ رأيهم علىٰ مايلي: أن يحملوا جنازة الشهيد من مدينة الكاظمية الىٰ النجف الاشرف .. فيضعوها في صحن حرم الإمام علي عليه السلام ، ثم يجتمع بعض العلماء من طـلبة السيد اليزدي ومعهم أحد القرّاء الحسينيين فيذهبوا الىٰ السيد اليـزدي ، يـقولوا له : ان جنازة شهيد وصلتْ من أرض المعركة الىٰ صحن الحرم الشريف ولك الولايـة الخـاصة للصلاة عليها !

١ ـ كتاب بالفارسيّة (شهداي روحانيت) / ص ١٣٩ .

وهكذا فعلوا ، ففهم السيد اليزدي من كلامهم أن الشهيد هو ابنه العزيز السيد محمد رضا، إذ للأب الولاية في أمر الابن . فقام الىٰ ما دُعِيَ إليه صابراً محتسباً أجره عند الله تعالىٰ . وكان ذلك في عام (١٣٢٥) للهجرة تقريباً [١] ..

هكذا هم رجال الحق الذين تجرّدوا عن الدنيا وما فيها من الرفاه والراحة في سبيل إعلاء كلمة الله .

٤٥٣ رَجُلٌ غَضِبَ للّٰه



الشيخ البافقي

آية الله الحاج الشيخ محمد تقي بافقي اليزدي (طاب ثراه)، ولد سنة (١٢٩٢) للهجرة والتحق بالدراسة الدينية في الحوزة العلمية وعمره أربع عشرة سنة ، ثم انتقل الىٰ حوزة النجف الاشرف في العراق سنة (١٣٢٠هـ) وكان من ابرز تلامذة المرجع المجاهد آية الله العظمىٰ السيد محمد كاظم اليزدي وعاد الىٰ ايران سنة (١٣٣٧) وأقام في حوزة قم المقدسة باقتراح من مؤسسها الكبير آية العظمىٰ الشيخ عبد الكريم الحائري، فكان من أفاضل مدرِّسي الحوزة واساتذة الفقه الاسلامي .

كان آية الله بافقي اليزدي شديداً علىٰ رضا خان الظالم (أبي الشاه) ، فذات مرّة وجد المؤمنون علىٰ الجدران في مدينة قم بيانات حكومية تمنع (الأمر بالمعروف) !

فدعىٰ الشيخ أهالي قم فتجمهر الآلاف منهم في صحن السيدة معصومة عليها السلام ، ليستمعوا الىٰ الشيخ بافقي ماذا يقول ؟ !

ارتقىٰ الشيخ المنبر وتلا قول الله تعالىٰ : ﴿ ولتكُنْ منكم أمّةٌ يدعون الىٰ الخير ويأمُرون بالمعروف ويَنهَوْن عن المنكَر وأولئك همُ المفلِحون ﴾.

وتحدّث عن وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر علىٰ عموم الناس وخاصة علماء الدين ، وانه لا يحق لأي أحد أن يعطّل هذا الواجب الشرعي . ثم هاجم الشيخ بافقي سلوك دولة رضا خان ووصفها أنها دولة الفراعنة !

بعد هذا الخطاب في هذا الاجتماع الكبير نزل عملاء الحكومة الىٰ شوارع قم وأزالوا

---

١ ـ نفس المصدر / ص ١٤٢ .

تلك البيانات من الجدران خوفاً من تزايد نقمة الناس وتحرّكهم ضد الشاه رضا خان البهلوي .

وكان آية اللّه بافقي كلّما تتخذ الدولة قانوناً صارخاً في وجه القيم الاسلامية قام وأعلن المعارضة ، وحيث كان الشاه رضا خان يعمل وفق خطة استعمارية مرسومة للمنطقة ألقىٰ القبض علىٰ الشيخ بعد سنوات من إرساء سلطته العسكرية في ايران إذ جاء الىٰ قم بنفسه وأمر باعتقال الشيخ ونقله الىٰ السجن المركزي للشرطة في طهران .. وبعد خمسة أشهر من السجن نقلوه الىٰ مدينة ريّ (جنوب شرقي طهران) ليعيش في جوار حرم السيد عبدالعظيم تحت إقامة جبرية .

هذا ولمّا بلغ الشيخ خبر مجزرة مسجد (گوهر شاد) في مدينة مشهد المقدّسة سنة (١٣٥٣) للهجرة وان رضا خان سفك فيه دماء الناس والعلماء المجتمعين لإعلان معارضتهم له فيما يقوم به من الظلم والفساد ، استولىٰ عليه الحزن حتىٰ أصيب بسكتة وشُلَّ جسمه فصار طريح الفراش . وكان يتمنّىٰ أن تتحسّن صحته ويأتي الىٰ مشهد معزّياً أهالي الشهداء رغم المنع المفروض عليه في الخروج من البيت . وأخيراً لما تحسّنتْ صحته شيئاً ما جاء الىٰ مشهد ليشمّ عطر الدماء التي أُريقتْ علىٰ الارض ظلماً وعدواناً في مسجد (گوهر شاد).

يقول ناقل هذه الوقائع : إن الامام الخميني قبل أربعين عاماً ـ ونحن الآن في سنة ١٤٠٢ للهجرة ـ كان يقول في دروس الاخلاق لطلبة حوزة قم : من يريد في هذا العصر أن يزور مؤمناً حقيقياً فليسافر الىٰ مدينة ريّ ، ومن بعد زيارة السيد عبد العظيمؓ يزور المجاهد بافقي اليزدي. ثم ينشد الإمام الخميني بهذه المناسبة بيتاً من الشعر (ماترجمته) :

يا قاصداً عبدَالعظيم تَرَفَّقِ   عَرِّجْ علىٰ قَبْرِ المجاهدِ (بافقي)

هذا ولقد انتقل الشيخ بافقي اليزدي الىٰ رحمة اللّه تعالىٰ عن عمر يناهز الاثنين والسبعين في مدينة (ريّ) ونُقل جثمانه الطاهر الىٰ قم المقدسة ودفن في مقبرة الشيخ الحائري (عليهم جميعاً رحمة الباري) وذلك في (١٣ / جمادي الاولىٰ / ١٣٦٥) [١].

---

١ - المصدر المذكور .

٤٥٤ مَن يشتري مَن ؟!


السيد ابو الحسن الاصفهاني

نقل الخيّر التقي الحاج مهدي البهبهاني الذي ساهم في تشييد حرم السيدة زينب عليها السلام مساهمة سخيّة في الشام: انني كنت جالساً عند المرجع العظيم المرحوم آية الله السيد أبي الحسن الاصفهاني ﷺ المتوفىٰ سنة ١٣٦٥ هـ ـ ورأيت الحاج عبد الهادي الاسترابادي عنده وهو من الشخصيات المرموقة في العراق آنذاك ، قد دخل وقبّل يد السيد الاصفهاني وقال : انه مُرسل من طرف نوري السعيد ـ رئيس وزراء العراق وكانت سلطته أوسع من سلطة ملك العراق ـ يريد منكم لقاء لمدة دقائق للسفير البريطاني ومندوب بريطانيا الخاص القادم من لندن .

وكان هذا بعد المعارك الدامية التي جرتْ علىٰ أرض العراق بين المسلمين بقيادة علماء الدين والمرجعية الشيعية وبين جنود الاحتلال البريطاني .

فقال له السيد الاصفهاني : انّ مندوب الحكومة البريطانية وسفيرها يريدوننا ونحن نتهرّب ، لأنهم خدعوا الناس وخانوا العهود وجنوا عليهم .

فأصرّ الاسترابادي علىٰ أن يسمح السيد بهذا اللقاء .

فقال السيد بعد تأمل قليل : لا بأس .

فقال الاسترابادي : اسمحوا أن يكون اللقاء سرياً مغلقاً !

فردّ السيد الاصفهاني بصرامة : أبداً ، لا يمكن هذا الشيء .

وهكذا أمر السيد أن يحضر في هذا اللقاء كلّ من آية الله ضياء الدين العراقي وآية الله الشيخ محمد حسين الكمپاني والمرحوم الخونساري والشيخ محمد كاظم الشيرازي والمرحوم جمالي الخراساني وغيرهم من كبار الفقهاء والاساتذة في الحوزة ، ذلك لأن المرجع الأعلىٰ السيد الاصفهاني يؤمن بمبدأ الشورىٰ والمشاركة الجماعية ، خاصة في الامور المتعلقة بالجميع وفيها مصير وسمعة الأمة والمذهب والحوزة ، والشورىٰ صيغة لتنضيج رأي وليّ الفقيه وليس بديلاً عنه .

وهكذا حان وقت اللقاء ، فدخل السفير البريطاني ومندوب الحكومة البريطانية

ومعهما رئيس وزراء العراق نوري السعيد .. قبّلوا يد السيد الاصفهاني الكبير وجلسوا ثم قدّموا تحيات الحكومة البريطانية عبر المترجم المرافق ، وقالوا : ان بريطانيا في الحرب العالمية الثانية (نذرتْ) إنْ غلبتْ المانيا سوف تقدّم مساعدات مالية الىٰ المعابد وكبار علماء الدين في العالم كله ، وذلك شكراً للّه علىٰ نعمة الغلبة علىٰ العدوّ ! والآن حيث انتصرتْ بريطانيا في الحرب جئنا نقدّم الىٰ زعماء الاديان الكبرىٰ في العالم ما نذرناه ! فلقد ذهبنا الىٰ البابا في الفاتيكان وقدّمنا اليه المنحة المنذورة ، والآن جئنا الىٰ سماحتكم في النجف الاشرف لنقدّم لكم المساعدة المنذورة !

تأمل السيد الاصفهاني لحظات وقال : لا مانع .

فاستغرب العلماء الحاضرون من قبول السيّد بهذه المنحة البريطانية لأن المعهود منه ومن المرجعية الشيعية رفض هذه الامور جملةً وتفصيلاً . خاصة أن السفير والمندوب البريطانيَّيْن كانا قد أُخبرا من قبل أن زعيم المسلمين الشيعة ليس كالبابا زعيم المسيحية.

فأسرع المندوب البريطاني وأخرج الصكّ قبل أن يتغير رأي السيد الاصفهاني ، وفيه مائة ألف دينار عراقي يعادل (مليونَيْ تومان) وهو مبلغ غير قليل بالنسبة الىٰ ذلك الزمان. إلاّ أن السيد الاصفهاني فاجأ الجميع بأخذه الصكّ والاطلاع علىٰ محتواه وكتابة حوالة قدرها مائة ألف دينار عراقي فقدّمه مع صكّه الىٰ المندوب البريطاني قائلاً : هذه مائتا ألف دينار مساعدة منا الىٰ أهالي الجنود المسلمين الذين جنّدتهم بريطانيا من بلاد الهند وقُتلوا في حرب العراق ، فالرجاء إيصالها وصرفها عليهم في الهند !

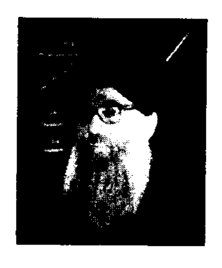
هنا نكس أعضاء الوفد رؤوسهم دقائق ثم قاموا مودِّعين في الوقت الذي انبهر الحاضرون بحنكة السيد الاصفهاني .

يقول الحاج ناقل هذه القصة : لمّا خرجوا من عند السيد عاد نوري السعيد بسرعة وقبّل يد السيد الاصفهاني بشوق وسرور وهو يقول له : أنا فداء لكم ، إنني من أهل البيت (يقصد انه سيّد من ذرية رسول اللّه) إن العلماء الذين يمتلكون هذه الروح الكبيرة قليلون مع الأسف. وأضاف هل تعلم ماذا قال مندوب بريطانيا بعد خروجنا من عندك !؟

فقد قال بانبهار ودهشة : يجب علىٰ (شرشيلنا) أن يستقيل عن منصبه ، ويجلس مكانه هذا السيد العظيم . نحن نريد أن نستعمر الاسلام وقد غفلنا عن أن هذا السيد العظيم بعلمه ودرايته وعقله وتدبيره جعل بريطانيا مستعمرة للاسلام .

وعلىٰ حدّ تعبير الخطيب الشهير سماحة الشيخ محمد تقي الفلسفي : إن المندوب البريطاني قال : جئتُ لأشتري مرجع الشيعة فاشتراني !

٤٥٥ عندما وجب الحلّ !



السيد محمد الميلاني

يقول سماحة آية اللّه الحاج السيد محمد الحسيني الميلاني: جائني رجل ومعه إمرأة تصغره بثلاثين عاماً ، ومعها طفلها ، فقال : أريد أن تجري لي مع هذه المرأة (المطلّقة) صيغة عقد الزواج !

تأملت قليلا (لأني رأيتهما لا يتناسبان ، فسألته هل أنت قادر علىٰ استيفاء حقوق المرأة كما هو المطلوب الشرعي ؟

قال : ماذا تقصد ياسيّد ؟!

قلت : لا تجفني، سؤال بريء، إنما اقصد التذكير بالمسؤولية الشرعية قبل اجراء العقد.

وهنا أعدت نفس السؤال للمرأة ولكن بشكل آخر : هل أنتِ قابلة بهذا الرجل ؟

قالت : أنا وحيدة مع هذا الطفل ، لاسند لنا ولا مأوىٰ ، والرجل ظِلٌّ علىٰ رؤوسنا ياسيّد، وأتمنىٰ أن يكون كما يقول .

قلت : إذن هل أجري العقد برضىٰ الطرفين علىٰ المهر المعلوم ؟

قالا : لك الوكالة .

فأجريت العقد وذهبا ، ولكن بعد ثلاثة أشهر جاءت المرأة تبكي وتقول : يا سيّد أرجوك ثم أرجوك أن تخلّصني من هذا الوحش !

قلت : ما الأمر ؟

قالت : انه رجل فاسد لادين له ولا ضمير ، فهو داخل البيت سكران ويضربني بقسوة أمام طفلي . طلّقني منه فلا أريد أن أرىٰ زوجاً بعده ، سوف أعمل خادمة وأربّي طفلي .

قلت : لقد سألتكِ قبل إجراء العقد ، لأن إحساسي كان يدلّني الىٰ هذه النتيجة ، فهو رغم كبر سنّه لم أطمئن بتديّنه . ولكنكِ قبلتِ وليس الطلاق بيدي الآن .

قالت : أرجوك أيها السيد ، قبلتُ لأني كنت افكّر في مستقبل طفلي ، كنتُ راضية أن أكون خادمة له من أجل هذا الطفل . وبعد أن بكتْ كثيراً وهي تلتمس منّي حلاً طرأتْ

علىٰ بالي فكرة ذكية ، فقلت لها إذهبي واخبريه أن يأتيني فوراً وكوني علىٰ اتصال هاتفي معي .

جاءني زوجها بعد يوم واحد وبيده شيء من الحلوىٰ ، قبّل يدي ووضع الحلوىٰ أمامي وقال مبتسماً تقبّل مولانا ، هذه هدية متواضعة ! وانا اقول في نفسي : ايها المنافق، أهكذا تتظاهر معي وانت في البيت سكّير وكالوحش الكاسر علىٰ زوجتك المسكينة .

قال : هل مِن خدمة استطيع القيام بها ؟

قلت : في الواقع هناك محذور شرعي قد حصل في اجراء العقد خطأً مني ، وهو أني فهمت انك تريد الزواج المؤقت مع تلك المرأة ، لذلك فأنا أجريتُ العقد علىٰ أنها زوجتك لمدة شهر واحد ، والآن سمعت انك لازلت معها وهذه ثلاثة أشهر ، فالعقد بينكما انقضىٰ تلقائياً ، وهذان الشهران الإضافيان لا يخلوان من إشكال !

(أقول : ثلاثة موارد يجوز الكذب فيها في الاسلام ، أحدها الإصلاح بين المتنازعين اذا لزم ، وربما إنقاذ المرأة المظلومة ينطوي تحت هذا العنوان أيضاً . هـذا ولولا جـواز الزواج المؤقت لما كان الطريق سهلاً لهذا الهدف كالذي تقرأه في القصة ، ثم ان الحاكم الشرعي يجوز له إجراء الطلاق في الحالات الاستثنائية حتىٰ مع عدم رضىٰ الزوج المتمرّد علىٰ الاحكام الشرعية) .

قال الرجل بتعجب : ولكني تزوجتها دائمة وليست مؤقتة .

قلت : أنا لا أشك في نيتك ، انما الإشكال حصل من سوء فهمي لنيّتك ، العقد أجريته علىٰ أساس فهمي الخاطىء . أنا لا أدينك ، انما اريد التصحيح .

قال : ما الحلّ الذي تراه ؟

قلت : أن تعطيني وكالة تامة للتصرّف في هذا الأمر كما تمليه وظيفتي الشرعية ، أطلقها ثم أعيد العقد مرة أخرىٰ برضىٰ الطرفين .

قال : أنت وكيلي المطلق ، تصرّف إذن كما تشاء .

وهنا لما أوكلني وكانت المرأة قد أخبرتني بطهرها من العادة الشهرية (حيث شـرط صحة الطلاق) طلّقتها منه (فتقاً من دون رتق) .

فذهب الرجل علىٰ أن يحضر مع المرأة لأعقد لهما برضاهما ، وهـو لا يـعلم بكـامل الخطة المرسومة تأديباً له علىٰ تعذيبه لهذه المرأة المخدوعة .

فأخبرتُ المرأة بما وصل اليه الأمر ، فرفضت أن تتزوّجه مرة أخرىٰ بالطبع ، فقلت لها إذن لايحق لك الزواج إلاّ بعد أخذ العِدّة وهي مدة ثلاثة أشهر ، ونصحتها أن لا تنخدع وتتسرّع في الزواج مع أي شخص إلا بعد التأكّد من دينه وأخلاقه .

فتنفّست الصعداء ، حيث تحرّرت من قبضة وحش فاسق ، ولما علم الرجل المنافق بما انتهت اليه القضية جاءني حانقاً وصرخ في وجهي أهكذا أوقعتني علىٰ الأرض ؟

قلت له إكظم غيظك ، واخفض صوتك ، وتكلّم ما المشكلة ؟

قال : انك أخذت مني الوكالة التامة لتطلّقها مني ، وهي ذهبت عني .

قلت : استمع جيداً الىٰ القصة الأسطورية هذه وتأمّل :

خرج شيخ كبير السن الىٰ الصحراء ، فسمع أنينَ حيوان ، فأخذ يبحث عن مصدر الصوت حتىٰ وصل اليه ، فوجد ثعلباً واقعاً في حفرة ، تألم الشيخ لحال الثعلب فجاء بعود طويل وأدخله الىٰ الحفرة كي يتسلّق الثعلب ويخرج ، ولما نجا الثعلب قال للشيخ : انني منذ ثلاثة أيام في هذه الحفرة !

فقال له الشيخ : ساعدك اللّه ، انها كانت عسيرة حتماً .

قال الثعلب : نعم وهذا يعني ان الجوع يكاد يقتلني ! فقال الشيخ : بالطبع ، لأنك مدة ثلاثة أيام لم تأكل ولم تشرب ، ساعدك اللّه . قال الثعلب : والآن ليس لي وقت ولا طاقة للبحث عن لقمة بعيدة ، فأنت لقمتي الحاضرة ، فما رأيك ؟!

فقال الشيخ : ولكن ليس هذا جزاء من أحسن اليك وانقذك من الموت .

قال الثعلب : دع عني الانسانية أنا لا أفهم الآن غير أني جوعان ولابد لي من الأكل.

فقال الشيخ : أجل ، فاذا كان ولابد ، فإني أقترح عليك أن تصبر قليلاً ربما مرّ من هنا رجل حكم بيننا بالعدل !

وافق الثعلب علىٰ دقائق فقط ، فمرّ شيخ آخر طاعن في السنّ ، فطلبا منه رأيه في القضية، فكّر الرجل في نفسه لو أعطىٰ الحق الىٰ جانب الشيخ فسوف يغضب الثعلب ويقضي عليهما معاً ، فأحكم عقله وقال للثعلب : إنني لا أستطيع الحكم بينكما الا أن اشاهد الحادث بعيني من أوله ، لأن اصدار الحكم يحتاج الىٰ شاهد !

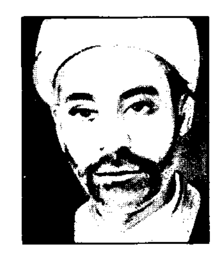
فأرني ايها الثعلب كيف سقطتَ في الحفرة ، وأطلب من الشيخ أيضاً أن يُريَني كيف أخرجك منها !

فرمىٰ الثعلب نفسه في الحفرة وهو يقول : هكذا سقطتُ في البداية . وحيث أراد الثعلب أن يواصل القصة قال له القاضي : لاتواصل الكلام وهذه هي النهاية ! إبقَ في الحفرة يامَن لاتقدّر الإحسان وتكفر بالنعمة !

يقول سماحة السيد الميلاني : حينما نقلتُ للرجل هذه القصة ، قلت له انك فاسق تشرب الخمر وتضرب زوجتك المظلومة ولا تؤدي لها حقاً ، ألستَ كالثعلب الذي أنقذه الرجل فصار يستعدّ للظلم ؟!

فقام وخرج ساخطاً ، ولمدة سنوات كان اذا رآني في الشارع يبصق جانباً ويمشي . ولكنه بعد هذه الفترة جاءني خجلاً وهو يقول : لم أعرف قيمة تلك المرأة المسكينة، فقد تزوّجت بعدها بامرأة فظّة تشبعني كل يوم ضرباً وإهانة .

٤٥٦ يا سيّدتي أغيثيني



الشيخ عبد الزهراء الكعبي

اقتحم رجال الشرطة في العراق الشوارع والمنازل والاسواق لاعتقال الايرانيين المقيمين هناك وتسفيرهم الىٰ ايران ، والمعروف ان المجتمع العراقي اندمج فيه الايرانيون منذ مئات السنين وخاصة في مدن النجف وكربلاء وسامراء والكاظمية حيث العتبات المقدسة لأئمة المسلمين الشيعة .

وكانت الحملة الاولىٰ للتسفير صعبة جداً علىٰ مئات العلماء والناس والعوائل إذ لم يألفوا مجتمع الاجداد في ايران ، وكان عليهم البدء في تأسيس المعيشة والمعاش من الصفر أو تحت الصفر !

يقول العالم الفاضل رباني الخلخالي : التقيتُ قبل يوم ذكرىٰ أربعينية الامام الحسين أو ليلة الاربعين في كربلاء بالخطيب الحسيني البارع الشيخ عبد الزهراء الكعبي ﷺ في مدرسة ابن فهد الدينية تناولنا مأساة التسفير المروّعة ، وكان الشيخ الكعبي شديد الحزن علىٰ تلك المعاناة للمظلومين ، وفجأة رأيته قام من مكانه وقال : اني أصلّي الآن صلاة السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام وأتوسّل الىٰ الله تعالىٰ ليفرّج عن هؤلاء المكروبين فانكفأ الىٰ الصلاة.

وهذه الصلاة ركعتان ، في الاولىٰ تقرأ سورة الحمد مرّة وسورة القدر مائة مرة ، وفي

الثانية بعد سورة الحمد تقرأ مائة مرة سورة الاخلاص ، وبعد السلام تسبّح بتسبيحة الزهراء عليها السلام ، ثم تقرأ دعاءً مذكوراً في كتب الأدعية) ، أخذ الشيخ الكعبي يقول بعد هذه الصلاة في حال السجود (٤١٠) مرّات (ياسيّدتي يا فاطمة أغيثيني) وهو يبكي بكاءً عالياً، ولما رفع رأسه من السجود وكانت عينه محمرّة من شدة البكاء قال لي : سوف يطلقون سراح الذين اعتقلوهم للتسفير ، والذين رموهم علىٰ الحدود العراقية ـ الايرانية سوف يعودون الىٰ بيوتهم . والعجيب أن في تلك الليلة أُعلن عن إطلاق سراح المعتقلين وعودة المبَعدين [1] .

٤٥٧ عندي لك رسالة

قبل وفاة المرجع الورع آية اللّه العظمىٰ السيد ميرزا مهدي الشيرازي في سنة (١٣٨٠هـ) بيومين أو ثلاثة أيام جائه الشيخ عبد الزهراء الكعبي وقال : سيّدنا عندي لك رسالة واني معتذر اليك ، فلقد رأيتُ البارحة في المنام الامام موسىٰ بن جعفر عليه السلام وقال لي : قل للسيد ميرزا مهدي انك قد أدّيت ما كان عليك من الخدمات الدينية ، والآن استعدّ للرّحيل !

يقول الشيخ الكعبي : ما أن أبلغتُ للسيد هذه الرسالة حتىٰ رأيته بكىٰ وقلّب كفّيه وأخذ ينظر اليهما ويقول : كيف أواجه ربّي ويدي خالية [2] .

هذا كلام واحد مِن أتقىٰ مراجع زمانه فكيف بنا أيها الغافلون ، ان مراجعنا هؤلاء قد درسوا في مدرسة أمير المؤمنين وسيد المتقين عليّ بن أبي طالب الذي كان في آناء الليل يبكي ويناجي اللّه تعالىٰ وهو يقول : آه آه من قلّة الزاد وبُعد الطريق ...

٤٥٨ الشيخ عبدالزّهراء الكعْبي

كان الشيخ عبدالزهراء الكعبي عجيباً في شخصيته الايمانية وقد امتاز عن غيره في صفات حسنة كثيرة . دعتْه شجاعته ان لا يتردّد في قول الحق ومعارضة البعثيين في العراق ورغم انهم سجنوه وعذبوه إلّا أنّه لم يتراجع عن مسيرته .

واخيراً سقاه أحد المدسوسين الخونة فنجان قهوة مسمومة قبل ارتقائه المنبر في صحن حرم العباس بن عليّ بن أبي طالب عليهما السلام وذلك في يوم استشهاد السيدة

---

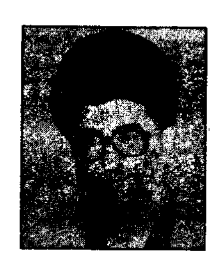
١ ـ نفس المصدر / ص ٢٣٤.

٢ ـ نفس المصدر / ص ٢٣٤.

فاطمة الزهراء عليها السلام ، فما أن بدأ خطبته على المنبر حتىٰ استولىٰ عليه الضعف فأنهىٰ خطابه بسرعة وطلب ماءً ولكنه فارق الحياة قبل ان تصل الىٰ شفتيه قطرة منه ، فاقتدىٰ بذلك بشهداء الطفّ الذين قُتِلوا في سبيل اللّه مع سيدهم العطشان الحسين عليه السلام.

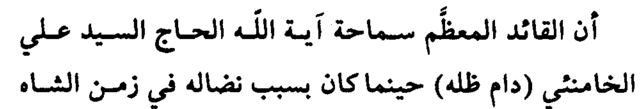
والغريب جدّاً أن الشيخ عبد الزهراء ولد سنة (١٣٣٩) الهجرية يوم ميلاد السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام فسمّاه أبواه بـ(عبد الزهراء) ، واستشهد ايضاً سنة (١٣٩٣) في يوم شهادة السيدة فاطمة الزهراء . وبين هذه الولادة والشهادة كان عالماً للدين وخادماً للمنبر الحسيني وموالياً لفاطمة الزهراء بنت خير الانبياء محمد بن عبد اللّه صلى الله عليه وآله [1] .

٤٥٩ مُبْعَدٌ ذو همّة عالية



السيد علي الخامنئي

ذكر سماحة الشيخ قراءتي في محاضرته من خلال تلفزيون الجمهورية الاسلامية في الخامس من شهر جمادىٰ الثانية (١٤١٧هـ) :



أن القائد المعظَّم سماحة آية اللّه الحاج السيد علي الخامنئي (دام ظله) حينما كان بسبب نضاله في زمن الشاه مبعَداً الىٰ مدينة (ايرانشهر) جرىٰ سيل كبير هناك فدمّر بيوت العديد من الناس وأكثر من تضرّر هم الفقراء ، فلم تسعف الحكومة الشاهنشاهية أهالي المدينة ، فأجرىٰ السيد المبعد والغريب بينهم اتصالاته السريعة بكبار العلماء في قم ومشهد المقدستين واتصل هاتفياً بآية اللّه الحاج الشيخ صدوقي في مدينة يزد ، ولم تمض ساعات حتىٰ اتجهت قوافل المساعدات الانسانية الىٰ أهالي ايرانشهر ، فوجدت الحكومة نفسها في موقف حرج ، كيف ان هذا السيد (المعارض السياسي) المُبعَد استطاع بهمته العالية أن يجلب المساعدات ويفكر في الناس هكذا ، بينما الحكومة لم تقم بدورها المطلوب. وهنا أمر الشاه جمعية الهلال الأحمر بأن تتحرك لإبقاء ما تبقّىٰ من ماء الوجه ، ولم تكن مساعداتها شيء يُذكَر إزاء مساعدات العلماء والمراكز الدينية للشعب المسلم بإشراف سماحة السيد الخامنئي (حفظه اللّه).

---

١ ـ نفس المصدر / ص ٢٣٥ .

٤٦٠ عالِمٌ مِن أفغانستان

عاد آية الله الحاج السيد محمد سعيد الواعظ الىٰ وطنه افغانستان بعد أن درس العلوم الاسلامية في حوزة النجف الاشرف وتلمّذ عند المرجع الأعلىٰ آية الله العظمىٰ السيد أبي القاسم الخوئي ﷺ ، وقد التف حوله الناس في (كابل) عاصمة افغانستان وكانوا يتجمهرون بالآلاف في الحسينية التي كان السيد الواعظ يلقي فيها خطابه ويرشد المسلمين الىٰ تعاليم دينهم . فذات مرّة كان حشد الناس عظيماً الىٰ درجة لم تسعهم الحسينية فازدحمت الشوارع المحيطة بها ، واذا بموكب الملك داوود خان الذي عُرف بظلمه واضطهاده للمسلمين الشيعة خاصة ، فسأل عن سبب هذه الحشود المجتمعة ؟ قيل له : ان السيد محمد سرور الواعظ يرتقي المنبر ويعظ الناس هنا .

فاستثار هذا الأمر دفين حقده الأموي فأخذ يمهّد الاسباب لاعتقال السيد .. وهكذا ألقىٰ عليه القبض في تلك السنة (١٣٤٠) الهجرية فأودعوه سجن (غزني) لمدة ثلاث سنوات ، ومع سقوط داوود ومجيء ظاهر شاه الىٰ السلطة اطلق سراح العديد من السجناء بما فيهم هذا السيد المظلوم . ولقد نشط السيد في السجن ولم يدع فرصة تفوته هباءً ، حتىٰ كان يدرّس بعض علماء السنة كتبهم الفقهية ، لأنه كان مطّلعاً علىٰ فقه السنة أيضاً ، وهذا يعني ان الملك داوود كان ظلمه يشمل المسلمين السنة كذلك. وماعدا ذلك لقد ألّف السيد محمد في السجن كتاباً في الاخلاق ضمّ إليه خواطره .

وبعد خروجه من السجن ـ مع زميله العلامة السيد اسماعيل البلخي ـ واصل السيد نشاطه الاسلامي في جميع أبعاده الممكنة ، وقد أسس المدرسة المحمّدية في كابل وهي بناء ضخم في طابقين مع (٣٢) حجرة لسكن طلبة العلوم الدينية وفيها صالات ثلاث للمحاضرات والقاء الدروس تَسَعُ خمسة آلاف طالباً وطالبة ، مع مسجد كبير جداً يسع الفي مصلٍّ ، وأخذ يصدر مجلة اسلامية شهرية اسمها (برهان) ، فما وصلتْ الىٰ العدد الحادي عشر حتىٰ حدث الانقلاب الشيوعي فمنعوا اصدارها كما أوقفوا جميع الانشطة الاسلامية في أفغانستان ، فاجتمع العلماء وأعلنوا معارضتهم لهذه الاجراءات الظالمة ، وتمثّل ردّ الحكومة الشيوعية في اعتقالهم بما فيهم آية الله المجاهد السيد محمد سعيد الواعظ . فخرجت الناس معترضة علىٰ الدولة ومطالبة بالافراج عن العلماء، فاضطرت

الدولة الىٰ ان تطلق سراح هذا السيد ولكن منعته من أيّ أنشطة دينية ، فكان السيد يعيش فترة تحت الاقامة الجبرية ممنوع اللقاء مع الناس ، وبعد ذلك لما اشتدت معارضة الناس واندفعوا نحو خنادق الجهاد نقلتْ الحكومة الشيوعية كبار العلماء والشخصيات المعتقلين الىٰ موسكو ولم يُعرف الىٰ الآن مصيرهم ومصير هذا السيد ، ورغم إعلان (حفيظ اللّه أمين) رئيس الجمهورية وعميل الروس أن المعتقلين السياسيين ماتوا جميعاً فإن المؤمنين لم يفقدوا الأمل في عودة الابطال الىٰ أحضان الجماهير المجاهدة في أفغانستان، وهكذا عادوا وكان السيد واحداً منهم ولكنه لم يترك اصراره علىٰ تحمّل المسؤولية ، فقد دخل هذه المرة الكفاح المسلّح ضد الشيوعيين العملاء وشارك بنفسه في معارك باسلة حتىٰ استشهد في احدها وتقطّع جسمه إرباً إرباً كجدّه الامام الحسين سيد الشهداء عليه السلام وكان عمره يومئذ خمساً وأربعين سنة ، وكانت ولادته سنة (١٢٩٥) من الهجرة [١].

٤٦١ شابٌّ وتفّاحةٌ حلال !

جاء الىٰ القناة يملأ قربته ماءً فرأىٰ تفاحة تجري علىٰ الماء ، فلقفها وأكلها ، ولكنه وقف فجأة يفكر : كيف أكل التفاحة ولم يعرف صاحبها ليستأذن منه ، أخذ يعاتب ضميره علىٰ هذا التصرّف الذي لا ينبغي صدوره من متديّن ورع يحاسب نفسه كيلا يتورط في غمط حقوق الناس قدر أنملة . لذا فكّر أن يمشي باتجاه معاكس لجريان الماء لعله يصل الىٰ صاحب التفاحة فيسترضيه علىٰ أكله لها . مشىٰ مسافة حتىٰ وصل الىٰ مزرعة التفاح ، فلقي صاحب المزرعة وكان عليه سيماء الصالحين ، فقال له : ان تفاحة كانت تجري علىٰ الماء في القناة فلقفتها وأكلتها ، أرجوك أن ترضىٰ عنّي !

أجابه الرجل : كلّا ، لن أرضىٰ عنك !

قال : أعطيك ثمنها .

قال : لا أقبل .

وبعد الإصرار والإلحاح الشديدين وافق صاحب المزرعة أن يرضىٰ عنه بشرط واحد !

قال الشاب : فما هو الشرط ؟

---

١ ـ نفس المصدر / ص ٣٥٣ ـ ٣٦١.

أجاب الرجل : عندي ابنة عمياء ، صمّاء ، خرساء ، مشلولة الأرجل ، اذا وافقتَ أن تتزوجها أرضىٰ عنك والا فلا !

فلما رأىٰ الشاب انه لا سبيل الىٰ جلب رضاه الا بموافقته علىٰ هذا الشرط الصعب دعاه ورعه وايمانه الىٰ الموافقة ، ولعله حين رضوخه تلا في قلبه الآية : ﴿الّذينَ إذا أصابتْهم مُصيبة قالوا إنّا للّه وإنّا إليه راجِعون﴾!

وأخيراً قرأوا خطبة العقد فدخل الشاب الورع غرفة الزفاف ولكنه فوجىء بعروس ذات قامة ممشوقة وهي في غاية الجمال ، انها مواصفات نقيضة للمواصفات التي ذكرها له أبوها (صاحب المزرعة) !

فخرج مسرعاً (خشية حدوث خطأ في الزواج فيتورط في مشكلة شرعية كبيرة) واذا بالرجل ينتظره مبتسماً . قال : خيراً الىٰ أين ؟ قال الشاب : ان البنت التي ذكرت لي وصفها ليست هذه العروس ؟!

أجابه الرجل : انها هي ! لأني حينما وجدتك جاداً في جلب رضاي لأكلك تفاحة خرجت عن حيازتي وسقطت علىٰ الماء جارية نحو مسافة ، فعلمت انك الشاب الذي كنت أنتظره منذ أمد لأزوجه ابنتي الصالحة هذه . ولقد قلت لك : انها عمياء خرساء فلأنها لم تنظر ولم تُكلِّم رجلاً أجنبياً قطّ ! وقلت : انها مشلولة فلأنها لم تخرج من المنزل وتدور في الطرق . وإنها صمّاء فلأنها لا تسمع الىٰ غيبة أو غناء ، أليست هذه الفتاة المؤمنة يستحقها شاب مثلك يبحث عن حلال خالص وهو مستعد من اجل الحلال أن يقبل بشرط صعب جدّاً في الزواج .

نعم وكانت من ثمار هذا الزواج المبارك ولادة إنسان اشتُهر في ورعه وتقواه وقربه الىٰ اللّه وحبه للنبي محمّد ﷺ ومودّته العميقة لأهل البيت عليهم السلام حيث عرف عنه لقاؤه مع الامام الحجة مراراً وتكراراً ، انه المقدّس الجليل الشيخ أحمد الأردبيلي (أعلىٰ اللّه مقامه) .

هكذا تصنع لقمة الحلال في الإنسان وتوفّقه للزواج الموفّق . وفيما بعد لما سُئلتْ أم الشيخ: كيف أصبح ولدك بهذا المقام الرفيع ؟ أجابت : اني لم آكل في حياتي لقمة مشبوهة ، وقبل ارضاع طفلي كنت دائماً اسبغ الوضوء ، ولم أنظر الىٰ رجل أجنبي قط ،

وسعيت في تربية طفلي الى أن أراعي النظافة والطهارة وان يصاحب الأولاد الصالحين[1].

٤٦٢ جيّدة أمْ غيرُ جيّدة ؟!

أخبرني استاذي سماحة آية الله السيد أحمد المددي (دام ظله) نقلاً عن المرحوم آية الله الحاج الشيخ مرتضىٰ الحائري (نجل مؤسس حوزة قم المقدسة المرجع الراحل الشيخ عبدالكريم الحائري) . انه كان جالساً بالقرب من آية الله العظمىٰ الحاج السيد حسين القمي ﷺ في المجلس الذي عُقد تكريماً لمقامه وتجليلاً لجهاده ومواقفه الشجاعة ضد والد الشاه حينما كان السيد عائداً من كربلاء الىٰ ايران بعد مضي سنوات طويلة علىٰ نفيه هناك . أتذكر ان الساحة بين حرم السيدة معصومة عليها السلام ومقبرة الشيخان المقابلة لمدرسة الفيضية كانت مفروشة وكبار علماء الحوزة كانوا محيطين بالسيد فيأتي الناس والطلبة صفوفاً متتابعة لتقبيل أنامله الشريفة ، في الأثناء سلّمه أحدهم رسالة وكان فيها طلباً للاستخارة ، فلما فتح السيد القمي القرآن الكريم أخذ يمعن النظر في الآية ولكنه لم يركن فهمه الىٰ ما يطمئن اليه في ذلك الازدحام فسأل عنها العالم الذي علىٰ يمينه ، فنظر فيها وقال انها جيدة . ثم سأل العالم الذي علىٰ يساره احتراماً له ، فنظر فيها وقال انها غير جيدة ! هنا أخذ السيد القمي قلماً وكتب في الرسالة ما ينبؤك عن صفاء نفسه ولطافة روحه وإخلاصه للقرآن وأحبّائه ، كتب :

«لقد سألت اللّذيْن عن يميني وعن يساري ، فقال أحدهما أنها جيدة ، وقال الآخر أنها غير جيدة ، وأما أنا فلا أدري أهي جيدة أم غير جيدة» !

أوَ رأيت كيف تغلّب علىٰ هواه وهو في موقع قد يبرِّر غيره لو كان فيه أنه لا يليق به القول بـ(لا أدري)[2]!

٤٦٣ حبّذا قلتَها من البداية !

قال آية الله العظمىٰ السيد محمد الشيرازي (حفظه الله) : نقل ابن عمي المرحوم ميرزا أبو القاسم الشيرازي : انه ذات يوم من أيام الربيع حيث يخرج أهالي سامرّاء الىٰ

---

١ ـ بالفارسية (از أزل تا قيامت) ص٨٤ تأليف محمد جواد مصطفوي (بتصرّف) .

٢ ـ يراجع أيضاً قصة رقم ١٧٩ عن مقام هذا المرجع التقي .

اطراف المدينة للتنزّه في الحدائق والجلوس بين الاشجار والورود الجميلة، قلت لوالدكم المرحوم ميرزا مهدي الشيرازي تعال معنا نخرج الىٰ تلك الحدائق للاستراحة .

فقال : أنا مشغول بالدرس والبحث .

وبعد أيام جئته يوم جمعة وقلتُ : اليوم ليس عندك درس ولا بحث تعال لنذهب .

فقال : أريد أن أقرأ وأطالع .

قلتُ : يمكنك القراءة فيالحديقة عند الاشجار والورود .

قال : أريد أن اقرأ القرآن الكريم واحفظ منه آيات .

قلتُ : تستطيع ان تقوم بحفظ الآيات هناك ايضاً .

قال : ولكنني في عصر هذا اليوم أريد أن أذهب الىٰ السرداب المقدّس لأزور الامام المهدي (عجّل اللّه فرجه) .

فلما رأيته هكذا يتهرّب قلتُ له بشيء من الجفاء: حبّذا قلت لي من البداية (أنا لاآتي)! فابتسم لي السيد وانصرف الىٰ ما كان يراه أهمّ من الخروج الىٰ الحدائق . [1]

٤٦٤ مَن زارها وجبتْ له الجنّة

في سياق حديثه حول الآية الشريفة ﴿وأنْ ليس للإنسان إلاّ ما سعىٰ وأنّ سعيَه سوف يُرىٰ ثُمّ يُجْزاه الجزاء الأوْفىٰ﴾[2] وان للعمل الصالح وكذلك العمل الفاسد جزاء في الدنيا وفي الاخرة معاً ، نقل آية اللّه العظمىٰ السيد محمد الشيرازي (دام ظله العالي): إن المرحوم آية اللّه العظمىٰ النجفي المرعشي كان يزورني مرة واحدة في كلّ سنة ، لأننا ذوا علاقة عائلية من الآباء منذ كنا في النجف الاشرف ، فقد كانت عنده قصص في غاية الظرافة ، وحينما كان يأتيني يذكر لي بعضها ، حتىٰ قلتُ له ذات مرة حبذا لو تكتبها لتُطبع.

فقال : لا وقت لديّ .

فقلت له : إذن احكها لأحد لتسجّل في شريط ، وغيرك ينقلها علىٰ ورق .

حقاً كان السيد النجفي المرعشي عالماً جامعاً ، فقد نقل لي قصة حول السيدة المعصومة بنت الامام موسىٰ بن جعفر الكاظم عليهما السلام ، والسيد المرعشي ثقة

---

١ ـ بالفارسية (يك صد داستان خواندني) / ص ١٩ .

٢ ـ سورة النجم / ٣٩ ـ ٤١ .

أمين، يعني لايحتمل كونه يقول كلاماً بعيداً عن الواقع ، كان المرحوم جالساً في غرفتي عندما نقل لي القصة التالية : انه قبل ستين عاماً تقريباً انهار الحرم الداخلي لمرقد السيدة المعصومة عليها السلام ولم يكن سكّان مدينة قم في ذلك الزمان اكثر من ثلاثين أو أربعين الفاً ولم تكن الحوزة العلمية قوية، لأنها قويتْ عند مجيء المرحوم آية الله العظمىٰ الشيخ عبد الكريم الحائري، وقبل ذلك كانت الحوزة ضعيفة ومدارسها مبعثرة . والحدث وقع في زمان الشيخ أو قبله (الترديد من الناقل) فتقرّر ان ينزل نفر من السادة الىٰ عمق سرداب الحرم ـ يعني تحت الارض عند مرقد السيدة المعصومة ـ ليتفحّصوا اسباب الانهيار حتىٰ يبدؤا في التعمير والترميم . وقد كنت انا واحداً من السادة الذين نزلنا الىٰ القبر ، فرأيتُ السيدة المعصومة مسجّاة علىٰ قطعة حجر مسطّحة ووجهها مكشوف باتجاه القبلة ، فنظرتُ اليها وكأنها ميتة قبل قليل بينما هي متوفاة قبل (١٣٠٠) عام تقريباً ، وكان كفنها نظيفاً وجديداً ، ويظهر من وجهها انها في العشرين من العمر ، ولون بشرتها أسمر يميل الىٰ البياض كلون أهل مدينة جدّها رسول الله ﷺ .

والعجيب الذي لم نقرءه في كتب التاريخ ان امرأتين سوداوين كانتا ايضاً مسجّاتين هناك ، واحدة خلف رأسها الشريف والثانية أمامها وكان يبدو انهما من إمائها وخَدَمها عليها السلام، وهما كذلك طريّتا الوجه وكفنهما لم يتغير لونه [1].

نعم تلك هي المرأة المؤمنة العاملة الصالحة التي ورد في زيارتها الحديث القائل : (مَن زارها وجبتْ له الجنّة) فسلام عليها وعلىٰ آبائها الطاهرين ومَن والاها الىٰ يوم الدين.

٤٦٥ (الحسينُ ؈) في مجاهل افريقيا

يقول آية الله العظمىٰ السيد محمّد الشّيرازي (دام ظلّه العالي) : جاءني أحد المؤمنين الافريقيين واسمه حاج جعفر شريف ديوجي وكان ثرياً محترماً ومعروفاً ..

قال : انني اذهب الىٰ بعض قرىٰ افريقيا كل عام ، واختار قرية ليس فيها رجل دين لأقرأ لهم مراثي عشرة المحرّم من دون مقابل . فذات مرة وصلتُ الىٰ قرية وسألتُ أهلها: هل عندكم عالم دين خطيب ؟ قالوا : لا . قلت : هل تقيمون عزاء للإمام الحسين؈ ؟ قالوا : نعم . قلت : هل تودّون اقرأ المراثي لكم هذه السنة ؟ قالوا : نعم تفضّل . فأخذوني الىٰ بيت

---

١ - محاضرة في شريط كاسيت .

كبير وكان السواد وأعلام العزاء معلقة فيه على الجدران .. تماماً كما هو عندنا نحن الشيعة في الاماكن الاخرىٰ .كنت عندهم يوماً قبل دخول شهر محرّم فلما حان وقت صلاة الظهر لم اسمع صوت الأذان ، فسألتهم : لماذا لا تؤذّنون للصلاة ؟ قالوا : ما معنىٰ الأذان ؟! قلت : الأذان هو اللّه أكبر و ... فسكتوا ولم يستوعبوا كلامي فسألتهم : اين المسجد هنا ؟ قالوا : ما معنىٰ المسجد . فسألت غيرهم ممّن كان هناك فلم يعرفوا المسجد ماذا يعني ! فسألت أحدهم : ما دين أهل هذه القرية ؟

قال : انهم وثنيّون !

قلت : كلهم ؟

قال : نعم .

قلت : ليس هنا دين الاسلام ؟

قال : فما هو الاسلام ، نحن اساساً لا ندري معنىٰ كلمة الاسلام .

فلما حان وقت ارتقائي المنبر .. رأيت جميع الشعائر الحسينية معظّمة وقائمة ما عدا قضية الحسين نفسها ! فقلت لهم : ايها السادة ، الامام الحسين دخل قريتكم هذه ، ولكن ربّ الامام الحسين وجدّه وأمّه وأخوه وأولاده وقرآنه لم يدخل قريتكم ، فنحن نعمل شيئاً ليتوسط لنا الامام الحسين كي تدخل هذه القضايا قريتكم ايضاً .

فأخذت أشرح لهم العقائد والمفاهيم الاسلامية حتىٰ آخر عشرة محرّم فتحوّل كلهم الىٰ دين الاسلام وأصبحوا من شيعة علي أمير المؤمنين عليه السلام .

٤٦٦ الطفل الرضيع يُبكي الامريكيين

نقل آية اللّه العظمىٰ السيد محمد الشيرازي (دام ظله العالي) قصة خطيب لم يذكر اسمه في محاضرته ولكنّي عبر مصدر مؤكّد علمتُ انه الخطيب البارع سماحة الشيخ عبد الحميد المهاجر (حفظه اللّه) ، والقصة كالتالي :

سافر الشيخ الىٰ أمريكا ، فقبل يوم من دخول شهر محرّم الحرام ذهب الىٰ محطة بثّ صوتي (الراديو) في تلك المدينة الامريكية وقال لمدير الاذاعة ان رجلاً من عظمائنا قتل مظلوماً قبل أكثر من الف سنة ، ولديّ عن تلك الواقعة التاريخية الفجيعة ثلاث عشرة

محاضرة باللغة الانجليزية ـ والشيخ يتقن هذه اللغة ـ هل يمكنكم بثّها ؟

قال مدير الاذاعة : نعم ولكن بشرطين ، الشرط الأوّل ان تأتي بأشرطة المحاضرات لتستمع اليها هيئة الادارة التي تقرّر بثّها أو عدمه . والشرط الثاني هو أن تدفع لبثّ كلّ محاضرة عشرة آلاف دولار مما يكون جمعها مائة وثلاثين ألف دولار لثلاث عشرة محاضرة.

فقال الشيخ : بالنسبة الىٰ الشرط الأول لا مانع لدي ، وأما الشرط الثاني فلابدّ لي من السؤال من اصدقائي هنا هل مستعدون لدفع هذا المبلغ أم لا ، لأنني شخصياً لا أملك شيئاً.

يقول الشيخ : اتصلت ببعض التجار المؤمنين في تلك الولاية الامريكية فقالوا ندفع هذا المبلغ بالاشتراك مع بعضنا بعضاً .

فذهب الشيخ الىٰ الاذاعة ليخبر المدير بالموافقة علىٰ دفع المبلغ وليتفق معه علىٰ إحضار اشرطة المحاضرات لبثها بالترتيب من أول ليلة محرّم ، وحمل معه شريطاً واحداً حول استشهاد الطفل الرضيع علي الاصغر بن الامام الحسين عليه السلام كنموذج يقدّمه إليهم. ولما رجع الشيخ في اليوم التالي ليسلّمه الشريط الثاني قال له مدير الاذاعة : نحن افراد هيئة القرار خمسون فرداً نستمع الىٰ أي صوت قبل بثّه ، ولقد استمعنا الىٰ محاضرتك الأولىٰ فأبكتنا كلّنا .

لذلك فإنّنا قرّرنا بثّ هذه المحاضرة ، إنها مفيدة لمجتمعنا الامريكي ، ولا نريد منكم المائة والثلاثين الف دولار ، بل نستسمح منك لأننا اتصلنا بستّ وأربعين مدينة أخرىٰ وأخبرناهم بمحتوىٰ محاضرتك فقالوا لا مانع لديهم ان يربطوا اذاعاتهم بساعة بثّ محاضرتك من هنا ليسمعها الناس في جميع مدن هذه الولاية في وقت واحد .

قال الشيخ : بالطبع لا مانع لديّ .

وهكذا بثّت الاذاعات كلها تلك المحاضرات باللغة الانجليزية عن واقعة كربلاء الحزينة خلال ثلاث عشرة ليلة متواصلة ، وكان الناس المسيحيون في هذه المدن يستمعون الىٰ تلك المحاضرات ويتابعونها بشوق . فهذه قدرة الحسين التي صاغها اللّه تعالىٰ بشكل يتأثر بها كلّ انسان .

٤٦٧ مواصفاتُ المرجع المطلوب

نقل الخطيب سماحة الشيخ أحمد معرفت : ان المجدّد الشيرازي الكبير ـ قائد ثورة التبغ في ايران سنة (١٨٩١م) والذي بإفتائه تحريم التبغ قطع الطريق علىٰ الاستعمار البريطاني في السيطرة الاقتصادية علىٰ ايران وفرض التبعية السياسية علىٰ حكومة ناصر الدين شاه القاجاري ـ سألوه ذات مرّة عن شروط المرجعية ومواصفات المجتهد الذي ينبغي تقليده من قبل الناس واتباع نهجه وأوامره ؟

فقال : ان للمرجعية مائة شرط وصفة ، أولها العلم ، والثانية التقوىٰ ، والبقية فنّ الادارة لشؤون المجتمع ومداراة الناس والنظر في حوائجهم وفق مقتضيات العصر الذي يعيشونه.

٤٦٨ لا تفوتُك هذه القصّة

نقل فضيلة الشيخ أحمد معرفت (حفظه اللّه) : ان أشخاصاً جاءوا إلىٰ المرجع الأعلىٰ المرحوم آية اللّه العظمىٰ السيد ابي الحسن الاصفهاني وطلبوا منه ان يسحب وكالته من أحد العلماء الذي قالوا عنه للسيد الاصفهاني بأنه لايستحق هذه الثقة والاعتماد والوكالة المرجعية !

استمع السيد الاصفهاني للشكوىٰ والطلب ولكنه لم يتفوّه لهم بكلمة حتىٰ انفضّ المجلس ، ثم جاءوا في اليوم التالي وأعادوا الكلام الىٰ السيد ، وكذلك لم يعطهم السيد الاصفهاني كلاماً. وفي اليوم الثالث حضروا عنده وكرّروا قولهم بإلحاح ، فقال السيد : لقد تأمّلتُ في الموضوع كثيراً ولكني رأيتُ ان هذا العالم كان قبل وكالتي يستميل قلوب نصف الناس ، وبوكالتي اصبح يستميل قلوب كلّ الناس ، فأنا اذن أعطيته النصف لا أكثر ، والآن إن سحبتُ ثقتي منه والغيت وكالتي فسوف تسقط مكانته بين الناس كاملة حتىٰ النصف الذي يخصه ، وهذا ظلم لحقّه وتجاوزٌ عليه ، اذ لا يمكن اللّعب بسمعة الناس والاعتداء علىٰ مكانتهم .

٤٦٩ صَعَدَ لخماً ونَزَلَ فخماً

بعد قيامه بانقلاب عسكري في العراق جاء عبد السلام عارف رئيس الجمهورية الىٰ كربلاء ليلتقي بالمرجع الكبير آية اللّه العظمىٰ السيد محسن الحكيم ﷺ الاّ انّ السيد

الحكيم رفض اللقاء به ما لم يعلن في الاذاعة عن الغائه القوانين الاشتراكية ومحاربته الصريحة للدين. ولكنه أصرّ علىٰ عدم الغاء ذلك ، فأصرّ الامام الحكيم علىٰ عدم اللقاء به. وقيل انه جاء الىٰ البصرة منطقة (القرنة) التي وقف فيها علي أمير المؤمنين عليه السلام بعد معركة الجمل وقال لبعض الجبناء والخونة: (ياأشباه الرجال ولا رجال) فوقف عبدالسلام عارف هناك مستهزئاً وخاطب المصفّقين له : اذا قال لكم علي « يا أشباه الرجال ولا رجال» فإنا اقول لكم : انتم رجال ونعم الرجال ! وكانت بعض العشائر حاضرة فأدركوا مغزىٰ كلام الرئيس المتفرعن فهتفوا في وجهه : « ماكو وليّ إلاّ عليّ » - أي لا وليّ إلاّ علي - ولم يمض الاّ شهر واحد حتىٰ انفجرتْ طائرة عبد السلام عارف في الجوّ وانتهىٰ أمره الىٰ جهنّم وبئس المصير ، وكان المسلمون في العراق يقولون عنه : صعد لحماً ونزل فحماً !

وكان من قبله عبدالكريم قاسم الذي جاء الىٰ كربلاء وطلب اللقاء بالامام الحكيم والمرجع الورع الميرزا مهدي الشيرازي ، وقد اشترطا عليه أولاً ان يلغي القوانين المخالفة للشريعة الاسلامية ويعلن انحلال الحزب الشيوعي في العراق . ولكنه لم يمتثل لأمرهما فلم يتحقق اللقاء ايضاً . ولم تمض الاّ ستة أشهر حتىٰ سقط عبد الكريم قاسم بانقلاب عسكري قام به البعثيون عليه [1].

٤٧٠ خطأٌ غير مقصود

كنتُ مع أحد العلماء وشخص آخر في زيارة لأحد المؤمنين الذي جاء بأكواب الشاي وقدّمها لكل واحد منا ، فأخذتُ كوباً ثم قدّم الىٰ الذي جانبي ولكنه لم يأخذ لعدم رغبته في الشاي أصلاً ، وبعده جاء الىٰ الشخص الثالث فمدّ الرجل يده الىٰ كوب الشاي وهو يقول : « لا يردّ الكريم الاّ اللئيم » ! من دون أن يقصد شيئاً من هذه الكلمة، لأن العالم الذي لم يأخذ الشاي قبله هو من أحبّ اصدقائه ، فقال له العالم متغاضياً عن هذا السهو : حاشاك اللّوم ياأخي !

فضحك صاحب البيت وضحكنا جميعاً ، متجاوزين عن الخطأ غير المقصود لهذا الشخص .

أقول تذكرتُ قصة مشابهة نقلها لي أحد المؤمنين الافريقيين في مدينة (مومباسا) في كينيا ونحن علىٰ مائدة الافطار في شهر رمضان المبارك سنة (١٤٠٣) ، قال الحاج وهو

---

١ - (بالفارسية) يك صد داستان خواندني ص ٢٣ - ٢٤.

من التجّار لقد اجتمعتُ بتاجر ايراني في بيت تاجر كويتي بمنزل هذا الاخير في الكويت من أجل بحث سبل التبادل التجاري بيننا .. ولما احضر صاحب البيت الطعام وأخذنا نأكل لاحظتُ التاجر الايراني قد انهىٰ أكل ما كان في صحنه من الرزّ ، فناولته الصحن الكبير ليأخذ منه كمية أخرىٰ وأنا أقول له باللغة الفارسية ما ترجمته :

« كُلْ إنّك لا تستحي »! . وانا أقصد « كل ولا تستحي » .

ولكنه ثارت حمّيته علىٰ المائدة وقام غاضباً ولم يقبل اعتذاري قط ، فكلما كان صاحب البيت يوضّح له بأنني لا أعرف من اللغة الفارسية الآكلمات بسيطة وأنا أريد بها الممارسة لتعلّم المزيد واتقان الكلمات ولا أقصد الإهانة ، إلا أنّ التاجر الايراني غلبه الغيظ واحتسب ذلك اهانة لا تُغتَفر ، فانتهىٰ ما كنا اجتمعنا لأجله .

٤٧١ صفعةُ باطلٍ وصفعةُ حقّ

قال أحد كبار علماء قم المقدسة : انه بسبب القوانين الجائرة في زمن رضا شاه (أبي الشاه) والتي منها اجبار النساء المسلمات علىٰ نزع الحجاب لم يسافر الىٰ طهران مدّة (١٢) سنة ، وبعد هذه الفترة طرأ له أمر هام في طهران فسافر اليها ، وصادف ان رأىٰ افراد الشرطة في الشوارع كيف يجابهون بشدّة كلّ امرأة متحجّبة ، فينزعون العباءة والحجاب منها بقوّة . وبينما كنتُ أمشي في شارع من شوارع طهران رأيت امرأة متحجبة، وما أن رآها ضابط كان واقفاً هناك حتىٰ هاجمها بشراسة وأخذ يصفعها ويجرّ الحجاب من رأسها. وفي هذا الاثناء رأيتُ عربة وقفت ونزل منها آية اللّه المجاهد المرحوم السيد أبو القاسم الكاشاني وتوجّه نحو الضابط فصفعه بقوّة من الخلف فجفل الضابط واخذ يرتعش أمام السيد الكاشاني الذي راح يركب العربة ويواصل طريقه ، وكان الضابط مدهوشاً لم يُحِرْ جواباً[1].

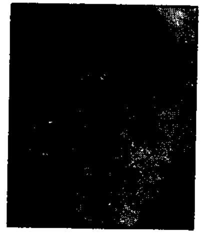
٤٧٢ يا مهدي ابقِ مُستيْقظاً

نقل المرحوم آية اللّه العظمىٰ الميرزا مهدي الشيرازي : انه لما كنتُ صغيراً كانت أمي حينما تجلس في منتصف الليل للصلاة والتهجد للّه تعالىٰ توقظني وتأخذ بيدي من سطح المنزل حتىٰ أكاد اسقط من فوق السُلّم بسبب النعاس وغلبة النوم ، فتقعدني عندها وهي

١ ـ نفس المصدر / ص ٢٦ .

تقوم تصلي صلاة الليل ، وكلما تنتهي من صلاة تلتفت اليّ وتقول : يامهدي ابقِ مستيقظاً[١].

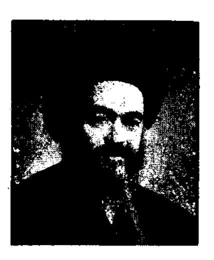
٤٧٣ هُوَ أبيه ، هُوَ أستاذُه ومُربّيه



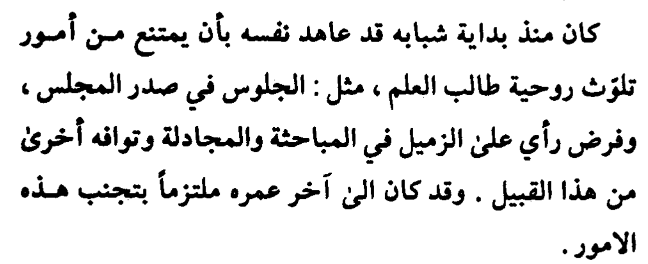
الميرزا مهدي الشيرازي

يصف المرجع الديني السيد محمد الشيرازي والده واستاذه الذي ربّاه قائلاً :

كان أبي المرحوم آية اللّه الحاج ميرزا مهدي الشيرازي يحثّني علىٰ المطالعة والاهتمام بالدروس ويقول : لقد كنتُ في ايام دراستي أنام ساعتين فقط ، وبسبب عدم وجود الكهرباء كنتُ احفظ القرآن الكريم بضوء القمر ، وفي النهار اشتغل بالدرس والبحث .



السيد محمد الشيرازي



كان منذ بداية شبابه قد عاهد نفسه بأن يمتنع من أمور تلوّث روحية طالب العلم ، مثل : الجلوس في صدر المجلس ، وفرض رأي علىٰ الزميل في المباحثة والمجادلة وتوافه أخرىٰ من هذا القبيل . وقد كان الىٰ آخر عمره ملتزماً بتجنب هذه الامور .

ففي سفرتنا التي جئنا من النجف الاشرف الىٰ كربلاء نفد وقود سيارتنا قرب منطقة النخيلة فتوقفنا هناك ، فنزل والدي من السيارة وأخذ يتلو القرآن ، لأنه كان حافظاً للقرآن كله يقرأ منه كلّ ليلة حتىٰ طلوع الفجر . فأسأله : كم من القرآن قرأتَ ؟

كان يقول : ثمانية اجزاء .

لم يكن والدي ينام بين الطلوعين أبداً ، بل يقرأ جزءاً من القرآن والأدعية حتىٰ طلوع الشمس .

ومن سلوكه انه كان في أيام ازدياد عدد الزوّار القادمين الىٰ كربلاء ينقل صلاة جماعته من الصحن الحسيني الىٰ مسجد أو حسينية ويقول : لا أحبّ ان ازاحم زوّار الحسين عليه السلام.

وكانت إحدىٰ اهتمامات أبي علاقته الشديدة بالامام صاحب الزمان (عجّل اللّه فرجه)، ففي عصر كلّ جمعة يصعد سطح المنزل أو أي مكان لا يراه أحد فيشتغل بذكر

---

١ ـ نفس المصدر / ص ٣٠.

الامام والتوسل اليه ، وكان يغضّ الطرف عن كلّ أمر فيه أذىٰ الناس ، فقد هجاه شخص في رسالة كتبها اليه ، فتأثر والدي ولم يقل غير « لا حول ولا قوّة الاّ باللّه » ، ثم استغفر له [١] .

هذا ولقد درس الابن عند أبيه ونال درجة الاجتهاد بشهادته وخط يده الشريفة وفي نظري أن مثلهما كمثل الفاضليْن المحقق والعلامة الحلّيين، حيث فاز الابن المحقق بدرجة الاجتهاد في السنة العاشرة من عمره ، وكان والده العلامة الحلّي يعظّمه ويثني عليه[٢]

٤٧٤ ترغيبٌ في مساعدةِ الفقراء

بعد ارتحال آية اللّه العظمىٰ السيد ميرزا مهدي الشيرازي الىٰ جوار اللّه الكريم رآه أحد المؤمنين في المنام وسأله ما العمل الذي نفعك كثيراً في ثواب الآخرة ؟

فقال المرحوم : صدقاتي للفقراء الذين كانوا يطرقون باب منزلي ويرضون بأبسط المساعدة .

وهذا ترغيب منه ؛ لدفع الناس باتجاه الخير وإعطاء الصدقات ومساعدة الفقراء في المجتمع [٣] . قال اللّه تعالىٰ : ﴿وأحسِنْ كما أحسَنَ اللهُ إليك﴾[٤].

٤٧٥ أراكَ أجْدَرَ منّي

بعد أن أسنّ المرجع الكبير وحيد البهبهاني ؛ ـ المتوفىٰ سنة ١٢٠٨ هـ في كربلاء فوّض المرجعية بنفسه الىٰ آية اللّه العظمىٰ السيد مهدي بحر العلوم وقال له : بسبب شيخوختي وكبر عمري أرىٰ نفسي غير قادر للقيام بدور المرجعية وادارة شؤون الأمة الاسلامية والحوزة العلمية ، لذلك أراك أقدر مني وأجدر بهذا الدور [٥].

نعم .. ذلك من اخلاق الذين تجرّدوا للّه وللحق وللمبادىء الاسلامية عن مصالحهم الذاتية ، فرحم اللّه أولئك الصالحين المخلصين وكثّر اللّه أمثالهم في كلّ جيل وصدق الشاعر:

وإذا كانت النفوس كباراً ... تعبتْ في مرادها الأجسامُ

---

١ ـ نفس المصدر / ص ٣٢.

٢ - راجع روضات الجنات / ج ٦ ص ٣٣٠ والكنىٰ والالقاب / ج ٢ ـ ص ١٦ .

٣ ـ بالفارسية (يک صد داستان خواندني) / ص ٣٧.

٤- سورة القصص / ٧٨.

٥ ـ بالفارسية (يك صد داستان خواندني) ص ٥٠ .

٤٧٦ علاقةُ النّاس بالعلماء


الشيخ جعفر الشوشتري يخطب في الناس

حينما ورد الشيخ جعفر الشوشتري ايران قادماً من العراق، خرج الناس في طهران لاستقباله وكان معروفاً بأنّه عالم تقي ورع زاهد متفانٍ في ذات اللّه تعالىٰ . وكان من بين المستقبلين سفير الروس ايضاً حيث كانت الروس تستطلع الأمور الداخلية لإيران من أجل الهيمنة عليها والوصول الىٰ مياه الخليج الدافئة . اجتمع الناس حول الشيخ وطلبوا منه ان يقدّم لهم موعظة ، فرفع الشيخ رأسه ولم يقل غير جملة واحدة : « ايها الناس اعلموا ان اللّه تعالىٰ حاضر في كلّ مكان وشاهد علىٰ كلّ شيء » .

فتفاعلتْ نفوس الحاضرين بهذه الكلمات القليلة تفاعلاً عجيباً حتىٰ ارتفع صوتهم بالبكاء.

بذلك انتهىٰ الاستقبال وعاد السفير الروسي الىٰ سفارته فكتب الىٰ قيصر الروس (نيكولاي) : مادام هؤلاء العلماء بين الناس ، وهكذا يحفّ الناس بهم ويتأثرون بكلماتهم ، فإننا لا نستطيع ان نتقدّم نحو أهدافنا خطوة واحدة ، لأن الكلمات العادية التي تصدر منهم هكذا يتفاعل معها الناس ، فكيف اذا صدرت عنهم أوامر وفتاوىٰ ؟! [١]

٤٧٧ أهميّةُ الموعظة

خرج المرجع الكبير الشيخ مرتضىٰ الانصاري ﵀ من حرم الامام الحسين ﵇ يحوط به تلامذته من العلماء وأساتذة حوزة كربلاء المقدسة .. فقال لهم : لنذهب الىٰ الاستماع لمواعظ الشيخ جعفر الشوشتري ونستفيد من سماحته ، فإن قلوبنا مالتْ الىٰ القساوة [٢].

وكان الشيخ مرتضىٰ الانصاري يريد بذلك ان يعلّم تلامذته الرغبة في مجالس الوعظ ويقول لهم ان العالم ليس بعلمه انما بالتربية الروحية المداومة أيضاً .

---

١ ـ نفس المصدر / ص ٥٢ .

٢ ـ نفس المصدر / ص ٥٥ .

٤٧٨ حرارةٌ مرتفعة

جاء شاب الى الشيخ محمد تقي الشيرازي ـ قائد ثورة العشرين في العراق سنة ١٩٢٠م ـ فسبّ الشيخ وشتمه كثيراً . ولم يسمع من هذا العالم العظيم ذي المقام الشامخ أيّ كلمة مماثلة أو ردّ فعل عنيف .

ولما خرج الرجل بعث اليه الشيخ الى منزله كمّية من (الرقّي) وهو من الفواكه ذات الطبع البارد .

فسأله أحد الحاضرين عن سبب ذلك ؟

فأجاب الشيخ: ان حرارة هذا الشاب مرتفعة جدّاً، وأكل الرقّي تخفض الحرارة عنده![1]

٤٧٩ وهكذا خَجِلَ المُسيء

التقى المرجع الكبير آية الله الآخوند الخراساني (طاب ثراه) في الطريق مع رجل يبغضه وكان الرجل حاملاً طفله معه ، فوقف الشيخ الخراساني وسلّم عليه وسأل عن صحّته وأحواله . الاّ انّ الرجل لم يرحّب بالشيخ وكان يردّ على تحيّته وأسئلته ببرود ..

هنا أخذ الشيخ يد الطفل وصافحه وابتسم معه ثم ودّع الرجل ومشى . بعد خطوات انتبه الرجل واذا في يد طفله سبع ليرات ذهبية ، تبيّن ان الشيخ الخراساني وضعها في يده ، فخجل الرجل من تصرّفه السّيء مع الشيخ [2].

٤٨٠ الحِنكةُ مِن أهمّ الصّفات

الحنكة والذكاء ورجحان العقل ، أمور يتصف بها بعض ولا يتصف بها بعض آخر من الناس والعلماء على السواء .

عندما أحبط المجدّد الشيرازي الكبير بفتواه الشهيرة في تحريم التبغ جميع المخططات البريطانية في ايران ، تحرّكت سفارة بريطانيا وجواسيسها لإبطال مفعول هذه الفتوى بشتى الاساليب السرية والعلنية . فمن تلك الاساليب الحصول على فتوى حلّية التبغ من مجتهد آخر لمواجهة فتوى الشيرازي ، وبذلك تُرمى الكرة في مرمى العلماء فيتشاغلون بالصراعات

---

١ ـ نفس المصدر / ٦٣.   ٢ ـ نفس المصدر / ص ٦٤.

الداخلية وتأخذ معاهدة الاستعمار البريطاني دربها التنفيذي مع حكومة ناصر الدين القاجاري.

من هنا حرّكت سفارة الانجليز في بغداد عدّة من (الغشمة) ذوي المظاهر الدينية للذهاب الىٰ المجتهد الكبير الشيخ زين العابدين المازندراني ﷺ لمحاولة الحصول علىٰ فتوىٰ منه بحلّيّة التبغ وجواز المتاجرة به وما أشبه .

دخل عليه هؤلاء المغفّلون (المتديّنون) وكان مجلسه مكتظّاً بالناس والعلماء ، فسأله أحدهم : ما رأيك في الحديث القائل : (حلال محمد حلال الىٰ يوم القيامة وحرامه حرام الىٰ يوم القيامة) ؟

أجاب الشيخ : انه حديث صحيح وموثوق تماماً .

فقال السائل : هل كان التبغ قبل ان يحرّمه الميرزا الشيرازي حلالاً أم حراماً ؟

هنا فطن الشيخ المازندراني اللعبة القذرة للسائل ، فقال له : كان قبل ذلك حلالاً .

فقال السائل : إذن بمقتضىٰ هذا الحديث يكون التبغ حلالاً ولا يُحرَّم اليوم بفتوىٰ الميرزا !

فردّ عليه الشيخ المازندراني : كلاّ .. ان التبغ اليوم حرام ، وحرمته لا تنافي حليته السابقة لأن الاشياء احياناً تأخذ عنوانين اثنين ، يسمّىٰ أحدهما بالعنوان الاوّلي والآخر العنوان الثانوي . العنوان الاولي ثابت مثل صوم شهر رمضان ، فعنوانه الوجوب ، ولكن اذا طرأت حالة اضطرارية علىٰ شخص يجب عليه الصوم ، كما اذا أصبح مريضاً مثلاً فانه يحرّم عليه الصوم بعنوان ثانوي .

فالتبغ حلال بعنوان أوّلي ، ولكنه بسبب حالة طارئة تجلب علىٰ المجتمع اضراراً سياسية واقتصادية فإنه اصبح حراماً بعنوان ثانوي . من هنا فإن المجتهد الفقيه يفتي بالحرمة وفقاً للحالة الطارئة وعندما تنتهي الحالة تعود الحلية وهي العنوان الأولي للشيء .

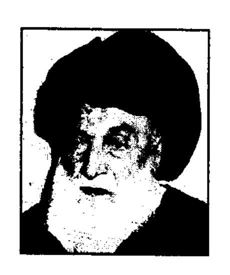
بهذا الجواب الحكيم أفحم الشيخ ذلك السائل وردّه خائباً الىٰ حيث جاء [1] .

ثم من الجدير ذكره ان الميرزا الشيرازي قد فوّت علىٰ المغفّلين فرصة التشكيك بتعبيره الدقيق في فتواه التي قيّدها بالزمن فقال : (اليوم استعمال التبغ والتُتن بأي نحو كان بحكم محاربة الامام صاحب الزمان ﷺ) .

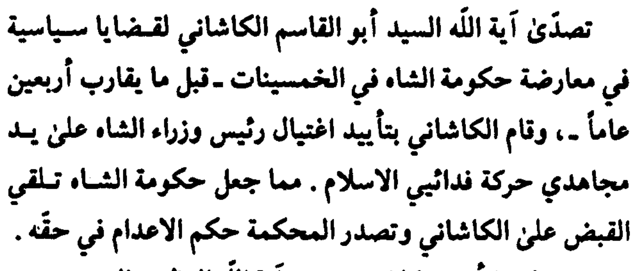
---

١ ـ نفس المصدر / ص ٦٧ .

٤٨١ ما أجملَ هذا المَوْقف

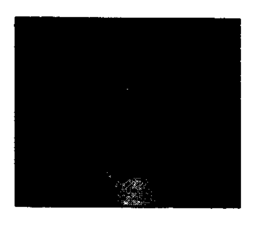


السيدالبروجردي

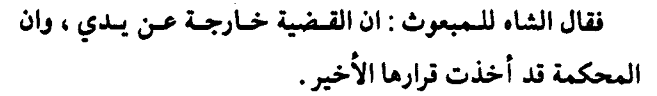


تصدّىٰ آية اللّه السيد أبو القاسم الكاشاني لقضايا سياسية في معارضة حكومة الشاه في الخمسينات ـ قبل ما يقارب أربعين عاماً ـ، وقام الكاشاني بتأييد اغتيال رئيس وزراء الشاه علىٰ يد مجاهدي حركة فدائيي الاسلام . مما جعل حكومة الشاه تلقي القبض علىٰ الكاشاني وتصدر المحكمة حكم الاعدام في حقّه .

ومن ناحية أخرىٰ كان بينه وبين آية اللّه العظمىٰ السيد حسين البروجردي ـ المتوفىٰ سنة ١٣٨٠ هـ ـ في قم المقدسة اختلاف في بعض الآراء والمواقف . ولكن السيد البروجردي رغم ذلك بعث الىٰ الشاه مبعوثاً يطالبه بإطلاق سراح السيد الكاشاني والغاء حكم الإعدام .



السيدالكاشاني



فقال الشاه للمبعوث : ان القضية خارجة عن يدي ، وان المحكمة قد أخذت قرارها الأخير .

بالطبع كان الشاه يمكنه التدخل لإلغاء القرار لأنه كان صاحب كلّ القرارات في ايران ، ولكنه كان يرغب شخصياً في اعدام أهم رجل معارض لسياساته ، خاصة وان اغتيال رئيس الوزراء يبرّر له تنفيذ الاعدام قصاصاً وانتقاماً فهذه فرصة لاتفوّت .

الاّ ان السيد البروجردي قال للمبعوث : عُد وقل للشاه إن لم تطلق سراح السيد الكاشاني فإني اطلق سراحه بنفسي !

ففهم الشاه ان تهديد المرجع الكبير السيد البروجردي يعني اعلان ثورة علىٰ حكومته ولا طاقة للشاه وحكومته علىٰ ثورة الجماهير المسلمة في ايران . من هنا اسرع الشاه الىٰ اطلاق سراح السيد الكاشاني (١) .

واستمر السيد البروجردي في إكمال موقفه الجميل تجاه السيد الكاشاني حينما علم بأن السيد قلق بشأن قروض ثقيلة قدرها (اثنا عشر الف تومان) لا يستطيع تسديدها بعد هزيمته السياسية ، فسدّد البروجردي تلك القروض واشترط أن لا يُخبر السيد الكاشاني بمن سدّدها(٢).

---

١ ـ نفس المصدر / ص ٦٩ .

٢ – بالفارسية (كرامات الصالحين) ص٣٠٩ تأليف محمد شريف رازي .

والمفهوم من هذه القصة هو ان اختلاف الآراء وتفاوت المواقف بين العلماء لا يستلزم البغضاء بينهم وعدم مناصرة بعضهم بعضاً في الشدائد ، أليس كذلك ؟

٤٨٢ الحلُّ الأفضل

أرسل المرجع العظيم سماحة السيد أبو الحسن الاصفهاني ﷺ عالماً من وكلائه الىٰ شمال العراق للقيام بواجب التبليغ الديني والتصدّي للقضايا الدينية بين الناس . ولكن قبيلة كبيرة عارضتْ نشاطات هذا العالم ووقفت بوجهه فلم يتمكن القيام بدوره ، فاضطر العالم الىٰ الشكوىٰ علىٰ القبيلة عند مركز الشرطة .

الاّ ان مدير الشرطة قال للعالم : ان الطريق الوحيد لحلّ هذه المشكلة يمرّ عبر ذهابك الىٰ النجف الاشرف وطلبك من آية اللّه الاصفهاني ان يتصل بوزير الداخلية ، فإننا حينئذ نتلقّىٰ الأوامر لمواجهة القبيلة .

جاء العالم الىٰ السيد الاصفهاني ونقل له موقف القبيلة وممانعتها للنشاط الديني في المنطقة وان الحلّ المقترح هو كذا ...

فقال السيد الاصفهاني : ولكني أريك حلاً أفضل .

فكتب السيد رسالة الىٰ شيخ القبيلة أعطاها بيد العالم مع خمسمائة دينار ، وهو مبلغ كبير في ذلك الزمان ، ليسلّمهما اليه .

فقام العالم وامتثل أمر السيد المرجع ، فما أن فتح شيخ القبيلة رسالة السيد واستلم ذلك المبلغ تغيّر وجهه واعتذر إليه ما بدر منه سابقاً ، فأمر افراد قبيلته ان يحضروا مجالس العالم ويشتركوا في صلاة الجماعة ، وهكذا اصبحت القبيلة من مؤيّدي السيد الاصفهاني والمساهمين في نشر التعاليم الدينية في تلك المنطقة .

وبعد فترة رجع العالم الىٰ النجف الاشرف ونقل الموقف للسيد الاصفهاني ، فقال له السيد: أليس هذا الحلّ كان افضل من مراسلة الوزير ومعالجة الموقف بالعنف واختزان العداء في القلوب والمشاحنات مدىٰ سنين طوال ؟![1]

هنا ينطبق الحكماء الحديث الشريف : « مَن حَرُم الرِّفْق فقد حَرُم الخير كلّه » .

---

(١) نفس المصدر / ص ٨٠.

٤٨٣ رُؤيا علىٰ ظهْر سفينة

كتب آية اللّه العظمىٰ الشيخ ناصر مكارم الشيرازي (دام ظله) في المجلد السابع ص ١٢١ من تفسيره (الأمثل): ينقل صديق ـ وهو محل اعتماد ـ أن المرحوم التبريزي صاحب ـ كتاب ـ (ريحانة الأدب) كان له ولد يشكو من يده اليمنىٰ (ربما مبتلى بالروماتيزم) بشكل يصعب عليه أن يمسك القلم بيده، فتقرر أن يسافر الىٰ ألمانيا للمعالجة، ويقول: حين كنت في السفينة رأيت في المنام أن أمي توفيت، ففتحتُ التقويم السنوي وسجّلت الحادثة ـ مقيَّدةً بالساعة واليوم ـ ولم تمضَ فترة حتىٰ رجعتُ الىٰ بلدي فاستقبلني جماعة من الأقارب والأصدقاء فوجدتهم لبسوا «الثياب السود» فتعجّبتُ، وكنت نسيتُ الرؤيا، وأخيراً أُخبرتُ ـ بالتدريج ـ أن أمي توفّيتْ، فتذكرتُ مباشرةً رؤياي في السفينة فأخرجتُ التقويم وسألت عن اليوم الذي توفيت فيه فكان مطابقاً لذلك اليوم تماماً.

٤٨٤ كعبةٌ حقيقيّة، وأخرىٰ مجازيّة

مرجعان معاصران، بينهما ودّ ومحبة، وهما في غاية الورع والتقوىٰ وتجنب الذاتية والهوىٰ، أُحدهما هو الميرزا الشيرازي الذي كانت بيده راية المرجعية العليا، والثاني هو الشيخ زين العابدين المازندراني من أعاظم الفقهاء والمراجع.

كان لكلّ منهما اتباع ومقلّدون في العالم الاسلامي، وكان بينهما ألفة وتآخي حتىٰ ان الميرزا الشيرازي يُرجع تقليد زوجته في المسائل الفقهية التي يحتاط فيها الىٰ الشيخ المازندراني.

ذات يوم جاء بعض مقلّدي الميرزا الشيرازي من بلاد الهند عند الشيخ المازندراني وسألوه: هل انت الكعبة ؟! (يقصدون هل انت تتبع الميرزا الشيرازي)!

فقال الشيخ (وهو يريد الاحتفاظ بمنزلة الميرزا الشيرازي في ذهن السائلين):

نعم، انا ايضاً اتجه نحو الكعبة. (وهو يقصد الكعبة الحقيقية بيت اللّه الحرام)[1].

وهذا يريك اخلاق مراجعنا الكرام، وياليت بعض اتباعهم يقلّدونهم فيها كما يدّعون تقليدهم في مسائل الفقه والأحكام!

---

١ ـ بالفارسية (يک صد داستان خواندني) / ص ٨٢.

٤٨٥ البصيرةُ، بَدَلاً عن البَصَر

كان السيد ماجد بن العريّض الصادقي البحراني ـ المتوفّىٰ سنة ١٠٢٨ هـ في شيراز ـ من نوادر زمانه علماً وأدباً وعملاً وكمالاً، وقد أصيب في صغره من بعض الحسّاد بعين، فذهبت إحدىٰ عينيه، فرأىٰ أبوه في المنام جدّه رسول الله ﷺ يقول له: إنْ أصيب ولدك في بصره فلقد أعطاه الله بصيرة.

وهكذا كان قد صدق رسول الله ﷺ وهو الصادق المصدَّق [1].

٤٨٦ بيْن السؤال والرّثاء!

كان المرحوم السيد محمد بن السيد معصوم القطيفي تقياً صالحاً واديباً قارئاً وشديد الحب لأهل البيت عليهم السلام، بحيث كان دائم التذكير بمصائبهم، يقول بعض تلامذته عندما كنا نلقاه في صحن الحرم الشريف (في النجف) فنسأله عن مسألة أدبية في قواعد اللغة العربية، فيجيبنا ويستشهد في مثاله ببيت أنشده هو أو غيره في المراثي عن مصائب الحسين وأهل البيت، وبينما كان يشرح الجواب بهذه الابيات ينقلب حاله فيشرع في ذكر مصائبهم علىٰ أحسن ما ينبغي، فيتحوّل المجلس الىٰ مجلس آخر فيه رضا الله تعالىٰ، وللسيد محمد هذا قصة اللقاء بالامام الحجّة (عجّل الله فرجه) في مسجد الكوفة، ذكرها الشيخ حسين النوري في كتابه (دار السلام) بعد ذكر منام في حقّه ايضاً [2].

٤٨٧ مِن التَقوىٰ إنصافُ النّاس

اشترىٰ في الزمان الغابر واحدٌ من الاثرياء في البحرين لؤلؤاً كثيراً من أحد تجار قطر وماطل في دفع الثمن كله أو بعضه، فلما يئس التاجر القطري مضىٰ الىٰ العالم الفاضل الشيخ محمد بن ماجد الماحوزي رحمه الله واخبره بالأمر. فكتب الشيخ الىٰ ذلك الرجل ـ الذي كان ممّن يتظاهر بالالتزام الديني - رقعة فيها هذان البيتان من الشعر:

ليس التُقىٰ بمسابيحَ تُخرِطها	ولا مصابيحَ تَتلوها وتَقرأها
بل التُقىٰ أنْ تُزيِّنَ الناسَ مَعْمَلَةً	وتُنْصِفَ الناسَ أعْلاها وأدْناها

---

١ ـ انوار البدرين / ص ٩٠.

٢ ـ نفس المصدر / ص ٣٤٧.

فلما أرسلها اليه ، دعاه الرجل وأعطاه حقه كاملاً [1] .

٤٨٨ ستحتاج إليكَ البلاد

العلاّمة الورع السيد هاشم التوبلاني ، صاحب كتاب (البرهان في تفسير القرآن) المطبوع في ستة مجلدات كبيرة وغيره من المؤلفات القيمة ، كان أوحد علماء البحرين في عصره وقد سادت رئاسته الدينية شؤون أهل البحرين من دون منازع .

يقول العلامة الشيخ سليمان الماحوزي : دخلتُ عليه زائراً مع والدي ﷺ فلمّا قمنا لنودّعه، صافحته فلزم يدي وعصرها وقال لي : لا تفتر عن الاشتغال ـ أي الاهتمام بالعلم والارشاد ـ فإنّ هذه البلاد عن قريب ستحتاج اليك .

وصدق السيد التوبلاني ﷺ فإنه بعد برهة قليلة توفّي وانتقلت الرئاسة الدينية الىٰ الشيخ سليمان الماحوزي ﷺ [2] وكان الشيخ الرجل المناسب في المكان المناسب .

٤٨٩ لؤلؤةٌ ولآلىء

كان الشيخ سليمان الدرازي ﷺ مع ا شتغاله بالتدريس وملازمته العلم والتعليم مشغولاً بالتجارة أيضاً ، وكان جواداً كريماً في نفس الوقت ، وكان يصلي اماماً للجماعة في مسجد قرية القدم . فاذا كان وقت الغوص واتت سفن أهل القرية مضىٰ الشيخ واشترىٰ جميع ما عندهم من اللؤلؤ والاقمشة ، وكان تجار البحرين الذين يشترون اللؤلؤ يقصدون بيت الشيخ حيث ان أهل القرية لايبيعونَ علىٰ أحد غيره ، فكان الشيخ يبيع ذلك عليهم بالمرابحة والقسمة بينهم بحيث لا يرجع أحد منهم خائباً .

ومن عجائب تقوىٰ الشيخ انّه كان رجل من قرية بني جمرة وهي قرية قريبة منها ، قد باع الشيخ لؤلؤة كبيرة بقيمة زهيدة ولكنها مجهولة غير مصطلحة ، واتفق ان الشيخ أعطاها من يصلحها فصارت جيدة ، فباعها بما يقرب من خمسين توماناً (وهو النقد الايراني الرائج في ذلك العصر) فلما جاء البائع من الغوص قال له الشيخ : ان اللؤلؤةالتي اشتريناها منك قد بيعت بهذا الثمن وانا انما اخذتها منك بقيمة زهيدة ، فأنا آخذ رأس مالي من هذا الثمن، والباقي لك. فامتنع الرجل وقال : اني بعتك ، والمال مالك ، ولو ظهرت فاسدة فنقصها كان عليك، بناءً

---

١ ـ نفس المصدر / ص ١٣٦ .
٢ ـ نفس المصدر / ص ١٣٩ .

علىٰ هذا فإن الزائد من الثمن هو ربح خالص لك ايها الشيخ .

ولكن الشيخ سليمان الدرازي امتنع من القبول حتىٰ حصل شخص صالح بينهما بأن قسّم الثمن بين الشيخ والرجل .

هكذا تتصرّف اللآلىء المعنوية والرجال الاتقياء ، فالشيخ كان لؤلؤة انسانية يتاجر في اللآلىء الدنيوية من أجل خير الجميع والانصاف معهم .

هذا وقد انتقل الشيخ سليمان الىٰ رحمة الله في كربلاء سنة (١٠٨٥ الهجرية) ورثاه أخوه الشيخ عيسىٰ بقصيدة أولها :

بُشْراكَ يا أبا صالح بُشْراكـا   لمّـا تَـضَمَّنَ كـربلا مَـثْواكـا

الىٰ ان يقول :

يَبكيكَ مسجدُك الشّريف وقد غَـدا   مـابَيِنَهُم مُـتَسَرْبلاً بِـقُراكـا[١]

٤٩٠ قوّةُ الحافِظة

كان العلاّمة الشيخ حسين آل عصفور الدرازي ـ المستشهد سنة ١٢١٦ هـ ـ من العلماء الربّانيين والحفّاظ الماهرين وقد عدّه العلامة الاميني في كتابه (شهداء الفضيلة) من المجدّدين للمذهب علىٰ رأس ألف ومائتي عام .

وكان يُضرب به المثل في قوة الحافظة ، ملازماً للتدريس والتصنيف والمطالعة والتأليف ، مواظباً علىٰ اقامة مجالس تعزية الامام الحسين عليه السلام في بيته .

قال المرحوم الشيخ ناصر بن نصر الله القطيفي : ان هذا الشيخ أتىٰ الىٰ بلاد القطيف مسافراً لحج بيت الله الحرام وزيارة النبي وآله ، واجتمع بالسيد محمد الصنديد القطيفي، وكان عند السيد من الكتب النفيسة الكثيرة مالا توجد عند غيره ، فرأىٰ الشيخ حسين آل العصفور عنده كتاباً كان يبحث عنه منذ فترة لحاجته اليه ، فطلبه من السيد بأن يأخذه معه في سفره لينقله ويستنسخ منه ، الاّ ان السيد كان يخشىٰ علىٰ نسخة الكتاب الفريدة من الضياع في الحوادث المحتملة اثناء الطريق ، لذلك اعتذر من الشيخ ولكنه وافق ان يقرأ فيه مدّة جلوسه في القطيف ، وكانت اياماً قليلة حتىٰ أعاد الكتاب وسافر الىٰ الحج ، فلمّا قضىٰ مناسكه وزيارته رجع عن طريق البرّ ماراً ببلاد

---

١ ـ نفس المصدر / ص ١٦٠ .

القطيف ايضاً، واجتمع بالسيد محمد الصنديد مرة أخرىٰ ، وطلب منه الكتاب ، فلما أتىٰ بالكتاب أخرج الشيخ نسخة جديدة وأخذ يقابلها مع نسخة الكتاب !

فقال له السيد : هل حصلتَ نسخة ونقلتَ منها ؟

قال الشيخ : لا ولكنني عندما تتبّعتُ نسختَك هذه حفظته وفي الطريق كتبته علىٰ ظهر قلب بأبوابه وترتيبه .

فتعجّب السيد والحاضرون عجباً عظيماً ، ولما قابلها له وجدها طبقاً للأصل لم يختلف عنه الآ شيئاً يسيراً ليس ذا أهمية [1].

٤٩١ آفةُ المرجعيّة !

القصة التالية من القصص الدالّة علىٰ قوة التقوىٰ في الغلبة علىٰ الهوىٰ ، حيث لايخلو منه أحد حتىٰ العلماء الاتقياء ، لذلك جاء في القرآن الكريم : ﴿ لا أُبرّء نفسي إنّ النفسَ لأمّارة بالسّوء إلاّ ما رَحِمَ ربّي ﴾ .

والرحمة الربانيّة تكون من نصيب الذين يمارسون التقوىٰ بيقظة الروح وبصيرة العقل .

نقل الشهيد الورع الشيخ القدّوسي ﷺ، عن الشيخ مرتضىٰ الحائري ، عن والده المرحوم آية اللّه العظمىٰ الشيخ عبد الكريم الحائري : ان استاذه الورع المرحوم آية اللّه العظمىٰ السيد محمد فشاركي ـ وهو من أفاضل تلامذة المجدّد الشيرازي الكبير (قائد ثورة التبغ المعروفة في ايران سنة ١٩٢٠م) ـ قال انه في الليلة التي انتقل فيها المجدّد الشيرازي الىٰ رحمة اللّه تعالىٰ ، ذهبتُ الىٰ المنزل وشعرتُ في داخل قلبي بالنشاط والحيويّة !

تأملتُ في زوايا نفسي ، فلم أعثر علىٰ سبب لهذه الحيوية والنشاط القلبي .. كيف يكون هذا والحال اني في عزاء رجل عظيم كالمجدّد الشيرازي ، استاذي ومعلمي الذي ربّاني ..

فقد كان نفقده أليماً علىٰ قلبي وقلوب المؤمنين، مالي أجد في قلبي هذه الذرات من الحيوية والنشاط . ان المجدّد الشيرازي هو قمة في العظمة ، اذ جمع في شخصيته الرسالية «العلم» و «التقوىٰ» و « الفطنة » و « الذكاء» ، ومثله نادر جداً في مراجع الدين ، والىٰ جانب ذلك كان في الفهم السياسي للاحداث انساناً متميزاً ذا حواس متحفّزة وذاكرة قوية وصفات متميزة أخرىٰ . ولقد خسر العالم الاسلامي قائداً مثل هذا المرجع ، فلِم تداخلني البهجة القلبية ؟

---

١ ـ نفس المصدر / ص ٢٠٧ .

جلستُ أتدبر حالي وأتأمل في نفسي، ماالذي تغيّر فيّ ؟ اين العطب الروحي الحاصل عندي ؟!

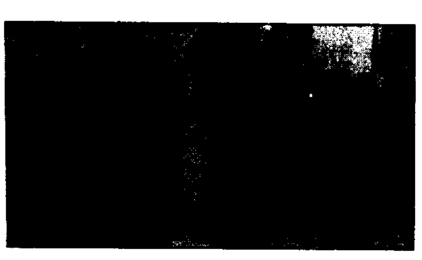
بعد هذه التأملات ، قلتُ لنفسي .. لعلك تفكر في الزعامة والمرجعية التي ترثها بعد استاذك ؟!

نعم ان المرحوم آية اللّه السيد محمد فشاركي الذي كان مرشحاً للمرجعية العليا بعد وفاة استاذه توصّل الىٰ هذا الاحتمال بأن استلامه للزعامة المرجعيّة قد يكون السبب في ذلك النشاط السارّ الذي شعر به في قلبه . فخرج من المنزل الىٰ الحرم الشريف وتوسل حتىٰ الصباح بأمير المؤمنين واسوة المتقين الامام علي عليه السلام أن يبعد عنه (آفة المرجعية) مادام قلبه مال اليها [1].

وهكذا رفض السيد محمد الفشاركي ان يتسلّم الزعامة ، في محاولة منه لتأديب نفسه والمزيد من ترويضها ، ولإنقاذ المرجعية من خطر الهوىٰ وحبّ الذات .

٤٩٢ كَرَمٌ وصمودٌ في المحنة

يقول آية اللّه الفرقاني عن شخصية الامام الخميني رحمه الله انه: كان أحد الخطباء في النجف الأشرف يستغل فرصة خروج الامام في الطريق من البيت الىٰ الحرم ليفاتح الامام بما يريد. في تلك الليلة قال لي : لدي موضوع هل أقوله للامام أم لا ؟



الامام الخميني في النجف الأشرف

قلت لا بأس قل له . ولكنه كان يخشىٰ ان يُحرج الامام ، لأن الاوضاع كانت صعبة بسبب انخفاض نسبة الأموال التي تأتي من ايران ، لذلك سألني مرة ثانية : هل أقول للامام أم لا ؟ قلت له : موضوعك يتعلق بأي شيء ؟

قال : أعرف شيخاً شوشترياً مسنّاً متديّناً قارئاً للقرآن ، عنده ستة أولاد، ومنذ ثلاث سنوات أُصيب بشلل فأصبح طريح الفراش، فقد طلب مني أخبِر الامام بحاله لعله يستطيع مساعدته . قلت له : حسناً قل للامام ، فاقترب منه وكلّمه بالامر .

---

١ ـ نفس المصدر / ص ١٧٠ .

فاقترب منه وكلّمه بالأمر. فأجابه الامام قل للشيخ فرقاني بأن يذكرني غداً. فجاء وأخبرني بذلك فقلت له ان شاء اللّه.

وعندما وصلنا الىٰ الصحن الشريف وأراد الامام ان يضع رجله داخل الصحن التفت اليّ وقال: لا تنسَ غداً الساعة التاسعة تذهب الىٰ الشوشتري المشلول.

فسجّلتُ هذا الامر في دفتر ملاحظاتي لكي لا أنسىٰ. وكانت عادتي أن آتي الىٰ بيت الامام الساعة الثامنة صباحاً ولكن في ذلك اليوم أتيت الساعة السابعة والنصف.

وعندما وقع نظري علىٰ شارع بيت الامام رأيته يتموّج بالعمائم وكذلك داخل البيت فقد كان مملوءاً بالطلبة فأوجست خيفة في نفسي ماذا حدث ؟

فتقدم نحوي أحد الشيوخ وقال: فرقاني هل يأخذون جنازة سيد مصطفىٰ الىٰ كربلاء ؟

فانهارت أوصالي وعلمت بان حادثاً وقع لابن الإمام فأجبته: لعلّهم يأخذونها الىٰ كربلاء.

كنت لا أدري ولكن رأيت الطلبة يبكون فتقدمت حتىٰ وصلت الىٰ الباب فرأيت السيد أحمد الخميني واقفاً عند الباب حاسر الرأس، يجلس تارة ويقوم تارة من هول المصاب وكان يندب ويقول: آه لقد فقدتُ أخي، ولكن كان يتكلم بهدوء ويُهدّىء الآخرين لكي لا يعلم الامام، فعلمتُ بأن الامام الىٰ الآن لم يصله الخبر.

وهؤلاء كانوا يعتقدون بأنهم يجب أن لا يقولوا للامام حتىٰ لا يتأثّر بالحادث، والحقيقة ان الامام الخميني لم يعرفه أحد اطلاقاً (المؤمن كالجبل الراسخ لا تحركه العواصف)، وهكذا اتفقوا علىٰ الذهاب الىٰ الامام بشكل جماعي ويجلسون في مجلسه ثم يتساءلون عن حال السيد مصطفىٰ، فمنهم من يقول ان حال السيد مصطفىٰ ليس علىٰ ما يرام، وقسم يقول ان الدكتور أوصىٰ بارساله فوراً الىٰ بغداد وقسم يقول ان حاله وصلت الىٰ حدّ يجب ان ينقل الىٰ الخارج وآخر يقول: إن خبراً الآن جاء به أحد الاطباء القادمين من بغداد بان السيد مصطفىٰ انتقل الىٰ رحمة اللّه.

هذه الخطة وُضعتْ من قِبَل السيد أحمد، وشُخّص الذين سيقومون بالادوار المذكورة وهم الميرزا حبيب اللّه الاراكي والشيخ الرضواني والسيد الكريمي وسيد عباس خاتم وبعض الشباب فقام السيد أحمد بالاستئذان من الامام ﷺ بان هناك أشخاصاً يريدون مقابلتك، فأذن لهم الامام وجلسنا وبعد السلام والسؤال عن الاحوال قال الامام: هل جاء خبر جديد من المستشفىٰ عن وضع السيد مصطفىٰ الصحي ؟

فأجاب الميرزا حبيب الله الاراكي : نعم اتصلوا من المستشفىٰ وأخبرونا بضرورة نقله الىٰ بغداد سريعاً .

ولكن السيد أحمد لم يستطع ان يمسك نفسه فانتحب باكياً بصوت عال ، وأراد ان يخفي الذي صدر منه ، ولكن الامام سأله : ما بك يا أحمد هل مات السيد مصطفىٰ ؟ ان أهل السماء يموتون وأهل الارض لا يبقون، الكل يموت، تفضلوا اذهبوا لمتابعة أعمالكم.

فتوضأ الجميع وامسكوا القرآن يتلون آياته الكريمة ، ونحن جئنا وفرشنا ساحة البيت وجاء أكثر علماء النجف ليقدموا التعازي للامام وامتلأ البيت اسفله وأعلاه والكل يبكي.

وفي هذه اللحظات انتقل ذهني الىٰ الساعة حيث كانت تشير الىٰ التاسعة ، فقلتُ في نفسي عجباً هل استطيع ان أقول للامام موضوع الشوشتري الآن ، ثم قررت انه ليس من الصواب ان اتعرض لهذا الموضوع بعد الذي حدث وكان الامام جالساً في الساحة يستقبل القادم والذاهب. وفجأة نظر اليّ الامام !

فتساءلت عند نفسي : ماذا حدث ؟ هل ان عمامتي فيها عيب ؟

لان الامام كان يتكلم معي في بعض الاحيان بالنظر لذلك تهيأت وسألته : تفضلوا مولانا ماذا تأمرون ؟

أشار إليّ : تعال فتقدمت قليلاً وانحنيتُ برأسي قريباً منه .

فقال لي : أليس الآن الساعة التاسعة والمقرر ان تذكرني حول المساعدة لذلك الشخص الذي تكلم معي الشيخ الخطيب بصدده ؟

فضربت بيدي علىٰ وجهي بالرغم من اني صممت ان أتجلّد أمام الامام ولا أبكي حتىٰ لا يتأذىٰ ، ولكن هنا لم استطع السيطرة علىٰ نفسي فقلت له : بهذه الظروف ؟

قال لي : تعال اتبعني الىٰ الغرفة فذهب من بين الحاضرين الىٰ الغرفة وأخرج مبلغاً من المال ووضعه في ظرف ولم يعرف أحد الموضوع، الصق الظرف وقال : الآن تذهب بهذه المساعدة الىٰ الشيخ الشوشتري وتتفقد أحواله نيابةً عني .

ولكني مع ذلك قررت عند نفسي بما ان هذا اليوم ضيوفنا كثيرون والامام لا يذهب ليصلي في المسجد فسأذهب الىٰ الشيخ في وقت آخر. ولكن بعد خمس دقائق قال لي الامام : لماذا لم تذهب ؟ اذهب الآن !!

واخيراً ذهبت الىٰ بيت الشيخ الشوشتري وفتحتْ لي زوجته الباب فقلتُ لها أتيت من بيت

الامام الخميني لكي اتفقد أحوال الشيخ بالنيابة عن الامام.

فقالت زوجة الشيخ: في هذا اليوم الامام يتفقّد أحوالنا !؟ انني عندما سمعت بوفاة ولده السيد مصطفىٰ قلت سوف لن يأتينا أحد من جانبه إلاّ بعد سنة واحدة.

وهكذا لما رجعت سألني الامام عن الشيخ الشوشتري واطمأنّ علىٰ حاله، عندها نهض وتوضأ وقال: أريد أن اذهب الىٰ المسجد، فأوعزت الىٰ أحدهم بان يذهب ويهيء المسجد، وعندما ذهبنا الىٰ المسجد وعلم الناس بان الامام جاء للصلاة اجتمعوا عند باب المسجد يبكون واجتمع الناس ينظرون الىٰ الامام ويقول بعضهم: عجباً الخميني لايبكي![1].

٤٩٣ الدقّة في الوقت

يقول آية اللّه الناصري (حاكم شرع مدينة يزد الايرانية) حول شخصية الامام الخمينيﷺ كما رآه في النجف الاشرف:

في الحقيقة ان حياة هذا الرجل كانت عجيبة، وقد كنت أقول أحياناً لبعض الاخوة بان الافراد حتىٰ لو لم يتلقوا دروساً علىٰ يد الامام فان تأثير سلوكه عليهم في الواقع، هو كاف لان يربّيهم ويهذّب نفوسهم.

لقد كانت أعماله آية في الدقة بحيث كنّا ننظم ساعاتنا وفق حركاته، أي انّه عندما كان يقوم بعمل معين كنا نعرف كم هو الوقت الآن، وحتىٰ عائلته كانت تعلم بأن الامام في هذه الساعة المعينة، اين هو وماذا يعمل ؟ لقد كان يخرج من البيت بعد غروب الشمس بساعتين ونصف، حتىٰ انّ افراد الامن البعثي في أواخر اقامته في النجف حين اصبح تحت المراقبة البعثية كانوا يعرفون ساعة مغادرته للمنزل ووصوله الىٰ حرم الامام علي عليه السلام فلا تكلفهم مراقبته الكثير من العناء، وعندما كان يدخل المرقد الشريف كان جلاوزة الامن البعثي يتركونه ويذهبون الىٰ ما يريدون ثم يعودون في اللحظات التي يغادر فيها الامام لعلمهم الدقيق بوقت مغادرته. وكذلك الحال بالنسبة الىٰ مغادرته المنزل للصلاة. لقد كانت حياة الامام مقترنة بالنظام الىٰ حدّ بعيد حتىٰ انه لم يسمح للحوادث مهما عظمت ان تؤثر في ذلك النظام.

ففي اليوم الذي اخبروه باستشهاد نجله السيد مصطفىٰ استأذنّاه نحن للقيام بواجبات الكفن والدفن إذ كنّا نتصور انه سيتأثر بهذه الحادثة ايّما تأثير كما كنا نتصور انه لا يذهب لاقامة

---

١ ـ ملحق مجلة رسالة الحرمين / السنة الثالثة / العدد ـ ٢٩.

صلاة الجماعة في ذلك اليوم ، ولكنه شوهد عند حلول الوقت في المسجد كعادته بل حتىٰ لم يترك مطالعاته اليومية وتلاوة القرآن [١].

٤٩٤ ضَيفٌ أحْسَنَ الجوار

يتحدث آية اللّه الناصري عن صفات الامام الراحل آية اللّه العظمىٰ السيد الخميني قائلاً: في البداية عندما حلّ الامام في ضاحية (نوفل لوشاتو) بفرنسا حدث عند أهالي المنطقة عدم ارتياح بسبب كثرة التردد علىٰ بيت الامام والضوضاء التي تحدثها السيارات ، والظاهر انّ أحد الجيران جاء واظهر عدم ارتياحه من صوت السيارات وانعدام الهدوء الذي حلّ في المنطقة ، لكن وبمرور الايام سرعان ما تغيرت نظرتهم عن الامام .

ومن الاعمال التي قام بها الامام هناك وكانت مؤثرة في نفوس أهالي المحلة انه في ليلة ولادة عيسىٰ المسيح (علىٰ نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام) أرسل بياناً من خلال وكالات الانباء العالمية بارك فيه لمسيحي العالم ولادة عيسىٰ المسيح عليه السلام ، بالاضافة الىٰ ذلك أوعز الينا بان نقوم بتوزيع الهدايا التي جاءتنا من ايران ، وفي تلك الليلة ايضاً قمنا بتوزيع الحلويات مع باقات الزهور، وكان لهذا الامر وقع حسن علىٰ نفوس أهالي المنطقة لانهم لم يصدقوا بان قائداً مسلماً يقوم بهذا العمل تجاه الدين المسيحي، الىٰ حد اني ذهبت وطرقت باب أحد المنازل في المنطقة ففتحتْ لي الباب امرأة ، وعندما أعطيتها هدية الامام تملّكتها الدهشة ورأيت قطرات من الدمع بدت علىٰ عينيها .

وقد ترك عمل الامام هذا أثراً علىٰ أهل المنطقة الىٰ حدّ أتىٰ أحدهم يطلب وقتاً من الامام لكي يلتقي معه ممثّلون عن أهالي منطقة (نوفل لوشاتو) فسمح لهم الامام بلقائه.

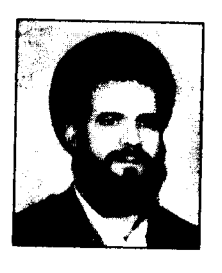
وفي اليوم التالي جاء (١٥) شخصاً كممثلين عن أهالي ضاحية نوفل لوشاتو يحملون بأيديهم باقات من الزهور فقال الامام لمترجمه : اسألهم عن أحوالهم وقل اذا كانت لهم حاجة فسوف البّيها لهم .

فأجابوا : ليست لنا أيّ حاجة ولكننا جئنا لنزور الامام ونراه عن قرب وهذه باقات الورود جئنا بها هديةً لحضرته ، فتسلّمَ الامام باقات الورود من أيديهم واحداً بعد الآخر بوجه تعلوه الابتسامة وجلس معهم الىٰ أن انصرفوا وكانوا مسرورين من هذا اللقاء[٢].

---

١ ـ نفس المصدر المذكور .　　٢ ـ نفس المصدر / العدد ٢٩ .

٤٩٥ درسٌ في التواضُع


السيد احمد المددي

درستُ في النجف الاشرف شيئاً من كتاب اللمعة وكتاب المكاسب في الفقه وكتاب الرسائل في علم الاصول عند الاستاذ آية الله السيد أحمد المددي (حفظه الله)، وهو اليوم من اساتذة بحث الخارج في حوزة قم المقدسة وما عدا تلك الدروس الحوزوية لقد أولاني سماحته اهتماماً خاصاً بإرشادي في الامور التي تعترض مسيرة طالب العلوم الدينية غالباً. ففي ايام الجمعة حيث الدروس تتعطّل كنا نخرج معه ونحن جميعاً من الطلبة الىٰ شاطىء الفرات في الكوفة قبل الشروق، فنشتري خبزاً حاراً وكبداً (المعلاق) عند باب مسجد الكوفة ونذهب لنختار ظلاً علىٰ النهر، وهناك نفطر ونتكلم وربما دخل بعضنا النهر ان كان الجوّ حاراً، وبينما كنت أقود الجماعة بحثاً عن أجمل مكان للجلوس والسيد ينشد بتواضع شعراً فارسياً:

رشتهاى در گردنم أفكنده دوست ميكشد هرجا كه خاطر خواه اوست

وترجمته: انّ صديقي قلّدني خيطاً في عنقي، فإلىٰ حيث يشاء يجرّني.

وصاحبٌ قد قادني بإساره فبيْن يمينِه مُوزَّع ويسارِه

٤٩٦ اتّخَذَ قرارَه وساعدتْه زوجتُه

يقول الشيخ محمد صالح المازندراني الذي بلغ درجة عالية في العلم بعد أن كان أفقر الطلبة و أبلدهم ذهناً وأقلّهم استيعاباً للعلم: انني حجة لله تعالىٰ علىٰ كلّ شخص يعتذر من الدراسة وطلب العلم بسبب الفقر والبلادة. فمن ناحية الفقر كنت أفتش عن لقمة خبز يابس يرميها الناس في الطرق. ومن ناحية أخرىٰ لم تكن عندي شمعة استنير بها للمطالعة ليلاً، فقد كنت اذهب الىٰ مراحيض المدرسة واستضيء من شمعة كانت هناك لمن يأتي لقضاء حاجته!

وعن بلادتي فقد كنت أقرأ ولا اتذكر بعد قليل ما قرأته، وكنت أدرس ولا استطيع حفظ معلومات الدرس بل كان يصعب عليّ فهمها واستيعابها. لقد كانت ذاكرتي من الضعف بدرجة اضيّع الطريق الىٰ البيت احياناً، وحتىٰ انني انسىٰ اسماء اطفالي. وعندما وصلت الىٰ الثلاثين من عمري قرّرت ان امرّن ذاكرتي علىٰ الحفظ بأي ثمن كان، وقد ساعدتني في ذلك زوجتي التي كانت عالمة فاهمة ومن عائلة نزيهة علمائية.

نعم ، هذا الرجل اصبح فيما بعد عالماً كبيراً كتب شرحاً لأحاديث (اصول الكافي) ، وشرحاً لكتاب (من لا يحضره الفقيه)، وكتب شرح المعالم في علم أصول الفقه، وتوضيحات لكتاب اللمعة الدمشقية. ويلقّب في الاوساط العلمية بـ(فخر المحققين والمدقّقين)(١) .

٤٩٧ مِن هُدىٰ القرآن

كان يعاني صديقنا فضيلة الشيخ توفيق العامر (دام عزه) من ضعفٍ شديد في النظر، وكانت النظّارة التي يضعها علىٰ عينه ذات عدسة سميكة .

راجع في طهران طبيب العيون فشخص له درجة للنظّارة وحذّره من ان نظره يتجه نحو المزيد من الضعف فلابّد له من الانتباه لهذا الامر قبل فوات الأوان .

وبعد سنة واحدة قضاها في تدوين وترتيب كتاب تفسير (من هدىٰ القرآن) للعلاّمة آية اللّه السيد محمد تقي المدرسي (حفظه اللّه) راجع الطبيب مرة ثانية ، فلما فحص عينه وجدها متحسّنة عمّا كانت عليه في العام الماضي ! فاندهش الطبيب وسأله : ماذا صنعت خلال العام الماضي ؟ هل راجعت طبيباً آخر أو استعملت أدوية معينة ؟

قال الشيخ : نعم راجعت القرآن الكريم ، فقد صرت أقرأ في آيات وكلمات هذا الكتاب العظيم وانا أعمل في كتاب قيّم حول التفسير ، وعندنا في الاحاديث الشريفة ان النظر الىٰ كتاب اللّه الحكيم يوجب جلاء البصر وقوّة النظر وشفاء العين .

فأخذ الطبيب بيد الشيخ وجاء به الىٰ غرفة الانتظار وشرح للحاضرين هذه القصة وقال انها معجزة القرآن .

هذا ولقد طُبع تفسير (من هدىٰ القرآن) في ١٨ مجلد ، وتقوم حديثاً مؤسسة الدراسات الاسلامية التابعة للحرم الرضوي في مشهد المقدسة بطباعة ترجمته الفارسية في عشر مجلدات تقريباً .

٤٩٨ كيف يُمكِن التمييز بينهما ؟

أن يتواضع مرجع تقليد كبير مثل آية اللّه العظمىٰ السيد عبد الأعلىٰ السبزواري (رحمه الله) لأنْ يدرّس الاخلاق الاسلامية لعدد قليل من

السيد عبدالأعلى السبزواري

---

١ ـ بالفارسية (داستانهای کودکي مردان بزرگ) ص ١٠٣ و ١٩٢ . وسبقت قصة لهذا العالم برقم ٤٦.

الطلبة ، فهذا أمر عظيم ، وإن دلّ على شيء فإنّما يدلّ على عظمة هذا المرجع الربّاني وتجسيده للاخلاق قبل البدء في التعليم عبر اللّسان والكلام .

كنا نذهب الى بيت هذا المرجع كل خميس وجمعة وأيام العطل ولمدة أربع سنوات فيدرّسنا المفاهيم الاخلاقية العامة من خلال أحاديث كتاب (أصول الكافي) و (تحف العقول) والجزء الثامن والحادي عشر من كتاب (وسائل الشيعة) وقصار كلمات الامام علي عليه السلام في نهج البلاغة ، وأحياناً مقتطفات من كتاب تفسير الصافي . نقرأ رواية تلو رواية وسماحته يبدي رأيه فيها ويشرحه .

اذكر ذات مرّة قرأنا رواية فتوقّف السيّد متأملاً فيها ثم قال : انها ليست من روايات أهل البيت !

قلنا : كيف وهي في كتبنا ؟

قال : ان في كتبنا روايات ضعيفة أيضاً ، والعالم هو الذي يميّز بينها وبين الموثّقة منها.

قلنا : كيف يمكن التمييز بينهما ؟

قال : تارة من خلال سند الرواية ، وتارة عبر معرفة المتن والمضمون ، فإذا عرف العالم روح القيم والافكار التي يحملها أهل البيت عليهم السلام واستطاع أن يستأنس لخطّهم ومناهجهم الفكري والعملي استطاع أن يعرف هل هذا الكلام صادر عنهم أم موضوع منسوب إليهم .

فهذه الرواية يتضح من مفهومها انها ليست صادرة عن أهل البيت لأنها لا تتطابق مع منهجهم العقائدي وطريقة تفكيرهم الاسلامي .

تتحقّق هذه القدرة على تمييز الروايات عبر مضامينها بكثرة المطالعة في تاريخ أئمة أهل البيت والاستئناس الى أفكارهم واساليبهم في صياغة الكلمات . تماماً كما لو اكثرت من المطالعة في كتب مؤلف معيّن واستأنست الى أفكاره مدة طويلة ، فإذا جيء لك بكتاب عليه اسم المؤلف نفسه ولكن اسلوبه الأدبي وكلماته وطريقة طرحه لأفكاره بالإضافة الى الأُطروحات الفكرية نفسها لم تتطابق مع ما تعوّدت عليه من طريقة تفكيره فهنا تتوقف وتقول انها ليست للمؤلف فلان .

٤٩٩ عند الشّوق الى الإمام

ذات ليلة من ليالي شهر رمضان كنتُ خارجاً من حرم الامام علي عليه السلام ساعة قبل أذان الصبح، متجهاً الى حجرتي في مدرسة البخارائي الدينية الواقعة في نهاية سوق الحويش

وكانت في بعض الطريق مصابيح باهتة .. فلما اقتربتُ من باب مسجد الشيخ الانصاري المعروف بمسجد (التُرك) رأيت سيّداً ذا طلعة بهيّة بثوب أبيض وعباءة صيفية سوداء ماسكاً مقبض الباب يدعو اللّه تعالىٰ بخشوع منقطعاً عمّا حوله . غمرني شعور بالرهبة اذ فوجئت بتلك الهيبة ، وتخيّلتُ أني أشاهد مولاي وسيدي الحجة بن الحسن المهدي (روحي فداه) ! فواصلت سيري بهدوء وأنا شاخص ببصري إليه واذا به المرجع الديني السيد السبزواري ، انه واحد من نوّاب الامام المهدي (عجّل اللّه فرجه). وقد ألبس اللّه تعالىٰ العابدين ملابس هيبته فقاموا بين يديه مستغفرين .

وأمنيتي أن لا أموت قبل أن أرىٰ ذلك الوجه الاصيل والشرف النبيل وهل اجتاز الخيال الىٰ حقيقة الوسال ياربّ ؟

ولا بأس هنا قبل مغادرة هذه القصة أن نتأمل في حقيقة ما يقع فيه بعض من يدعي اللقاء بالامام الحجّة عليه السلام وخاصة من لا يبدو ظاهره ختّالاً ، فهل يُحَمل ادعاؤه علىٰ الصدق أم هناك تحليل آخر ؟

في تصوري ان أغلب من يدّعون اللقاء وظاهرهم من الصالحين ترجع حالتهم الىٰ التخيّل في لحظات نفسية معينة ، تماماً كما حصل لي في هذه القصة ، فلولا معرفتي بالسيد السبزواري لعلاقتي به سلفاً ، لكانت ظروف الالتباس مهيئة للادعاء برؤية الامام الحجّة عليه السلام . لذا وردت الكراهة الشديدة في الإعلان عن الرؤية حتىٰ ولو كان صاحبها علىٰ ثقة منها ، فكيف بها اذا أُحيطتْ بمثل هذه الحالات ، من هنا فإني أنصح المؤمنين والمؤمنات الدقّة في أغلب الإدعاءات الصادرة للمتاجرة بهذه القضية المقدسة .

٥٠٠ يا ستّار !

في مدرسة السيد كاظم اليزدي الكبرىٰ بالنجف الاشرف ، حيث كنت اسكن في احدىٰ حجرها ، وبالضبط الحجرة الاولىٰ علىٰ اليمين عند مدخل المدرسة .

أذكُرُ كان الوقت ساعةً متأخرةً من ذات ليلة في سنة (١٣٧٧) للهجرة الموافقة (١٩٧٧) الميلادية ، اذ يسمع احد المارّين قرب حجرة طالب في الطابق العلوي صوت الاغنية ، فبدل ان يعالج الموقف ويتحرّىٰ الحقيقة أخذ يكلّم هذا وذاك بأن فلاناً يستمع الىٰ أغاني ، تعالوا خلف الباب وتأكدوا بأنفسكم !

جئتُ بين الجمهرة وكنت أعلم بأن هذا الطالب ليس منحرفاً وانما غلبه النوم حتماً ، وهكذا كادت سمعة الاخ (النائم) تتعرّض لهزّة عنيفة ، لولا اني طرقت عليه الباب فاستيقظ بصعوبة لأن (نومته ثقيلة) فسحب سلك المذياع من الكهرباء بسرعة . وخرجتُ انا الىٰ المجتمعين أمام الحجرة أخبرتهم بأن الأخ كان يستمع لنشرة الاخبار فغلبه النوم وانتهت النشرة وجاءت الأغاني وهو نائم لا يعلم بالأمر ، والنائم معذور . فقال أحد السذّج معترضاً : لماذا يستمع الىٰ نشرة الاخبار أساساً ؟ إن طالب العلوم الدينية عليه ان يدرس ويطالع في كتبه فقط ولا شأن له بأخبار الدنيا !

فقلت في نفسي : يا ستّار !

وفي الحديث عن رسول اللّه ﷺ : «من أذاع فاحشة كان كمبتدئها ، ومَن عيّر مؤمناً بشيء لم يمُتْ حتىٰ يركبه»[1].

٥٠١ إنّه لا يَصلُح لَكِ زوجاً

سألْتني احدىٰ الاخوات المؤمنات وهي طالبة للعلوم الدينية في حوزة قم المقدسة : مارأيك في الشيخ ... ؟

قلت : ماذا تريدين من هذا السؤال ؟

قالت : انه متقدّم اليّ ليطلب يدي للزواج .

فقلت لها ـ والمستشار لابد له من الامانة والصراحة ـ: تكلّمي لي عن نفسك ، ماذا هدفك في الحياة وما هو رأيك في الاحداث الراهنة . فكرياً وسياسياً ؟

تكلمت لي عشرين دقيقة في الاجابة علىٰ سؤالي هذا .

بعد ذلك قلتُ لها : لا تتزوجي هذا الأخ فإني عاشرته فترة فمن حيث عبادته وجدّيته لطلب العلم لا اشكال فيه ولكني أرىٰ من الناحية الفكرية لا تتلائمان ، فهو لايصلح لك زوجاً مناسباً يا أختي !

شكرتْني وذهبتْ . ولكنها خالفت وتزوّجتْ الأخ ، ولم يدم زواجهما أكثر من ستة أشهر حتىٰ تفارقا بعد مشاكل كثيرة ومشاحنات . ولقد تألمتُ لها كثيراً ولكنها اختارت المشاكل بنفسها ، ولا أدري أين استقرت بها الأيام ، أرجو أن تكون سعيدة في حياتها اينما تكون .

---

١ - بحار الأنوار / ج٧٣ ـ ص٣٨٤.

٥٠٢ إضافةُ ميلونَيْ إنسانٍ الىٰ العَدد



يقول سماحة السيد حسن الابطحي (دام عزّه) : إني كلما كنت اسافر الىٰ زيارة السيدة زينب عليها السلام في سوريا كان أكثر من يولني أهمية وضيافة هو سماحة آية اللّه الشهيد السيد حسن الشيرازي .

ولقد شيّد هذا السيد في تلك البقاع مؤسسات دينية وقام بأعمال خيرية عظيمة ، فمثلاً الحوزة الزينبية هو الذي أسّسها ، وكان يطمح ان يحوّل القرية حول مرقد السيدة زينب الىٰ مدينة ذات مرافق عمرانية حديثة ولو لم يستشهد في بيروت لأكمل هذا المشروع العظيم الذي غفل عنه الكثيرون في تلك السنوات .

ومما قام به السيد حسن الشيرازي ربط مليوني مسلم شيعي في سوريا المعروفين بـ (العلويين) ربطهم بالعالم الاسلامي الشيعي الكبير ، بعد أن أبعدهم المتطرّفون الشيعة قديماً عن التشيع بسبب شدّة ولائهم لعلي بن أبي طالب عليه السلام في مواجهة المتطرفين في العداء هناك.

فكان السيد الشيرازي رحمه الله يرىٰ ان هؤلاء ليسوا الاّ شيعة وقعوا ضحية التطرّف من جهتين ، جهة الذين ضيعوهم بسبب ولائهم لعلي عليه السلام، فقاطعوهم ولم يعرفوا الحكمة في التصرّف معهم، وجهة المتطرفين في العداء لعليّ عليه السلام .

لذلك قطع السيد الشيرازي علىٰ نفسه العهد ان يلحق هؤلاء المظلومين من شيعة سوريا بالمسلمين الشيعة في العالم ويخرجهم من العزلة والانقطاع .

وهذا ماتوصّل اليه السيد حسن الشيرازي عندما وقّع (٢٨) من العلماء (العلويّين) بياناً باسمهم وأعلنوا فيه أنهم مسلمون شيعة اثنىٰ عشرية ،يعتقدون بكل ما يعتقد به المسلمون الشيعة الاثنىٰ عشرية في العالم .

اتذكر ذات ليلة كنت عنده نقال لي: تعال معي لنذهب ونتحدّث مع علماء وشخصيات العلويين

ليعترفوا بتشيّعهم ويعتزّوا به فنكسب ونضمّ ميليوني انساناً الىٰ عدد الشيعة في العالم [١].

وفي الحقيقة جسّد السيد الشهيد ﷺ في هذه المبادرة الرسالية المثل القائل: «دَعْ ألف مدرسةٍ تُفتَح، وألف زهرة تَتفتَّح».

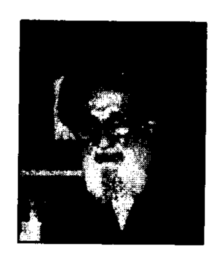
هذا ويمكنك قراءة منشور علماء العلويين في كتاب (آية اللّه الشهيد السيد حسن الشيرازي، فكرة وجهاد) من الصفحة (٣٠٣) الىٰ (٣٤٧) مع ما تناقلته الصحف والجرائد في ذلك الوقت وما نشرته من صور ومقابلة مع العلامة الشهيد السيد حسن الشيرازي ﷺ بهذا الخصوص.

٥٠٣ القناعةُ كَنْز الأتقياء

كان السيد محسن الامين العاملي المجتهد الكبير قد شيّد في سوريا مدارس للبنين والبنات في المفاهيم الدينية والعلوم الحديثة وانشأ جمعيات خيرية كجمعية رعاية الايتام والفقراء وجمعية الاحسان، حتىٰ بعث أحد الوزراء ابنته لتدرس في مدرسته قائلاً: أفضّل الكمال الخُلقي في هذه المدرسة علىٰ أيّ مدرسة أخرىٰ

وفي عهد الاحتلال الفرنسي لسوريا عرض الفرنسيون علىٰ السيد محسن الامين ﷺ وظيفة عالية هي منصب رئاسة العلماء ومجلس الافتاء براتب كبير وسيارة ودار وسيعة، فكان جوابه للضابط الفرنسي: انني موظف عند الخالق العظيم وسيّد الاكوان، ومن كان كذلك لا يمكن ان يكون موظفاً عند المفوّض السامي وان المعاش الكبير والمركز الخطير والدار المنيفة والسيارة الرفيهة .. كلّ ذلك قد أغناني اللّه عنه بالقناعة [٢].

٥٠٤ أدب التواضع


السيد احمد الشهرستاني

نقل لي سماحة السيد علي الشهرستاني (حفظه اللّه) قائلاً حينما قدمتُ الىٰ ايران من العراق سنة (١٩٧٨م) حاولت أن احافِظ علىٰ اقامتي القانونية في العراق بالخروج من ايران كل أربعة أشهر، ففي احدىٰ سفراتي نزلت ضيفاً علىٰ العالم

---

١ ـ (بالفارسية) شبهاي مكة / ص ١٥٥ ـ ١٥٩.

٢ ـ نشرة (المبلّغ الرسالي) الصادرة في حوزة قم / العدد ـ ٤٤.

الجليل آية اللّه الحاج السيد أحمد الشهرستاني ﷺ في طهران ، وكنت اريد الذهاب الىٰ المطار ساعة قبل الفجر ، وكانت ساعة محرجة جداً ، لأنها تؤدي الىٰ مضايقة هذا العالم الجليل ، خاصة وهو كان بمنزلة جدّي في كبر سنّه ، ناهيك عن مقامه العلمي الرفيع .

لذا قرّرت في تلك الليلة ان لا ابيت عند السيّد خشية ازعاجه في تلك الساعة المتأخرة ، فاستأذنته للانصراف الىٰ بيت أحد الأصدقاء ، ولكنه لم يقبل ، فأصرّ أن أبقىٰ عنده ، وطلب من عائلته أن تعجّل في إحضار العشاء كي أنام أول الليل وآخذ قسطاً وافراً من الاستراحة استعداداً للسفر ، وكنت متجهاً الىٰ مصر لمتابعة بعض الشؤون العلمية ، ولما تعشّينا ذهب السيد وفرش لي ودعاني الىٰ الاستراحة ، وأنّىٰ لي النوم بعد هذا الإكرام الذي أخجلني به السيد ذو الخلق الرفيع . فاستلقيت وأنا كلي خجل منه وقلق علىٰ موعد السفر . قال لي السيد: نم براحة البال ، وتأكّدْ أني اوقظك في الساعة المقرّرة ، غفوت من التعب ، وفجأة صحوت مضطرباً وأنا أخشىٰ انه قد فاتني الوقت . نظرت الىٰ الساعة وكانت تشير الىٰ الثانية عشرة والنصف ، ولكن العجيب الذي رأيته أيضاً هو ان السيد الجليل كان يخطو في الحجرة ربما ليطرد من عينه النوم حتىٰ الساعة التي يريد أن يوقظني فيها للذهاب الىٰ المطار !

لقد هممت بالقيام تضامناً معه ، الا انه أمرني بأن أنام وهو يؤكد انه لن يغلبه النوم فلم تفتني ساعة الرحيل . ولكني كنتُ محرجاً ازاء كرمه وفضله الىٰ درجة لا يمكنني النوم ، ومن ناحية اخرىٰ كان عليّ الامتثال لأمره تأدباً . لا أدري ولعلي نمتُ ساعة واذا به يناديني بصوته الهادئ : سيد علي .. قم الآن واستعد للذهاب الىٰ المطار ، فالسيارة حاضرة لدىٰ الباب .

قمتُ واسبغت الوضوء وتهيئت للخروج ، فجئته لأودّعه وأشكره علىٰ ألطافه الجميلة، ولكن زاد عليها بلطف جديد ، إذ رأيته يتهيىء للخروج معي ، ظننته يريد أن يرافقني الىٰ السيارة ثم ينطلق باتجاه المسجد ليصلي نافلة الليل وصلاة الصبح بعدها ، لذلك لم امانعه حتىٰ مشينا الىٰ السيارة ، فأردت اقبّله واجلس في السيارة ، الا انه جلس معي وقال للسائق: تحرّك !

قلت : سيدي الىٰ أين ستأتي معي ؟

قال : معك معك حتىٰ المطار ، بل حتىٰ اطمئن بأن الطائرة اقلعتْ !

رجوتُ منه أن يكفيني من إحسانه وجميل الطافه ، فلم يقبل رجائي ، ولما وصلنا الىٰ المطار ورغم كبر سنّه صاحبني الىٰ الداخل ، وكدتُ في هذه اللحظة أسقط علىٰ الأرض خجلاً من صفاء نفس هذا العالم المتواضع . فأبيت الا أن ارافقه الىٰ أن سلّمت الحقيبة واستلمت بطاقة الصعود الىٰ الطائرة . هنا ألححت علىٰ السيد أن يعود الىٰ منزله ، لكنه قال: لا أعود حتىٰ تقلع الطائرة فأتيقن ان الرحلة لم تُلغَ في الدقائق الأخيرة .

وهنا عرفت سرّ مجيئه معي الىٰ المطار وبقائه الىٰ الدقيقة الأخيرة لحركة الطائرة ، فإنه كان يريدني أن لا أذهب الىٰ منزل أحد فيما لو ألغيت الرحلة ، كان ﷺ يريد أن أعود معه الىٰ منزله .

هكذا كان يكرم الضيف ويحترمه ويعامله بأدب ويتعنّىٰ لأجله . توفي ﷺ سنة (١٤١٢هـ) ودفن جثمانه الطاهر في قم المقدسة ، جزاه اللّه عني خير الجزاء ورفع من درجاته في الجنة مع الكرماء .

٥٠٥ لماذا تريّث السيّد عند باب الجنّة ؟!

نقل لي أحد العلماء الثقات في مدينة مشهد المقدسة نقلاً عن حجة الاسلام السيد علي اصغر شهيدي امام جمعة مدينة (لامرد) الايرانية وهو ينقل عن أحد كبار العلماء انه رأىٰ في المنام المرحوم المقدّس السيد عباس المعاصرللميرزا الشيرازي الكبير ، وقد توفّي بعد وفاة الميرزا بقليل .

فسأله : كيف عوملتَ بعد الموت ؟

فأجابه السيد عباس : أدخلوني الجنة فوراً ، ولكن الميرزا الشيرازي تريّث عند باب الجنة مدّة (٢٧) يوماً !

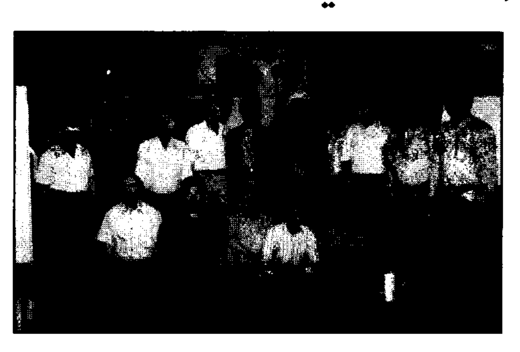
فسأله : وما السبب في ذلك ؟

قال : لأن الميرزا الشيرازي رفض ان يدخل الجنة الاّ أن يأخذ عهداً بدخول مقلّديه الجنة أيضاً . فبعد (٢٧) يوماً من مداولة الأمر والبحث في طلبه جاءت الملائكة الموكّلون بهذه الشؤون فأطلعوا الميرزا الشيرازي بقبول شفاعته لمقلّديه، عند ذلك دخل الجنة .

فلا تعجب أيها القارىء فإن في القرآن ورد ﴿ولا يملكون الشفاعة إلّا مَن اتخذ عند الرحمٰن عهداً﴾ .

٥٠٦ حسينيّة الإمام المهدي عليه السلام

جالية ذات ستين عائلة أو اكثر تعيش في العاصمة الدنماركية منذ(٥٥) سنة ، كانوا قد هاجروا اليها من پاكستان بحثاً عن عمل ومعيشة وهم من افغانستان في الأصل ، تجد في هذه الجالية متديّنين وغير متدينين من ذوي الاتجاه الوطني واليساري ، ولكن يجمعهم (نادي الجالية) رغم خلافاتهم !



المؤلف بين المؤمنين في الدنمارك

دعاني المتديّنون الى القاء كلمة ليلة التاسع عشر من شهر رمضان سنة (١٤١٠) بمناسبة استشهاد الامام عليّ عليه السلام، فأُعجبوا بتلك الكلمة وطالبوني بإحياء كلّ مناسبة دينية في ذلك المكان ، واستمرت الكلمات الجديدة عليهم في معرفة الدين حتى مال العديد من غير المتدينين الى التديّن ، فشعر كبير الكتلة اليسارية بالخطر فشنّ هجوماً مضاداً على المتديّنين وبثّ التشكيك في العقائد الدينية ، وجمع حوله اصدقاءه لعرقلة المناسبات الدينية في النادي ولكن من دون ان يصطدم معي مباشرة ، بل كان يحترمني في الظاهر .

سألني كبير الكتلة الدينية : ما الحلّ ؟

قلتُ : المفاوضة .

فذهب الى الطرف الآخر ، وتظاهر له هذا الأخير بالموافقة على احياء المناسبات الدينية، ولكنه عملياً واصل نهجه في نشر الشائعات وخلق المتاعب ، حتى جاءني الاخ رئيس الكتلة الدينية بعد مدّة من تقدّم الانشطة الدينية وسألني كيف نتعامل مع هذا المنافق ؟

قلتُ : اعملوا دعوة عامة للجالية (المتديّنين وغيرهم) وانتخبوا مَن تصوّت له الاكثرية لأني كنت أعلم أن الاكثرية معنا وهي ايضاً (منطق الديمقراطية) المألوفة في اوربا .

فانعقدت الجلسة العامة واختارتْ الأكثرية اقامة المناسبات الدينية بل وتبديل اسم النادي الى مركز اسلامي . فاستشاطت الاقلية غير المتدينة ، وراحوا يحيكون المؤامرات ويزرعون الألغام في طريق الانتعاشة الدينية .

طلبتُ أنْ أزورهم في بيوتهم لعلهم يهتدون ولكن الظروف حالت دون تحقيق هذا الامر، فدعوت الجميع الى جلسة عامة، وأكدت لهم على الحضور لأهمية الموضوع.

نحضر الجميع في ذلك اليوم وكانت كلمتي تتلخص في النقاط التالية:

ـ انكم مسلمون أباً عن جدّ، ومن بلد واحد وشعب واحد واصحاب قضية ومعاناة واحدة.

ـ ان الدين عامل وحدة وتأليفٍ للقلوب وليس سبباً للتفرقة.

ـ هذا المكان لكم جميعاً وانا ضيف، ولكني ضيف صاحب رسالة، ورسالتي هي الاصلاح الديني ونشر الاخلاق بينكم. فيمكنكم اعتباري مرشداً ومستشاراً بعيداً عن الادارة والتدخل في قراراتكم. لذلك فإني اقترح عليكم تشكيل إدارة مشتركة لإقامة مناسباتكم الدينية والقومية ايضاً. المهم ان لا تكون الثانية مقرونة بالمحرمات، فإن الحرام لايعقبه خير أبداً.

واقترح ان تعتمدوا في الادارة على نظام الانتخابات الحرّة وتدوين دستور للعمل، وحسم الآراء يكون برأي الاكثرية، وان تحترم الاقلية ما تقرره الاكثرية. وهذا ماتقوم به الدول والمؤسسات الحضارية في العالم، والاسلام دين النظام والاحترام والحضارة.

هنا اخرجتُ مسودّة دستور اعددتُها يوماً قبل الاجتماع فكتبت خطوطه العامة على لوحة النادي، وبيّنتُ فيها التوزيعة الادارية والمهام الدينية والقومية النزيهة على النحو التالي: مسؤول للعلاقات العامة، مسؤول للقضايا المالية، مسؤول للبرامج الدينية، مسؤول للبرامج القومية، وخامسهم المدير الذي يسمّونه بالصدر والواجهة، وعادة يكون أكبرهم سنّاً.

هنا تفاجئتُ والحاضرون أيضاً بقيام أحد ابرز الكتلة اليسارية واعلانه التالي:

ايها الاخوة، لي كلمة قصيرة لا استطيع كتمانها، انا الآن في الخمسين من العمر وكلكم تعرفون موقفي من الدين وعلمائه والمعمّمين.

أما الآن فمن هذه الساعة قد تغيّر عندي انطباعي السابق وعلمتُ أن العلماء ليسوا كلهم كما رأيناهم في بلادنا وسمعنا عنهم هنا وهناك، علمتُ أن الدين له وجه ناصع غير الوجه الباهت الذي كنّا نراه ونسمع عنه. واني لاشكر هذا الشيخ، واقول للجالية ان عليها ان تفتخر بنعمة حصولها على مثل هذا الانسان. ثم جلس وسط اندهاش الحاضرين.

وهكذا سقطت الكتلة اليسارية وانضمّ الباقون الى المتديّنين وتحوّل النادي الى (حسينية الامام المهدي ـ عجّل الله تعالى في ظهوره).

والجدير بالذكر ان الذين اهتدوا من الكتلة اليسارية اخبروني بعد ازدياد علاقتي بهم انهم

كانوا يفكرون في تلفيق تهمة عليّ لإخراجي من ساحة التأثير في الجالية وشبابها .

ولكن صدق اللّه تعالىٰ: ﴿ وقُلْ ربِّ ادخِلْني مُدخَل صِدْق وأخرِجْني مُخرَج صِدْق واجعَلْ لي مِن لدُنك سلطاناً نصيراً. وقُلْ جاء الحقُّ و زَهَقَ الباطلُ إنّ الباطلَ كان زَهوقاً﴾[1]

٥٠٧ سؤال يبحث عن جواب ؟

رجعتُ مع فضيلة الشيخ عبد المجيد المصفور من زيارة أحد الاخوة في العاصمة الدنماركية متجهين الىٰ حسينية الامام المهدي ﷺ فالتقينا اثناء الطريق بأحد السادة المحترمين من أهل العراق وهو متزوج من دنماركية متمسلمة علىٰ يده . تحدّثنا معه حول أمور، ثم سأله الشيخ : ما هو انطباع زوجتك الدنماركية عن الاسلام بعد اعتناقها له.

فقال الاخ : انها تقول بأن الاسلام دين عظيم وفيه من الافكار المتعاليّة والمفاهيم الانسانية ما لايوجد في الاديان الاخرىٰ ، ولكن الغريب جدّاً ما أشاهده من بون شاسع بين هذا الدين وواقع أتباعه وسلوكياتهم بشكل عام ، ان هذا الأمر لا أجد له تبريراً ، فلماذا البُعد والفاصلة بين الاسلام وبين المسلمين ؟! دين بهذا العلوّ وواقع أتباعه بهذا التناحر والخلافات والجهل ؟!

أقول : ليس في الاسلام نقص و لا في الانتماء اليه شقاء ، إنما يعود الأمر الىٰ الانسان نفسه، فإنّ التخلّف في مجتمعاتنا وليد الثقافة المادّية التي فرضتها الدول الاستعمارية علينا عبر حكّامها ، حتىٰ تجد « جمود العين ، وقسوة القلب ، وشدّة الحرص في طلب الرزق ، والإصرار علىٰ الذنب »[2] من سِمات المجتمعات المتخلّفة سواءاً في الجوانب الروحية أو المادّية البهيميّة ، و لا فرق في ذلك بين اوربا وبلادنا . فالإسلام الذي ورد في حديثه « مَن قَتَلَ عصفوراً بغير حق سألهُ اللّه عنه يوم القيامة » حريصٌ علىٰ حقوق الانسان أكثر من دعاتها في الغرب . وورد في حديث آخر : « كُفّ أذاكَ عن الناس فإنه صَدَقة تُصدَّقُ بها علىٰ نفسك » ولكن بالفعل المسلمون أولىٰ بالعمل فأين الخلل ؟! سؤال يبحث عن جواب !

٥٠٨ خلال عشرين دقيقة

رَنّ عندي تلفون البيت في الدنمارك ، ورفعت السمّاعةَ واذا بأخ يقول : يا شيخ ساعدني في حلّ أكبر مشكلة مع زوجتي ، فقد اغتاظت عليّ وخرجت معها أطفالي منذ اسبوع ملتجئة الىٰ

---

١ ـ سورة الاسراء / ٨٠ ـ ٨١.

٢ ـ ذلك من كلام للامام الصادق عليه السلام / بحار الانوار ـ ج ٧٣ ـ ص ٣٤٩.

(مؤسسة الشكوىٰ ضد الازواج) ، فكلّما أحاول الحديث معها لترجع الىٰ المنزل ترفض مكالمتي ولقائي ، وهي مصرّة علىٰ الانفصال . لا أدري ماذا أفعل ، أنا متحير للغاية . ارجوك ان تأتي معي الىٰ هذه المؤسسة لتقنعها بصفتك (عالم دين) . فاتفقنا علىٰ موعد وجئنا الىٰ المؤسسة التي أُخْبَرتْ رئيستها بمجيئي وكانت قد دعت لنا مترجماً رسمياً .

جلسنا حول طاولة مستديرة وزوجة الاخ كذلك حاضرة ، فتكلّمت معها (عشرين دقيقة) بنصائح دينية ، وكان المترجم يحوّل كلامي الىٰ رئيسة المؤسسة وتسمعه سكرتيرتها ايضاً ، وسرعان ما وجدوها ـ أي الزوجة المسلمة ـ تقرّر التصالح مع زوجها والرجوع الىٰ المنزل !

فاستغربتْ الرئيسة وقالت عبر المترجم : عجيب ، انّ هذه المشكلة كادت ان تقضي علىٰ العائلة وكنا نحاول اسبوعاً واحداً إقناعها بالرجوع الىٰ زوجها فلم نصل الىٰ حلّ معها، وأنت خلال عشرين دقيقة أقنعتها !

قلتُ : هذه قوة الدين الذي فطر اللّه الناس علىٰ هداه .

٥٠٩ مقارنةٌ بين الواقع والأمنية

برفقة الأخ الكريم الحاج خليل (أبي مصعب) وعائلته المكرّمة حيث كانوا قادمين من السويد خرجنا في سيارته الشخصية من الدنمارك الىٰ لندن في شهر ذي القعدة عام (١٤١٤) وعبرنا الاراضي الالمانية والنمساوية والبلجيكية ، و عدتُ علىٰ نفس الخط الىٰ الدنمارك وحيداً ، حيث سافر الاخ مع زوجته وأطفاله الاربع من لندن الىٰ حج بيت اللّه الحرام (رزقنا اللّه واياكم ذلك في كل عام).


المؤلف في سفرته الىٰ دول اوروبية

ان شاهدي من هذه الخاطرة الجميلة أني خلال مسيرة الذهاب والاياب الطويلة هذه والتي دامت أكثر من ثلاثين ساعة تقريباً ، لم يسألني أحدٌ في الحدود بين هذه البلدان عن جواز سفري أو البطاقة الشخصية أو أنك من أي بلد ، ماعدا الحدود البريطانية حيث أخذ الموظف جواز سفري ليمهر فيه تأشيرة دخول فقط ولم ينظروا فيه حين الخروج .

وسؤالي البريء جدّاً هنا : لماذا لاتعمل الدول الاسلامية أو العربية أو دول مجلس التعاون

(الاقليمي) كحدٍّ أدنىٰ بهذا القانون ؟!

علماً أن قوانين الحدود والجنسية وجوازات السفر وتأشيرات الدخول واجازات الاقامة كلها وردتنا من الدول الاوربية منذ بدايات هذا القرن الميلادي، وهي لم تكن في الاسلام ولم تمارسها الحكومات المسلمة السابقة. وكم أدّت هذه القوانين الىٰ تشديد الخناق علىٰ حياة المسلمين وخلقت لهم معاناة فوق معاناتهم، حتىٰ بات الانسان المسلم محروماً من أبسط حقوقه الانسانية في مسقط رأسه أو البقاع الاسلامية الاخرىٰ بحجة أنه لايمتلك جنسية أو اقامة أو ماأشبه ذلك، وربما عاش جيل في التيه ومارستْ عليه حكومة ما أنواع الاضطهاد كقطيع الغنم مستخدمةً تلك القوانين وسيلة لفرض الهيمنة ومصادرة الحرية بكل أنواعهما وصهرهم في بوتقتها ولا يُفهَم أني ضد هذه القوانين جملة وتفصيلاً، بل ضد أن تستخدم للظلم بحجة تنظيم حياة الناس.

وفي الغرب لاتجد شيئاً من هذا القبيل، بل تمنح الحكومات هناك من يلجأ اليها سكناً وراتباً شهرياً وجواز سفر وخدمات أخرىٰ مثل علاج مجّاني ومنحة دراسية بالاضافة الىٰ الحرية الدينية للمتدينين والحرية اللادينية لغيرهم بينما حكوماتنا (الموقّرة!) تمنح الحرية اللادينية بسخاء من يرغب فيها، وتزيّن الطريق اليها لمن لايرغب، وتضرب بيد من حديد علىٰ الانشطة الدينية التي هي من صميم دين الاكثرية وهو الاسلام.

ولكي أُسهّل عليك فهم هذه المقارنة البريئة جدّاً بين الواقع في اوربا والواقع في بلداننا انني بعد سحب جوازي أبعدتني حكومتي من السجن الىٰ ايران في محرم عام (١٤٠٠) وأنا بملابسي المتهرّئة وصحتي المتدهورة بسبب التعذيب، وبعد ثمانية أعوام اضطررت الىٰ السفر الىٰ الدنمارك، وهذا لايكون بالطبع الا بجواز سفر (غير حقيقي) وهو أمر يقوم به ملايين اللاجئين والمحرومين في العالم، والجدير بالذكر أن الحكومات الاوربية التي تستقبل اللاجئين تعلم بهذا النوع من الجوازات التي يدخلون بها، مع ذلك تمنحهم حق الاقامة علىٰ أراضيها وتعطيهم تلك الحاجيات الانسانية السابقة الذكر، هذا ماحصلت عليه أنا في الدنمارك سنة (١٩٨٩م ـ ١٤٠٩هـ) وزوجتي وأطفالي الثلاثة. وبعد انتهاء مدة الاقامة وهي خمس سنوات قررت العودة الىٰ وطني وقد مضتْ علىٰ إبعادي عنه أربعة عشر عاماً، فخرجت من مطار العاصمة الدنماركية عبر فرانكفورت الىٰ الوطن وهناك احتجزتني السلطات في المطار مدة أربعة أيام تم معي التحقيق، واقترحتُ لها الاصلاحات السياسية بالمفاوضة مع المعارضة كي يتجنب الشعب من أخذ حقوقه بغير الطرق السلمية، وكان الردّ هو إرجاعي الىٰ فرانكفورت، فخيّرتني السلطات الالمانية بين الدنمارك أو العودة الىٰ الوطن، فطلبت الوطن

لعلهم قد يتراجعون عن (العنتريات الزائدة) فعدتُ وعادت سلطات الوطن بالنفي مرة ثانية ، وهنا وبالتنسيق مع السلطات الدنماركية وضعتني السلطات الالمانية في طائرة (SAS) التابعة للخطوط الاسكندنافية ، ودخلت الدنمارك من دون وثيقة رسمية ولا جواز سفر ولا طلب تكاليف تلك السفرات ، وقد استغرقت مدة السؤال والجواب مع المسؤول الدنماركي (عشرين دقيقة) بسبب انعدام اللغة والا فالتأخير لم يكن أكثر من (عشر دقائق) ، حتىٰ أذن لي بالدخول وكدتُ لاأُصدّق ذلك لاننا من مناطق لا تفهم حكوماتها هذه الطرق الانسانية لا مع المواطنين ولا الاجانب الا من ارتضىٰ له الحاكم (المفدّىٰ) المَطالب !

ومقارنة اخرىٰ علىٰ صعيد آخر مع بعض مؤسساتنا الدينية ، وهي بريئة جداً كالمقارنة السابقة !

اجتمعنا مع المهتمين بمستقبل أطفال اللاجئين (الشيعة) في الدنمارك كي نؤسس مدرسةً تجمع بين المنهج الرسمي وخصوصيتنا الثقافية ، ولقد دعا الىٰ هذه الفكرة سماحة الشيخ عبدالمجيد العصفور في خطاباته كما دعوت اليها أنا في نشرة (الذكرىٰ) التي كنت أُصدّرها شهرياً ، وتحرّك اخوة لنا في هذا المجال وأخصهم بالذكر أخي العزيز (أبا عبداللّه) الاّ أن مفتاح الانجاز للمشروع كان رهين (المال)!

لذلك فَتَرَ الجميع خاصة بعد أن ذهب أحد الاخوة العراقيين الىٰ لندن وتكلم في المشروع مع مؤسسة دينية معروفة هناك ، فقال رئيسها بأن المساهمة المالية مشروطةٌ بأن تكون المدرسة باسمها رسماً واسماً وخاضعةً لاوامرها ظاهراً وباطناً ! وقال (السيد الرئيس!) أيضاً أن هذه المساهمة لاتتجاوز النصف من التكلفة الكلية أما النصف الآخر علىٰ أولياء امور الاطفال . وكانت هذه العقلية والتي بها وبأمثالها أصبحنا متخلّفين حضارياً ومشرّدين عن الاوطان بمثابة رصاصة الرحمة في كيان هذا المشروع، الاّ أن همّة الرجال أبتْ أن يوأد هذا المشروع الرائد في ذلك البلد الذي يتهدّد فيه مستقبل أولادنا الايماني ، فاستدانوا من الآباء مبالغ يحسبونها دُفعات شهرية مقدّمة سلفاً ، ومبالغ اخرىٰ من أهل الخير ، ودفعتْ وزارة التربية والتعليم الدنماركية (٧٥ ـ بالمائة) من المجموع الكلي وذلك بعد قيام المشروع بستة أشهر عملاً بالقانون الذي ينص علىٰ دعم المدارس الخصوصية لكل جالية أو قومية أو أتباع ديانة معينة ، وهكذا فرح المؤمنون يوم افتتحتْ (مدرسة الحكمة) ـ وهذا اسمها ـ حيث تُدرَس فيها اللغة العربية والتربية الدينية (وفق مذهب أهل البيت) الىٰ جانب المواد الدراسية العلمية

الرسمية ، وتُحيىٰ فيها المناسبات الاسلامية ، وكانت أُولىٰ مسرحية رائعة لبراعم المدرسة حول واقعة (كربلاء الحسين) . والغريب أن الوزارة الدنماركية لمْ تَسأل القائمين علىٰ المشروع: أي مرجع تقلِّدون ؟! وعلىٰ أيّ خط سائرون ؟!

كما لم تشترط شروطاً فيها الاسم والرسم لشخصية من شخصيات الدنمارك ! مع العلم أن الدنماركيين لايعرفون (نية القربة الىٰ اللّه) !

إنها عدالة انسانية ، فان نبينا محمداً ﷺ ـ وهو نبي الرحمة للعالمين وليس المسلمين فقط ـ قديماً قال : «المُلْك يبقىٰ مع الكفر ولايبقىٰ مع الظلم» .

وأقول هنا لمسؤولي تلك المؤسسات الدينية التي تحتكر أموال الحقوق الشرعية (وهي ملايين الدولارات اجتمعت لديها من أتعاب المؤمنين في كل مكان) وتستثمرها البنوك الغربية أو الشرقية و (تعلكها) الفئران في السراديب كما حصل لوكيل أحد المراجع في البحرين ! أقول: ان حسابكم يوم القيامة عسير ، كما أقول للطيبين من أهل العطاء لاتدفعوا أموالكم لوكلاء وعلماء لم يستوعبوا في حياتهم فَهْم المشاريع الحيوية للامة ، فان القضية الشرعية لاتسقط بتخلّصكم من الحقوق باعطائكم لها أياً كان ، بل أن تعرفوا لمن تعطون وأين نتيجة صرفه للاموال الشرعية ، وهل تعود عليكم وعلىٰ دينكم وأولادكم وأحفادكم من نفع دنيوي واخروي معاً أم تذهب الاموال من حيث لاتعود بالنفع . ذلك لأن وكلاء المراجع علىٰ نوعين نوع يصرف الاموال في مواردها الشرعية النافعة ، ونوع لايجيد التصرف (إنْ تسيطر عليه أهواؤه واهواء مَن حوله ، سيما بعض أولاده !!!) .

واني انتهز هذه الفرصة وأقول لعقلاء الاتحاد الاوربي والحكومة الدنماركية أن يمارسوا نصحاً جدّياً لتنحو الحكومات منحىٰ القوانين الانسانية وتمنع انتهاكات حقوق الانسان كيلا يتدفّق اللاجئون الىٰ اوربا ، وليكن ذلك عملاً من أجل حب الانسان للانسان مع غض النظر عن عقيدته الدينية أو لونه أو قوميته ، وبهذا سوف تُصحِّح نظرة الشعوب المحرومة تجاه اوربا ، ذلك لانها تعتقد بأن الدول الاوربية وراء تثبيت الانظمة الاستبدادية في بلادها من أجل نهب الثروات والهيمنة عليها ، ولاتخفىٰ علىٰ العقلاء أن هذه النظرة سواءً كانت صحيحة أو خاطئة تترك أثراً سيئاً علىٰ العلاقات العملية بين شعوبنا والشعوب الاوربية ، ولذلك وجب التصحيح . هذا ولا تعني هذه المقارنة انعدام السلبيات في اوربا وغياب الايجابيات في بلادنا على

الاطلاق ، بل هناك سلبيات وهنا ايجابيات على كثير من الأصعدة أيضاً ، لذلك فلا أنصح بالعيش هناك إلاّ للمضطر وذي رسالة مشروعة ، كما ادعو اللّه تعالىٰ أن لايتلوّث المقيمون هناك بالسلبيات والمفاسد المهلكة .

٥١٠ ماذا وَجَدوا في التّابوت ؟

نقل لي آية اللّه السيد أبو القاسم الكوكبي (دام ظله) أن والده المرحوم السيد علي أصغر وهو من كبار علماء الدين في مدينة (تبريز) توفىٰ قبل أكثر من أربعين عاماً وقد أوصىٰ بنقل جنازته الىٰ النجف الاشرف ودفنها جوار مرقد الامام علي عليه السلام قدر الإمكان والمستطاع . يقول السيد الكوكبي انه :

لأسباب معيّنة لم نتمكن من العمل بوصيته في ذلك الوقت فوضعنا الجنازة في تابوت ودفّناه في مقبرة منطقتنا بشكل اذا فتح الطريق الىٰ العراق يسهل نقلها الىٰ النجف.

ومضت أربع سنوات حتىٰ حصلنا علىٰ اجازة الحكومة العراقية والايرانية لنقل الجنازة، وسجّلت الجهة الادارية في الوثيقة انها جنازة مندرسة وكتبت تاريخ الوفاة الحقيقية قبل كذا سنة ، وذلك حسب المعلومات الدقيقة التي قدّمناها .

وهكذا حملنا التابوت متجهين نحو الاراضي العراقية عبر الحدود البريّة (خِسْروي - خانقين) . فأخضعت الجهة المعنية في الجمرك العراقي الجنازة للتفتيش والفحص المطلوب وتطبيق المعلومات المكتوبة في الوثيقة الايرانية . فما أن فتحوا التابوت حتىٰ وجدوا جثمان والدي طريّاً وكأنه ميت قبل ساعات !

فرفضوها بذريعة ان الوثيقة تنص ان الميت مندرس الجثمان وتاريخ وفاته قديم بينما هذا الجسد لا يبدو عليه ميتاً بهذا التأريخ !

وطالت محاولاتنا في إقناع شرطة الحدود ومسؤول الجمرك العراقي حتىٰ وافقوا بدخولناالىٰ النجف الأشرف .

نعم هذه أبدان العلماء الاتقياء الذين سخّروا قواهم الجسمية في عبادة اللّه تعالىٰ ويأبىٰ اللّه الكريم ان تتشوّه الأبدان المستخدمة في طاعته وعبادته إكراماً لصاحبها واجلالاً لأرواحها المؤمنة ونفوسها المطمئنة وتدليلاً للآخرين علىٰ سلامة طريقهم .

٥١١ مزاحٌ مع (اللّهِ) تعالىٰ !

نقل آية اللّه العظمىٰ النجفي المرعشي ﷺ : أن عالماً زاهداً في أيام الشيخ عبدالكريم الحائري اسمه الشيخ حسين ، المعروف بالشيخ (أرده شيره) ، كان يعيش وحيداً في مدينة قم المقدسة ، وينام أينما حلّ به مقام ، ولا يهمّه فقره ، وكان أكله كأكل أفقر الفقراء، وبكلمة كان الشيخ تاركاً للدنيا بهذا المعنىٰ .

فذات ليلة في الشتاء وبعد طول عبادة نام في حجرة مقبرة المرحوم ميرزا القمي في مقبرة (شيخان) ـ قرب حرم السيدة معصومة عليها السلام ـ فاستيقظ في الصباح وأراد أن يخرج ليتوضأ لصلاة الصبح فكان الباب لا ينفتح بسبب كثافة الثلوج المتجمّعة خلفه ، فمهما حاول لم يتحرك الباب ، فتحيّر كيف يصلي بلا وضوء وكان لا يمكنه التيمم ، ربما لعدم وجود مايصح عليه التيمم هناك .

استمر في حيرته حتىٰ اقترب وقت طلوع الشمس فلكيلا تقضىٰ صلاته قام وصلّىٰ الصبح من دون وضوء ولا تيمّم ، ثم رفع يديه الىٰ السماء وقال (مازحاً مع اللّه تعالىٰ) : الٰهي حتىٰ الآن كلّ ما أعطيتني قبلتُه منك ولم أردّ ، أعطيتني خبزاً مع جبن نقبلته ، وأعطيتني خبزاً مع (عجينة سمسم) فشكرتك ، وأعطيتني خبزاً خالياً نقبلته ايضاً! فالآن أنا اعطيك صلاة بلا وضوء ولاتيمم ، فاقبلها ولا تؤاخذني بها يوم القيامة !

يقول أحد اصدقاء الشيخ بعد مدّة من وفاة الشيخ رأيته في المنام سألته : كيف عاملك اللّه يا شيخ ؟

فأجاب : نقد غفر اللّه لي بتلك الصلاة فقط [١].

٥١٢ الشهيدُ الأوّل والشهيدُ الثاني

كتاب اللمعة الدمشقية في فقه الشريعة الاسلامية مؤلفه هو الشيخ شمس الدين العاملي ، المعروف بالشهيد الاول ، وقد كتبه في السجن خلال سبعة أيام فقط ، ثم أُعدِم في سنة (٧٨٦هـ).

وجاء بعده الشيخ زين الدين العاملي وهو من نوابغ الفقهاء فكتب شرحاً لما ألّفه الشهيد

---

١ ـ بالفارسية (مردان علم در ميدان عمل) ص ٤٥٧ .

الأول وسمّاه (الروضة البهية في شرح اللمعة الدمشقية) ، وهو من أفضل الكتب الدراسية في الحـوزات العـلمية عـندنا، وقـد اسـتشهد ايـضاً ولقّب بـالشهيد الثـاني، وذلك فـي سنة (٩٦٥ هـ).

يقول الشيخ البهائي نقلاً عن أبيه ـ وكان من كبار تلامذة الشهيد الثاني ـ انه قال :

دخلت علىٰ شيخنا المعظم فوجدته يتفكّر !

فسألته عن سبب تفكيره ؟

فقال : يا أخي أظن أني أكون ثاني الشهيدين ، لأني رأيت البارحة في المنام أن السيد المرتضىٰ علم الهُدىٰ (رضي الله عنه) عمل وليمة جمع فيها العلماء الامامية بأجمعهم في بيت، فلما دخلتُ عليهم ، قام السيد المرتضىٰ ورحّب بي وقال لي :

يا فلان اجلس بجنب الشيخ الشهيد، فجلستُ بجنبه، فلما استوىٰ بنا المجلس انتبهتُ . ومنامي هذا دليل ظاهر علىٰ اني أكون تالياً له في الشهادة » [1].

٥١٣ كان عزيزُ النفْس، لايأْمُر

آيةٌ للّه وعارفٌ باللّه ، لطيف الكلام ، شريف المرام ، أنيس لجالسيه ، عـزيز النـفس مع معاشريه ، كان اذا احتاج الىٰ أمر يقوم اليه متعنّياً بنفسه ، وربما كان ابنه أو حفيده أو أحد تلامذته في تلك الساعة بالقرب منه ، وهم بالتأكيد يعتزّون أن يقدّموا له خدمة . ولكنه في أواخر سنيّ عمره حيث كبُر سِنّه كان اذا احتاج الىٰ شيء نوّه لهم حاجته في صيغة سؤال وكناية بابتسامة لابكلمات الامر والمطالبة ، فـمثلاً اذا كـان عـطشاناً يـقول لمـن عـنده عـلىٰ سـبيل الملاطفة: أنت لما تعطش ماذا تفعل؟! واذا كان يجوع بشدة يقول : الهي انك تعلم بأني جائع!

لعلك أيها القارىء تريد معرفة اسم هذا العالم الجليل ! ولكن لا تستعجل .

فقد نقل لي تلميذه الملازم له فضيلة الشيخ محمد كاظم أنوشيرواني (دام عزه) انه ذات مرة دخل عليه ضيوف ولم يكن أحد من عائلته في البيت ، فلم يقل لي أَحضِر الشاي ، بل قال : هل تعرف كيف يصنعون الشاي ؟!

ولما كان يحين وقت دوائه وكان بعيداً عن متناول يده يـقول لي : لو كـان دوائـي عـندي لشربته الآن !

وينقل أنه لم يأمره قط بإحضار فطور الصباح حتىٰ ولو كان الضـعف والجـوع مسـتوليين

---

١ ـ مقدمة اللمعة / طباعة مكتب الاعلام الاسلامي في حوزة قم العلمية .

عليه، فلما كنت لا أنتبه لحاله بعد أيام طويلة من تأخير احضار الفطور أَلْفَتَ انتباهي يوماً وقال: لايسيئني في وقت من الاوقات اذا حضر الفطور ساعة قبل هذه!

وأخيراً هل تعلم من هو هذا الرجل العزيز النفس اللطيف الحرف ؟

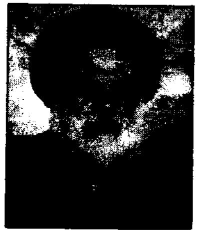
ذلك هو المرحوم العلّامة آية الله الحاج السيد محمد كاظم المدرّسي ﷺ.

٥١٤ مِن نوادِر القَصَص

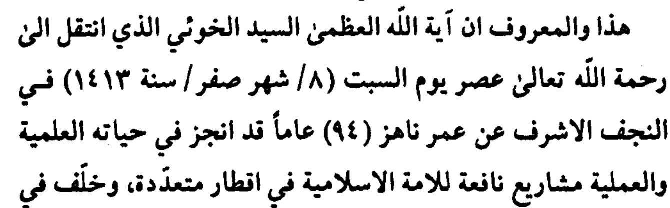
مما يُروىٰ عن نوادر المرجع الاعلىٰ السيد أبي القاسم الخوئي ﷺ ان أحد المصابين بشدّة التحرّز في قضايا الطهارة والنجاسة (يعني الوسواس) دخل عليه يوماً وقال : انني اعتقد ان الهواء نجس ، فهو رغم انه غير مرئيّ لكنه محسوس ، ودليل نجاسته أن الهواء يلتقي بالنجاسات في دورة المياه مثلاً فيحيط بها فتنتقل اليها النجاسة !

السيد ابوالقاسم الخوئي

فردّ عليه السيّد بكل بداهة : صحيح ما تقوله ، ان الهواء يتصل بالنجاسات ولكنه أيضاً يتصل بالبحار والبحيرات في العالم ، وهي اكثر من كمّية ماء الكُرّ ، وبالتالي فهو لا يُنَجِّس !



السيد محمد علي المددي



هذا والمعروف ان آية الله العظمىٰ السيد الخوئي الذي انتقل الىٰ رحمة الله تعالىٰ عصر يوم السبت (٨/ شهر صفر/ سنة ١٤١٣) في النجف الاشرف عن عمر ناهز (٩٤) عاماً قد انجز في حياته العلمية والعملية مشاريع نافعة للامة الاسلامية في اقطار متعدّدة، وخلّف في مختلف العلوم الاسلامية من الفقه والتفسير وعلم الاصول وعلم الرجال مؤلفات قيّمة .

هذا ولقد رأيته في المنام قبل بضع ليال وعليه جبّة رمادية اللّون فتح لي كتاباً عتيقاً وقال: « هذا ماكتبه عني اساتذتي » .

ومن غريب الاتفاق اني كنتُ أمس في زيارة سماحة آية الله الحاج السيد محمد علي المددي (حفظه الله) ـ وهو من كبار علماء مشهد المقدسة ، وكان عليه جبّة بنفس لون الجبّة التي رأيتها علىٰ السيد الخوئي في المنام والسيّدان لا يخلوان من الشبه في الهيئة أيضاً ، فأعطاني السيد المددي كتاباً صدر حديثاً عن حياة السيد الخوئي والذي نقلت منه في كتابنا هذا ، ويقترن هذا ما أراني السيد الخوئي كتاباً في المنام عن نفسه .

٥١٥ ليلةُ ميلادِ الحقّ

ليلة ميلاد الولاية .. ليلة الثالث عشر من شهر رجب هذا العام (١٤١٣) الهجري ذكرىٰ ميلاد الامام علي بن أبي طالب عليه السلام دخلتُ الحسينية النجفية في مدينة مشهد المقدسة، وكان فيها احتفال كبير بهذه المناسبة السعيدة . لدىٰ الباب أجلت نظراتي في الاماكن الخالية، فوجدت مكاناً خالياً عند شيخ يناهز الستّين من العمر تقريباً ، فجئتُ وجلست عنده . وبعد السلام عليه شخصت بصري نحو منصة الحفل التي كانت مزيّنة بالانوار والالوان الجميلة ، وبينما احاول الاصغاء للخطيب لاحظت الشيخ الذي بجانبي يكثر التأمّل فيّ !

وأخيراً سألني : من أي بلد أنت ؟ لبناني أم عراقي ؟

قلت : من البحرين .

قال : زائر ، ام مقيم ؟

قلت : مقيم حالياً .

تكلّمنا حتىٰ تبين انه امام مسجد جامع في إحدىٰ المدن الايرانية البعيدة ، وكان يعيش في النجف الاشرف قبل خمسة عشر عاماً ، وقبل هذه المدة كان يحضر بحث الخارج في الفقه الاسلامي عند المرحوم آية اللّه العظمىٰ السيد الخوئي رحمه الله حتىٰ صار من المقرّبين منه ومن جملة من يحضر مجلس الاستفتاء في بيت المرجع الأعلىٰ .

ولما عرفت مكانته العلمية وموقعه فى البيت فاتحته بشأن كتابى هذا (قصص وخواطر) ، وطلبت منه أن يزوّدني بخواطره .

فأثنىٰ علىٰ هذا المشروع ، وقال انه اختيار رائع ، ادعو اللّه لك بالتوفيق والنجاح ، ثم اضاف قائلاً : « جئت وحدي لزيارة مرقد الامام الرضا عليه السلام ، وهذه الليلة أتيتُ هنا ، ولكن سمّاعة الحفل لا تنقل الصوت واضحاً ـ وبالفعل كان كذلك ـ وخاصة مع هذا الازدحام الذي تشاهده .. فأخذ الملل يستولي عليّ ، وكنت اطلب من اللّه تعالىٰ أن يأتي إليّ بشخص يؤنسني وأتبادل الحديث معه، ذلك لأن الاشخاص الجالسين عندي لم أرغب في الحديث معهم، والآن يبدو ان اللّه تعالىٰ استجاب لي وأتىٰ بك عندي ، وانا بمجرد نظرتي الاولىٰ اليك خطر في قلبي أن الحديث معك سيكون شيّقاً .

فأخذ الشيخ يدلي ببعض ذكرياته وانا أسجّل أهمها ، لأقدّم الآن اليك بعضها :

« كنّا في مجلس الاستفتاء ، نتحدّث عن الاجابات الشرعية للأسئلة التي تردنا من مقلّدي

السيد الخوئي ، وبعد التأكد من رأي السيد ، نقوم بكتابة الجواب تحت السؤال .

وكان ممّن يشارك في الجلسة ، سماحة الشهيد السيد الصدر ﷺ قبل أن يطبع رسالته الفقهية ويعلن مرجعيّته ، كان مجتهداً وقّاد الذّهن ، شديد الذكاء ، يُخرج أدلة المسائل الفقهية من كتاب وسائل الشيعة اعتماداً علىٰ ذاكرته ، من دون أن يراجع فهرس هذه الموسوعة (البالغة عشرين مجلداً) .

ذات مرة دار بينه وبين استاذه السيد الخوئي نقاشٌ طويلٌ دام حوالي أربع ساعات حول مسألة (تقصير الحاج شعره في الحج) ، فرأي السيد الخوئي هو الوجوب التخييري بين الحلق والتقصيير ، بينما يرىٰ السيد الصدر الوجوب التعييني في الحلق . وكانت النتيجة أن لم يقتنع الطرفان برأي الآخر ، ولكن السيد الخوئي قال للسيد الصدر.. انك قويّ ! »

ومرّة كنا جالسين ومعنا سماحة الشيخ أحمد الانصاري ـ فرّج اللّه عنه، وخلّصه من سجن صدّام ـ، وقد كان الشيخ ذا علاقة وثيقة مع التّجار المؤمنين في ايران، حيث سعىٰ عبرهم الىٰ بناء مسجد الخضراء للسيد الخوئي ﷺ . في ذلك المجلس نقل الشيخ الانصاري ، ان احد تجّار ايران قال لي : إذهب الىٰ كربلاء وقل لآية اللّه السيد محمد الشيرازي اني مستعد لتمويل نشاطاته لخدمة الاسلام ، بأي مقدار يحتاج من المال .

فذهبت اليه وأبلغتُه هذا العرض المغري جداً ، والذي لا يردّه أي عالم غالباً !

ولكني فوجئتُ بعزّة نفس السيد الشيرازي ، وعَظُم في عيني عندما ابتسم وقال : «ليس هذا مهمّاً ، المهم ان تتحركوا لنشر الاسلام بين الناس ، فهذه افريقيا يقتلها الفقر الثقافي والمادي ويغزوها المسيحيون واليهود ونحن نيام »

قلت في نفسي ـ والكلام للشيخ الانصاري ـ لو كان غيرك تُعرَض عليه هذه الاموال، لأخذها أولاً ، ثم تكلّم بشيء وانفرد بنفسه يعمل كيف يشاء . نعم لقد تكلم السيد بهذا الكلام ولم يأخذ المال ، او يهتم بالموضوع ، فودعته وهو كبير في عيني » .

أقول بهذه القصة أوقعني الشيخ في حيرة واستغراب ، وبينما كنت أتساءل مع نفسي كيف يذكر اسم السيد الشيرازي بهذا الاحترام والمنقبة ، وهو بعيد عنه ، بل كما قال لاحقاً انه لم يَرَ السيد في عمره قط ، وانما قرأ كتبه كثيراً ، استطرد يقول : ان السيد الشيرازي لم أرَ أو اسمع مثله ، فانه كتب مؤلفات كثيرة في هداية الناس الىٰ الاسلام ، وهو صاحب الخدمات الكبيرة والمؤسسات العديدة في العالم الاسلامي . فهذه كُتبه في الفقه والاصول تدل علىٰ اجتهاده واعلميته واطلاعه الواسع .

هنا حيث زاد استغرابي سألته عمّا يُشاع من كلام في هذا الأمر ! فقال الشيخ : هفوة من الكبار وزلّة من اتباعهم وأهداف دنيئة من المغرضين المتربّصين بنا الدوائر جميعاً ، واللّه يغفر لمن كان سبباً في ذلك .

ثم ترحّم الشيخ (حفظه اللّه) على الشهيد المظلوم السيد حسن الشيرازي الذي اغتاله البعثيون في بيروت سنة (١٤٠٠) الهجرية وهو في طريقه الى الفاتحة التي كان الشهيد قد أقامها على روح الشهيد السعيد آية اللّه العظمى السيد محمد باقر الصدر .

وأخذ الشيخ يقول : « وانا اشبّه السيد محمد الشيرازي واخاه السيد حسن ، بالامام الحسين وأبي الفضل العباس .. في مواقفهما وتعاونهما وجهادهما » .

حقاً كان السيد حسن العضد الايمن لأخيه ، وقد انكسر ظهره باستشهاده ، ولكن العجب انه صامد حتى اليوم رغم الأذى الذي تعرّض له من قبل النظام العراقي وبعض الجهلة والذين يتهاونون في تحرّي الحقائق ، وهذا بحدّ ذاته دليل آخر على التأييدات الالٰهية المحصَّن بها هذا السيد الجليل .

وبهذه المناسبة أقول لقد سافرت سنة ١٤٠٣ هـ الى ممباسا اكبر المدن الكينية في أفريقيا بعد العاصمة نيروبي وذلك للتبليغ في شهر رمضان المبارك ، اخبرني الحاج ملاّ علي مدير جمعية بلال الاسلامية ان من الكتب التي يدرّسونها في الجمعية كتاب عقائد الشيعة تأليف آية اللّه السيد محمد الشيرازي وقد أعطانا بنفسه في زيارتنا لسماحته في كربلاء قبل ثلاثين سنة (يعني سنة ١٣٧٣ هـ).

وأخيراً لقد صادف أن التقيت بالشيخ في الليلة التالية عند ضريح الامام الرضا عليه السلام وطلب منّي أن لا أنقل هذه القصّة باسمه ، وأنا على العهد واللّه ولي التوفيق وبه السداد وعليه التكلان.

٥١٦ نوعٌ مِن الدّعاء والزيارة

نقل فضيلة الشيخ قرائتي (حفظه اللّه) في كلمة ألقاها بين حجاج بيت اللّه الحرام ليلة الجمعة (٢٨ / ذي الحجة / ١٤١٣) القصة التالية : ان آية اللّه الزنجاني رحمه الله كان يدعو في صلاته : اللهم اني اشكرك بعدد الفقراء ، حيث أغنيتني ...

اللهم اني اشكرك بعدد الاكفاء ، حيث أبصرتني ...

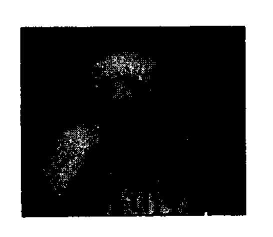
اللهم اني اشكرك بعدد المجانين ، حيث أعقلتني ...
اللهم أني اشكرك بعدد المرضىٰ ، حيث عافيتني ...

وذكر الشيخ قراءتي أيضاً (دام ظله) أن الامام الخميني لما كان منفياً في النجف الاشرف أرسل الىٰ شخص في ايران أن يذهب الىٰ السجن ويخبر أحد كبار العلماء الذي قضىٰ اثنتي عشرة سنة في السجن بأن الامام يزور كلّ ليلة مرقد أمير المؤمنين عليه السلام نيابة عنك وثواباً إليك.

بهذا الاسلوب كان الامام قدس سره ينفخ روح الاستقامة في الشخصيات الجهادية المؤمنة.

٥١٧ هذا هو الذهب الحقيقي !

اذا كنتَ ممن يحلُم بالثراء أو يريد طرد الفقر عن حياته ، تأمل في القصة العجيبة التالية :


الشيخ حسن علي الاصفهاني

نقل لي استاذي سماحة العلامة الحاج السيد أحمد المددي نقلاً عن المرحوم آية الله الحاج السيد أحمد الزنجاني الشبيري انه قال كنتُ مع واحد من كبار العلماء في حرم الامام الرضا عليه السلام فرأينا العالم الربّاني الشيخ حسن علي الاصفهاني المعروف بـ (نخودكي) ـ نسبة الىٰ قريته القريبة من مشهد المقدسة ـ والذي عُرِف ببعض العلوم الغريبة ، مثل تحويل النحاس الىٰ الذهب بعملية كيماوية (لا تخلو من أدعية خاصة) .

فطلبنا من الشيخ أن يوافق علىٰ تعليمنا هذا العلم ، فقال : أنا الآن منصرف الىٰ الزيارة ، اذهبا الىٰ الصحن سآتيكما ونتحدّث في الموضوع .

ذهبنا وانتظرناه حتىٰ أتىٰ ، فقال لصاحبي حيث كان أكثر منّي إصراراً : اذا علّمتُك وأخذتَ تصنع الذهب ماذا ستفعل به بعدئذ ؟

أجاب صاحبي : أصرفها في إنجاز مشاريع تخدم الاسلام .

قال الشيخ : أ واثقٌ من نفسك بأن الثروة لا تغيّر نواياك هذه ؟

أجاب صاحبي بصراحة : لستُ واثقاً مائة في مائة .

قال الشيخ : إذن اعذرني ، فإني لا أساهم فيما قد يؤدي الىٰ محاسبتي عند الله غداً . ولكن اعلّمكما آية تقرءانها بعد كل فريضة ثلاث مرّات ، ان التزمتما بها فسوف لا يقربكما طول الفقر . وتلك هي قول الله تعالىٰ : ﴿ومَن يتّقِ اللّهَ يَجْعَلْ له مَخْرَجاً ويَرْزُقْه من حيث لا

يَحْتسب ومَن يتوكّل علىٰ اللّهِ فهو حَسْبُه إنّ اللّهَ بالِغُ أمْرِه قد جَعَلَ اللّهُ لكلِّ شيء قَدْراً﴾[1].

يقول السيد الزنجاني : ولقد جرّبنا كلام الشيخ الاصفهاني والتزمنا بقراءة هذه الآية كما أمر فلم نبتلِ بالفقر في حياتنا قط .

أقول : هل تريد أن تعلم العالم الآخر الذي انطلق في موقفه الصريح من الآية القائلة : ﴿وما أُبرّئُ نفسي إنّ النَفْسَ لأمّارةٌ بالسّوءِ إلاّ ما رَحِمَ ربّي إنّ ربي غفورٌ رحيم﴾[2].

انه الرجل الذي أثبت ان الدنيا ما غرّته ، وقد ملك ايران بأسرها وملك قلوباً كان أصحابها رهن إشارته ، ولكنه عاش مستأجراً ومات من غير حاجة ، فتسابق أكثر من عشرة ملايين باكياً وباكية في طهران لتشييع جنازته ، ولم يسبق لهذا الرقم مثيل في تشييع جنائز العظماء في التأريخ . وكان هذا الرجل ـ كما شاهدتُه بنفسي في النجف الأشرف وقبّلتُ أنامله ـ يتنقّل في سيارة أجرة ، وبينما قدّم له الكثير من الأثرياء المؤمنين آخر طراز السيارات ليركبها فأبىٰ زهداً.

انه الامام الخميني (رضوان اللّه تعالىٰ عليه) وكذلك يكون المالكون لأنفسهم والمانعون لها أن تقودهم الىٰ حيث الدنيا .

٥١٨ هنيئاً لك هذه الأخلاق


الشيخ عباس التربتي

كان الشيخ الحاج آخوند ملاّ عباس المتوفىٰ سنة (١٢٨٨ هـ) ﵀ مثالاً في المسالمة وصفاء القلب والصبر علىٰ المكاره وصلابة الأعصاب .

يقال كانت له أرض زراعية يعمل فيها بنفسه ،فاتفق اصحاب الأراضي المجاورة لأرضه أن يمتحنوا الشيخ ويروا منه موقفه في مداراة الآخرين .

وكانت لصاحب كلّ أرض ساعة معينة يسقي زرعه من ماء البئر المشترك بينهم، فلما كانت ساعة السقي من حصة الشيخ وجّه الاشخاص جهة الماء الىٰ أراضيهم لينظروا ماذا يفعل الشيخ تجاه غصب حقه الواضح ؟ !

ولكنهم استغربوا اذ قال لهم : بلا زحمة ، بعدما سقيتم زرعكم وجّهوا الماء الىٰ جهة أرضي!

---

١ ـ سورة الطلاق / ٢ ـ ٣.
٢ ـ سورة يوسف / ٥٣.

وذهب ليشتغل بانتظار الماء ، فاعتذر له الاشخاص وقالوا : كنّا نعرف انّ هذه الساعة من حصّتك ولكن أردنا امتحانك ياشيخ ، فهنيئاً لك هذه الاخلاق الحسنة (١) .

٥١٩ دَعْهُ ، يُبرِّد قلبَه

نقل المرحوم الحاج علي القندهاري : ذات مرة خرج الشيخ آخوند ملاّ عباس من قريته الىٰ المدينة برفقة أحد المؤمنين فأوقفهما واحد من الأشرار يدّعي انه سيد من ذرية رسول الله ﷺ وكان قويّ الجسم، فقال للشيخ من غير أدب : أعطني من مال جدّي !

فقال الشيخ : ليس عندي من مال الحقوق الشرعية ولكن لديّ قليلاً من النقود أريدها لطريقي ، أقدّمها لك إنْ تريد .

فرفض الرجل أن يأخُذ ذلك فقام بركل الشيخ ولَكمِهِ ! فهمّ الذي كان مع الشيخ بضرب الرجل والدفاع عن الشيخ ، ولكن الشيخ مسكه وقال له : لا تضربه ، انه سيّد محتاج ، دعه فإنْ لم يحصل مالاً فليبرد قلبه بلكمي وضربي ! (٢)

٥٢٠ إنّهم ضيوفُنا

قال المرحوم الاستاذ علي القندهاري :

حينما كنت صبياً دخلتُ ذات ليلة مع زملائي الصبيان في بيت الحاج الشيخ آخوند ملاّ عباس وكان عنده مجلس قراءة دينية ، فكنا كما هو ديدن الصبيان نحدث صخباً عند الباب ونهرب ثم نكرّ ثانية وربما حطّمنا السراج الذي كان علىٰ الباب .

ولكن بعد قليل فوجئنا في ظلمة الزقاق قرب الباب بشيخ مسك ايدينا بلطف وبينما سألنا عن حالنا أخذ ينادي من في المنزل : انّ هؤلاء أولادي قد تعبوا من اللّعب وهم جياع حتماً، استضيفوهم فإنهم ضيوفنا (٣) .

بهذه الاخلاق السامية كَسَبَ الشيخ تلك المجموعة ورغّبهم في الحضور الىٰ مجالس الموعظة الدينيّة ، وكان من نتاجها ناقل هذه القصة .

---

١ ـ كتاب بالفارسية (فضيلتهاى فراموش شده) / ص ٣٦.

٢ ـ نفس المصدر / ص ٣٤.

٣ ـ كتاب بالفارسية (فضيلتهاى فراموش شده) ص٣٢.

٥٢١ أودُّ أنْ أقول لك شيئاً !

كان المرحوم الشيخ الحاج آخوند ملاّ عباس يراعي شعور الانسان الىٰ درجة قلّ لها مثيل.

يقول المرحوم الدكتور ضياء الأطباء ـ وهو من الاطباء القدماء المعروفين ـ:

في فصل الصيف حيث كنت استقبل المرضىٰ في ساحة منزلي ، أجسّ نبضهم وانظر في لسانهم واطالع في ماكتبت لهم من أدوية سابقة ثم أكتب لهم أدوية أخرىٰ .

وبينما أنا كذلك اذ دخل الشيخ الحاج آخوند حاملاً طفلته تحت عباءته ، فجلس خلف الجالسين بعيداً ينتظر ساعة ينتهي الذين قبله . فمن باب الاحترام قلت لسماحة الشيخ : تقدّم لأعاين ابنتك ولا تتأخر . فلم يقبل الشيخ وقال : انّ هؤلاءالمرضىٰ حضروا قبلي ، ولايحق لي التقدم عليهم .

فأخذتُ أواصل عملي حتىٰ جاء دور امرأة ساذجة ، فسألتها :

أين الورقة السابقة التي كتبتُ لك فيها أدوية ومقاديرها ؟

قالت : لقد أكلتُها !!

قلت لها : هل تقصدي انك وضعتِ الورقة في الماء وأغليتي الماء فشربتيه ؟ !

قالت : نعم !

فقلت لها : أسف علىٰ الخبز الرخيص الذي يقدّمه لك زوجك لتأكليه . (وكان الدكتور بهذا الكلام يريد التعبير بعقل هذه المرأة الساذجة) .

فضحكتْ عليها النساء الحاضرات، وكتبتُ لها ورقة أخرىٰ عن الادوية لتشتريها من العطّار.

فلما ذهب المرضىٰ وجاء دور الشيخ وعاينتُ طفلته دعىٰ لي الشيخ بالخير ثم قال : أودّ أن اقول لك بأن الكلمة التي قلتها لتلك المرأة واضحكتَ عليها النساء حتىٰ خجلتْ لم تكن جيّدة.

يقول الدكتور : صرتُ بكلام الشيخ كمن كان نائماً فاستيقظ ، فعلمتُ كم من كلمة نطلقها لنضحك بها اشخاصاً حولنا ونتخيّلها هيّنة وعادية بينما تجرح الطرف المهان وتتأثر بها روحه ونفسيته مالم يفهمه الا المهان [1]. ولذلك حَرَّم الاسلام الإهانة والاستخفاف بالآخرين وخاصة بالمؤمنين .

---

١ ـ نفس المصدر / ١٢٥ .

٥٢٢ بين الحِدّيّة والشرعيّة

أحياناً تضيع المقاييس الشرعية بسبب الحدّية التي يتطبّع بها أشخاص سواء كانوا معمّمين أو غير معمّمين.

يقول المرحوم الشيخ راشد (الخطيب الايراني المعروف) أن في مدينتهم كانت إدارة لتحديد متاجرة (الترياق) ـ وهو مادة تخدير مخفّف تعدد فيها رأي الفقهاء بين جواز استعماله وعدم الجواز ولكن المشهور هو الحرمة ـ.

وكان في مدينتنا أيضاً عالم محترم نسبيّاً ولكنه سريع الانفعال وشديد الهجوم وكان جريئاً في التكفير والتفسيق ، وبذلك كان يحدث ضجّة في الاوساط ـ بين مدّة الىٰ مدّة ـ فمرّة اغتاظ علىٰ رئيس تلك الادارة وكفّره ! فجاء بعض الناس ليقتلوه بناءً علىٰ (فتوىٰ العالم)، فساعده بعض اصدقائه لإخفائه ، فاضطر الىٰ أن يعيش فترة في الخفاء حتىٰ يوم عيد الغدير حيث يأتي الناس الىٰ لقاء والدي الحاج الشيخ آخوند ملاّ عباس ـ وهو من كبار العلماء الاتقياء ـ جاء معهم الرجل فصافح والدي وجلس وشرب شاياً ثم ودّعه وخرج . وهذا يعني تبرئة الرجل من التكفير الذي أطلقه عليه ذلك العالم. فَعلِم بالأمر ذلك العالم وجاء الىٰ والدي غاضباً معترضاً لماذا سمحت لهذا الكافر أن يدخل بيتك وتصافحه كما تصافح مسلماً؟!

قال له والدي : أنت بأي دليل أصدرتَ عليه حكم التكفير، وكيف ثبت لديك كفره؟ فهل أنكر بحضورك واحدة من الضرورات الدينية، أم شهد عندك بكفره عادلان.

قال العالم : أخبَرَني بكفره من أثق بهم .

قال والدي : هؤلاء الذين تثق فيهم هل أنت مستعد للاقتداء بهم في الصلاة ؟ وهل تأمنهم علىٰ مالك وعِرْضك ؟ وعلىٰ فرض انك تثق فيهم وهم اشخاص متدينون ، فهل تثق ايضاً في فهمهم وتشخيصهم للامور ؟

ثم أضاف إليه قائلاً : يا سماحة ... نحن ليلاً ونهاراً نرهق أنفسنا لهداية الناس وإدخالهم الىٰ الدين ، وانت تخرجهم من الدين بهذه السهولة ؟ وتحسب طردك لهم خدمة للدين ؟ لا أحد منا يعلم باطن الناس ، فعلينا أن نعاملهم معاملة الاسلام ، لا يحق لنا أن ندفع أحداً عن حضيرة المسلمين ، فنقول له : أنت لستَ مسلماً ، تعال فلنخش الله ربنا .

يقول ناقل هذه القصة الشيخ راشد ﷺ انني بعد سنوات تعرّفتُ علىٰ الرجل المكفَّر فوجدته متديناً وواعياً وساعياً في الخير، فاللّه يغفر للجميع [١].

فلنحذِّر أنفسنا أيها المؤمنون ممّا يترتّب علىٰ هذه الحدّيات الناسفة للشرعيّات، فقد جاء في الحديث عن الإمام علي عليه السلام: «سوء الظنّ يُفسِد الأمور ويُبعِث علىٰ الشُّرور».

٥٢٣ خروجُ (الحمارية) مِن الرأس!

نقل الخطيب المرحوم الشيخ حسين علي راشد بأن والده الشيخ آخوند ملاّ عباس ﷺ مضافاً الىٰ كونه عابداً زاهداً كان لطيفاً مداعباً آيضاً، ولكن لم تخرج مطايباته عن الحِكم والمعاني الهادفة.

اتذكر حينما أرسلني الىٰ مدينة مشهد للدراسة قال لي: ان الطالب أول ما يبدأ يدرس يخرّ في (الحمارية) الىٰ ركبتيْه! ثم كلما يتقدم في دروسه يخرّ أكثر حتىٰ تصل (الحمارية) الىٰ فخذيْه، فيدرس حتىٰ تصل الىٰ ظهره، ويدرس ايضاً حتىٰ تصل الىٰ رقبته، ثم يدرس حتىٰ تخرج (الحمارية) من رأسه!

بهذا المزاح والمطايبة عبّر والدي عن التربية والتعليم انهما يؤديان تدريجياً الىٰ خروج الجهل والحمق من الرأس والذي كان يعبّر عنه بـ(الحماريّة) تلطيفاً [٢].

٥٢٤ في مَنهجِ التربية الاسلاميّة

يقول الشيخ راشد ﷺ أنّ والدي المرحوم الشيخ آخوند ملاّ عباس كان مؤدّباً في كلامه وسلوكه مع الناس ومعنا ايضاً، فكان يخاطب والدتي ويخاطبنا بضمير الجمع (انتم)، واذا كان يريد نُصْحنا كان يتفوّه به من غير مباشرة، فمثلاً لم يقل لنا: هذا الذي عملتَه كان قبيحاً. بل يقول: يبدو أن الانسان اذا يعمل هكذا يكون أفضل، أليس كذلك؟ فما رأيك؟

ولم يفرض علينا شيئاً بالقوة، وفي الواجبات الدينية كان يكتفي بالتذكير والترغيب والتأكيد. وهو يذكر لنا حكاية الشيخ جعفر كاشف الغطاء، انه كان يوقظ ابنه ليصلي صلاة الليل وهو لا يرغب.. حتىٰ سمعه الشيخ ليلة يقول عند تكبيرة الاحرام: اصلي صلاة الليل لأجل الشيخ جعفر، اللّه أكبر! [٣].

---

١ ـ نفس المصدر / ص ١٢٩.

٢ ـ نفس المصدر / ص ١٥٧.

٣ ـ نفس المصدر / ص ١٥٣ ـ ١٥٥.

٥٢٥ قُلْ لي عن «فازقِليطا» !

وُلد من عائلة مسيحية تسكن مدينة (أروميّة) من آذربايجان الغربية في ايران ، والتحق بالكنيسة الآشورية ودرس عند (رآيي يوحنّا بكير ، ويوحنّا جون ، ورآبي عاز) ثم سافر الىٰ الفاتيكان ليواصل مراحل دراسته العليا في الديانة النصرانية ، واصبح هناك من الطلبة المقرَّبين من كبار القساوسة ، أمثال (رآبي تالو ، وكوركز) ، وبما انه عاش طالباً في الفاتيكان تأثر بالمذهب الكاثوليكي .

ولكن في قضية حدثتْ له هناك جعلتْه يدخل في دين الاسلام ويعود من (الفاتيكان) الىٰ مدينة أورومية في (ايران) ، ويعلن اسلامه في محضر العالم الكبير المرحوم الحاج ميرزا حسن المجتهد ويلتحق بالمدارس الحوزوية لدراسة العلوم الاسلامية وقد غيّر اسمه المسيحي الىٰ الشيخ محمد صادق ، ثم هاجر الىٰ حوزة النجف الاشرف وواصل دروسه الاسلامية العليا مدة (١٦) سنة ، ثم عاد الىٰ مدينة ارومية وقام بنشر الاسلام والدعوة الىٰ مذهب أهل البيت عليهم السلام وأصبح خطيباً مفوّهاً لمسجد الجامع مدينته ، يحتشد تحت منبره المسلمون والمسيحيون الباحثون عن الحق .

سافر الشيخ محمد صادق هذا الىٰ مدن عديدة والناس يخرجون لاستقباله بكثرة ، وفي سنة (١٣٠٥) الهجرية جاء الىٰ زيارة مرقد الامام الرضا عليه السلام والقىٰ خطاباً في صحن الرضوي الشريف ونال اعجاب الناس واستغرابهم في تحوّله من المسيحية الىٰ الاسلام وهو عالم من علماء المسيحية ومسيحي أباً عن جدّ .

وفي عودته من مشهد دخل طهران والتقىٰ بالشاه ناصر الدين قاجار (ملك ايران آنذاك)، فسرّتْ الملك قصة هدايته الىٰ الاسلام فلقّبه بـ(فخر الاسلام) وطلب منه أن يؤلف كتاباً عن أحقّية الاسلام وفضله علىٰ بقية الأديان .

فكتب الشيخ محمد صادق فخر الاسلام كتابه القيّم (أنيس الأعلام في نصرة الاسلام) باللغة الفارسية وطبع سنة (١٣١٥) الهجرية في مجلّدين كبيرين ، ثم أُعيدت طباعته حديثاً سنة (١٤٠٦) الهجرية في ثمانية مجلّدات وكتب مؤلفات منها :

١ ـ بيان الحق وصدق المطلق . عشر مجلّدات .

٢ ـ خلاصة الكلام في افتخار الاسلام .

٣ـ برهان المسلمين .

٤ ـ تعجيز المسيحيين .

٥ ـ وجوب الحجاب وحرمة الشراب (الخمر) . [1]

والآن لنستمع الىٰ قصة دخوله في ملّة الاسلام واعتناقه الدين الحق كما ذكرها باللغة الفارسيّة في مقدمة كتابه (أنيس الأعلام في نصرة الاسلام) ونحن نترجمها كالتالي :

« درست الديانة النصرانية في كنيسة (أرومية) عند كبار القسّيسين وعلماء المسيحية في أيام جاهليّتي ، وكنتُ مسيحياً علىٰ مذهب البروتستانت . فأنهيتُ دراستي في التوراة والإنجيل وعمري اثنىٰ عشر عاماً .

بعد ذلك قرّرت السفر الىٰ مختلف البلدان للقاء بالقساوسة وعلماء الدين المسيحيين ، حتىٰ وصلتُ الىٰ اللقاء بالـ(مطران) الكبير رئيس مذهب الكاثوليك في الفاتيكان ، وكان ذا منزلة مرموقة وشهرة واسعة بين المسيحيين ، يرسل إليه الملوك والوجهاء والاثرياء الكاثوليك اسئلتهم الدينية ، مع هداياهم الثمينة ايضاً . فقد تعلّمتُ أصول وفروع العقيدة المسيحية من هذا العالم الكبير (البابا) . وكان يحضر معي طلبة آخرون في جلسات دروسه الدينية لنا ، يبلغ عددهم (٤٠٠ ـ ٥٠٠) طالب وطالبة من العازفات عن الدنيا (الرهبان والراهبات) .

وأنا الوحيد بين هؤلاء الطلبة مقرَّبٌ من الاستاذ الاعظم وكان يودّني أكثر من غيري مودّة شديدة ويبادلني غاية الثقة ، حتىٰ كانت مفاتيح محلّ سكنه ومخزن المواد الغذائية بيدي الاّ مفتاح حجرة صغيرة وهي بمثابة مخزن خاص له ، حيث كنت أظن انها خزينة أمواله المكدَّسة ، وأقول في نفسي انه (تارك الدنيا لأجل الدنيا) ، وما زهده الظاهر الاّ لكسب المزيد من الأموال والجواهر !

لقد رافقتُه فترة وتعلّمت منه عقائد الأمم المسيحية المختلفة حتىٰ (١٧ ـ ١٨) من عمري .

خلال يوم من هذه الايام سَقَم القسّيس الاكبر استاذنا الأعظم فقال لي : يا ابن الروحاني اخبر الطلبة بتعطيل الدرس هذا اليوم .

ذهبتُ الىٰ الطلبة لأخبرهم بذلك فوجدتهم يتباحثون في مسائل دينية حتىٰ انتهىٰ نقاشهم الىٰ مفهوم لفظة (فارقليطا) باللغة (السريانية) و (پير كلوطوس) باللغة اليونانية، وقد ذكر يوحنّا صاحب انجيل الرابع في باب (١٤ و ١٥ و ١٦) أن النبي عيسىٰ عليه السلام قال : يأتي من بعدي فارقليطا .

---

١ ـ عن افتتاحية الكتاب بقلم السيد عبد الرحيم الخلخالي .

فمن هو (فارقليطا) الذي يأتي من بعد النبي عيسىٰ ﷺ ؟

كان النقاش والجدال بين الطلبة حامياً جدّاً في معنىٰ هذه الكلمة ومن يكون المقصود منها . حتىٰ وصل النقاش بينهم الىٰ رفع أصواتهم علىٰ بعضهم بخشونة واختلف كلّ واحد منهم الىٰ رأي متباين لغيره .

رجعتُ الىٰ الاستاذ ، فسألني : ايها الإبن الروحاني ، ماذا جرىٰ اليوم في غيابي ، وعمّاذا دار نقاش الطلبة ؟

فنقلتُ إن القوم اختلفوا بشدة في تفسير معنىٰ (فارقليطا) في الانجيل ، ثم اخبرته عن الآراء المطروحة .

سألني الاستاذ : أيّ الآراء تختاره انت ؟

قلت : اختار تفسير القاضي فلان .

قال : معذور أنت ، إن الواقع خلاف كلّ تلك الآراء والأقوال . انّ معنىٰ هذه اللفظة الشريفة لايعلمه في هذا الزمان الاّ الراسخون في العلم وهم قلّة .

فرميتُ نفسي علىٰ أقدام الاستاذ وقلتُ له : ايها الأب الروحاني .. أنت أعلم من غيرك بما أبذله من سعي الىٰ الكمال منذ بداية عمري ، وانت أدرىٰ بمستواي الرفيع في الكمال والتديّن والالتزام بالنصرانية ، فما عدا أوقات الصلاة والموعظة والعطل الدراسية فأنا دائم القراءة والمطالعة ، إذن ماذا يضرّ لو تُحسِن اليّ وتبيّن لي معنىٰ هذا الاسم الشريف ؟

فبكىٰ الاستاذ وقال : ايها الابن الروحاني ، واللّه انت أعزّ الناس لديّ ، وأنا لا أبخل عليك بشيء ، رغم أن في الإفصاح عن معنىٰ هذا الاسم الشريف فائدة كبيرة ولكن مع انتشار معناه سوف نسبّب لأنفسنا الموت علىٰ أيدي أقطاب المسيحيين ، فإنْ تعهد لي أن لاتنشره في حياتي ولا تذكره باسمي بعد مماتي ذكرته لك ، ذلك لأن الأقطاب إنْ عرفوا بأني افصحتُ عن هذا السرّ لاحقوني حتىٰ يحرقوا جثتي انتقاماً وتشفّياً .

فأقسمتُ له باللّه العليّ العظيم القاهر الغالب المهلك المدرك المنتقم ، وبحق انجيل عيسىٰ ومريم ، وبحق جميع الانبياء والصلحاء ، وبحق جميع الكتب السماوية المنزلة من اللّه ، وبحق القدّيسين والقدّيسات ، سوف لا أفصح عن سرّك لا في حياتك ولا بعد مماتك .

فبعد أن اطمأن قال لي : ايها الابن الروحاني ، إنّ هذا الاسم من الاسماء المباركة لنبيّ المسلمين ومعناه (أحمد) و (محمد) .

ثم أعطاني مفتاح تلك الحجرة الصغيرة (السابقة الذكر) وقال :

في الحجرة صندوق وفيه كتابان ، قم وافتحها وناولني الكتابين .

قمتُ وجئتُ بهما اليه وكانا بخط يوناني وسرياني مكتوبان علىٰ جلدٍ قبل ظهور نبيّ الاسلام . رأيت مكتوب فيهما ان لفظة (فارقليطا) تعني (أحمد) و (محمّد) .

ثم قال لي الاستاذ الاعظم : ايها الابن الروحاني .. اعلم أن العلماء والمفسّرين والمترجمين المسيحيين قبل ظهور النبي محمد لم يختلفوا في أن هذه اللفظة تعني (أحمد) و (محمّد) ، ولكن بعد ظهوره قام القساوسة والخلفاء بتحريف وإفناء جميع التفاسير وكتب اللغة والتراجم من أجل بقاء الرئاسة والسلطة بأيديهم والحصول علىٰ أموال وجلب منافع دنيوية ، وذلك عناداً وحسداً ولأمراض نفسيّة كانت تحيطهم وتمنعهم قبول نبوّة محمد ، فاخترعوا معنىً آخر لكلمة (فارقليطا) وهو المعنىٰ الذي بكل تأكيد لم يكن الانجيل يقصده أبداً . فمن يقرأ الانجيل الموجود يصل الىٰ هذه الحقيقة بسهولة فان سياق الآيات فيه لا يلتقي بما قالوه من أن اللفظة تعني « الوكالة » و« الشفاعة » و« التعزّي» و « التسلّي » أو القول بأنها تعني الروح التي نزلت يوم الدار (وهو يوم نزول روح القدس عند المسيحيين) ، ذلك لأن النبي عيسىٰ قيّد مجيء (فارقليطا) بذهابه ، حيث قال: « مادمتُ غير ذاهباً فإن (فارقليطا) لايأتي » - (انجيل يوحنّا باب ١٦ / ٧) لأن اجتماع نبيّين مستقلّين بشريعة عامة في زمان واحد لا يجوز . بينما الروح النازلة في يوم الدار أي روح القدس كانت مع وجود النبي عيسىٰ والحواريّين . ولقد نسوا قولهم في الانجيل ان نزول الروح القدس علىٰ النبي عيسىٰ واثني عشر حوارياً كان حين أرسلهم الىٰ البلاد الاسرائيلية لينبذ منهم الارواح الخبيثة ويشفيهم من الأمراض والآلام - الآية الاولىٰ باب العاشر انجيل متّىٰ - ؟ !

إذن فإن نزول روح القدس غير مشروط بذهاب النبي عيسىٰ ، وكان المقصود من كلمة (فارقليطا) هو روح القدس فيعني ان كلام النبي عيسىٰ - انهما لا يجتمعان - يكون غلطاً وفضولاً ولغواً ، وذلك ليس من شأن الانسان الحكيم فكيف لنبيٍّ ذي شأن ومنزلة رفيعة كالنبيّ عيسىٰ .

فليس إذن هناك أحد غير (أحمد) و (محمد) مقصوداً من لفظة (فارقليطا) - السريانية (حيث أتىٰ من بعده فعلاً) .

فقلتُ له : ماذا تقول في الديانة النصرانية ؟

قال : ايها الابن الروحاني ، إن الديانة النصرانية منسوخة بسبب ظهور شريعة النبي

محمد، ـ قال هذه الجملة ثلاثاً ـ.

قلت : في هذا الزمان ما هي طريقة النجاة والصراط المستقيم المؤدّي الىٰ اللّه ؟

قال : طريق النجاة والصراط المستقيم المؤدّي الىٰ اللّه منحصر في اتّباع محمد .

قلتُ : وهل أتباعُه من أهل النجاة ؟

قال : إي واللّه ، إي واللّه ، إي واللّه !

قلتُ : إذن ماذا يمنعك من اعتناق دين الاسلام واتباع سيّد الأنام ، في الوقت الذي تعرف أفضلية هذا الدين وترىٰ النجاة والصراط المؤدي الىٰ اللّه في اتباع النبي الخاتم ؟

قال : ايها الابن الروحاني : انني لم أتوصّل الىٰ أحقية دين الاسلام وأفضليته الاّ بعد كبر سنّي ، والآن أنا في باطني مسلم ولكن في الظاهر لا يمكنني ترك الرئاسة والعظمة .

انك ترىٰ عزّتي ومكانتي بين المسيحيّين فإذا عرفوا مني ميلاً الىٰ الاسلام يقضوا عليّ فوراً . وعلىٰ فرض أني هربتُ الىٰ البلاد الاسلامية فإن الملوك المسيحيين يطلبونني من الملوك المسلمين بتهمة أني خنتُ خزانة الكنيسة أو سارق منهم شيئاً ، ولا أظن أن ملوك المسلمين يحافظون عليّ ثم علىٰ فرض أني خرجتُ الىٰ بلاد الاسلام وقلتُ للمسلمين اني اصبحتُ مسلماً ، فإنهم لا يزيدون علىٰ قولهم لي : هنيئاً لك فقد نجوتَ من نار جهنم، فلاتمنّ علينا بدخولك الاسلام واعتناقك مذهب الحق ، فقد خلّصتَ نفسك من عذاب اللّه !

نعم ايها الابن الروحاني .. إن كلمة (هنيئاً لك) لا تطعمني خبزاً ولا تسقيني ماءً . وبالتالي سوف أصبح أنا الشيخ العجوز بين المسلمين اذوق الفقر والمسكنة ، لا أحد يقدّرني ولا أحد يفكّر في حالي ، سوف أموت بينهم جوعاً وأغمض عينيّ في الخربات مغادراً هذه الحياة ببؤس وشقاء .

لقد رأيتُ الكثيرين منا دخلوا الديانة الاسلامية ولكن المسلمين تركوهم يكابدون المرارة في الحياة ، فندموا وارتدّوا عن الاسلام ورجعوا الىٰ دينهم خاسرين الدنيا والآخرة ! فأنا أخشىٰ من هذه العاقبة ، اذ لا طاقة لي علىٰ شدائد الحياة ومصائب الدنيا، وبالتالي اصبح لا دنيا لي ولا آخرة بينما الآن بحمد اللّه في الباطن انا من أتباع محمد ، ودنياي بيدي .

وهنا بكىٰ استاذي ، وانا بكيتُ معه أيضاً ، وبعد ذلك قلتُ له : ايها الأب الروحاني هل تأمرني باعتناق دين الاسلام ؟

قال : فإنْ كنتَ تريد الآخرة والنجاة عليك أن تقبل دين الحق بالتأكيد ، ولأنك شاب فإني لا أستبعد أن اللّه يهيّىء لك الاسباب الدنيوية، ولا تموت جوعاً. وأنا أدعو لك دائماً .

وأريدك أن تشهد لي يوم القيامة بأني في الباطن مسلم ومن أتباع خير الأمم، واخبرك أن أكثر القساوسة في باطنهم يعيشون حالتي ، فهم مثلي أنا الشقيّ لا يمكنهم التخلّي عن الرئاسة الدنيوية ، والاّ فإنه لا شك في أن دين اللّه علىٰ الارض اليوم هو دين الاسلام .

وهكذا بعدما رأيت ذينك الكتابيْن المذكوريْن وسمعتُ شرح استاذي هذا شعّ نور الهداية ومحبة خاتم الانبياء محمد ﷺ في قلبي بشكل اصبحتْ الدنيا وما فيها في عيني كجيفة ، فلم يربطني حبُّ الرئاسة في أيام الدنيا وحبّ الأقارب والوطن ، فقد قطعتُ النظر عن كلّ شيء ما عدا الحق ، فودّعت الاستاذ فوراً والتمستُ منه مالاً لعودتي ، فمنحني تكاليف سفري بعنوان الهدية .

خرجت من الفاتيكان تاركاً جميع ما كان عندي من مكتبة وبعض الحاجات ، وحملتُ معي كتابين أو ثلاثة حتىٰ وصلت الىٰ مدينة (أرومية) في منتصف الليل ، وذهبتُ في نفس الوقت طارقاً باب منزل العالم الميرزا حسن المجتهد ، فلمّا اخبرته بدخولي في الاسلام فرح بشدة ، وطلبتُ منه أن يلقّنني الكلمة الطيبة (الشهادتين) ويعلّمني الاوّليات في دين الاسلام ، ولقد قام بهذا الأمر خير قيام وأنا سجّلتُ ما علّمني بخط سرياني كيلا انسىٰ ، وطلبتُ منه أن لا يخبر أحداً باعتناقي الاسلام خشية تعرّضي لمشكلة مع الأقارب في ذلك الوقت . وفي تلك الليلة خرجت من عند العالم متجهاً الىٰ الحمّام لأغتسل غسْل التوبة من الشرك والكفر ، ولما خرجتُ من الحمّام أعدتُ كلمة الشهادة لدخول الاسلام ظاهراً وباطناً وأذعنتُ للّه بدخولي في دين الحق، والحمد للّه الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا اللّه .

٥٢٦ الحكيمُ في موقفٍ حكيم

دخل آية اللّه العظمىٰ السيد محسن الحكيم ؒ في شؤون السياسة العامة منذ أواخر زمن السيد أبي الحسن الاصفهاني ؒ أي في سنة ١٣٦٥ هـ حيث كان السيد أبو الحسن في بعلبك (لبنان) للمعالجة ، فجاء الملك فيصل الثاني الىٰ النجف مع عبد الاله ونوري السعيد، وكانت العادة في الحين هو أن يلتقي العلماء الملك في الحضرة عند ضريح الامام علي ؑ وكان السيد أبو الحسن يفعل ذلك ، ولما لم يكن موجوداً فقد طلبوا من السيد الحكيم أن ينيبه ، فجاء ؒ ومعه الشيخ عبد الكريم الحائري والسيد علي بحر العلوم ، وفي هذا اللقاء قدّم السيد الحكيم مجموعة من الطلبات العامة تتعلق بحقوق الناس فسُجّلتْ المطاليب ثم انتهت الزيارة.

وبعد سنوات جاء الملك (فيصل الثاني) الىٰ النجف عام ١٩٤٩م، وكان متصرف كربلاء (عبد الرسول الخالصي) وعلىٰ الطريقة السابقة جاء مسؤول من البلدية وأعطىٰ خبراً (للسيد) بأن الملك سيأتي بعد يومين ، ولكن السيد رفض الحضور لاستقباله فجاء القائم مقام وطلب منه الحضور فرفض السيد ايضاً فجاء المتصرف عبد الرسول الخالصي وقال (سيدنا هذه اهانة لي وانا شيعي) ولكن السيد لم يوافق ، فحصل نقاش وأخيراً نهره السيدالحكيم ﷺ قائلاً (نحن لسنا جزءاً من زخرف الحضرة ، حتىٰ يأتي الملك ويطلعونه علىٰ الزخارف ، لقد اجتمعت معهم أول مرة لوجود احتياجات للناس ذكرناها ، ولكن يبدو ان القضية ليست جدّية حيث لم يتم لحد الآن تنفيذ هذه الحاجات وانما هي للدعاية ، وانا لست مستعداً ان أكون جزءاً من زخرف الحضرة ..) .

وقد حاول المتصرف ان يقنع (السيد الحكيم) بالعدول عن موقفه بحجج مختلفة ، منها ان المتصرف شيعي ، وهذا الموقف ليس في صالح الشيعة فكان (السيد) يجيبه بأن هذا الموقف هو خدمة لكل شيعي في العراق ويخدمكم أنتم بالذات أهل الوظائف الحكومية لأنكم تستطيعون القول انّ مرجعنا يرفض استقبال الملك ، ولما لم يوافق (السيد) ذهب المتصرف الىٰ (المرحوم الشيخ محمد رضا آل ياسين) فلم يوافق ايضاً، وذهب الىٰ (الشيخ عبدالكريم الحائري) فلم يوافق كذلك [1]. وهذا التضامن العلمائي الحكيم مطلوب في كل عصر .

٥٢٧ المطلوب قمّة مرجعيّة دائمة



بعد انقلاب (١٤ / تموز) العراقي سنة (١٩٥٨ م) ، سمح عبد الكريم قاسم للشيوعيين بالنشاط كما يحلو لهم . فأغرقوا العراق في حمامات الدم خلال ستة أشهر، وكانت المظاهرات الشيوعية تجوب شوارع المدن العراقية وتهاجم بيوت العلماء والوطنيين الاحرار وتمارس بحقهم

---

١ ـ العراق بين الماضي والحاضر والمستقبل / ص ٥٤٦ ـ ٥٤٧ .

ابشع الجرائم التي يندىٰ لها جبين الانسانية . وقد قاموا في النجف الاشرف ماجعل المسلم يشعر نفسه غريباً فيها .

وذات مرة خرجت مظاهرة شيوعية في شوارع كربلاء المقدسة ويتقدمها قادة الشيوعية وبأيديهم قائمة بأسماء (٥٢) شخصية اسلامية ووطنية مجاهدة لغرض الهجوم علىٰ بيوتهم وقتلهم بسبب موقفهم الرافض للشيوعية ونشاطهم في الناس ضد المدّ الأحمر (وكان من الأسماء اسم آية اللّه العظمىٰ السيد محمد الشيرازي والعلامة الخطيب السيد مرتضىٰ القزويني) .

فما كان من الفقهاء المراجع الاّ التصدي للمسؤولية ، فعقد ثلاثة منهم (وهم الامام الحكيم والامام الخوئي والامام الميرزا مهدي الشيرازي) اجتماعاً في كربلاء المقدسة في دار السيد الشيرازي (قدّس سرّه) وخرجوا من الاجتماع بقرارات مهمة لمكافحة المدّ الأحمر في العراق ، فأصدروا الفتاوىٰ ونسّقوا الانشطة في صدّ الكفرة والفسقة والجهلة ، وكان الانتصار للوحدة الاسلامية [1] .

أخبرني الأديب الحسيني الشيخ محمد باقر الايرواني النجفي (حفظه اللّه) أنّ آية اللّه العظمىٰ السيّد محسن الحكيم ﷺ جاء ذات مرة لعيادة المرجع الدينيّ الميرزا مهدي الشيرازي ﷺ ونُشرتْ صورتهما في الستّينات وتحتها بيتان شعرٍ من إنشائي :

بَدرانِ في أُفقِ الهِدايةِ أشرَقَا ... أُنبيكَ بالتَّفصيل والإيجازِ
هذا هو « المهديُّ » يُسمِعُ « مُحسِناً » ... وترىٰ الحَكيمَ يُحدِّثُ الشيرازي

وفي هذا السياق نقول إنّ في لقاء المراجع لقاءُ أتباعهم وفي اجتماعهم اجتماعُ مقلّديهم وفي تزاورهم تشجيع للتزاور بين النّاس أنفسهم ، هذا ناهيك عن ضرورة تشكيل قمّة مرجعيّة دائمة تجتمع دورياً لبحث سبل القضاء علىٰ مشاكل المؤمنين خاصة والأمة الإسلامية عموماً وما يهدّد المسيرة والكيان الإسلامي في كل جيل .

٥٢٨ عِزُّ الأمانةِ أغلاها

سأل أبو العلاء المعرّي من السيد المرتضىٰ عَلَم الهُدىٰ ﷺ:

يَدٌ بِخَمسِ مَئينٍ عَسجَدٍ أُودِيَتْ ... ما بالُها قُطِعتْ في رُبعِ دينارِ ؟

---

١ ـ العراق بين الماضي والحاضر والمستقبل / ص ٨٨٧.

يعني أن اليد التي ديتُها خمسمائة دينار ذهب لماذا تُقطع إذا سرقتْ شيئاً قيمته ربع دينار؟ فأجابه السيد المرتضىٰ :

عِـزُّ الأمــانةِ أغــلاها ، وأرْخَـصَها ذُلُّ الخيانةِ ، فافْهَمْ حِكْمَةَ الباري [١].

أجل ، إن اليد الغالية هي اليد الأمينة ، واذا خانتْ فلا قيمة لها ، لذلك وجب قطعها كي يعتبر الآخرون ولايخونوا . هذه حكمة القصاص في الاسلام أيها السائلون .

٥٢٩ الشجاعة موقف وحكمة

كان حاكم أفغانيّ قبل أكثر من مائة سنة حقوداً علىٰ المسلمين الشيعة في افغانستان الىٰ درجة أنه ارتكب بحقّهم جرائم قلّ لها مثيل في التاريخ ، فقد قتل من الشيعة اتباع مذهب أهل البيت عليهم السلام حتىٰ صنع من رؤوسهم منائر في الطرق والساحات العامة .

سمع المجدّد الشيرازي الكبير آية اللّه العظمىٰ السيد محمد حسن رحمه الله بذلك فامتلأ غضباً وكتب فوراً رسالتين إحداهما الىٰ ملك ايران ناصر الدين شاه القاجار يأمره بإنذار حاكم أفغان إنْ لم يكفّ عن عمله الشنيع في إبادة الشيعة فسوف يعلن الحرب عليه . وامتثل الشاه لأمر المجدّد الشيرازي فهدّد الحاكم الأفغاني ، وأما الرسالة الثانية فقد بعثها الىٰ حاكم بريطانيا ، وجاء فيها : كيف يمكن لحكومة تدّعي الحضارة والديمقراطية أن يفعل بعض الحكّام من أتباعها ـ وهو حاكم افغان ـ هذه الأعمال القبيحة ؟

ولما وردت الرسالة الىٰ حكومة بريطانيا، أمرتْ حاكم افغان بالكفّ عن قتل الشيعة فوراً [٢].

وبهذين الأمرين (موقف الشاه ، وأمر بريطانيا) رُفعتْ عملية الإبادة للمسلمين الشيعة في افغانستان ببركة المجدّد الشيرازي وحسن تدبيره ، وهكذا أصبح عنوان رسالة الشيرازي الكبير لكل من يأتي بعده : لاتندم علىٰ شجاعتك .

٥٣٠ غَلَبَة علىٰ شهوةٍ حاضرة

ذهب العالم الورع الشيخ جعفر بن خضر النجفي المعروف بـ(كاشف الغطاء) رحمه الله الىٰ مدينة زنجان (الايرانية) وكان الشيخ معروفاً بعدم امتناعه اذا توفّرتْ له اسباب الزواج المؤقت (المتعة) ، فحلّ ضيفاً علىٰ والي المدينة ، وفوجىء في اليوم الآخر بفتاة جميلة

---

١ ـ فاطمة الزهراء من المهد الى اللحد / ص ٤٠٨ .   ٢ ـ نفس المصدر / ص ٥١١ .

مزيّنة بأنواع الزينة مرسلة اليه من قبل الوالي ، فتعجّب وسألها : من أنتِ ؟

قالتْ : أنا ابنة فلان .

قال الشيخ : هل أتيتِ برضاك ؟

قالتْ : نعم .

فقال : ولِمَ لم تتزوّجي الىٰ الآن وانت بهذا الحُسْن والجمال ؟

قالت : كنتُ أريد شخصاً ، ولكن والدي أبىٰ أن يزوّجني به وهو يريد أن يزوّجني بمن لا أرضىٰ به .

فقال لها الشيخ : واين يسكن الشخص الذي تريدينه ؟

قالت : في المكان الفلاني .

فقال لها : وهل تريدين الزواج منه الآن ؟

قالت : أنا الآن في ذمّتك وهذا ما افتخر به وراضية .

فلما رأىٰ الشيخ أن الفتاة تميل الىٰ ذلك الشاب رغم رضاها بالزواج المؤقت معه استدعىٰ والدها واحضر الشاب وفي تلك الليلة عقد لهما وأرسلها معه الىٰ بيته [1] .

انّ هذا الموقف من الغلبة علىٰ الشهوة الحاضرة والمحلّلة دليل قوة النفس وشدّة التقوىٰ لدىٰ الشيخ كاشف الغطاء . وذلك يكشف الغطاء عن عمل الشيخ سَلَفاً بالحديث القائل : «عوّدوا قلوبكم الرّقّة ، وأكثِروا من التفكّر ، والبكاء من خشية اللّه » .

٥٣١ ضرورةُ التّقدير

يقول آية اللّه السيد نعمة اللّه الجزائري (المتوفىٰ سنة ١١١٢ هـ) كنت أدرس عند العلاّمة الشيخ عبد علي الحويزي ، وكان قد فرغ من تأليفه لكتاب (نور الثقلين في تفسير القرآن الكريم) في مدينة شيراز .

والتقيت بعد أيام بالعالم المعاصر له السيد ماجد البحراني ﵀ فسألته : ما رأيك في طبع تفسير نور الثقلين ؟

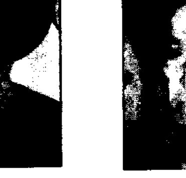
فقال العلاّمة البحراني : مادام مؤلّفه علىٰ قيد الحياة فإنّ كتابه لا قيمة له ، ولكن بعد وفاته فإني أوّل من يطبع الكتاب ويستفيد منه ! [2]

---

١ ـ قصص العلماء / ص ٢١٢.   ٢ ـ نفس المصدر / ص ٥١٣.

وكان يريد السيد البحراني بهذا الكلام الإشارة الىٰ حقيقة لازالتْ سائدة في أوساط بعض الناس ، وهي عدم تقدير جهد العاملين وتشجيعهم ، ولكنهم بعد الممات (فقط) يذكرونهم بالخير ويترحّمون عليهم (أحياناً) !

٥٣٢ الأخَوان المرعشيّان



السيد مهدي المرعشي



السيد كاظم المرعشي

بعد اربعين سنة من زواجه معها وعدم انجابها انتقلتْ الىٰ رحمة اللّه ، فتزوّج زوجها آية اللّه السيد محمد رضا المرعشي الرفسنجاني بابنة الحاج ميرزا أسد اللّه الشيرازي أخ المجدّد الشيرازي الكبير ، فرأىٰ في المنام أن قلماً قد خرج من صلبه فتحوّل الىٰ سيفيْن.

فعبّروا رؤياه أن اللّه يرزقه ولديْن توأميْن ، وهكذا كان .. اذ وُلِد الأخوان المرعشيّان ، فسمّىٰ أحدهما السيد مهدي والآخر السيد كاظم . وانتقل أبوهما السيد محمد رضا الىٰ رحمة اللّه الواسعة سنة (١٣٤٢ هـ) وكان عمر التوأمين آنئذ خمس سنوات ، وبعد بلوغهما أخذتهما أمهما المؤمنة الىٰ حوزة قم المقدسة وجاءت الىٰ مؤسسها آية اللّه العظمىٰ الشيخ عبد الكريم الحائري قائلة : أريد أن تقبل ولديّ هذيْن في الحوزة وتهتم بتعليمهما .

الاّ أن صعوبة الدراسة الحوزوية بسبب محاربة الحكومة البهلوية للعلماء ومنعهم لبس العمامة جعلتهما يفكّران ـ وبتشجيع من بعض ـ في السفر الىٰ (اوربا) للدراسة ، وخلال مدّة انتظارهما لجواز السفر واستلام شهادة المدرسة الحديثة أخذا يتردّدان علىٰ مدرسة الفيضية ويستمعان للدروس الدينية فيها ، وذلك انطلاقاً من أن العلم بالشيء خير من الجهل به ، فانجذب هذان الأخوان الشابّان الىٰ تلك الاجواء وقرّرا البقاء في الحوزة العلمية بل والتعمّم تحدّياً للحكومة البهلوية الجائرة . وجلبتهما السلطات أكثر من عشرين مرة ليتعهدا بخلع العمامة ، فكانا يتعهدان بذلك علىٰ ورق ولم يلتزما .

لقد قطع الأخوان المرعشيّان اشواطاً في دراستهما الدينية ثم انتقلا الىٰ حوزة النجف الأشرف، وهناك ازدادا في تقدمهما حتىٰ عرفتْهما الاوساط العلمية بالفقه والتفقّه كما عرفهم

المتقون بصفاء النفس ، وعرفتهم ساحة الجهاد بالمواقف الشجاعة ايضاً .

ومن عجائب هذين الأخوين المرعشيّين ما نقله لي أحدهما وهو آية اللّه السيد كاظم (حفظه اللّه) المقيم في مشهد المقدّسة انهما لما تقدّما للزواج من كريمتي المرجع الكبير آية اللّه العظمىٰ السيد عبد الهادي الشيرازي ﷺ وكان في الآونة الاخيرة من عمره الشريف فاقداً لباصرته قال لهما : انني رأيت في المنام أن اللّه تعالىٰ استبدل عينيّ بجناحيْن . والآن عرفتُ تعبير تلك الرؤيا فانتما الجناحان إذن .

فزوّجهما ابنتيْه المؤمنتين وبالفعل كانا بمثابة جناحين للسيد عبد الهادي الشيرازي ، وهما اليوم مجتهدان فقيهان يقومان بدورهما الديني والتوجيهي في قم ومشهد المقدّستين، وهما حقاً خلفان صالحان لأب صالح لم يتهنّأ برؤية ولديْه الوحيدين إذ أصبحا يتيميْن يصارعان اليتم والغربة والفقر باعتماد الثقة بالنفس وقوة الايمان وشموخ الهدف ، وقد بلغا الكنز في حياتهما وطابقتْ عليهما الآية الكريمة التي تلاهما لي السيد نفسه وقد اغرورقت عيناه : ﴿ وأمّا الجِدارُ فكان لِغلامَيْن يتيمَيْن في المدينةِ وكان تحتَه كَنْزٌ لهما وكان أبوهما صالحاً فأراد ربُّك أنْ يبلُغا أشدّهما ويستخرِجا كنزَهما رحمةً مِن ربّك ﴾[1]

٥٣٣ مِن طرائِف السّادة

سماحة العلاّمة آية اللّه السيد محمد كاظم المدرّسي ﷺ نقل لي انه لما كان يعيش في العراق، كان يتهرّب من الضرائب التي تأخذها الحكومة العراقية من الناس بالقوة باسم ضريبة الارض ، فكان الموظّف المسؤول يأتي الىٰ مدرسة العلوم الدينية (التي كان السيد المدرسي يتواجد فيها كثيراً) فيسأل : اين السيد محمد كاظم ؟

فذات مرة كنت في إحدىٰ الحُجَر الفوقانية للمدرسة ، حجرة أحد الشيوخ من اصدقائي (الذين يلبسون عمامة بيضاء) ، وانا بحكم السيادة كنت البس عمامة سوداء ، كما هو المتداول في اوساطنا نحن الشيعة .

دخل الموظف وسأل الطلبة عني كعادته ؟

فقالوا له ـ وهم لا يعرفون الامر ـ انه في تلك الحجرة . فلما سمعتهم وضعتُ علىٰ رأسي العمامة البيضاء لصديقي الذي كان خارجاً من الحجرة لقضاء حاجة ، وفتحت كتاباً أقرأ فيه!

---

١ ـ سورة الكهف / ٨٢.

جاء الموظف فوقف عند الباب وأخذ ينظر، فلم ير سيّداً (ذا عمامة سوداء) !

وهكذا خرج من المدرسة، وهو يقول للطلبة : لم يكن السيد في الحجرة، فقد رأيتُ شيخاً يقرأ في كتابه !

تلك من طرائف السادة ...

٥٣٤ ولمّا انتبهتُ للصّلاة !

حينما كان المرحوم العلامة السيد بلبل الكابلي شاباً عمره (١٥) سنة قُتِل والده على أيدي مرتزقة حكومة عبد الرحمٰن خان ملك أفغانستان السفّاح الذي عُرِف بمجازره الفظيعة ضد المسلمين الشيعة، فهرب السيد الىٰ مدينة مشهد المقدسة والتحق بدراسة العلوم الدينية ودرس لمدة عشر سنوات، ثم عاد الىٰ (كابل) العاصمة الافغانية بعد زوال الملك الجائر وأخذ أخويه السيد أحمد وكان عمره (١٢) سنة، والسيد شريعت وكان عمره (١٠) سنوات، فجاء بهما الىٰ مدينة مشهد مشياً علىٰ الأقدام وبزادٍ قليل اذ لم يكن عنده مال للسفر وعلىٰ البغال في تلك الايام .

فسكن معهما في مدرسة دينية قرب الحرم الرضوي، ولم تمضِ الاّ عشر سنوات حتىٰ ارتقىٰ أخوه السيد أحمد في دروسه واصبح في عداد الطلبة المتفوّقين ومن جملة المدرسين في الحوزة العلمية، اذ كان كثير المطالعة والسهر في طلب العلم . ولكن كان هذا الأمر علىٰ حساب فقده لعينيه تماماً، وهنا قال اخوه الاكبر يجب أن نرجع الىٰ الوطن .

يقول السيد أحمد ـ لقد آلمني هذا القرار . فقلت لأخي : أنا لا أرجع ما لم أصل الىٰ درجة الاجتهاد .

فقال أخي السيد بلبل ضاحكاً : الاجتهاد بعيد عنك، فإن الدراسة بالعمىٰ لا تنفع .

فأجهشت بالبكاء وقمت متجهاً الىٰ حرم الامام الرضا عليه السلام، وكان الحرم شديد الازدحام، جلست في زاوية من مسجد گوهر شاد (الذي هو ضمن الصحن الشريف) وبينما كنت أبكي اشتكيتُ حالي الىٰ الإمام ثامن الحجج عليه السلام، ثم صليت صلاة المغرب والعشاء ورجعت الىٰ المدرسة فنمتُ من دون عشاء فغلبني النوم سريعاً . وفي الصباح حيث انتبهتُ لصلاة الصبح وجدت عينيّ باصرتين، أرىٰ بهما كلّ شيء كالسابق. وهكذا قررتُ مواصلة الدروس ثم

انتقلت برفقة أخي الاصغر السيد شريعت الىٰ حوزة قم العلمية[1] .

٥٣٥ عزّةُ النّفْس

يقول آية اللّه السيد أحمد حجّت الكابلي ﷺ وهو من فقهاء افغانستان : حينما كنت أدرس في بداية شبابي وعمري (١٥ ـ ١٦) سنة في حوزة مشهد المقدسة كنتُ لشدة الفقر والجوع أجمع قشور الرقي المرمية في الطرق فأغسلها وآكلها .

وذات يوم لشدّة الجوع وعدم حصولي علىٰ طعام لمدة يومين جئت الىٰ الصلاة في مسجد گوهر شاد فلم استطع الوقوف علىٰ قدميّ لشدّة الضعف ، فجلستُ أُصلي ، واذا برجل وكان يبدو عليه ثرياً رآني بتلك الحالة فسألني : أنت شاب وتصلي من جلوس ؟

ولو كنت أقول له ان هذا بسبب الجوع والضعف لكان يمنحني مالاً من دون شك ، ولكن عزّة نفسي وكرامتي أبتْ الإفصاح عن واقع الأمر، فأجبته بأني أعاني من ألم في قدميّ[2].

قال بعض الحكماء : «لو بيع ماء الحياة بماء الوجه لم يشتره العاقل ، لأن الموت بعلّة خير من الحياة بذلّة» .

٥٣٦ معادَلةٌ لِمحاسبة النّفْس

وكان يقول لنا آية اللّه العظمىٰ المرحوم السيد عبد الأعلىٰ السبزواري في درس الاخلاق: انّ أحد كبار العلماء بعد أن بلغ عمره (٨٥) عاماً اختلىٰ بنفسه ليحسب سنوات عمره وما قد صدر منه من معصية للّه تعالىٰ ، وأخيراً خاطب نفسه : لقد مضىٰ علىٰ بلوغك (سِنّ التكليف) سبعون عاماً ، فلو وزّعتَ علىٰ كلّ يوم من هذه الاعوام معصية واحدة فتكون مرتكباً خلال هذه المدة (٢٥٢٠٠) معصية تقريباً ، فهل تواجه ربّك بهذا العدد الكبير من المعاصي . ولو أراد اللّه أن يأخذك الىٰ النار مقابل كلّ معصية فيعني بقاءك في النار سبعين عاماً .

وهذا في الوقت الذي (إن يوماً عند اللّه كألف سنة ممّا تعدّون) مما ينتج ان بقاءك في النار مدة (٠٠٠ / ٢٠٠ / ٢٥) ـ خمسة وعشرين مليوناً ومائتي ألف عام ـ بينما ابداننا لاطاقة لها علىٰ حرارة نار عود الثقاب (الكبريت) لحظة واحدة ![3]

---

١ ـ كتاب بالفارسية عن ترجمة حياة السيد أحمد حجّت / ص ٦ .

٢ ـ نفس المصدر / ص ٩ .

٣ ـ كتبها لي ابن اختي فضيلة الشيخ يحيىٰ عباس (دام عزّه) .

فأين المتجرّئون على معصية الله من هذه المعادلة ؟
ألا يحاسبون انفسهم قبل أن يُحاسَبوا ؟

٥٣٧ سُلوكُ الحَسَنات

لقد علّمنا المرجع المرحوم السيد عبد الأعلىٰ السبزواري في درس الاخلاق أن نحمل في جيبنا دفتراً صغيراً نعمل فيه جدولاً للاعمال الحسنة وآخر للأعمال السيئة . فأول ما نجلس من النوم صباحاً نسجّل كلّ ما يصدر عنّا من أعمال حسنة في جدول الحسنات والسيئة في جدول السيئات ، ثم نفتح الدفتر بعد صلاة العشاء مباشرة ونرىٰ ما صدر عنّا من حسنات فنشكر الله تعالىٰ عليها ونطلب التوفيق للاستزادة منها ، وماصدر من سيئات نستغفر الله فيها ونقرّر الابتعاد عنها وعدم تكرارها .

وكان استاذنا السبزواري ﷺ يؤكد دائماً علىٰ رعاية حقوق الناس ويحذّرنا من حساب الله تعالىٰ في انتهاك تلك الحقوق باعتباره من كبائر الذنوب ، وبناءً علىٰ ذلك عندما عاد الىٰ البحرين أخي العزيز الحاج الشيخ قاسم الذي كان مهتماً بتلك الدروس أخذ يلتقي بمن له حق في ذمّته قبل ذهابه الىٰ النجف فيطلب منهم الحلّيّة وتبرئة الذمة، فيتعجب هؤلاء الاشخاص ، ولعل بعضهم استهزء به ، ولكنه استمر في طلب الرضىٰ منهم اذ كان ينظر الىٰ الحساب العسير ليوم الآخرة . وفي الحديث : « طوبىٰ لمن منَعه عيبُه عن عيوب المؤمنين من إخوانه » ، فهل نهتدي الىٰ سلوك الحسنات ؟

٥٣٨ آيةُ اللّهِ في الصّبْر

كان لآية الله ميرزا جواد الملكي التبريزي ﷺ صبيّ يودّه كثيراً ، ففي يوم عيد الغدير حيث كان جالساً مع ضيوفه سمع نياح خادمة البيت وإثره صياح النساء في ساحة المنزل ، فجاء وقد فوجىء بجنازة ولده العزيز ، إذ كان غارقاً في حوض المنزل . فأسكت النساء وطلب منهنّ عدم النياح بصوت يعكّر صفو الضيوف .

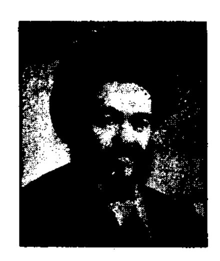
ولما انتهىٰ من تضييفهم وودّعوه أشار الىٰ أقربهم منه صداقةً فأبقاه ليساعده في تجهيز ولده العزيز من الغسل والكفن والصلاة والدفن [١] .

---

١ ـ بالفارسية (رساله لقاء الله) نقلاً عن المقدمة .

فذلك هو آية اللّه في الصبر أيضاً .

٥٣٩ موسوعةٌ فقهيّة رائدة



السيد محمد الشيرازي

قبل سنوات كنت جالساً عند المرجع الديني آية اللّه العظمىٰ السيد محمد الشيرازي (متّع اللّه المسلمين بطول بقائه) اذ دخل عليه ثلاثة رجال قدّموا اليه وافر الاحترام وأحرّ التحيات، فسألهم السيد : من أين الإخوة ؟

قالوا : من أصفهان .

فقال أحدهم : نحن ندرس علم الحقوق في مراحلِه العالية ونعمل في مؤسسة علمية تابعة للجامعة والدولة .

فقال له السيد : أين درست الحقوق ؟

ذكر الرجل اسم دولة اوربّية (لا أتذكّرها الآن) .

قال السيد : لابأس أن تلقي نظرة في كتابنا (الفقه : الحقوق) ، ولو أنه باللّغة العربيّة ولكن يمكنك الاستعانة بمن يترجم لك مقاطع منه .

قال الرجل : في الحقيقة انني جئتك فيما يتعلق بكتابك الرائع هذا ذي المفاهيم القيّمة ، لقد أعطانا أستاذنا في الجامعة موضوعاً حقوقياً للتحقيق فيه وكتابة بحث حوله فراجعتُ مصادر كثيرة ولم أحصل علىٰ مايغني البحث ويشبع الموضوع ، حتىٰ ذات يوم كنت عند أحد علماء اصفهان فسألته عن كتاب يبحث في الحقوق ، فقال لي : لديّ كتاب (الفقه : الحقوق) وهو مجلد واحد من موسوعة فقهية ذات مائة وعشرين مجلّداً ، وهو من تأليف السيد محمد الشيرازي موسوعة فريدة من نوعها لم يسبقه أحد في تاريخ التشيع [1]. فقلت له: أنا لاأعرف اللغة العربية ، أرجوك أن تترجم لي عناوين هذا الكتاب لعلّي أجد فيها ماأبحث عنه . فأخذ العالم يترجم لي عناوين كتابكم حتىٰ وصل الىٰ موضوع في صميم البحث الذي طلبه مني أستاذنا ، فطلبت منه بإلحاح شديد أن يترجم لي ذلك الموضوع فوجدته يعالج القضية معالجة دقيقة وشاملة ، فكتبت بحثي علىٰ ضوء ماطرحتموه في الكتاب فلما قدّمت البحث الىٰ أستاذنا استبشر وأثنىٰ عليّ وقال : حتماً راجعتَ مصادر كثيرة

---

١ - أصلها (١٣٦) مجلّد ، طُبع منها (١٢٠) ، والباقي في طريقها الىٰ الطبع .

وتعبت في كتابة هذا البحث . قلتُ : نعم تعبت في مراجعتي للمصادر التي لم أجد منها مايشبع البحث الاّ أن كتاباً اسمه (الفقه : الحقوق) تأليف آية اللّه العظمیٰ الشيرازي ، حيث عثرت عليه عند أحد العلماء يعالج الموضوع بدقّة ، فنقلت منه .

فقال الاستاذ وعليه آثار التعجّب : هل تقصد ان هذه المعضلة الحقوقية قد عالجها هذا السيد في كتابه ؟

قلت : نعم واذا تريد الكتاب فهو حاضر .

قال : حقاً انها من أعقد المواضيع في علم الحقوق ، و لا يستوعبه الا من درس هذا العلم سنوات طويلة وقرأ كتباً عديدة لكبار علماء الحقوق . لذلك جئت أبحث عنك لألتقي بك وأتعرّف عليك .

هذا ومن الجدير ذكره أن من ابتكارات الامام الشيرازي (دام ظله العالي) في موسوعته الفقهية الاستدلالية هذه إصداره كتاب (من فقه الزهراء عليها السلام) حيث قام باستخدام اسلوب (فقه الحديث) في تحليل كلمات فاطمة الزهراء عليها السلام وتناوَل كل كلمة منها بالبحث والدراسة. ولم يسبق لأحد من الفقهاء غالباً أن استند في استنباطاته الفقهية الیٰ ماورد عن المعصومة فاطمة الزهراء عليها السلام .

يقول سماحته في مقدمة هذا الكتاب : «ان سيدة النساء فاطمة الزهراء (سلام اللّه عليها) مجهولة قدراً ومهضومة حقاً ، ولعل من مصاديق مجهولية قدرها عدم الاستفادة من كلماتها وخطبها في الفقه ، وعدم إدراجها ضمن الادلة أو المؤيِّدات التي يُعتمَد عليها في استنباط الاحكام الشرعية ، ولذلك استعنتُ بالباري جلّ وعلا في الكتابة حول ذلك رجاء المثوبة وأداءً لبعض الواجب واللّه الموفّق» .

٥٤٠ اللّهمّ اجعل عواقب أُمورنا خيراً

لقد كان المرحوم آية اللّه العظمیٰ السيد ميرزا مهدي الشيرازي المعروف بزهده وتقواه يتلو في سجود الركعة الاخيرة من صلاته « اللّهم اجعل عواقب أمورنا خيراً » .

فقيل له مرة : انك في السبعين من عمرك وممّن نعرفه بالايمان والتقویٰ لست بحاجة الیٰ هذا الدعاء ، واضح انه لا تكون عاقبتك الاّ الحسنیٰ .

فقال السيد : انني أخشیٰ أن أكون ممّن نقضتْ غزلها من بعد قوّة أنكاثاً [1].

---

١ ـ المؤمن في معادلات الصراع / ص ١٢١ تأليف العلامة السيد هادي المدرسي .

٥٤١ براعة في التصحيح



السيد البروجردي والشيخ الفلسفي

ليست الخطابة مجرد القدرة على التحدّث الىٰ جمهور الناس ، بل للخطابة فنون يرعاها كل خطيب راغب في الرقيّ المستمر . ومن تلك الفنون القدرة السريعة علىٰ تصحيح الخطأ بحيث لا ينتبه المستمعون الىٰ حدوثه أساساً .

هنا لدينا قصة للخطيب البارع سماحة الشيخ محمد تقي الفلسفي (دام ظله) الذي ذاعت شهرته الخطابية في أرجاء الوسط الشيعي كله في العالم .

يقال انه سافر من ايران الىٰ المانيا لمهمة اسلامية بعثه فيها المرجع الكبير السيد البروجردي (أعلىٰ اللّه مقامه) ، ومنها ورد الىٰ النجف الأشرف لزيارة العتبات المقدسة في العراق ، وهناك سمع نبأ ارتحال السيد البروجردي في ايران ، فأُقيمت بهذه المناسبة الأليمة عدة مجالس فاتحة في مدرسة البروجردي الدينية وحضرها مراجع النجف وكبار أساتذة الحوزة فارتقىٰ الشيخ الفلسفي المنبر وأخذ يتحدث للجماهير الحاشدة عن انجازات المرحوم السيد البروجردي ، وحيث أن نبأ الوفاة كان حديثاً ولم يثبت بعد في ذهن الشيخ الفلسفي الذي كان متعوّداً أن يعقّب اسم السيد في حياته بدعاء (متّع اللّه المسلمين بطول بقائه) ذكر اسم السيد هناك فعقّبه بهذا الدعاء أيضاً ! فأخذ كبار العلماء الحاضرين الذين انتبهوا الىٰ هذا الخطاء يتبادلون النظر فيما بينهم ولكنهم فجأة وجدوا الشيخ الفلسفي قد دخل في التصحيح ببراعة قلّ لها مثيل ، فقال :

«نعم متّع اللّه المسلمين بطول بقائه ، أليس بقاء العالم بآثاره وإنجازاته ، فهو حتىٰ اذا مات فان اللّه يمتع المسلمين ببقاء آثاره ، فالسيد البروجردي باق بينكم ايها المسلمون بكتبه ومدارسه والمساجد التي بناها والحسينيات التي شيدها، إنها صدقات جارية ، أليس هذا

يعني بقاء الانسان الخيّر حتىٰ اذا غاب جسمه؟!»[1].

٥٤٢ مواقف أوْجَبَها اللّه

أصدرتْ حكومة الشاه وحاكم محافظة فارس أمراً لأهالي مدينة شيراز بالخروج لاستقبال الجنرال (ساكس) البريطاني سنة (١٣٣٠) الهجرية ، وأصدر المرجع الديني المجاهد آية اللّه السيد محمد طاهر الموسوي الشيرازي ﷺ بياناً حرّم فيه استقبال رجل الاستعمار ، وأعلن أن استقباله بمثابة محاربة اللّه جلّتْ عظمته ومحاربة صاحب الشريعة المقدسة الاسلامية ومحاربة امام العصر أرواحنا له الفداء . وختم البيان بآية من القرآن الكريم: ﴿ ولا تَرْكَنوا الىٰ الّذين ظَلَموا فتمسّكم النارُ فتكونوا مِن أصحابِ الجحيم ﴾ .

وقام ولداه السيد محمد جعفر طاهري والسيد عبد اللّه الشيرازي في منتصف الليل بإلصاق البيان علىٰ الجدران في شيراز وعلىٰ بعض الابنية الحكومية .

ففي الصباح حيث يتم الاستعداد لهذا الاستقبال وجد الناس بيان التحريم منتشراً في كلّ مكان من المدينة فلم يخرجوا الىٰ استقبال الجنرال (ساكس) بل اجتمعوا في السوق والأزقّة المحيطة يطلقون شعارات ضد الحكومة العميلة ويندّدون بمجيء رجل الاستعمار الىٰ بلادهم .

فاستفسر (ساكس) من حاكم فارس ميرزا حسين علي عن سبب هذه المظاهرات ، فقال له أن آية اللّه السيد محمد طاهر أصدر بياناً بتحريم استقبالك ...

فغضب (ساكس) فقال للحاكم : يجب قمع هذه المظاهرات واعدام السيد !

فحاولوا اقناعه بأن الحكم بالإعدام حكم بإعدام الوجود البريطاني في ايران !

تساءل (ساكس) عن علاقة هذين الأمرين ؟

فقيل له : انّ هذا العالم ذو مكانة بين الناس ، فحتىٰ اليهود في شيراز يحبّونه لحسن معاشرته واخلاقه مع الجميع . فتراجع (ساكس) الىٰ قرار نفي السيد مؤقتاً .

وهكذا تمّ نفي السيد الشيرازي وتقرّر إبعاد ولديه معه أيضاً ، فتوسط أحد كبار العلماء (هو الحاج السيد عبد الباقي آية اللهي) لإبقاء أحدهما مع العائلة ، فذهب معه ولده السيد عبد اللّه الذي كان في الواحد والعشرين من العمر ، فأُبعدا رغم مظاهرات الناس والاحتجاج

---

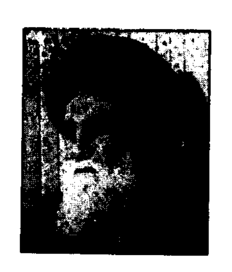
١ ـ نقلها لي أحد العلماء الحاضرين في المجلس .

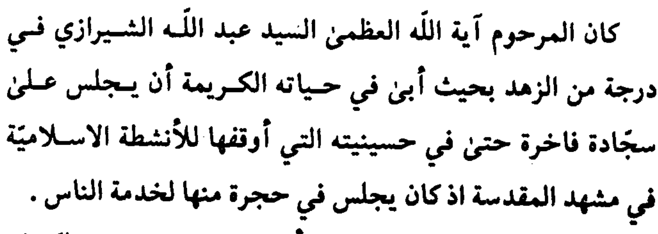
علىٰ قرار النفي ، وسرعان ما علم (ساكس) أن اصفهان ايضاً ملتهبة ضد الاستعمار البريطاني لهذا السبب ، فأمر باحتجاز السيدين في قرية بين شيراز واصفهان اسمها (سيوند) . بقيا فيها ستة أشهر تحت الاقامة الجبرية ، وبعدها جاء الحاكم ليطلق سراحهما من غير شرط ، وذلك بشرط عدم تدخلهما في الامور السياسية!

فردّ عليه السيد : فلو أبقىٰ عشرين عاماً في السجن ثم أُعدَم ، لما تنازلت عن نهجي وسلّمتكم أمري . وقال ولده السيد عبد اللّه : الدين هو الاصلاح ، والمصلح لا يخشىٰ السجن ولا الإعدام . فما كان أمام الحاكم الاّ أن يطلق سراحهما من غير شروط ، وذلك خشية خروج الناس علىٰ الحكومة .

ورغم منع الحكومة الناس من استقبال هذين السيدين المجاهدين فقد أصدر آية اللّه السيد عبد الباقي آية اللهي بياناً دعىٰ الناس فيه الىٰ استقبالهما، فكان يوماً عظيماً في شيراز[1] .

٥٤٣ نَهجُ الزّاهدين


السيد عبد الله الشيرازي


كان المرحوم آية اللّه العظمىٰ السيد عبد اللّه الشيرازي في درجة من الزهد بحيث أبىٰ في حياته الكريمة أن يجلس علىٰ سجّادة فاخرة حتىٰ في حسينيته التي أوقفها للأنشطة الاسلاميّة في مشهد المقدسة اذ كان يجلس في حجرة منها لخدمة الناس .

فقد قيل له ذات مرّة ان المكان أوقفته فهو خارج عن ملكيتك فاسمح لنا أن نفرشه بسجّادتين فاخرتين تقيانك من البرد !

فقال السيد ﷺ : تريدون في آخر عمري أن تغيّروا نهجي في الحياة وتجعلوني كالأغنياء؟ سبحان اللّه ، كلا يستحيل ان اسمح لكم بذلك .

وكان طعام سماحته لا يتجاوز غالباً عن مرق لحم أو اللّبن (الرائب) الاّ فترة ضعفه فمن باب ضرورة استعادة قواه لمزاولة أعماله الاسلامية كان أحياناً يأكل شيئاً من الكباب .

وأما في شهر رمضان المبارك حيث من العادة ان يضاف الىٰ مائدة الافطار شيء من الحلوىٰ فقد كان ﷺ بمجرد أن يجلس فيرىٰ نوعينْ من الطعام علىٰ المائدة يقول : لا أفطر ما

---

١ ـ بالفارسية (چهرهاى پر فروغ) ص ٢٣ ـ عن حياة المرجع الديني السيد عبدالله الشيرازي .

لا ترفعوا واحداً من الاثنين .

وكان يأخذ الاناء الذي يتناول فيه طعامه بعد الانتهاء منه ويذهب به الىٰ المكان المخصَّص لغسله ، فلم يكلِّف أحداً في البيت أن يخدمه مادام يتمكن من القيام .

ولقد شوهد مرات عديدة يغسل بعض البسته بنفسه رغم كثرة مشاغله في التصدي لشؤون المسلمين . فيقال له : حبّذا أن تعطوا غيركم هذه المهمة . فيقول : ان واجبي الشرعي يفرض عليّ أن أقوم بنفسي ولا أكلّف عائلتي [1] .

٥٤٤ الاهتمام بطلَب العلْم

نقل حجة الاسلام والمسلمين السيد محمد علي الشيرازي (دام عزه) أن والده المعظَّم سماحة آية اللّه العظمىٰ السيد عبد اللّه الشيرازي ﵀ اعتراه ذات ليلة بعد صلاة العشاء ضعف شديد الىٰ درجة لم تتحمّله قدماه حتىٰ استعان بنا في خروجه من السيارة الىٰ حجرته.

لقد قلقنا علىٰ حاله في البيت فأسرعنا إليه بأدوية الأعشاب وسقيناه بشيء من العسل لاستعادة قوته ، وقد دفعني حاله الىٰ أن أخبر الطلبة بأن الدرس في هذه الليلة معطَّل بسبب تدهور صحة السيد الوالد . وبعد دقائق حينما دخلت علىٰ والدي رأيته يستعد لاسباغ الوضوء . فسألته بتعجب : لماذا تتوضأ يا والدي ؟

قال : لأجل الدرس .

قلت : مع تدهور صحتك وضعف حالك كيف تدرِّس ؟ واني اخبرت الطلبة بتعطيل الدرس هذه الليلة ، وهم رأوك هكذا فلا أعتقد يأتون الىٰ الدرس !

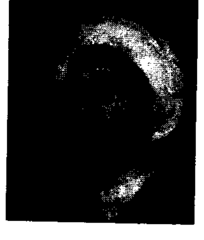
فعاتبني بشدّة علىٰ هذا التصرّف قائلاً : انّ قدميّ معطّلتان عن الحركة وليس فكري معطَّلاً عن العمل ، ولا لساني ألكن أيضاً . انا حتىٰ اللحظة الاخيرة من عمري أدرِّس ولو مقدار كلمة واحدة . هذه وظيفتي في أن أعلِّم ما تعلّمتُه ولو فرعاً فقهياً أو قاعدة أصولية . أنا مع ضعفي يجب أن ألقي درسي علىٰ الطلبة لكي أفهمهم أهمية طلب العلم، فالدرس والتدريس لا يعرفان الكهولة أو الشباب ولا الضعف أو القوّة . انّ ما يأكله طلبة العلوم الدينية هو من أموال الامام الحجة (عجل اللّه فرجه) وذلك من أجل أن يدرسوا جيداً وبجدية واهتمام حقيقي وليس مجرد إعلام حضور. فالذين يحضرون من دون جديّة واستيعاب فإنهم يرتكبون

---

١ ـ نفس المصدر / ٢٥٥ ـ ٢٥٧ ـ ٢٦٠.

محذورين.. المحذورالأول أكلهم من أموال الامامعليه السلام والثاني هو اتلاف أوقاتهم [١].

٥٤٥ أهميّةُ كتابةِ المذكَّرات



الشيخ حسن الصفّار

طلبتُ من سماحة الشيخ حسن موسىٰ الصفار (حفظه اللّه) ان يرسل بعض خواطره لنا ، فكتب مايلي : إن كلّ انسان لابدّ أن يمرّ بتجارب ، وتراود فكره آراء وانطباعات ، ويعايش قضايا وأحداث، لذلك من المهم والمفيد جدّاً ان يسجّل العظماء والعلماء والقياديون مذكّراتهم لتصبح ثروة تستفيد منها الاجيال ، وصورة تعكس واقع حياتهم ومجتمعهم . وهذا ما يهتم به الغربيون ، أما عندنا فمع الأسف الشديد يموت العالم وتدفن معه تجاربه وآراؤه وذكرياته وانطباعاته، فلم يكتب من علمائنا أحد عن مذكّراته، الاّ النادر الذي يعدُّ بالأصابع .

ومن هؤلاء العلماء القلّة عاصرتُ العلامة المرحوم الشيخ فرج بن حسن العمران القطيفيرحمه الله ، المولود في القطيف من أسرة علمية عريقة بتاريخ (٣ / ١٠ / ١٣٢١ هـ) والمتوفىٰ سنة (١٣٩٨ للهجرة النبوية) ، وكان عالماً ورعاً له شعبية كبيرة في بلادنا القطيف ومحلّ ثقة المراجع . لقد اهتم هذا العالم بكتابة مذكراته وبشكل مفصّل منذ ولادته الىٰ حين سفره للدراسة الدينية في النجف الاشرف بتاريخ (١٧ / ٨ / ١٣٥٦ هـ) وسمّاها (عبقات الأرج في تاريخ حياة فرج) . ثم جمع ذكرياته عن رحلته الىٰ النجف الاشرف واقامته هناك ودراسته وأحوال مدرّسيه وتلاميذه وصداقاته وعلاقاته وما عاصره من أحداث وقضايا حتىٰ رجوعه الىٰ بلاده بتاريخ (٢٨ / ٤ / ١٣٥٨ هـ) . وسمّاها (الرحلة النجفية) . ثمّ ألّف موسوعة تضمّ أكثر آرائه ونتاجه العلمي والادبي المنثور والمنظوم وذكر فيها يوميات حياته الىٰ أن توفاه اللّه تعالىٰ ، وقد طبعتْ هذه الموسوعة في (١٥) جزءاً بعنوان (الأزهار الأرَجية في الآثار الفَرَجية) . وقد أصبحت هذه الموسوعة مرجعاً ومصدراً لايستغني عنه باحث أو مؤرّخ في المنطقة . لقد كنتُ أراهرحمه الله يغتنم أي فرصة للكتابة في مذكراته وهو كان كثير السؤال عن الاحداث والتفاصيل ليتأكد من صحة ما يسجّله في المذكرات . وليتنا نستوعب أهمية مثل هذه الكتابات في كلّ جيل .

٥٤٦ إسْمَعوا و عُوا

وكتب لي سماحة الشيخ حسن الصّفار أيضاً : لماذا كان (النظر الىٰ وجه العالم عبادة) - كما في الحديث عن رسول اللّه صلى الله عليه وآله ؟

---

١ ـ نفس المصدر / ص ٢٧٧ .

ولماذا يعتبر الرسول زيارة العالم ومجالسته كزيارة النبي ومجالسته ، وقال :

« من استقبل العلماء فقد استقبلني ، ومن زار العلماء فقد زارني ،ومن جالس العلماء فقد جالسني ، ومن جالسني فكأنما جالس ربّي » ؟

لعل الهدف من ذلك هو التأثر بإرشادات العالم وسلوكه والاستفادة من نصائحه .

لذلك وجب على العالم أن يحرص على هدفية مجالسه وأحاديثه ، ومؤسف جداً أن ترى بعض العلماء يبخل على الناس فلا يفيدهم بشيء حينما يجالسونه ، أو يسترسل مع الجالسين في أحاديث جانبية هامشية . أما العلماء الواعون والمخلصون فإنّهم يستغلون كلّ فرصة ويستثمرون أي مناسبة لموعظة الناس وارشادهم .

يُنقل عن جدّنا المرحوم العلاّمة الشيخ رضي بن الحاج علي الصفّار (المولود سنة ١٢٩٥ والمتوفى سنة ١٣٧٤ هـ) ﷺ ، والذي كان عالماً فاضلاًمعروفاً بالورع والتقوى انه كان يعمر كلّ مجلس يحضره بطرح بعض المسائل الدينية والتوجيهات الاخلاقية وكان يفتتح غالباً حديثه بقوله (اسمعوا وعوا) ليقطع الاحاديث الجانبية الدائرة في المجلس، ثم يشرع في بيان ما يراه مناسباً للجالسين من مسائل دينية . وقد أصبح معروفاً بهذه الطريقة وشاعتْ عنه عبارة (اسمعوا وعوا) .

٥٤٧ بحقّ الذي جَنُنْتَ مِن أجلِه

نقل لي سماحة العلامة آية اللّه الحاج السيد أحمد المَددي (حفظه اللّه) عن المرحوم آية اللّه الحاج السيد أحمد الأُردبيلي (جدّ زوجته المكرَّمة) نقلاً عن أبيه بأن المرجع الورع المرحوم الحاج السيد محمد الفشاركي الأصفهاني ذكر له : رأيت في بعض الأيام في شيراز مجنوناً يطارده الصبيان ويضحكون عليه . وبعد أيام دخلت مسجداً للعبادة في غير وقت الفريضة ، فلم يكن فيه أحد سواي ، وبينما أخذت أتهيّأ للعبادة شعرت بدخول شخص الى المسجد ، فالتفتّ واذا به ذلك المجنون . فاستترتُ خلف عمود عريض هناك كي أراقبه ماذا يريد أن يفعل !

فرأيته أخذ ينظر الى جوانب المسجد ، وبعد أن اطمأنّ بعدم وجود أحد شرع في صلاة بخشوع وقراءة متأنية في أجزائها وأذكارها وأدعيتها كواحد من أفضل العقلاء ، فكنتُ متحيّراً مما رأيته منه ، كلما أمعنتُ النظر فيه فلم أجد عليه أقلّ علامة للجنون . راقبته في

مزيد من الدقة حتىٰ ملكتني الدهشة . ولما انتهىٰ وأراد أن يمشي أسرعتُ اليه ، فأخذ يموّه عليّ شخصيته الحقيقية بتصرفات جنونية !

قلت له : ياهذا إني رأيتك منذ دخلتَ المسجد ، فقد دلّتني صلاتك الخاشعة علىٰ انك إنسان عاقل ولستَ كما تُظهِر به نفسك في الطريق . قل لي لِمَ تتصرف كالمجانين ؟ فلم يجبني الا بحركات جنونية أصرّ بها أن يغطّي علىٰ شخصيته . فكلما رجوته أبىٰ الا إصراراً علىٰ التمويه وهو يسعىٰ الىٰ التهرّب مني . وهنا قلتُ له : أُقسم عليك بحق الذي جننتَ من أجله قل لي الحقيقة !

بهذا القَسَم انهمرتْ دموعه وبكىٰ ... فعلمتُ أني وضعتُ إصبعي علىٰ جرحه !

نظر إليّ هُنيْئة ثم قال : ما دمتَ قد أقسمتَ عليّ بمن جننتُ من أجله فإني أخبرك بحقيقة أمري ، فلقد كنت كثير اللقاء والنظر الىٰ الامام الحجة صاحب العصر والزمان (روحي فداه)، ولكن بسبب معصية صدرتْ مني قد ولّت عني هذه السعادة ، ومثلي ليس له الا الجنون تعبيراً عن شقائه وخسارته ، فلقد أصبحتْ الدنيا عندي وبلا أهمّية .

قلت : هل يمكنك الإفصاح لي عن تلك المعصية ليعتبر الآخرون ويرتدعوا ؟

قال : إني قد نظرت الىٰ امرأة أجنبية نظرة ريبة وشهوة . أفهل تستحق هذه العين الخائنة أن تنظر الىٰ جمال وليّ اللّه الأعظم الحجة بن الحسن عليه السلام مرّة اخرىٰ ، والآن فهل تعلم خاسراً أشقىٰ مني ؟!

٥٤٨ أداء حق النّاس

سمعته يقول لولده فضيلة حجّة الإسلام والمسلمين السيّد علي أكبر المدرّسي (دام فضله): اتّصِل به ، وتابع الموضوع ، أريد أن أتأكّد هل وصل الىٰ يده حقه ؟

وبينما كان السيد علي أكبر يُدير أرقام الهاتف سألت والده العلاّمة آية اللّه السيد محمّد كاظم المدرّسي : ما القضية التي تستحق هذا الاهتمام الكبير ؟

قال : خرجنا من مدينة مشهد المقدّسة عائدين إلىٰ طهران في سيّارتنا ، فما أن دخلنا مدينة شاهرود حتّىٰ تمزّقت إحدىٰ إطارات السيّارة فأخذناها إلىٰ مصلّح ، وكان لابدّ من شراء إطارين جديدين لأنّ الثانية لم تكن صالحةً أيضاً ، وخشينا أن تتمزّق هي الأخرىٰ في مكان آخر . وبعد تركيب الإطارين تبيّن أنّ المال الّذي معنا لا يوفي ثمنهما ، وأخيراً رضخ الرجل

للأمر الواقع فوافق أن نرسل علىٰ حسابه في البنك ما تبقّىٰ من الثمن فور مانصل إلىٰ طهران ، ولقد أرسلنا ذلك ولكن المشكلة هي أنّ الرجل ينكر وصول المال إليه .

مضت أسابيع حتّىٰ رأيت السيّد يوماً فسألته عمّا آلت إليه المشكلة ؟

قال : إنّ موظّف البنك قام بإيداع الحوالة في حساب الرجل وأعطانا فاتورة يكشف عن صدقه ، ولكنّ الرجل في تلك المدينة مصرٌّ علىٰ عدم استلامه شيئاً ، فركبت السيّارة وذهبت إليه ووضعت بين يديه الفاتورة المصرفية ، ولكنه لم يتنازل عن ادّعائه بل أهانني قائلاً : إنّما وافق علىٰ إعطائنا الإطارين دون استلام الثمن كاملاً احتراماً لعمامتي وسيادتي .

نصحته أن لا يسيء الظن بي وطلبت منه أن يراجع أوراقه فلم يفعل . رجعنا إلىٰ طهران لنحقق في الموضوع مع البنك ، فاتّصل به الموظّف وقال انّ الحوالة أُرسلتْ بتاريخ كـذا ، يرجىٰ أن تراجع أوراقك . فقطع الرجل المكالمة غاضباً .

ولكنني ـ والكلام للرجل التقي آية اللّه السيد محمد كاظم المدرّسي ـ ماااستطعت أن أستقر حتىٰ أتيقّن من أنّ الرجل قد استلم ماله بالفعل رغم إهانته لي وقطعه للمكالمة . ففي سفرة أخرىٰ تعنّيت للقائه وقلت له إنني لست ممّن يرضىٰ لنفسه أكلَ مال الآخرين بأيّ قدر كان ، أرجو أن تبحث في أوراقك فإنّي وموظّف البنك متأكدان من إرسال الحوالة، حاول الرجل أن يرفع صوته عليّ ، إلاّ أنّني هدأته وطلبت من عامله أن ينظر في الأوراق فما أن فتح الصندوق حتىٰ رأينا وثيقة تؤكّد أنّ المبلغ المرسل واردٌ في حسابه في اليوم الأوّل ، فعاتبت الرجل علىٰ تصرفه السيء معنا وخرجنا عائدين إلىٰ طهران ، والآن أشعر براحة وإطمئنان .

أجل لقد طبّق هذا السيد الورع الحديث القائل : « إيّاك و خلصتين الضّجر والكسل، فإنك إنْ ضجرتَ لم تصبر علىٰ حق ، وإنْ كسلتَ لم تؤدّ حقّاً » فهل نطبقه نحن أيضاً ؟

٥٤٩ خُذْ و إيّاك أنْ تمدّ يَدكْ

اقرأ القصة التالية بروح ايمانية : الحاج تاج الدين الدزفولي ، نقل عن أحد اجداده، بأن رجلاً اسمه السيد محمد علي قال : «سافرت الىٰ كربلاء لزيارة مرقد سيد الشهداء الحسين بن عليّ عليهما السلام . وهناك نفد المال الذي كان معي ، فبقيت خالي اليدين ، منعتني عفة نفسي ومناعة طبعي من خرق الخجل الذي كان يحول دون اظهار حالي وحاجتي لأحدٍ .

كان الجوع قد فرض عليّ الضعف ، وكان الضعف قد فرض عليّ الالتجاء الىٰ حرم الامام

الحسين عليه السلام ، فتشرّفت بالزيارة واختصرتها في سطور ، لشدة ما كان بي من ضعف . ثم خاطبت الامام (مازحاً) : « فإن لم تصلني مساعدة من ناحيتكم ، فسوف اضطرّ الىٰ أخذ شيءٍ من (ذهب) الحرم لسدّ حاجتي » !

قلت كلامي هذا وخرجتُ من الحرم ، واذا بخادم المرجع الكبير آية اللّه العظمىٰ الشيخ مرتضىٰ الانصاري رحمه الله ظهر أمامي وقال ان الشيخ يطلبك ، تعال معي !

فذهبت الىٰ بيت الشيخ مرتضىٰ الانصاري فناولني مبلغاً قدره (ثلاثون توماناً ايرانياً) - وهو يعدّ مبلغاً كبيراً في تلك الايام - ثم قال لي الشيخ : « انّ جدك وضع عندي هذا المال لتسدّ به حاجتك» .

فأخذت المال ، وما أن خطوت بضع خطوات ، واذا به ينادينى قائلاً : وايّاك ان تمدّ يدك الىٰ ذهب الحرم »[1] !

٥٥٠ الأخلاق السامية رغم الاختلاف

قبل ستين عاماً تقريباً تألّق اسم آية اللّه العظمىٰ السيد أبي الحسن الاصفهاني قدس سره في سماء المرجعية الدينية للمسلمين الشيعة في العالم . وكان السيد الاصفهاني قمّة في الأخلاق السامية .

يقول الخطيب الحسيني المرحوم الشيخ علي أكبر الواعظ التبريزي ، ان جمعاً من التجار المؤمنين سعوا في زمن رضا خان (والد شاه ايران المقبور) لأنْ تسمح لهم حكومته بالسفر الىٰ زيارة العتبات المقدسة في العراق ، فبعد عام واحد من السعي والجدّ والوساطة سمحت الحكومة لعشرة اشخاص منهم فقط . يقول أحدهم :

وصلنا الىٰ مدينة كربلاء المقدسة ليلة أربعين الحسين عليه السلام وكنا في شوق للقاء المرجع الاعلىٰ السيد أبي الحسن الاصفهاني أيضاً ، وهو يأتي الىٰ كربلاء من النجف الاشرف في مثل هذه الليلة ، فذهبت لوحدي الىٰ بيته الواقع في (تلّ الزينبية) وبينما كنت جالساً مع السيد واذا بجموع الخبّازين يزدحمون في البيت ويطالبونه بأثمان الخبز الذي كانوا يدفعونه الىٰ الفقراء علىٰ حساب السيد . ولم يكن السيد الاصفهاني لديه من المال الكافي لتسديد الديون الكبيرة في ذلك الوقت لأن الاموال التي تأتي لإدارة شؤون الناس والطلبة من قبل

---

١ ـ نقلاً عن كتاب بالفارسية (مردان علم در ميدان عمل) / ص ٢٣٠ .

مراجع الدين تكون من الزكاة والحقوق الشرعية التي يؤديها الموسرون في البلاد الاسلامية وخاصة تجار ايران المؤمنين .

فعندما رأيت هذه الحالة ، لعنت رضا خان (شاه ايران) الذي يمنع السفر الىٰ العراق وإرسال المال الىٰ المراكز الاسلامية والمرجعية الدينية، فقررت بعد ذلك أن أعود الىٰ أصدقائي وأخبرهم بالموضوع لعلّهم يتبرّعون بما كان معنا من المال ، لدعم السيد الاصفهاني .

وهكذا جمعنا (٣٠٠٠) دينار من الاصدقاء، واقترحوا عليّ أن أذهب لوحدي وأقدّمها الىٰ السيد ، وهم يأتون لزيارته في يوم آخر .. علّلوا ذلك بأنه قد يسبب احراجاً للسيّد ويعدّه منّة عليه ان أعطوه المبلغ بحضورهم كلهم . ومن هنا دخلت علىٰ السيد الاصفهاني لوحدي ، فوضعت المبلغ بين يديه وقلت هذا لكم ايها السيد .

فقال السيد : انك لم تذكر شيئاً عن هذا المبلغ بالأمس فهل الذي رأيته قد دفعك الىٰ هذا الإحسان ؟

قلت : خذه وتصرّف فيه ما تشاء ، وانت مرجعنا وبك عزتنا ، نعلم أن مصرفك كثير .

ولكنّ السيد اصرّ واشترط انه لا يأخذ المال الاّ اذا عرف القصة ، فنقلتها له كاملة .

فقال السيد : أريدك أن تعمل بما أقوله لك وأن لا تخبر أحداً مادمت حياً ! فكما تقول أنا مرجع ولي مقلّدون ومصاريفي كثيرة ، إعلم أن السيد حسين القمي مرجع أيضاً وله مقلّدون وهو في وضع مالي أسوأ مني . خذ نصف هذا المال اليه من دون أن تخبره بأنه مني .

قلت له : يا سيدنا بصفتك المرجع الاعلىٰ للمسلمين الشيعة في العالم فإن مصاريفك أكثر .

قال : انا لا أقبل منك هذا المال الاّ أن تعطي نصفه للسيد القمي . فامتثلتُ لأمره ﷺ.

هذا والغريب جداً أن السيد القمي لم يكن يتفق مع السيد الاصفهاني في طريقة العمل الاسلامي، فرغم الاختلاف بينهما في بعض الآراء، كانت الاخلاق السامية سيّدة المواقف بينهما، فهل بعضنا يتعلم هذه الاخلاق ؟! فاذا اختلفنا في الرأي والذوق والاسلوب أن لاننس الاخلاق الحسنة بيننا ، وأقلّها أن لا نبرّر ما نميل اليه ونهواه !

٥٥١ المعارفُ القرآنيّة أم الفلسفة البشريّة

من المعروف عن المرحوم آية اللّه العظمىٰ الميرزا مهدي الاصفهاني العارف القرآني الكبير أنه أرسىٰ دعائم التجديد العقائدي في الدروس العلمية في حوزة مشهد المقدسة بناءاً علىٰ التعبّد بالمعارف القرآنية وتعاليم أهل البيت عليهم السلام وحذف المعارف المستفادة من الفلسفة البشرية ، علماً انه كان بنفسه قطباً في العلوم الفلسفية ، ولما أدرك تناقضها مع روح القرآن ومعارفه في أكثر من موضع قرّر أن يتراجع عنها وينقدها وينتصر للمعارف القرآنية من رؤية أهل البيت عليهم السلام وتفسيرهم للقرآن ، ولقد أنقذ نفسه من الحيرة بين الاستمرار في مألوفاته الفلسفية ومأخوذاته منها أو التعبد الخالص لإرشادات أهل البيت عليهم السلام وذلك بذهابه إلىٰ مسجد (السهلة) وتضرعه إلىٰ اللّه تعالىٰ للّقاء بالحجّة عليه السلام والسؤال منه عمّا هو الصواب من الطريقين .

الميرزا مهدي الاصفهاني

نقل لي آية اللّه المرواريد (حفظه اللّه) وهو من أكابر العلماء والمجتهدين في حوزة مشهد المقدّسة وكان من تلامذة الميرزا مهدي الاصفهاني رحمه الله : بأن أُستاذه بعد أيام من التضرع للّه والتوسّل إليه وإطالة السجود ببكاءٍ وخشوع سمع من يناديه : يا مهدي ماذا تريد ؟

فرفع رأسه من الأرض التي كان قد ابتلّت من شدّة دموعه وإذا برجل ساطع الوجه واقفٌ بجانبه ، فأخبره الميرزا مهدي الاصفهاني عمّا يعانيه من شدة الحيرة بين الأخذ بالنظريات الفلسفية المتداولة في بعض الأوساط العلمية وبين التسليم لمعارف القرآن الحكيم وعدم تأويل ما يناقض منها تلك النظريات الفلسفية المستوردة .

يقول الميرزا : فأراني الرجل ورقة مكتوب فيها بخط من النور (طَلَبُ المعارفِ من غَيْرِنا مُساوِقٌ لإنكارنا) وفي الطرف الآخر منها مكتوب (وقد أقامني اللّه وأنا الحجة بن الحسن) ثم غاب عليه السلام ، وهناك استبصر الميرزا مهدي في أمره ونجا من حيرته ، ولاشك أنّ تحوّل رجل فقيه من مدرسةٍ فكرية معينة إلىٰ مدرسة أخرىٰ أمرٌ عظيمٌ لا يقدر عليه إلاّ صاحب إرادة قوية يمزّق بها جميع علائقه السابقة ليبني علىٰ أنقاضها علائق جديدة .

وهكذا كانت فاعلياته التربوية تطبيقاً خالصاً للحديث المروي عن الإمام الرضا عليه السلام :

«رحم اللّه عبداً أحيا أمرنا» .

فقيل له : كيف يُحيا أمركم ؟

قال : يتعلم عُلومنا ويعلّمها الناس ، فإن النّاس لو علموا محاسن كلامنا لاتّبعونا»[1].

والغريب أنّ ثلّةً من كبار علماء الحوزة في مشهد المقدسة اتّبعوه بقناعة تامة ، ولم يكن يستمع إليه عالم لمرّة واحدة حتىٰ يتخلىٰ عن أفكاره السابقة ويتبع مسلك الأستاذ، ولم يجذبهم إليه علمه الواسع بالقرآن ومعرفته بعلوم الأئمة عليهم السلام فقط بل وقوّة بيانه وقمّة أخلاقه وشدّة ورعه وما يترك ذلك من آثار نورانية علىٰ كلماته وتصرفاته كانت من عوامل الجذب أيضاً .

ويواصل آية اللّه المرواريد (حفظه اللّه) الذي كان يحدّثنا عن استاذه بحضور أخي الفاضل سماحة السيد حسين المدرّسي (دام عزّه) قائلاً : حينما كسب الميرزا مهدي الأصفهاني غالبية علماء الحوزة إلىٰ مدرسته المعارفيّة رفع ضدّه أحد علماء تيّار الفلسفة راية المخالفة ، فما كان يزهد في الكلام علىٰ استاذنا وتحجيم نبوغه والتقليل من شأنه ، بينما استاذنا لمّا أخبرناه بموقف الرجل ابتسم قائلاً : إنه رجل صالح ، لأنّه اكتفىٰ بنقدي ولم يكفّرني !

وبينما كان مثل هذا المعارض كان معارض آخر ممّن يرتوي الإخلاص ويتواضع للحق واسمه (آقا بزرگ حكيم) الذي يعتبر من أعاظم أساتذة الحوزة آنذاك ، يقول الاستاذ محمد رضا الحكيمي في دراسة علمية نشرتها جريدة كيهان الواسعة الانتشار وطبعها مركز الدراسات الإسلامية في حوزة قم المقدّسة تحت عنوان (مكتب تفكيك): ذهبت مع اثنين من زملائي للّقاء بآية اللّه الحاج الشيخ محمّد باقر محسني الملايري في قم المقدسة ، فتحدث لنا عن فترة دراسته في حوزة مشهد عند استاذه (آقا بزرگ حكيم) وكانت فترة ظهور الميرزا مهدي الاصفهاني علىٰ مسرح الحوزة واكتساحه الساحة العلمية هناك ، وهما (أي أستاذه والميرزا مهدي) بسبب كونهما علىٰ غرار واحد في العمر والموقعية يُعتبران حسب العرف الحوزوي عالميْن متنافسيْن .

سألته ـ والكلام للأستاذ محمد رضا الحكيمي ـ هل كانت لديك علاقة بالميرزا مهدي وأنت تتلمذ عند ندّه ومنافسه ؟

---

١ ـ عيون أخبار الرضا : ج١ ص٢١٧ .

قال : نعم . ثم فصّل قائلاً : كنت أحضر دروس (آقا بزرگ حكيم) فذات مرة سألني الشيخ هاشم القزويني (وهو من أبرز تلامذة الميرزا وكان بنفسه من كبار العلماء وا كبر منه سناً) لماذا لاتحضر أيضاً دروس الميرزا ؟ وكان يصرّ عليّ أن أحضر ولو درساً واحداً .

قلت له : إنّ استاذي ـ يعني آقا بزرگ حكيم ـ أراد منّي أن لا أحضر درس أحدٍ غيره .

قال لي الشيخ : حاول أن ترضي أستاذك وتحضر درس الميرزا بأي شكل من الأشكال.

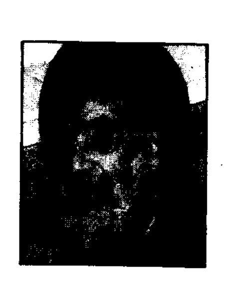
بعد هذا الاصرار من الشيخ هاشم القزويني استجزت من استاذي وحضرت درس الميرزا، وكان موضوع الدرس في ذلك اليوم يدور حول كيفية تحصيل العلم للنفس ووجه التمايز بين حقيقة العلم وحقيقة النفس ، وكلامٌ عميق وطويل في هذه المسألة العلمية .

وذهبت بعد الانتهاء إلىٰ استاذي (آقا بزرگ حكيم) ونقلت له ما ألقاه الميرزا مهدي الاصفهاني في الدرس .

بمجرد أن استمع استاذي الىٰ هذه الأفكار قال عنها : إنها لأفكار (عرشيّة) ! أفكار في غاية الأهمية . لم أكن قد سمعتها من قبل ، داوم علىٰ الحضور في دروس الميرزا وانقلها لي باستمرار .

أجل ، هكذا هم المتعطّشون للحقائق والمتواضعون باخلاص لأسرار المعارف القرآنية . وكانت وفاة هذا العالم المعلم الميرزا مهدي الاصفهاني ﵀ في يوم الخميس (١٩/ذي‌الحجة/١٣٦٥ هـ) بعد استحمامه واستعداده الكامل للقاء ربه، و لقد شيّعته أيادي آلاف المؤمنين والسادة العلماء في مدينة مشهد المقدّسة إلىٰ مثواه في دار الضيافة قرب مرقد الإمام الرضا﵇.

٥٥٢ مِن أهل لا إله إلاّ اللّه


السيد محمد كاظم المدرّسي

كان المرحوم آية اللّه السيد محمد كاظم المدرّسي (أعلى اللّه مقامه) واحداً من تلامذة العالم الورع آية اللّه العظمىٰ الميرزا مهدي الاصفهاني ﵀ والمعروف عمّن أخذ معارفه القرآنيّة من هذا النبع الزلال قد بلغ درجات عاليات في اليقين والالتزام التعبّدي للقرآن الكريم وأحاديث النبي الأمين وأهل بيته المعصومين . ومثل هؤلاء يفوزون بمقامات روحانية رفيعة المعنىٰ عميقة

المغزىٰ ، ومن تلك المقامات القوة الإرادية في (خلع البدن من الروح ولبسه ثانياً).

يُنقل عن المرجع الديني سماحة آية اللّه العظمىٰ السيد محمد الشيرازي (دام ظلّه العالي) إنّه قال لأولاد المرحوم بعد وفاته : انني كنت أعرف عن والدكم مالم تعرفوه ، كان ذا قدرة علىٰ خلع البدن من الروح ولبسه ، وأضاف إليهم القول : إنّني رأيته في المنام بعد وفاته بيوم واحد كان واقفاً علىٰ باب القبلة في كربلاء يريد الدخول إلىٰ حرم الإمام أبي عبد اللّه الحسين عليه السلام مرتدياً ثوباً أبيض وقلنسوة خضراء وهي لباس أهل الجنة كما في القرآن الكريم ﴿ عاليهُم ثيابُ سُندُسٍ خُضر ﴾ وأنا لا أشكّ ذرّةً أنّه من أهل الجنّة .

وتقول العالمة الجليلة زوجة المرحوم وهي شقيقة السيد الشيرازي (دام ظلّهما) : عندما حضرت إلىٰ المقبرة التي دفن فيه السيد توّاً والتي هي عبارة عن حجرة من حجرات صحن السيدة المعصومة عليها السلام بقم المقدّسة المعروفة بمقبرة فضل اللّه النوري ، قلت مخاطبةً المرحوم: السلام علىٰ أهل لا إله إلاّ اللّه - إلىٰ آخر الزيارة الخاصة لأهل القبور - . وفي الليل رأيتُ المرحوم في المنام يقول : لقد وصلني سلامُكِ .

فحقّاً كان المرحوم المدرّسي رحمه الله من أهل لا إله إلاّ اللّه ولولاه لما وصله السلام.

٥٥٣ هل أنت آيةُ اللّه ؟

نقل لي حول آية اللّه المرحوم المدرّسي تلميذه الّذي لازمه فترة أربع سنوات الأخيرة من حياته فضيلة الشيخ كاظم أنو شيرواني (دام عزّه) قائلاً : كنت أمشي معه مرّة في شارع صفائية قرب منزله (بقم المقدسة) ، فَدَنا منه رجل فسأله : هل أنت آية اللّه ؟

فقال السيّد : إذا تخطّينا الصراط يوم القيامة بسلام ، نعم ، وإلا فلا .

يقول فضيلة الشيخ أنوشيرواني : كان المرحوم آية اللّه المدرسي رحمه الله عجيباً في تواضعه ، ولقد درّس العديدَ من العلماء ولكنه أبىٰ ولو تلميحاً أن يذكر تلمّذهم علىٰ يديه ، أذكر ذات مرّة كنت جالساً في محضره يدرّسني - وأنا أصغرُ منه بأكثر من ستّين سنة - فدخل علينا أحد العلماء ، سأله مَن هذا ، مشيراً إليّ ؟ فأجابه السيّد : صديق عزيز من مشهد يأتي عندي يحادثني وأُحادثه ! ويضيف الشيخ : وكم من علماء معروفين إلتقيناهم بعد وفاة المرحوم يقولون إنّهم درسوا عند السيّد أو استفادوا من علومه المعارفيّة ولكنه لم يرض أن نلقّبه بالأستاذ أو نقول لأحد في حياته إنّنا تلمّذنا عنده .

يقول جاره الخطيب الحسيني سماحة الشيخ المبلّغي (دام ظلّه) : إنّه يعلم عن المرحوم

المدرّسي أسراراً عرفانيةً غريبة وكان يأتيه ويكلمه بما يدهش العقل البشري ولكنه لم يسمح له المرحوم أن يُفصح عن شيء من ذلك حتىٰ بعد وفاته إلىٰ مدّة معيّنة، ولا ندري متىٰ تنقضي هذه المدّة كي يفصح الشيخ ببعض تلك الأسرار.

أقول: انني طلبت منه مرّات عديدة أن يزوّدني قصصاً عن نفسه لهذا الكتاب فكان يحدّثني بمواضيع نافعة اخرىٰ ليتخلّص من ذكر نفسه وربّما ذكر قصّة وقعتْ لنفسه فينسبها لواحد من دون التصريح بالاسم.

٥٥٤ ارتقاءٌ وارتفاع

مَن يرتقي سُلّم الكمالات الروحية ويرتفع نحو المعارف السماوية يرىٰ الدنيا حوله صغيرة. أما جربت ذلك في صورته المادية حينما تنظر إلىٰ الأرض من نافذة الطائرة ؟!

كان آية اللّه السيد محمد كاظم المدرّسي ﷺ واحداً ممن شملتْه العناية الألٰهية في إرتقائه الروحي وارتفاعه السماوي، لقد عرفتُه من قرب بعض الشيء وكان يأبىٰ أن تظهر لأحد أسراره العبادية وملكاته العرفانيّة، ولكنّي لمست من زهده العجيب وتواضعه وتسامحه والمواضبة علىٰ إخفاء عباداته بعض رشحاتها ومن باب الأثر يدلّ علىٰ المؤثر، فقد كنت أسمع كثيراً عن تهجّده في آناء الليل، وذات مرة وفي ليلة من ليالي شهر شعبان عام (١٤١٤هـ) ـ أي قبل وفاته بشهرين تقريباً ـ نِمتُ بداره في مدينة قم إذ كنت قادماً من مشهد المقدّسة زائراً، ولمتابعة تأليف هذا الكتاب الذي بين يديك، فقمت في منتصف الليل قاصداً حرم السيّدة فاطمة المعصومة عليها السلام فشعرت بأنّ السيّد يصلّي في زاوية من ساحة الدار الىٰ جانب سريره الخشبي القديم، مكثت لحظات علىٰ السُلّم لأستمع إلىٰ مناجاته مع اللّه تعالىٰ ولكنّي فوجئت به في الظلام ينادي: مَن علىٰ السلّم هناك ؟

علماً أنّ السلّم يقع في الخلف من مكان صلاته بمسافة ستّة أمتار تقريباً. فاضطررتُ الىٰ ان أقول: أنا يا (آغا جان) ـ وهو الاسم العائلي للسيد ـ، ولما نزلت قال إلىٰ أين تذهب ؟

قلت: إلىٰ الحرم.

قال: لا تنساني من الدعاء.

قلت: ومثلك يا سيد يسألني الدعاء فأنا أحوج إلىٰ دعاك.

ودّعته ولم أتمكّن من اكتشاف حتىٰ دقائق من بعض ليلته تلك، وسمعت من أكثر مقرّبيه انّه كان شديد الحرص علىٰ كتمان عباداته الخاصّة وحالاته المعنوية.

يقول أهله : منذ سنوات طويلة لم تكن تفوته صلاة الليل قطّ ، وحتىٰ آخر ليلة من حياته قام للتهجد وهو في غرفة (العناية القصوىٰ) في المستشفىٰ بطهران ، نقل لي ابن أختي الأخ الكريم حسن أحمد (دام عزّه) إذ كان مع المرحوم في المستشفىٰ تلك الليلة قال إنه طلب منّي ساعة ، قلت له : ما حاجتك إليها وأنت في هذه الحالة ؟!

قال : هذه ليلة هامّة جداً ، أريد معرفة ساعاتها . فأعطيته ساعتي وتبيّن أنّه كان يريد قيام اللّيل للتهجّد والعبادة .

ولقد قال طبيبه أنّه في تلك اللّيلة سمع السيد حينما كان يسبغ الوضوء لصلاة اللّيل يخاطب نفسه قائلاً : (يا كاظم كفاك هذا العمر ، لا تخف إنّه الطريق الّذي سلكه الآخرون، يا كاظم فهذه ليلتك الأخيرة ، قوِّ إيمانك باللّه ولا تخف ...) .

وهكذا جاءته المنيّة مستبشراً برحلته الأبديّة إلىٰ نعيم الجنّة وهو في حال قنوت صلاة الصبح صلاة الفجر .

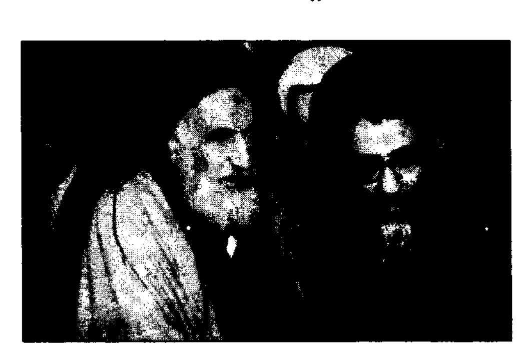
يقول نجله الأكبر سماحة آية اللّه الحاج السيّد محمّد تقي المدرّسي تلك الليلة رجعنا الىٰ البيت في ساعة متأخرة وكنا مرهقين فصلّيتُ صلاة الصبح تزامناً مع الأذان وغفوت بعدها غفوة وكأني أسمع هاتفاً يقول: محمد كاظم المدرسي ذهب الىٰ جنان اللّه.

ولما اتّصلوا بي من المستشفىٰ وأخبروني أنّ والدك انتقل إلىٰ رحمة اللّه . سألتهم متىٰ ؟

قالوا : قبل نصف ساعة . يعني وقت سماعي ذلك الهتاف كان هو لحظات عروج روحه الكبيرة سبحان اللّه .

٥٥٥ نصفٌ لي ونصفٌ لخالي

كان لدىٰ المرحوم آية اللّه السيد محمّد كاظم المدرّسي ﷺ بعض التراب الحسيني الأصيل الّذي أخذه بنفسه من علىٰ قبر الإمام الشهيد سبط النبيّ المصطفىٰ الحسين بن علي بن أبي طالب عليه‌السلام في السنوات السابقة ، وكان ينقلب أحمر بلون الدم في كلّ عامٍ في يوم عاشوراء، حتّىٰ أنّ



المرحوم المدرّسي والمرحوم السبزواري

المرحوم كان يتأكّد من ثبوت يوم العاشر من المحرم بهذه العلامة .

يقول ولده سماحة العلامةً السيّد عبّاس المدرّسي (دام ظلّه) حينما أنزلنا جثمان الوالد في القبر وكان ابن عمّتي آية اللّه السيد محمّد السبزواري نجل المرجع الراحل السيد عبد الأعلىٰ السبزواري علىٰ شفير القبر يتابع مراسيم الدفن والتلقين طلب منّي شيئاً من تلك التربة الحسينيّة ليضعها تحت رأس المرحوم فلمّا ناولتها إيّاه وجدها كثيرة قال إنّها كثيرة دعوا شيئاً منها لي ، فوضع من التربة قسماً في القبر واستبقىٰ البقيّة عنده وربما قال نصف لي ونصف لخالي .

وسبحان اللّه الّذي لا يُحمَد علىٰ مكروه سواه ، انتهينا من الدّفن وعاد الحاضرون إلىٰ بيوتهم لنعود إلىٰ مراسيم يوم الثالث بعد الدّفن . وكان السيّد محمّد السبزواري من العائدين إلىٰ قم ، وقد باغتته المنيّة أثناء الطريق في حادثٍ مروريٍ مؤلم جداً ، وكان حزننا بفقده الأليم بعد فقد والدنا مضاعَفاً . ودفنّا المرحوم السبزواري بقرب المرحوم الوالد ووضعنا معه في القبر شيئاً من نفس التربة الحسينيّة التي احتفظ بها لنفسه قبل يومين وكانت عائلته الكريمة قد جلبتها معها من طهران لهذا الغرض .

قلنا آنفاً عن المرحوم المدرّسي كيف كان مزوحاً يداعب ببداهة ولطافة قلّ لها من نظير ، فهو في عالَمِه الآخر يبدو كذلك ، فقد رأىٰ أحد العلماء في المنام بعد وفاة آية اللّه السيّد محمّد السبزواري ﷺ أنّ المرحوم المدرّسي كان واقفاً مقابل ضريح الإمام الحسين عليه السلام يريد قراءة الزيارة وإذا به يلتفت خلفه ليرىٰ ابن أخته السيّد محمّد السبزواري وارداً.. فيبتسم له ويقول وبلهجته (المشهدية) اللطيفة ما ترجمته : هل خشيت عليّ حتّىٰ جئت ورائي سريعاً ؟!

٥٥٦ تواصلٌ تربويٌّ علىٰ كلّ حال

يقول سماحة السيّد قاسم الغريفي البحراني : من عادتي اذا التقيتُ كل عالم كبير الشأن أن أطلب منه موعظة ونصيحة أستنير بها لحياتي . فذات مرة قلت للمرحوم آية اللّه الحاج السيد محمد كاظم المدرّسي ﷺ بماذا تنصحني ؟

فقال : صلِّ صلاة الليل .

قلت : لا أتركها وللّه الحمد .

قال : إذاً صلِّ صلاة جعفر الطيّار .

قلت : إن شاء اللّه .

ذهبتْ الأيام تلو الأيام حتّىٰ انتقل السيّد إلىٰ رحمة اللّه تعالىٰ . وفي ذات مـرّة دخـلت حجرة مقبرته في صحن السيّدة المعصومة عليها السلام وبينما كنت أقرأ علىٰ روحه الزكيّة سورة المباركة الفاتحة تذكرت نصيحته لي بأن أصلّي صلاة جعفر الطيّار . فذهبت إلىٰ داخل الحرم الشريف وبدأت أصليها وفي الأثناء شعرت بالتعب ودوار في الرأس فلم أكمِلها حتّىٰ النهاية، والمعلوم أنّها صلاة طويلة بسورها وأدعيتها ، خرجت عائداً إلىٰ المنزل وفي اللّيل جاءني المرحوم المدرّسي في منامي يقول : لماذا لم تكمل صلاة جعفر الطيّار هذا اليوم ؟

قلت : تعبت سيّدنا ولم أستطع من إكمالها .

قال : بل إرادتك ضعُفَتْ ، فعليك أن تقوّيها .

٥٥٧ موعدٌ دقيقٌ للرحيل

ونقل لي سماحة حجّة الإسلام والمسلمين السيّد حسين المدرّسي (دام عزّه) : إنه كانت بينه وبين زميله حجّة الإسلام والمسلمين السيد قاسم الغريفي البحراني (دام عزّه) مباحثات علميّة ، فَعَرضتْ لي سفرة إلىٰ مشهد المقدّسة ولم أتمكّن من إخـبار السـيد كـيلا يـتعنّىٰ المجيء . فلمّا رجعت من مشهد أخبرني السيّد البحراني ما يلي : جئت إلىٰ البيت للسؤال عنك وكان الباب مفتوحاً ، طرقت الباب فسمعت والدكم من ساحة الدار يقول : تفضّلوا . فلمّا دخلت رأيته يكنس التراب من ساحة البيت ، فقلت له بعد السلام والتحيّة : لمـاذا تـتعِب نفسك وأنت بهذا السنّ . فأجابني : نحن من التراب ونعود إلىٰ التراب .

جلست معه ودار بيننا بعض الأحاديث النافعة وفيها نصائح مَن يريد الوداع ولكـنّي لم أشعر في حينه شيئاً ، وحيث كنت أعرف سلفاً انّه يعاني من وعكة في (الپروستات) قلت له: إنّ والدي في البحرين يعاني أيضاً من هذه العلّة ولكنّه يستعمل إبرة تخفف عليه الضنىٰ لمدّة سبعة أشهر ، فسوف أطلبها لك .

فقال السيّد : إنّ عمري لا يفي لسبعة أيام وأنت تفكّر لراحتي في تصرّم سبعة أشهر؟!

اعتبرت هذا الكلام منه عليه الرحمة نوعاً مما يعتاده كبار السنّ قوله دائماً ، ولكن تبيّن أنّه كانَ علىٰ موعد دقيق مع الرحيل إذ رَكِبَ سفينة الموت بعد ستّة أيـام مـن كـلامه لي،

فصدق رحمه الله أنّ عمره لا يفي لسبعة أيام .

هذا ولقد خلّف المرحوم آية اللّه المدرّسي مخطوطات عقائديّة وصدقات جارية وخواص التلاميذ الّذين يحملون معارفه القرآنية وفكره الشيعيّ المتألّق ، ولو لم يكن ذلك لكفاه أولاده الأحد عشر ، أربع إناث وهنّ عالمات خطيبات في المجالس الحسينيّة النسائيّة، وسبعة ذكور بين مفكّرٍ وفقيهٍ ومؤلفٍ وخطيبٍ ومناضلٍ وأديبٍ سماحات الآيات والحُجَج :

١ ـ السيّد محمّد تقي المدرّسي .

٢ ـ السيّد هادي المدرّسي .

٣ ـ السيّد عباس المدرّسي .

٤ ـ السيّد حسين المدرّسي .

٥ ـ السيّد علي أكبر المدرّسي .

٦ ـ السيّد علي أصغر المدرّسي .

٧ ـ السيّد محمد باقر المدرّسي .

ولقد أبّنه رحمه الله شاعرُ أهل البيت فضيلة الشيخ محمّد باقر الإيرواني النجفي (دام عزّه) بأبياتٍ شعريّة رائعة مؤرّخاً فيها وفاة الفقيد الغالي :

مدارِسُنا بَكَتْ لمدرِّسيها ... وتنعىٰ بالأسىٰ طولَ الزمانِ

مثالُ العِلمِ والتقوىٰ فقيدٌ ... وقد نال السعادةَ والأمانِ

وقد لبّىٰ نِداءَ الحقِّ لَمّا ... دعاهُ الحقُّ مِنْ بعدِ الأذانِ

وفي حالِ القُنُوتِ لَدَىٰ المُصلّىٰ ... رَأىٰ الفِردَوسَ رُغْياً بالعَيانِ

فطارتْ روحُهُ شَغَفاً وشَوقاً ... مُحلِّقَةً إلىٰ أعلىٰ مكانِ

بيانٌ جاءَ بالإيجاز شرحاً ... وإن رُمْتَ المزيدَ مِن البيانِ

يُجيبُك منطقُ التاريخِ (عنه ... مُحمّدُ كاظمٍ هُوَ في الجِنانِ)

(١٢٥ + ٩٢ + ٩٦١ + ١١ + ٩٠ + ١٣٥

= ١٤١٤هـ)

٥٥٨ ذلك الخطيبُ المَسؤول


السيد محمدكاظم القزويني

هنيئاً لصاحب العُمر الّذي تُصْرَف ساعاتُه في الخير كلّه لينتهي إلىٰ الخير كلّه ، إنّ العالم الورع والخطيب الحسينيّ البارع والكاتب الحاذق آية اللّه السيّد محمّد كاظم القزويني﴿رحمه الله﴾ كان صاحب مثل هذا العمر .

درس عند المرجع الرّاحل آية اللّه العظمىٰ الميرزا مهدي الشيرازي ﴿قدس سره﴾ حتّىٰ اكتشف فيه أُستاذه سرّ العاقبة الحسنىٰ والّذي هو التقوىٰ ، فزوّجه ابنته ليكون عديلاً لسَمِيِّه الآخر آية اللّه السيّد محمّد كاظم المدرّسي الّذي هو بدوره كان أحد أكبر علماء الشيعة فكراً وجهاداً وزهداً وعطاءاً ، وهو ما ورثه العديلان من أُستاذهما وجدّ أولادهما الكرام الّذين امتدّ فيهم ذلك الفكر والجهاد والزهد والعطاء أيضاً في أشكالٍ متعدّدة إلىٰ هذا اليوم .

وهنا نتعرّف علىٰ بعض جوانب شخصيّة السيّد القزويني (أعلىٰ اللّه مقامه) من خلال بعض قصصه الّتي أخذناها عن كتابٍ نُشر حول حياته بعد وفاته .

يقول أحدُ أقاربه : في ليلةٍ من ليالي شهر رمضان في كربلاء المقدّسة خرجت برفقة السيّد من مجلسه الّذي ألقىٰ فيه خطاباً حسينيّاً رائعاً متوجّهين إلىٰ مجلسٍ آخر له ، وكان بسبب حرارة المجلس وفعل الخطابة قد أُصيبَ بزكام وارتفعت لديه درجة الحرارة ، فقلتُ له أثناء الطريق : لماذا تُتعب نفسك هكذا ألا تستريح وتعتذر لأصحاب المجلس الثاني .

فأجابني السيّد : أنقل لك قضيةً حصلت لي بالأمس ، جاءني أحد المؤمنين يشكو جاراً له قد غصب داره . وقال أنّه ـ أي الغاصب ـ من المستمعين تحت منبرك ، أرجو أن تتكلّم عن موضوعٍ فوق المنبر يهتزُّ به ضميره فيعود إلىٰ رُشده .

فأنا تكلّمت علىٰ المنبر حول الظلم وعاقبة الظّالمين الّذين يأكلون المال الحرام ويعتدون علىٰ حقوق النّاس ، وذكرتُ ما ينتظر الغاصبين من عذاب أليمٍ يوم القيامة .

ففي اليوم الثاني عادَ إليّ الشاكي يقول : جزاك اللّه خيرَ الجزاء ، لقد تأثّر الرّجل بكلامك وأعاد إليّ داري في نفس اليوم .

فإذا كان لكلامي هذا التأثير السريع لحلّ مشاكل النّاس فانّ المسؤولية الدينيّة تحتّم عليّ بذل وسعي كلّه في هذا الطريق ، وإلاّ فإنّي أكون مسؤولاً أمام اللّه تعالىٰ .

٥٥٩ مِن المَهدِ إلىٰ اللّحد

آية اللّه السيّد محمّد كاظم القزويني ﷺ واحدٌ من الوَالِهين في حبّ أئمّة أهل بيت النبيّ ﷺ وكانت كلماته ونبرات صوته علىٰ المنبر ودموعه وجميع أحاسيسه نابعةً من هذا الحب الشديد ، وعليه بنىٰ تربية أولاده وتوجيه من عاشره واستمع إليه . فقد ألّف كتابه الشهير (علي من المَهدِ إلىٰ اللّحد) الّذي طبع في حياته أكثر من عشر طبعات ، وألّف كتاب (سيرة الرّسول الأعظم) في فصلين « الرسول الأعظم من المَهدِ إلىٰ البعثة»، « الرّسول الأعظم من البِعثَة إلىٰ اللّحد » ، وألّف كتاب (الإسلام يتجلّىٰ في مذهب أهل البيت) وكتاب (فاجعة الطفّ أو مقتل الحسين) وكتاب/(الإمام الحسين من المهد إلىٰ اللّحد) وكتاب (الفقه الواضح) وكتاب (الإسلام والتعاليم التربوية) وكتاب (شرح نهج البلاغة) ـ ثلاثة مجلّدات ـ وكتاب (زينب الكبرىٰ من المهد إلىٰ اللّحد) وكتاب (فاطمة الزهراء من المَهدِ إلىٰ اللّحد) ولتأليف هذا الكتاب الأخير قصّةٌ جميلة ، يقال كان السيّد القزويني ﷺ قد نذر للّه تعالىٰ إن نجا من حُكم الإعدام في سجن البعث العراقي يكتب عن حياة الزهراء سيّدة نساء العالمين ابنة النبيّ الأمين محمّد ﷺ وتقبّل اللّه تعالىٰ نَذرَه إذ صدر حكمٌ ببراءته صباح اليوم الثاني ممّا أغضب الجلاّدين في السّجن . فوفىٰ السيّد نذره بعد خروجه من السجن .

وقصّة أخرىٰ لهذا الكتاب ، يقول أحد الشخصيات اللّبنانيّة : التقيت باستاذةٍ جامعيّة من أهل تونس قالت حينما قرأت كتاب (فاطمة الزهراء من المهد إلىٰ اللّحد) راجعت مصادر كتب أهل السنّة الّتي نقل عنها المؤلّف فوجدتها دقيقةً وصحيحةً مطابقةً للأصل، فاقتنعت إثر ذلك بالحقّ الّذي تجلّىٰ أمامي واعتنقت مذهب التشيّع لأهل البيت عليهم السلام .

هذا ولقد توفيَ السيّد القزويني يوم الخميس (١٣ / جمادىٰ الثانية / ١٤١٥ هـ) الساعة الواحدة بعد الظهر وأوصىٰ أن تُدفَن مع جثمانه نسخة من كتابه هذا لتكون له وثيقةً في يوم القيامة لحبّه ومودّته لأهل بيت الرّسول سيّما جدّته الزّهراء البتول (صلوات اللّه وسلامه عليهم أجمعين) .

وممّا جاء في حياة هذا السيّد الحُسينيّ الجليل أنّه رأىٰ في ذات ليلة جمعةٍ في المنام الإمام الرضا عليه السلام يقول له (أُكتُب عن الأئمة الأربعة من بعدي) فامتثَل السيّد هذا الأمر الرّضوي الشريف فشرع في تأليف (الإمام المهدي من المهدِ إلىٰ الظّهور) (الإمام الجواد من

المهدِ إلىٰ اللّحد) (الإمام الهادي من المهدِ إلىٰ اللّحد) (الإمام العسكري من المـهدِ إلىٰ اللّحد) وقدّم الكتابةَ عن الإمام المهدي أوّلاً لاعتقاده بأهميّة الموضوع ، وبعد إتمامه لتأليف هذه الكتب شرع في (موسوعة الإمام الصادق) وهي الآن مخطوطة قـد تـصل إلىٰ ستّين مجلّداً بعد الطباعة [١].

٥٦٠ رابطةُ النّشر الإسلامي

امتدّت سفراته التبليغيّة إلىٰ أكثر بلدان القارّة الأفريقية كالمغرب العربي والجزائر وتونس وليبيا وغيرها وقارّة آسـيا كـاليمن وأنـدونيسيا وبـلدان مـن القـارّة الأمـريكيّة كـالبرازيـل والأرجنتين وغيرها ، إذ كان يعتقد سماحته بضرورة الانتشار والعمل لانتصار الكلمة الحقّة، ولذلك أيضاً أسّس (رابطة النشر الإسلامي) الّتي أخذت علىٰ عاتقها مراسلة الشّخصيّات والمراكز الإسلامية وإرسال الكتب إلىٰ القرّاء من دون مقابل . وبلغ عدد الكتب المرسلة منذ عام (١٣٨٠ هـ) مئات الآلاف خلال فترة قصيرة.

يقول أحد مجتهدي قم المقدّسة: كنت في جامع الشام إذ اجتمع حولي جمعٌ من أبناء السنّة ليطرحوا عليّ أسئلتهم عـن مـذهب التشيّع وأدلّـة الإمـامة ومـايتّصل بـاعتقاداتـنا الإسلاميّة.

وما أن بدأت أُجيب حتّىٰ دخَل في الجَمع رجلٌ وقال اسمح لي أن أجيبَ علىٰ أسئلة الإخوة ، فقام بالجواب المقنع والتوضيحات اللازمة التـي كـانت فـيها قـناعة السـائلين ، فشكرونا وذهبوا ، ولكنّي سألت الرّجل من أين أنت ؟ قال : من مدينة حلب (السوريّة) .

قلت : من أين تعلّمت العقائد الشيعيّة ؟ قال : أنا وأهلي كنّا من أبناء السنّة ، ثمّ تشيّعنا جميعاً بعد قراءتنا للكتب الّتي أرسلها إلينا سماحة السيّد محمّد كاظم القزويني .

٥٦١ أ تُفَكِّر أنّه لا صاحبَ لَنا ؟!

نقل حجّة الإسلام والمسلمين أحمد قاضي الزّاهدي في كتابه بالفارسيّة (شيفتگان إمام مهدي) ـ وهو جامع قصص عن عشّاق المهدي صاحب الزّمان (عجل اللّه تعالىٰ فرجه) ـ نقل عن المرحوم آية اللّه الحاج السيّد محمّد كاظم القزويني ﷺ أنّه قال : في سنة (١٣٩٢ هـ)

---

١ ـ نفس المصدر .

أوكَلَ إليَّ أحد مراجع الدّين في كربلاء أن أدفع رواتب شهريّة لطلبة العلوم الدينيّة ، فصادف ليلة أوّل الشهر ليلة الجُمعة ولم يكن لديَّ مالٌ لأوزّعَه علىٰ الطلبة، وكان المبلغ المطلوب لهذا الغرض حدود ألف دينار عراقي (وهو مبلغ كبيرٌ بالنسبة الىٰ تلك السنوات) . فكّرت ممّن أستدين الآن حتّىٰ أسدّد له فيما بعد ، فلم أجد من أستَدين منه ، سيّما أنّ بعضاً كان يطلب ضماناً لاسترجاع ماله . فكتبت عريضةً أُخاطبُ بها الإمام المهدي عليه السلام بهذا المضمون : (إن كانت قصّة المرحوم آية اللّه العظمىٰ السيّد مهدي بحر العلوم في مكّة المكـرّمة صحيحة فحوّلوا إليّ هذا المبلغ) .

رميتُ هذه العريضة في ضريح الإمام أبي عبد اللّه الحسين عليه السلام وفي الصباح بين الطلوعين جاءني أحد تجّار بغداد إلىٰ المنزل ، تناولنا فطورَ الصّباح معاً ثمّ قدّم لي ألف دينار بالضبط !

فاعترتني حالة غريبة من الوَجْدِ والسرور وخاطبت الإمام المهدي صاحب الزّمان فوراً (سيّدي لم تنتظر حتّىٰ تطلع الشّمس هكذا سارعت الىٰ إستجابة الطّلب) .

أجل هكذا يُسعِف الإمام صاحب الزمان عليه السلام أصحابه المخلصين في العقيدة والولاء[1].

وأمّا قصّة السيّد بحر العلوم رحمه الله في مكّة المكرّمة الّتي أشار إليها السيّد القزويني في عريضته فهي باختصار عبارة عن أنّه رحمه الله أقام مدّةَ ثلاث سنوات عند بيت اللّه الحرام ومعه خادمه ، فكان يبلّغ للدين ويروّج فقه أهل البيت ويجيب علىٰ الأسئلة الفقهية لأبناء السنّة علىٰ ضوء فقهِ مذاهبهم حيث كانت سعةُ اطّلاعه وعلومه الغزيرة تمكّنه الإجابة علىٰ أسئلة المسلمين هناك كلٌّ حسب مذهبه ، وبذلك نالَ السيّد إعجاب المنصفين من السنّة وعلمائهم، وأثبت بذلك حقّاً انّه بحر العلوم كما هو لقبه الكريم . ولم يكن السيّد مقتصراً علىٰ عطائه الديني والعلمي بل كان سخيّاً في عطائه المالي أيضاً ، فقد كان يعين الطلبة الدّارسين عنده والفقراء الّذين يطرقون باب داره ، فلمّا أوشكت أمواله علىٰ الانتهاء قال له خادمه بصيغة العتاب : هكذا تبذل وتبذل حتّىٰ أصبحنا لا نملك الآن مانرجع به إلىٰ النجف الأشرف (العراق) .

فسكت عنه السيّد بحر العلوم مكتفياً بابتسامة نابعة من سرٍّ ويقين !

وهكذا جاء اليوم الّذي نفدت فيه الدراهم والدنانير كلها فجاء الخادم إلىٰ السيّد يخبره

---

١ - نفس المصدر .

قائلاً: ألم أقل لك ، فماذا نفعل الآن ؟

أعطاه السيّد ورقة صغيرة وأرسله الىٰ عنوان في السوق ، ليسلّم الورقة صاحب دكّان هناك.

يقول الخادم : ذهبت وإذا كان هناك رجلٌ بسيماء الأولياء ، استلم الورقة وقرأها ثم ناولني أكياساً مملوّةً بالدراهم والدنانير . فرجعت بها إلىٰ السيّد وأنا متعجّبٌ من الأمر ، وفي اليوم التالي رجعت إلىٰ السّوق لأتعرّف علىٰ الرجل فلم أجد له من أثر ، بل ولا أثر للدكّان أيضاً فسألت أصحاب الدكاكين ، أكّدوا أن لا أحد بهذه المواصفات كان يجاورهم. فعدت إلىٰ البيت وكنت غارقاً في التفكير ، حتّىٰ دخلت علىٰ السيّد ، فسألني أين كنت ؟ قلت : كنت مشغولاً سيّدي .

قال السيد بحر العلوم وهو يبتسم : بل كنتَ ذاهباً إلىٰ السّوق تبحث عن الرّجل الّذي أرسلتك إليه أمس !

فازداد اندهاشي فوق اندهاشي الأوّل وانهمرت دموعي .

فقال السيّد : أتُفكِّر في أنّه لا صاحب لنا ؟! (١)

٥٦٢ أنتَ رجلٌ انكشَفَتْ لَكَ الحقيقَة

نقَلَ لي حجّة الإسلام والمسلمين السيّد حسين المدرّسي (حفظه اللّه) : تعرّفت في منتصف ذات ليلة في حرم الإمام الرضا عليه السلام علىٰ شابٍّ بارزٍ عليه التديّن . قال لي : أنا من عائلة مسيحيّة ، والدي في طهران صاحب محلاّت بيع الذّهب يتاجر تجّار آذربايجان ، رأيت في المنام مرّةً أنّي جالس في مجلس الأنبياء والنّبي عيسىٰ عليه السلام آخر الجالسين وإذا بالنبي محمدصلى الله عليه وآله دخل فقاموا إليه جميعاً تجليلاً له ، وتقدّم النبيّ عيسىٰ عليه السلام نحوه فاحتضنه وقبّل جبهته ثمّ أجلسه عنده بحيث صار النبيّ محمّد صلى الله عليه وآله في خاتم صفّ الأنبياء عليهم السلام .

وبينما كنت مشدوداً إلىٰ موقف نبيّنا عيسىٰ عليه السلام وأنا مستغربٌ ممّا حيّا به نبيّ الإسلام جلست من النوم وأخذت أتأمّل في تفسير هذه الرؤيا . في الصّباح ذهبت إلىٰ قسّيسنا أسأله تفسيراً لهذا المنام . فأجابني إنّه مجرّد أضغاث أحلام .

ولكنّي خرجت من عنده غيرُ مقتنعٍ وذهبت إلىٰ أحدِ علمائكم فنقلت له رؤياي .

---

١ - نقلت هذه القصّة عن شريط كاسيت للخطيب الحسيني المرحوم الشيخ أحمد الكافي .

فقال لي : إنّك تصبح مسلماً .

قلت : كيف أصبح مسلماً وأنا لم أقرأ عن الإسلام شيئاً بل وفي ذهني إشكالات كثيرة.

فقال العالم : لا يهمّ ، سأُعطيك كتباً تقرؤها بدقّة فتزول الإشكالات الواهية العالقة بذهنك وتتعرّف عندئذٍ علىٰ حقيقة الإسلام .

قلت : حسناً . فأخذت منه الكُتب وقرأت فيها ردود الإسلاميّين علىٰ الإشكالات الّتي يطرحها المسيحيّون علىٰ الإسلام ، فكانت ردوداً في غاية القوّة العلميّة ، وقرأت إشكالات الإسلاميين علىٰ المسيحيّين ، فكان لابد لي أن أسمع ردودها من قسّيسنا فذهبت وطرحت عليه تلك الإشكالات فلم يتمكّن من الخروج منها بإجابة مقنعة ، فحاول بالكلمات العاطفيّة أن ينصحني كي أتراجع عن هذه الأفكار وأرضخ للموروثات الخرافيّة الّتي وصلتنا عبر الآباء من دون تفكير ، إلاّ أنّني رفضت لأنّي أصبحت أمام الواقع وكانت الحجّةُ من الإسلام بالغةً عليّ للغاية . فما كان منه إلاّ أن يتّصل بأبي ويخبره بخطورة الموقف حسب زعمه وطلب منه أن يحسم الأمر معي ويمنعني من قراءة الكتب الإسلامية .

تلك الليلة كانت ليلةً صعبة إذ اجتمع بي والدي في البيت بحضور أفراد العائلة وكلّمني بهذا الخصوص .

قلت له إنّني لم أنحرف عن جادّة الهداية بل وجدتها هديّةً من النبيّ عيسىٰ عليه السلام وشرحت له أنّ قسّيسنا لم يستطع أن يُجيب علىٰ الإشكالات الواردة علىٰ معتقداتنا التي نُنسِبها إلىٰ النبيّ عيسىٰ بينما عالِم المسلمين قد أجاب علىٰ كل الإشكالات الّتي نطرحها علىٰ الإسلام فأنا اقتنعت بالإسلام اتّباعاً للعقل والدليل .

قال أبي : أنا لا أفهم ما تقوله فإن لم تتراجع عن هذه الأفكار أُخرج من بيتي .

وهكذا جمعتُ ما يخصّني وخرجت من البيت وصرت مجاوراً لمرقد الإمام الرضا عليه السلام إنّني لست نادماً من اعتناقي لدين الإسلام ولست متألّماً من طردي من البيت ولكن آلمني كلام أحد المسلمين حيث استهزء بي وقال : نحن ماذا حصلنا من الإسلام حتّىٰ تحصله أنت!

يقول السيّد المدرّسي ـ ناقل هذه القصّة ـ قلت للشاب : إنّه ليس مقياساً ، ففي المسلمين بعضٌ ممّن لم يدخل الإيمان في قلوبهم ولم يعرفوا الإسلام أو لم يعملوا به ، فلاتتأثّر بمثل هذه التصرّفات ، الإسلام شيءٌ وسلوك هؤلاء شيء آخر .

قال الشاب : طبعاً هؤلاء لا يخرجونني من الإسلام لأني اعتنقته بقناعة ولكنّي أقول إنّهم

يؤلمونني بكلامهم وهذا شيء مؤسف ، ولكي أغيّر الجوّ وأستريح قليلاً ذهبت في شهر رمضان إلىٰ مدينة قم المقدّسة ، وفي ليلة استشهاد الإمام علي أمير المؤمنين عليه السلام اشتقت لاستماع قراءةٍ بهذه المناسبة فسألت رجلاً في الشارع عن حسينيّة فأشار لي إلىٰ الحسينيّة الكربلائيّة كانت بالقرب هناك ، دخلتها بين شدّة الزّحام حتّىٰ حصلت علىٰ مكان ضيّق فجلست فيه ، وكان الخطيب يحدّث النّاس من فوق المنبر ، سألت الّذي بجانبي عن اسمه. قال : اسمه السيّد محمّد كاظم القزويني .

ولمّا بلغ السيّد إلىٰ ذكر حيثيّات وفاة الإمام علي عليه السلام ضجّ النّاس بالبكاء واشتدّ بكاؤهم حينما أطفأوا الأنوار وأدخلوا من الباب نعشاً تحمله أيدي مشيّعين تشبيهاً بنعشِ الإمام عليه السلام، فأخذوا يلطمون علىٰ صدورهم حزناً وعزاءاً ، إلاّ أنّ العجيب في الأمر إنّني كنت أرىٰ من حول النعش نوراً يشعُّ إلىٰ كلّ الأطراف وهو لا يشبه النور العاديّ عندنا ، وكان يبدوا لي أنني الوحيد الّذي أرىٰ ذلك من بين الحاضرين ، لذلك فما أن ختم السيّد القزويني قراءته وشرع في الدعاء ففتحوا الأنوار غاب ذلك النور وعاد النّاس إلىٰ حالتهم الأوّليّة . فذهبت إلىٰ السيّد بعد ما نزل من المنبر وأخبرته بما شاهدتُه .

فقال لي : أنت رجلٌ كشفَ اللّه عن بصركَ الغطاء ، فصرتَ تنظر إلىٰ الحقائق .

ثم نقلت له قصّة دخولي في الإسلام فرحّب بي السيّد وقرّبني منه .

ويختم فضيلة السيّد المدرّسي قصّته مع هذا الشّاب إنّه بعد أشهر من رجوعي إلىٰ قم رأيت نجل السيّد محمد كاظم القزويني (وهو ابن خالته) فنقلت له هذه القصّة ، ثمّ التقيته بعد أيّام قال: لقد نقلت لوالدي القصّة فأيّدها الوالد وقال بأنّه يتذكّر ذلك الشاب جيّداً.

٥٦٣ هل أنت سيّد موسويّ النّسب ؟

كان المرحوم آية اللّه السيد اسماعيل الصدر عازماً علىٰ أن لا يقترض من أحد مالاً مدىٰ العمر . وكان وفياً بعهده رغم معاناته في أيام دراسته في النجف الأشرف من الفقر والفاقة ، الىٰ أن صادف ذات يوم أن أصبحت والدته البالغة حدّ الشيخوخة في حالة لا تطاق ، فخاف السيد رحمه الله علىٰ سلامتها ، وذهب الىٰ الصحن الشريف وهو حائر بين أمرين : بين التكليف الشرعي الذي يطالبه بالمحافظة علىٰ أمه ، والذي قد يكون متوقفاً علىٰ الاقتراض ، وبين عهده الذي عاهد نفسه عليه من عدم الاقتراض مدىٰ العمر ، فجلس جلسة المتحيّر المتفكر

في أمره أمام حجرة من حجرات الشمال الغربي ، واذا برجل غير معروف لديه يتمثل أمام السيد ويسأله هل أنت سيد موسوي النسب ؟

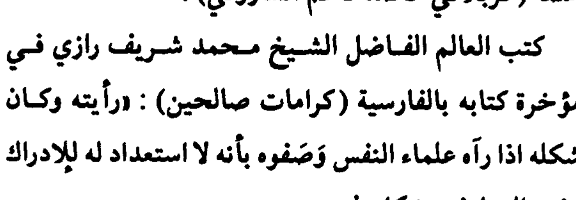
قال : بلىٰ .

فأعطاه خمسة توامين ـ وهو مبلغٌ يفي بما كان يحتاجه السيد آنذاك ـ وقال : هـذا نـذر للسيد الموسوي النسب . فأخذها السيد وبقي وفياً بعهده مدىٰ العمر .

وكان السيد الصدر ﷺ يحدّث أولاده أحياناً بأمثال هذه القصص والحكـايات بـهدف تهذيب نفوسهم وتربيتهم علىٰ مكارم الأخلاق[1].

٥٦٤ معجزة القرآن والعترة

هذه القصة العجيبة والكرامة الخارقة للعادة وقعت قبل مائة عام تقريباً في قرية (ساروق) من توابع مدينة (فراهان) الايرانية وبطلها مزارع لا يعرف القراءة ولا الكتابة ولم يميّز بين (الهاء) و (الباء) فيهما لا في اللغة العربية ولا الفارسية . اسمه (كربلائي محمد كاظم الساروقي) .



كربلائي كاظم

كتب العالم الفـاضل الشـيخ مـحمد شـريف رازي فـي مؤخرة كتابه بالفارسية (كرامات صالحين) : «رأيته وكـان شكله اذا رآه علماء النفس وَصَفوه بأنه لا استعداد له للإدراك وفهم المعارف بشكل طبيعي» .

هذا الرجل وبمسحة غيبيّة ومصلحة إلهية أصبح خلال دقائق حـافظاً لـلقرآن الكـريم، وذلك حينما رافق سيّدين شابّين وسيمين نورانيّين في طريقهما الىٰ زيارة مرقد (شـاهزاده حسين) القريب من قريته .

يقول الكاتب : «التقيتُ كربلائي محمد كاظم الساروقي في شـهر شـوّال سـنة (١٣٦٥) الهجرية في مدرسة الفيضية بقم المقدسة محاطاً بجمْع من طلبة العلوم الدينية ، يسألونـه ويختبرونه بأسئلة قرآنية وهو يجيبهم بالبداهة . دعوته الىٰ منزلي وعلّمني تفاصيل قضيته ، وهذه خلاصتها : جاءنا الىٰ القرية من قبل المرجع الكبير الشيخ عبدالكريم الحائري ﷺ مبلّغ

---

١ ـ عن مقدمة كتاب مباحث الأصول / ص٢٣.

في شهر رمضان المبارك ، فتحدّث لنا ذات ليلة عن الصلاة والصيام والخمس والزكاة ، وممّا قاله: ان مراجع الدين يفتون ببطلان صلاة وصيام من لا يدفع الخمس والزكاة .

تلك الليلة ذهبت الى المنزل وقلت لأبي : لماذا لا تدفع زكاة أموالك ؟

فردّ عليّ بغضب : ولدي .. من أين لك هذا الكلام !

قلت : ان العالم الذي قَدِمَ من حوزة قم يقول : من لا يدفع حقوقه الشرعية كالزكاة والخمس فإن تصرّفه في أمواله حرام وصلاته وصيامه باطلان .

قال أبي : انه يتكلم لمصلحته .

قلت له : بناء على هذا فأنا لا أعيش معك في هذا البيت . قمت وخرجت مغتاظاً . وبعد مدة بعث أبي رجلاً من القرية أعادني الى البيت ، ولكني أعدتُ كلامي ، فردّ عليّ قائلاً : هذه الفضوليات ليست من شأنك !

خرجتُ هذه المرة مهاجراً الى طهران وأخذت أزاول مهنة ، ولكن أبي أرسل من يعيدني الى القرية ثانية .

كان هذا النزاع بيني وبين أبي لا يهدأ حتى توسط بيننا بعض الوجهاء من قريتنا لنتصالح على أن يعطيني أبي قطعة من أراضيه وكمية من بذور الحنطة فأقوم بزرعها وأعيش في القرية مستقلاً عن أبي . فقمت بادىء الأمر بتوزيع نصف تلك البذور على الفقراء والنصف الآخر زرعته فباركه الله لي . ثم ناصفتُ محاصيل الزراعة مع الفقراء شكراً لله تعالى وكان ذلك أكثر من نصاب الزكاة .

وفي ذات مرة كنت أعمل في مزرعتي وقت الظهر وحرارة الشمس محتدمة فقلت مع نفسي أذهب الآن للاستراحة حتى العصر ، ثم أعود أعمل بعون الله تعالى . فحملتُ لأغنامي بعض العُشْ على كتفي وقفلت راجعاً الى المنزل في الطريق التقيتُ سيّدين شابّين يشعُ وجههما نوراً وهما في غاية الوسامة والجمال ، لم يسبق لي أن رأيتهما من قبل، سلّمتُ عليهما ، فردّا عليّ بترحيب حار . سألتهما : الى أين ، هل الى مرقد (الامامزاده) ـ أي حفيد الامام ـ ؟

قالا : نعم .

قلت : هل ارافقكما ؟

قالا : تفضّل .

وضعتُ وزمة الأعشاب على الأرض ومشيتُ معهما حتى دخلنا الحرم ، هناك قرءا سورة الحمد والإخلاص فقرأت معهما وقبّلتُ الصندوق الموضوع على القبر ولكنهما لم يفعلا ذلك ، وانما اكتفيا بالفاتحة . خرجنا متجهين نحو مرقد (امامزاده) آخر معروف باسم (٧٢ نفراً) ، وكذلك طفتُ حول المرقد وقبّلتُ الصندوق المنصوب عليه بينما كانا السيّدان واقفين يقرءان الفاتحة .

هنا التفتا إليّ وقالا : كاظم إقرأ ما تشاهده في الأعلى !

قلت لهما : أنا أمّي لا أعرف القراءة .

قالا : انظر الى تلك الكتيبة فستتمكّن من قراءتها .

نظرت الى الأعلى فرأيت كتيبة لم أرها من قبل وما رأيتها فيما بعد ، كانت مكتوبة بخط أبيض بالنور :

﴿إنّ ربّكُم اللّهُ الّذي خَلقَ السّماواتِ والأرضَ في ستّةِ أيّامٍ ثُمَّ اَستوىٰ علىٰ العَرْشِ يُغشي الّيلَ النّهارَ يَطلُبُهُ حَثيثاً والشمسَ والقمرَ والنجُومَ مُسخّراتٍ بأمرِهِ ألا لَهُ الخَلْقُ والأمرُ تباركَ اللّهُ رَبُّ العالمينَ * اَدْعُوا رَبَّكُمْ تضرُّعاً وَخُفيَةً إنّهُ لايُحبُّ اَلمُعتدينَ * ولا تُفسِدوا في الأرضِ بَعْدَ إصلاحِها وادْعوهُ خَوفاً وطمَعاً إنَّ رَحمَتَ اللّهِ قريبٌ مِنَ اَلمُحسِنينَ﴾ الاعراف / ٥٤ ـ ٥٦ .

لما قرأت هذه الآيات إقتربا مني ومسح أحدهما بيده على جبهتي وأمَرَّها على صدري وتلا سورة الحمد في وجهي ، فشعرت بأنه قد وضع القرآن كلّه في صدري . اضطربتْ حالي فلم أدر ماذا حصل لي بعد ذلك ، ولما أفقتُ كان الوقت ليلاً وكنت وحيداً . نهضتُ لأرجع الى المنزل ، وفي الطريق لقيت واحداً من قريتي اسمه (كربلائي علي) قال : أين كنت ؟ لماذا لم تذهب الى المزرعة لجمع محاصيلك .

قلت له : ذهبت مع سيّديْن جليليْن الى مرقد (الامامزاده) فوضعا في صدري القرآن وذهبا عني !

قال : أيها الولد ماذا تقول ؟ فهل جننت ؟! ان المرجع الكبير الشيخ عبد الكريم الحائري لم يحفظ القرآن كله .

قلت : تستطيع أن تختبرني .

فاجتمع الناس في منزل عالم القرية فبدأ يختبرني في حضورهم ، تلوْتُ له من حفظي

سورة «الرحمٰن» و «يٓس» و «مريم» وغيرها ، فنادىٰ العالم : أيها الناس: كاظم صادقٌ في قوله ، إن كرامة من اللّه قد حلّتْ به .

فهجم الناس يتبرّكون بي حتىٰ خشي العالم ان أدهس تحت أرجلهم ، فأدخلني في غرفة وقفل الباب وأبعدهم عنّي . ثم قال لي : كاظم ان كنت تريد حياتك اخرج في ظلمة الليل قبل أن يمزّقك الناس تبرّكاً !

قلت : فماذا أفعل بمزرعتي وأغنامي .

قال : أرىٰ مَن يقوم بحفظها ورعايتها .

فأعطاني مبلغاً وأرسلني الىٰ مدينة (ملاير) وارداً علىٰ حجة الاسلام الحاج ميرزا شهاب ، فقام هو الآخر بدوره واختبرني واندهش ، وهكذا انتشر نبئي في بقية المدن .

هنا يذكر الكاتب فضيلة العلامة الشيخ محمد شريف رازي قصص المراجع والعلماء الذين التقوا بالرجل واختبروه ، وهي قصص رائعة نذكرها بإيجاز شديد :

١ ـ المرحوم آية اللّه الحاج السيد محمد تقي الخونساري . حيث طلب منه أن يقرأ سورة البقرة مقلوباً (يعني من الآية الأخيرة الىٰ البداية) فقرأها ، فقال السيد : عجيب جدّاً أنا عمري ستّون عاماً لا استطيع قراءة سورة الاخلاص من آخرها الىٰ أولها وهي أربع آيات .

٢ ـ آية اللّه الحاج الشيخ محمد باقر محسني الملايري ، قال عنه : ان كربلائي كاظم الساروقي كان في مدينة ملاير ضيفاً عندي ، وفي شهر رمضان كان يأتي الىٰ المسجد فلشدّة بلادته لم يستطع حفظ أدعية شهر رمضان ، ولكن حفظه القرآن كله وتلاوته من أوله الىٰ آخره وبالعكس ومن غير توقف لا يكون الا معجزة الامام عليه السلام . ولقد اختبره المرجع الكبير السيد البروجردي في حضوري وأذعن بهذا لأمر .

٣ ـ آية اللّه الشيخ خزعلي ، وهو حافظ للقرآن قام باختبار كربلائي كاظم فسأله عن موضع قول اللّه تعالىٰ : ﴿لكل نبأ مستقر وسوف تعلمون﴾ وقوله ﴿ولتعلمنّ نبأه بعد حين﴾ فأجاب كربلائي كاظم : الاولىٰ في سورة الأنعام الآية (٦٧) والثانية في سورة (ص) الآية (٨٨) .

٤ ـ يقول أحد الثقات كتبت علىٰ ورقة (واواً) إضافية عند (واو) الآية ﴿ولا الضالّين﴾ فأعطيت الورقة لكربلائي كاظم فقال إن فيها (واواً) إضافية !

قلت له : كيف علمت بها ؟

قال : لأن في واحدة منهما نوراً والأخرىٰ لا نور فيها !

٥ ـ في سنة (١٣٢٥) الهجرية قدم الىٰ ايران آية اللّه الحاج السيد هبة الدين الشهرستاني من بغداد ، وكان عالماً جليلاً وعلىٰ رأس وزارة العلوم في العراق ، وذلك لزيارة مرقد الامام الرضا عليه السلام ، فلقي كربلائي كاظم في مدينة (كنگاور) وامتحنه فثبت لديه ان الرجل ليس حافظاً للقرآن فحسب بل هو (معجم مفهرس) ناطق ، فأخذ معه الىٰ بغداد ليحتجّ به علىٰ بعض علماء أهل السنّة الذين كانوا يتهمون الشيعة بعدم مؤانستهم بالقرآن وينفون عن مقام أئمة اهل البيت عليهم السلام معاجزهم وكراماتهم . ولقد تحيّر في أمره رجال بغداد والشخصيات الرسمية هناك، وبلغ خبر هذا الحافظ أمير الكويت حينذاك فدعاه واختبروه ، فأعجبوا به حتىٰ اقترح الأمير عليه أن يعيش في الكويت ويقدم اليه كل الرفاه المادّي ، ولكن كربلائي كاظم هذا الولائي المتنوّر بالقرآن اعتذر وعاد مع العلماء الىٰ العراق ثم الىٰ ايران .

٦ ـ وممن التقىٰ بكربلائي كاظم الساروقي واختبره في المسائل القرآنية سماحة آية اللّه الحاج الشيخ ناصر مكارم الشيرازي (دام ظله) . يقول الشيخ : أنا بطبعي إنسان لا أتيقّن بسرعة ، ولا أسرع في قبول أمر الا بعد التأكّد والتحقيق . فوجدت في هذا الرجل ان الأعجب من حفظه للقرآن وكشفه للآيات انه كان يخرج الآية التي نطلبها منه من مختلف المصاحف المطبوعة بسرعة عجيبة ، وكأن المصحف في يده كاللوح الكبير أمام عينه . لقد رأيته هكذا بعيني ولم أجد لما رأيته تفسيراً الا الإمداد الإلهي .

ويضيف قائلاً : كنت قبل أربعين عاماً ذاهباً الىٰ قرية (حسين آباد) في أطراف مدينة (ملاير) للتبليغ في شهر محرّم الحرام فذكروا لي في المجلس عن رجل طاعن في السنّ قد أكرمه اللّه تعالىٰ عبر أوليائه الصالحين بحفظ القرآن كله . فتعرّفتُ عليه وكانوا يسّمونه «ملا كاظم» وربما أُطلق عليه (كَلْ كاظم) ـ مخفّف كربلائي كاظم ، يسمىٰ به كل مَن يزور كربلاء المقدسة ـ وبعد اختباري له قلت لنفسي : يا للعجب ، رجل قرويّ أمّي يحيط بهذا الإلمام بدقائق القرآن ؟! ولما رجعتُ الىٰ قم أخبرتُ أصدقائي فغرقوا في بحر من الحيرة ، وبعد فترة دعوناه الىٰ قم وأخذناه الىٰ المراجع وكبار العلماء وخاصة آية اللّه العظمىٰ السيد البروجردي فكان نبعاً من الزلال المزيج بين معجزة القرآن وعظمة الولاية .

أذكر ان بعض الطلبة كان يركّب قسماً من آية وقسماً من آية اخرىٰ ثم يقول لكربلائي كاظم : أين هذه الآية من القرآن ؟ فيضحك ويقول : أتسخرون بي ؟!

إن تلك الكلمات في سورة كذا والكلمات الأُخرىٰ في سورة كذا وهذه تتمّتها !!

كان الرجل عجيباً حقاً ولا يمكن وصفه بسهولة . ومن الجدير بالذكر ان جاري العالم الجليل الحاج ميرزا مهدي البروجردي (المستشار الخاص للمرجع آية اللّه العظمىٰ الشيخ عبدالكريم الحائري) كان يؤلف كتاباً حينذاك باسم (برهان روشن) ـ أي البرهان الواضح ـ في اثبات عدم وقوع التحريف في القرآن ، فكان يتابع قضية هذه المعجزة بدقة حتىٰ يجعل تلاوة كربلائي كاظم المطابقة مع القرآن المطبوع بكونها أقوىٰ دليل علىٰ عدم التحريف .

٧ ـ التقىٰ به العالم الفاضل الحاج مجتبىٰ محمدي العراقي مدير مكتبة مدرسة الفيضيّة وأكّد ان الرجل مُكرَم من قبل الأئمة عليهم السلام .

٨ ـ الشيخ محمد قوام الدين بشنوهاى ، كان خطيباً بارعاً في قم المقدسة ، ذات مرّة في النصف من شهر رجب سنة (١٣٦٨هـ) ارتقىٰ المنبر في منزلنا (منزل المؤلف الشيخ محمد شريف رازي) فقرأ الآية (٥٧) من سورة الأحزاب خطأً (وأعدّ لهم عذاباً أليماً) . بدل ﴿وأعدّ لهم عذاباً مهيناً﴾ .

ولما نزل من المنبر قال له كربلائي كاظم : ان الآية ليست هكذا يافضيلة الشيخ !

فقال الشيخ : كيف هي إذن ؟

قال : انها (عذاباً مهيناً) !

قال الشيخ : انني دائماً اقرؤها «عذاباً أليماً» .

ردّ عليه بكل ثقة : انك كنت علىٰ خطأ . نعم توجد (عذاباً أليماً) ولكن ليست في هذه الآية ، وانما في الآية كذا . فذكرها . وهنا طلب الشيخ قوام أن يأتوا بالقرآن الكريم ، فراجعوا سورة الاحزاب / ٥٧ وكان الحق مع كربلائي كاظم .

٩ ـ اختبره أيضاً المرحوم آية اللّه جليلي الكرمانشاهي ثم أرسله الىٰ مراجع العراق في كربلاء فاجتمع كلٌ من آية اللّه العظمىٰ الحاج السيد أبي القاسم الخوئي وآية اللّه العظمىٰ الحاج السيد محمد هادي الميلاني ... في منزل آية اللّه الميرزا مهدي الشيرازي ـ الوالد الماجد لآية اللّه العظمىٰ السيد محمد الشيرازي ـ فكان كربلائي كاظم يجيب علىٰ أسئلتهم إجابات فورية ومن غير توقّف . سأله أحد الحاضرين : هذه الآية ﴿الذي خَلَقَكم مِن نَفْسٍ واحدة (ثم) خَلَقَ منها زوجها ...﴾ ! في أيّ سورة ؟ فأوقفه كربلائي كاظم قائلاً : ليست في الآية لفظة (ثم) وانما هي : ﴿الذي خَلَقَكم مِن نَفْسٍ واحدة وخَلَقَ منها زوجها﴾ .

قالوا له : إن ابن هشام (العالم النحوي) ذكر الآية في كتابه (مغني اللبيب) مع (ثم) في بحثه حول هذه الكلمة !

قال الرجل القروي : أنا لا أعرف هذه الأشياء ! أنا أعرف فقط أن الآية ليست فيها لفظة (ثم) إن في السورة الرابعة والسابعة والسورة التاسعة والثلاثين جاءت هذه الآية مع تفاوت بينها ولكن بلا (ثم) ، الا في سورة زُمَر جاءت بـ(ثم) ولكن ألفاظ الآية هكذا : ﴿خلقكم من نفس واحدة ثم جعل منها زوجها﴾ .

فتعجّب اولئك المراجع وأحضروا كتاب (مغني اللبيب) فوجدوا ابن هشام مخطئاً في الآية.

١٠ ـ وممن التقىٰ وامتحن هذا القروي العجيب هو العلامة آية اللّه الحاج الشيخ جعفر السبحاني (دام ظله) حيث قدّم له مصحفاً صغيراً وطلب منه أن يدلّه علىٰ آية . فقبض منه قبضة وأعاد المصحف اليه ووضع الآية أمامه !

١١ ـ آية اللّه السيد صدر الدين الصدر (واحد من وصيّيْن للمرجع المرحوم الشيخ عبدالكريم الحائري) بعد اختباره لهذا الرجل قال مستغرباً ومازحاً : أنا سيد من ذرية رسول اللّه ﷺ ودارس سنوات طويلة ولم أتهاون في طاعة اللّه تعالىٰ ، لم أُمنَح هذه الموهبة، ورجل قروي أمّي يُمنَح اياها !

١٢ ـ وذات مرة أراد المرجع الكبير السيد البروجردي أن يختَبِرْ فتلا آية بالغلط !

فقال له الرجل : سيدي أنت مجتهد ومرجع تقليد ولكن الآية قرأتَها بالغلط !

١٣ ـ آية اللّه العظمىٰ السيد محمد حجّت كوه كمري ﵀ وكان ممن اشتهر بلقائه مع الامام الحجة ؑ ، كان كلما رأىٰ كربلائي كاظم قام اليه واحترمه ، وكان يسمّيه (معجزة الولاية) وكان يساعده مالياً ، والرجل لم يقبل من غير هذا السيد أيّ مساعدة.

١٤ ـ الشهيد السيد مجتبىٰ نوّاب الصفوي وكان ممن تعاقد معي عقد الاخوة الايمانية ـ والكلام للشيخ محمد شريف رازي ـ قام باختباره كثيراً وذات مرة دمج كلمات من آية وكلمات من نهج البلاغة فطرحها عليه وقال : هذه الآية في أيّ سورة ؟!

فقال كربلائي كاظم فوراً : هذه الكلمات من القرآن وأما هذه الأُخرىٰ فلا !

سأله السيد : كيف تستطيع أن تميّز بينهما ؟

قال : إن القرآن له نور ساطع يتلألأ.

فأخذه السيّد معه الىٰ طهران ودعا مراسلي الصحف والمجلّات ليجروا معه مقابلات ، ونُشرت في وقتها ليؤكد للشباب معجزة القرآن العظيم .

ثم سافرنا نحن الثلاثة الىٰ مشهد وكان السيّد يتوقف في كل مدينة ويلقي خطاباً في الناس ويعرّفهم بكربلائي كاظم ، وفي مدينة (نيشابور) خرجت الينا الجماهير تستقبلنا علىٰ أبواب المدينة وكان فيهم علماء دين ورجال مثقفون ، ولقد أُعجبوا بالرجل أيّما إعجاب . ولما بلغ نبأ قدومنا الىٰ مشهد المقدسة خرج آلاف المستقبلين من كافة طبقات الناس .

ويختم العلامة محمد شريف رازي (دام ظله) هذه القصة العجيبة (الطويلة رغم ايجازنا لها) قائلاً :

ذهبتُ مع كربلائي كاظم الساروقي حافظ القرآن بالإعجاز الىٰ طبيب العيون البروفسور المتديّن صدوقي ، فلما انتهىٰ من فحصه قلت له : هل تعرف هذا الرجل أيها الدكتور ؟

قال : لا ، من هو ؟

قلت: أولاً قل لي من ناحية علم النفس هل ترىٰ في الرجل استعداداً لإدراك علم غزير؟

قال : لا يبدو عليه ذلك .

قلت : هذا هو كربلائي كاظم الذي نال موهبة حفظ القرآن وهو أمّي مطبق ، وقد نشرتْ عنه المجلّات والصحف .

فقال البروفسور متعجباً : اني بسبب كثرة أشغالي لم أتابع هذه الفترة أخبار الجرائد مع الأسف . فأخبرتُه بالقصة والإعجاز الحاصل له .

فألتفت اليه البروفسور وقال : أيها العمّ اذا طلبت منك موضع آية في القرآن هل تخبرني عنه ؟

قال كربلائي كاظم : نعم بالتأكيد .

البروفسور : آية تحريم الخمر في أيّ سورة ؟

قال : الآية التسعون من سورة المائدة . ثم تلاها وتلا الآية التي قبلها والتي بعدها .

فتحيّر البروفسور وغرق في لجّة من التفكير ، فقلتُ له : الأعجب من هذا انك اذا سألته عن أيّ آية أخرجها لك فوراً من أي مصحف تضعه بين يديه فقال له البروفسور: أيها العمّ الآية التي تلوتها هل يمكنك إخراجها لي من المصحف الشريف .

قال : نعم .

فقام البروفسور وأخرج مصحفاً فأعطاه إيّاه ، فأمسكه كربلائي كاظم وفتحه وأراه الآية فوراً .

فقال البروفسور صدوقي :

أسف علينا ، لماذا مع امتلاكنا مثل هؤلاء الرجال النوابغ لا نخطو خطوات نحو رفعة ديننا أو نصلح دنيانا . ولو كان هذا الرجل في اوروبا أو امريكا لأشادوا به ونوّهوا بذكره ، ولجعلوه في مكان لا يدخله أحد إلّا بتذكرة دخول لرؤيته ، أمّا نحن فلا ...» .

وحقاً : ﴿إنّ هذا القرآنَ يَهدي لِلّتي هي أقْوَم ويُبَشِّرُ المؤمنينَ الّذينَ يعملونَ الصالحات أنّ لهُم أجراً كبيراً﴾[1].

٥٦٥ رائعةٌ مِن مكارم الأخلاق

كتب لي سماحة آية اللّه السيّد محمد باقر الشيرازي (حفظه اللّه) نجل المرجع الراحل السيد عبد اللّه الشيرازي : كنت في الخامس عشر من العمر حينما خرجت مع والدي ﷺ وجمعٍ من زملائه لمرافقة المرجع الأعلىٰ في ذلك العصر سماحة آية اللّه العظمىٰ السيد أبي الحسن الاصفهاني (أعلىٰ اللّه مقامه) إلىٰ شاطىء نهر الكوفة وكانت أيام شدّة الحَرّ في النجف الأشرف، حيث يخرج العلماء إلىٰ هناك لتغيير الجوّ في عطلة يومي الخميس والجمعة .

وذات مرّة غبتُ عن الجمع فنقل لي الأصدقاء : كنّا نستظلّ بظلّ الأشجار بالقرب من النهر إذ أمرنا السيد الأصفهاني أن نُحضِر عنده كيساً أشار إليه وكان ثقيلاً ، فلما أحضرناه فتحه وأخرج منه رسائل وأوراق كثيرة وأخذ يمزّقها ويرميها في النهر !

سأله الحاضرون باستغراب ما هذه الأوراق ولماذا تفعل بها هكذا ؟

فقال السيّد ﷺ : إنّها رسائل وردتني من مخالفيّ وفيها شتمٌ وإهانات ، وإنّي أُتلِفها كي لاتقع من بعدي في أيدي مَن يستغلّها للإساءة بهم وتشويه سمعتهم بين الناس .

هذا ونقل لي سماحة العلاّمة السيد محمد الميلاني أنه كان جالساً عند عمّه (والد زوجته المكرّمة) سماحة العلامة السيد محمد كلانتر عميد جامعة النجف الدينية حيث جاء ابن السيد الاصفهاني بعد وفاته بكيس من هذه الرسائل فقام السيد العمّ بإتلافها ، وهذا إن دلّ

---

١ - سورة الاسراء / ٩ .

أمر فهو ليس إلاّ العفو عمّن ظلمك وهو من روائع مكارم الاخلاق التي قلّتْ في زمـاننا مـع الأسف .

٥٦٦ صلاةُ (الهديّة) للأموات

يقول ملاّ فتح علي سلطان آبادي (رحمه اللّه) : كلّما كان يبلغني نبأ وفاة أحد المؤمنين كنت اصلّي له ليلة اول دفنه (صلاة الوحشة) وأهدي ثوابها الىٰ روحه رجاء أن يبعث اللّه له في قبره ما يؤنسه من رحمته ويذهب عنه الوحشة في ظلمته وغربته . ولم يكن أحد يدري بهذا الأمر . حتىٰ ذات يوم لقيني صديق وقال : رأيتُ البارحة في المنام فلاناً (وكان متوفّىٰ قبل أيام قليلة) ، سألته عن حاله بعد الموت ؟ فقال : كنتُ في عذاب وضيق شديد حتىٰ أهدىٰ اليّ (ملاّ فتح علي) ركعَتيْ صلاة فنجوتُ بهما من العذاب ، اللّه يرحم موتاه حيث أحسن اليّ بتلك الصلاة [1] .

٥٦٧ مَرحباً بالأُخوَّة والصَّداقة

يقول العالم التقيّ المشتهر بـ(ملاّ أبو الحسن) ـ رحمه اللّه ـ: كان لي صديق اسمه (ملاّ جعفر) ، مات في فترة من زمانه جمع من الناس في منطقته بمرض الطاعون ، فكان الكثيرون منهم يوصون (ملا جعفر) بأموالهم وممتلكاتهم ليتصرّف فيها علىٰ الوجه الشـرعي فـيما يرتأيه الدين الاسلامي . الا أن الطاعون لم يمهل الشيخ ايضاً فمات وترك الأموال من دون ضبط النواحي الشرعيّة ، فأدّىٰ ذلك الىٰ التلاعب فيها من قبل اناس فاسدين .

ولعلّه كان يتمكّن من ضبط الأمور والإسراع في ايصال الأموال الىٰ جهاتها الشرعية ولكنه تهاون حتىٰ باغته الموت .

مضتْ مدّة علىٰ وفاة الشيخ (ملاّ جعفر) حتىٰ سافرتُ الىٰ كربلاء ، وهـناك ذات ليـلة رأيتُ في المنام رجلين يجرّان رجلاً مقيّداً في سلاسل وعليه آثار العذاب . وبينما كنتُ من هول المنظر خائفاً إذ اقترب منّي واذا به صديقي (ملاّ جـعفر) ، أراد أن يكـلّمني ولكـن الرجلين سحباه بشدّة حتىٰ صرختُ أنا مفزوعاً ، وقمتُ من نـومي مـدهوشاً . وقـام أحـد العلماء الذي كان نائماً معي في الحجرة ، سألني : ما بك ؟ لماذا صرختَ في النوم ؟

---

١ ـ دار السلام / ج٢ ـ ص٣١٥ .

فنقلتُ له رؤياي ، ثم ذهبتُ الىٰ حرم الامام الحسين سيّد الشهداء عليه السلام ، ودعوت لفكاك صديقي من العذاب وطلبتُ من اللّه تعالىٰ أن يعفو عنه .

وفي تلك السنة تشرّفتُ بحجّ بيت اللّه الحرام وسافرت الىٰ المدينة المنوّرة لزيارة مرقد النبي محمد والأئمة الأطهار في البقيع ، فأصابني مرض حتىٰ سلبني جميع قواي ، ترجّيتُ اصدقائي ان يعينوني علىٰ الاستحمام وأن البس ثياباً نظيفة ويأخذوني الىٰ حرم النبي الاكرم صلى الله عليه وآله ، فطلبتُ من اللّه تعالىٰ أن يشفيني وطلبتُ من رسول اللّه صلى الله عليه وآله أن يشفع لصديقي (ملاّ جعفر) وغيره من الأموات . في هذه الساعة شعرتُ بالسلامة واستعدتُ قواي ونشاطي فقمتُ بنفسي ورجعت الىٰ محل سكونتي ، وبعد أيام ذهبتُ مع الاصدقاء الىٰ زيارة قبور أُحُد ، هناك بعد الزيارة نمتُ وإذا بي أرىٰ في المنام صديقي (ملاّ جعفر) بثياب بيض ووجه بشوش وبيده عصىً ، اقترب نحوي وقال : (مرحباً بالأُخُوَّةِ والصّداقة) . لقد كنتُ معذَّباً في عالم البرزخ ولكن الرسول الاكرم صلى الله عليه وآله شفع لي وأهدىٰ اليّ هذه الثياب ، وأهدتْ لي فاطمة الزهراء عليها السلام هذه العباءة ، وكل ذلك من بركة دعائك أنت . والآن جئتك لأُخبرك عن وضعي الجديد واشكرك علىٰ ما قدّمته لي من خدمة ، وابشّرك انك تعود الىٰ أهلك سالماً الىٰ سالمين .[1]

٥٦٨ الغَيب و فقه الطبّ

حكىٰ لي سماحة السيد علي الشهرستاني (حفظه اللّه) نقلاً عن والده المكرّم المرحوم آية اللّه السيد عبد الرضا الشهرستاني (أعلىٰ اللّه مقامه) بأنّ رجلاً من المتحضّرين الذين لا يؤمنون بالماورائيات وغير المحسوس ويعترض علىٰ كل شيء يرتبط بالغيبيات ويدافع عن أفكار المتحضرين الماديين بشدة وعجرفة ! صاحب والده المرحوم آية اللّه السيد زين العابدين في سفرٍ .

طال بهم السفر حتىٰ نزلوا سهلاً بعيداً عن الماء والكلاء ، ومن (حُسْن الصدف) ان لدغ عقرب هذا الرجل ، وليس هناك من يداويه !

فأخذ الرجل يجود بنفسه ويستغيث ويطلب العون من هذا وذاك حتىٰ جاءه السيد زين العابدين الشهرستاني فسأله عن مكان الوجع واللدغة كي يقوم بعلاجها ، ولما عرف المكان،

---

١ ـ اقتباس من كتاب (منتخب التواريخ) ـ ص٨٥١.

طلب كأساً من ماء ، وهو واضع يده على مكان الوجع يردّد بعض الأذكار والأدعية ، ثم يمسح بيده من مكان الوجع إلى مكان اللدغة ـ في مراحل ـ يشرب خلالها جرعة من ماء الكأس ، ولما انتهى الى مكان اللدغة أخرج السيد منه السموم وعندها شوفي الرجل «المثقّف المتحضّر» فوراً .

بعد ذلك سأله السيد زين العابدين الشهرستاني عن تفسيره لهذه الظاهرة فعلى ماذا يحمل هذا العمل الغيبي ؟

فهل هو التلقين ، فلو كان كذلك فما هذه السموم الخارجة من موضع اللدغة ؟! وان كان مداواة فكيف يمكن أن يشرب غير المريض ماءً ويطيب المريض ؟!

فما يمكنك أن تفسّر كل هذا غير أن تقول انه أثر المغيبات والأدعية . فلم يكن من الرجل بعد هذا الحادث الا أن آمن وشكر السيد الشهرستاني ﷺ .

وأضاف إليّ أخي الفاضل السيد علي الشهرستاني قائلاً : التقيت بالدكتور حسين علي محفوظ خلال زيارته الأخيرة الى ايران عند مشاركته في مؤتمر الشيخ المفيد الذي انعقد من ٢٤ ـ ٢٦ شوال سنة (١٤١٣هـ) في قم المقدسة ، فقال : ان جمعيّة الأطباء العرب في العراق مهتمّة بطبع كتاب جدّكم السيد زين العابدين المسمى بـ(فقه الطب) وكان قد أدرج أحد الأساتذة مقالاً في جريدة الجمهورية مشيداً بعقلية الكاتب وقدرته وتضلّعه بالطب مؤكداً ضرورة طبع هذا الكتاب القيّم الذي سوف يخدم الطب والأطباء خدمة عظيمة .

هذا وكانت وفاته (أعلى الله مقامه) قبل (٥٥) عاماً تقريباً .

٥٦٩ من حياة الطلبة

الشيخ مهدي شمس الدين

إن أغلب طلبة العلوم الدينية في الحوزات العلمية وخاصة حوزة النجف الأشرف يمرّون في دوراتهم الدراسية على دورة الصبر في مواجهة صعوبات الفقر خاصة ، وهي دورة لا تخلو من حكمة بالغة، فالطالب الذي يخرج صابراً فقد احتسب أجره عند الله ، ومنه يُرجى الخير ما لم تتصدأ روحه بعد المجيء إلى الوسط الاجتماعي . لا زال يدوّي في أذني الحديث النبوي الشريف الذي يبدأ به كل طالب درسه الأول في الحوزة ، وهو قوله ﷺ : «أول العلم معرفة الجبّار وآخره تفويض الأمر

إليه» ، ولعلّ الحكمة في ذلك أن يتذكر العالم ما كان عليه سلفاً فيصون نفسه من ألوان الانحرافات عند تصدّي شؤون الناس ، ولكي يقدّر الناس أتعاب العالم ويحفظوا حرمته ومكانته ويعملوا بتوجيهاته .

وهنا نقتطف كلمات مما كتبه عن تجربته الدراسية سماحة العلامة الشيخ محمد مهدي شمس الدين نائب رئيس المجلس الشيعي الأعلىٰ في لبنان (دام ظله) ، ففيها لكل طالب دروس بالغة الأهمية ، يقول سماحته : «كنت إذ ذاك في بداية الشباب ، وفي ذروة الحياة الدراسية في النجف الأشرف وحلقاتها العلمية حيث الفقر ـ حينذاك ـ والحاجة الىٰ حدّ الجوع ، وطيّ الليالي والأيام بلا طعام ، وحين يتيسّر الطعام فهو غالباً طعام بسيط ، فقد كان الشبع من الطعام الجيّد ترفاً نادراً ، وحيث البحث في ليالي الجوع الظلماء عن نفايات الخبز في شُرُفات غرف الطلبة في المدرسة ، وهي نفايات قليلة فأغلبهم أيضاً فقراء ، وإن لم يبلغوا في فقرهم حدّ الجوع ، وقلّما كانت تتاح الفرصة للحصول عليها ، لغلبة الحياء ، وخوف انكشاف الحال، فتُغسَل مما علق بها من تراب ، وتُنقَع في الماء لتلين ... وحيث النوم بلا وطاء أو بلا غطاء ... وحيث الثياب الممزَّقة المرقّعة ، ولبس ثياب الصيف في الصيف ، والشتاء في بعض السنين ، ولبس ثياب الشتاء في الشتاء ، والصيف في بعض سنين أخرىٰ ...

والحمد لله علىٰ نعمته وفضله وحُسن توفيقه ، فقد كانت أياماً مباركة ، رزقنا الله فيها الصبر وكانت قسوتها تربية وترويضاً وإعداداً لما أراده الله اللطيف بعباده من خير ، نسأله تعالىٰ أن يقدّرنا علىٰ بعض شكره ، وأن يعيننا علىٰ تحمّل مسؤولياته ، وأن يختم لنا بحسن العاقبة ...

كانت حياة قاسية ، وكان الملاذ من كل ذلك الىٰ الدرس والقراءة وزيارة أمير المؤمنين علي عليه‌السلام ومسجده ، وكان من جملة ما نلوذ به اذا مللنا الدرس ، ديوان شعر ، أو كتاب تاريخ، أو قصة موضوعة أو معرَّبة ، أو جريدة ، وقلّما كنا نحصل عليها ، لأننا لا نقدر علىٰ ثمنها ، أو لا نجرؤ علىٰ التظاهر باقتنائها ، فكانت من قراءات السرّ ، لأن الجريدة والمجلة كانتا في عُرف النجف الصارم الحاسم من الأمور (العصرية) التي تحمل في ثناياها الكفر والضلال وأفكار الأجانب من دول الغرب الكافر الذي غزانا واستعمرنا ، وأطاح بالإسلام وجاء بقوانينه المخالفة للشريعة ... ومن هنا كان القلق علىٰ عقيدة وتديّن تلاميذها ...»[1].

---

١ ـ عن مقدمة كتابه (نظام الحكم والادارة في الاسلام) الطبعة الثالثة .

٥٧٠ فهل لي من توبة ؟

نقل الخطيب العلامة سماحة الحاج السيد مرتضىٰ القزويني (دام ظله) أن الحاج آية الله العظمىٰ السيد حسن القمي رأىٰ في المنام أنه وارد الىٰ حرم الامام الرضا عليه السلام فشاهد الإمام جالساً فوق الضريح الشريف ، واذا بأحد التجّار ممّن يعرفه السيد بالصلاح والتديّن والتزامه بالخمس والزكاة ماسك بيده خنجراً يضرب به الإمام الرضا من جهات أربع !

فانتفض السيّد من نومه مفزوعاً ، جلس يتصبّب عرقاً ويتفكر في تفسير هذه الرؤيا المدهشة . وراح يترقب يوماً يلتقي بالرجل فيسأله عن حقيقة أمره .

وجاء ذلك اليوم الذي قال فيه السيد القمي للرجل :

أيها الحاج ، أنا أعرفك بالصلاح والتديّن ولكنني أودّ أن أخدمك لحسن عاقبتك .

فقال الحاج وعليه الاستغراب : صارحني بما عندك ، إني لك سمع وطاعة .

قال السيد : الحقيقة إني رأيتُ فيك رؤيا قد أدهشتني للغاية ، الىٰ درجة يصعب عليّ إخبارك بها ، ولكنّي أنصحك أن تراقب نفسك عسىٰ أن يكون لديك نقص في الالتزامات الشرعية !

وهنا زاد إصرار الرجل علىٰ السيد أن يفصح له عن رؤياه ، وواعده أن لا يتخلف عن العمل المطلوب منه .

فأخبره السيد بتلك الرؤيا ، فضرب الرجل علىٰ رأسه وبكىٰ ، ولما هدأ قال للسيّد : إنني في ذلك اليوم كنت عند الضريح ، فوقعت عيني علىٰ امرأة جميلة واضعة يدها علىٰ الضريح، فهواها قلبي وغلبتني نفسي الأمّارة بالسوء ، فلمستُ يدها بشهوة ، ولما ذهبتُ الىٰ الجهة الأخرىٰ للضريح ذهبتُ خلفها وفعلتُ تلك الفعلة القبيحة ، ولما ذهبتُ الىٰ الجهة الثالثة والرابعة تبعتُها وأنا مشغوف بها وهي كارهة ولعلها كانت خائفة ومرتبكة أيضاً ، والآن فهل لي من توبة ؟

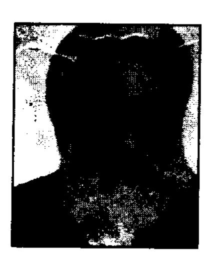
فقال له السيد القمي : اذا تتوب من قلبك ولا تعود تاب الله عليك .

أجل : كما ان النظر اليها سهم من سهام الشيطان وإن لمس الأجنبية بمثابة خنجر يضرب به الزائر إمامه المزور ، لذا فإن علىٰ الزائرين أن يراعوا المسائل الشرعية التي من أجل تحقيقها ضحّىٰ الإمام عليه السلام كل غالٍ وأرخص كل جهد ، أوَ ليس الهدف من الزيارة التقرّب الىٰ

الله تعالىٰ بمعرفة الإمام الهادي الىٰ الله ، وبالعمل وفق عمله كما لو كان حيّاً بـينـنا بـجسمه الشريف ؟!

ومن الجدير بالذكر أن هذه القصة وقعت قبل (٣٠) عاماً تقريباً واليوم ببركة الجمهورية الاسلامية قد فُصِل الضريح الىٰ قسمين قسم للرجال وآخر للنساء ، وليت العتبات المقدسة الأخرىٰ (فِي العراق مثلاً) تصلها يدُ الإصلاح والرعاية الشرعية ، وماذلك علىٰ الله بعزيز .

٥٧١ إنّ هذا له مغزىٰ !


الشيخ عباس القمي

في مقدمته للطبعة الجديدة من كتاب سـفينة البـحار لمـؤلفه الكبير والمحدّث الخبير الشيخ عباس القمي ﷺ كتب حجة الاسلام والمسلمين الحاج الشيخ علي أكبر الهي الخراساني (حفظه الله) انه زار المرحـوم آيـة الله العـظمىٰ المـرعشي النـجفي فـي داره بـقم المقدسة عام ١٤٠٤هـ لأخذ اجازة الحديث عنه فحكىٰ له ما يلي :

كان الشيّخ عباس القمي يأتـينا فـي بـعض الأحـيان الىٰ المـنزل لتدوين ما يلزمه في التأليف . وحدث مرّة أن قدّمتُ له شراب السكنجبين (وهو مزيج من الماء والسكّر والخل) في محضر عدد من الضيوف الشبّان، وفاتني أن أُحضر له ملعقة لمزج الشراب ، فنهضت لآتي بها ، وفاجأني لما عـدتُ أن أرىٰ الشـيخ قـد أدخـل اصبعه فـي السكنجبين يحرّك الشراب ، فهمستُ في اذنه انه من غير المناسب أن يُفعَل هذا أمام هؤلاء الشبّان .

أجاب الشيخ : إنّ هذا له مغزىٰ ، ذلك أني كنت أحسّ بوعكة صـحية مـنذ الصـباح ، وللاستشفاء غمستُ في الشراب إصبعي الذي طالما كتبتُ به أحاديث المـعصومين : قـال الامام الباقر كذا ... قال الامام الصادق كذا ...

٥٧٢ لماذا تبكي يا أبي ؟

روىٰ الميرزا علي محدّث زاده نجل المرحوم المقدس الشيخ عباس القمي (طاب ثراه) : ان والدي استيقظ في فجر أحد الأيام ، ثم أخذ يبكي فسألته عمّا يبكيه ؟

فقال : أبكي لأني ما صلّيتُ البارحة صلاة الليل !

قلت له : ان صلاة الليل مستحبّة يا أبتاه وما هي بواجبة ، فأنت لم تترك واجباً ولم ترتكب محرماً ، فلماذا أنت مضطرب الىٰ هذا الحدّ ؟

أجاب الوالد : ان اضطرابي يا بنيّ هو أني ماذا كنتُ اقترفت حتىٰ سُلبتُ التوفيق لصلاة الليل[١].

٥٧٣ و والدٍ و ما وَلَد

في احدىٰ الليالي رأىٰ الميرزا علي نجل المرحوم الشيخ عباس القمي أباه في الرؤيا ، فقال له الشيخ : إن أحد التجار سيدعوك لتقرأ له التعزية (الحسينية) في مجلس له ، فلا تُجِبْه. لأن أمواله مورد شبهة . ولكن سيأتيك رجل من عامة الناس لتقرأ له ، فأجِبْه الىٰ ما يريد ، مع انه لن يدفع لك أكثر من عشرة توامين .

وبعد الرؤيا جاء تاجر معروف ليدعوه ، فحكىٰ له الميرزا علي ما رآه في المنام . عندها تغيّرت حالة الرجل وتاب الىٰ الله مما كان يعمله[٢].

٥٧٤ ضيافة لمدة خمس سنوات

كتب سماحة الشيخ علي أكبر الهي الخراساني في مقدمته لكتاب سفينة البحار المطبوع تحت اشرافه في مجمع البحوث الاسلامية التابع للآستانة الرضوية الشريفة :

حكىٰ لي آية الله السيد عزّ الدين الزنجاني أنّ آية الله العظمىٰ السيد محمد هادي الميلاني ﷺ قال له :

«كان الشيخ عباس القمي قد أقام عندنا في النجف أيام تأليفه «سفينة البحار» وكانت زوجتي (أم السيد محمد علي) هي التي تُعدّ للشيخ وجبات الطعام عدّة سنوات توفيراً لوقته في تأليف هذا الكتاب الشريف وأملاً في أن تشاركه في ثواب الكتاب» .

يضيف الشيخ الهي الخراساني : وبعد سماعي هذه الحكاية التقيتُ بحجة الاسلام السيد محمد علي نجل آية الله الميلاني وحدّثته بالموضوع ، فأيّد ذلك ، وأضاف أن الشيخ كان ضيفاً عليهم مدة تقرب من خمس سنوات ، وانه كان يشتغل في تأليف «تحفة الأحباب»

---

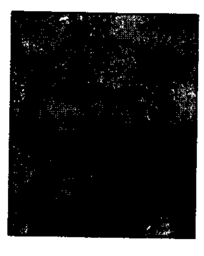
١ - مقدمة كتاب سفينة البحار طبعة مجمع البحوث الاسلامية في مشهد المقدسة .

٢ - نفس المصدر .

و «الكُنىٰ والألقاب» و «سفينة البحار» في منزل الوالد . وقد شكر لوالدتي خدمتها وإعانتها .

ثم ان السيد محمد علي أخرج من مكتبته كتاب «منتهىٰ الآمال» بجزءيه مصحَحاً بقلم مؤلفه الشيخ القمي وأراني اهداء الشيخ بخطه الىٰ السيد الميلاني .

٥٧٥ للالْتئام ورَتْقِ الفَتْق


الميرزا الملكي التبريزي

لا أدري هل توافقني الرأي أن غالب الناس في عصرنا (مُلَغَّمين)؟! يعيشون منهكين القوىٰ ، متوتّرين الأعصاب ، قلقين للمستقبل ومختلفين حول أمور تافهة وحلولٍ عليها ألف نقاش ، وبكلمة قرآنية واحدة (ضَنَكٌ في العيش) ، لذلك أينما تتفوّه بكلمة او تضع قَدَماً انفجر في وجهك (لغمٌ) من المهاترات والقيل والقال حتىٰ تتوب من ان تتفوّه بالنصيحة لأحدٍ ، حقّاً ان زماننا بئس الأزمنة ، ولكن ذلك مما كسبتْ أيدي الناس ، ولهذا السبب فإن المسؤول هو الناس ، تسألني : هل ممكن ان تحدّد الناس مَن هم ؟ أقول : كلّ الضمائر الحاضرة والغائبة والمتصلة والمنفصلة والظاهرة والمستترة التي تشير بها الىٰ كائن بشري هو المسؤول عن إصلاح نفسه وأهله ثم الأبعدون فالأبعدون، والاصلاح يبدأ من الوعي بذكر اللّه والقيم الأخلاقية في الحياة بكل أبعادها مع العمل بهذا الوعي ، سيّماالحديث « إنْ عيّرك أخوك بما يَعلَم فيك ، فلا تُعيِّره بما تَعلَم فيه يكون لك أجراً وعليه إثم » و « مَن أُغتِيبَ عندَه أخوهُ المسلم فاستطاع نصرهُ فلم يَنْصرهُ خَذَلَهُ اللّه في الدنيا والآخرة » .

هذه الكلمات قدّمتها الىٰ نفسي اولاً ثم اليك من أجل التمهيد لهذه القصة القصيرة في سطورها والكبيرة في معانيها وآثارها : آية اللّه العظمىٰ الميرزا جواد ملكي التبريزي (أعلىٰ اللّه مقامه) كان من العرفاء الأتقياء الذين يُعدّون في نزاهتهم بالأصابع ، ولم يبلغ هذه الدرجة العالية من القرب من اللّه تعالىٰ الا بمراقبة نفسه ومحاسبتها والتضرّع الىٰ اللّه آناء الليل وأطراف النهار ، وبذلك أصبح الناس يحبّونه من قلوبهم ولا مجاملة .

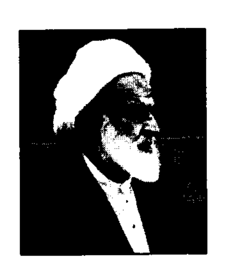
يقال ان رجلاً اغتاب في محضره شخصاً ، فانزعج الميرزا بشدّة وقاطعه فوراً : « انك باغتيابك هذا قد سبّبتَ لي تعباً لمدّة أربعين يوماً » .[1]

---

١ ـ بالفارسية (رسالة لقاء اللّه) ـ ص ١٠٤ .

يقصد ﷺ ان الاستماع الىٰ الغيبة حرام أيضاً بحيث ان الالتئام ورتق الفتق لعودة المؤمن الىٰ حالته الطبيعية المطلوبة عند اللّه يحتاج أربعين يوماً يستغفر اللّه فيه لنفسه وللمستغاب. فهل نحن نحذر الفتق واذا وقعنا فيه رتقناه بسرعة قبل اتساعه بأيدي الجهلاء ؟! ذلك هو خطوة هامة لنزع فتيل النزاعات وإبطال ألغام النفوس !

٥٧٦ أظنّك تحتاج إلىٰ هذا !



الشيخ حسين علي الطوبائي

آية اللّه الشيخ حسين علي الطوبائي ﷺ من العلماء الأتقياء والزهّاد المتواضعين في النجف الأشرف ، وقد أولاني ـ جزاه اللّه خيراً ـ اهتماماً خاصاً بالتوجيه التربوي ، لم يطرأ علىٰ أخلاقه الحميدة تغيير رغم كبر سنّه وما لاقاه من أذىٰ في العراق وصعوبات الاستقرار في ايران بعد سنوات طويلة من التغرّب . فقد زرته سنة (١٤٠٠ هـ) في بيته بشيراز وذكّرني كرمُه وترحيبه بما كان عليه في النجف الأشرف ، وفي سنة (١٤١٢ هـ) حينما سمعتُ بمرضه الذي توفّي فيه هرعتُ لعيادته في بيت نجله الأكبر فضيلة الشيخ ناصر (دام عزّه) في قم المقدسة ، فلما صرت عند رأسه قال له ولده هذا فلان ، فحرّك رأسه قليلاً إذ لم يستطع التكلّم مشيراً الىٰ انه يتذكّرني .

وقبل أيام من عامنا الجاري (١٤١٦ هـ) زرتُ في قم المقدسة ولده الآخر فضيلة الشيخ منصور (دام عزه) فطلبتُ منه أن يتحف كتابنا بقصة عن والده (رحمه اللّه) ، فقال علىٰ سبيل الارتجال وضيق المجال :

كان الوالد يقول : حينما أمر رضا خان (والد شاه ايران السابق) بأن يُنزَع الحجاب عن النساء في ايران كرهاً ضاقتْ علينا الحياة فأخذتُ العائلة مهاجراً الىٰ العراق لمجاورة مرقد الامام علي ؏ في النجف الأشرف حتىٰ يشاء اللّه ما يحبّ ويرضىٰ ، فبعد مغامرات ومخاطر خضناها وصلنا الىٰ الأراضي العراقية فكانت بداية رحلتنا الشاقّة الاخرىٰ ، ولكنها أهون الشرَّيْن ، قضينا مدّة اسبوع تقريباً في السجن ولما أخلوا سبيلنا انطلقنا فرحين باتجاه النجف الأشرف وكنّا مرهقين بشدّة ، ومع ذلك ذهبتُ الىٰ حرم أمير المؤمنين ؏ شاكراً للّه وشاكياً حالنا اليه ، قلتُ للامام علي : هذا أنا وعيالي وانت أدرىٰ بحالي ، إنني من أجل

الاستقرار وترتيب الحال احتاج الىٰ مبلغ من المال هذا قَدْرُه (عيّنتُ المقدار الذي أحتاجه) وخرجتُ من الحرم ، فلاقاني في الصحن الشريف واحد من أهل الخير لم أعرفه ، سلّم عليّ ووضع في يدي المبلغ الذي عيّنته وطلبته من الامامعليه السلام وهو يقول لي : أظنّك تحتاج الىٰ هذا يا شيخ !

٥٧٧ اذْهَبْ إلىٰ كربلاء ...

نقل لي مَن أثق فيه ، نقلاً عن آية اللّه السيد مرتضىٰ نجومي الكرمانشاهي (دام عزّه) انه سمع المرحوم العلاّمة الاميني صاحب موسوعة (الغدير) المعروفة قال :

الشيخ عبدالحسين الأمينى

حينما كنتُ اكتب (الغدير) احتجتُ الىٰ كتاب (الصراط المستقيم) تأليف زين الدين أبي محمد علي بن يونس العاملي البياضي ، وكان كتاباً مخطوطاً بأيدي أشخاص معدودين، فسمعتُ ان نسخة منه موجودة عند أحد الأشخاص في النجف ، ذات ليلة وفي اول وقت المغرب رأيتُه واقفاً مع بعض أصدقائه في صحن الحرم الشريف ، دنوتُ منه وبعد السلام والاحترام ذكرتُ له حاجتي للكتاب مجرّد مطالعة لأنقل منه في كتابنا (الغدير) ما ذكره المؤلف من فضائل الامام علي عليه السلام .

والعجيب أن الرجل فاجأني بالاعتذار ! وهو أمر لم اكن أتوقعه .

قلتُ : إنْ لم تعطني إيّاه إستعارةً اسمح لي أن آتيك منزلك كل يوم في ساعة معيّنة ، اجلس في غرفة الضيوف (البرّاني) وأطالع في الكتاب .

ولكنه رفض وأبىٰ !

قلتُ : أجلسُ علىٰ الأرض في الممرّ أو خارج المنزل بحضورك إنْ خفتَ علىٰ الكتاب او المزاحمة .

الا انه قال بصلافة أكثر : غير ممكن ، وهيهات أن يقع نظرك علىٰ الكتاب !

فتأثّرتُ بشدّة ولكن ليس بتصرّفه الجاهلي بل كان تأثري لشدّة مظلومية سيدي ومولاي أمير المؤمنين عليه السلام حيث أن مثل هؤلاء الجهلة بؤر التخلف والرذيلة يدّعون التشيّع لمثل عليّ إمام المتقين !

تركتُه ذاهباً الىٰ داخل الحرم فوقفتُ أمام الضريح الشريف مجهشاً بالبكاء ، حتىٰ كان يهتزّ جسمي لشدّة البكاء الذي انطلق من غير ارادة منّي ، وبينما احدّث الامام عليه السلام مع نفسي بتألّم إذ خطر في قلبي : « اذهبْ الىٰ كربلاء غداً في الصباح » .

ومع خطور هذا الأمر في قلبي انحسرت دموعي وشعرتُ بحالة من الفرح والنشاط .

جئتُ الىٰ البيت وقلتُ لزوجتي احضري لي بعض (فطور الصباح غداً اول الوقت) فإني ذاهب الىٰ كربلاء .

قالت مستغربة : في العادة تذهب ليلة الجمعة لا وسط الاسبوع ، ما الأمر ؟

قلت : عندي مهمّة .

وهكذا وصلت الىٰ كربلاء صباحاً فذهبتُ الىٰ حرم الامام الحسين عليه السلام ، رايتُ هناك أحد العلماء المحترمين ، تصافحنا بحرارة ثم قال ما سبب مجيئك الىٰ كربلاء وسط الاسبوع ، خيراً إن شاء اللّه ؟

قلتُ : جئت لحاجة .

قال : أريد أن اطلب منك أمراً ؟

قلت : تفضّل .

قال : ورثتُ من المرحوم والدي كميّة من الكتب النفيسة ، لا أستفيد منها في الوقت الحاضر ، شرّفنا الىٰ المنزل وخذ ما ينفعك منه الىٰ أي وقت تشاء

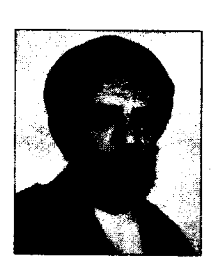
قلتُ : جزاك اللّه خيراً ، متىٰ آتيك ؟

قال : أنا الآن أذهب واخرجها واحضرها لك وأنت تعال صباح غد لتفطر عندنا أيضاً.

ذهبتُ في الصباح وَوَضَعَ الكتب بين يديّ وكانت في طليعتها نسخة من الكتاب الذي أريده (الصراط المستقيم) ، ما أن وقع نظري عليه وأخذته بيدي حتىٰ انهمرتْ دموعي بغزارة ، فسألني صاحب المنزل عن سبب بكائي ، فحكيت له القصّة ، فبكىٰ هو أيضاً .

وهكذا أخذتُ الكتاب واستفدتُ منه وأرجعته اليه بعد ثلاث سنوات .

٥٧٨ إذا اجتمعت الأخلاق والعقيدة ...


السيد عباس المهري

العلّامة السيّد عبّاس السيّد حسن المهري من أجلّة العلماء الذين قضوا حياتهم في خدمة الإسلام والمسلمين ولم يتوانوا لحظة عن خدمة عباد الله مادياً ومعنوياً دون أن يطلبوا شيئاً سوى التقرّب إلى الرحمن، وقد هداه الله سبيله فجاهد وأُبلي بلاءً حسناً وأُخرج من داره ووطنه وأُوذي في سبيله، وكل ذلك لم يثن من عزيمته وخلوصه وصفاء قلبه وعبادته وتقرّبه إلى بارئه، فالسلام عليه يوم وُلِدَ ويوم مات ويوم يُبعَث حيّاً.

كتب إبنه السيّد محمّد جواد المهري في مخطوطه حول نبذة عن حياة والده الكريم آية الله الحاج السيّد عبّاس المهري ﷺ :

لقد مات والده وهو صبي في الثاني عشرة من عمره، فكفله أخوه الأكبر المرحوم الحاج السيّد هاشم وكان شديد الحبّ له.

يمكننا أن نقرأ صفحة من هذا الحبّ الشديد في الوباء الذي قصم ظهر قريتهم «مُهر» (وهي اليوم من القرى التابعة لمحافظة فارس في الجمهورية الاسلامية) حيث اجتاحها هذا المرض القاتل الذي كان يقضي على المصابين به خلال ثلاثة أيّام، فكانت تتراكم جثث المصابين في المغتسل ويُصلّىٰ عليها مجتمعة. وقد شاء القدر أن يصيب السيّد عبّاس المهري، فيمن أُصيب بهذا المرض الخطير، وكان حسب القاعدة، يجب على أخيه السيّد هاشم، أن يتهيّأ لنبأ وفاة شقيقه الشاب اليتيم، ولكنّه لفرط حبّه له، أخذ بيد ولده الصغير الذي لم يتجاوز عمره آنذاك السادسة من عمره، فصعد به إلى سطح المنزل وبدأ يتضرّع إلى الله تعالى ويجهش بالبكاء ويقول: «إلهي ليس عندي غير هذا الولد العزيز لأُقدّمه فداءً لأخي وشقيقي عبّاس».

انّه أسمى وأنبل موقف أخلاقي، اجتمع مع الدعاء بعقيدة وتضرّع صادق، وهل يردّه الله سبحانه الذي وعد عباده بالإستجابة لمثل هذا الدعاء الصادق؟

نعم، انّه قريب يجيب دعوة الداع إذا دعاه بقلب صادق ونيّة خالصة، لذا ما أن نزل السيّد هاشم من السطح ليستطلع وضع أخيه الغالي حتىٰ وجده قد شُفي تماماً، فاستبشر الإثنان

فرحين وتعانقا عناق الحبّ الذي لا ينضب، ولكنّهما ما لبثا إلّا أن فوجئا بما يكدّر عليهما السرور وهو إصابة الابن الصغير للسيّد هاشم بذلك المرض العضال، فياتُرىٰ ما الحلّ لمثل هذه المشكلة الكبرىٰ ؟

لقد اكتشف السيّد عبّاس ببركة صفاء نفسه موقف المواساة لأخيه فقام سريعاً وقبل فوات الأوان بالدعاء والتضرّع بكلّ أحاسيسه وقلبه، منادياً ربّه: «إلهي، هل تريد أن أبقىٰ طول عمري خجلاً من أخي الغالي؟ أرجوك يامجيب دعوة المضطرين أن تمنّ عليّ بشفاء ولده العزيز، شفاءً عاجلاً».

ولم تمض ساعات حتّى شملته العناية الإلهيّة أيضاً فبرأ الولد من ذلك المرض الخطير ونجا من الموت المحتّم، بل وخرج المرض من تلك الدار ولم يعد.

هذا جانب من سرّ الحبّ الشديد الذي كان يكنّه المرحوم آية الله السيّد عبّاس المهري تجاه أخيه المرحوم السيّد هاشم، ممّا جعله يذكره دائماً بالخير ويقول: «لا يمكنني أن أنسىٰ أخي الذي غذّاني بالحبّ والعطف والحنان الكبير».

نعم، انّ حياة الإنسان ولو كان في قرية وتحت أجواء الفقر والموت والأمراض الفتّاكة، قيمة من القيم الإنسانيّة، قد أوجب الإسلام بذل كلّ الجهد للحفاظ عليها، فلعلّ أدواراً كبيرة تنتظره في المستقبل، كما كان السيّد عبّاس، حيث أصبح فيما بعد واحداً من العلماء الربانيين المرموقين الذين حصلوا على ثقة جميع مراجع العصر وعلى رأسهم الإمام الخميني (قدّس الله سرّه) فنصبه وكيلاً عنه في الكويت، وقام هناك بمهامه الإسلامية خير قيام، وأبناؤه اليوم سائرون على نهجه في خدمة الإسلام.

٥٧٩ أذلّةٍ على المؤمنين

كان المرحوم آية الله السيّد عبّاس المهري قمّة رفيعة في التواضع مع الناس والاحترام للواردين عليه. وفي أواخر حياته المباركة أبىٰ أن يجانب هذه الخصلة الاخلاقية الحسنة ويستبدل القمّة بنقيضها أعني حضيض التكبّر.

يقول إبنه السيّد محمّد جواد في مخطوطه عن حياة والده ﷺ : دخل عليه رجلٌ عاديّ في أيّام عجزه وكبر سنّه ومرضه، فقام احتراماً له ولكن بصعوبة شديدة حتّى اتّكأ على الجدار ليتمكّن من الوقوف على قدميه. ولمّا خرج ذلك الشخص من عنده، قلت له: أبي، لِمَ تؤذي

نفسك، لا داعي للقيام وأنت بهذه الحال من الضعف والمرض، علماً بأنّ الرجل لم يكن ذا مكانة خاصة تستدعي هذا الإحترام.

نظر إليّ نظرة ذات مغزىٰ ، وبعد لحظات قال:

من أين تعلم أنّ مقامي عند الله أعلىٰ من مقامه؟ أنا لم أستطع إلى الآن، أن أعطي هذه الآية حقّها ﴿أذلّةٍ على المؤمنين﴾ ثمّ لا تنسىٰ ياإبني أنّ أولياء الله مجهولون، وقد أخفاهم الله بين عباده، فياتُرىٰ ماذا أُجيب ربّي لو كان هذا الإنسان المجهول، وليّاً من أوليائه ولم أوفّه حقّه من التبجيل والتقدير.

ومن نبل أخلاقه الحسنة أنّه حينما كان يشعر بضعف الذي يناقشه في موضوع من المواضيع العلمية أو الدينية، يغيّر مسار البحث بطريقة مؤدبة، كي يبعد صاحبه من مطبّات الإحراج ويخلّصه من الخجل، خاصةً إذا كان المجلس يضمّ آخرين.

وكان قدّس الله نفسه، سبّاقاً إلى السلام على كلّ من يلاقيه صغيراً كان أم كبيراً.

وكان إذا دخل مجلساً اختار المكان الخالي ولم يفتّش عن صدر المجلس ومكان الأعيان والوجهاء إلّا إذا دُعِيَ إليه فلا يردّ.

أقول: هكذا وجدته ﷺ خلال شهرين من إقامتي عنده في داره بالكويت سنة ١٣٩٨هـ ـ ١٩٧٩م. فقد كان مضيافاً وسخيّاً إلى أبعد الحدود، حتّى يضرب به المثل في جوده وكرمه ودماثة خلقه. وكانت البشاشة تعلو وجهه الكريم من غير تصنّع وملل.

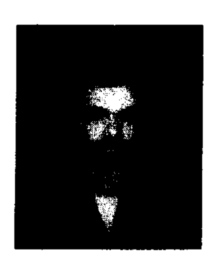
لمست في ترحابه للضيف حتّى إذا طالت إقامته لديه أنّ الرجل من قلبه يودّ الخدمة، لا لمنّة على المخدوم، ولا رجاء الشكر والجزاء بل لأجل الله ورجاء الثواب في الآخرة فقط.

ولا أنسىٰ ساعة توديعي له بعد تلك الضيافة الطويلة إذ أعطاني مبلغاً من المال، فامتنعت، وامتنع إلّا أن آخذ منه وهو يقول : سوف تحتاجه لسفرك إلى ايران، وكان قد مضىٰ شهران واسبوعان على انتصار الثورة الإسلامية. ولمّا أُخرج من الكويت وجاء إلى مدينة قم المقدّسة، حتّى قضى فيها بقية عمره الشريف، زرته في داره بقم سنة ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م، وذكّرته بكرمه وإحسانه وأنا أُريد أن أُشكره علىٰ ذلك ، ولكنّه قطع كلامي وتظاهر بالنسيان حتّىٰ لا يشوب إخلاصه شيء من المنّة والرياء .

نعم هكذا دأب الصالحون المخلصون، ولمثل هذا فليعمل العاملون.

توفّي ﷺ في السادس والعشرين من شهر جمادى الثانية عام ١٤٠٦ هجرية في مدينة قم المقدسة ودفن في الحرم المطهرللسيّدة فاطمة المعصومة بنت الإمام الكاظم عليهما سلام‌الله.

٥٨٠ ما وراءُ الخيال


السيد مرتضى الاصفهاني

التقيت به في إحدىٰ شوارع قم المقدّسة بعد ما يقارب خمساً وعشرين عاماً، ودلّتني عليه وجناته الإيمانية، فهو كما كان في مدرسة الصدر القديمة في النجف الأشرف. فسلّمت عليه بحرارة، ورحّب بي مثلما سلّمت عليه. قلت هل تذكرني؟ أنا عبدالعظيم البحراني تلميذك الذي كان يدرس عندك في كتاب المنطق ويستفيد من توجيهاتك التربوية؟

قال: بدأت الآن أتذكّر شيئاً ولكن وجهك متغيّر.

قلت: انّه مشاكل الزمان يفعل الشيب في الشباب قبل الأوان.

قال: كيف عرفتني فأنا أيضاً متغيّرٌ أكثر منك؟

قلت: الملامح نفسها والقلب يهدي.

تواعدنا على موعد في مكتبه، وأعطاني رقم هاتفه (٧٢٥٢٢٨) وقال إنّك قد لا تستطيع الحصول على الخطّ، قلت: ولماذا؟ قال: يتصلُ بي الناس من هنا ومن الخارج طلباً للاستخارة القرآنية والاستفسارات الدينيّة.

فعرفت انّ السيّد الاصفهاني المشهور بين المؤمنين عالميّاً بالاستخارة المجرّبة هو أُستاذي الجليل هذا فازددت شوقاً للقاء به. وهكذا جئته حسب الموعد وجلست بين يديه كما كنت أجلس قبل خمس وعشرين عاماً ، فأخذنا في أطراف الحديث عن حوادث الأيّام وذكريات الأعوام. ثمّ بعد ساعةٍ طلبت من سماحته أن يذكر لي قصةً أو خاطرة تقوّي في القرّاء روح الاعتقاد بالمعنويات ونحن ـ كما تعلم أخي القارئ ـ في عصر الجفاف والجفاء.

فقال انّها كثيرة جدّاً ولكنّي الآن ذكرت قصة تاجر سجّاد ايراني يعيش في كندا إسمه (محمّد السالاري) وقد نشرت الصحف الكندية عن قصته بإعجاب وإنبهار. قام سماحته وناولني تلك الصحيفة المؤرخّة (١٩٩٧/٣/٩م) وعليها صورة الرجل المبتسم مكتوبٌ عندها بخطّ عريض (ما وراء الخيال)، ثمّ أضاف آية الله الاصفهاني قائلاً: كان هذا الرجل مصاباً بسرطان الكبد، فراجع أشهر أطباء امريكا واوروبا وأُجريتْ له عملية جراحية وأعطوه العديد من الوصفات الطبية على مدار أربع سنوات ولكن دون فائدة ، فخُيِّر بين زرع كبد له مكان

كبده المصاب وبين إنتظار ساعة الموت المخيف . فأصبح حائراً لا يدري ماذا يفعل لأنّ الخيار الأوّل ليس مضمون النجاح، فاقترح عليه صديق له في امريكا اسمه الدكتور أبو مهدي الغروي وهو من أحفاد المرجع الراحل الميرزا النائيني ﵀ أن يتصل بي ويطلب استخارةً لحسم أمره: فهل يوافق على اجراء هذه العملية غير المضمونة وهي أمله البشري الأخير أم يستسلم لشبح الموت الوشيك كما أخبروه به الأطباء؟

وكان لمّا طلب منّي الاستخارة لم أكن أعرف الموضوع الذي من أجله يريد أن يستخير فقلت له: انّ الاستخارة تقول بانّك لا تحصل على سلامتك من هذا الطريق، إنّما هناك طرق أخرى. (ولمّا كانت تلك الأيّام من شهر رمضان المبارك قرب استشهاد أمير المؤمنين ﵇ أرشدتُه إلى التوسل به ﵇ وطلب الشفاء منه).

فرغم أنّ الرجل لم يكن من المهتمين بالشؤون الدينيّة طول حياته ـ على ما يبدو ـ فانّه حينما وجد الأبواب كلّها مغلقة أمامه، طرق باب الله بكلّ وجوده المهدّد، فأصبح لا يرىٰ سوى الله مَن يخلص إليه النيّة، وكان مثال الإخلاص أمام عينيه هو الإمام علي ﵇، لذا شدّ إليه رَحْلَ التوسّل وجعله الوسيلة الشفيعة إلى الله تعالى لتحصيل الشفاء. وما خابه ربّ العزّة والعطاء، إذ حقّق له أُمنيّته في الشفاء فوراً، وانتشر نبأُ هذه الكرامة والمعجزة العلوية في تلك المدينة ممّا دفع الذين كانوا حوله في سنوات الغفلة إلى اليقظة والتعجّب من آيات الله ، جعلهم هذا الحدث المعجز الملموس يتوجهون إلى الله ويتوبون عمّا كانوا به يظلمون أنفسهم، تناقل الناس (المسلمون والمسيحيون) هذا النبأ العجيب مذهولين حتّى بلغ الأطباء الغربيين وزادهم ذهولاً و دهشة لمّا فحصوا على الرجل فلم يجدوا في كبده أثراً من ذلك المرض الخبيث. فكتبت الصحف وعملت مع الرجل المشافىٰ مقابلة في مدينة (ونكوور) الكندية: أنّ (سالاري) الذي اعترف أطبّاؤه بالعجز في إنقاذه من الموت قد سمع عبر الهاتف من ايران صوت العارف بالقرآن، أنّ القرآن يقول له: إنّك لا تحصل سلامتك من هذا الطريق بل هناك طرق اُخرى، أطرقها بالدعاء!. وهو الآن كما يعترف الأطباء أيضاً ليس ذلك المريض المُقْبِلْ على الوفاة.

وهنا اُترجم لك أخي النبيه نصّ ما قاله الرجل بصوته المسجّل في شريط كاسيت الذي أعطاني سماحة آية الله السيّد مرتضىٰ الموسوي الاصفهاني لمزيد توثيق هذه القصّة.

يقول محمّد السالاري: في نهاية عام (١٩٩١م) ظهر مرض السرطان في كبدي، وفي سنة

(١٩٩٢م) أُجريت لي عملية جراحية، وفي سنة (١٩٩٤م) عاد المرض، وفي بداية (١٩٩٥م) بدأت في المستشفى العلاج الكيمياوي لمكافحة هذا المرض الخبيث، فقال لي الطبيب انّ نسبة (الهيدروفين) عالية فيك وخطر الموت على الأبواب، ماذا تريد أن تفعل؟ قلت أمهلني لأستشير أصدقائي. فاتصلت بهم في امريكا واوربا وايران فقالوا برأي واحد انّنا لا نعلم بماذا نشير لك، فأنت أعلم بأمرك. كنتُ حائراً لا أدري بأي الطريقين أتجه، حتّى حسمت أمري باقتراح قدّمه إليّ الدكتور الغروي، حيث قال لي: انّ أفضل شيء هو الحسم بالاستخارة. قلت سمعاً وطاعة. فأعطاني رقم هاتف وقمت بالاتصال عليه بمدينة قم المقدسة. فقال لي السيّد بلطف وحنان: إنتظر على الخطّ كي أُجيبك بنتيجة الاستخارة. وجاء الجواب: إنّك من هذا الطريق ـ أي العلاج بالوسائل البشرية ـ لا تحصل على سلامتك، إنّما هناك طرق أُخرى، توسّل بالإمام أمير المؤمنين عليه السلام وخذ منه شفاءك.

في الصباح الساعة السادسة جاءني طبيبي وهو أحد الجرّاحين الثلاثة المعروفين في العالم فقال: سالاري استعدّ للعملية ولا تنسى وصيّتك!

وحيث كنت خائفاً ومتردّداً للغاية .. قلت له: في الحقيقة أنا لم أتهيّأ ولا زلت لم أكتب وصيتي ولم أُرتّب أُموري، انّ الخطر كبير يادكتور، أمهلني إلى يومين. جلسنا ساعةً ولم نتحدّث بشيء في هذا الخصوص. ثمّ ذهب وجاء الأطباء المساعدون يستفسرون قراري النهائي، قلت لهم: لا. قالوا: ثلاثة أشهر احتمال بقائك. ولكن أملي كان متعلّقاً بمكان آخر، ذلك الغيب الذي بشّرني به السيّد الاصفهاني، قمت عائداً إلى المنزل، وكلّكم رأيتموني في تلك الأيّام كيف كنت مصفرّ اللون من شدّة المرض، حتّى سافرت إلى عدّة دول اوربية بحثاً عن ضمان أفضل للعلاج، فتعرّفت على طبيب الماني معروف عالميّاً فوافق أن أنتقل إليه ملفّي ويعيّن لي موعداً لإجراء عملية زرع كبد جديد. حتّى أنّي عطّلت جميع أنشطتي التجارية ورتبت أُموري كلّها استعداداً لهذه العملية الخطيرة التي صرتُ أنتظر موعدها بحذر وتخوّف. وبالفعل قد اتّصلوا بابني وقالوا له: أين أبوك (سالاري) فليأت لإجراء العملية.

نعم ياأخوتي هذه القصّة لها جزئيات سوف أُحدّثكم بها في الليالي القادمة، وما أُريد أن أقوله الليلة هو أنّ العملية لم تحصل بينما الشفاء قد حصل وكان الله وحده هو الذي شافاني عندما طلبت ذلك من الإمام أمير المؤمنين عليه السلام (هنا يبكي الرجل المشافى) ويواصل قائلاً للحضّار: إنّكم سمعتم أشعاراً كثيرة في مدح الإمام علي عليه السلام وأنا أقرأ بيتاً منها: (إرحل أيّها

المسكين واطرق باب بيت علي أمير المؤمنين فهو المانح للمساكين من كرمه منحة الحاكمين).

ولم يكتف السالاري (أيّده الله) بحكاية شفائه المعجز للحاضرين بل أخذ ينادي فيهم بكلّ حماس: (حيّ على خير العمل) فاقترح ـ كما في الشريط وكما نقلته الصحيفة الكندية ـ قائلاً: إنّني أيّها الأخوة أقترح بناء مسجد لنا في هذا البلد (كندا) لعبادة الله وهداية شبابنا هذا النشئ الجديد ونعمل لهم أنشطة مناسبة لطموحاتهم الشبابيّة كتأسيس مكتبة ومكان للأفلام الدينيّة والأعمال اليدويّة، لقد منّ الله عليّ عمراً ثانياً فأنا مدين لله تعالى. اللهمّ اقبلنا خدّاماً لك وشافِ جميع مرضانا بحقّ أمير المؤمنين وأهدنا إلى صراطك المستقيم.

وللدكتور أبي مهدي الغروي (حفظه الله) تعقيبٌ لكلمة محمّد السالاري نوجزه لإكمال الفائدة: أريد أن أقول للأخ سالاري انه ببركة أمير المؤمنين والأئمّة عليهم السلام قد شافاك الله ويشفي كلّ المرضىٰ ان شاء اللّه ، ولكن هناك نقطة هامّة تمنحني العبرة وتلزمني وقفة وهي: انّ هذا الباب مفتوح، فان طرقه الإنسان بشكل صحيح فالإستجابة له حتميةٌ من الطرف الآخر، هذا أنا العبد الذي يجب أن أعرف كيف أتعامل مع ربّي وأوليائي، قرأنا البارحة في دعاء الافتتاح وإذا وفّقنا سوف نقرأ هذه الليلة أيضاً (الحمد لله الذي لا يُغْلَقُ بَابُهُ ولا يُرَدُّ سائِلُهُ) قلت لكم في البارحة وهذه عقيدتي الشيعيّة التي أتمنّى أن لا أموت إلّا معها: بأنّ الله لا يمحي سيّئات عبده فقط بل يبدلّها إلى حسنات إن تاب وأصلح عمله. وهذا له شرطان الأوّل: أن يكون قصده خالصاً لوجه الله. الثاني: أن يعرف من أين يدخل الىٰ حصن اللّـه . يقول الأخ سالاري أنّ أمير المؤمنين عليه السلام قد شافاه! ونتساءل: انّ أمير المؤمنين عليه السلام قد مات قبل أكثر من ألف وثلاثمائة سنة كيف استطاع أن يشفيك؟! أليس الله يقول: ﴿والمدبّرات أمراً﴾ وهذه الكلمة مفهومة جداً: (أبىٰ الله أن يجري الأمور إلّا بأسبابها) إنّ كلّ شيء يحدث في الحياة إنّما بسبب قانون العلّية، فالطفل يولد من أبوين. هذا هو القانون الذي أمضاه الله الخالق. ولكنّي أقول هل هذا القانون فوق الخالق؟! وبعبارة أخرى هل الله محكومٌ بقانون العلّية؟! الجواب: كلا إنّه قادر على خرق هذا القانون فيولد آدم من غير أب ولا أم ويولد عيسى من غير أب، إذن ما المانع أن يجعل في التوسّل بأمير المؤمنين سبباً للشفاء؟ أبداً لا مانع في ذلك .. وهذا يعني المعجزة الإلهيّة التي تأتي لتعجيز البشر أمام قدرة الله كي ينبهّه بها فيؤمن أو يزداد إيماناً.

٥٨١ كريمةُ آلِ البيت عليهم السلام

حكىٰ لي الأُستاذ آية اللّه السيّد مرتضىٰ الموسوي الاصفهاني (دام ظلّه) أنـه يـوم ورد مدينة قم المقدّسة عام (١٤٠١هـ) مهاجراً من النجف الأشرف التي كان لسماحته فيها منزل ومَنْزِلَة ومسجد ومكتبة لم يجد لنفسه وعائلته الكريمة أقلّ تلك الأمور، فصار يسكن منزلاً ضيّقاً جدّاً وخالياً من أهمّ الحوائج المنزلية، ولكن كان قلقه الأكبر هو علىٰ فقده ما يؤنس العلماء المحقّقين وهو الكتاب والمكتبة المنزلية. فأخذ السيّد يذهب إلى مكـتبة النـجفي المرعشي العامّة للمطالعة والتحضير لدروسه التي كان يلقيها على مجاميع الطلبة في حـرم السيّدة المعصومة (عليها السلام) واستمر السيّد الاصفهاني عفيفَ النفس لا يعلم عن حاله وحال زوجته وأطفاله أحد إلّا الله سبحانه وبعض من لا حول له ولا قوة .

يقول سماحته: لم أكن في مكتبة النجفي المرعشي أرتاحُ حين المطالعة، وذلك بسبب عدم رعاية بعض القرّاء لأقل آداب المطالعة كالهدوء والجلوس مـع الكـتاب وفـي حـضور الآخرين سيّما العلماء بأدب واحترام، وفوق ذلك كانت رائحة بعضهم تزعجني كثيراً التـي وتشتّت عليّ التركيز في المطالعة.

في ذلك اليوم جئتُ إلى حرم السيّدة (عليها السلام) وكان الضيق قد بلغ أكبر من طاقتي، فخاطبتُ كريمة آل البيت عليهم السلام من حرقة قلبي ومن دون رعاية الفصاحة والبلاغة العـربية، قُلتُ لها وبلهجة العوام: ياسيّدة .. ألستِ جدّتي ؟ أمـا تـرين حـالي؟ أهكـذا يكـون حـقّ الضيافة؟ فإلى متى أعيش وزوجتي وأطفالي بهذه الحالة؟ إنّني يامولاتي لا أطـلب مـنكِ سوىٰ مكتبة لمطالعاتي ...

قلتُ هذا ومشيت .. وفي اليوم التالي في نفس المكان من الحرم الشريف دنىٰ منّي رجل وبادرني بالسلام وقال: أنت محتاج إلى كتب؟ قلتُ: نعم. قال: اذهب إلى المكـتبات وخُـذ أسعار جميع الكتب والمصادر التي تحتاجها وغداً أنا أنتظرك هنا لأُسلّمك ثمنها فـتذهب لشرائها!

لم أندهش لهذه الإستجابة السريعة لتوسلي بالسيّدة الكريمة، فأنا معتقد بأهل البيت عليهم السلام بشدّة وقوّة. لذا ذهبتُ إلى المكتبات فجمعت قائمةً بأسعار مئات الكـتب التـي أحـتاجها لترتيب مكتبتي المنزلية.

وفي اليوم التالي لمّا جئتُ على الموعد رأيت الرجل حاضراً في المكان، تسالمنا فأعطيته القائمة، قال حسناً خُذ هذا المبلغ وتذكّر لعلّ كتباً أُخرى لم تكتبها فأنا آتيك غداً أيضاً!.

ذهبتُ وأضفت على القائمة ما نسيتُه من كتب أُخرى، ثمّ جئته حسب الاتّفاق فأعطاني مبلغاً إضافياً. واشتريت ما أحتاجه من كتب.

وبعد أيّام (أقلّ من أسبوع) وصلني مال من بعض الأقارب في اصفهان فاشتريت به فرشاً لمكتبتي وأهمّ احتياجاتنا المنزلية، فصار وضعي المعيشي خلال أسبوع واحد أفضل من السابق ولا يُقارَن.

ولمّا شاهدتْ زوجتي تلك التغييرات السريعة في المنزل سألتْني مستغربةً مِن أين حصلتَ المال؟

قلت: من السيّدة فاطمة المعصومة كريمة آل البيت عليهم السلام.

٥٨٢ لكي لا يُستهانُ بالسرّ

نقل لي سماحة العلّامة السيّد عبّاس المدرّسي (دام ظلّه):

ذهبتُ برفقة والدي المرحوم إلى لقاء العالم الربّاني آية الله السيّد حجّت قدس سره في منزله الكائن خلف مدرسة الحجّتية بقم المقدّسة سنة (١٤٠٢هـ). فحكىٰ لنا السيّد حجّت قصّةً وقعتْ له في أيّام دراسته قائلاً: «كنت في فقرٍ مُدْقَع وضيقٍ ماليّ شديد إلى درجة لم أحصل أنا وزوجتي وأطفالي ما نأكله قدر الحاجة الطبيعيّة. ذات يوم حينما عزمت على الخروج إلى الدرس قالت لي زوجتي: ياسيّد .. ليس لدينا اليوم أي شيء من الطعام على الإطلاق. أنزلت رأسي خجلاً وودّعتُها إلى الدرس ولمّا عدتُ إلى المنزل وجدت الوضع مؤلماً للغاية. فدخلتُ غرفتي وصلّيت ركعتين هديةً إلى سيّدي ومولاي الإمام الحجّة عليه السلام ثمّ قلتُ مخاطباً إيّاه: سيّدي .. لمن نحن ندرس ونتعلّم ونُدرّس ونعلّم، ألسنا طلّاب مدرستك، ألسنا جنود نهضتك؟ إذا كنّا كذلك فأعِنّا علىٰ لقمة العيش كي نواصل طريقك.

ساعةً وإذا بطرقة باب المنزل، ذهبتُ وفتحتُ الباب، سلّم عليَ الطارق وسلّمني ظرفاً وقال كلّ شهر مثل هذا اليوم آتيك بمثله ولا تُخبِر أحداً وفي أمان الله!

مشىٰ ولم أستطع أن أكلّمه بسبب التعجّب والسرور والبهجة الغالبة. دخلتُ المنزل

وفتحت الظرف أمام زوجتي وكان فيه من المال ما يسدّ حاجة العوائل المرفّهة في شمال طهران!.

صرنا بذلك المال نشتري جميع حوائجنا المنزلية ويبقىٰ منه فائضاً على الحاجة!

وكما أخذ منّي العهد لم أُصرّح بهذا الأمر الغريب لأحد، حتّى جاء على وعده بعد شهرٍ فقدّم لي ظرفاً آخر، واستمرّ هذا الكرم شهران آخران حتّى سألتُه: هل من الممكن أن أعرف إسمكم الشريف؟ قال: إسمي الحاج (...) وعنواني: الطابق (...) الغرفة رقم (...) من العمارة التجارية رقم (...) في سوق طهران.

ذات يوم كنت جالساً مع شقيق زوجتي وهو العالم الكبير آية الله الشيخ مرتضىٰ الحائري﷫ ـ ابن المرجع الراحل الشيخ عبدالكريم الحائري مؤسّس حوزة قم فبُحتُ له بالسرّ.

ثمّ راحت الأيّام حتّى اليوم الموعود، حيث كنت أنتظر الرجل فلم يأتِ ... وانتهى الشهر ولم أره، وبدأ المال ينفد وينفد حتّىٰ نهاية الشهرالآخر فعادت أيّام الضيق وصعوبات الجوع.

تذكّرت انّه أعطاني عنوانه فلماذا لا أذهب إليه وأستفسر عن سبب الإنقطاع ؟!

وهكذا جئته على العنوان فدخلت عليه الغرفة، سلّمت وجلست حتّىٰ انتهى الحاضرون من مهامهم وخرجوا.

فدنوت منه وسألته عن حاله وكنت أودّ أن يفاتحني الموضوع بنفسه ولكنّه لم يفعل .. ففاتحته به خجلاً وقلت: ياحاج .. كنتَ قد عوّدتَنا علىٰ عطاءٍ سخيّ وقد انتظرتُك حسب الاتّفاق في ثلاثة أشهر الأخيرة، فلم أتشرّف باللقاء؟! خيراً ان شاء الله.

أطْرَقَ الرجل رأسه قليلاً ثمّ نظر إليّ نظرة الآسفين وقال: انّ الذي أمرني أن أُعطيك فقد أمرني بالتوقّف!.

سكتَ الرجل ولم يتكلّم أكثر من هذا. هنا عرفتُ كم قد خسرتُ من لطف الإمام وكرمه عندما خالفتُ الشرط (بأن لا أبُوح بالسرّ لأحد ولو كان آية الله الشيخ مرتضىٰ الحائري)!

٥٨٣ دمعة كالدرّ فيها عجب

كنّا جلوساً في مكتب آية الله السيّد محمّد تقي المدرّسي بطهران إذ حكى لنا سماحة الشيخ ضياء الدين النعماني من أنّ شخصاً جاءه قبل وفاة والده بأيّام وقال: إنّي رأيت فيما

يراه النائم رجلين قادمين من زيارة مرقد الإمام الحسين عليه السلام في كربلاء وبيد أحدهما تربتان حسينيتان، فأعطاهما إيّاك وقال: إنّهما هديّة، لك إحداهما ولوالدك الأُخرى. مضت أيّام حتّى يوم وفاة والدي، وأنا في المغتسل إذ جاءني أحد المؤمنين وناولني تربتين حسينيتين، وقال: انّ اثنين من أصدقائه قدما من كربلاء وهذه هديّتهما ، إليك واحدة والأُخرى لوالدك المرحوم!

فغُمِرْتُ بالعجب الشديد من تطابق تلك الرؤيا وهذا الواقع، فأخذت التربتين وخلطت التي لوالدي بالماء وحينما وضعته في القبر مسحت بها على صدره ووجهه، وازددتُ عجباً عندما كنت أُلقّنه بالعقائد الحقّة وأقول (إذا سألك المَلَكان المقرّبان مَن نبيُّك فَقُل محمّد بن عبدالله خاتم الأنبياء نبيي ...) وإذا بجفون عينَيْ والدي انتفخت ونزلت من تحتها دمعة كبيرة بيضاء كالدرّ!

وأضاف الشيخ النعماني ـ الذي يقال انّه حافظ ثلاثين ألف حديث مع سلسلة اسناده ـ أنّ والده (المرحوم الحاج كريم) كان عالماً غير معمّم وكان شديداً في الولاء لأهل بيت النبي صلى الله عليه وآله وكان مواظباً منذ أربعين عاماً على أن لا تفوته زيارة الإمام الحسين عليه السلام . فحتىٰ بعدما جئنا الىٰ ايران كان يصعد علىٰ سطح المنزل ليلة كلّ جمعة فيتجه نحو العراق ويسلّم علىٰ الحسين عليه السلام .

وهنا علّق على هذه القصّة العجيبة سماحة الشيخ صحّت (وهو من حفّاظ أحاديث أهل البيت عليهم السلام) قائلاً إنّ ما حكاه الشيخ النعماني يؤيّده حديث الراوي عن الإمام الصادق عليه السلام قال: سمعته يقول عن دمعة عين الميّت: (ذلك عند معاينة رسول الله صلى الله عليه وآله فيرى ما يسرّه) ثمّ قال: (أما ترى الرجل يرى ما يسرّه وما يحبّ فتدمع عينه لذلك ويضحك)[1].

٥٨٤ أنا لستُ شيعيّاً!

حكى سماحة آية الله السيّد محمّد تقي المدرّسي (دام ظلّه) أنّ الخطيب الحسيني المعروف الشهيد الشيخ عبدالزهراء الكعبي ذهب برفقة المجاهد الكبير آية الله السيّد حسن الشيرازي إلى بغداد ليقنع مدير الإذاعة أن يبثّ قراءة (مقتل الحسين عليه السلام) وكانت مبادرة

---

(١) أُصول الكافي ج٣ ص١٣٣.

شجاعة منهما في ذلك الزمن (الستينات الميلاديّة)، ولكنّهما بالتوكّل على الله تعالى وبراعتهما في النطق والإقناع استطاعا أن يقنعاه ولو بصعوبة بالغة، حتّى أنّهما لمّا خرجا من عنده لم يكونا على يقين بأنه سوف يفي بوعده، ولكنّه وفىٰ بتأييد من الله سبحانه فكان للمرّة الأُولى يسمع الناس في العراق ودول الخليج (مقتل الحسين عليه السلام) يقرؤه الشيخ عبدالزهراء الكعبي من إذاعة بغداد، وكان ذلك في الساعة العاشرة صباح يوم عاشوراء. ولا يخفى ما كان لهذه الخطوة من آثار بنّاءة عظيمة على الكيان الشيعي في المنطقة وأداء حكيم لتبليغ معالم الحقّ والمظلوميّة الحسينيّة. إلّا أنّ الأعجب من هذا العجيب هو تكرار بثّ المقتل عصر ذلك اليوم أيضاً! ولكن لا تعجب فانّ للحسين عليه السلام نفوذ إلى القلوب وإنّما أنا وأنت وسائل قد تتهيّأ لذلك بلطف الله وفضله وتوفيقه فنؤجر بذلك وهنيئاً للمأجورين.

فذهب الشهيدان السيّد حسن الشيرازي والشيخ عبدالزهراء الكعبي ليستفسرا من مدير الاذاعة سبب تكرار البثّ علماً أنّه كان متردّداً في بثّه للمرّة الواحدة. فأخبرهما قائلاً: إنّني تلقّيت بعد الإنتهاء من البثّ مكالمة من أحد أُمراء الجيش (وهو من أبناء السنّة) طالبني ببثّه مرّةً ثانية، فقلت له: سيدي لا يستحسن بثّ موضوع مرّتين في الإذاعة وهو يستغرق ساعات وليس دقائق، مضافاً انّني أخشى من أبناء السنّة معارضتهم للحديث عن الخصوصيات الشيعيّة.

فردّ عليّ بصرامة حتّى خفتُ أن يقتحم الاذاعة بمدرّعاته بعد ساعة فيرميني في سجن النهاية! قال: أنا أقول لك وأنا من أبناء السنّة.

قلت: حسناً سيدي .. ولكن أخبرني ماذا أتى بك إلى كلام الشيعة؟!

قال: إنّني لمّا رجعت إلى المنزل وجدت زوجتي جالسة عند المذياع وتبكي، سألتها ممّ بكاؤك؟ أشارت إلى المذياع، ففهمت منها أن استمع، ولمّا سمعت الحديث جرت دموعي حزناً من غير إرادتي، ودقائق حتّى انتهى الحديث فلم أسمع القصة كاملةً ، أُريدك أن تعيد بثّه لي وللملايين من أمثالي كي نعرف حقائق ما جرى على أهل بيت النبي وأخفاها المعاندون، أنا لستُ شيعياً ولكنّي لن أتحمّل طمس الحقيقة.

٥٨٥ المحقّق الطباطبائي



السيد عبد العزيز الطباطبائي

لم أكن في العمر آنذاك بأكثر من خمس عشرة عاماً لمّا فتح العلامة الجليل السيد عبد العزيز الطباطبائي أحضانه ترحيباً بي وبأخي العزيز الشيخ قاسم (حفظه اللّه) عندما طلب منه أن يخصص لنا حجرة من حجر مدرسة السيد كاظم اليزدي الكبرىٰ في النجف الأشرف، وكان من المعروف عند طلبة الحوزة أن السيد (وهو حفيد المرجع المؤسس السيد صاحب العروة ـ أعلىٰ اللّه مقامه) لايعطي حجرة للطلبة غير المجدّين . وإذا كان هذا الأمر قد بعث العجب في بعض الطلبة والعلماء فانّه قد بعث فينا روح الجدّية والالتزام بما يأمله السيد في طالب العلم وبما لايسيء الىٰ مصداقية ومكانة المدرسة . ولاشك أن ذلك الموقف السديد منه (رحمه اللّه) قد سدّد مسيرتنا الدراسية والتربوية وجعل المدرسة فيما بعد سكناً علمياً زاهراً للوافدين من طلبة البحرين . وهذا يكشف عن بُعد نظر السيد الطباطبائي والعمق الخُلقي العظيم الذي استنهله من اجداده الطاهرين ، وكان بعدما أسكنني في الحجرة الأولىٰ من الجانب الأيمن عند مدخل المدرسة يتفقّد حالي كالأب العطوف الذي يعقد لأبنائه آمالاً بعيدة فوق أُسس تربوية قويمة . واذا سألتَني عن أخلاقياته أخبرتُك بأنّه لم يكن فيها هزلياً ولا عابساً ولا ليّناً ولا يابساً ، وانما كان مثالاً عملياً يتحرك بصفات عباد الرحمٰن . ولا يكون الانسان هكذا في خصاله الظاهرية إلاّ إذا كان في خصاله الباطنية عبداً للعزيز ...

واليوم بعد ثلاث وعشرين عاماً وأنا أطرق باب الأربعين جئتُه في ذكراه الكريمة بقلمي العاجز لأُقدّم به كلمة الشكر علىٰ ما قدّمه لي ولأخي ولزملائي من دروسه العملية في السلوك الرباني أرجو ـ والمسافة بيني وبين عليائه كالمسافة بين طالب يحْبو الىٰ شامخ ـ أن يسرّه اللّه بنتاج آماله العظيمة ويجعلني أنا القليل واحداً منها ان شاء اللّه .

وبهذه المناسبة القصيرة أنقل قطوفاً مما قاله الباحث المسيحي المنصف (مارتن مكدرموت) في الحفل التأبيني الذي أقامته مؤسسة آل البيت عليهم السلام في بيروت بمناسبة مرور أربعين يوماً على وفاة المحقّق الطباطبائي رحمه الله ـ في قاعة الجنان ـ بتاريخ ١٩٩٦/٣/٢٠م :

(إنّ السيّد عبدالعزيز الطباطبائي هو مثال بارز لفضيلة رفيعة من فضائل أهل الشيعة، ألا وهي توقيرهم للعلم والعلماء. ولعمري هذه أروع فضيلة في دنيا العلم، سواء أكان ذلك في الشرق أم في الغرب. فالعلماء معرّضون لتجربة الحسد، وقلّما تجد منهم من يُبَجِّل زملاءه العلماء تبجيلاً لائقاً ... فميزة شيوخ الشيعة الفُضلىٰ التي أكبِرُها هي بهجتُهم الصادقة وهم يُجلّون أعمال بعضهم بعضاً.

سنحت لي الفرصة، في سنة ١٩٦٨م، أن أزور النجف الأشرف، حيث حُظِيتُ بإرشاد المعلّم عبدالرحيم محمّد علي ﷺ. وشكرت الله تعالى لأنّه قد أتاح لي أن ألتقي بأشهر عالِمَي الكتب حينذاك، آقا بزرك الطهراني والشيخ عبدالحسين الأميني. ولم نكن ندري وقتذاك أنّ كلاهما كانا يقضيان آخر سنة من حياتهما.

وجدنا آقا بزرك في داره، حيث كان جالساً على الأرض وكتبه من حوله. استقبلني بصدر رحب، وتكلّم بتأثّر عن أخي في الرهبانية الأب المرحوم (لويس شيخو) مؤسس المكتبة الشرقيّة.

وفي اليوم التالي أخذني المعلّم عبد الرحيم لألتقي بالشيخ الأميني في مكتبة أمير المؤمنين عليه السلام ، جلسنا هنالك في حلقة من أصدقاء الشيخ الأميني ومساعديه، وكان لكل من الحاضرين ما يقوله في الشيخ المفيد (موضوع دراستي آنذاك والسبب الذي حملني على زيارة النجف الأشرف) ومن المشاركين في الحلقة كان السيّد عبدالعزيز الطباطبائي أبدىٰ السيّد اهتماماً يُشكَر عليه في بحثي عن مخطوطات تعود إلى الشيخ المفيد، وزوّداني هو والشيخ الأميني بأفلام مصغّرة عن المخطوطات المحفوظة في مكتبة أمير المؤمنين . كان ذلك في العام ١٩٦٨م.

المرّة الثانية التي قابلتُ فيها السيّد الطباطبائي كانت بعد إنقضاء خمس وعشرين سنة على اللقاء الأوّل (أي منذ ثلاث سنوات) في أثناء انعقاد المؤتمر العالمي لألفيّة الشيخ المفيد. تمّ اللقاء في مكتبة آية الله المرعشي في مدينة قم، ذلك بأنّ السيّد كان قد ترك النجف الأشرف وقصد قم. ولا أزال أذكر بهجته عندما تذكّر واحِدُنا الآخر. كان في غاية اللطف إذ تذكّر لقاءنا الأوّل، وحدّدْنا حينها عُرىٰ صداقتنا.

كان السيّد عبدالعزيز الطباطبائي عالماً ذا علم واسع، غير أنّه كان علىٰ درجة من التواضع بحيث لم يَر في نفسه ذلك ...

لقد قضى سحابة عمره في اتّباع خطوات معلّمَيْه الكبيريْن ؛ آقا بزرك والشيخ الأميني ، وثلاثتهم أسدَوا خدمة كبيرة لجميع طالبي العلم والمعرفة، لأنّهم جعلوا من أعمال غيرهم في متناول الجميع ...[1]) .

٥٨٦ الشاه يمشي الىٰ الوراء !

لما استولىٰ نادر شاه علىٰ العراق ذهب الىٰ مدينة النجف الأشرف ، فزاره بعض العلماء رهبة أو رغبة ، الاّ أحد العلماء لم يخرج لزيارته .

فأمر الشاه وزيره أن يذهب اليه ، وكان يعني عدم ذهابه الىٰ الشاه يحمل مفهوماً سياسياً إذ سوف يأمر بهدم داره وإعدامه وأسرِ عائلته !

ذهب الوزير الىٰ العالِم واخبره بالأمر ، ولكن العالم أبىٰ المجيء الىٰ الشاه ، وقال : فليفعل ما يشاء .

عندما عاد الوزير وأخبر الشاه بما قاله العالم ، ثار الشاه غضباً فقرّر أن ينفذ تهديده . أراد الوزير أن يخفف عليه ، ليصلح الأمر بالتي هي أحسن ، فقال للشاه : انه عالم واحد فقط ، والعلماء اعتادوا علىٰ أن لا يزوروا الأمراء والحال ان الذين زاروك ليسوا قلّة .

فسكن غيظ الشاه ، ولكنه قرّر فجأة زيارة هذا العالم من دون رفقة أحد سوىٰ الوزير .

وهكذا دخلا عليه فوجداه في بيتٍ بسيط جداً ، وكانت حجرته بالية من أثر الزهد .

قال له الشاه بتواضع : هل لك حاجة أقضيها لك ؟

قال العالم : لا أريد منك حاجة الاّ واحدة ، وهي ان لا تؤذي الناس .

وافق الشاه علىٰ هذا الطلب ، فقام وخرج من البيت وهو يمشي القهقرىٰ !

يقول الوزير : استغربتُ من طريقة خروج الشاه ، فسألته كيف صرتَ أمامه هكذا وانت كنت عليه غاضباً ؟

قال الشاه : لقد رأيت في المنام قبل البارحة أن هذا العالم كان جالساً مع الامام عليّ عليه السلام [2].

---

(١) ـ المحقق الطباطبائي ذكراه السنوية الأولىٰ / ج ١ .

٢ ـ نقلا عن كتاب (مائة قصّة) تأليف آية الله العظمىٰ الشيرازي .

٥٨٧ الماءُ الصّافي والماءُ العَكِر

كان آية الله العظمىٰ السيد محمد جواد الطباطبائي التبريزي رحمه الله (المتوفىٰ سنة ١٣٨٧هـ) يحمل هموم الناس ويتألّم لمعاناتهم وعدم اهتمام السلطات العراقية بشؤونهم.

من الطريف ذكره انه قدس سره حقّق لأهل النجف ما حلموا به سنين طوال ، وهو (توفّر الماء الصحي) ، حتىٰ ذاع بينهم ان مشروع الماء الصحي في النجف الاشرف قد تمّ ببركة السيد محمد جواد التبريزي ، وذلك عندما زار نوري السعيد (رئيس وزراء الملك فيصل الثاني) علماء الحوزة العلمية في النجف الاشرف ، وفي هذا الاجتماع أمر السيد التبريزي بأن يأتوا بقدحين ، في احدهما الماء الصافي وفي الآخر الماء العكر ، ولما وُضِعا أمامه ، خاطبه السيد: الماء الصافي لك والماء العكر للناس !

فأدرك رئيس الوزراء ما يقصده السيد ، فأصدر أمراً للبلدية بأن تُنْشِيء مشروع تصفية الماء ، وتُنْصَبَ اول خزّان للماء الصحي ، ما يزال قائماً في محلة المشراق . [1]

قال رسول الله صلى الله عليه وآله : «مَن واسىٰ الفقير وأنصف الناس من نفسه فذلك المؤمن حقاً»[2].

٥٨٨ عدالتُهُ لم تَسقُط عندي

كان الشيخ ميرزا محمد تقي الشيرازي ـ قائد ثورة العشرين في العراق سنة ١٩٢٠ م ـ يشترط العدالة في صحة العبادات الاستيجارية ، فكان لا يعطي صلاة أو صوماً بالنيابة عن ميّت مقابل مقدار من المال الآ ان يتأكد عدالة الرجل .

فذات مرّة جاء فقير من المؤمنين يطلب من الشيخ أن يعطيه عبادة استيجارية فلم يكن آنذاك عند الشيخ مال لهذا الغرض فاعتذر إليه الشيخ ، فغضب الرجل وشتم الشيخ وهو يخرج من عنده .

وبعد أيام وصلت الىٰ الشيخ أموال خاصة بالعبادة الاستيجارية فأرسل بعض المال الىٰ

---

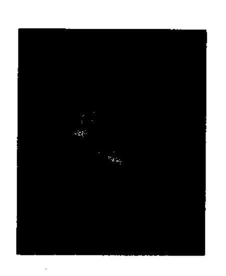
١ ـ نشرة المبلّغ الرسالي / الصادرة في حوزة قم المقدسة ـ العدد / ٤٩ .

٢ ـ بحار الأنوار / ج٧٥ ـ ص٢٥ .

ذلك الرجل ليقوم بالواجب . ولكن المبعوث وهو أحد مقرّبي الشيخ قال له : إنكَ تشترط في صحة هذه العبادة عدالة الرجل وهو فاقد لها بعد شتمه لسماحتكم .

فقال الشيخ : ان شتمه كان بسبب ضيق المعيشة والفقر الشديد ، فلم تكن كلماته التي نال منّي بها في تلك الحالة صادرة عن قلبه وبمحض ارادته ، فعدالته عندي لم تسقط [١].

٥٨٩ مِن سيرة المحبّين



السيد عباس الميلاني

سماحة آية اللّه الحاج السيد عباس الحسيني الميلاني (رحمه اللّه) نجل المرجع الراحل آية اللّه العظمىٰ السيد محمد هادي الميلاني قدس سره تشرّفت برؤيته سنة (١٣٩٤هـ ـ ١٩٧٤م)في منزل المرحوم آية اللّه الحاج الشيخ الطبرسي والد سماحة الشيخ نجم الدين والشيخ عباس (حفظهما اللّه) حيث عمّمني بنفسه ولم أكمل الرابع عشر من عمري وكان معي ثلاثة من زملائي الطلبة البحرانيين .

كان آية اللّه السيد عباس الميلاني عطوفاً مع الناس ، ولم يكن يتضجّر من بلاهة شخص أو جهله أو قلّة فهمه ، بل كان يتلطّف في مخاطبة الناس علىٰ قدر عقولهم بكل طلاقة وجه ورحابة صدر ، حتىٰ يُضرَب به المثل بين رجال الدين في أخلاقه هذه .

يقول ابنه آية اللّه الحاج السيد محمد الحسيني الميلاني ـ من علماء مشهد المقدسة ـ: قد حالفني الحظ أن كنت بخدمته في سفرتين الىٰ حج بيت اللّه الحرام فشاهدت حالاته المعنوية، وخلوصه للّه ، ومواظبته علىٰ طاعته وعبادته ، مالم أُشاهده في غيره ، فكان حينما يلّبي حول البيت الحرام ينطق بكلمات التلبية من صميم فؤاده ونياط قلبه وبكل مشاعره وأحاسيسه ، وكان يقول لي : إياك والغفلة عن إمامك الحجّة المهدي (عجّل اللّه فَرَجَه) فهو يحضر الموقف كل عام ، فاغتنِم الفرصة ولاتفوتك ، فهو يراك من قريب ، فعليك أن تطلب من اللّه أن يرزقك مشاهدته هنا ، فكم من مؤمن رزقه اللّه ذلك .

ويضيف السيد الميلاني : كنت أراه حينما يتعلّق بأستار الكعبة في المستجار يبكي ودموعه تجري حتىٰ تُبِلّ صدره وهو يقول : الهي قد تعلّقتُ بأذيال رحمتك فلاتحرمني.

---

١ ـ كتاب عن حياته / ص ٧٤.

وأما في النجف الاشرف فقد كان يخرج قُبيْل الفجر الىٰ زيارة جدّه أمير المؤمنين عليه السلام فيقف خلف باب الصحن قبل أن يُفتَح مشتغلاً بالمناجاة العلوية ، وعند فتح الابواب كان يخلع نعليْه عند باب الصحن الشريف ثم يدخل الحضرة المقدسة بكل أدب وخضوع وخشوع إذ كان مولعاً بحبّ أهل البيت : فيقبّل الابواب والجدران والضريح المقدّس وهو يترنّم بهذا الشعر :

أمُرُّ علىٰ الدّيارِ ديارِ جَدّي ... أُقبِّل ذا الجدارِ وذا الجدارا
فما حُبُّ الدّيارِ شَغَفْنَ قلبي ... ولكنْ حُبُّ مَنْ سَكَنَ الدّيارا

ولاأنسَ ـ والكلام للسيد محمد الميلاني ـ حينما التمستُ منه أن يهاجر الينا ـ أي الىٰ مشهد المقدسة ـ فبكىٰ وقال : أتريد أن تبعدني عن علي عليه السلام ؟.

فندمتُ علىٰ ماقلتُ واعتذرت منه ، فآثر البقاء بجوار جدّه مع تحمل حرّ الصيف والأذىٰ، فنال الأمَّرين وتجّرع الغصص ، ولكنه لم يفارق مولاه حتىٰ أن نزل ضيفاً بساحته ورقد بجواره (يوم ٢٩ / جمادىٰ الاولىٰ / ١٤٠٣) فتغمده اللّه برحمته ورفع درجته وأجزل مثوبته ، وسلام عليه يوم وُلِدَ ويوم مات ويوم يُبعَث حيّاً ، وإنّا للّه وإنّا اليه راجعون ولاحول ولاقّوة الا باللّه العلي العظيم[1].

٥٩٠ مثالُ الصّبر علىٰ البَلاء

العالِم الورع الشيخ علي القمي النجفي ، عرفتْه النجف وعلماؤها بزهده العجيب ، وكان مثالاً للصبر علىٰ البلاء . جادّاً في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، لا تأخذه في اللّه لومة لائم . بذلك اشتهر بين الناس ، واتفقت كلمة أهل العلم والدين علىٰ انه أورع واتقىٰ وأعدل علماء عصره ، حتىٰ لقّبوه بـ(الزاهد) . كان يصلي الجماعة في مسجد (الهندي) فتأتم به جموع غفيرة ، ويتسابق الىٰ درْك صلاته صفوة العلماء وأهل الفضل .

كان شديد الصبر وأغضىٰ علىٰ القذىٰ في زمانه ، فقد توفي ولده في النجف ولم يجزع ، ولما عاد من دفنه ، وصله خبر وفاة ولده الآخر في ايران (الشيخ شريف) ، فخرّ ساجداً للّه ، ومجلس الفاتحة الذي أقامه للأوّل صار للاثنين . وكان يشكر اللّه علىٰ ما يصيبه من بلاء ، ويعتقد بأنه اختبار للعبد وتمحيص لذنوبه ـ كما هو مفاد الروايات ايضاً ـ.

---

١ ـ البلاسم في حل الطلاسم / ص١٨٨ بتصرّف .

ومن بلائه الذي شهد له الجميع بصبره العجيب عليه ، مرضه الذي توفي فيه . فقد اصيب في المجاري البولية ، وأُجريتْ له عملية لم تُجْدِه ، وصُنِع له مجرىً بول من خاصرته ، كما وذهبوا به الىٰ ايران غير مرة ، فلم ينفعه علاجٌ قطّ ، فظلّ أسير هذا المرض ورهن المنزل نحو عشر سنين ، وكان يزوره العلماء والأخيار والمحبّون وسائر المؤمنين ، فلم يسمع منه أحد من زائريه ولا من ممرّضيه في بيته خلال تلك السنين وهو في حالة يُرثىٰ لها كلمة يستشفّ منها معنىٰ الجزع أو السأم أو الشكوىٰ مطلقاً . بل كان لسانه يلهج بالحمد والشكر والرضا بأمر اللّه وقضائه وقدره ، الىٰ أن اختار اللّه له دار الإقامة بعد العشاء ليلة الأربعاء (٢٢ جمادى الثانية سنة ١٣٧١)[١] .

جاء في الحديث عن الامام الصادق عليه السلام : «الصبر من الايمان بمنزلة الرأس من الجسد ، فإذا ذهب الرأس ذهب الجسد ، كذلك اذا ذهب الصبر ذهب الايمان»[٢].

٥٩١ اللّهم صلّ علىٰ محمّد وآل محمّد

نقل آية اللّه المرحوم السيد محمد باقر الفشاركي الاصفهاني رحمه الله ان العالم الفاضل محمد بن سعيد وهو أحد أتقياء زمانه .. قال :

إنّني عاهدت اللّه تعالىٰ ان اصلي علىٰ النبيّ محمد وآله الطاهرين كلّ ليلة قبل النوم..

فذات ليلة رأيت في المنام رسول اللّه قد دخل عليّ في غرفتي ، فشعّ نوره النبوي وضياؤه الرباني جميع زوايا الغرفة وهو يقول : اين ذلك الفمّ الذي صلىٰ عليّ وعلىٰ أهل بيتي؟ أريد أن أقبّله .

فخجلتُ من كلامه صلى الله عليه وآله ولٰكنّي مكّنته من تقبيل وجهي .. فقبّلني وخرج من الغرفة .. وبعد أن انتبهت من النوم وجدت الغرفة تفوح منها رائحة الطيب ، فغمرني سرور وفرح عظيم، وبقيتْ هذه الرائحة في اجواء الغرفة مدة ثمانية أيامٍ ، وكان الناس يأتون ويشمّونها مستغربين . [٣] «اللّهم صلّ علىٰ محمد وآل محمد ، وادخلنا في كلّ خير أدخلتَ فيه محمداً وآل محمد وأخرجنا من كلّ سوء أخرجتَ منه محمداً وآل محمد».

---

١ ـ نقباء البشر / ج ٤ ص ١٣٢٣ ـ اقتباس . ٢ ـ اصول الكافي / ج٢ ـ ص٨٩.
٣ ـ خزينة الجواهر / ص ٥٨٩ .

٥٩٢ شخصيّةٌ إسلاميّةٌ

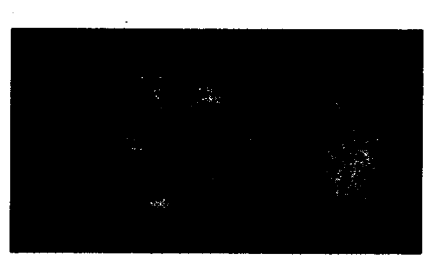
تميّز الخطيب البارع والعالم الفاضل سماحة الشيخ محمد تقي الفلسفي (دام ظلّه) بثلاثة عناصر قوّة في محاضراته :



السيد المدرسي والشيخ الفلسفي

- المقارنة العلمية بين المفاهيم الاسلامية وما افرزه العلم الحديث .

- الشجاعة في قول الحق بحكمة ، من حيث اختيار الزمن ودرجة الجهر به .



المؤلف زمن خاطرته

- الأسلوب الخطابيّ الجذّاب وطريقته المتسلسلة في ربط الكلمات الجميلة وطرح الافكار فيها .

لذلك أصبح الشيخ الفلسفي خلال العقود الثلاثة الاخيرة (أعني ثلاثين عاماً) نجم الخطابة في ايران . ومن حيث ما امتاز به فقد تفوّق علىٰ غيره حتىٰ في أوساط الخطابة خارج ايران ، فكانت اشرطته تتناقلها أيدي الشباب المثقف في العالم الاسلامي الناطقين بالفارسية . ولما جُمعتْ محاضراته وطبعتْ في هيئة كتاب ثم ترجمتْ الىٰ العربية وخاصة كتابه (الطفل بين الوراثة والتربية) أخذ الإقبال عليه يزداد في الوسط العربي بشكل عظيم ، حتىٰ أُعيدت طباعة الكتاب في بيروت عدّة مرات . وكنت من المعجبين بهذا الخطيب الىٰ درجة بتّ أقلّده في تمرين الخطابة التي كنا ندرسها ونمارسها في النجف الأشرف. ولقد دفعني إعجابي بالشيخ الفلسفي الىٰ أن أفتش عنه الازقّة في طهران قبل انتصار الثورة الاسلامية بثلاثة أعوام ، وذلك خلال سفري من العراق الىٰ ايران في بداية سنة (١٩٧٦م) تقريباً ، والذي زرتُ فيه بعض كبار الاساتذة في حوزة قم المقدسة ايضاً من أمثال آية اللّه الشيخ ناصر مكارم الشيرازي وغيره ؛ حيث كنت معجباً كذلك بمؤلفاته التي كان يعالج فيها مشكلة الشباب والقضايا الاجتماعية .

أتذكر يوم كنتُ اسأل أصحاب الدكاكين في المحلّة التي كان يسكنها الشيخ الفلسفي في

طهران لم أكن أعرف شيئاً عن (السافاك والمخابرات الايرانية) ولم أعرف أن الشيخ بسبب خطاباته الثورية في تأييد حركة الامام الخميني والتفاف الناس وخاصة شباب الجامعات حوله كان مراقباً من قبل العيون الشاهنشاهية ، فعلىٰ طريقة الشباب ـ اذ كنتُ يومئذ في مطلع السادس عشر ـ كنتُ أسأل ممّن في الطريق عن بيت الشيخ الفلسفي وأنا معمّم . فبعضهم كان يجهل منزله وبعض يتجاهله ، وبعض لم يكلّف نفسه غير كلمة (هناك) فيبتعد عني ، وأخيراً طرقتُ الباب ، ففتح الخادم وأرشدني الىٰ غرفة الاستقبال .

وبينما كنت جالساً في غرفة الانتظار كانت تجوب مخيلتي انطباعاتي التي كوّنتها عن شخصية الشيخ من خلال استماعي لصوته وافكاره ومطالعتي لكتبه طيلة عامين . وفي الأثناء دخل الشيخ بعمّته الصغيرة وجبّته الرمادية اللّون، وكانت لحيته تميل الىٰ البياض معتدلة غير طويلة ، وهو قصير القامة ضعيف البنية ساطع الوجه ، هشّ بشّ .

اعتنقته وقبّلتُ جبهته ، فجلس خلف منضدته الصغيرة وجلستُ مقابله ، لأن النظر الىٰ وجه العالم عبادة ، كما تعلّمناه من الأحاديث التربوية في الاسلام .

عرّفته نفسي أوّلاً وقلتُ : أنا طالب علم من البحرين ، أدرس في حوزة النجف الأشرف ، وأنا كثير الاستماع الىٰ محاضراتكم ، لذلك جئتُ زائراً وأملي أن تقدّموا لي مايفيد مستقبلي .

فقال الشيخ متواضعاً : أنتم في النجف الأشرف وعندكم رجل كآية اللّه السيد محمد باقر الصدر ، تأتي عندي لتستفيد ؟ !

قلتُ : شيء لا يلغي شيئاً ، كلكم من منهل خير واحد .

هنا جاء الخادم وقطع حديثنا بقوله للشيخ : انهم حاضرون .

فقال له الشيخ : طيّب ، سأحضر الآن .

التفت اليّ الشيخ وقال : عندي جلسة هامّة ، وسوف أعود اليك بعدها .

قلتُ : حسناً ، أنا انتظرك ، ولا تبتئس لوحدتي .

فبعد خروج الشيخ الىٰ الغرفة الأخرىٰ ، وكما يبدو انها كانت خاصة ببعض اللقاءات ، دخل اثنان في غرفة الاستقبال ، أحدهما شاب فاقد عينيْه والثاني يظهر انه أبوه .

سألتهما عن سبب عمىٰ الشاب انطلاقاً من حبّ الاستطلاع ، فقال الأب : انه مهندس ذو كفاءة وذكاء خارقين للعادة ، طلبتْ منه المخابرات الايرانية أن يتعاون مع الحكومة في أمور

لم يقرّها الاسلام ، فرفض التعاون معهم ، فأودعوه السجن وأعادوه اليّ هكذا ، وقد جئنا لنلتمس الحلّ من الشيخ .

وبينما كنّا في هذا الحديث اذ دخل الشيخ الفلسفي ، فما أطلتُ الجلوس كثيراً ، وذلك لأترك الشيخ مع مهامّه فيما يرتبط بهذا الشاب العزيز ، وهكذا ودّعت الشيخ والاخوة هناك وكان السرور يغمرني باللقاء مع هذه الشخصية الاسلامية .

والجدير بالذكر أني زرته أيضاً قبل عامين (سنة ١٩٩٤م ـ ١٤١٥هـ) برفقة آية اللّه الحاج السيد محمد تقي المدرسي وجلسنا في نفس تلك الغرفة ، واذا بالذكريات تجسّمتْ أمامي مرة ثانية !

٥٩٣ ادّعىٰ لزوجته العمىٰ

تزوج احد العلماء فتاة صالحة عفيفة، ولم تمض مدة حتىٰ اصيبت زوجته بمرض جلدي شوّه جمالها فأزرىٰ بها !

فادعىٰ هذا العالم الزاهد انه فقد بصره، وبات لا يرىٰ شيئاً ! فعاشا سعيدَيْن مدّة عشرين عاماً حتىٰ توفتْ المرأة فأظهر العالم انه يرىٰ، وكان سبب ادّعائه بذهاب نور بصره اول الأمر أن لا تستكين زوجته أمامه، وتتألم نفسياً من جرّاء ذلك[1].

انه قمة الايثار وحب الآخرين والتزام الانسانية في العلاقات الزوجية . ولم ينقل التاريخ اسم هذا العالم الجليل، ويكفيه فعله أن جعله محفوظاً في قائمة الاجلاّء عند اللّه تعالىٰ .

٥٩٤ بدايات التربية الصالحة

كان والد الشيخ محمد تقي المجلسي بيّاع حنطة، اراد ان يسافر لمدة قد تطول .. فجاء بولديه (محمد تقي ومحمد صادق) الىٰ العالم الكبير الشيخ عبد اللّه التستري، وطلب منه أنْ يدرّسهما العلوم الاسلامية واوصاه بولده محمد تقي، فهو اكثر ذكاء ورغبة في طلب العلم . مرت الأيام حتىٰ دخل يوم العيد، فأعطىٰ الأستاذ لتلميذه محمد تقي ثلاثة توامين (عيدية) ، وقال له : اصرف هذه في حاجاتك الضرورية .

امتنع الصبيّ من اخذ هذا المبلغ، وقال : انني لا آخذ شيئاً من دون إذن والدتي ، فعليّ أن أستأذنها أولاً !

---

١ ـ كتاب بالفارسية رنگارنگ ج٢ ـ ص١٨٦ .

عاد الىٰ البيت واخبر أمّه بالموضوع ، فقالت له : «يا ولدي ، لقد ترك ابوكما حنطة في الدكان وقد قسّمتها لسدّ حاجاتكما، واذا اخذتَ العيدية من الشيخ فسوف تتعوّد علىٰ طلب المال من الآخرين، او تتوقع منهم ان يعطوك دائماً، وهذا امر لا يليق بنا» .

وفي اليوم الثاني دخل محمد تقي علىٰ استاذه، وأخبره بما قالته أمه، فرفع الشيخ يديه بالدعاء لهذا الصبيّ، ان يوفقه اللّه للعلم النافع والعمل الصالح وطول العمر.(١)

ولقد استجاب اللّه تعالىٰ هذا الدعاء، فأصبح هذا الصبي فيما بعد أحد كبار علماء الاسلام، كما وأصبح له ولد أيضاً عظيم الشأن رفيع المنزلة، هو العلامة الكبير الشيخ محمد باقر المجلسي صاحب الموسوعة الاسلامية الشهيرة (بحار الانوار) التي طبعتْ حديثاً في اكثر من مائة وعشرة مجلدات، وله غيرها من المؤلفات التي خدم بها الفكر الاسلامي، ذلك من نتاج التربية الصالحة .

٥٩٥ أ مِنَ العَدلِ يابنَ الجهلاء ؟!

سمعتُ أحد العلماء يقول : كان جاهل في زي العلماء يشتم العلامة الشيخ محمد جواد مغنية ويأخذ عليه قلّة سنوات دراسته في حوزة النجف الأشرف ، حيث أنها لم تتجاوز (١١ عاماً) ، بينما قضىٰ غيره عشرين أو ثلاثين أو أربعين عاماً !

ولكنّ الشيخ مغنية ـ الذي فرض علميته ونشاطه الثقافي الواسع حتىٰ علىٰ مخالفيه ـ ردّ علىٰ هذا القائل : بأن الصحيح أن يُقال كم ساعة درس في النجف وليس كم سنة ، ذلك لأنّه قد يدرس شخص ساعتين في اليوم طيلة عشرين عاماً بينما يدرس شخص آخر (١٤ ساعة) في اليوم الواحد طيلة خمس سنوات .

وهكذ فان الحساب بالسنوات ليس مقياساً صحيحاً وميزاناً دقيقاً وانما الصحيح هو الحساب بمنطق العقل والعدل وآثاره في شخصية صاحبه .

٥٩٦ ثلاث إضاءات للمرجعية

نقل سماحة آية اللّه الدكتور الشيخ محمد الصادقي (دام ظلّه) أن تاجراً من الأثرياء أتىٰ الىٰ المرجع الكبير السيد البروجردي (أعلىٰ اللّه مقامه) وقدّم اليه أموالاً ليست قليلة من حقوقه الشرعية .

---

١ - الفوائد الرضوية / ٤١٢ .

فسأله السيد : من أهل أي مدينة أنت ؟

قال التاجر : من مدينة همدان (الايرانية) .

فقال السيد : هل هناك عالمٌ يدير شؤون المدارس الدينية ؟

قال التاجر : نعم عندنا الشيخ آخوند ملاّ علي الهمداني .

فقال السيد : خُذ هذه الأموال اليه .

ويصدر هذا الموقف النبيل من السيد البروجردي في الوقت الذي لم يكن الشيخ الهمداني من جماعة السيد ، بل حسب علمي كان بعض الحواشي يشوّهون صورة الشيخ في ذهن السيد ! ولكن السيد البروجردي لم يكن يتأثر بهذه التوافه ، حقاً بهذه الروح الكبيرة والصدر الواسع يصبح الفقيه المرجع أباً للجميع .

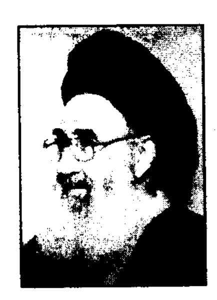
أقول : في هذه القصة نستلهم ثلاث اضاءات غائبة لدىٰ المتورطين في الخلافات (أعاذنا الله منهم ومنها) :

١ ـ إنّ المرجَع يجب أن لا يُحصر نفسه في معلومات يسرّبها اليه الحواشي ، بل عليه أن يستمع الىٰ أكثر المصادر .

٢ ـ إنّ الحقوق الشرعية ليست أموالاً شخصية للمرجع وانّما حقّ من خلاله يُعطىٰ للمشاريع الدينية العامة .

٣ ـ إن المحسوبيات والتقسيمات الفئوية ليست من القيم المشروعة في الزعامة الاسلامية ، لأنها تمزق الأمة الواحدة وتقتل في المرجع روح الأبوّة القيادية .

٥٩٧ بسم الله خير الأسماء



السيد محمد الوحيدي

بهذه الكلمة الطيّبة افتتح لي سماحة آية الله العظمى السيّد محمّد الوحيدي (دام ظلّه العالي) رسالته التالية قائلاً: الغرض من هذه السطور هو إجابة طلب عمدة الأعزّة مروّج الأحكام الشيخ (عبدالعظيم المهتدي البحراني) لأكتب له ما ينقله عنّي في كتابه: إنّني أرى أهمّ فائدةٍ أبيّنها باختصار هو التذكير بالإخلاص الذي أراه أفضل عمل القلب. فمن وحي تجربتي الشخصيّة طول حياتي

قد ثبت عندي واضحاً بأنّ أي عملٍ شرعتُ فيه بإخلاص النيّة لله سواءً كان عملاً علميّاً أو إجتماعيّاً فانّه أثمر نتائج حسنةٍ وملموسةٍ في حياتي، ونلتُ بها إلى فوائد دنيويّة ومعنوية. ونقرأ في الآية الشريفة الأمر بالإخلاص ﴿وما أُمروا إلّا ليعبدوا الله مخلصين له الدين﴾ وفي الحديث (مَن أخلص لله أربعين صباحاً جرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه) إنّني أُوصي شيعة أمير المؤمنين بالإخلاص.

٥٩٨ النّظرُ الىٰ الآخرة

قال المرجع الديني آية اللّه العظمىٰ السيد محمد الشيرازي (دام ظله) :

جاء الىٰ والدي ﷺ رجل وأراد أن يسلّمه مبلغاً من الحقوق الشرعية ، أظنه سبعة عشر ألف دينار ، وهو مبلغ يكفي لرواتب شهرية يدفعها الوالد للطلبة والفقراء مدّة أربعين شهراً وذلك قبل أربعين سنة تقريباً ، ولكن الوالد لم يقبل المال لإشكال رآه فيه ، وكلّما اصرّ صاحب المال أن يقبله أبىٰ وامتنع .

ولما ذهب الرجل قلت للوالد : ان هذه حقوق شرعية وانّك اذا أخذتها أعطيتها لطلبة العلوم الدينية والفقراء والمؤسسات والمشاريع الخيرية ، فما المانع من أخذها ؟

فنظر اليّ وقال : يجب علينا ان نفكّر في آخرتنا ، لا أن يغرّنا المال الذي نراه كثيراً .

لقد ترك الوالد ﷺ ذلك المبلغ الكبير عملاً بقول اللّه تعالىٰ : ﴿ فلا تَغُرّنّكم الحياةُ الدّنيا ولا يغُرّنّكم باللّهِ الغَرور ﴾[1] .

فالوالد ﷺ كان يخاف اللّه واليوم الآخر لأن له موقفاً في الآخرة يُحاسَب فيه علىٰ كلّ شيء، وكان يقول لي مرّات ومرّات : ان الانسان يجب أن يعمل في الدنيا ما لا يخجل منه أمام الناس عند الحساب في يوم القيامة [2].

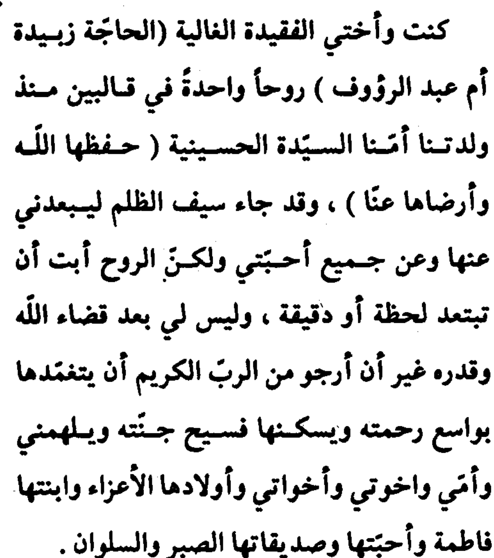
هذا ولقد توفي المرجع الورع الميرزا مهدي الشيرازي في كربلاء سنة (١٣٨٠) من الهجرة النبوية ، وحدث في ذلك اليوم الحزين خسوف في الشمس حتىٰ صلّىٰ الناس صلاة الآيات أيضاً ، وسجّل العلماء ذلك أنه لاينفصل عن مصيبة فَقْدِ هذا السيد الورع العظيم .

---

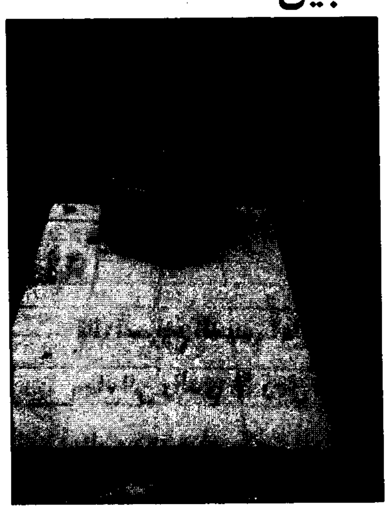
١ ـ سورة لقمان / ٣٣.

٢ ـ الصياغة الجديدة لعالم الايمان والحرية والرفاه والسلام / ص ٢٤٥ .

٥٩٩ روحاً واحدةً في قالبَيْن !



كنت وأختي الفقيدة الغالية (الحاجّة زبيدة أم عبد الرؤوف) روحاً واحدةً في قالبين منذ ولدتنا أمّنا السيّدة الحسينية (حفظها اللّه وأرضاها عنّا) ، وقد جاء سيف الظلم ليبعدني عنها وعن جميع أحبّتي ولكنّ الروح أبت أن تبتعد لحظة أو دقيقة ، وليس لي بعد قضاء اللّه وقدره غير أن أرجو من الربّ الكريم أن يتغمّدها بواسع رحمته ويسكنها فسيح جنّته ويلهمني وأمّي واخوتي وأخواتي وأولادها الأعزاء وابنتها فاطمة وأحبّتها وصديقاتها الصبر والسلوان .



قبر شقيقة المؤلف في مقبرة المحرّق بالبحرين

كانت (رحمها اللّه) محترمةً عندنا وموقّرةً عند صديقاتها لشدّة التزامها الديني وأخلاقها الفاضلة ، هكذا عرفتْها صديقاتها وعرفناها فترة حياتها القصيرة (٤٢ سنة).

وكم من صديقاتٍ لها وأقارب لنا رأوها في المنام مستبشرةً ، ولا أنسىٰ يوم كنت في الدنمارك إذ وافتها المنيّة في مستشفىٰ السلمانيّة في البحرين فاتّصل بي الأقارب والأصدقاء هاتفياً وهم يبكون ، واتّصل صديقٌ لي يدرسُ في أمريكا فأجهش بالبكاء ولم يستطع أن يتمالك نفسه ، وسمعت أن مقبرة (المحرّق) في البحرين لأول مرّة تشهد ذلك التشييع العظيم والحضور الكبير في مراسم الدفن والتوديع ممّا يدل علىٰ مكانتها في القلوب وسُمْعتها الطيّبة ، فهنيئاً لها .

لذلك كنت بعد وفاتها متألّماً وأنا مهتمٌّ برؤيتها في منامي للسؤال عن حالها في عالم البرزخ ، فقرأت في ليلة المأثورَ من الأدعية الخاصة لهذا الغرض ، ثمّ نمت فإذا أنا في ساحة بيتنا القديم في البحرين ، أقبلتْ المرحومة نحوي بثيابٍ بيض كالإزار الذي تصلّي فيه المؤمنات وهو لباس أهل الجنّة كما في الروايات ، فبمجرد أن وقع نظري عليها علمت أنّها ميّتة فاحتضنتني وقبّلتني ، وبينما كنت في رهبة خفيفة كانت البشاشة تعلو وجهها النَّضِر

سألتها عن حالها ؟

قالت : ارتياحٌ كامل .

قلت : هل تشاهدين ما يدور بيننا في الدنيا أو تصلُكِ أخبارنا ؟

قالت : لا أُشاهد ولكن أخباركم تصلنا ولعلّها آثار ما تعملون في الدنيا .

قلت : هل ما أعمله مقبول عند اللّه ؟ (وهذا السؤال جاء انطلاقاً من نقاشٍ دار بيني وبينها قبل وفاتها جرّاء كلمات غير مسؤولة طرقت سمعها من أناس تؤسفني حالُهم) !

قالت : حسب علمي انّه مقبولٌ ومبروك .

قلت : هل تستطيعي الإفساح عن وضعكِ في عالمكِ الجديد ؟

قالت : باختصار ، أنا مرتاحةٌ جداً ولكن الطعام الّذي يقدّمونه إليّ قليل أحياناً .

وهنا رأيتها التفتتْ يميناً ويساراً وقالت اسمح لي بالذهاب لأنّ وقتي قصير لابدّ لي أن أعود الآن . وبينما هي بعدت عنّي خطوات شفّافيّة إذ دخل ابنُ أختي فضيلة الشيخ يحيىٰ (دام عزّه) ، فصعدت المرحومة باتّجاه الحائط جهة القبلة صعوداً لا يشبه صعود الأجسام أبداً وكانت تنظر إليّ تارةً وإلىٰ الشيخ تارةً وترسل نحونا ابتساماتها السّارّة ، وكنت أقول للشيخ أسرع فهذه خالتك المرحومة قد ذهبت .

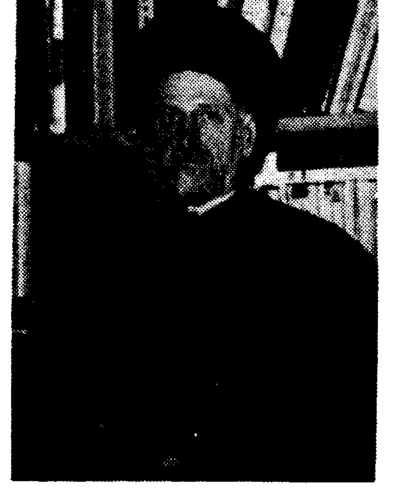
ولمّا انتبهت من النوم فسّرت كلامها (رحمها اللّه) عن قلّة الطعام أنها بحاجة إلىٰ خيرات وفاتحة ، لذلك قرّرت فوراً أن أكتب كرّاساً حول الإمام الرضا ﷺ وما يتعلّق بآداب السفر وحكمة الزيارة للعتبات المقدّسة يوزّع مجّاناً لزوّار الحرم الرضوي الشريف كي يقرأوا سورة الفاتحة المباركة علىٰ روحها الزكيّة وروح والدي أيضاً . ولقد تمّ طبع الكرّاس باسم (موجز في السفر والزيارة) وتمّ التوزيع للّه الحمد .

أجل يا أختاه ويادمعة قلباه لن أنساك ، ولأجلك عانيت خطورة وجشوبة السفر من الدنمارك إلىٰ أقرب نقطة من قبرك وهي مطار البحرين الدولي في المحرّق لقراءة آيات من القرآن الحكيم هناك عند قبرك ، ولكنّهم لم يسمحوا لي أن أقترب منك وأنا ابن البحرين المُبعد عنها أكثر من أربعة عشر عاماً وإلىٰ اللّه المشتكىٰ .

ففقدكِ الأليم يا أختاه قد أحزننا ، وغيابكِ السريع قد أبكانا ، وتكفينا دموعنا من بعدكِ لكلّ حياتنا ، فسلامٌ عليكِ يوم ولدتِ فولدتْ معكِ الأفراح ، ويوم عشتِ وعاش معكِ

الخير، ويوم متّ فماتت الأفراح والخير من حولكِ، ولكن اللّه كريم وما صبرنا إلاّ باللّه العلي العظيم، فأنْتِ من السابقين ونحن من اللاحقين، تلك هي سُنّة الحياة والحمد للّه ربّ العالمين.

٦٠٠ مسيرةُ عُمْرٍ مُبارك


السيد عبد الرضا الشهرستاني

بين الولادة والوفاة مسيرة عمر مبارك إذا عرف صاحبه الإجابة على أسئلة ثلاث: من أين وفي أين وإلى أين؟

وكم من أُناس صار عمرهم وبالاً عليهم وعلى وغيرهم حينما جهلوا الإجابة على تلكم الأسئلة المصيرية.

آية الله السيّد عبدالرضا الحسيني المرعشي الشهرستاني (أعلى الله مقامه).. واحد من أُولئك الذين عرفوا من أين جاؤوا وفي أين حلّوا وإلى أين ينتهوا؛ لذلك عاش عمراً مباركاً ورحل عن الدنيا بهناء، مبروك له ذلك ولكلّ الذين من أمثاله.

وُلد هذا العالم الجليل سنة (١٣٤٠هـ) في مدينة كربلاء المقدّسة ونشأ في مدارسها الدينية وحضر المراتب العالية من دروس الحوزة عند آيات الله العظام السيّد ميرزا مهدي الشيرازي والسيّد محمّد هادي الميلاني والسيّد عبد الحسين حجّت والشيخ مرتضى الآشتياني والشيخ يوسف الخراساني وغيرهم من أساطين العلم والفضل.

وفي سنة (١٣٧١هـ) قام سماحته ﷺ بتأسيس مدرسة الإمام الصادق عليه السلام وجمع فيها بين المنهج الحوزوي والمنهج العلمي الحديث، واستطاع بهذه البادرة البنّاءة أن يجلب الشباب إلى الدين، وينشىء منهم جيلاً بنشأة أخلاقية متقدّمة.

وكان السيّد الشهرستاني ﷺ يستعين في هذا المشروع من زملائه السادة الأفاضل، أمثال آية الله السيّد محمّد الشيرازي والسيّد صادق القزويني والشيخ جعفر الرشتي

والشيخ عبّاس الحائري، ومن الحاج محمّد حسن الوكيل والحاج محمّد جواد الصائغ والحاج محمّد صدقي.

وعلى ذات المسار شيّد سماحته أيضاً مدرسة إسلامية أُخرى وربّىٰ فيها رجالاً صالحين يتصدّون للإنحرافات الفكرية والأخلاقية الخطيرة التي اجتاحت العراق آنذاك.

وقام السيّد الشهرستاني الجليل وبالتعاون مع آية الله السيّد محمّد الشيرازي والشيخ جعفر الرشتي والشيخ محمّد هادي المعرفة في مدرسة الهندية بتأسيس مكتبة قيّمة حوت خمسة آلاف نسخة من كتب مطبوعة ومخطوطة، ينتفع منها المثقفون وطلّاب العلوم الدينية.

ومن أعماله الفكرية القيّمة تأسيسه للجمعية الثقافية الدينية سنة (١٣٧٠هـ) التي أخذت على عاتقها نشر المفاهيم الثقافية من وحي الإسلام المحمّدي، فكانت تصدر صحيفة باسم (القدوة)، يجيب فيها سماحته على الأسئلة الدينية والشبهات الفكرية. ثم نشرتها مجلة (رسالة الشرق) على شكل مقالات تعميماً للفائدة، وتزامناً كان يضخّ آية الله الشهرستاني في عطائه الفكري في القلوب التوّاقة إلى الدين من مدّة خمسة عشر عاماً عبر مجلّة شهرية كان يصدرها باسم (أجوبة المسائل الدينية)، وبذلك يصحّ القول انّه ساهم بجهوده الطويلة في بناء الأُسس العقائدية والفكرية للمجتمع الشيعي في العصر الحاضر.

ولم يعتزل منبر التدريس للعلوم الحوزوية رغم كثرة مهامه واشتغالاته الدينية والتزامه بإمامة المصلّين في صحن حرم الإمام الحسين عليه السلام فكان من بعد صلاة الصبح إلى شروق الشمس يدرّس ثلاث دروس، ما عدا تدريسه الإعتيادي في طول النهار.

عُرِف السيّد عبدالرضا الشهرستاني بخصال أخلاقية رفيعة، فكان محمود الذكر بها عند الناس والعلماء وأُسرته الكريمة، فالمبادرة إلى الخير كانت الصفحة البارزة من تلك الأخلاق فلم يتردّد في الإقدام والتنفيذ كلّما حطّ مورده بين يديه، حتّى أسّس لذلك مؤسّسة خيرية وفتح مستوصفاً للأطفال في كربلاء، فكان مشكور السعي عند الفقراء.

وعن اخلاقه العائلية، ينقل أقرباؤه انّه رحمه الله كان وصولاً لأرحامه سيّما في شهر رمضان المبارك.

وقالوا عن حسّه الإنساني الرقيق انّه كان يبكي مجرد سماعه عن مظلوم، يقول زميله آية الله الشيخ حسين سيبويه (دام ظلّه): لمّا نفت الحكومة العراقية أخي من العراق، جئت إلى السيّد عبد الرضا الشهرستاني وحكيت له بعض المشاكل التي رافقت هذا الظلم، فأخذ السيّد يبكي متألّماً بشدّة. وكذلك في مجالس القراءة حول مصائب الإمام المظلوم سيد الشهداء الحسين بن علي عليه السلام وما جرى على عياله وأصحابه في كربلاء لم يتمالك من البكاء وسكب الدموع الغزيرة.

وعلى صعيد الورع في المال، يُنقَل أنّ أحد خدّام الحائر الحسيني ـ وكان غير ملتزم دينياً ـ قد أتىٰ بثريّ يريد أن يخمّس أمواله عند السيّد، فلم يقبل السيّد إجراء عملية التخميس وإستلام الخمس، لأنّ الخادم المرافق للرجل كان يطمع أن يعطيه السيّد من ذلك المال شيئاً.

ويدلّك على قلبه التقي وورعه المتأصّل في نفسه الكريمة ايضاً انّه لم يحجّ إلى بيت الله الحرام رغم الأموال التي كانت تجتمع لديه بصفته ممثّل المرجع الأعلى السيّد أبي القاسم الخوئي قدس سره، وهل تعلم لماذا؟

فقد أجاب سماحته على هذا السؤال حينما سأله أحد المستغربين عن ذلك، فقال: انّها ليست أموالي الشخصية كي تجلب لي الإستطاعة، بل هي أموال مستودعة عندي لتشييد مشاريع إسلامية.

ولعمري، كم يعيش بعض الوكلاء بعيداً عن هذا الورع!

هذا ولم يلاحظ على آية الله الشهرستاني غياباً عن القضايا السياسية ذات الصفة الجهادية في حياة الأمة فقد ساند مراجع الشيعة في صدّهم للشيوعية التي بدأت تجتاح العراق فترة الخمسينيات الميلادية، وكان لوقوفه إلى جانب المرجع الديني السيّد محسن الحكيم قدس سره في فتواه الشهيرة (الشيوعية كُفر وإلحاد) أثر عميق في دحض تلك التيارات المنحرفة الوافدة. ولم يكن السيّد الشهرستاني ليخشى تهديدات الشيوعيين له بعد ما سقط قناعهم بين أيديهم فصاروا عراةً أمام الحقيقة الاسلامية.

وبالنسبة للقضيّة الفلسطينية كان آية الله الشهرستاني يرفض فيها الحلول القومية الضيّقة التي مزّقت اواصر الأمّة الإسلامية الواحدة وجعلتها هزيلة أمام الإعصارات

الإستعمارية، فلمّا حرّرت القوات المصرية قناة السويس وجزيرة سينا واسترجعت القوات السورية مرتفعات الجولان دعىٰ السيد جماهير كربلاء إلى اجتماع في حرم الإمام الحسين عليه السلام لأداء مراسم الشكر إلى الله والدعاء للنصر النهائي على الأحقاد الصهيونية ضدّ الأُمّة الإسلامية، هكذا كان يضفي الصبغة الإسلامية للقضية الفلسطينية.

وموقفه السياسي الآخر نقرؤه في تأييد الامام الخميني (رحمه اللّـه) عندما سمح لطلّاب مدرسته في كربلاء أن يُنشِروا قصيدة الشهيد المظلوم السيّد حسن الشيرازي التي قالها في الإمام الخميني بعد إنتفاضة خرداد عام (١٩٦٢م) ومطلع تلك القصيدة (الخميني العظيم، رائد الشعب الكريم، شعب ايران المجاهد)[1].

ومن المواقف السياسية التي وقفها آية الله الشهرستاني رحمه الله بدافع الوظيفة الشرعية موقفه الشجاع في وجه الحكومة العراقية لمّا أخرجت مئات الآلاف من الشيعة بذريعة أنّهم من اُصول فارسية، نُقِل انّه لما جاءه مدير الأمن (أبو عدنان) ومعه سبعة من معاونيه صارحه السيّد الشهرستاني بإحتجاجه على تسفير المؤمنين الشيعة والسادة من ديارهم وندّد بتلك الوحشية التي نفّذوها ضدهم والتي تذكّر الإنسان المسلم بعرب الجاهلية قبل الإسلام.

فقال مدير الأمن: هذا البلد لا يقيم فيه الا العربي وهو من يحمل الجنسية العثمانية!

فردّ عليه السيّد: عجباً تقبل شهادة الأتراك انّك عربي ولا تقبل شهادة الرسول صلى الله عليه وآله انّي عربي؟! ألست تخاطبني «سيّد»؟ أليس السادة من نسل النبي العربي محمّد بن عبدالله صلى الله عليه وآله؟

فسكت مدير الأمن وصار كالأخرس، إذ لم يجد حجّة يفنّد بها حجّة السيّد الشهرستاني الشجاع.

وأنّىٰ لمثل هذه الشخصية الإسلامية المسؤولة أن يتحمّل ما كان يشاهده من الظلم الفظيع والمكابرة البعثية علىٰ القيم الرسالية لذا اضطرّ أن يخرج من العراق سنة (١٣٩٦هـ) ويجاور في مدينة مشهد المقدّسة حرم الامام الرضا عليه السلام وكم كان صعباً على قلبه لما جاء إلى حرم جدّه الحسين عليه السلام ليزوره آخر زيارة بعد عمر كاملٍ من الجوار.

---

١ ـ راجع كتاب (كفاح العلماء الأعلام).

وبعد صبر طال (١٧) سنة على ابتلائه بمرض كابد الأمرّين منه في مشهد الامام الرضا عليه السلام كان عروجه الشامخ إلى الرفيق الأعلى في (٢٨ ربيع الأوّل سنة ١٤١٨هـ).

وخلّف من الأولاد الصالحين أُناثاً أربعة وذكوراً ثلاثة هم:

١ ـ السيّد زين العابدين. (من الرّواد الاوائل في مسيرة العمل الاسلامي، يعمل الآن في حقل التجارة والأعمال الخيرية).

٢ ـ العلّامة المفضال سماحة السيّد جواد، رجل الأخلاق النبيلة والمشاريع الرائدة في خدمة مذهب أهل البيت عليهم السلام (مدير أعمال عمّه المرجع الجليل سماحة آية الله العظمى السيّد علي السيستاني ـ دام ظلّه العالي).

٣ ـ العلّامة سماحة السيّد علي (باحث ومحقّق وكاتب جليل الشأن ومدير (مؤسسة آل البيت لاحياء التراث) في مشهد المقدسة.

وخلّف المرحوم الشهرستاني من مؤلفاته القيمة (٢٣) كتاباً، طُبع منه (١٢) والباقي مخطوط ينتظر النور.

وفي حياة هذا الرجل العظيم من علماء الشيعة الأعاظم قرأنا الملامح التالية: «المعرفة بالله» «الدفاع عن العقيدة» «المودّة لأهل البيت» «الإعتقاد بالشورى في العمل الجمعي» «عدم الفصل بين الدين والقضايا المصيرية للأُمّة» المواكبة العصرية في إطار المقدّسات الدينية» «الإهتمام بالجوانب الأخلاقية ورعاية الآداب المحمودة على كلّ الأصعدة» «الحالة الوئامية مع كل الجهات الاسلامية».

هذه خصائص العمر المبارك والمسيرة التي تنتهي إلى حسن العاقبة من دون شك، وفي الأمر هذا سرّ أختم بالكشف عنه هذه السطور:

كان والد هذا العالم الجليل آية الله السيّد زين العابدين لا يبقى له من أولاده الذكور أحد، فتوسّل بالإمام الرضا عليه السلام فرزقه الله ولداً ذكراً فسمّاه (عبد الرضا) لأنّه هدية من شفيعه الإمام الرضا عليه السلام، فبقي هذا الولد ولم يمت، حتى اكمل ٧٨ عاماً وأنجز خلاله تلك الخدمات البريكة والعطاء الزاخر ليكون مصداقاً لدعاء النبي عيسى عليه السلام كما حكاه القرآن الكريم: ﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكاً أَيْنَ مَا كُنْتُ﴾.

هذا وفي عودته إلى شفيعه الامام الرضا عليه السلام والوفاة والدفن في جواره من الكرامة

التي لا تخفى على ذوي البصائر والعرفان ﴿ فسلام عليه يوم وُلِدَ ويوم مات ويوم يُحشَر حيّاً﴾[١].

٦٠١ الفراسة نوع من الإختراق الروحي


السيدالمرعشي

نقل العلّامة الشيخ محمّد شريف رازي ﷺ أنّي تعرّفتُ على شرطي كان مستعفياً في زمن الشاه، سألته عن سبب إستعفائه فقال: فراسة نظر آية الله النجفي المرعشي جعلتْني أعتزل مهنتي!

فقلت: قل لي القصّة، ما هي؟

قال: ذاتَ ليلة من الساعة الثانية عشر إلى الثامنة صباحاً كنت مأموراً في شارع (إرم) (قرب حرم السيّدة المعصومة عليها السلام) وكنت أحتاج إلى اغتسال من الجنابة وليس عندي نقود لأذهب إلى الحمّام. في حدود الساعة الثانية من منتصف الليل جاءت حافلة باص من اصفهان ووقفت عند الحرم لينزل منها المسافرون، إنتهزتُ الفرصة فنهرت السائق «لماذا توقّفتَ هنا، هيّا أعطني رخصة سياقتك»!؟

فالسائق الذي كان خائفاً من الغرامة الثقيلة وضع خمس توامين (من النقد الايراني) في يدي لأعفيه. فأخذتها وقلتُ هيّا تحرّك سريعاً. وقلت في نفسي فقد حصلت على ثمن الدخول إلى الحمّام.

إنتظرتُ حتّى الأذان لأدخل الحمّام وأغتسل للصلاة، وقبل الفجر شاهدت آية الله المرعشي قادماً إلى الحرم، ولكنّه خلافاً لليالي السابقة اتّجه نحوي على الجهة الثانية من الشارع، فلمّا وصل محاذاتي سلّم وقال: تقدّم إليّ!

تقدّمت إليه خطوات، فأعطاني خمس توامين وقال: بهذه النقود إذهب واغتسل، أما بتلك النقود فلا يصحّ الإغتسال!

سقطت في خجل عميق وقلت متلكّئاً: حسناً.. حسناً سيدي.

---

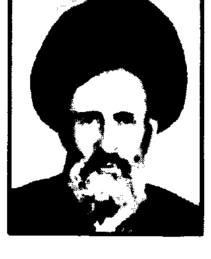
١ ـ اقتبسنا هذه المعلومات من مخطوط بالفارسية كتبه السيد محمد قاسم الهاشمي عن (سادات اسرة الشهرستانى).

منذ تلك الساعة فكّرتُ أن أخرج من الشرطة وأعمل حرّاً. واليوم بحمد الله أعيش سعيداً ولقد ذهبت إلى حجّ بيت الله الحرام أيضاً.

نعم.. هذه تسمّى الفراسة، وهي إختراق روحاني، يتمكّن بـه كـلُّ مَـن عَـبَّدَ قـلبه وجوارحه في طاعة الله تعالى أن يقرأ فيما وراء الأشياء.

يقول العلّامة الشيخ محمد شريف رازي ولقد ذهبتُ برفقة آية الله المرعشي إلى زيارة هذا الرجل بعد إستعفائه عن تلك الوظيفة الإيذائية.

٦٠٢ إختراق روحاني آخر!



السيد احمد الخونساري

كان آية الله العظمى السيّد أحمد الخونساري ﷺ واحداً من ذوي البصائر الإلهية.

نقل أحد تجّار طهران ممّن يوثق فيه: كنتُ جالساً عند السـيد الخونساري ولم يكن معنا ثالث. فبادرني السيّد بقوله: إن وراء باب المنزل ذو حاجة!

قلت: لم أسمع طرقة الباب سيّدي.

قال: بلى انّه موجود خلف الباب، إذهب وأعطه هذا الظرف.

أخذتُ الظرف وذهبت ففتحت الباب، فرأيت شخصاً يخطو قرب الباب ويبدو وعليه حيراناً. ناديتُه وقلت له: هل طرقتَ الباب؟

قال: كلّا!

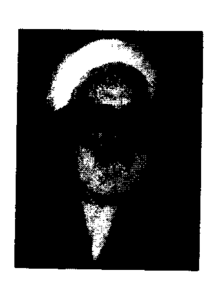
قلتُ: هل لديك حاجة؟

أجابني باستحياء: نعم، زوجتي مريضة، والآن هي في المستشفى، لا يقبلون علاجها بسبب نقصان المبلغ المطلوب، وهو ثمانية آلاف تومان، تركتُ زوجتي هناك وجئت هنا لا أدري أُصارح مَن؟ طرأتني فكرة قبل قليل أن أدخل على سماحة آية الله الخونساري، إلّا أنّني وقفت متحيراً، فأنا لم تسبق لي زيارته ولم أدفع لحدّ الآن حقوقي الشرعية. كنتُ في حيرتي هذه إذ فتحتَ الباب.

يقول الرجل: أعطيتُه الظرف حالاً وقلت انه من السيد، ففتحه وعدّ ما فيه. فلم أر إلّا

العجيب المدهش! كان في الظرف ثمانية آلاف تومان كاملةً، وهي المبلغ المطلوب عند الرجل[١].

٦٠٣ معجزة السيّد الكريم


الشيخ محمد الرازي

يذكر العلّامة الكبير الشيخ محمّد شريف الرازي ﷺ في كتابه (كرامات صالحين) خاطرة عن حياته قائلاً:

سقطتُ من إرتفاع سبعة أمتار وأنا طفل في الخامس من عمري، فوقعتُ على وجهي وتبعتْني أحجار من ذلك المرتفع فزادت في المصيبة مصائب أُخرى، وكان لهذا السقوط صوت هائل، خرج على أثره كلّ من كان في منزلنا، فلمّا وجدني أهلي جسماً بلا روح، ملطّخاً بالدماء والجروح إرتفع صوتهم بالبكاء، واجتمع الجيران واكتضّتْ ساحة منزلنا بالناس المعزّين، بعد أن لاحت أمامهم علائم موتي.

وأسرع بعض الأقارب ليخبروا والدي بالحادث، وآخرون هرعوا إلى طبيب عساه ينفع الموقف الرهيب.

حملوني وليستْ فيّ حركة ولا نبض، وكنت لا أحسّ بشيء، فجاؤوا بي إلى الدكتور تقي خان سالاري، الطبيب المعروف في مدينتنا (الري)، وبعد الفحص أخبرهم الطبيب: «آسف، انّ هذا الطفل ميّت، يمّموه بدل الغسل ثمّ ادفنوه»!

وتدلّ كلمته على شدّة الكسر والجرح والنزف، ممّا يشبه الجسم المهشّم الذي لا يمكن تغسيله.

لقد يأس أهلي بعد كلام الطبيب، فازدادوا بكاءاً ونحيباً، فحملوني إلى إجراء مراسم الكفن والدفن. ولكن والدي الذي أرجو من الله أن يحشره مع أوليائه الصالحين اعترض طريقهم وقال:

«لا تستعجلوا، انقلوه إلى المنزل، امهلوني لأتشرّف بزيارة السيّد الكريم السيّد عبد العظيم الحسني، فلعلّي أسترجع حياة ولدي بشفاعته عند الله. وسوف لن أرجع من

---

١ ـ بالفارسية (كرامات صالحين) ص٣٠٩.

عنده إلّا بقضاء هذه الحاجة».

فوضعوا (جثماني) في زاوية من غرفة المنزل، وكان الأهل والجيران بين باكٍ ومُعزٍّ ومعترضٍ لِمَ تماطلوا في تجهيز الميّت!

وكان أبي في حرم السيّد عبد العظيم يطلب حاجته بإلحاح، بل وزاد عليها طلباً آخر، وهو سلامة بصره، ولكنّ الأكثر كان يردّد:

«مولاي، سيّدي، لن أعود إلى منزلي إلّا أن تأخذ لي من الله حياة ولدي وسلامته».

كان الموقف صعباً جدّاً، والدي لم يقبل التجهيز والدفن، وكذلك لن يقبل العودة إلى المنزل، وأُمّي وأهلي والجيران مجتمعون حول جثماني متحيّرون ولاطمون.

وبعض الأقارب والناس كان ينتقد هذا التصرّف في تأخير دفن الميّت، خاصّة والطبيب كان قد أقرّ موتي.

الا أن أبي واصل في توسّله بالسيّد عبد العظيم هذا السيّد الكريم صاحب المعتقد السليم، وهو من أحفاد الإمام الحسن المجتبى عليه السلام وهكذا كان والدي ملحّاً في حاجته لم يزعزعه عن يقينه وإخلاصه شيء من عتاب الناس، واستمرّ حتّى الليلة الثالثة، وفيها رأى في المنام ـ وهو عند الضريح الشريف ـ رجلاً نورانياً يقول له: «أمّا بصرك فلا تعود سلامته، فهذا هو المقدَّر عند الله، وأمّا إبنك فقد شفاه الله بلطفه وفضله، قُمْ وعُدْ إلى منزلك».

فينتبه والدي من نومه فرحاً مسروراً ومن شدة سروره أحسّ له خدّام الحرم فانتبهوا من النوم فأخبرهم: «انّ ولدي حيّ يقيناً، فقد رأيتُ في المنام الآن انّ السيّد عبد العظيم قد شفع له عند الله».

فأخذ طريقه إلى المنزل في تلك الساعة المتأخّرة من الليل فوراً، ولمّا وصل خلف الباب سمع أصوات السرور والإبتهاج من داخل المنزل، وسمع أُمّي تقول: «إذهبوا إلى الحرم واخبروا والده أنه قد عادت الحياة إلى ولده بلطف الله».

وبالفور يطرق والدي الباب وينادي: «افتحوا فانّي أعلم انّ السيّد عبد العظيم قد أعاد لي ولدي مشافياً معافياً».

وفي صباح ذلك اليوم أخذوني إلى الطبيب نفسه، ليقوم بتضميد الجروح والكسور،

فما وصلوا لدى باب المطب حتّى صرخ الطبيب في وجههم: ثلاثة أيّام والميّت على أيديكم؟! لماذا لم تدفنوه؟ لِمَ جئتموه إليّ مرّة أُخرى؟

ولكنّه حينما وضعوني بين يديه فرآني حيّاً هتف من دون إرادة: «والله هذه معجزة السيّد المسيح عليه السلام»!

فقال له والدي وهو يسلّم على نبيّنا النبي المسيح «لا ياطبيب، هذه كرامة السيّد عبد العظيم هذاالسيد الكريم من نسل سيد المرسلين».

وأخيراً ضمّد الطبيب جروحي وأوصىٰ ببعض الإجراءات الطبّية فأستعدتُ كامل صحّتي ولله الحمد.

٦٠٤ أنوارُ الله في صحراء عرفات

كتب مؤرّخ العلماء المرحوم سماحة الشيخ محمّد شريف الرازي في كتابه (كرامات الصالحين): انه كان العالم الورع الميرزا مهدي الآشتياني ابن آية الله العظمى الميرزا حسن الآشتياني رحمهما الله كأبيه في سجاياه الأخلاقية وحالاته العرفانية ومكاشفاته الغيبية.

في شهر ذي الحجّة من عام (١٣٦٨) الهجري ورد إلى قم ونزل في بيت آية الله السيّد حجّت رحمه الله، وكان لي شرف الحضور في ذلك المجلس حينما ورد المرجعان الكبيران السيّد البروجردي والسيّد محمّد تقي الخونساري للقاء به، فقال السيّد حجّت: «انّ للميرزا مكاشفة عجيبة، من الجدير أن يبيّنها لنا بنفسه».

فلبّى الميرزا الآشتياني طلب السيّد فقال:

«كنت مريضاً، ولم أجد علاجاً داخل البلاد ولا خارجه حتّى يئستُ من سلامتي، وفي سنة (١٣٦٥هـ) التي سيطر الشيوعيون على شمال البلاد في آذربايجان كنت مسافراً إلى مدينة مشهد المقدّسة في حافلة باص، فأصابتني حالةٌ، ظَنَّ سائق الباص والمسافرون أنّها جلطة قلبية، فأوقف الباص جانباً وأسرعوا يستنجدون سبل النجاة. إلّا أنّني في تلك الساعة كنتُ في عالَم آخر، كنت أُشاهد نفسي في صحراء عرفات. وكانت

أنواراً ساطعة في سمائها، والناس ينظرون إلى تلك الانوار.

سألتهم: ما الخبر؟

قالوا: الرسول ﷺ حاضر.

فهرعتُ إليه، وإذا بي أجد أربعة عشر خيمة منصوبة ومتلاصقة ببعضها، وكانت الخيمة الكبيرة منها للرسول ﷺ. دخلتُها فسلّمت، فأردت أن أفصح له عن طلبي ولكنّه ابتسم في وجهي وبادرني: «لأنّك زائر ولدي الرضا فاذهب إليه وافصح له عن طلبك».

فجئتُ إلى خيمة الإمام الرضا عليه السلام، وبعد السلام عليه عرضتُ عليه ثلاث حوائج من حاجاتي:

١ ـ شفائي، فقال عليه السلام: «انّ الله قدّر لك أن تكون هكذا إلى آخر عمرك».

٢ ـ فتنة الشيوعيين، فقال عليه السلام: «عن قريب سيزول شرّهم، وأنتم في الأمان ما دمتم معنا، وتزورون قبورنا وتحضرون مآتمنا».

٣ ـ حاجة شخصية (خاصّة)، فقال عليه السلام: «هذه ستصل إليها».

ولما أفقتُ من حالتي وجدت نفسي بين أيدي المسافرين في الصحراء.

ولم يمض زمان حتّى اندحر الشيوعيون، وفرّ قادتُهم من شمال ايران وصار (حزب توده) الموالي لهم من أضعف الأحزاب المنبوذة في المجتمع.

وهنا علّق آية الله حجّت بقوله: «منذ فترة طويلة كنت أُفكّر في الحديث القائل: «انّ الله يتجلّى لأهل عرفات». والآن قد تبيّن لي أنّ تجلّي الله في عرفات هو من تجلّي رسوله على الناس وتجلّي أهل بيته عليهم السلام».

اقول: من الجدير هنا أيضاً أن يتدبر القارىء العزيز في الحديث النبوي الشريف: «لولا أن الشياطين يحومون على قلوب بني آدم لنظروا إلى ملكوت السماوات والأرض[1]».

---

١ ـ بحار الانوار / ج٦٣ ص ٣٣٢.

٦٠٥ لطيفة الربيع!


الشيخ النوري

كان آية الله العظمى السيّد النجفي المرعشي ﷺ يثني دائماً على أُستاذه آية الله الشيخ عبد النبي النوري، فقد كان الشيخ مضافاً إلى مقامه العلمي الرفيع في الفقه والأُصول مزوحاً وحلواً في كلامه لمّا كان يعظ الناس فوق المنبر.

يقول السيّد المرعشي لا أنسى يوماً كان مجلس مكتّض بالمستمعين، والشيخ يتحدّث لهم عن بساطة الناس وقناعاتهم في الإعتقادات الدينية، فذكر لهم لطيفة بأُسلوبه اللطيف قائلاً: «في يوم من ايام الربيع كنتُ أمشي بين أشجار غابة مدينة (آمل)، أنظر إلى جمال الورود وطراوة الأزهار التي أضفت على الغابة جاذبية مضافة، ونسيم الصباح هو الآخر يأتيني من تلك الورود والأزهار فتمسح على وجهي بعطرها الساحر، كانت مناظر خلّابة للغاية، تذكّر الإنسان بعظمة الخالق الجليل وعطائه الجميل. وبينما كنتُ غارقاً في هذه الأجواء الروحية الممزوجة بنفحات الطبيعة وإذا أسمع إثنين من القرويّين يتحادثان بلهجتهما الدارجة:

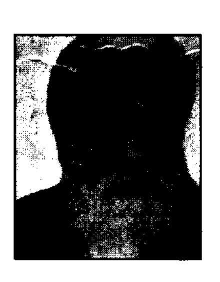
فيقول أحدهما للآخر بصوته الرقيق الممدود: أخي!

فيجيبه الثاني: فداك أخوك! ـ يعني قل ما تريد قوله ـ.

فقال الأوّل: هذه الورود والأزهار الجميلة، مَن زرعها؟

فأجابه الثاني: الله قد زرعها! فقال الأوّل: إذن فليحفظها العبّاس!»[1].

٦٠٦ زعيق من داخل القبر


الشيخ عباس القمي

نقل لي سماحة الشيخ آية الله المرواريد (دام ظلّه) انّه سمع من زميله المرحوم الشيخ محمّد حسن البروجردي يوم كانا يدرسان عند العارف الكبير آية الله العظمى الشيخ ميرزا مهدي الاصفهاني ﷺ نقلاً عن المحدّث الكبير الشيخ عبّاس القمّي يقول:

لمّا أردت الخروج من النجف الأشرف ذهبت لتوديع المرجع

---

١ ـ بالفارسية «كرامات صالحين» / ص٢٧٢.

الكبير السيّد حسين القمّي ﷺ . وفي طريق العودة من عنده مررتُ جهة الشمال من مقبرة (وادي السلام) وهي الجهة التي يتوحش أكثر الناس من الذهاب إليها .

فلمّا وصلتُها سمعت صوتاً كزعيق ناقة تتعذب من لسعة نار . فأخذت أبحث عن مصدر الصوت حتّى وجدتُ جنازة يريدون دفنها !

فتأمّلتُ فعلمت أنّ ذلك الميت هو المعذَّب قبل دفنه وكان واحداً من الفسقة الذين ظلموا الناس كثيراً ، فقد كان يُعذَّب والذين معه ما كانوا يشعرون حاله المزري .

أقول : وكم قال الشاعر جميلاً حينما قال :

والله لو كانت الدنيا بأجمعها	تبقى علينا ويبقى رزقها رَغَداً
ما كان من حق حُرٍّ أن يَذَلَّ لها	فكيف وهي متاعٌ تَضْمَحِلُّ غداً

وما أَجمل دعاء زين العابدين وإمام الساجدين علي بن الحسين عليه‌السلام :

«اللهمّ أيقِظْنا مِن رَقْدة الغَفْلة والجهالة، وعافِنا مِن داءِ الفَتْرة والبطالة، ونَزِّهْ قلوبَنا عن التعلُّق بمَن دونك ، واجعَلْنا مِن القومِ الَّذينَ تُحبُّهم ويُحبّونك ، وأذْهِبْ ظُلْمَةَ قلوبِنا بنورِ هُداك ، واجعَلْنا ممّن أقبلتَ عليهِم فأعْرَضُوا عمّن سواك . . .» .

٦٠٧ من حكايات الأخلاق الاسلامية

الشيخ المرواريد

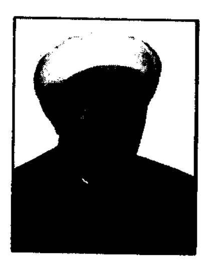
حكى لي الأُستاذ آية الله الشيخ حسن علي مرواريد (دام ظلّه العالي) انّه كان في الثامن من عمره لمّا توفّي والده، ولكنّه يتذكّر جيّداً حينما جاء إليه المحدّث الكبير الشيخ عبّاس القمّي (صاحب كتاب مفاتيح الجنان) فأخذ يمسح على رأسه عملاً بالأحاديث الواردة عن أهل البيت عليهم‌السلام في هذا المجال الأخلاقي الرفيع . ثم اخرج الشيخ القمّي (أعلى الله مقامه) كتاب (نزهة النواظر في ترجمة معدن الجواهر) فأهداه إليه . وكان الكتاب في ذلك الزمان مضافاً إلى قيمته المعنوية العالية ذا قيمة مادية رفيعة ، لقلّة إمكانيات الطباعة آنذاك .

أُنظر أيّها القارىء إلى هذا القلب الكبير، كيف تواضع صاحبه وتعنّى الذهاب إلى يتيم قد لا يدير أكثرنا اليوم للكثيرين من أمثاله، إلاّ أنّ الشيخ عبّاس القمّي قد حفر في ذاكرة

هذا الولد اليتيم موقفاً أخلاقياً لا ينساه حتّى هذا اليوم حيث يناهز عمره التسعين!

هذا ما عدا الآثار النفسية البناءة التي تركها ذلك العمل الإنساني على نفسية الشيخ المرواريد طول هذه السنوات. هكذا يجمع الأذكياء ثوابهم ليوم الجزاء، فهل أنت منهم؟!

٦٠٨ قصّة ومقدّمة هامّة



الشيخ الوائلي

النقد للتصحيح قيمة من القيم الفاضلة، وله آداب نابعة من إخلاص النيّة. ولكنّه إن تجرّد عن آدابه أصبح لاذعاً وهدّاماً ومداناً من قبل اهل البيت عليهم السلام. وبما أنّ أكثر الناس لا يعلمون فبطبيعة حالهم يتجهون في علاقاتهم نحو مسار النقد الهدّام. فقليل هم الذين يتّجهون على مسار النقد البنّاء. لكن عند العلماء يكون الأمر اكثر خطورة، فمن بين الحوزات العلمية اشتهُرتْ حوزة النجف الأشرف بالنقد والمناقشة وما يسمّى عند العلماء بـ(إنْ قُلْتَ قُلْتُ) وهي صفة هامة في بلوغ الحقائق العلمية وساعدت علىٰ تربية علماء فطاحل، إلّا أن بعض متخرّجي هذه الحوزة ومن تأثر بهم لم يلتزموا بآداب النقد وأخلاقيات المناقشة مما ادتْ طريقتهم إلى بروز خلافات امتدتْ إلى اتباعهم واربكتْ العلاقات العلمائية.

لي الشرف أن اقول بأني درست في هذه الحوزة المباركة خمسة أعوام ورأيت كلتا الطريقتين تُمارسان في النقد، فتمنّيت أن تكون الطريقة الأخلاقية هي الراجحة دائماً ولكنّي كم حزنت لما وجدتها إلى اليوم مرجوحة ومغلوبة على أمرها. وليس لذلك من أساس إلّا العُجب والغرور اللذان يفتكان بالعلم فتكاً يذهب الثمار المرجوّة من طلبه جملة وتفصيلاً.

وإني إذ أُمهّد بهذه المقدّمة هامّة لقصّة أقرؤها معك بعد قليل فلأنّي وآلاف العاملين متألّون من ذلك النقد المجرّد عن آدابه الاخلاقية. فعلى سبيل المثال، قبل أشهر قدّمت كتاباً لأحد الناشرين وهو مثقّف من أهل النجف فبعد مراجعته لاحظ من بين (١٤٠) صفحة ما يقارب عشرة أخطاء مطبعية وملاحظات ذوقية، فانهال عليّ في حضور أشخاص محترمين بالنقد اللاذع المهين فسكتُّ إحتراماً لشيبته وللظروف الصعبة التي مرّ

عليها الأُخوة العراقيون، ولكنّي قلت له ياأخي هذه الأخطاء راجعةٌ إلى الطبّاع وما أكثر الكتب تُطبَع في العالم اليوم بأخطائها المطبعية، المطلوب أخلاقياً أن ترشدني إلى ملاحظاتك المشكورة لأطلب من الطبّاع إصلاحها، فلا حاجة الىٰ التهريج.

والآن هاك ياأخي القاريء قصّة الخطيب الحسيني البارع الدكتور الشيخ أحمد الوائلي (دام ظلّه) كما نقلها في كتابه القيّم (تجاربي مع المنبر ص ١٠٧) فإنها من أمثلة النقد بأسلوبه الاخلاقي البناء، يقول سماحته:

كان في مدرسة المرحوم آية الله الشيخ محمّد الحسين آل كاشف الغطاء يعقد مجلس في كلّ يوم جمعة، ويسمّيه النجفيون ـ عاده ـ وكنت يومئذ صبيّاً أرتدي الكوفية ولم ألبس العمّة بعد، فحضرت في يوم الجمعة فجلس الشيخ واتّفق أن تأخّر الخطيب ذلك اليوم وهو المرحوم الشيخ حسن بن الشيخ كاظم السبتي، فأشار بعض الحضور إليّ ونبّه الشيخ بأنّي ممّن يقرأون التعزية، فقال لي الشيخ: تفضّل واقرأ لنا، ففرحتُ بهذا الطلب وشعرت باعتزاز بأنّي أقرأ في مجلس كاشف الغطاء، فشرعت بالقراءة، وأذكر أنّي صدّرتُ مجلسي بالحديث القدسي «لولا شيوخٌ رُكّع، وأطفالٌ رُضّع، وبهائم رُتّع لَصببتُ عليكم البلاء صبّاً» وشرحت الفقرات الثلاث وجعلت فقرة الأطفال آخر فقرة لأتخلّص منها للرضيع، ثمّ ذكرت أنّ الحسين عليه السلام في آخر رَجْعةِ طلب رضيعه فناولتْه إيّاه زينب وهي في حالة حزن شديد، فسلّاها الحسين عليه السلام بقوله: (تَعزّي بعزاء الله ولا يَذهبنّ بحِلْمِك الشيطان، واعْلَمي أنّ أهل السماء يموتون وأهل الأرض لا يبقون...)!

هكذا قرأت الرواية وكان الشيخ بكّاءاً وجهوري الصوت، فلمّا فرغتُ مَسَحَ دموعه وقال: أُدْنُ يا بُنيّ إنّي أرجو لك أن تكون شيئاً، فبارك الله فيك، ولكن يابُنيّ إنّ الأثر ـ أي الحديث ـ الذي ذكرتَه ليس كما ذكرت، بل إعكسْ تُصِب، إنّ الحسين لا يقول إعلمي أنّ أهل السماء يموتون، لأنّ أهل السماء ليسوا مِن جنس مَن يموت إنّه من المجرّدات، وأخذ الشيخ (تغمّده الله برحمته) يشرح وينصبّ كالسيل. وكان درساً من أروع الدروس نبّهني أن أضبط النصوص الواردة عن أهل بيت العصمة، وبقيتُ بعد ذلك أُلازم مجلس الشيخ وأصغي إلى ما يمليه في مجلسه من مطالب ومن نكات، وكان موسوعة من المعارف يأخذ بألباب السامعين إذا حدّث مع تَرَسُّل في الحديث وعفويةٍ في الأداء، فكان لي في كلّ جمعة من مجلسه زاد آخُذُ منه على قَدْر ما تتّسع لي مداركي وما أقوى على فهمه.

٦٠٩ الخرافة شذوذ

مفارقة الحقيقة عن الخرافة هي مفارقة الصدق عن الكذب. وجاء الاسلام ليحارب الخرافة والكذب، وكانت نهضة الحسين الرائدة في تاريخ البشرية امتداد لدعوة جدّه النبي الاكرم ﷺ إلى الحقيقة والصدق.

إلّا أن واحداً بين المائة من شواذ الخطباء تجدهم لجهلهم بالحقيقة ينحون مسار الخرافة والكذب، ومثل هذا الشذوذ كثير عند غيرنا ولكن لا يليق بمذهبنا أن نسمح بشذوذ بالتسلّل فيه.

يقول الخطيب الحسيني الشهير سماحة الشيخ الوائلي:

ذكر لي بالأمس أحد الخطباء أنّه مرّ على خطيب يقرأ وله جمهور لا بأس به من حيث الكمّ فسمعه يذكر: إنّ امرأة كان زوجها ينهاها عن الخروج من المنزل وتوعّدها بالطلاق إنْ خرجتْ، ولكن لمّا صار يوم العاشر من المحرّم لم تستطع البقاء في المنزل لأنّها اعتادت أن تساهم في طبخ الطعام الذي يُعَدُّ للمشتركين في عزاء الحسين عليه السلام، ولمّا رجع زوجها لم يجدها في البيت، فغضب وعزم على تنفيذ وعيده بطلاقها، ولم يلبث إلّا قليلاً حتّى دخلتْ زوجته فقال لها: ألم أنهك عن الخروج، أنت طالق.

فقالت: على مهلك، أنا لست زوجتك وإنّما تصوّرتُ بصورتها وجئتُ لأطبخ لك طعامك لأنّ زوجتك مشغولة بطبخ طعام ولدي وأنا فاطمة الزهراء عليها السلام!

ولا أُريد التعليق على الحادثة لأنّ مواساة آل محمّد في أحزانهم أو أفراحهم ثوابها عند الله تعالى عظيم ويترتّب عليه أجر، ولكن لا بهذه الأساطير التي تترتّب عليها مفارقات أقلّها الهزء والسخرية، فما أغنى أهل البيت فيما لهم من فضائل كثيرة وصحيحة عن أمثال هذه الأساطير. إنّ هؤلاء الذين يقرأون أمثال هذه القصص في أغلب الظنّ لا يؤمنون بها ولكنّهم يستغلّون تقديس الناس لأهل البيت وشدّة ولائهم لهم بالإضافة لما لأهل البيت من مكانة، وينقلون أمثال هذه الأساطير.

هذا من جانب ومن جانب آخر يريدون الظهور بمظهر المؤمنين الذائبين في ولاء آل

محمّد، ثمّ بعد ذلك يسترون نقصهم لأنّهم فارغون من المعرفة الصحيحة. ولكن ذلك غير مبرَّر بحالٍ من الأحوال، لأنّه على حساب عقيدتنا وعقليتنا[1].

٦١٠ من حقوق الناس

يقول مؤلف كتاب جزاء الأعمال ص ٢١: سمعتُ من أُستاذي حضرة الشيخ أحمد الطهراني (حفظه الله تعالى) أنّه قال: ذهب الشيخ محمّد حسين الزاهد ﷺ وهو من العلماء العاملين المعروفين بزهدهم مع مجموعة من تلامذته ذات يوم إلى بستان الملك القريب من مرقد السيد عبد العظيم الحسني ﷺ، وعندما كان الشيخ مشغولاً بالحديث مع طلّابه كان على الطرف الآخر من الحديقة مجموعة من الشباب يضربون على الدفّ ويرقصون، فأرسل الشيخ إليهم أحد تلامذته وأمرهم بأن يسكتوا، ولكنّهم لم يمتثلوا لأمر الشيخ فدعا الشيخ على رئيسهم والذي كان يضرب على الدفّ بأن الله يجزيه على فعله هذا بأن يوجع قلبه كما أوجع قلوبنا، عند ذلك رجع إلى البيت، وفي الصباح ذهب إلى مسجد سيّد عزيز الله الواقع في سوق طهران وذلك ليعطي درساً لطلّابه، وفي أثناء مسيره إلى المسجد إعترضه أحد الأشخاص قائلاً: شيخنا أنت بالأمس دعوتَ على ولدي لقد بات طوال الليل وقلبه يؤلمه ألماً شديداً ولم يقدر الطبيب أن يفعل له شيئاً، أُريد منك أن تعفو عن ولدي وتدعو له بالشفاء. فوعده الشيخ بذلك وعندما عاد الرجل إلى البيت وجد إبنه وقد سكن ألمه وارتاح كأن لم يصبه شيء.

وهكذا نقول لمن يريد أن لا يقضي على نفسه بوجع القلب: لا توجع قلوب الآخرين ولو بشطر كلمة، دع الهوى وراعِ حقوق الناس فانها اشد حساباً يوم القيامة من حقوق الله تعالى عليك.

---

١ ـ تجاربي مع المنبر / الدكتور الشيخ احمد الوائلي ص١٩٥.

٦١١ صلاة الاستسقاء تحدّي اليقين والشك

في سنة ١٣٦٣ هـ صلّى المرحوم آية الله السيّد محمّد تقي الخونساري ﷺ صلاة الإستسقاء فجلب أنظار الجميع لعظمة الإسلام وبركات هذا الدين القويم، وحكاية هذا الخبر هي كالآتي:

في تلك السنة إنحسرتْ الرحمة الإلهية عن مدينة قم وضواحيها ولم ينزل المطر من بداية الخريف إلى أواخر الربيع من العام القابل، أي لمدّة ثمانية أشهر، ممّا أدّى إلى جفاف شمل المزارع والواحات والبيداء فيبس الزرع والمرعىٰ وذُبِلتْ الأشجار، فأصبح منظر المزارع والحقول يؤذي الناظر بذهاب اللون الأخضر منها الذي يدخل على القلب السرور.

وفي هذه الظروف الحسّاسة والمصيرية كان هناك رجل إيمان وتقوىٰ هو آية الله السيّد محمّد تقي الخوانساري رضوان الله تعالى عليه، فقرّر أن يصلّي صلاة الإستسقاء ويدعو الله سبحانه وتعالى بأن ينزل المطر على هذه المنطقة، فأعلن عن عزمه على ذلك وأبلغ الجميع بهذا الأمر، وفي يوم الجمعة وقبل ساعة من طلوع الشمس عزم على الخروج لأداء صلاة الاستسقاء على طبق ما ورد في الشريعة المقدسة.

وكان بعض الذين ضَعُف إيمانهم بالله يسيئون الظنّ بالحصول على نتيجة فجاءوا ينصحون آية الله الخوانساري من منطلق الحرص على سمعته فكانت توحي إليهم أفكارهم الفاسدة بأنّ هذه الصلاة ممكن أن لا يكون لها تأثير بنزول المطر وبذلك تتعرّض شخصية آية الله الخوانساري إلى الإزدراء وعدم الإحترام من قبل الآخرين، ولكن ذلك الرجل الكريم الذي لا يخالجه شكٌ في رحمة الله سبحانه وتعالى، ولم تؤثّر عليه هذه التصورات طرفة عين، فردّ عليهم السيد: أنا أعمل بالأوامر التي يمليها عليّ الشارع الإسلامي المقدّس وأُؤدّي وظيفتي طبق ذلك ولا أخاف من القيل والقال، وكلّ ما فيه الصلاح سوف يكون.

وحسب الأحكام الواردة بهذا الخصوص فقد كان ذلك اليوم صائماً هو وعدد من

المؤمنين وقد لبسوا ملابسهم بصورة مقلوبة، وخرجوا حفاة، وكان له شبه بعمّه الإمـام الرضا عليه السلام عندما خرج للإستسقاء في مرو خراسان، فخرج رضوان الله تعالى عليه مع من كان معه من المؤمنين وألسنتهم لا تنقطع عن الإستغفار والتضرّع إلى الله سبحانه وتعالى ويمّموا وجوههم شطر منطقة في قم تُدعىٰ (خاك فرج) يحدوهم الأمل الكبير بالفرج، وقد صادف هذا الحادث مع نزول قسم من قوّات الحلفاء في ايران، وكان عدد من الجنود الأمريكان والانجليز يرابطون في حدود منطقة (خاك فرج) (من الضلع الشمال الغربي على بُعد نصف كيلومتر من مدينة قم المقدّسة والطريق إلى هذه المنطقة يمرّ بجوار الجسر القديم لنهر قم).

وقد قامت مجموعة من الفرقة البهائية الضالّة والمضلّة بإعطاء معلومات كاذبة إلى هذه القوّات بأنّ مجموعة كبيرة من أهالي قم ينوون التوجّه صوبكم يريدون ردم البئر الذي تشربون منه وبعدها يهاجموكم ويقضون عليكم بالكامل فاحذروا هذا الخطر الداهم.

فلمّا سمعتْ القوّات ذلك، ولم يكن لهم علم بما يـجري تأهّـبوا للـدفاع، ووجّـهوا فوهات أسلحتهم صوب الجموع التي خرجت للصلاة تحسّباً للهجوم الذي سيقع من قبل الناس عليهم.

أمّا آية الله خوانساري والذي لم يعبأ لما يدور حوله والذي لم يَدُرْ في خلده شيء إلّا أن يقوم بأداء المهمّة التي خرج من أجلها فإنّه قام بأداء صلاة الاستسقاء والتضرّع إلى الله سبحانه ثم ألقى خطبة في الحاضرين الذين ناهز عددهم العشرين ألف مصلّي وكان يتمتع بأعلى درجات الصمود والثبات والعزم والإيمان، وكان البعض من الناس قد تغيّرت لون بشرة وجوههم وأخذت دقّات قلوبهم تتسارع وأخذ بعضهم يهمس ويتساءل: هـل انّ صلاتنا ودعاءنا سيستجاب أم لا ؟

أمّا جيش الحلفاء فإنّهم وبعد علمهم بحقيقة الأمر أخذوا يراقبون الجوّ بدقّة ولم يروا أي تغيّر في الجو اوعلامة لنزول مطر.

وفي اليوم الثاني خرج المرحوم آية الله الخوانساري أعلى الله مـقامه الشـريف مـع مجموعة من خواصه من أهل العلم والفضل في خضوع وخشوع أكثر وبأمل [illegible]

شيئاً وَجَدَّ وَجَدَ ومَن قَرَعَ باباً وَلَجَّ وَلَجَ» فألحّوا بالدعاء والإستغاثة بعيون باكية وقلوب وَجِلة يخاطبون خالقهم:

«إلهي لا تُنزِل غَضَبَك على عبادِك العاصين، ولا تُؤاخِذْهم بِحَجْبِ رحمتكِ عنهُم وارْحَمْهم إنّك أنتَ أرحَمُ الراحمين».

وما إلى ذلك من الأدعية المأثورة وغير المأثورة، وأطالوا السجود والتضرّع بأن ينزلْ الله عليهم مطر الرحمة، وعندما رفعوا رؤوسهم من السجود بانت آثار الرحمة الإلهية، فتلبّدتْ السماء بالغيوم الكثيفة، عندها ذهب الجميع إلى بيوتهم، وحيث كانوا في الطريق بدأتْ السماء تنزل رحمتها وبدأ المطر بالهطول وبشكل غزير وغير معهود، فَرَوَتْ أراضي قم وما حولها وجرىٰ الماء في نهر قم، وانبعثت الحياة من جديد في مزارع قم وبساتينها، واخضّرت الأرض التي يبستْ على أثر الجفاف، وأصبحوا مصداقاً للآية الكريمة: ﴿واستَغْفِروا ربَّكم إنّه كان غفّاراً يُرْسِلُ السماءَ عليكُم مِدْراراً﴾ وقد أثّرتْ هذه الكرامة واستجابة الدعاء تأثيراً عالمياً عجيباً بحيث أنّ قادة جيوش الحلفاء طلبوا من آية الله الخوانساري أن يدعو الله سبحانه وتعالى لكي تتوقّف هذه الحرب ويخلص الناس من غائلتها، وقد أُذيعت هذه الحادثة من الراديو في كافّة أنحاء العالم وكانت مدعاة للإستغراب والعَجَب. وثَبَتَ لدىٰ الكثير أحقّية الدين الإسلامي وبشكل واضح، وثبت أيضاً دور وأهميّة الحوزة العلمية في قم وما تقدّمه من خير وصلاح للبشرية بتخريجها الجهابذة من العلماء ذوي الفضل والصلاح والذين ارتبطوا بعالمَ الغيب وجسّدوا ذلك بشكل عملي، فسخّر الله لهم الطبيعة بإذنه فأصبحت بأمرهم.

يقول مؤلف كتاب جزاء الاعمال (مجتبى بلوجيان): سمعتُ من أُستاذي الكبير الحاج الشيخ حجّة الإسلام والمسلمين أحمد المجتهدي الطهراني (أدام الله أيّام عزّه) أنّه قال: لقد كنت حاضراً في صلاة الاستسقاء هذه، وقد شاهدت بأُمّ عيني كيف امتلأ نهر قم إلى حافّته بالمياه على أثر الأمطار التي سقطتْ، وقد نقل قضيّة عجيبة وهي: أنّه قبل أداء الصلاة قالوا للسيّد محمّد تقي الخوانساري لا تصلّ ولا تخرج للصلاة لأنّه إحتمال لا يستجاب دعاؤكم فعندها توجّه ضربة قويّة إلى سمعة الإسلام والشيعة.

فأجابهم آية الله الخوانساري بجواب متين وقوي فقال: من مدّة أحسّ بأنّ نفسي دَبَّ فيها العلو والتكبّر وفي عدم إستجابة الدعاء في صلاة الإستسقاء فإنّي سوف أُحطّم هذا العلو والكبرياء في نفسي !!!

نعم فلقد استجاب الله لدعائهم وأنزل مطر رحمته على أثر دعائهم لأنّهم كانوا يتمتّعون بهذه الروحيات والمعنويات(١).

نسأل الله عزّ وجل ان يرحم آية الله الخوانساري ويخصّه برحماته اللامتناهية إلى يوم دخلوه الجنة.

٦١٢ معجزة برواية خادم الحسين عليه السلام

يعدّ المرحوم نظام الرشتي رحمه الله من العلماء والخطباء المنبريين ذوي الإخلاص والأمانة.

ويوماً عندما كان معتلياً المنبر قال: أُريد اليوم أن أُحدّثكم عن حدث وقع لي، ولأُبيّن لكم مدى عناية الإمام الحسين عليه السلام على خادمه، من خلال هذه الكرامة التي شملتني بها.

في إحدى السنين سافرت إلى خراسان، لكي أقوم بواجبي في خدمة المنبر الحسيني في مثل مدينة (مشهد المقدّسة) و (تربة حيدرية) و (كاشمر). وقد ذهبت من (تربة حيدرية) إلى (مدينة تربة جام) حيث أنّ أغلب سكّان هذه المدينة من اخواننا أهل السنّة، وكان وقت وصولي إلى هناك ليلاً، وعندما ترجّلت من السيارة رأيت مجموعة يحملون الفوانيس بأيديهم تقدّموا ورحّبوا بي وأظهروا الفرح لقدومي عليهم وحملوا حقيبة سفري وأخذوا يرشدوني إلى الطريق، وقد تصوّرت بأنّ هؤلاء حضروا منبري في (مشهد) و (كاشمر) أو في مدينة (تربة حيدرية) وفيعرفوني، ولذا استقبلوني بهذه الحفاوة، واستصحبوني إلى أحد المنازل الخاصّة بهم، مشينا مسافة طويلة حتّى وصلنا ذلك المنزل، وأدخلوني هناك وأحضروا لي الشاي، وأخذوا يستفسرون عن حالي بحرارة وشوق وطال بنا الحديث إلى أن اقترب الليل من الإنتصاف، وأخذ يغالبني النوم

---

١ ـ جزاء الاعمال/ ص٦٢ بتصرف.

نتيجة التعب الذي لاقيته في ذلك اليوم من سفري الطويل، وعندما أحسّوا بذلك وقالوا لي: لقد أتعبناك، وأحضروا لي طعاماً متواضعاً فأكلت منه قليلاً ولم أستطع إكمال الطعام لأنّ النعاس كان يسيطر عليّ بشكل لا أستطيع أن أُغالبه، ومدّوا لي فراشاً للنوم وقالوا: أنت متعب، إسترحْ وعند الصباح سوف نخبر الناس بقدومك. واستلقيت على الفراش، وفجأةً استولتْ عليّ أفكار وهواجس سلبتْ النوم من عيني وأخذتُ أُسائل نفسي: أين أنا الآن؟ ومَن هؤلاء؟ وما معرفتهم بيّ؟ وكيف تعرّفوا عليّ؟

وبالرغم من التعب الذي كنتُ أحسّ به وغلبة النوم عليّ إلّا أنّني ونتيجة لما جال في خاطري من تساؤلات وإستفسارات فقد طار النوم من عيني، وأحسستُ بخطر مُحْدَق بيّ، وبينما أنا على هذا الحال إذ طَرَقَ مسامعي هَمَسٌ وحوارٌ في الغرفة المجاورة، حيث سمعتُ أحدهم يقول: لقد استولىٰ عليه النوم، وآخر يقول: لقد كان صيداً عظيماً صار من نصيبنا هذه الليلة! وآخر يقول: يجب أن نقضي عليه بسرعة. وسمعتُ صوت السكّين تشحذ وسط هذا الهمس. أحسستُ بأنّي واقع في مهلكة لا نجاة منها، وقد أتيت إلى هذا المصير بنفسي، إنقطع رجائي من كلّ شيء، واستويتُ على فراشي ورفعتُ رأسي أدعو الله وأتوسل بالإمام الحسين عليه السلام سيّد الشهداء روحي له الفداء أن ينجيني ممّا أنا فيه، وجرت على لساني هذه الكلمات: مولاي إنّ نظام قضىٰ عمره في خدمتك، وإذا لم تتلطّف عليّ في هذه الساعة وتخلّصني فإنّهم سيقضون عليّ.

وما أنهيت هذه العبارات حتّى أحسستُ وكأنّ الغرفة تميد بيّ، وأخذ صوت سقفها يتداعىٰ إلى مسامعي، وكأنّه أُوشك على السقوط، وكأنّ هاتفاً قال لي: إنهضْ يانظام من مكانك واجلُسْ على الرفّ، ولا أدري كيف وصلتُ إلى الرفّ وجلستُ عليه، عندها سمعتُ صوتاً مهولاً أعقبتْه أصوات فقدتُ على أثرها الوعي. ولم أعُد إلى حالتي الطبيعية إلّا والشمس قد أشرقتْ وأرسلتْ شعاعاً على المكان الذي كنت أجلس عليه، ونظرتُ إلى ما حولي فرأيت وكأنّ المنطقة أصبحتْ تلاً من الأنقاض ولم يسلم من تلك الأبنية إلّا الرفّ الذي كنتُ أجلس عليه، حيث أصبحت تلك المنطقة قاعاً صفصفاً، وقد إندثر أهلها تحت الأنقاض، بما فيهم هؤلاء الخونة قطّاع الطرق فصاروا مدفونين تحت أطنان من

التراب والخشب والحجارة. فخاطبتُ الإمام الحسين ﷺ: سيّدي فداء لك خادمُك نظام، الذي لأجله حدث هذا الحادث الذي نجا فيه من قبضة هؤلاء القتلة الذين ذاقوا طعم خيانتهم.

ويضيف (مجتبى بلوجيان) مؤلف كتاب جزاء الاعمال انه قد توفّي هذا الخطيب الجليل في ليلة الثالث والعشرين من شهر رمضان المبارك سنة ١٤٠٣هـ أي ليلة القدر، وقد شاركتُ في تشييع جنازته ﵀[١].

٦١٣ الأنانية وما يقابلها

الأنانية من اخطر الأمراض الاخلاقية التي تفتك بكل شيء اذا حلّتْ فيه. وتقابلها الشورائية وحب الآخرين والايثار ورعاية المصالح العامة. وهذه صفة الذي يجاهد هواه ويقوده عقله إلى هداه.

نقل المرحوم المحدّث القمّي ﵀ عن آية الله العظمى السيّد محمّد باقر البهبهاني ﵀ وهو من مجدّدي المذهب الشيعي في القرن الثاني عشر أنّه سُئِل: بِمَ بَلَغْتَ ما بلغتَ؟

فأجاب: لا أعلم من نفسي شيئاً أستحقّ إلّا أنّي لم أكن أحبّ لنفسي شيئاً أبداً ولا أجعلها في عداد الموجودين ولم أُقصِرْ جهداً في تعظيم العلماء وتمجيدهم، ولم أترك الإشتغال بتحصيل العلم مهما استطعتُ وقدّمته على كلّ مهم في حياتي.

وفي هذا المضمار ايضاً ينقل الكاتب مجتبى بلوجيان (حفظه الله):

نقل لي الأُستاذ الكبير حضرت حجة الإسلام والمسلمين الحاج سيّد عبد الله فاطمي نيا ﵀، أنّ أحد علماء الحوزة العلمية في النجف الأشرف من ذوي المنزلة العلمية السامية أجهد نفسه وتحمّل الصعاب في تأليف كتاب من مجلدين، وقبل أن يوفّق لطبعه، زاره ضيف محتال وسرق منه أحد المجلّدين، ولم ينتبه هذا العالم لما حدث، إلّا أنْ رأى في أحد الأيّام كتابه معروضاً في إحدى المكتبات، فتعجّب كثيراً عندما رأى كتابه قد طُبع ولكن باسم كاتب آخر وبعنوان آخر أيضاً، عندها عَرَفَ أنّ كتابه سُرِق منه، فبحث عن

---

١ ـ جزاء الأعمال / مجتبى بلوجيان ـ ص٧٣.

عنوان السارق، وعندما عَثَرَ عليه أعطاه المجلّد الثاني الذي لم يفلح في سرقته وقال له :

أنا أُريد أن تُنشَر هذه المواضيع التي حواها الكتاب بين الناس، وبالنسبة لي ليس مهمّاً أن يُنشَر الكتاب باسمي أو باسم شخص آخر، خُذْ هذا المجلّد الثاني من الكتاب واطْبَعْه !!!

نعم ايها القارىء : انظرْ إلى سحق الذات والتخلّي عن الأنانية وحبّ الظهور الذي تجلّىٰ في سلوك هذا العالم الجليل إلى أي حدّ وصل[1].

٦١٤ حدّية المزاج وعلاجها



السيد البروجردي

حدّية المراج مرض عصبي قابل للعلاج، انه مثل غيره من الامراض يحتاج علاجه إلى إرادة، وهي صعبة في بدايتها ولكنها مع الاستمرار تهون.



يقول الكاتب مجتبى بلوجيان في كتابه جزاء الأعمال :

سمعتُ من بعض العلماء أنّ المرحوم آية الله العظمى البروجردي يكون أحياناً عصبياً وحادّ المزاج وفي بعض الأحيان يرتفع صوته على الطلبة، وفي يوم أبرم مع نفسه عهداً إذا ما عاد إلى هذه الصفة فإنّه سوف يصوم سنة كاملة، وفي يوم من الأيّام وبسبب وقوع حادث فإنّه نهر أحد الطلّاب بعصبية، وأحسّ فوراً بأنّه قد عاهد نفسه إذا قام بهذا العمل فإنّه سيصوم سنة كاملة، لذا فإنّه صام سنة كاملة ما عدا يومي العيد، حيث يحرم فيهما الصوم. أجل إنّها سيرة العظام وسلوك الكرام[2].

٦١٥ المكافأة بالطريقة العَلَويّة

ذكر المرحوم المدرّس التبريزي ﷺ أنّ ملّا حسن الكاشي قد تشرّف بزيارة مرقد

---

١ ـ جزاء الأعمال / مجتبى بلوجيان ـ ص٨٣

٢ ـ جزاء الأعمال / مجتبى بلوجيان ـ ص ٩٠ بتصرف.

الامام أمير المؤمنين عليه السلام بعد زيارة مكّة والمدينة، وعندما وقف في باب صحن الحرم الشريف قرأ قصيدته التي مطلعها:

يــامولى المــتّقين مــنذ بِــدْء الخــليقة

يامَن أثنىٰ عـلى شـجاعتك الروحُ الأمـين

وفي تلك الليلة رأى الإمام علي عليه السلام في المنام فقال له:

لقد جئتنا من مكان بعيد ولك علينا حقّان، حقّ الضيافة، وحقّ قول الشعر في حقّنا، الآن إذهب إلى البصرة وبلّغ التاجر مسعود بن أفلح سلامي وقل له: إنّ مركبك في طريق عمان عندما أشرف على الغرق نذرتَ لي (يعني لأمير المؤمنين عليه السلام) ألف دينار إذا ما وصل مركبك إلى الساحل بسلام، لقد حَلَّ الآن وقت وفاءك بالنذر. وإذا ما أخذتَ الألف دينار من التاجر إصرِفْها في قضاء حاجتك.

فاستيقظ ملّا حسن من نومه وذهب إلى البصرة مِن توّه وأبـلغ التـاجر بـما قـاله له أمير المؤمنين عليه السلام، ففرح التاجر فرحاً شديداً وكاد أن يفقد الوعي وأقسم بأنّه لم يَحْكِ هذا الأمر لأي شخص، وفوراً سَلَّمَ الألف دينار إلى الملّا محسن الكاشي وأهـدىٰ له هـدية فاخرة بالإضافة إلى الألف دينار، وأوْلَمَ لفقراء أهل البلد وليمة كُبرىٰ شكراً على هـذه النعمة(١).

٦١٦ لطيفة من المناقبيّات الشيعية



سلطان الواعظين

نقل المرحوم الخطيب العـلّامة سـلطان الواعـظين الشـيرازي مؤلّف كتاب (ليالي بيشاور) أنّه: في بداية إنتشار كتاب مـفاتيح الجنان كانت عندي منه نسخة وكنتُ في سرداب مـدينة سـامراء منهمكاً في قراءة الزيارة، فـرأيتُ شـيخاً يـلبس جـبّة كـرباسية وعمامة صغيرة جالساً بالقرب منّي، وقد انشـغل بـالذكر وقـراءة الأوراد، فسألني: من هو مؤلّف هذا الكتاب؟

---

١ ـ جزاء الأعمال / مجتبى بلوجيان ـ ص١٠٨ بتصرف.

فقلت له: المحدّث القمّي، الحاج الشيخ عبّاس، وأخذتُ أمدح الكتاب ومؤلّفه.

فأجابني الشيخ: لا تبالغ بالمدح أكثر من اللازم.

فقلت له وبإنزعاج: إليك عنّي ولا تتكلّم مثل هذا الكلام ثانية.

وكان في جانبي الآخر يجلس أحد الأشخاص حيث كان يسمع ويَرىٰ ما يدور بيني وبين المحدّث القمّي، فقال لي:

تكلّم بأدب فإنّ الشيخ الذي يكلّمك هو المحدّث القمّي!!!

فنهضتُ من مكاني وعانقتُ الشيخ وقبّلتُ وجهه وانحنيتُ لِأقبّل يده، فانحنىٰ هو وقبّل يدي. وقال: أنت سيّد وأنا أُقبّل يدك إحتراماً لَجدّك رسول الله ﷺ.

أجل ليس صدفة أن يشتهر مثل هؤلاء الأشخاص بحيث يصبح إسمه في أطراف الألسنة، ويشتهر كتابه (مفاتيح الجنان) هذه الشهرة، إنّ كلّ هذا سببه الإخلاص في النيّة والعمل والتقوى، فمَن كان مع الله كان الله معه، ومَن كان لله كان الله له[1].

٦١٧ اليد التي لم تعصِ الله

كتب العالم الجليل مجتبى بلوجيان في كتابه (جزاء الاعمال ص ١١٩):

سمعت أُستاذي العزيز الحاج المجتهدي (أدام الله أيّام عزّه) أنّه قال: لقد ابتلى الميرزا النائيني (أعلى الله مقامه الشريف) وهو من علماء الأُصول البارزين ومن المراجع المرموقين في النجف الأشرف، ابتلي بألم في رجْله ولم ينفع مع ذلك الألم أي علاج.

ويوماً التقى شيخ عبّاس القمّي ﵀ وقال له:

ادعُ لي ياجناب الشيخ لعلّ الله سبحانه وتعالى يسمع دعاءك ويشفيني ممّا أنا فيه.

فقال له المحدّث القمّي ﵀: أيّها الميرزا الكريم: أنا لستُ على يقين من أنّني لم أعصِ الله سبحانه بلساني، لذا فإنّي لا أدعو لك به، ولكن عندي يقين بأنّي لم أرتكب ذنباً أو معصية بيدي هذه، فقد أفنيتُ هذه الحقبة من عمري في كتابة روايات وأحاديث رسول الله ﷺ وأهل بيته ﵈، وإذا لم تَشْفِكَ يدي هذه فإنّي سأقطعها!!

---

١ ـ جزاء الأعمال / مجتبى بلوجيان ـ ص١١٨ بتصرف.

فوضع يده الشريفة على رِجْل الميرزا النائيني فبرئتْ رجْله وشفاه الله من تلك الآلام التي كان يعاني منها.

٦١٨ أختي.. هكذا يحترق القرآن!

إنّ شخصاً جاء إلى المرحوم آية الله العظمى الحاج حسين البروجردي ﷺ وقال: لقد رأيتُ في المنام أنّ في بيتي ثلاث مصاحف (من القرآن الكريم) أحدها كبير، والآخر متوسط، والثالث صغير، وأنّ هذه المصاحف الثلاثة قد اشتعلتْ فيها النار، ولمّا أسرعتُ لإطفائها رأيتُ القرآن الكبير والمتوسط قد التهمتْهما النيران بالكامل، ولكن القرآن الصغير احترقتْ أطرافه فأطفأتهُ!

فقال له آية الله البروجردي ﷺ:

إنّي لا أستطيع تفسير الأحلام ولكن أدلّك على شخص يسكُن بالقرب من شارع گرگان في طهران وهو من العلماء ويُعرَف باسم آية الله السيّد أحمد القمّي فهو أُستاذ في تفسير الأحلام، إذهبْ إليه واسأله عن تفسير رؤياك هذه.

قال: ذهبت إلى السيّد أحمد القمّي وذكرتُ له رؤياي. فقال لي: إنّ لك في بيتك ثلاث بنات كبيرة وصغيرة ومتوسطة، الكبيرة والمتوسطة وصلتا في المدرسة إلى مرحلة الإعدادية فخلعتا الحجاب، وهما القرآنان اللّذان احترقا بصورة كاملة، ولكن الصغيرة التي أكملتْ مرحلة الإبتدائية وكانت تستعدّ للذهاب إلى دورة أعلىٰ ترغب في نزع حجابها.

قلتُ: سوف لا أدعها تذهب إلى المدرسة حفاظاً على حجابها.

فقال لي: هل صحيح ما أقوله؟

قلتُ: نعم هو كذلك[1].

---

١ ـ جزاء الاعمال / ص١٢٧ بتصرف.

٦١٩ عندما يردّ الرسول من الغيب!

كتب العلّامة الفقيد المرحوم السيّد علي أكبر الكاشاني ﷺ: نقل لي جدّي الأمجد المرحوم العلّامة مير سيّد محمّد صادق ﷺ، أنّه في سنة (١٢٢٩هـ) جاءه جابي الضرائب يطلب منه دفع ضريبة، وقد أقسم السيّد لهذا الجابي بأنّه يمرّ بضائقة مالية لا يستطيع معها دفع ما ترتّب عليه من ضريبة، ولم يؤثّر كلامه هذا في قلب الجابي حيث أنّه كان شديداً وقاسي القلب، ولا يعرف العذر ولا يفهم معنىً للعفو والصفح.

وعندما عجز السيّد عن إقناعه بعدم مقدرته على دفع ما ترتّب عليه طلب من الجابي أن ينظره أيّاماً لعلّه يستطيع بعدها أن يجد له وسيلة لأداء ضريبته، ولما رأىٰ فيه تلك الصلافة اضاف له قوله: يجب أن تستحيي من جدّي رسول الله ﷺ.

لكن الجابي الوقح أجابه: إذا كان جدّك يدفع عنك الشرّ أو يعينك على قضاء حاجتك أو ينقذك ممّا أنت فيه فأنا أستحي منه!

فطلب منه كفيلاً يكفله إلى يوم غد وقال: غداً صباحاً إذا لم أجد المبلغ حاضراً فسوف أضع في فمك النجاسة، وقُل لجدّك أن يفعل بيّ ما يشاء! وعاد الجابي إلى بيته وذهب إلى سطح داره لينام، وفي نصف الليل إستيقظ على مجرىٰ الميزاب فانخلع الميزاب وهوىٰ إلى الأرض، ومن حُسْن الصدف أنّه كان في أسفل الميزاب خزينة الخلاء فسقط فيها على رأسه وغاص في النجاسة إلى رجليْه ولم يكن أحد يعلم بما جرىٰ له، فاختنق في ذلك المكان، وفي الصباح عندما بحثوا عنه وجدوه ناكصاً على رأسه داخل خزينة الخلاء مختنقاً بالنجاسة وقد دخل في جوفه منها ما لا يُحصىٰ وزناً، فتورّم منها بطنه فمات وتخلّص السيّد من شرّه[1].

٦٢٠ إستجابة دعاء الملهوف

نقل الشيخ الأُستاذ محسن قرائتي (حفظه الله تعالى) بأنّ والده متزوّج من زوجتين

---

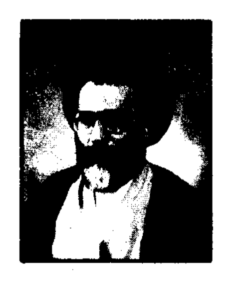
١ ـ جزاء الاعمال / ص١٣٢ بتصرف.

ولم يُرزَق منهما اولاداً حتّى بلغ عمره الخامسة والأربعين، ويوماً طرق جارنا الباب وكان يحمل كيساً فيه قططاً صغيرة وقال: عندي أولاد بكثرة في البيت، وأنتم ليس عندكم أولاد ولا قطط فخذوا هذه القطط الصغار تعيش في بيتكم وكان تعدادها أحد عشر قطّة!

وكان لكلام الجار على أبي وقعاً شديداً حيث جلس في زاوية من الغرفة وأخذ يبكي بصوت عالٍ ويناجي ربّه: إلهي لماذا حرمتني من الأولاد إلى هذا الحدّ فإنّ جاري أخذ يسخر منّي. وفي تلك السنة حجّ والدي إلى بيت الله الحرام، وهناك وفي بيت الله طلب ممّن معه من أهل كاشان بأن يشتركوا معه في الدعاء بأن يقولوا آمين ويطلبوا من الله أن يرزقه ذريّة أوّلهم يكون واعظاً مبلّغاً لأحكام الشريعة الإسلامية، فدعا الله سبحانه وتعالى بلهفة وأصدقائه الحجّاج كانوا يردّدون كلمة آمين.

يقول الشيخ قرائتي: بعد سنّ الخامسة والأربعين رُزق والدي بأحد عشر ولداً كنتُ أوّلهم حيث صرتُ واعظاً ومبلّغاً[1].

٦٢١ المال والموقف المحمود



السيد محمد السبزواري

المال إغراءٌ خطير لمن يسلك سرابه إلى ملذّاته الشخصية، وهو في الوقت ذاته جهاد كبير لمن ينفقه في سبيل الخير ويتجنّب المزالق. لذا اعتبرته الأحاديث الإسلامية من أهمّ وسيلة الإمتحان للإنسان، فكم من أشخاص سقطوا في الإمتحانات المالية، وكم منهم خرجوا منها ناجحين مفلحين. وهؤلاء هم الأذكياء الذين فطنوا كيف يشتروا الكثير الدائم بالقليل الزائل.

وفيما إذا كان المال أمانة بيدِ شخصٍ رفعتْه ظروف إلى مستوى الإئتمان فانّ الخيانة فيه جريمة ما أعظمها.

من هنا كان دأب مراجع الشيعة في كتابتهم الإجازة إلى وكلائهم أن يختموها بكلمة

---

١ ـ نفس المصدر / ص١٤٣ بتصرف.

(وأوصيه بملازمة التقوى وسلوك سبيل الإحتياط) ومع ذلك زلّت أقدام بعضهم أسالتْ لعابه عندما شعّ لمعان الأموال التي اجتمعتْ بيده فرجّح كفّة مصاريفه الشخصية على مشاريعه الإسلامية، فهؤلاء قد رضوا لأنفسهم أن يكونوا مع الساقطين في الإمتحانات المالية.

إلّا أنّ الوجوه المشرقة هنا ما كانت لتغيب أبداً، فالوكلاء المتّقون كثيرون وان كان الواعون منهم قليلون.

بهذا التمهيد نأتي إلى التعريف بوجهٍ من تلك الوجوه المشرقة التي لم تغرّه الأموال المجبيّة إليه في ظلّ مرجعية والده العظيم.

ذلك هو المرحوم آية الله السيّد محمّد السبزواري نجل المرجع الكبير آية الله العظمى السيّد عبد الأعلى السبزواري (أعلى الله مقامهما). فإنّه لمّا قدم إلى طهران سنة (١٤١٣هـ) ليستقرّ فيها ويدير شؤون تلك المرجعية الورعة، إجتمع حوله المؤمنون واستجازه احدهم واسمه الحاج محمّد علي ... ـ وهو من كبار تجار طهران ـ أن يسمح بشراء منزل له في الأحياء الراقية من العاصمة وبأمواله الشخصية. فامتنع سماحته قائلاً: أُريد أن أعيش في الأحياء المتوسطة مع الناس العاديين. وذلك رغم شدّة التلوّث الذي كان يضرّ بصحّته ﷺ.

وعلى صفحة أُخرى من ورعه في المال كان سماحته يتنقّل في طهران بالحافلات العامّة، فاقترح إليه الحاج أحمد المرتاضي ـ واحد من أهل الخير في قم المقدّسة ـ بشراء سيارة خاصّة له، حتّى قال إنّه يتولّىٰ قيادتها بنفسه في خدمة السيّد، فلم يوافق ﷺ. يقول الحاج كنت أتألّم له عندما يأتي إلى قم ويعود إلى طهران بالنقل العامّ. ممّا جعلني أتقدّم إليه بذلك الإقتراح حتى بادرني قائلاً: بكم قيمة السيارة التي تريد شراءها؟

قلت له: بين أربع إلى خمس ملايين تومان.

فقال السيّد: إن في حسابي الآن من أموال المشاريع الإسلامية أكثر من مائة مليون تومان، فلو اقتطعتُ منها قيمة سيارة لا يؤثّر على المشاريع التي بيدي الآن ولكن والدي لا يرضى بذلك، وأنا لا يمكنني إلّا أن أكون قيد طاعته وتعاليمه.

وهذا في الوقت الذي كان آية الله السيّد محمّد السبزواري مجتهداً بنفسه، ممّا يحقّ له أن يتصرّف مستقلاً برأيه ضمن الحدود الشرعية، ولكنه أبىٰ أن يميل مع الدنيا حتىٰ الىٰ درجة قد تسمح له الاحكام الشرعية ايضاً.

واستمرّ هذا السيّد الجليل في مواقفه النزيهة حتّى بعد وفاة والده المرجع الورع، إذ كان يدفع من تلك الأموال إلى المشاريع الإسلامية والخيرية وطلبة العلوم الدينية في الحوزات العلمية لعدّة شهور حتّى إنتهتْ ونفدتْ تلك الأمانات فقال له أحد الأشخاص عندما عَلِمَ أنّ السيّد يسكن في بيت إيجار: هلّا إشتريت من تلك الأموال داراً لنفسك وأرحتَ عيالك من البيوت الاستئجارية ومشقّاتها؟!

فردّ عليه السيّد العفيف الزاهد: إنّ والدي أمرني أن لا أستفيد من أموال الإسلام لمصالحي الشخصية.

نعم أيّها القارىء الكريم: إنّ هذا العالم الأمين والذي عشتُ معه بعض سنوات في النجف الأشرف كان هكذا من دون مبالغة، وكيف لا يكون كذلك وهو من نتاج أورع المراجع وأتقاهم، هو والده المعظّم ﴿﴾ الذي كان لي ولأمثالي منهلاً عذباً في الأخلاق والولاء لأهل البيت عليهم السلام.

وأما ثمرة زهده ونزاهته، فلا تشكّ أبداً في أن عطاء أهل البيت عليهم السلام لهؤلاء الأمناء الزاهدين فما أحلىٰ تلك الساعة التي لا يبيعها المتّقون بكلّ ما في الدنيا من لذّات محدودة وموقوتة!

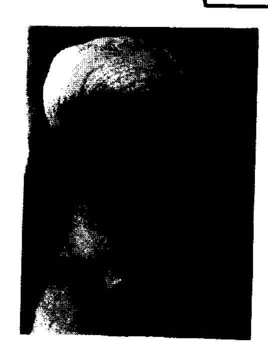
يقول نجله فضيلة حجّة الإسلام السيّد حسن (حفظه الله وسدّد خطاه) والذي كان يحكي لي المواقف المذكورة عن أبيه أنّ سماحة الشيخ مهدي الأنصاري (دام ظلّه) قال: بعد ما وضعتُ المرحوم السيّد محمّد السبزواري في قبره في صحن حرم السيّدة فاطمة المعصومة عليها السلام بقم المقدّسة وانتهتْ المراسيم، ذهبتُ إلى المنزل فرأيتُه في المنام برداء بيضاء في واحة خضراء وعلى وجهه النوراني إبتسامة عريضة لا تظهر إلّا علىٰ وجه الفَرِحين بما آتاهم الله من فضله، فتقدّم نحوي وقال: أيّها الشيخ ما كنتُ أعلم أنّ كرم السيّدة المعصومة بهذه الدرجة الكبيرة جدّاً؟!

نعم.. هذا هو الموقف المحمود، هنيئاً له، إنّ جائزة تُقدّمها كريمةُ آل محمّد ﷺ للمُوالي الورع كأوّل إكرامية على مبدأ الطريق البرزخي إلى الجنّة لَهي جائزة تستحقّ كُلّ التعب والعناء في هذه الدنيا التي ما رآى منها راحة حتى اهلُها، ومع ذلك فهم لا يتعظون.

ولا أدري الى متى لا يفقهون هذه المعادلة؟ وقد فقهها رجال أحدهم هذا العالم الجليل.

اللهمّ أزِلْ عن قلوبنا الغفلة الحائلة، وافتح علينا ابواب الهداية الىٰ عمق الحقيقة التي خلقتنا من أجلها يا ربّ العالمين.

٦٢٢ الإستخارة، طلب الخير من الله



الشيخ الملايري





السيد الكاشاني والمؤلف

سألت العلّامة الكبير آية الله السيّد عبّاس الكاشاني (دام ظلّه) عن الفرق بين الإستخارة بالقرآن الكريم والإستخارة بتسبيحة الزهراء عليها السلام؟

فقال: يعود الأمر إلى الإيحاء الباطني للمستخير، وإنّما القرآن أو السُبحة وسيلتان لطلب الخير من الله عند الحيرة في الإقدام إلى شيء أو الإحجام عنه كما ورد في الأثر

ثمّ قال سماحته: انّه شخصيّاً يرجّح الإستخارة بالسُبحة، وعلّمني طريقتها المرويّة عن الإمام الحجّة عليه السلام كما ذكرها الشيخ صاحب جواهر الكلام) في كتاب الصلاة، وقال انّها أفضل الإستخارات.

ثمّ حكى لي سماحته القصّة التالية قائلاً: تعلم أنّ المرحوم آية الله الشيخ محسن الملايري (أعلى الله مقامه) كان أشهر العلماء في الإستخارة بالقرآن، ذات يوم كنت جالساً عنده في مجلس فطلب منه أحد الحاضرين إستخارة، ففتح القرآن وأنا رأيت الآية فأجابه قائلاً: أسرع واخطُبها لإبنك فإنّها مثالية جدّاً، تسعده في الدنيا والآخرة، وان ماطلت في الأمر فهناك خاطب لها يفكّر هذه الأيّام أن يتقدّم إليها!

فقال الرجل: سبحان الله، لقد استخرت الله من سماحة الشيخ بهذا القصد.

فقام مودّعاً وأسرع ليرتّب مقدّمات الذهاب إلى منزل والد الفتاة ليخطبها لإبنه، فتحقّق زواجهما وكان حقّاً زواجاً مثالياً سعيداً كما أخبر به الشيخ وأكّد على ذلك الخاطب.

ومضت أيّام حتّى دعوت سماحته مع ثلّة من العلماء الأعاظم ومن بينهم رجل الإستخارة المعروف آية الله السيّد عبدالكريم الكشميري ﵀ إلى مائدة في منزلي هذا، وبعد الإنتهاء من الطعام ذهب كل واحد من الحاضرين إلى جهة في هذه الصالة وتلك الغرفة يستلقي ساعة. ولكنّي مع الشيخ الملايري كنّا جالسين في تلك الزاوية ـ وأشار السيّد إليها ـ فجاء شخص من وراء الباب يطلب منّي إستخارة، فقدّمت سماحته ليأخذها له، فقال الشيخ انّه طلبها منك. فقلت وأنا أطلبها منك، فهل التوكيل في الوكالة ممنوع؟!

ففتح الشيخ نفس ذلك القرآن فجاءت نفس تلك الآية، ولكنّه قال لي أن أقول للرجل: بأنّ الخيرة غير جيّدة فلا يُقدِم أبداً!

فأخبرت الرجل بهذا الجواب ثمّ جلست عند الشيخ وقلت له هل يحقّ لي أن أسأل سماحتكم؟

فقال الشيخ بفراسته الخارقة: أنا أعلم ماذا تريد أن تسأل؟ وتبسّم ثمّ قال: تفضّل اسأل.

فسألته: هذه الآية نفس تلك الآية، كيف قلت لذلك الرجل قبل أيّام أسرع في الإقدام، وتقول لهذا أحجم ولا تقدم؟

فقال الشيخ: أُجيبك بشرط أن لا تنقله لأحد ما دمت في قيد الحياة.

قلت: أنا بقيد الشرط، تفضّل.

قال: انّ حقيقة الأمر هي أنّني لمّا أفتح القرآن الكريم أسمع في أُذني همسةً روحانية مفادها قل لهذا كذا وكذا، وقل لذاك كذا وكذا.

وأرجو أن لا تسألني عن التفصيل فانّ له شرحاً طويلا!

٦٢٣ قف، هنا قضيّة مسؤولة

حكى لي العالم الربّاني سماحة آية الله السيّد عبّاس الكاشاني (دام ظلّه) انّ آية الله السيّد حسين القاضي ﷺ رأى في منامه المرحوم آية الله العظمى السيّد حسين البروجردي ﷺ جالساً عند مدخل قصر شاهق في بستان جميل جدّاً إلى حدّ لا يوصف، فسألته: لمن هذا القصر؟

فقال: هذه عطيّة من سيّدي ومولاي الإمام الصادق ﷺ ولكن المطلوب منّي أن أُجيب على خمس عشر عاماً من رئاستي للمرجعية الدينية التي إستلمتها بعد المرجع الأكبر السيّد أبي الحسن الاصفهاني (أعلى الله مقامه)!

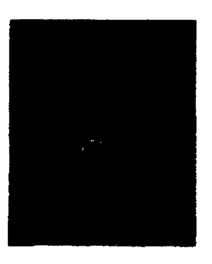
نعم .. هل علمت أخي القارىء ضرورة الوقوف هنا؟

أتمنّى أن يفيق من سباته كلّ متصارع يحلم بالقيادة دون العناء لمؤهلاتها! سواءاً كانت القيادة سياسية أو دينية أو حتّى محدودة في إدارة مؤسسة تجارية أو مأتم أو مسجد أو جمعية خيرية أو موكب عزاء حسيني، أو ما أشبه.

وكم يجب أن نتذكّر الحديث الوارد عن الإمام الكاظم ﷺ «حاسبوا أنفسكم قبل أن تُحاسَبُوا».

اللهمّ وفّقنا إلى التقوى سواءاً جعلتنا قادةً أو مقودين بقائد طهّر قلبه بتقواك ياهادي المتّقين ولا أحد سواك.

٦٢٤ الضابط الروسي يتكلم!


السيد الاصفهاني

ذكر العلّامة الشيخ محمّد شريف الرازي ﷺ في موسوعته القيّمة عن حياة العلماء المسمّى بالفارسية (گـنجينهٔ دانشـمندان) فـي المجلّد الثالث منه صفحة (٨٢):

حكى لي العالم الربّاني المرحوم الحاج ملّا مـحمود الزنـجاني المعروف بـ (ملّا آقا جان) انّه بعد الحرب العالمية الأُولى سافرت مشياً على الأقدام لزيارة العتبات المقدّسة في العراق، ولمّا وصلت مدينة (خانقين) ذهبت للصلاة إلى مسجد هناك، فرأيت في المسجد رجلاً أبيض البشرة يصلّي بطريقتنا، تعجّبت لأنّ هؤلاء (البيضان) ليسوا إلّا من شمال روسيا فماذا يفعل هنا ويصلي مثلنا؟

لذا إنتظرته حتّى يفرغ من صلاته. عند ذلك دنوت منه وسلّمت عليه، فعرفت مـن لهجته انّه روسي بالفعل، فسألته عن محلّ إقامته وسبب دخوله الإسلام والتشيّع؟

فقال: أنا من مدينة (لينينغراد). كنت ضابطاً في الجيش، وكانت تحت إمرتي ألفان من جنود الروس، عَسْكرنا على بُعد مسافة مـن مـدينة (كـربلاء) نـنتظر الأمـر بـالهجوم لاحتلالها في ليلةٍ شاهدت في عالَم الرؤيا شخصاً مهيباً نورانياً لم اتصور هيبته وقامته من قبل، قال لي إن عساكركم منهزمة في هذا المحور من جبهات الحرب، وسوف ينتشر غداً هذا الخبر فيُقتَل هؤلاء الجنود بيد العرب المسلمين. فقبل أن تُقتَل، تعال واعتنق الإسلام لأُنقذك من الهلاك.

قلت له: من أنت، إنّني لم أر من قبل أحداً مثلك في هذه الأخـلاق الطـيبة والهـيبة والشجاعة؟

قال: أنا أبو الفضل العبّاس ﷺ الذي يَقْسِم المسلمون باسمي.

فانجذبتُ إلى كلامه العَذْب واعتنقتُ الدين الإسلامي بتلقينه لي كلمات الشهادة. ثمّ قال لي: قم الآن وأخرج من المعسكر.

قلت: إلى أين ؟ أنا ليس لي مكان في هذه البلاد.

قال: في القرب من خيمتك فرس، إركبه، فسيأخذك إلى مدينة أبي (النجف) عند وكيلنا السيّد أبي الحسن الاصفهاني (المرجع الشيعي الأعلى في ذلك الزمان).

قلت: عشرة جنود يراقبونني خارج الخيمة بذريعة الحماية!

قال: انّهم سكارئ مخمورون، ولا يشعرون بخروجك.

أفقتُ من النوم، فلم أرَ الرجل ولكنّي رأيت خيمتي منوّرة وشممتُ عِطراً ورائحة طيّبة جدّاً. فلبستُ ملابسي بسرعة وخرجت، فرأيت الجنود العشرة كلّهم مخمورين وسكارى. شققتُ الطريق من بينهم فلم يشعروا بي حتّى وصلت إلى الفرس، ركبتُه فأوصلني بعد ساعة إلى مدينة النجف، ثم واصل الطريق في الزقاق حتّى وقف عند باب منزلٍ. وبينما كنت متحيّراً عند الباب لا أدري ماذا افعل، واذا فُتح الباب فخرج منه سيّد كبير السنّ نورانّي الوجه يرافقه شيخ فتكلّم معي الشيخ باللغة الروسية ثمّ أدخلاني المنزل.

سئلت الشيخ: مَن هذا السيّد ؟

قال: هو الذي أرسلك إليه أبو الفضل العبّاس عليه السلام. ولقد وصّاه بك.

فاقشعرّ جلدي وجدّدتُ بين يديه قرائتي للشهادة، ثم أمر السيّد الاصفهاني الشيخ أن يعلّمني الأحكام الشرعية في الإسلام. وفي اليوم التالي انتشر نبأ هزيمة الحكومة الروسية فهجم المسلمون العرب في تلك المنطقة على أُولئك الجنود المتأهّبين لإحتلال كربلاء فلم يبقوا منهم أحداً على قيد الحياة. إنني اشكر الله على هدايتي وارئ نفسي مديناً لأبي الفضل العباس عليه السلام.

يقول الشيخ ملّا محمود الزنجاني (ناقل القصّة) سألته: ماذا تفعل هنا الآن ؟

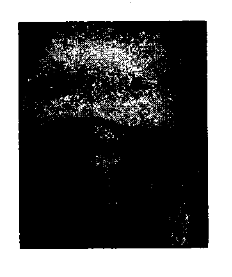
قال: جوّ النجف حارّ جدّاً، أرسلني آية الله الاصفهاني إلى هذه المنطقة لجوّها الأفضل نسبيّاً، وفي غير هذه الفترة الصيفية أعيش في النجف براتب شهري يمنحني آية الله العظمى السيّد الإصفهاني (حفظه الله).

٦٢٥ للجلوس مع القرآن آداب

قال المرحوم السيّد محمّد مهدي الصدر ابن العالم الجليل آية الله السيّد إسماعيل الصدر رحمهما الله:

في بداية أيّام شبابي وبأمر من والدي كنت أحضر في كلّ جمعة دروس تفسير القرآن الكريم عند العارف الربّاني ملّا فتح علي رحمه الله. في ذات جمعة حضرتُ عنده وكنت محتلماً ولم أغتسل من الجنابة ـ لضيق الوقت وشيء من التساهل والتكاسل ـ فلمّا جلستُ بين يديه غَرَقَ في التفكير ولم يتفوّه لي بكلمة.. استمرّ صمته وسكوته نصف ساعة، فعندما هممت بالنهوض لأخرج قال لي: ياسيّد محمّد مهدي، الإنسان الذي يأتي نحو القرآن يجب أن يتطهّر ثم يأتي![1]

٦٢٦ ونريد...



الشيخ محمد طه نجف

حكى آية الله الشيخ راضي (المتوفّى سنة ١٣٤٠هـ) أن أُستاذه العلّامة آية الله الشيخ محمّد طٰه نجف حكى له انه:

في سنوات سابقة ظهرتْ على ركبتي دُمّلة، ولم تفلح المعالجة على الطريقة الشعبية القديمة فاضطررتُ أن أُسافر إلى بغداد للمعالجة، وكنت في يومها اعاني من ضائقة مالية شديدة، فأعانني في ذلك الخيّرون من عائلة الشيخ محمّد حسن ـ المعروف بالكُبّة ـ وقاموا بمساعدتي مدّة عامين هناك حتّى برئت.

خلال هاتين السنتين كنت أكتئب كلّما أمرّ بمخيلتي على ما مضىٰ من عمري، إذ كنت أراه قد مرّ في القيل والقال، ولم أصل إلى درجة علمية رفيعة أو حالة معنوية عالية، ولم تكن لي من الناحية المعيشية نصيبٌ استغني به عن مساعدة الآخرين. فصرتُ أرى نفسي مصداقاً لمن (خسر الدنيا والآخرة) إذ لم أجد لعمري ثمرة أسعد بها.

---

١ ـ بالفارسية (تاريخ حكماء وعرفاء متأخّرين) / ص١٤٧ ـ بتصرّف.

قرّرت بعد الشفاء وقبل عودتي إلى النجف الأشرف أن أذهب إلى مدينة سامراء لزيارة مرقد الإمامين الهادي والعسكري عليهما السلام. فألّفت قصيدة خاطبتُهما بها وفيها لمحة من العتاب والشكوىٰ، أوّلها:

يا أُباة الضيم ما هذا السكوت عن عبيدٍ كاد بالهمّ يموت

وبعد وصولي إلى سامراء، في ذات ليلة إذ كنت بين اليقظة والنوم سمعتُ هاتفاً يقول: «ونريد».

دلّني حدسي انّه يقصد الآية الكريمة: ﴿ونريد أن نمنَّ على الذين استُضعِفوا في الأرض ونجعلَهم أئمّةً ونجعلَهمُ الوارثين﴾ وخطر بقلبي انّ الهاتف يريد بتلك الكلمة أن يواسيني ليريحني من كآبتي القاتلة، ثمّ أخذني النوم حتّى جلست لصلاة (الصبح).

ولمّا طلعت الشمس سمعت طارقاً يطرق الباب، فجئت واذا بالمرجع المجدّد الميرزا الشيرازي الكبير (أعلى الله مقامه) جاءني زائراً. فجلسنا بعض الوقت، ثمّ سكت السيّد الشيرازي مدّة خمس دقائق وهو يتمعّن في وجهي بدقّة، عندها تلا الآية:

﴿ونريد أن نمنّ على الذين ...﴾.

فتذكّرت ما كنت قد رأيته في منامي البارحة وما خطر على قلبي من أن القصد هو الآية، علماً إنني لم اخبر السيد الجليل عن حالي ولا عن منامي.

وبعد ذلك قد بلغ الشيخ محمّد طهٰ نجف رتبة عالية في العلم والفضل والمكانة الإجتماعية حتّى لُقّب بـ(شيخ الطائفة في عصره).

وكانت فراسة السيّد المجدّد الشيرازي إختراق روحاني، وقراءته للآية بشارة واضحة[1]، ذلك لا يكون إلّا بنور الله تعالى.

٦٢٧ لو أنزلنا هذا القرآن...

جاء ثلّة من سادات مدينة (نجف آباد) التابعة لمحافظة اصفهان إلى العالم الورع آية

---

١ ـ هدية الرازي / عن حياة الميرزا الشيرازي ـ تأليف الشيخ آقا بزرك الطهراني ـ بتصرّف في الألفاظ.

الله بيد آبادي ﷺ وقالوا: كانت الناس في هذه المنطقة يتنعمون من المياه الغزيرة التي كانت تجري من نبع فوق الجبل عندنا، إلّا أنّه منذ فترة جفّ النبع، واصبح الناس في ضيق شديد، نرجو أن تدعو الله تعالى للفرج.

فكتب العالم الربّاني ﷺ هذه الآية على رقعة: **﴿لو أنزلنا هذا القرآنَ علىٰ جَبَلٍ لرأيتَه خاشعاً متصدِّعاً من خشيةِ الله وتلك الأمثالُ نَضْرِبُها للناسِ لعلَّهم يتفكّرون﴾**(١) وقال: خذوا هذه الرقعة وضعوها في أوّل الليل على قمّة ذلك الجبل وعودوا إلى منازلكم فوراً.

ففعلوا ما أمرهم العالم التقي، وما أن وصلوا إلى منازلهم حتّى خرج من الجبل صوت رهيب يشبه الإنفجار، وسمعه الناس في تلك المدينة، وفي الصباح رأوا النبع يخرج منه الماء الكثير كما كان في السابق، فشكروا الله سبحانه على تلك النعمة(٢).

اقول: وهذا شرح عملي لقول الرسول الأعظم ﷺ: «لو عرفتُم الله حَقَّ معرفته لَمشيتُم على البحور ولَزالتْ بدعائكم الجبال»(٣).

٦٢٨ مشاهدة بالقلب المنير

قال العالم الربّاني الميرزا جواد الأنصاري الهمداني ـ المتوفّى حدود سنة ١٣٧٩هـ ـ ﷺ: كنت أسير في طرق مدينة همدان إذ رأيت جنازة محمولة على الأكتاف يشيّعونها صوب المقبرة.

ولكنّي من الزاوية الملكوتية ـ أي النظرة الروحية ـ شاهدت الجنازة تتّجه نحو وحلٍ مظلم وقعر عميق، وكانت روح الميّت على جنازته تحاول أن تنادي: الهي انقذني من هذا العذاب، ولكنها لم تتمكّن من لفظة إلهي.

فأخذتْ تلتفتْ إلى المشيّعين وتنادي: انقذوني، لا تسمحوا أن يرموني في ذلك المكان. ولكنهم لم يكن أحد يسمعه أو يفقه ما يجري له.

---

١ ـ سورة الحشر / ٢١.

٢ ـ القصص العجيبة، للشهيد دستغيب.

٣ ـ ميزان الحكمة / ج٦ ص١٥٨.

نعم.. أنا أعرف الرجل، انّه من أهل همدان وكان من الأغنياء الظلمة[١].

اخي القارىء لا تستغرب فان الروح اذا قويت في ارتباطها بالله تعالى بَصَرَ القلب ما وراء الظاهريات، أما ترى قول الصادق الأمين رسول ربّ العالمين ﷺ الذي قال:

«لولا تكثيرٌ في كلامكم وتمريجٌ في قلوبكم لَرأيتم ما أرىٰ ولَسمعتم ما أسمع»[٢].

٦٢٩ فراسة العارفين ومداراة الناس

السيد بهاءالديني

ذكر أحد الطلبة ممّن حرص على مرافقة العالم الربّاني الجليل آية الله بهاء الديني ﷺ قائلاً: كنتُ ذات يوم خارجاً لأُصلّي صلاة المغرب خلف السيّد بهاء الديني، وقفت في الشارع أنتظر سيّارة أُجرة فمرّتْ سيّارة أُجرة مسرعة على مستنقع ماء فأوسخت ملابسي وتبلّلتْ، فغضبت على السائق بشدّة وقلت له: أما لك عين؟ أين شعورك؟

فذهب الرجل وجئتُ إلى الصلاة. وبعد الإنتهاء جلس سماحة السيّد بهاء الديني وجلس حوله حلقة من المصلين يستفيدون من مواعظه، فبدأ السيّد يتحدّث لنا، ولكنّه فجأةً غيّر الموضوع وقال دون أن ينظر إليّ:

«لا يليق بطالب العلوم الدينية الذي يعيش على حساب الإمام الحجّة ﷺ أن يكون فحّاشاً، نفترض سائق «التكسي» قد أخطأ ورشّ على ثيابك من ماء مجتمع على بقعة، فهل يصحّ أن تهينه؟! انّ المداراة مع الناس ياإبني أمر واجب!»[٣].

٦٣٠ إهدنا الصراط المستقيم

يوم النفير هو يوم الثاني عشر من ذي الحجّة الحرام، وكانت سنة ١٤٢٠هـ، والساعة وقت زوال الشمس الحارّة إذ كنت خارجاً بإحرامي من (مِنى) إلى (مكّة المكرّمة)..

---

١ ـ بالفارسية (توحيد علمي وعيني) ص٢٨.

٢ ـ بالفارسية (رسالة لبّ اللباب) / ص٤٢.

٣ ـ كتاب عن حياته باللغة الفارسية تأليف السيّد حسن شفيعي.

فوقفتْ لي سيّارة أُجرة وكان فيها مكان لنفر واحد لا أكثر، ركبتها وكان حديث الركّاب الأربعة ساخناً في النيل من الشيعة.. فالتفت نحوي الذي بجانبي وقال بأسلوب مستعلٍ: أنت من أي جماعة ياحاج!؟

قلت: من جماعة الإسلام.

قال: أقصد أنت (هيك) أم (هيك)؟ مشيراً بيده يمنة ويسرة

قلت: أنا لا (هيك) ولا (هيك) فأشرت بيدي مستقيماً. وقلت: أنا مثل ملايين الشيعة مسلم سنّي نأخذ سنّة النبي محمّد ﷺ من أقرب صحابته الذي خصّه بالعناية الخاصة وهو الإمام علي عليه السلام.

وهنا دار بوجهه نحو أصحابه الجالسين في الخلف وأشار إليهم: (إنّه منهم)!

فقال الذي أشدّهم غلظة: لماذا الشيعة يعملون سياجاً بأيديهم حول نسائهم في الطواف!؟

قلت: كيلا تفرّقهنّ أمواج الضاغطة فيخرب طوافهنّ أو يحدث لهن أذى وما أشبه. وهذا ياأخي ليس خاصّاً بالشيعة، فأهل السنة كذلك يعملون ولا إشكال فيه شرعاً.

قال: لماذا الشيعة إثنا عشر مذهباً وكلّ مذهب له رأي في الإسلام!

قلت: لم تعرف الشيعة، إنّما هم يوالون إثني عشر إماماً من ذريّة النبي محمّد ﷺ وهم على مذهب واحد يسمّى مذهب الإثنا عشرية.

قال: تقولون بالتقيّة، والتقيّة يعني النفاق!

قلت: إنّ عمّار بن ياسر قد نطق تحت التعذيب بما أراد منه المشركون ولكن قلبه كان مطمئناً بالإيمان فهل إعتبره النبي ﷺ منافقاً أم بارك له موقفه الذكي؟

نحن الشيعة إن إتّقينا ففي تقيتنا إدانة للذين أسرفوا في ظلمنا وإبادتنا على إمتداد العصور الأُموية والعبّاسية وبقاياهم الظالمة، فالأفضل أن لا تظلموا باسم السنة النبوية حتى نستغني عن استعمال التقية!

قال: أنتم أقليّة بين المسلمين والأقلية تعني الانحراف عن الاسلام!

قلت: أما قرأت في كتاب الله الحكيم: ﴿وقليلٌ مِن عبادي الشكور﴾!؟

ثمّ إذا كانت الأكثرية دليلة على الحقّ فأكثر البشر ملحدون وفسقة ! وأرجوك أن تقرأ جيداً هذه الآية ﴿إنّ أكثرهم لا يعقلون﴾. إيتسم سائق (التاكسي) الذي كان منذ البداية ساكتاً لم يشارك في الحوار. ولكن الذي فتح النقاش عاد ليعزز موقعه وقال: ما عزاؤكم في الحسين وقد مرّ على موته أكثر من ألف وثلاثمائة عام!؟

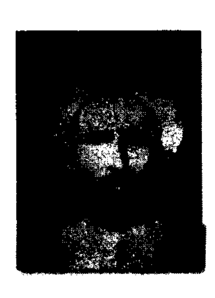
قلت: وهذا بحث لا تبلغ ثمرته في هذه الفرصة القصيرة ولكنّي أنصحك أن تقرأ عن الشيعة من مصادرهم لا من مصادر الذين لم يفهموهم، وإن مكانة الحسين عليه السلام وقضيته أعظم من أن يبلغ فهمها الكامل بشر مثلي ومثلك يا أخي.

وهنا وصلنا إلى المكان الذي أردت النزول، فأخرجت أُجرتي، وبينما كانت الإبتسامة على وجه السائق تشير إلى إرتياحه من منطق الحقّ المنتصر قال الذي بجانبي: الله يهديكم ياشيعة!

فقلت له: الله يهدينا ويهديكم، ألسنا جميعاً نطلب من الله في صلاتنا اليومية عشر مرّات ﴿إهدنا الصراط المستقيم﴾؟! فضحك السائق من اعماقه وكأنه يريد أن يقول لأولئك المتطفلين لا تناقشوا شيعة علي عليه السلام فانهم الغالبون.

وهكذا سكت أُولئك الذين لا يعلمون! فقلتُ الكلمة الأخيرة مودّعاً: أيّها الأُخوة كلّنا تجمعنا شهادة (أن لا إله إلّا الله، وأنّ محمّداً رسول الله) والنقاشات لا تضرّ بالأُخوّة والمحبّة إن تخلّقنا فيها بأخلاق نبيّنا العظيم الذي ارسله الله رحمة للعالمين.

٦٣١ رجالٌ أعانهم اللهُ علىٰ انفسِهم



الشيخ الحقّاني

(بيرم) قرية كبيرة تقع على بُعد (٣٧٥) كيلومترات عن مدينة شيراز، لهذه القرية تاريخ مشرف ورجالٌ صالحون رغم التجاهل المؤسف الذي اودع ذلك التاريخ ورجاله إلى مغارات النسيان.

فمن اولئك الرجال سماحة آية الله الشيخ محمد الحقاني (اعلى الله مقامه) الذي بدأ مسيرته العلمية والعملية من سنّ التاسعة على يد والده الملاّ شُكْر الله (رحمه الله) بتعلّمه القرآن الكريم أولاً ثم

ارساله إلى المدارس الدينية في مدينة (جهرم) و (لار) المجاورتين، وشقّ طريقه نحو المعالي الروحية والدرجات العالية، فدرس عند اكابر علماء شيراز من امثال المرحوم آية الله السيد علي المجتهد الكازروني والسيد إبراهيم الاردكاني والميرزا جواد الشريفي، ثم واصل الطريق فنالها في افضل صورها في حوزة النجف الأشرف على يد أعاظم فقهاء الشيعة من امثال المرجع الاعلى آية الله العظمى السيد ابي الحسن الاصفهاني وآية الله العظمى الشيخ ميرزا النائيني والمجاهد الكبير الشيخ كاشف الغطاء والمجتهد النحرير آية الله الكمپاني الاصفهاني (اعلى الله مقامهم).

وكفاه دلالة على شموخ رتبته ما أعطاه من وكالات وشهادات واجازات كتبها له اولئك الاكابر الافذاذ.

يقول آية الله الشيخ محمد باقر المحمودي (دام ظله) التقيته في حوزة قم المقدسة بعد ما عاد من النجف واستقر في قريته (بيرم) فقلت له انك كفاءة علمية، ولك وزنك الخاص ومكانتك العالية لماذا حددت نفسك في مساحة قرية. في الوقت الذي لو تقيم هنا في الحوزة لشاعت شهرتك وارتفع مقامك.

فرد الشيخ الحقاني قائلاً: فقد شرح لي آية الله السيد علي اصغر الموسوي اللاري حاجة تلك المناطق المحرومة، واقتنعتُ فنزلت إلى رغبته طاعةً واحتراماً.

هكذا كان هذا العالم الكبير يعيش مع الحاجة المُلحّة للناس وضرورة الاحترام للعلماء، فلم ينظر إلى الامور من زاوية مصالحه الشخصية.

وهذه المواقف الرفيعة في التواضع لا تصدر الا من رجالٍ مارسوا تهذيب انفسهم وترويضها سنواتٍ طويلة. ويا ليت الطاقات المكدّسة في حوزاتنا تفقه وظائفها الشرعية كهذا الرجل.

ونشير هنا ـ كما هو دأبنا ـ إلى أهمية تكثيف الدروس الاخلاقية في الحوزات العلمية لتربي إلى جانب العلم خصال الحكمة والاخلاق الحسنة وحسن المعاشرة في المتخرّجين منها. وقد كان آية اللّه الشيخ محمد الحقاني ﵀ يقول العالم الفاضل الشيخ يحيى الحقاني (دامت تأييداته) وهو اليوم من طلاب العلوم الدينية في حوزة قم

المقدسة، سمعتُ جدّتي تقول: في شتاءٍ قارس جلس المرحوم آية الله الحقاني ليستعد إلى نافلة الليل والذهاب إلى المسجد لأداء فريضة الصبح كعادته اليومية. فلبس ثوبه وارتدى عباءه ووضع عمامته على رأسه وخرج. ولما عاد بعد طلوع الشمس ناداني على خلاف عادته ان آتيه بثوب، فسألته اين ثوبك الذي كان عليك حين الخروج من المنزل؟

قال: إيتيني به ولا تسألي عن ثوبي السابق.

فلم أصِرُ على سؤالي. فجئته بثوب، ثم اشتغل بكتبه وكتاباته، وبعد ساعات حضر عنده طلبته واخذوا يدرسون. وبعد قليل دخل شخص من المجانين المتجوّلين في الطرق وجلس في ساحة المنزل، فحملتُ إليه بعض الطعام، وبينما وضعته بين يديه لاحظتُ ثوبه فإذا هو ثوب الشيخ (زوجي آية الله الحقاني)!

ولما خرج الطلبة وذهب المجنون اخبرتُ الشيخ بالموضوع فسألته كيف ولماذا اعطيته ثوبك في ذلك البرد الشديد؟

فقال الشيخ: عند الصباح رأيت هذا المجنون قد التجأ إلى المسجد وكان يرتعش من شدة البرد فأعطيته ثوبي!.

أجل.. تكشف هذه القصة عن عدة خصالٍ انسانية واخلاقية قد حوتْها شخصية هذا العالم الجليل، منها:

١ ـ العبادة والتهجد بالليل.

٢ ـ احياء المساجد خاصة في الصباح.

٣ ـ جهاد النفس في الخروج من دفيء البيت إلى برد الطريق وذلك في الطرق الوعرة المظلمة للقرية.

٤ ـ العطاء والايثار.

٥ ـ العطف والحنان.

٦ ـ صدقة السر و كتمان الانفاق.

ولولا اقتران عملية التهذيب النفسي مع التحصيل العلمي في سابق ايامه لما كان تصدر منه مثل هذه المواقف النبيلة.

يقول حفيده المبجّل الشيخ يحيى (حفظه اللّه) انه وجد في خواطر جده المخطوطة ان احد المؤمنين بعث اليه هدية ، فكتب إليه سماحة الشيخ قصيدة شكر أولها(وخير جليس في الزمان كتاب).

واليك بعض ابياتها التي يقول فيها الشيخ :

وخـــير لبـــاس للـتقىٰ فـي عـبائةٍ ... يـــقول بـــلا نـــطقٍ وذاك كـــتاب

يـــذكرنا اهـــل التـــقى اسوة لنـا ... وللـــــقاعدين مـــــرجـــع ومآب

نعم لا يقوم (الاسكناس)[1]مكـانه ... وان قـــيل هـــذا نـــائب ومـــناب

ونقل فضيلة الشيخ يحيى (حفظه الله) عن والدته المكرمة قولها : ان المرحوم آية الله الحقاني قبل وفاته بخمس وعشرين يوماً قد اخبرهم عن قرب رحيله . فخلال هذه الايام اخذ يرتب اعماله وينسّق ارتباطاته ويوصي ويكتب مايريده . وتقول: انه في الليلة التي رحل في يومها إلى جوار ربه تعالى رأيته وكأنه المسافر المستعجل يتصفح دفاتره وينظر في الأوراق ويراجعها بدقة ويضع كل شيء في محله ، وفي الاثناء دخلتْ جارتنا وهي امرأة كبيرة في السن وكانت تأتينا دائماً وتصف الشيخ اخي وشقيقي ، فرأتْه بهذه الحالة ، فقالت له : خيراً ان شاء الله ما بك يا شيخ ؟

فأجابها : انني استعد للسفر الطويل .

فبكت المرأة بشدة وضربت على رأسها ونادت ليتني انا امـوت وانت تـبقى لتـفيد الناس .

فقال الشيخ : هذا موعدي .

وبعد منتصف الليل كلما كنتُ ادخل عليه لأرىٰ حاله وما يحتاجه ، كنت أراه مشغولاً بالصلاة والدعاء أو تلاوة القرآن أو التصفح في اوراقه ووصيته . ولما رآني مهتمة بحاله وقلقة عليه، قال لي : لا تزاحمي نفسك اذهبي لرعاية طفلك يحيى (يقول الشيخ الحفيد : وكنت آنذاك من صغري اعاني من آلامٍ العين) .

خرجتُ من الحجرة ثم رجعت إليه قبل أذان الصبح وبيدي قليل من الخبز وكأس من

---

١ ـ أي النقود

الماء فوجدته يصلي نافلة الليل، جلست فرأيته ينظر إلى الاطراف وكأنه ينتظر أحداً! قلت: هل تحتاج شيئاً؟ اخشىٰ أن غلبتْ عليك الحُمّىٰ، استرح ياشيخ وخذ لك قسطاً من النوم فانك منذ البارحة تجهد نفسك.

قال: انا صحتي جيدة، انما انتظر شخصين كريمين كنت على موعد معهما!

فقام على سجادته وصلّىٰ صلاة الصبح وبعد التشهد والسلام قال لي: ها هما قد أتيا!

فنظرت في الاطراف فلم أر احداً. ولكنه كان يرحّب وكأنه يراهما!

فاتكأ وغمض عينيه وسكن، فلم يكن إلا دقائق واذا بنا في حزن الفراق وهو في سرور باق. وكان ذلك في صباح اليوم السادس من شهر شعبان المعظم سنة (١٣٨٨هـ).

فهذه ايها القاريء الكريم درجة لا يبلغها إلا الرجال المؤمنون الذين اعانهم الله على انفسهم الأمّارة بالسوء فصاروا من اصحاب النفس المطمئنة بنداء الله.

هذا ولقد خلّف سماحته من مؤلفات لم تُطبَع لحدّ الآن (٤٥) كتاباً في العرفان والفقه وعلم الأصول والفلسفة الاسلامية وشرح دعاء الصباح وشرح المنطق وفي الشعر، وشرح بعض خطب نهج البلاغة، وكتاب حول عالم البرزخ، وآخر عن الامامة والولاية، وله تفسير وترجمة القرآن الكريم، وكتاب عن حجاب المرأة، وبحث في القضاء والقدر، وعن حياة الائمة الاثنى عشر عليهم السلام، وكتاب حول اسباب تخلّف المسلمين، ونقدٌ على نظرية فرويد، وكتاب في المناجاة مع الله. وكتاب باسم (الاخلاق والمحاسن) ومجموعة مقالات.

يقول حفيده حجة الاسلام الشيخ يحيى الحقاني (دام عزه) سوف يعمل جهده لطباعة هذه الكتب القيمة ان شاء الله.

ونحن ندعو للفقيد بالرحمة الواسعة ولذويه بالعزة والاستقامة ولأهل (بيرم) بالتقدم والبركة والله ولي التوفيق وهو المستعان.

٦٣٢ الىٰ الامام الرؤوف مأوىٰ الغُرباء



الشيخ جوانمردي

في مدينة قم المقدسة، في مجلس عزاء حسيني اقامه سماحة حجة الاسلام والمسلمين السيد عباس المدرسي في منزل والده المرحوم آية الله السيد محمد كاظم المدرسي ﷺ وكان يوم الخامس من محرم الحرام سنة (١٤٢١ هـ) سمعتُ الخطيب الحسيني سماحة الشيخ اسد الله جوانمردي (حفظه الله) يقول: درست في حوزة تبريز العلمية وعمري (١٢ سنة) وارتقيت المنبر وعمري (١٧ سنة) وفي ايام وفيات الأئمة المعصومين عليهم السلام كان استاذي آية الله السيد جواد الخطيبي يعطل الدرس ويطلب مني قراءة النعي الديني. وكان يشجعني بقوله: ما شاء الله، انا استاذك ولا استطيع ان اقرأ مثلك.

استمراراً للتقدم على مدارج العلم والخطابة انتقلت إلى حوزة قم المقدسة، وفي ايام العطلات الدراسية ارتقي المنبر في قم واحياناً اسافر إلى مدنٍ اخرى. واقمت اكثر السنين في مدينة (اروميه) من محافظة آذربيجان الغربية. وهي منطقة باردة جداً. في شتاء سنة (١٣٨٣ هـ) تقريباً، لما كنت اعرق من شدة دفيء المجالس وحرارة الخطابة واخرج إلى مجلس آخر يثلج العرق على وجهي وجسمي، سبّب لي هذا الامر التهابات حادة في جيوبي الانفية، فاجريتْ لي عملية جراحية في مستشفى فارابي بطهران على يد الدكتور حسين نامي، ولكن المرض عاد مرةً ثانية لذات السبب إذ لم أكن اترك واجبي الشرعي في التبليغ. فاجرى لي الدكتور فريادي نفس العملية في مدينة (اروميه). وبعد عام رجع المرض للمرة الثالثة وكذلك لذات السبب. فهذه المرة قال الدكتور: اني آسف، لست واثقاً من نجاح العملية، من الافضل ان تذهب إلى طهران للعلاج، فهناك الرعاية والاجهزة الطبية افضل، والاطباء يعملون بشكل ادق.

فخرجت في طريقي وجئت إلى مدينة (قم المقدسة) وذهبت لألتقي بآية الله العظمى السيد شريعتمداري لأسأله عن بعض المسائل الشرعية، فقيل انه ذاهب إلى مشهد

المقدسة، فقررت السفر لزيارة الامام الرضا عليه السلام واللقاء بالسيد ايضاً.

في حافلة الباص اذ كنت راكباً وزّع شخص اوراقاً على المسافرين وأنا أخذتُ واحدة منها فقرأت فيها أن ناقةً جيىء بها للنحر من مدينة بعيدة إلى مدينة (مشهد المقدسة) ففرت من المنحر وطافت الزقاق حتى وصلت إلى حرم الامام الرؤوف ثامن الحجج علي بن موسى الرضا عليه السلام فافترشت الأرض قبال شباك المراد في صحن السقاية، وأخذت تنظر إلى ضريح الامام من خلال الشباك وتبكي!

كان منظراً عجيباً جدّاً جدّاً، ساعة واذا يصل صاحبها فيتأثر لها كالجمهور المتأثر هناك. فبلغ هذا النبأ متولي الحرم الرضوي الشريف فأمر بشراء الناقة من صاحبها ونقلها إلى المراتع التابعة لأوقاف الحرم المقدس حتى آخر حياتها.

وأنا لما قرأت هذه القصة العجيبة انقلبتْ روحيتي ودمعتْ عيناي، فما أن وصلتُ إلى مدينة مشهد حتى هرعتُ إلى حرم الامام الرضا عليه السلام قبل كل شيء، فقلت له: يابن رسول الله ارجو ان لا تكون معرفتي بمقامك الشامخ اقل من معرفة تلك الناقة، ولا تكون عنايتك بخادم جدك ابي عبد الله الحسين عليه السلام اقل من عنايتك بتلك الناقة. انا طول عمري ياسيدي قد خدمت مجالس جدك الحسين وفي هذا الطريق اصبت بهذا المرض المؤلم، ولقد يأس الاطباء من العلاج الناجح، انني اريده منك يا مولاي.

توسّلتُ بهذه الكلمات عند الامام الرضا عليه السلام ثم قفلتُ عائداً إلى مدينتي (اروميه). وفي الطريق بين مدينة (ميانه) و (تبريز) تقع مدينة (بستان آباد) فيها مياه معدنية، يقول عنها الناس انها دواء نافع للامراض، ألقي في قلبي أن ادخلها واسكب من تلك المياه على وجهي بقصد الشفاء، ففعلت ذلك مرة واحدة وكان هذا سبباً لمعجزة الامام الرضا عليه السلام، فمنذ تلك الساعة إلى هذه الساعة (٣٥ سنة) لم اشعر بألمٍ في جيوبي الانفية وانا امارس المنبر في تلك المناطق الباردة والحارة وبذات الطريقة السابقة، فالحمد لله وله الشكر.

٦٣٣ فاطمة عليها السلام هي التي أخبرتني!



الشيخ جمعه الحاوي، والمرحوم السيد عبد الله العلوي البحراني، والمؤلف / سنة ١٤٠٤هـ

الحاج خليل الگابندي (ابو ابراهيم) واحد من المؤمنين الموالين لأهل البيت عليهم السلام في الكويت. التقيته شهر صفر عام (١٤٢١ هـ) ومن حسن الاتفاق تبين انه ذو معرفة بصديقي الحميم الخطيب الحسيني المرحوم الشيخ جمعة الحاوي البحراني. وكان من العلماء العاملين بإخلاص وتواضع و صبر وصدق، كان مرحاً ومبتسماً وذو حديث حُلْو وأدب. يقول الحاج ابو ابراهيم (حفظه الله): انه توفي والدي قبل ثلاثين عاماً وكان صاحب (مأتم) في جزيرة (الفيلجة) الكويتية. فورثت امور الحسينية وأنا شاب لا اعرف التصرّف المطلوب، اقتربت ايام شهر محرم الحرام ايام الحزن على المظلوم سيد الشهداء أبي عبد الله الحسين عليه السلام وكان الناس في الجزيرة ينتظرون فتح المأتم وبدأ المجالس الحسينية كالأعوام السابقة، ولكني لم اعرف ماذا افعل واين الخطيب وكيف الطريق إليه.

فقالت لي والدتي إذهب إلى المدينة واسئل عن مدرسة (الشيرازي) فحتىٰ تعود مع القاريء نكون قد هيّئنا مجلس الحسين عليه السلام . فجئت إلى المدرسة، وكان الوقت ظهراً

صيفياً حارّاً، والطلبة في حجرهم وغرفهم. فوقفت في ساحة المدرسة حائراً انظر الجوانب والجهات ولم أدر مَن اطلب، ولا أرىٰ أحداً للكلام معه، دقائق بعد الحيرة خرج لي شاب قصير القامة عليه ملابس الراحة، فظننته خادم المدرسة. فسألني بعد السلام والتحية هل أنت الذي تطلب قارئاً لحسينيتك في (الفيلجة)؟!

وكان سؤاله بمثابة دهشة فوق حيرة!

فقلت متعجباً: نعم ولكن مَن أنت؟

قال: أنا اسمي جمعة الحاوي، جئت من البحرين للقرائة في حسينية الفيلجة، انتظرك هنا قرابة اسبوعين حتى كدتُ آيس من مجيئك!

وهذا زادني عجباً ودهشة فوق الأولى!

سبحان الله.. لم تسبق لي معه رؤية، كيف يعرف عني؟!

فسئلته فوراً: من اين تعرف حاجتي إلى القاريء وأني التقي بك في هذا المكان؟

ابتسم الشيخ وفتح عن مكنون السرّ قائلاً: سلام الله على الصديقة الطاهرة سيد نساءالعالمين فاطمة. فلقد اخبرتْني في الرؤيا أنك تقرء في مأتم ولدي الحسين في هذا العام في جزيرة الفيلجة لمدة (١٣) يوماً، في الكويت، إذهب وانتظر صاحب المأتم في مدرسة الشيرازي.

ولقد أُلهمتُ الآن أن أخرج من الحجرة، فخرجتُ واذا بك ها هنا!

ياعجباً ولا عجب من أهل بيت قد خلق الله الكون والوجود لأجلهم، ولولاهم لما كان ربُّ العالمين يخلق شيئاً. فهم الأنوار التي جعلها الله بعرشه مُحْدِقين. وانما جاؤوا إلى هذه الحياة الفانية لينيروا للانسان الطريق إلىٰ حياة الآبدين في جنات النعيم، ولكن الانسان كان اكثر شيئاً جدلاً وظلوماً وجهولاً وقليل هم المهتدون.

هنيئاً لمن استنار بهم والويل لم ظلمهم وانكرهم وغصب حقهم من الاولين والاخرين!

٦٣٤ زيارة عاشوراء معجزة القرون


السيد رضا الشيرازي

الحاج مكي المتروك (المحترم) زرتُه في منزله في الكويت بمناسبة مجلس عزاء حسيني اقامه ليلة من ليالي شهر صفر (١٤٢١). فأراني ابنه (محسن) وكان عمره حدود العامين. قال انه قبل عام كان مفلوجاً، لم يتحرّك ولم يحسّ بشيء. أخذتُه إلى الاطباء وكانوا حيارىٰ في امره حتىٰ استولىٰ علينا الحزن واليأس، وخاصة أهلي فقد كادت تموت غمّاً وكآبة. فسئلتُ العالم الجليل سماحة آية الله السيد محمد رضا نجل المرجع الديني الكبير آية الله العظمىٰ السيد محمد الشيرازي (دام ظلهما العالي) طالباً منه الدعاء والحلّ لأزمتنا التي ان طالت جلبتْ لي ولعائلتي أزمات وأزمات اخرىٰ. فأرشدني سماحته الىٰ قراءة زيارة عاشوراء الحسين عليه السلام مع الالتزام بمائة مرة الصلوات ومائة مرة اللعن. وذلك لمدة اربعين يوماً دون انقطاع.

وكذلك مباشرةً اتصلت بأخيه العلّامة سماحة السيد مرتضى (دام ظله) فقال لي نفس الحلّ.

فالتزمت بقراءتها مع شرط المائة مرة التي قد يستثقلها بعض الناس، لذلك لم يجنوا الثمرة الاعجازية.

واني أحلف لك يا ـ شيخ ـ ما بلغتُ اليوم العشرين من قرائتي للزيارة حتى قام طفلي هذا على قدميه، وها هو كما تراه سالماً من كل عاهة. أكتب في قصصك هذه المعجزة ليعرف الناس قصة هذا الكنز المجهول.

٦٣٥ جمرة من النار ولكنها باردة!

حكىٰ لي سماحة العلّامة الشيخ ابراهيم الأنصاري البحراني (دام ظله) أنه شاهد بعينه في يوم عاشوراء من هذا العام (١٤٢١هـ) في الحسينية الحيدرية لأهالي باكستان

المقيمين في الكويت مساحةَ سبعة أمتار تقريباً مملوءة بالجمر الذي يمشي عليه الشيعة الباكستانيون يوم العاشر من محرم هاتفين (ياحسين.. ياحسين) ولم يحترق باطن اقدامهم بحرارة الجمر.

ينقل سماحته أين رأيت أحد الشيبة الباكستانيين قد وقف هناك وبيده عَلَماً من الأعلام الحسينية ثم اصطفّ من ورائه جمعٌ من الأطفال الباكستانيين. فقال: أيها الناس هذه الساعة نريد أن نعلّم اطفالنا كيف يتوكلون على الله في المشي على هذه الجمار الملتهبة وأنهم لن يحترقوا ببركة الحسين عليه السلام. انظروا إلى معجزة الولاية الحيدرية.فتلا قوله تعالى ﴿وقُلنا يا نارُ كُونِي بَرْداً وَسَلاماً عَلَىٰ إبْراهِيمَ﴾[1].

ثم فتح الطريق أمام الأطفال فمشوا بطمأنينة عجيبة وثقة عالية بالنفس، وكانوا لأول مرة في حياتهم يحيون سيرة آبائهم هذه في الشعائر الحسينية.

ويضيف سماحة الشيخ لقد رأيتهم بأم عينيّ هاتيْن كيف دخلوا دون وَجَل وداسوا الجمر دون الإحساس بالحَرْق، بل وعادوا يكرّرون العملية بكل بطيء وهدوء وهم يردّدون (ياحسين ياحسين). وكان الناس المتفرّجون بين من غمرهم التعجُّب والدهشة ومَن ضجّوا بالبكاء والنحيب.

وعندما ذهبوا ليستريحوا داخل الحسينية ذهبتُ اليهم ولمستُ بيدي هاتين باطن أقدامِ بعضهم لأتأكد هل من أثر للحرق، فواللّه لم أرَ سواء البشرة الطبيعية، فكأنْ لم تكن لامست جماراً من نار. ثم خرجتُ الىٰ تلك الجمار فرأيتُ أحد الأخوة الكويتيين يئنُّ من حرقة باطن قدمه. قلتُ ما الحدث؟ قال: جرّبتُ حالي فأحترقتُ. فعلمتُ أن العقيدة هي اليقين الفطري الذي لايخالطه شكٌ أبداً.

نعم.. هذه صناعة العقيدة، فلا تلوموا العشّاق أيها الناس، فإن لهم قلباً دون قلوب الذين لا يعشقون الحسين عليه السلام. أما قرأتم عاشوراء الأولىٰ فقد كان مع الحسين عليه السلام عشّاق يستهزؤن بالموت ويضحكون من السهام والرماح والسيوف التي كانت تتطاير نحوهم. اقرؤا قصة عابس الشاكري وقد خلع الدرع ومشىٰ لجهاد العدو حافياً حاسراً، فقيل له

---

١ ـ سورة الأنبياء / ٦٩.

ماذا تفعل ياعابس، أجننت؟

قال: إي والله حُبُّ الحسين عليه السلام أجنّني.

فيا أيها العقلاء في كل مكـان إفسـحوا الطـريق (للـمجانين) أن يـفعلوا بأنـفسهم مايشاؤون من اجل الحسين عليه السلام، فإن الله القادر على كل شيء قادر على احتواء المشاعر الحسينية المنفجرة عند هؤلاء الحسينين وتحويلها الىٰ حلال محمد المستمر الىٰ يـوم القيامة. انه يوم واحد في طول العام يوم عاشوراء يوم الاستثناء يوم الضجيج والبكاء يوم الاستنكار للظلم. أما ترون فيه اذا ضُربتْ القامات أو جرح فيه المُعزّي نفسه سرعان ما يلتئم، بينما في الايام الأخرىٰ ليست هكذا. ما لكم كيف تحكمون؟.

اقول اخيراً: فلندع عشّاق الحسين عليه السلام ليترجم كل منهم شعائره بلغته الخاصة، وانما اذا خرجوا إلى دائرة الحرام البيّن فلتكن النصيحة بالتي هـي احسـن رسـالتنا للـعلاج الهاديء.

٦٣٦ لقائي بجبرئيل الارض!

السيد احمد جبرئيل والمؤلف / بتاريخ ربيع الاول ١٤٢١

انه الخطيب الحسيني الشهير العلّامة السيد احمد جبرئيل (دام ظله). لقيته في اليوم الثاني من ربيع الاول عام ١٤٢١ في منزل الفقيه الورع أُستاذ الاخلاق والآداب المعنوية سماحة آية الله السيد صادق الشيرازي (دام ظله) وكان قادماً من طهران للـقراءة فـي

بعض المجالس الحسينية المقامة في مدينة قم المقدسة. فانتهزتُ الفرصة ودعوتُه إلى منزلي فكان الحديث معه صفحةً أخرىٰ من جميل خواطري مع العلماء الأجلاء، فإليك ياعزيزي القاريء سطوراً منها لتجعلها دروساً تنير دربك إلى الله تعالى :

في البدء قال: اني قد طويتُ اربعاً وسبعين عاماً وأنا الآن في عامي الجديد ينبأني حسّي السادس بأن ساعة الرحيل قريبة. فلقد ذهبتُ لتصفية أموري إلى مسجد جمكران (مسجد ذو كراماتٍ تتعلق بالامام الحجة عليه السلام في مدينة قم) ولا زالت امورٌ تحتاج إلى رقابة شديدة قبل حلول المنية، ارجوك ان لا تنساني من الدعاء، فقد أخبرني في المنام قبل سبعة اشهر استاذي المرجع الراحل السيد احمد الخونساري انك عن قريب تكون ضيفاً علينا.

وقبل فترة رأيت المرجع الراحل السيد الخوئي في المنام قد دخل مجلسي، فجلس جلسة المُتعَبين، فجئته ومسحتُ عليه بيدي. لا أدرى فلعل هذه اشارة ثانية لقرب إطفاء أضويةِ نفسي العاصية. آه كم امرتني هذه النفس الأمارة فأطعتها في السوء؟!.

بهذه الكلمات يتواضع المتقون من امثال هذا السيد الورع الذي واصل قوله: بالامس طلبتُ من سيدي ومولاي الحجة بن الحسن (روحي له الفداء) ان يشفع لي عند الله ويعينني على بقية ايامي القليلة لئلا اموت في زيغٍ بعد سنوات من الخدمة في بيوتهم والتسكّع على ابواب هدايتهم. فجائني الجواب ﴿وَاعبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأتِيَكَ اليَقِينُ﴾[1].

المطلوب منا ايها الشيخ ان نستمر في العبادة لله وحده حتىٰ نرىٰ الموت حقاً وننقطع عن هذه الدنيا فنشاهد انفسنا في البرزخ فنتيقن بكل الحق هنالك سوف نفهم قول ربنا عزّ وجل ﴿لَقَدْ كُنتَ فِى غَفْلَةٍ مِنْ هٰذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ اليَومَ حَدِيد﴾[2]

هنا وفي محاولة لفهم الاسرار المعنوية ـ قلت له: سيدنا من اخبرك بذلك ؟ هل بالاستفتاح القرآني أم بالإلهام أم ...؟

صَمَتَ لحظات ثم انتقل إلى موضوع آخر ! فبدىٰ أن الأمر لابد من كتمانه.

---

١ ـ سورة الحجرات / ٩٩.
٢ ـ سورة ق / ٢٢.

هذا ودارت في اللقاء مع هذا السيد الجليل حكايات ومواعظ كثيرة، فإليك الممكن بيانه:

١ ـ قال السيد جبرئيل انه حكىٰ لي آية الله السيد نصر الله المستنبط (صهر المرجع الراحل السيد الخوئي) ـ رحمهما الله ـ انه كنتُ اصلّي جهة الرأس الشريف عند ضريح الامام امير المؤمنين عليه السلام في ليلة النصف من شهر شعبان. فرأيت بالقرب مني رجلاً بنور الأولياء والمتقين، في زيٍّ عربي لا كالعرب الآخرين، فقرأ في قنوته:

«اللهم إنّ معاويةَ ابن أبي سفيان قد عادىٰ وليَّك علياً. فالعنْه لَعْناً وبيلاً وعذّبه عذاباً اليماً».

كنت لأول مرّة أسمع هذه الفقرات الفصيحة التي كان يؤديها وبصوت أخّاذٍ للقلب، فأحببتُ أن اتعرف عليه، فما أن انتهيتُ من صلاتي لأسلّم عليه لم اجده! فتأكّد لي من مجموع القرائن انه كان سيّدي ومولاي صاحب العصر والزمان (روحي له الفداء).

٢ ـ حكى لي انه في سنة (١٣٨٤ هـ) حيث انقلب عبد الكريم قاسم على الملك فيصل واعلن جمهوريته المتناغمة مع الشيوعيين. اردتُ الخروج في حملة السيد ابراهيم إلى حجّ بيت الله الحرام، ولكن الحكومة السعودية منعت الفيزة للعراقيين بسبب الانقلاب الشيوعي. إلاّ أن الشوق للحج كان قد أتىٰ بنا الىٰ الحدودِ السعودية فلعلّ الله يفتح علينا سبيل الحج.

فذهبتُ لتوديع المرجع الراحل السيد محسن الحكيم (اعلى الله مقامه) فقلتُ له اعطني خمسين فلْساً للتبرّك فأنا ذاهب إلى الحج!

فابتسم السيد وقال: بل اعطيك عشرة دنانير.

قلت: زدها بموعظة.

فوضع يده على رأسي وقال أما العمامة فلا تُغيّرها.

شكرته وودّعته وانا لم اكن استوعب كامل قصده من هذه الوصية إلاّ بعد ماجرىٰ لنا على الحدود العراقية السعودية في منطقة (تبوك) إذ أوقفونا وقالوا: ممنوع دخول العراقيين. انكم شيوعيون!

ذهبتُ جانباً ولم احرّك ساكناً حتى ارى كيف تسير الامور. بعد ساعة جائني رئيس الحملة يعاتبني: يا سيد انت جالس.. تحرّكْ بجدّك.. قل ماذا نفعل؟

فجئت بين الحجاج الغاضبين وكان الارهاق من شدة الحَرّ وتَعَب الطريق قد أخذ منهم اعصابهم وكاد أن تذهب معها اخلاقهم، فقمتُ خطيباً، فهدأتهم وتكلّمتُ بما استطعتُ من كلام فيه الخير. ثم قلتُ لهم: اختاروا مَن يتكلّم باسمكم عند الامير. فقالوا بصوت واحد ليس لنا غيرك انت تكلّم باسمنا.

وكان هذا الموقف في مرأىٰ أحد الشرطة السعوديين، فطلبتُ منه ترتيب لقاء مع الامير لبحث المشكلة معه. وبعد محاولات سمحوا لي بالدخول إلىٰ قصره. فألفيتُه جالساً في قاعة كبيرة وحوله من الشخصيات حوالي مئة شخص.

تقدمتُ نحوه بكامل زييّ، وعمامتي السوداء علىٰ رأسي، وعصاي بيدي. فجلستُ عنده بعد السلام عليه. فسألني: من العراق؟

قلت: نعم

قال: ماذا عندك؟

قلت: بسلامة الأمير اتلو عليكم آيات من الذكر الحكيم. فتلوتُ: بسم الله الرحمن الرحيم ﴿اللهُ نُورُ السَّمٰوٰتِ وَالأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكٰوةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ المِصْباحُ فِى زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرّيٌ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ يَهْدِي اللهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللهُ بِكُلِّ شَيءٍ عَلِيمٌ * فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللهُ أَنْ تُرفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالغُدُوِّ وَالآصَالِ * رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللهِ وَإِقَامِ الصَّلٰوةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْماً تَتَقَلَّبُ فِيهِ القُلُوبُ وَالأَبْصارُ﴾(١).

فنادى الامير بالقهوة وهو يقول لي احسنتَ ياشيخ، فما حاجتك؟

قلت: إن مَن يشفع شفاعة حسنة فله اجر عظيم عند الله. إسمحْ ايها الامير للحجاج العراقيين بأداء مناسك الحج هذا العام.

---

١ ـ سورة النور الآية / ٣٥.

قال: انهم شيوعيون، كفرة، زنادقة. لا يمكن ان نسمح لهم بتدنيس أرضنا، فليرجعوا من حيث أتوا وإلاّ رميناهم بالرصاص.

قلت: نحن معكم في الرأي بأن الشيوعيين كفرة وقد افتىٰ مرجعنا آية الله العظمى السيد محسن الحكيم أن الشيوعية كفر والحاد.

وكان بعض الحضور في المجلس من اهل لبنان قالوا للأمير نعم نحن رأينا هذه الفتوىٰ لمرجع الشيعة في لبنان، انه موقف مشرّف.

قلت: فاللّذين معي ايها الأمير كلهم من اتباع هذا المرجع، لقد جئنا كالأعوام السابقة لعبادة الله الحق إلى جانب كافّة المسلمين من امة محمد ﷺ.

قال: فلماذا جئتم وسفارتنا لم تمنحكم الفيزا؟

قلت: نحن لا نعرف القوانين، جئنا مشتاقين إلى حج بيت الله الحرام.

قال: ونحن لا نعرف سوى الرصاص إن لم ترجعوا إلى العراق.

وهنا ـ كما يقول السيد جبرئيل ـ ثار عندي عِرْق السيادة الحسينية فقلت بشدّة: نحن ندخل الحدود وليكن ما يكون.

قال غاضباً: بأي قدرةٍ ياشيخ؟

قلت: بقدرة الله عليك وعلىٰ الخَلْق أجمعين.

صَمَتَ وراح يتفكّر، وأنا في هذه اللحظة ربطتُ قلبي بالله وتوسلتُ إليه بأهل بيت الرسول ﷺ فألهمتُ بقراءة الدعاء المروي عن الامام الحجة ﷺ فقلت للأمير: ارفعْ يدك بالدعاء. فقرأتُ بصوت عالٍ: «اللّهُمَّ ارزُقْنا تَوفيقَ الطّاعَةِ، وَبُعْدَ المَعصيةِ، وَصِدْقَ النِّيةَ، وَعرفانَ الحُرمةِ، وَأكرمْنا بالهُدىٰ والاستقامةِ، وسَدِّد ألسِنَتَنا بالصَّوابِ وَالحِكمةِ، واملأ قُلوبَنا بالعِلمِ والمِعرفةِ، وَطَهِّرْ بُطونَنا مِن الحرامِ والشُّبهةِ، وَاكْفُف أيدِينَا عَنْ الظُّلمِ وَالسرقةِ، وَاغضُضْ أبصارَنا عن الفُجورِ وَالخيانةِ، واسدُدْ أسماعَنا عَنِ اللّغوِ وَالغيبَةِ، وَتَفَضَّلْ عَلى عُلَمائِنا بالزُهدِ وَالنَصيحَةِ، وَعَلى المُتَعَلّمينَ بِالجُهدِ وَالرَغبَةِ، وَعَلى المُستَمِعينَ بالإتّباعِ وَالمَوعِظَةِ، وَعَلى مَرضىٰ المُسلِمينَ بالشِّفاءِ والراحةِ، وَعَلى مَوتاهُمْ بالرَّأفَةِ وَالرحمةِ، وَعَلى مَشايِخِنا بِالوقارِ وَالسكينةِ، وَعَلى الشَّبابِ بالإنابةِ وَالتَوبَةِ، وَعَلى النِساءِ بالحَياءِ وَالعِفّةِ

وَعَلى الأَغنياءِ بالتَواضع والسّعةِ، وَعَلى الفُقَراءِ بالصَبرِ وَالقناعةِ، وَعَلى الغُزاةِ بالنَصرِ وَالغَلَبةِ، وَعَلى الأُسَراءِ بالخَلاصِ وَالراحةِ، وَعَلى الأُمراءِ بالعَدْلِ وَالشَفَقَةِ، وَعَلى الرَعيةِ بالإنصافِ وَحُسْنِ السِيرَةِ، وَبارِكْ لِلحُجّاجِ وَالزُوّارِ فِي الزادِ وَالنِفَقَةِ، وَاقْضِ ما اَوْجَبْتَ عَلَيْهِمْ مِنَ الحَجِّ وَالعُمْرَةِ، بِفَضْلِكَ يا اَرْحَمْ الراحمينَ».

فكان الحاضرون يردّدون بعد كل فقرة كلمة (آمين) ولما وصلت إلى فقرة (وعلى الامراء بالعدل والشفقة) قال الامير : أعِدْها ياشيخ أعِدْها ياشيخ . فأعدتُها.

وهنا قال : إذهبْ وسوف أتصل بجلالة الملك فيصل واخبرك عن النتيجة فوراً .

ودّعتُهم وجئتُ إلى الجمع فقرأنا (حديث الكساء) . ولم تكن الا ساعات حتى جاء الامير السعودي بنفسه وقال لي بالحرف الواحد : ياشيخ قد استجاب الله دعاك .

فرفع الحجاج العراقيون اصواتهم بالصلاة على محمد وآل محمد . هنالك تيقّنتُ ثلاثة امور من صميم عقيدتنا الناجية :

الاول : ان وصية المرجع الحكيم (أن لا اغيّر العمامة في السفر) كانت مُلهَمةً من الغيب . وهي لا تخلو من كرامة للسيد (قدس سره) .

الثاني : ان الاتصال القلبي بالله سبحانه والقاء الجواب بقراءة دعاء الامام الحجة أيضاً لا يخلو من سرٍّ ما ورائي .

الثالث : ان الله تعالى يستجيب الدعاء اذا كان الداعي منقطعاً إليه ومتوسلاً بالذين طهرهم من كل رجس .

وهنا قال السيد انّ خير ماندعو لاصلاح ما فسد من امور المسلمين أن نقول متضرّعين إلى الله عز وجل :

(الّلهم إنّ هذا دينَك قد اصبح باكياً لِفَقْدِ وليّك، فصلِّ على محمّد وآل محمّد وعجل فَرَجَ وليّك رحمةً لدينِك ، اللهُم وهذا كتابَك قد أصبح باكياً لِفَقْدِ وليّك، فصلِّ على محمّد وآل محمد وعجّل فَرَجَ وليّك رحمةً لكتابِك ، اللهُم وهذه عيونَ المؤمنين قد اصبحتْ باكيةً لِفَقْدِ وليّك فصلِّ على محمد وآل محمد وعجّل فَرَجَ وليّك رحمةً لوليّك)

ثم سألته عن اهم الخطوات للسير في الكمالات المعنوية . فأجابني :

الف : الالتزام بما قاله رسول الله ﷺ (مَن اَخرج الغِلّ من قلبه وسّع الله في رزقه)

ب : المداومة على دعاء الرسول ﷺ (اللهم لا تَسلُب منّي صالحَ ما انعمتَ به عليّ، ولا تردّني في سوءٍ استنقذتَني منه ، ولا تشمُت بي عدواً ولا حاسداً، ولا تكِلْني إلى نفسي طرفة عين ابداً ولا اقل من ذلك)

ج : قراءة آية الكرسي خمس مرات بعد صلاة الصبح، فقد اخبرني استاذي المرجع الورع السيد احمد الخونساري (أعلى الله مقامه) ان من قرأها مرة واحدة وكّل الله ملكاً لحفظه من كلّ سوء، واذا قرأها مرتين وكل به ملكين، واذا ثلاثة فثلاثة، واذا أربعة فأربعة، ولكنه اذا قرأها خمس مرّات فان الله يقول انا وكيلٌ لحفظه دون غيري.

د : القيام بصلاة الليل، ولو جلوساً أو قضاءاً.

هـ: الاستمرار في قراءة دعاء (اليستشير) عند الصباح أو العصر.

و : الاستغفار سبعين مرة عقيب صلاة الصبح كل يوم بهذه العبارة (أستغفِرُ اللهَ ربّي وأتوبُ اليه)

ز : صلاة جعفر الطيّار (رضوان الله عليه) في كل حرم من العتبات المقدسة واهداء ثوابها إلى صاحب المرقد الشريف.

ح : عندما يكون لك حاجة ملحّة او عرضتْ عليك مشكلة عسيرة قم في منتصف الليل وصلِّ ركعتين برجاء المطلوبية (قربةً إلى الله تعالى) ثم قُل (١١٠مرّة): اللهم صلِّ على وليّ امرك القائم المهدي.

أجل.. أيها القاريء اللبيب، هذه سطور بين السطور التي استفدتُها في لقائي مع (جبرئيل الأرض) كما عبّر به أحد العلماء مازحاً إذ مسح على كتفه وقال: إن لم تصل أيادينا إلى جبرئيل السماء فإنها ولله الحمد تصل إلى جبرئيل الأرض!

فقال السيد مبتسماً: على أن تعمل بما أوحيه إليك من وحي جدّي رسول الله ﷺ - وهو يقصد من كلمة (اوحيه) معناها اللغوي -.

٦٣٧ تجسيد الأعمال

ذكر المرجع الكبير آية الله العظمىٰ السيد محمد الشيرازي (دام ظله العالي) في كتابه (حقائق من تاريخ العلماء) ـ ص ٦٦ ـ ان احد الزهّاد في مدينة كربلاء المقدّسة ـ والذي عاشرته من قريب وكان مظهره يخبر عن زهده، حيث كان دائم الذكر لله سبحانه وتعالىٰ ومشغول الذهن وبعيد عن زخارف الدنيا وزينتها - كان جالساً ذات يوم في محل أحد الحلاقين في سوق قبلة الإمام الحسين عليه السلام وإذا به يرى جنازة تمرّ بمشيّعين كثيرين، ولما وقع بصره علىٰ الجنازة امتعض بشدّة، وقال لصاحب المحل وفي حالة تعجّبٍ واستغراب ماذا هذا الكلب الذي يجلس على التابوت؟

فنظر الحلاق وفي حالة استغراب قال: إني لا أرى شيئاً.

عندها أخذ الزاهد يمشي خلف الجنازة وهو يسأل المشيّعين عمّا فوق التابوت، وكانوا يقولون وفي حالة تعجّب من هذا السؤال: لا شيء سوى القماش الأسود الذي يلفّ به التابوت.

وعند وصول الجنازة إلىٰ باب الحرم فإذا بالزاهد يرى الكلب وقد تعلّق بالهواء بعد أن أدخلت الجنازة إلىٰ الحرم.

فدخل الزاهد مع المشيّعين والجنازة إلىٰ الحرم الشريف ولم يكن فوق التابوت شيء، ولما خرجوا من باب الشهداء ـ المتصلة بشارع علي الأكبر ـ متوجّهين إلىٰ حرم أبي الفضل العبّاس عليه السلام رأى الزاهد ذلك الكلب، وقد هوى علىٰ الجنازة.

أقول: لعل هذا الكلب هو تجسيم لعمل الميت في الدنيا. ونظير هذه القصّة ذكرها المحدّث الشيخ عباس القمي رحمه الله في كتابه القيّم منازل الآخرة: من دخول الكلب إلىٰ قبر ذلك الميّت.

وقد جاء في القرآن الكريم ﴿مَثَلُهُ كَمَثَلِ الكَلبِ إنْ تَحمِل عَلَيهِ يَلهَث أو تَترُكهُ يَلهَث﴾[1].

وقد ورد في الدعاء (مِن دنيا إستكْلَبَتْني) أي جعلتني كلباً.

---

١ ـ سورة الاعراف: الآية ١٧٦.

وقد ورد في التاريخ إن الإمام الصادق عليه السلام كشف للذي كان معه، وجوهَ مَن في عرفات علىٰ حقيقتهم، فرآهم علىٰ هيئة حيوانات مختلفة والقليل منهم علىٰ هيئة إنسان.

وفي جملة من الأحاديث إنّ صور الإنسان في يوم القيامة تكون كصفاتهم الباطنية أو أعمالهم المحرّمة، فبعضهم يكون كالذر يُداس بالأقدام وهكذا.

٦٣٨ مَن يتّقِ اللهَ يجعل له مَخْرَجا

كان السيد محمد الدزفولي مشغولاً بالمطالعة وبين فترة أخرىٰ يسرح فكره في الديون التي حان وقت تسديدها، وكانت هذه الديون البالغة ثمانين تومان تؤرقه كثيراً. ـ وكان المبلغ لذلك الزمان كبيراً ـ ثم خلد إلىٰ النوم نإذا به يرى رسول الله صلى الله عليه وآله يقول له: «لا تفكر بديونك لقد أوصيت الشيخ الأنصاري بتسديدها».

وبالفعل في صباح يوم التالي جاء خادم الشيخ الأنصاري الملّا رحمة الله يقول: إن الشيخ الأنصاري في انتظارك.

وعندما دخل السيد محمد الدزفولي علىٰ الشيخ الأنصاري قال له: أعطني أسماء الذين يطلبونك ومقدار ديونهم وسأقوم بتسديدها[1].

وفي عصرنا كذلك يصنع أهل الخير، فأنا أعرف اشخاصاً منهم لما علموا بأزمة ديون (شربكتْ) حياتي عند فترة من الفترات سدّدوها. وشكراً علىٰ ذلك قمتُ بأعمال خيرية ثواباً إليهم وإلىٰ أرواح ذويهم المرحومين من طباعة كتب دينية ومساعدة ايتام وختومات القرآن وما أشبه. أليس الحديث الشريف يقول: (من لم يشكر المخلوق لم يشكر الخالق).

---

١ ـ حقائق من تاريخ العلماء / للشيرازي: ص ٧٠.

٦٣٩ الانتقال المرجعي


الشيخ ضياء العراقي

قال الشيخ العراقي ضياء الدين[١]. في كـتاب «دار الســلام»: رأيت في المنام أني أعبُر تلاًّ من جهة القبلة من الصحن المطهَّر[٢]. فالتفتُ إلىٰ الحرم من أجل السلام والتوديع، لكني فـوجئت وأنـا علىٰ ذلك الارتفاع بأني لم أشاهد من القبّة النوراء شيئاً، فتعجبت ووقفت حائراً. وإذا بسيّدٍ عليه شمائل الفضل والجلالة قـد قـرب مني، وسألني عن حيرتي؟ قلت له: لأنني لا أرى القبّة المطهرة في مكانها.

فقال لي: أنزل من التل إلىٰ الأرض!

قلت: وما الذي سيحدث؟

فقال: لا تحزن ولا تبتئس، فإنهم سيرفعون القبّة ثانية، بوسائل ومعدات ثقيلة، ثم يضعونها في محلها، دون أن يبقىٰ أي صدع أو عيب.

يقول العراقي: في تلك اللحظة أفقت من نومي، فعرفت بعدها أن الشيخ الأنصاري ﷺ هو المقصود من هذه الرؤيا.

فأخبرت بعض الأصدقاء بالرؤيا وتفسيرها. وهكذا لم يمض غير زمن قصير حتىٰ انتقلت مقاليد المرجعية من بعد الأنصاري إلىٰ السيد محمد حسن الشيرازي[٣].

---

١ ـ الشيخ ضياء الدين العراقي: ولد في سلطان آباد عام ١٢٧٨ هـ وتوفىٰ سنة ١٣٦١ هـ كان من الأساتذة المعروفين في التدريس والتحقيق والتدقيق ومن الشخصيات العلمية التي يشـار لهـا بالبنان، درّس في الحوزة العلمية في النجف خمسين سنة متواصلة وانتهل من معين درسه جمع غفير من العلماء والمجتهدين.

من مؤلفاته: شرح التبصرة، حاشية علىٰ العروة الوثقى، كتاب القضاء.

٢ ـ لحرم الإمام أمير المؤمنين ﷺ في النجف الأشرف.

٣ ـ حقائق من تاريخ العلماء / للشيرازي: ص ٧٨.

٦٤٠ ابن طاووس لا يبيع دينه

ذكروا أن رضيّ الدين بن طاووس[١] كان قد مرّ ببغداد، فتوقف بها مدة خمس عشر سنة. وكان سبب ذلك ـ كما ذكروا ـ هو وجود الوزير مؤيد الدين بن علقمي، المعروف بالولاء الشديد لأهل البيت ﷺ، فيما كان يعمل في البلاط العباسي كوزير للمستنصر.

وعندما عرف المستنصر[٢] بمكانة ابن طاووس العلميّة والدينيّة، طلب منه أن يتولىٰ منصب المفتي الأعظم للبلاد الإسلامية. غير أن ابن طاووس رفض طلب الخليفة، ثم أوضح سبب ذلك في رسالة بعثها إلىٰ ولده وكان مما جاء فيها «يا بني، لا تُحمَد عاقبة من تواطأ مع الظالمين، ولا يرجىٰ خيرٌ من عالِم جلس علىٰ موائدهم، فهم يستبدلون الدين بالدنيا، ويشترون الفتاوى بمئات الدنانير، فهل أبيع ديني بدنياهم.. هيهات. فإنما هي القطيعة مع الله سبحانه»[٣].

«اللّهمَّ صُنْ ديننا ولا تَكِلْنا إلىٰ أنفسنا طرفة عين ابداً ولا أقلّ من ذلك، سواءاً جعلتَنا بعيدين عن الظَلَمة أو قريبين منهم لضرورة دفع الظلم لا تبريره كما ذهب إليه العلماء من أهل الدنيا»

٦٤١ كلمات تهزم السيوف

عندما احتل هولاكو بغداد سنة ٦٥٦ هـ أمر جلاوزته بجمع العلماء والوجهاء في المستنصرية لأجل الاستفتاء في جواب السؤال التالي: «أيهما أفضل: السلطان الكافر العادل، أم السلطان المسلم الجائر».

---

١ ـ رضي الدين أبوالقاسم علي بن سعدالدين إبراهيم، ويكّنىٰ بن طاووس، نسبة إلىٰ جده الأعلىٰ أبي عبدالله، وينتهي نسبه إلىٰ الإمام المجتبىٰ بن الإمام أميرالمؤمنين ﷺ. ولد في محرم سنة ٥٨٩ هـ وتوفىٰ في الخامس من ذي القعدة سنة ٦٦٤ هـ ودفن في النجف الأشرف وكان من العلماء الإجلاء والمشهورين في زمانه. ترك عدة مؤلفات منها: ملاحم الفتن، فلاح السائل، سعد السعود، فرج المهموم.

٢ ـ ابن المتوكل العباسي الذي قتل أباه سنة ٢٤٧ هـ وأصبح خليفة بعده.

٣ ـ حقائق من تاريخ العلماء / للشيرازي: ص ٨١.

تحيّر العلماء في جوابه. غير أن السيد ابن طاووس تدارك الأمر، وكتب علىٰ ورقة: «الكافر العادل أفضل من المسلم الجائر» ثم أمضىٰ بتوقيعه علىٰ الورقة، وتابعه علىٰ ذلك سائر العلماء. وبذلك نجىٰ الجميع من بطش هولاكو وجبروته.

وعندما سُئِل ابن طاووس عن وجه جوابه هذا، قال: لأن الحاكم الظالم المسلم، إسلامه لنفسه، وظلمه علىٰ الرعية، وأما العادل الكافر، فكفره علىٰ نفسه، ولكن عدله يشمل به الرعية.

من الواضح أن مراد السيد ابن طاووس بالعادل: الذي لا يظلم الناس، لا العادل بالمعنىٰ الاصطلاحي الشرعي[1].

اللّهمَّ نسألك حتىٰ مجيء وليّك القائم المهدي عليه السلام الذي اعددته ليملىء الأرض قسطاً وعدلاً بعد أن تُملىء ظلماً وجوراً أن ترزقنا حاكماً مسلماً عادلاً، وإلّا فكافراً عادلاً، وإلّا فصبراً جميلاً، وإلّا فقتلاً في سبيلك تُعقِبه سلطاناً نصيراً.

٦٤٢ ديوان القزاونة

يقع هذا الديوان في الضلع الشمالي من صحن أبي الفضل العبّاس عليه السلام في كربلاء المقدّسة، وكان مركزاً للمساجلات الأدبية والمناقشات العلمية والحوارات السياسية بين أشراف كربلاء من السادة علماء الدين والخطباء الحسينيين والشعراء والكتّاب علىٰ مدىٰ عدّة عقود.

وفي فترة الستّينات والسبعينات (الميلادية) شهد هذا الديوان نشاطاً ملحوظاً عندما اتّخذه سماحة العلامة المرحوم السيد محمد باقر القزويني قدس سره مكاناً لإلقاء دروسه في الفقه والأُصول من أوّل الصباح، إذ كان في المساء يتحوّل إلىٰ منتدىٰ للمفكّرين والعلماء من أمثال آية الله الشيخ محمّد الخطيب وآية الله سيبويه وآية الله الحاج آقا مير الطباطبائي وآية الله السيّد محمّد علي خير الدين وآية الله السيّد صادق القزويني، ومن الشعراء أمثال السيّد مرتضى الوهاب، والأُستاذ مهدي الشيخ عبّاس الحائري، والأُستاذ المحامي

---

١ ـ حقائق من تاريخ العلماء / للشيرازي: ٩٦.

عبدالأمير موسىٰ، ومن الكتّاب أمثال السيّد محمّد حسن الكلدار، والسيّد سلمان هادي طعمة، ومن الخطباء الشيخ عبدالزهراء الكعبي، والشيخ هادي الخفاجي.

كان العلّامة السيّد محمّد باقر القزويني (أعلىٰ الله مقامه) ينطلق من هذا الديوان بروح الإيمان والتقوىٰ ومخزون العلم والإخلاص، يدرّس الطلبة ويوجّه الشباب ويقضي حوائج المؤمنين ويرشد إلى الحقّ والفضيلة.

حكىٰ لي نجله الفاضل والكاتب القدير الدكتور السيّد أبو ياسر (دام توفيقه) انّه في يوم الرابع من ربيع الأوّل في عام (١٣٩٤هـ) أتىٰ أحد الوجهاء الكربلائيين بمسيحي مثقّف منصف وتحدّث معه سماحة السيّد القزويني حول الأديان السماوية الحقّة وتكامليتها التي رَسَتْ عند تكاملية الإسلام الخالدة، وتطرّق له سماحة السيد بالأدلّة المقنعة حتّىٰ أعلن المسيحي إسلامه بين يدي السيّد ﷺ.

وكان الله سبحانه قد أراد للسيّد القزويني أن يختم حياته بهذه الفضيلة الكبرىٰ، فيلتقيه عزّوجلّ بأجر عظيم وحفاوة جدّه الكريم والأئمّة الطاهرين، وذلك الأمر الذي قال عنه الرسول الأكرم ﷺ: لعلي أمير المؤمنين ﷺ: «ياعلي لأن يهدي الله بك رجلاً خير لك ممّا طلعتْ عليه الشمس وغَرُبتْ».

هكذا فاز العلّامة القزويني بالخير الكبير والعاقبة الحسنىٰ. ولولا إخلاصه السابق وعطاؤه المستمر في سبيل الله علىٰ إمتداد حياته الكريمة لما وفّقه الله إلىٰ هذه الخاتمة السعيدة. فهنيئاً له ولكلّ السائرين على هذا الدرب الصالح والمسيرة الناجية. ثم لا بأس بالاشارة الىٰ تلك الديوانيات التي هي مجالس البطّالين المبعِدة عن رحمة ربّ العالمين، أرجو أن لايقربها شيعة علي امير المؤمنين ﷺ إلا للنصيحة أو مساندة الناصحين وَجعْلها مجالس تَسطع عَليها أنوارُ أهل البيتِ ﷺ فتكون من مصاديق قولهم (واهاً لتلك المجالس).

٦٤٣ وردةُ الولاء ويدُ مِن شفاء

حكىٰ المرجع الديني آية الله العظمىٰ الشيخ وحيد الخراساني (دام ظلّه العالي) في كلمة ألقاها بمناسبة ميلاد الإمام الرضا عليه السلام يوم (١١ / ذى القعدة / ١٤١٣هـ) في قم المقدّسة انّه:

كنتُ في خدمة المرحوم الشيخ حبيب الله الگلپايگاني، إن هذا الرجل المخلص إنْ لم يكن من الأوتاد، فإنّه من الأبدال حتماً.

ففي مقامه المعنوي يكفي انّه لمّا كانت عنده حجرة في مدرسة (الحاج حسن) الدينية وأنا كنتُ فيها أتربّىٰ تحت إشرافه كان رحمه الله لمدّة أربعين عاماً يجلس في الأسحار ليصلّي فيها صلاة الليل، وحتّىٰ ليالي الشتاء القارسة جدّاً في خراسان كان يقوم الليل ويسبغ الوضوء بماء مثلّج ثمّ يتشرّف إلىٰ حرم الإمام الرضا عليه السلام.

وكان لمّا يصل إلى الحرم لم تكن الأبواب مفتّحة، فيفرش سجّادته على الأرض ويصلّي صلاة الليل حتّىٰ تُفتَح الأبواب فيدخل ويزور المرقد الشريف.

إنني التقيته ايضاً عند رجوعي من النجف وسألته: ما هي قصّتك إذ تمسح على موضع الأمراض المستعصية فتبرأ وتزول؟

فأجابني: مرضتُ بمرض خطير، فرقدتُ وعلى أثره في المستشفىٰ، ذات ساعة إنقلبتْ حالتي الروحية فتوجّهتُ إلىٰ قبّة الحرم الرضوي الشريف وخاطبتُ الإمام الرضا عليه السلام بقلب منكسر، قائلاً:

ياعلي بن موسى الرضا إنّي مدّة أربعين عاماً كنتُ أوّل مَن يدخُل عليك حرمك الشريف، أربعون سنة هكذا كنتُ حبيباً لك، والآن صرتُ مصاباً بهذه الحالة فما أنت صانع بي؟

ما أن قلتُ هذه الكلمات ودون أن أكون نائماً رأيتُ نفسي في عالَم آخر، رأيتُ سريراً في وسط بستان جميل جدّاً، وعلى السرير كان الإمام أبو الحسن علي بن موسى الرِضا عليه السلام جالساً، وكنت أنا بجانب منه. فقدّم إليّ الإمام عليه السلام وردة دون أن يتكلّم، فلما أخذتُها

من يده الشريفة وجدتُ نفسي في مكاني الأوّل في المستشفىٰ، بعد تلك الحالة الملكوتية والمكاشفة الشهودية شعرتُ أنّ صحتي جيّدة جدّاً، وبعدها ايضاً صرتُ كلّما أمسح بيدي علىٰ موضع لأحدٍ سُقم يُشافىٰ حالاً.

كانت هذه البركة في أوائلها سريعة الظهور والأثر على المرضىٰ، ولكنّها أصبحتْ بمرور الزمن بطيئة الأثر بسبب ملامسة أهل المعاصي أو مصافحتهم.

إنّه مدهش، انّه الكرامة العظمىٰ دون شكّ، يد الامام تصل إلىٰ وردة، والوردة تصل إلىٰ يد عالَم ربّاني فتُحوّل الوردة في يده إنقلاباً غيبياً إلى هذه الدرجة، فيزول مرض السرطان، وأمراض أُخرىٰ كلّما مَسَحَتْ عليها تلك اليد!

أليس هذا (الإكسير الأعظم) إذا ما اتّصل بالعالَم فسوف يغيّره حتماً؟[1].

على ضوء هذه القصّة الباهرة تأمّل ياأخي ماذا يحدث في العالَم يوم يخرج الإمام المهدي عليه السلام، فإذا كانت يد عالمٍ هكذا تعمل من كرامة لأنّها لمستْ وردةً كانت بيد الإمام المعصوم من أولياء الله المصطفين، فكيف إذا ما مدّتْ إلى الحياة بكامل حضوره الشافي؟ فياسيدي فقد طال ليل الظالمين، فهل من وردة تشفي عناء المظلومين؟

٦٤٤ المسافِر المُذهِش

المرحوم السيّد غلام رضا الكسائي، من العلماء الزهّاد المخلصين، صهر العلّامة الأميني (صاحب الغدير) ـ أعلىٰ الله مقامهما ـ قال:

لمّا كنت طالباً في مدرسة دينية بمدينة تبريز، كان خادم المدرسة رجل مؤدّب متواضع ومن أهل التقوىٰ والصلاح، يعمل بوظائفه الفردية والإجتماعية بتصدق وإخلاص، وكان ذا روحية عجيبة، قليل الكلام كثير السعي شديد الكتمان، وهو وإن كانت مسؤوليته تنظيف المدرسة لكنّه يعين الطلبة في تنظيف حجرهم دون أن ينتظر منهم مكافأة وثمناً، بل وأحياناً كان يغسل ثيابهم أيضاً وإذا رأى أحدهم يريد الذهاب لشراء حاجة تقدّم إليه وتوسّل منه أن يسمح له بهذه الخدمة، وبلغ به الأمر أن كان يملىء إبريق

---

١ ـ بالفارسية (شاخه گلى از ملكوت) تأليف السيّد جمال الدين الحجازي / ص٧.

الماء من حوض المدرسة ويحمله إلى بيت الخلاء لئلّا يتعنّىٰ الطلبة ذلك، وهذا كـلّه لم تكن من وظائفه المخصّصة له كخادم للمدرسة، ولكنّه كان يقوم بذلك بـصفاء النـفس وإخلاص النيّة فيزرع بذلك حبّه في قلوب الطلبة ويعلّمهم التواضع العملي.

ذات منتصف ليلة خرجتُ من حجرتي لإسباغ الوضوء، فرأيت شـيئاً عـجباً! رأيت نوراً روحانياً في حجرة الخادم. علماً انه لم تكن طاقة كهرباء في ذلك الزمان، فقد حيّرني الأمر بشدّة. تقدّمت خطوات نحو الحجرة لأكتشف حقيقة ما أرى. فلمّا قربتُ سـمعتُ كلاماً يتردد بين الخادم ورجل آخر.

من جهة لم أكن أودّ الدخول عليه، ومن جهة قَوِيَ حسّ الإستطلاع في قلبي، إذ كان ذلك النور كان يبهتني ويجذبني.

فدنوتُ خطوات اخرىٰ حتّىٰ وصلت خلف الباب، فصرت أسمع الخادم يتكلّم بصوت خافت، ولكن الطرف الثاني لم أُشخّص كلامه.

وقفتُ في حيرتي أستمع صوتهما دون أن أفهم ما يقولانه، وفـجأة إنـقطع الصـوت وذهب النور العجيب، فلم أصبر طويلاً، طرقتُ الباب فوراً!

قال الخادم : مَن؟

قلت: أنا (فلان) إفتح الباب.

فتح الباب، فسلّمتُ عليه وسألته هل تسمح لي بالدخول.

قال: تفضّل.

دخلت الحجرة وجلست، ولكن لم أر أحداً غيره ولم أجد هناك شيئاً غير مألوف.

سألني: هل من أمر؟

قلت: لا، ولكن هل كنتَ تتكلّم مع شخص؟ قل لي الحقيقة ماذا كان يـحدث هـنا؟ أخبرني وإلّا سوف أُنبّه الطلبة الآن ليأتوا هنا ويمطروك بأسئلتهم عن واقع الحال!

قال: أحكي لك ما جرىٰ هذه الليلة، بشرط أن لا تحكيه لأحد.

قلت: قبلتُ الشرط.

قال: أنا موجود إلى يوم الجمعة، عاهدني أن لا تظهر سرّي إلى ظهر يوم الجمعة.

وكانت تلك الليلة ليلة الأربعاء، فعاهدته أن لا أفشي سرّه إلى يوم الجمعة كما حدّده لي.

فقال: الحقيقة هي أنّ سيدي ومولاي الإمام الحجّة عليه السلام كان هنا، وكنت بين يديه نتبادل الحديث.

فزاد عجبي وسألته: حول ماذا كان يحدّثك الإمام؟

قال: هناك ثلاث فئات مرتبطون بالإمام الحجّة عليه السلام في عصر الغيبة كحواريّين ذي درجات. كلّ فئة أقل عدد من الأُخرى، الفئة الأقل عدداً هي من الدرجة الأُولىٰ في القرب والإعتماد، وهكذا الطبقة الثانية والثالثة.

هذه الفئات الثلاثة من حيث الناحية المعنوية والباطنية على شكل حلقات متداخلة، ولمّا يموت واحد من هؤلاء يختار مكانه الإمام عليه السلام واحداً من الطبقة التي تليها ويحلّ مكان واحد من الطبقة الاخرىٰ ترفيعاً لمقام كل من اصلح نفسه من الطبقات الشيعية العامة، تبعاً لمستوىٰ التقوىٰ والفضائل الأخلاقية والحالة الروحية التي إكتسبها الفرد وهيّيء نفسه بها من قبل.

فأنا في يوم الجمعة ، حيث يموت شخص من الطبقة الثالثة، جاءني الإمام (روحي فداه) واختارني لأداء المهام في مكانه.

وهنا إنتهىٰ كلام الخادم ولم يقل شيئاً وأنا غدوتُ مندهشاً، خرجتُ من الحجرة بدهشتي وكانت حالتي عجيبة، مشاهدتي لذلك النور وسماعي لهذه القصّة قد أحدثا في وجودي طوفاناً لا استطيع وصفه، فلم أستقرّ نفسياً، صرتُ أقول لنفسي: إنّ رجلاً كنّا ننظر إليه بعين عاديّة وأنّه خادم لا قيمة له، هو صاحب مقام ومنزلة وسعادة. يزوره الإمام الحجّة عليه السلام بنفسه، ويدعوه إلى درجة خواصّه!

يالها من عظمة خفيّة وكمال معنوي شامخ!

لقد أحدثتْ هذه القضية تموّجات في باطني، فلم أتمكّن من النوم تلك الليلة ولا حتّىٰ القيام بالعبادة.

وحيث أصبحتُ بدأت أُراقب الخادم، رأيته خرج من حجرته كعادته اليومية وبرزانة

ووقار معهود، فأخذ يعمل دون أن يُرىٰ علىٰ ظاهره ما يدعو إلىٰ إستغراب، أمّا أنا فقد كنتُ قلقاً في تفكيري ومضطرباً في نفسيتي.

ومرّ يوم الخميس أيضاً كيوم الأربعاء بنفس الطريقة، ولم أجعله يفلت من عيني، فقد كان يكنس المدرسة وينظّف ويشتري للطلبة ما يحتاجونه. حتّىٰ انّني لمّا أردت املىء الابريق ماءاً أسرع نحوي وطلب أن يقوم بذلك بدلاً عنّي، فما سمحتُ له، وقلت له لن أسمح لنفسي التجاسر على مقامك بعد هذا، أنت سيّدي وأنا خادمك، ولولا أنّي عاهدتك أن لا أفشي سرّك لأعلنتُ للطلبة عن مقامك الرفيع.

وعند سَحَرَ الجمعة، بدأ (الخادم) يعمل، وكانت حالتي عجيبة، لأنّ ساعة موعده إقتربت وأنا ازددت المراقبة له وإشتدّ في قلبي حبُّ الإستطلاع لحاله، فقد حضر اليوم الموعود، ماذا سوف يحدث يا تُرىٰ؟!

رأيته خرج من حجرته مع طلوع الشمس، فبدأ بعمله اليومي في المدرسة، ثمّ أخذ يغسل ثيابه وينشرها في الشمس وغسل حذائه أيضاً ووضعه جانباً.

وعند الزوال جمع ثيابه وأخذ حذائه، ثمّ ربط ظهره بإزار واغتسل في حوض المدرسة.

وكان الجوّ حاراً، والطلبة في عطلة، أكثرهم خرجوا من أوّل الصباح إلى زيارة أقاربهم، والقليل منهم في الحجر أو في ساحة المدرسة مشغولون بأُمورهم. وكنت أحسب الدقائق باضطراب نفسي شديد، عيني لم تنحرف عن مشاهدة الخادم، إنّها اللحظات الأخيرة من سفرة مدهشة للغاية، فقد جعلتُ نظراتي حادّة تلاحقه بدقّة، أريد أن أكتشف ماذا سيحدث ساعة موعده مع الإمام الحجّة عليه السلام، كيف ينتقل من عندنا ليلتحق بالصفوة المقرّبين للإمام عليه السلام؟

رأيته خرج من الحوض، ووقف في الشمس حتّىٰ نشف جسمه، ثمّ لبس ثيابه وحذائه وأخذ ينتظر كالمسافر المشتاق! وعند أذان الظهر، ومع الكلمة الأُولى للأذان (الله أكبر) فجأة غاب عن عيني، فقمت كالمدهوش أبحث عنه ولكن لم أجد له أثراً!

شخص كان بين أيدينا قبل لحظات، كان جالساً عند الحوض، وكان من أوّل الصباح

إلى أوّل الزوال تحت نظري الفاحص، كيف غاب هكذا ياالهي؟!

جئت مسرعاً عند حوض المدرسة، وأخذت أُنادي، فخرج بعض الطلبة ليروا ما القضيّة، فجاؤوا وسألوني ما المشكلة؟ أفهل اعتراك جنون؟

قلت : أكثر من الجنون أيّها الأُخوة.

سألوني مستغربين: ماذا تقول؟

قلت: أين اختفىٰ الخادم؟

قالوا: أي خادم؟!

قلت: خادم مدرستنا. الرجل الذي كان يتفانىٰ في خدمتنا.

نظروا حولهم وفتّشوا ثمّ قالوا: غير موجود فلعلّه ذاهب إلى السوق أو صلاة جماعة.

قلت: أبداً، انّه الآن التحق بالإمام الحجّة عليه السلام فقد أصبح من أصحابه المقرّبين من هذه الساعة.

سألوني: ما القصّة؟

فشرحتُها لهم من بدئها في ليلة الأربعاء حتّىٰ إختفائه قبل ساعة. فشاركوني في الدهشة، وكان الحقّ كذلك، دهشة تحاكي دهشة، وهكذا لم ير أحد منّا بعد ذلك أثراً للخادم ولا تكرار لرؤيته.

يقول ناقل هذه القصّة وهو المرجع الورع سماحة الشيخ وحيد الخراساني (دام ظلّه العالي) الذي حكاها في يوم (٢١ من شعبان / ١٤٠٤هـ) لطلبته في حوزة قم المقدّسة انّه سمعها قبل أربعين سنة من المرحوم السيّد غلام رضا الكسائي نفسه من دون واسطة. وقد كان رجلاً في درجة عالية من الصدق والتقوىٰ والعدالة. وأضاف الشيخ أنّ السيّد الكسائي لمّا نقل له القصّة قال: انّه الآن أربعون سنة مرّت على الحادثة ولم أجد للخادم أثراً[١].

تضمّنتْ هذه القصّة نقاطاً عديدة في العقائد والأخلاق الاجتماعية والسلوك المعنوي، أرجو من الله تعالى وبحقّ وليّنا المهدي المنتظر (روحي لتراب مقدمه الفداء) أن يهدينا إلى العمل بتلك النقاط المنقذة من الهلاك الفكري والفساد السلوكي.

---

١ ـ بالفارسية (شاخه گلى از ملكوت) تأليف السيّد جمال الدين الحجازي / ص ٨٤.

٦٤٥ من تجارب الخالدين



الشيخ محمدحسن الممقاني



الشيخ عبد الله الممقاني

«مَمَقان» قرية تبعد عن مدينة تبريز الايرانية خمسة فراسخ، فيها وُلِدَ (محمّد حسن) بتاريخ (٢٢ / شعبان / ١٢٣٨). وبعد أشهر إنتقل مع أبيه العلّامة الشيخ عبدالله الممقاني إلىٰ كربلاء المقدّسة وصار من أوّل شبابه يدرس العلوم الدينية في حوزتها وهو لم يكمل الثامن من عمره حتّىٰ دخل في إمتحان (اليتم)، إذ ماتت أُمّه سنة (١٢٤٦هـ) بمرض الطاعون الذي إجتاح العراق ثمّ التحق بها والده العالم الجليل بعد ستّة أشهر. وتوفّي وصيّ أبيه وكفيله بعد أشهر أيضاً، ولم تؤثّر على روحيّته الوثّابة تلك المصائب المتواترة بالإضافة إلىٰ غربته وصغر سنّه، فانتقل إلى مدرسة (حسن خان) عند حرم الإمام الحسين عليه السلام وجدّ في دراسته وتفوّق على أقرانه. يقول هذا الشيخ (محمّد حسن الممقاني) وهو يصف حال طلّاب مدرسته آنذاك:

«لو كان أحد ينظر إلى الساعات الأخيرة من تلك الليالي العطرة بالنفحات المعنوية ونسائم الدعاء والعبادة لكان يسمع ترنّم الطلبة في آناء الليل كدويّ النحل يخرج من حجرهم، بعضهم كان يتلو القرآن، وبعضهم يقرأ الدعاء، وآخرون في المناجاة، وآخرون في حال الصلاة والتهجّد».

يقول الذين أرّخوه انه منذ طفولته كانت علامات النبوغ ظاهرة على شخصيته. ولذا طلب منه آية الله الإيرواني رحمه الله أن ينتقل إلىٰ حوزة النجف الأشرف. فجاء سنة (١٢٥٥هـ) وكان في سنّ السابع عشر. إذ كانت الأوضاع مضطربة إثر هجوم الطاغية نجيب باشا على العراق، وكان أعظم مجزرة إرتكبها بأمر الحكومة العثمانية ما قام به فجر يوم الجمعة (١١ ذي الحجّة سنة ١٢٥٨) إذ قتل في أهالي كربلاء وزوّار الإمام الحسين عليه السلام مقتلة عظيمة، تداعت في الأذهان صور الدماء التي سُفكتْ يوم عاشوراء الحسين عليه السلام وصادف في يوم

الفاجعة أنّ جمعاً من أهالي قرية (ممقان) كانوا قادمين إلى زيارة حرم الإمام الكاظم والجواد عليهما السلام، فهرعوا إلى النجف فور سماعهم النبأ لينقلوا سماحة الشيخ الممقاني (الشاب النابغة) إلى (ممقان) ولكن الشيخ لم يوافق إذ كان مشدوداً إلى طلب العلم والرقيّ المعنوي لا يبالي بما يدور في عالم السياسة، فذهبوا إلى المرجع الديني الشيخ صاحب الجواهر (قدس سرّه) ليأمره بالرجوع إلى قريته ويعود بعد أن تخمد الفتنة في العراق فقام المرجع (صاحب الجواهر) بنفسه إلى المدرسة، ودخل حجرة الشيخ الممقاني (الشاب) وطلب منه أن يسافر إلى بلدته. عندئذ وافق الممقاني وخرج إلى ايران ثمّ عاد إلى النجف سنة (١٢٧٠هـ) بعد ما قضى أكثر من عشر سنين في التبليغ والتدريس. فواصل دروسه العاليا في علم الأُصول عند الشيخ مرتضىٰ الأنصاري والسيّد حسين الكوهكمري، وفي علم الفقه عند الشيخ راضي النجفي والشيخ مهدي آل كاشف الغطاء وفي علم الرجال عند مولىٰ علي الخليلي.

وكان الشيخ الممقاني يكتب تقريرات أساتذته وذلك في عصر لم تكن الطباعة والإستنساخ مثل ما هو في عصرنا.

ولقد إمتدحه كبار مراجع زمانه على تلك التقريرات العلمية الأنيقة كما أثنوا علىٰ زهده وتقواه ورفيع منزلته، واستمرّ الممقاني يفتح أبواب النجاح والتقدّم باباً تلو باب حتّىٰ اجتمعتْ الآراء في مرجعيته وزعامته بعد وفاة المجدّد الشيرازي الكبير. ولم يتغيّر في زهده ومظاهر حياته بعد إنتصابه في هذا المقام المرجعي، وعاش حتّىٰ آخر عمره في بيت يدفع إيجاره مثل أكثر الناس الفقراء، وكان قد حاول أهل الخير أن يوافق على شراء منزل له، فلم يوافق الشيخ.

وكذلك لم يقبل المرجع الممقاني هدية السلاطين ورجال السياسة، كما لم يصرف من الحقوق الشرعية ـ الخمس ـ في حاجاته الشخصية رغم الأموال الكثيرة التي كانت تدخل عليه من كلّ جانب ورغم جواز أخذه منها علىٰ قدر حاجته. وقد وضّح السبب في ذلك لولده الشيخ عبدالله رحمه الله قائلاً:

«انّ الأمين علىٰ الحقوق الإلهية يجب أن لا يمدّ يده إليها، لأنّه في البدء يأخذ منها

على قدر حاجته الملحّة ثمّ يتجرّأ أن يأخذ لفضول معيشته وكمالياتها، فالذي يريد أن لا يتورّط في هذه المعصية ينبغي له أن يلتزم بعدم الأخذ منها حتّىٰ في حاجاته الجائزة المباحة».

وفي هذا الإطار، بعث إليه الملك مظفّر الدين شاه (٢٥٠٠) تومان وهو مبلغ كبير جدّاً قياساً لذلك العصر وقال (١٥٠٠) تومان منه نذر للسادة من ذريّة الرسول ﷺ و(١٠٠٠) تومان للطلبة العاديين. فوزّعه المرجع الممقاني في نفس اليوم ولم يبق منه شيئاً، ثمّ استدان لمصرفه العائلي والشخصي من موارد اُخرى.

وعلىٰ إمتداد السنوات التي أقامها في النجف الأشرف لم يكن يتهاون في الذهاب إلى كربلاء لزيارة الإمام الحسين عليه السلام. وقد التزم في بعض السنوات زيارته عليه السلام أربعين جمعة متوالية مشياً على الأقدام من النجف إلى كربلاء.

يقول العلّامة الكبير آقا بزرك الطهراني رحمه الله ـ الذي كتب عنه في موسوعته (نقباء البشر / ج١ ص٤١١) ـ: «لقد رأيته، وشاهدت بعيني سلوك هذا الرجل العظيم، وما نقلتُه من زهده وتقواه كان من مشاهداتي الشخصية وليس نقلاً عن هذا وذاك وإن كان أحد يتجرّأ أن لا يراه أعلم أهل زمانه فانّه لا يتجرّأ أبداً أن لا يراه أورع أهل زمانه».

وهكذا قال عنه المجتهد الكبير السيّد محسن العاملي في موسوعته (أعيان الشيعة / ج٥ ص١٥١).

وكذلك أثنىٰ عليه المحدّث القمّي في كتابه القيّم (الفوائد الرضوية / ص١٠٢).

وذكره صاحب موسوعة (ريحانة الأدب / ج٥ ص١٦٠) قائلاً: «آية الله العظمىٰ الممقاني هذا كان من أوّل الصباح يدرّس طلبته الذين بلغوا (٥٠٠) طالب ولمدّة ثلاثين سنة».

وعاماً قبل وفاته سافر إلىٰ ايران لزيارة مرقد الإمام الرضا عليه السلام في خراسان، وكان في كلّ مدينة يخرج الناس لإستقباله بحفاوة قليلة النظير، وماكان يقبل هداياهم الثمينة أبداً، ولمّا وصل إلى حرم السيّد عبدالعظيم الحسني زاره إثنان من الوزراء يحملون إليه رغبة الملك مظفّر الدين شاه للقاء به. فقبِل الشيخ الممقاني بشرط أن لا يتوقّع الملك ردّه لزيارته!

فجاء الملك عصر ذلك اليوم ودخل عليه بتواضع، وقبّل يده الشريفة، وطلب منه أن يرافقه إلىٰ زيارة ضريح السيّد عبدالعظيم فوافق الشيخ، فكان الملك يمشي خلف الشيخ أدباً واحتراماً.

وعاد الشيخ إلى النجف الأشرف في حفاوة المستقبلين، وكان يستعدّ لوفاته من أوّل شهر محرّم الحرام سنة (١٣٢٣) حتّىٰ حضره الموت في يوم الثامن عشر، فعرج بروحه المؤمنة ونفسه المطمئنة إلىٰ ملكوت الله الأعلىٰ.

يقول إبنه سماحة الشيخ عبدالله (صاحب تنقيح المقال) انّ والده في ذلك اليوم قرأ للمرّة الأخيرة دعاء (العديلة) بخشوع القلب وخضوع الجوارح، ثمّ خاطبني قائلاً: «ولدي انّي لم أترك لكم مالاً ولا منصباً دنيوياً، ولكن إستودعتُكم ربّي».

بعد هذه الكلمة نظر إلى السماء وقرأ شهادة (أن لا إله إلّا الله وأنّ محمّداً رسول الله) ثمّ فارق الحياة. وكفّنوه بكفن كان قد غسله بماء الفرات في حياته ومسحه بضريح الإمام أمير المؤمنين علي وضريح سيّد الشهداء الإمام الحسين. وضريح الإمامين الكاظميّين والعسكريّين وضريح الإمام الرضا تبرّكاً منهم عليهم السلام.

ودفنوه في مقبرة بالنجف الأشرف قد أعدّها أحد مقلّديه من أهل الخير، بعد أن مسحوا جبينه بتربة الحسين عليه السلام.

يقول حفيده آية الله الشيخ محي الدين الممقاني انّه:

«في حدود سنة (١٣٨٨هـ) ـ أي بعد ٦٥ عاماً من وفاة جدّه الفقيد السعيد ـ عزمت لتوسيع مقبرة جدّي وبنائه من جديد، في أثناء ما كان البنّاؤون يعملون هُدِم القبر فتبيّن جسده الطاهر، وحضر جمع من العلماء والمؤمنين وشاهدوا ذلك الجسد ـ بعد تلك السنوات ـ طريّاً لم يتغيّر حتّىٰ لون كفنه، وكأنّه ميّت قبل حين».

ومن الروائع في هذه الكرامة ما تنبّأ له ولده سماحة الشيخ عبدالله الممقاني وكتبه قبل (٤٢) عاماً ـ من هذا الإنكشاف ـ في كتابه (مخزن المعاني):

«إعلم أنّ من سعادة والدي المرحوم أنّه قد توفّي بمرض الإسهال، وهو مرض مبارك في آخر العمر، لأنّه:

أوّلاً: قال الإمام الكاظم عليه السلام من خرج من الدنيا بداء (المطبون) فقد مات شهيداً.

ثانياً: إلى حدّ علمي فقد مات أكثر الصلحاء بداء (الإسهال = المطبون) من أمثال الشيخ مرتضىٰ الأنصاري والسيّد علي الشوشتري والسيّد علي الحلو والشيخ لطف اللّه المازندراني والشيخ محمّد حسين الكاظميني والشيخ محمّد طه نجف وغيرهم.

ثالثاً: القاعدة الطبية هكذا تقتضي أيضاً، لأنّ الإسهال يذهب بفضلات المعدة والرطوبات الداخلية، فلم يبق في جوف الميّت ما يفسده في قبره ويسبّب إندراسه.

لذا فانّ الإسهال الذي يعقبه الموت لطف من ألطاف الله بعبده المؤمن، فهو مقدّمة لعدم إندراس أجساد الصالحين».

نعم، قد تحقّق ما قاله الابن حول أبيه بعد (٦٥) سنة، إذ شوهد ذلك بالعين المجرّدة وبشهادة عشرات الثقات من العلماء الأعلام والمؤمنين الكرام الذين حضروا الموقف المذكور.

إنّ الله تعالىٰ قد جعل هذه الظواهر العجيبة إثباتاً لكرامة الصلحاء وحافزاً للراغبين في مقام السعداء.

وقد جمع سماحة الشيخ علي أكبر مهدي پور في كتابه القيّم (الأجساد الخالدة) (١٤٦) قصة من قصص العلماء الأجلاء والصلحاء الذين ظهرتْ سلامة أجسادهم في الحوادث التي جرت على قبورهم في مرّ التاريخ. ونحن ترجمنا هذه القصّة من هذا الكتاب عسىٰ أن نتأمّل في الأسباب التي ترفع الإنسان إلىٰ هذا المستوىٰ العظيم، وتلك ـ أي الأسباب ـ لا تكون إلّا الايمان والتقوىٰ والزهد والأخلاق والتفاني في حبّ أهل البيت عليهم السلام. انه هو من تجارب الخالدين.

٦٤٦ انّه من فضلنا أهل البيت عليهم السلام

قبل خمسين عاماً تقريباً سافر العالم التقي الشيخ النمازي إلى حجّ بيت الله الحرام في حملة من ايران. ولم تكن في ذلك الزمان وسيلة من الوسائل الحديثة للنقل إلّا حافلات الباص

يقول سماحة الشيخ غفاريان (حفظه الله) تحرّكت الحافلة بركّابها الأربعين شخصاً تقريباً، ففي الطريق بين مكّة والمدينة ضيّع السائق طريق مكّة، فزجّ بالحافلة في طريق صحراوي وَعِر حتّى نفدت وقودها وغرست إطاراتها في التراب، فلم يروا من جهاتهم الأربع أثراً يدلّهم إلى مكّة المكرّمة تحيّروا في أمرهم وراحوا يندبون إلى الله تعالى واستمرّت هذه الحالة بهم إلى حدود اسبوع، حتّى نفد زادهم (الماء والطعام) وأوشكوا على الموت الذي كانوا يرونه بالقرب منهم فأخذوا يحفرون قبوراً لأنفسهم كي يناموا فيها عند الإحساس بالنهاية.

في هذه اللحظات المأساوية الأخيرة تذكّر الشيخ النمازي لماذا لم يتوسّل بالمنقذ الموعود الحجّة بن الحسن المهدي عليه السلام فقام باستنهاض الإمام وأخذ في حضور الجمع اليائس يدعو ويتضرّع ويقسم على الله تعالى بحقّ القائم من آل محمّد. ثمّ استولى عليهم الضعف فافترشوا الأرض، ساعة بعد ذلك وإذا يرى الشيخ حَمْلَ بعيرٍ عليه رجال، ومن بينهم رجل وسيم متميّز بنورانيّته عن الباقين، فجاؤوا حتّى بلغوا عندنا. فتقدّم الشيخ النمازي إلى ذلك الرجل وسأله: هل أنتم من هذه المناطق؟

فأجابه الرجل: نعم أيّها الشيخ النمازي ـ هكذا سمّاه باسمه ولكنّ الشيخ لم يدرك ـ!

فسأله الشيخ: ان كنت تعرف الطريق أرشدنا أيّها العربي فقد تِهْنا في هذه الصحراء تيهاً أوشكنا على الموت كما ترى حالنا.

فقال الرجل: لا بأس عليكم ولكن أوّلاً كلوا واشربوا ممّا عندنا.

يقول الشيخ النمازي فأكلنا من التمر وشربنا من الماء حتّى استعدنا قوانا البدنية، ثمّ أمرنا أن نركب حافلتنا المعطّلة. فركبنا جميعاً، ونادى الرجل (العربي) سائقنا باسمه: تعال وقُدْ سيارتك لأدلُّك الطريق. فجلس الرجل بيني وبين السائق وقال له أشغل. فأشغلها وتحرّكت السيارة ونحن لم نتذكّر انّ السيارة خاليةً من الوقود وغارسةً في التراب!

فما تحركنا من ذلك المكان حتّى ارتفعتْ أصوات الركّاب بالصلاة على محمّد وآل محمّد. ولم يكن أحد منّا يعرف عمق الحالة هذه وشخصية الرجل هذا. أخذنا إلى طريق

مكّة ورأينا سيارات أُخرىٰ في الطريق ولكنّه طلب أن نعيده إلى بعيره وأصحابه، فرجعنا وكنت أشكره على إحسانه وإنقاذه لنا، وهو أخذ يسألني كيف حال الخراسانيين وأوضاع الزراعة والزرّاع. فأُجيبه جيدة ولله الحمد. فكلما ما كنت أقول هذا في جوابه كان يعلّق قائلاً: انّه من فضلنا أهل البيت.

إلى أن سأل كيف حال الحاج الشيخ حسين؟ ـ وهو المرجع الديني اليوم المعروف بالوحيد الخراساني. فقد كان في ذلك الزمان شاباً يرتقي المنبر الحسيني في مناطق من خراسان ـ.

فقلت له: تقصد الشيخ وحيد؟

قال: نعم ذلك الخطيب الحسيني.

قلت: صحّته جيّدة ولله الحمد.

قال: انّه موضع تأييدنا.

وإلى هنا يقول الشيخ لم أُدرك شخصية الرجل العربي هذا رغم أسئلته العجيبة الدالّة على معرفته بنا وإهتمامه بأوضاعنا.

فلما وصلنا إلى أصحابه ودّعنا وقال لقد عرفتم الطريق فارجعوا إليه.

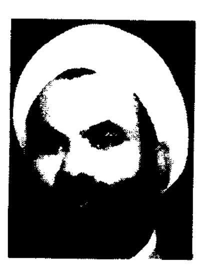
رجعنا بعض المسافة، وفجأةً ذكرتُ، مَن يمكن أن يكون هذا الرجل؟

أين عرب هذه الصحاري من قضايانا وأسمائنا؟!

فرجعنا لأسأله عن إسمه فلم نجد له أثراً في امتداد أنظارنا. هناك أدركتُ لم يكن سوىٰ الإمام المهديّ (روحي فداه) وقد كان معنا وإلى جنبنا ويحدّثنا ونحن نجهله رغم كلّ القرائن والعلامات والاشارات، خاصّةً كلمته التي كان يكرّرها (هذا من فضلنا أهل البيت).

وهكذا لمّا عرفنا حقيقة الأمر جلسنا مكاننا وبكينا نادبين الإمام وشاكرين اللّه ربّنا سبحانه على تلك النعمة العظيمة.

٦٤٧ أعيدوه .. أعيدوه !


الشيخ غفّاريان

حكى لي سماحة حجّة الإسلام والمسلمين الشيخ محمّد حسين غفّاريان (دام ظلّه) مدير مؤسسة الأيتام والفقراء في مدينة قم المقدّسة، انّه في أيّام وفاة المرجعين العظيمين الشيخ الأراكي والسيّد الگلپايگاني (قدّس الله نفسهما الزكيّة) حيث وزّعت صورهما بمناسبة الدعوة إلى مجلس فاتحة على روحهما، رأت في المنام السيّدة العلوية زوجة سماحة الشيخ الحيدري ـ دام عزّهما ـ أنّ زوجها دخل المنزل وبيده إعلانات عن مجالس الترحيم وفيها صور الشيخ الأراكي والسيّد الگلپايگاني وصورتي (غفّاريان)!

فبكت ونادت زوجها تقول: وا أسفاه فهذا الشيخ أيضاً مات؟ فمن للأيتام الذين يراجعوننا فنساعدهم ممّا خصّصته لهم مؤسسة الشيخ؟

فبينما نحن كذلك وإذا بأصوات تشبه هتافات المتظاهرين سمعناها من وراء الجدار، فهرعنا إلى خارج المنزل لنرىٰ ما الحدث وما الخبر. فشاهدنا أُولئك الأيتام الذين نمنحهم من معونات الشيخ يمشون في صفوف منتظمة ووجوههم حزينة وبأيديهم أعلام العزاء ورؤوسهم نحو السماء يهتفون من أعماق قلوبهم: أعيدوه.. أعيدوه!

فسمعنا جواباً مدوّياً في السماء يقول: أعدناه .. أعدناه!

فعلمنا ونحن في حال الرؤيا أنّ قصد الأيتام أعيدوا لنا الشيخ غفّاريان. وجاء الجواب من الله تعالى أعدناه.

فأسرّنا ذلك كثيراً وذهب عنّا الحزن والأسى.

لقد أخبرني الشيخ الحيدري عن رؤيا زوجته هذه فقلت خيراً يكون ان شاء الله.

وذهبتْ الأيّام .. بعد ثلاثة أشهر قرّرتُ السفر مع عائلتي إلى مدينة مشهد لزيارة الإمام الرضا عليه السلام في أيّام عطلة (نوروز) ـ بداية السنة الايرانية ـ.

فصلّينا صلاة الصبح وتحرّكنا بسيارتنا الشخصية (پيكان) فلمّا وصلنا إلى شارع (١٧

شهريور) في مدينة سِمْنان خرجتْ أمامنا سيارة حمل (وانت) مسرعة، وكانت محمّلة بعائلة ثقيلة وكنّا نحن أيضاً بسرعة (١٠٠ كيلومتر) فلكي لا نصدمها فتحدث كارثة إنسانية دفع سائقنا (وهو ابني مصطفى) بسيارتنا إلى خارج الطريق فصدمنا شجرة (كاج) ضخمة على قارعة الطريق، ولم ندرك بعده ماذا حصل، فقد راح عنّا الوعي، وتبيّن فيما بعد انّ السيارة انتهت كاملة وركّابها تكسّروا جميعاً. والذين لم يذهبوا عن وعيهم كانوا من الدهشة والرعب والدماء الجارية يبكون بشدّة وهم مذعورون، ولا يدرون ماذا يفعلون. كان الموقف صعباً على الجميع. نقلونا بالاسعاف إلى أقرب مستشفى، وجعلوني في العناية الخاصّة لمدّة (١٥) يوماً، ولمّا استعدتُ صحّتي وأخذتْ قواي ترجع إلى حالتها السليمة تدريجياً تذكّرت الرؤيا التي رأتها السيّدة العلوية عنّي، فبالتحقيق لولا دعاء الأيتام والفقراء لكنت في عداد الموتى. فحادثة مثل التي حدثت لي لم يخرج منها أحد حيّاً ما لم تكن الصدقات المنجيات قد سبقت البلاء والبليّات.

تأمّل أيّها القارىء اللبيب، فالرؤيا وقعت قبل الحادث بثلاثة أشهر، وجاء الحادث ليعبّر عنها بدقّة متناهية. أليس في هذا الأمر العجيب سرٌّ معنوي فوق الحسابات المادّية ولن تطاله المفاهيم التحليلية عند العقل المجرّد؟!

فالغيب إيمان وتسليم .. ألا فلنؤمن ولنسلّم ولا نستعجل الردّ إذا عجز العقل أن يتفقّه.

٦٤٨ لحمُ فِخذٍ فيه نظر!

حكى لي سماحة حجّة الإسلام والمسلمين الشيخ غفّاريان (دام ظلّه) انّه: في محرّم سنة (١٣٨١هـ) (١٩٦١م) ذهبت للتبليغ إلى قرية (نَطَنْز) التابعة لمدينة كاشان وكان هناك خطيب حسيني ذو صوت جميل يميل إلى الدراوشة (الصوفية) اسمه ناد علي. قرأنا في ليلة عاشوراء بالتعاون معاً. استمرّت المراسم إلى منتصف الليل الحاج حسين (رئيس القرية) حيث قرأت زيارة عاشوراء ثمّ خلدت إلى النوم وإذا أرى نفسي واقفاً في ساحة المنزل وكان الحاج مشغولاً بالطبخ للمعزّين. في هذه الأثناء طُرِق باب المنزل، فذهبتُ وفتحت الباب فكان عليٌّ الأكبر ابن الإمام الحسين عليهما السلام سَلَّمَ عليّ بترحاب وأعطاني

فِخْذَ شاةٍ وقال لي: غفّاريان إعطِ هذا الفِخْذ للحاج حسين ليجعله في قِدْر (شلّة ـ آش) لئلا ينقص!

أخذتُه من يده الشريفة وجئت به إلى الحاج حسين، وأعطيته إيّاه وقلت له ذلك.

هنا انتبهتُ من النوم بصوت أذان الفجر، فخرجتُ إلى ساحة المنزل لأتوضّأ لصلاة الصبح فرأيت الحاج حسين يعمل مع الطبّاخين وهو بالشكل الذي رأيته في المنام قبل قليل. دنوت منه وأخبرته برؤياي. فما أكملت حديثي حتّى ضرب بيديه على رأسه وأخذ ينادي (ياحسين .. ياحسين) فغُشِي عليه وسقط على الأرض. ولم تنفعه المحاولات لإفاقته سريعاً، ولمّا فتح عينيه نادىٰ مرّةً أُخرىٰ (ياحسين .. ياحسين) وغشي عليه أيضاً، ثمّ استفاق ولم يستطع الكلام لشدّة إختناقه بالبكاء. ولمّا هدأ قليلاً التفت إلى زوجته وقال لها: اذهبي إلى تلك الغرفة وإيتيني بكيس أبيض موضوع على الرفّ.

وبينما ذهبتْ زوجته كان الحاج يبكي ويقول (حسين يامولاي أنا فدوة لك ياسيّدي، سامحني فسوف لا آخذ بعد هذا من ذبيحة منذورة).

أحضرتْ زوجته ذلك الكيس فأخرج منه الحاج حسين فخذاً يشبه الذي أعطاني مولاي علي الأكبر في المنام، فطلب من الطبّاخ أن يقطّعه ويضعه في القدر.

ثمّ التفت إلينا الحاج وقال: كنت أُفكّر أن أحتفظ بتلك القطعة من اللحم لأولادي الذين يأتون من طهران وليس لديّ ما أُقدّمه لهم. فتبيّن أنّ الإمام الحسين غير راضٍ من هذا التصرّف الشخصي في النذورات، وما رأيتَه في رؤياك أيها الشيخ هو عين الحقيقة التي رأيتَها الآن في اليقظة.

أجل إنّه لحمُ فِخْذٍ فيه نظر، فليرجع إلى أهله والله لا يضيع أجر المحسنين. وهذا درس للآخرين.

٦٤٩ الكمال موزَّع بالسَعي


السيد الميلاني

أبى الله أن يجمع الكمال كلّه في شخص واحد دون النبي وأهل بيته الذين هم دون كمال الله المطلق. فلقد كان البشر ولا زال نسبيّاً في وصوله إلى الكمالات والفضائل والمواهب المعنوية، فعلماء الدين والمراجع الأبرار وكلّ الذين وفّقهم الله على صراطه المستقيم وهم قد بلغوا الدرجة العالية منها قد أتت صفاتهم الحسنة على قدر سعيهم المحدود وما انتهى عمرهم إلّا كانت النواقص اللامقصودة تلاحقهم، ولولا أن زرع الله في الإنسان حبّ الخير والتقدّم والكمال وكذلك الشوق المستمر إلى الزيادة فيه لما كانوا يمتلكون من دافع آخر في سعيهم التكاملي.

هذا في جانب المؤمنين، وكذلك الأمر في الجانب الآخر، فالذين لم يؤمنوا بالله وباليوم الآخر فانّ دافعهم الفطري للتفوّق والتطوير وتحصيل الجديد في حياتهم أمر لا يُنكَر وإنْ وضعوا هذه النعمة كغيرها في محاربة خالقهم العظيم ومُنْعِمهم الحليم.

وقبل أن تطول بنا المقدّمة على ذي المقدّمة نقول: انّ مراجعنا الكرام هم بين الناس أكثر من يسعون للكمال ورغم أنّهم محدودون باطارهم البشري فقد أمرنا أهل البيت باتّباعهم حتّى ساعة ظهور الإمام المهدي عليه السلام ذلك المرجع العالمي للحقّ الأصيل الأشمل.

يدلّك إلى هذه الفكرة ما حكاه لي آية الله السيّد محمّد تقي المدرّسي (دام ظلّه) من انّ المرجع الكبير المرحوم السيّد محمّد هادي الميلاني قدس سره التقى بأحد العلماء الصالحين (دونه في الدرجة العلمية والمقام المرجعي والشهرة الجماهيرية) ولكنّه كان موهوباً بنعمة الإلهام في الاستخارة بالقرآن. فكان المرحوم الشيخ فاكر اليزدي ـ وهذا اسمه ـ كلّما يستفتح بكتاب الله يُلهَم بنور يلمح له أن يجيب هكذا.

ولذا كانت استخاراته القرآنية الملهمة تفتح أبواب الخير على الذين يطلبونها منه. فالسيّد الميلاني المولع بتحصيل المزيد من الكمالات سأل هذا الشيخ ذات مرّة أن يخبره

عن الطريق إلى هذه الموهبة. فأجابه الشيخ بلطافة ومزحةٍ علمائية: ياسيّدنا فلقد أعطاك الله السيادة والمرجعية والعلم والفضل والشهرة .. فهذه الكفاءة (الاستخارة) دعها لي فانّي لو علّمتُكها ما بقي لي شيء!

فضحك السيّد الميلاني. وثبت أنّ الإنسان مهما أُوتي من كمال فهو طالب فيه الزيادة كما ثبت أنّ العالِم قد يُؤتىٰ كفاءة وهي ليست في غيره، فكم من خطيب غير فقيه وكم من فقيه، غير خطيب، وكم من مؤلّف غير مرجع، وكم من مرجع غير مؤلّف، وكم من عالم غير مدبّر ومدير، وكم من مدير ومدبّر غير عالم بالأعماق، وكم روحاني بارعٍ في الماورائيات وهو محتاج إلى غيره في أُمور أُخرى ...

أليس ذلك من حكمة ربّك. انه لكي يحتاج الناس بعضهم إلى بعض ولا يُطغيهم العُجْب والغرور. فالكمال نسبيٌّ وبابه مفتوح أمام العمر المحدود وهنيئاً لمن سعى له السعي الدؤوب جاعلاً قول ربّه عزّوجلّ نصب عينيه: ﴿ياأيّها الإنسان إنّك كادح إلىٰ ربّك كدحاً فملاقيه﴾[1].

٦٥٠ أهل العلم أم أهل العمل ؟!

جلس أحد طلبة العلوم الدينية بين يدي عالم ربّاني كبير وقال: مولانا أُدعُ اللّه تعالىٰ أن يجعلني من أهل العلم.

فقال له العالم: ادعو اللّه تعالىٰ أن يجعلك من أهل العمل !

وهكذا أخي القاريء.. أختي القارئة ارجو ان تكونا قد كسبتُما من علمكما ارادةً للعمل، اذ هو المقصود وليس العلم فقط.

قال امير المؤمنين عليه السلام: «العلم يهتف بالعمل، فإنْ أجابه وإلاّ ارتحل عنه»[2].

---

١ ـ سورة الإنشقاق: الآية ٦.

٢ ـ نهج البلاغة / قصار الحكم ٣٦٦.

رسالةٌ أبويّة

من المرجع الديني الورع أُستاذ الأخلاق والتربية الاسلامية المرحوم آية اللّه العظمىٰ الحاج السيد عبد الأعلىٰ الموسوي السبزواري ﵀ الىٰ المؤلف :

بسمه تعالىٰ

جناب العلامة الشيخ عبد العظيم المهتدي دامت تأييداته

السلام عليكم ورحمة اللّه وبركاته .نسأل اللّه تبارك وتعالىٰ أن يحفظكم من المكاره ويوفقكم لما يحب ويرضىٰ وصلتنا رسالتكم الشريفة وعرفنا مضمونها وأرسلنا ماطلبتموه من الاجازة لكم وللشيخ آل عصفور وفقكم اللّه لخدمة الدين الحنيف ونشر احكام سيد المرسلين وأن يأخذ بعضدكم في تهذيب النفوس وتكميلها بالكمالات ومكارم الاخلاق أرجو أن لا تنسوني من الدعاء كما لا أنساكم إن شاء اللّه تعالىٰ والسلام عليكم ورحمة اللّه وبركاته .

٥ / شهر رمضان المبارك / ١٤١٣   عبد الأعلىٰ الموسوي السبزواري

وأما الاجازة

فهي بخط مسئوول مكتبه وختم سماحته وهذا نصّها:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على
اشرف خلقه محمد وآله الطيبين الطاهرين وبعد
لا يخفى على المؤمنين من أهالي "الدانمارك" ان جناب
العلامة الشيخ عبد العظيم المهتدي البحراني دام تأييده
مجاز من قبلنا في التصدي للامور الحسبية المنوطة باذن
الحاكم الشرعي و مأذون في قبض الحقوق الشرعية
المنطبقة كالزكاة ورد المظالم والنذور المطلقة ومجهول
المالك وسهم الامام عليه السلام والتصرف فيها بمقدار
رفع حوائجه وحوائج المؤمنين الشرعية وايصال الباقي
الينا لصرفه في اقامة الحوزات العلمية وعليه دام عزه
تسليم الوصولات بتمام المبلغ الى ارباب الحقوق واوصيه
بملازمة التقوى وسلوك سبيل الاحتياط وان لا ينساني
من صالح دعواته كما لا انساه ان شاء الله تعالى

حرر في غرة شهر رمضان المبارك
١٤١٣هـ

عبد الأعلى الموسوي
السبزواري

وللمؤلف أيضاً عشرة وكالات واجازات من المراجع والفقهاء الأحياء (أدام اللّه بقاءَهم)

خاتمة و ذكرىٰ

إنّ واقع العالَم الاسلامي الحاضر علىٰ كافة الأصعدة مزيج من المكتسبات الايجابية والتخلّف والخسائر ، ولا تترجّح كفّة الايجابيات الا بحكمة عالية ، ورجال ذوي بصائر رسالية ، ومؤهلات صالحة ، يعالجون بها المشاكل المتفاقمة بوقار وعلمية وتعقّل واستقامة . وأما إتخاذ مواقف القرب والبعد والحب والبغض بناءً علىٰ رغبة أهل المصالح أو بتحريك من العواطف فإنها لا تثمر للاسلام والأمة الاسلامية خيراً لا علىٰ المدىٰ البعيد ولا القريب .

والسؤال : ما هي مرتكزات الحلّ الصالح لهذا الهدف ؟

وجوابه: أن نتفاعل من كل المواقع لاكتساب الصفات التالية وتقويتها باستمرار :

١ ـ ذكر اللّه بمعناه العميق والشامل . أليس اللّه تعالىٰ قال : ﴿ و مَن أعْرَضَ عن ذكري فإنّ له معيشةً ضَنْكا ونحشُره يومَ القيامة أعمىٰ قال ربّي لِمَ حشرتَني أعمىٰ وقد كنتُ بصيراً قال كذلك أتَتْك آياتُنا فنسيتَها وكذلك اليومَ تُنْسىٰ ﴾[1] ومن مستلزمات ذكر اللّه تعالىٰ الخشية من حساب الآخرة ، فليراقب الانسان ما يصدر عنه ، ويحاسب نفسه في كل ساعة ،كي لا تشملنا الآية الشريفة : ﴿ إنّ هؤلاء يُحبّونَ العاجِلةَ ويَذَرونَ وراءَهُم يوماً ثَقيلا ﴾[2] ولا شك ان الذاكر ربه ذكراً واعياً سراً وعلانية ستنعكس آثاره علىٰ سلوكه دائماً وأبداً ، لأن اللّه يذكر ذاكريه ، فمن ذكره اللّه لن ينساه وهو عين الهداية والسعادة .

٢ ـ الحكمة ، وهي حالة من التعقّل والنضارة والحيويّة الموزونة يكتسي بها المخلصون للّه تعالىٰ بأقوالهم وافعالهم في التعامل مع الأشخاص والأشياء حولهم . وهي لا تحصل بكثرة العلم انما بالمعرفة القلبية للّه وفهم الدين الاسلامي من روحه ، والطريق الىٰ ذلك أن يعرف الانسان قيمة نفسه ويثمّنها في ميزان الآخرة فقط . قال تعالىٰ: ﴿ قد أفلَحَ مَن تزكّىٰ * وذَكَر اَسمَ ربّه فصَلّىٰ * بل تؤثِرونَ الحيوةَ الدُّنيا * والآخِرَةُ خَيرٌ وأبقىٰ ﴾[3] .

---

١ ـ سورة طه / ١٢٤ ـ ١٢٦ .
٢ ـ سورة الانسان : آية / ٢٧ .
٣ ـ سورة الأعلىٰ الآية ١٤ ـ ١٧ .

وقال النبيّ ﷺ لأبي ذر الغفاري : « يا أبا ذر ما زهد عبد في الدنيا الاّ أنبت اللّه الحكمة في قلبه وأنطَق بها لسانه وبصّره بعيوب الدنيا ودائها ودوائها وأخرجه منها سالماً الىٰ دار السلام » [١].

ان الانسان الحكيم هو الانسان الناضج في الحياة العارف بالمقاييس العمليّة ، لايُقدِم علىٰ أمر حتىٰ يدرس جوانبه ويتأمّل عواقبه ثمّ يُتقن إجراءه ويُحكِم نوافذه ويُلقي ببصره علىٰ النتائج الجوهريّة البعيدة علىٰ صعيدها الدنيوي والأخروي معاً ، مثل هذا الإنسان يترفّع عن سفاسف الأمور وحقارات المواقف والتجنّي علىٰ شعور وحقوق الآخرين ، وما يسبّب التشنّج في العلاقات بين الناس ويرهِقهم تحت ثِقل الخلافات الهدّامة ، فتجده كما وصفه الإمام الصادق ؑ : « وقوراً عند الهزاهز، صبوراً عند البلاء، شكوراً عند الرخاء ، قانعاً بما رزقه اللّه، لا يظلم الأعداء، ولا يتحامل للاصدقاء، بدنه منه في تعب والناس منه في راحة» [٢].

اذا سادت الحكمة تصرفات كل واحد منا وهو في أيّ موقع كان من القمّة الىٰ القاعدة وخاصةً أولئك المؤثّرين في المجتمع لساد الخير حياتنا جميعاً . قال تعالىٰ : ﴿ومَن يُؤتَ الحكمةَ فقد أوتي خيراً كثيراً﴾ [٣] . ولذلك ترىٰ ان اللّه جعل تعليم الحكمة هدفاً من أهداف الأنبياء الأساسيّة حيث قال في محكم كتابه الحكيم : ﴿ يُزكّيهِم ويُعلّمُهم الكتابَ والحكمة﴾ [٤] وهما (الكتاب والحكمة) لا ينبتان الا في قلب قد تزكّىٰ صاحبه ، ولذلك ورد في الحديث: «اتق اللّه يعلّمك اللّه» .

ولقد أعطىٰ اللّه الحكمة للنبي داوود وآل إبراهيم وآتاها لقمان الحكيم . وفي الحديث إنّه «قال لقمان لابنه يا بني جالِس العلماء وزاحِمْهُم بِرُكبَتَيْك فإنّ اللّه يُحيي القلوب بنور الحكمة كما يُحيي الأرض بوابل السّماء » .

إنّ الحكمة في المواقف وحتّىٰ في الموقف من أخطاء الآخرين عامِلُ إصلاحٍ لهم وللمجتمع وسببٌ للحدِّ من الخلافات البغيضة . قال تعالىٰ : ﴿ ولمّا جاء عيسىٰ بالبيّنات قال قدْ جِئتُكُم بالحِكمَةِ ولأُبيّنَ لكُم بعضَ الّذي تختلِفون فِيه فاتّقوا اللّهَ وأطيعونِ ﴾ [٥] .

٣ ـ ان من الحقائق في الوجود التعدّدية في كل شيء ، حتىٰ في الحق نفسه ، وتلك

---

١ ـ مكارم الأخلاق / ص٤٦٣ .
٢ ـ أصول الكافي / ج٢ ص٤٧ .
٣ ـ سورة البقرة / آية ٢٦٩ .
٤ ـ سورة الجمعة / آية ٢ .
٥ ـ سورة الزخرف / آية ٦٣ .

هي سنة اللّه سبحانه ، وما دامت هي سنة وهي من أجل الابتلاء والامتحان لينظر اللّه كيف نتعامل مع بعضنا فإن الدين الذي تعهدنا العمل به يحكم علينا بعدم نفي التعدّدية ، وانما صناعة وعاء من القيم الدينية لاحتواء كل التعدّديات أو أكثرها .

ولا يبدو في الاسلام نقص في مواد هذه الصناعة الانسانية وهو القائل : ﴿يـاأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وانثىٰ وجعلناكم شعوباً وقبائل لِتعارفوا إن أكرَمكم عـند اللهِ أتقاكُم إنّ اللهَ عليمٌ خبير﴾[1].

فليس من المعقول أن يخلقنا ربنا تعالىٰ هكذا ولم يهيء لنا أدوات صناعة المجتمع الاسلامي المسالم .

«إن الألفة والانسجام مع الناس من الصفات الحميدة والأخلاق المرضيّة ولذا فقد وردتْ روايات كثيرة في فضيلة زيارة المؤمنين والسلام عليهم ومصافحتهم وعـيادة مرضاهم وتشييع جنائزهم وتعزية المصابين أو المفجوعين بـموتاهم وأمـثال هـذه الأمور. ومَن ينعم النظر في الاخبار الواردة في هذا الشأن يعرف مدىٰ اهتمام الباري سبحانه بالألفة والمحبة بين عباده ، وأي سنن سنّها جلّ وعلا للـمحافظة عـلىٰ هـذه الخصلة»[2].

وهكذا كانت من أخلاقيات رسول اللّه وأهل بيته الأكارم اعترافهم بحق مخالفيهم في الوجود والتحرّك ، وكانت هذه العظمة تميّزهم عن مخالفيهم وتهدي اليهم القلوب والأفئدة ، وهي سرّ خلودهم في تاريخ البشرية .

ولقد انبهر عقلاء البشر حينما رأوا النبي ﷺ رغم يقينه بسلامة هـدايـته يـدعو المشركين الىٰ الحوار من غير التنديد بهم واستفزازهم ، قائلاً : ﴿وإنا أو اياكم لَعلىٰ هدىٰ أو في ضلال مبين﴾[3].

فليس هذا إلا إفراز للعمق الرسالي في اخلاق النبي ﷺ وموقفه السليم إزاء التعدّدية في المجتمع ، فهل يصحّ لأتباعه الاستبداد بما يرونه حقاً وهـداية وذلك فـي وجـه إخوانهم في الدين ! وكأن يقينهم بسلامة هدايتهم أقوىٰ من يقين النبي ، أو خـطورة إخوانهم اشدّ علىٰ الاسلام من المشركين !

---

١ - سورة الحجرات / ١٣ .

٢ - (دروس أخلاقية) ص٢٥ ـ تأليف المحدّث القمي صاحب كتاب (مفاتيح الجنان) .

٣ - سورة سبأ / ٢٤ .

فالتعدّدية باستثناء الفئة المسلّحة المحاربة ، حقيقة ولها في الاسلام أخلاقية خاصة في التعامل معها .

٤ ـ إلغاء الفوارق والتي ما انزل اللّه بها من سلطان بين الامة الاسلامية الواحدة، ولقد قال ربنا تعالىٰ : ﴿ وإنّ هذه اُمّتُكم اُمّةً واحدةً وأنا ربُّكم فاتّقون ﴾[١] وذلك يبدأ بإلغائها من قلوبنا ثم أفكارنا ثم ممارساتنا العملية ، ومن أجل هذا لابدّ من نشر الوعي الأممي وبلورة ثقافة الاخوة الايمانية في النظرة والتعامل، عملاً بقوله عزّ وجل ﴿ إنّما المؤمنون إخوة﴾[٢] وبعدئذٍ لاتكبّل حياة الأمة وتُعطّل طاقاتها الفاعلة .

واذاكانت الحاجة الىٰ وضع قوانين لتنظيم شؤون المجتمع في كل قطر فُرضتْ عليه الحدود الجغرافية أو ظروف معينة فإن القيم الاسلامية وروح الشريعة السهلة السمحاء تذكرنا بالمرونة والاستثناء فلتكن القوانين من وحي هذه القيم .

٥ ـ الحرية . وقد جعلها اللّه من أهداف الانبياء الذين بعثهم لسعادة الانسان، حيث قال تعالىٰ : ﴿ ويَضَعُ عنهُم إصْرَهم والأغلال التي كانت عليهِم ﴾[٣]

فما عدا الواجبات والمحرمات هناك سعة لتحرّك الانسان في الحياة كما يشاء ويختار ، ولا يحق لأي أحد ان يحدّد تحرّكه ويضيّق عليه السعة التي منحها اللّه اياه في كل المجالات الفكرية والاقتصادية والاجتماعية والمعيشيّة و ...

إن دائرة المباحات واسعة فلابدّ من الحرية فيها انطلاقاً من الالتزام بالواجبات وترك المحرمات .

٦ ـ الاخلاق الحسنة والتي من أهمّ مفرداتها نشر الوئام والمحبة بين الناس والتشجيع علىٰ الصلح والمصالحة وحب الانسان للانسان والتبشير بالرحمة الاسلامية ونبذ العنف والحقد والقطيعة والتشفّي ، لابد من العمل علىٰ تربية الانسان علىٰ نهج التسامح وثقافة المسامحة .

ولقد كان الرسول الاعظم ﷺ الذي هو اسوتنا الأولىٰ في الحياة الطيبة رحمة للعالمين ومثالاً للخُلق العظيم وشعاره كان : انما بعثتُ لأتمّم مكارم الاخلاق .[٤]

---

١ ـ سورة المؤمنون / ٥٢ .
٢ ـ سورة الحجرات / ١٠ .
٣ ـ سورة الاعراف / ١٥٧ .
٤ ـ المحجة البيضاء / ج ٥ ص ٨٩.

فما أحوج عباد الله الىٰ اخلاق الله التي جسّدها ربّنا تعالىٰ في تعامله مَعهم علىٰ كافّة الأبعاد والمستويات، فاللّه العادل ، الغافر ، الساتر ، الناصر ، الكريم ، الحليم ، العليم، الرحيم، الهادي، الآوي، المعطي ، الوفيّ ، اللطيف ، الشريف ، المدير ، المدبّر ، المجمل، المفضل ، ... أمر عباده أن يتخلّقوا بأخلاقه ويتأسّوا بمن أرسلهم اليهم من الانبياء وعرّفهم من الاوصياء.

وتعني الاخلاق الفاضلة الالتزام بقيم السماء والتسامي فيها فكراً وعملاً ، وهي سبيلنا الوحيد الىٰ حياة طيّبة في الدنيا وسعادة أبدية في الآخرة . ولذا فهي مطلوبة في كلّ مراحلها الاعتقادية والروحية والفردية والعائلية والاجتماعية والسياسيّة خاصّة ، وقد تقدّم علىٰ ضوئها المسلمون الاوائل وبنوا علىٰ أساسها حضارتهم الانسانية الرائدة، حتىٰ اعترف لهم بذلك الصديق والعدو فهذا (مرماديوك باكتول) يقول :

« ان المسلمين يمكنهم أن ينشروا حضارتهم في العالم الآن بنفس السرعة التي نشروها بها سابقاً ، بشرط أن يرجعوا الىٰ الاخلاق التي كانوا عليها حين قاموا بدورهم الأول ، لأن العالَم الخاوي لا يستطيع الصمود أمام روح حضارتهم »[1].

كانوا يمتثلون قول رسول اللّه ﷺ : « مَن أصبح ولم يهتم بأمور المسلمين فليس منهم ، ومن يسمع رجلاً ينادي يا للمسلمين فلم يجبه فليس بمسلم »[2] وقال ايضاً : « المسلمون تتكافأ دماؤهم وهم يد علىٰ من سواهم ، يسعىٰ بذمتهم أدناهم ويردُ عليه أقصاهم »[3].

فمتىٰ ما عدنا الىٰ قيمنا الاخلاقية الحميدة عدنا الىٰ كرامتنا وعزّتنا ، واصبحنا خير أمة أخرجتْ للناس ، وصرنا بركة لأنفسنا ولغيرنا من الأمم . وعلىٰ قدر بُعدنا عن تلك القيم وآداب التعامل مع الاشخاص والافكار والاشياء من حولنا فقدنا الكرامة والعزّة، واذا لم ننصف بعضنا ولم نذكر بالخير جميع العلماء الذين ساهموا بشكل أو بآخر في خدمة الدين فانّه لا محالة نسقط في الخلافات الصبيانية والمذلّة والتخلف كما هو الحال في الغافلين والمتغافلين اليوم، وعندئذ لا يقوىٰ المجتمع لدفع الاخطار المحيطة به والهجمات الخارجية.

---

١ ـ عن كتاب (قادة الغرب يقولون : دمّروا الاسلام وأبيدوا أهله) ص ٧٠ .

٢ ـ بحار الانوار / ج ٧٤ ـ ص ٣٣٩ / وأصول الكافي / ج ٢ ـ ص ١٦٤ .

٣ ـ ميزان الحكمة / ج ٤ ـ ص ٥٢٢ ـ نقلاً عن كنز العمّال .

وفي خاتمة هذه القصص والخواطر التي حوتْ اخلاقيات علماء الدين الصالحين جدير بنا التأمّل في قول رسول اللّه ﷺ لمُعاذِ بن جَبَل لمّا بعثه الىٰ اليمن، اذكان يمشي ويوصيه ومعاذ راكب، فقال معاذ: يا رسول اللّه انا راكب وأنت تمشي، ألا أنزلُ وأمشي معك ومع أصحابك؟

فقال رسول اللّه: يا معاذ انما احتسب خطاي هذه في سبيل اللّه، ثم أضاف إليه قائلاً: إنّ أوْلىٰ الناس بي المتقون مَن كانوا وحيث كانوا.

وكانت وصيته لمعاذ رسالة الىٰ جميع العلماء والخطباء والموجِّهين الاسلاميين في كلّ زمان ومكان حيث قال: «يا معاذ علِّمهم كتاب اللّه وأحسِنْ أدبهم علىٰ الأخلاق الصالحة، وأنزل الناس منازلَهم خيرهم وشرّهم ـ أي علىٰ قدر منزلتهم ـ وَأنْفِذْ فيهم أمر اللّه، ولا تحاشِ في أمره ولا ماله أحداً ـ أي لا تستثنِ أحداً في ذلك ـ فإنها ليستْ بولايتك ولا مالك، وأدِّ اليهم الأمانة في كلّ قليلٍ وكثير، وعليك بالرفق والعفو في غير تركٍ للحق ... واعتذِرْ الىٰ أهل عملك من كلّ أمرٍ خشيتَ أن يقع اليك منه عيبٌ حتىٰ يُعذروك، وأمِتْ أمْرَ الجاهلية الاّ ما سَنَّه الاسلام، وأظهِرْ أمرَ الاسلام كله، صغيره وكبيرَه، وليكن أكثرُ همّتك الصلاة، فإنها رأسُ الاسلام بعد الإقرار بالدين، وذكِّر الناس باللّه واليوم الآخر، واتّبع الموعظة، فإنه أقوىٰ لهم علىٰ العمل بما يُحبُّ اللّه، ثم بُثَّ فيهم المعلِّمين، واعبُدِ اللّه الذي اليه تَرجَع، ولا تخفْ في اللّه لومةَ لائم. وأوصيك بتقوىٰ اللّه، وصِدْق الحديث، والوفاء بالعهد، وأداءِ الأمانة، وتركِ الخيانة، وليـنِ الكلام، وبَذْل السلام، وحِفْظِ الجار، ورحمة اليتيم، وحُسْنِ العمل، وقِصَرِ الأمـل، وحُبِّ الآخرة، والجزع من الحساب، ولزومِ الايمان، والفقْهِ في القرآن، وكظْمِ الغيظ، وخَفْضِ الجناح.

واياك أنْ تشتم مسلماً، أو تطيع آثماً، أو تعصيَ إماماً عادلاً، أو تكذِّب صادقاً، أو تصدِّق كاذباً، واذكُر ربَّك عند كلِّ شَجَر وحَجَر، وأحدِثْ لكل ذنبٍ توبة ... [١]

وذكر النبيّ ﷺ للامام عليّ عليه السلام ثلاثاً من أهم الاخلاقيات الرساليّة حيث قال: «ياعلي .. ثلاث من مكارم الاخلاق، تَصِلُ مَن قَطَعَك، وتُعطي مَن حَرَمَك، وتَعفو عمّن ظَلَمَك»[٢]

---

١ ـ تحف العقول / ص ٢٥.

٢ ـ تحف العقول / ص ٧.

وقال أيضاً : « يا عليّ .. أحسِن خُلُقَك مع أهلِك وجيرانِك ومَن تعاشر وتصاحب مِن الناس تُكتَب عند الله في الدرجات العُلىٰ »[1]

وبناءً علىٰ هذه التربية النبيلة دعا الامام علي عليه‌السلام الناس الىٰ تنافس شريف في السباق الىٰ ذلك حيث قال : «تنافسوا في الاخلاق الرغيبة ، والاحلام (الطموحات) العظيمة ، والاخطار الجليلة ، يُعظِّم لكم الجزاء »[2] وقال : « عليكم بمكارم الاخلاق فإنّها رفعة ، واياكم والاخلاق الدنيّة فإنها تضع الشريف وتهدم المجد »[3]

وفي كلمة حضارية ودعوة انسانية متقدِّمة قال عليه‌السلام ايضاً : « لو كنّا لا نرجو جنة ، ولا نخشىٰ ناراً ، ولا ثواباً ولا عقاباً ، لكان ينبغي لنا أن نطلب مكارم الاخلاق ، فإنّها ممّا يدل علىٰ سبيل النجاح »[4].

ولمّا كان الصالحون من الناس والعلماء هم الادلاّء الىٰ كل ذلك تجد الامام زين العابدين عليه‌السلام يقول : «مجالس الصالحين داعية الىٰ الصلاح وآداب العلماء زيادة في العقل»[5]

وهذا ما يريده الامام الصادق عليه‌السلام في قوله : «لَنُحبُّ مِن شيعتنا مَن كان عاقلاً ، فهيماً ، فقيهاً ، حليماً ، مدارياً ، صبوراً ، صدوقاً ، وفيّاً ،... إن الله تبارك وتعالىٰ خصّ الأنبياء بمكارم الأخلاق ، فمن كانت فيه فليحمد الله علىٰ ذلك ، ومَن لم تكن فيه فليتضّرع الىٰ الله وليسأله .

قال الراوي : قلتُ .. جُعلتُ فداك وما هي ؟ قال : الورع والقنوع والصبر والشكر والحلم والحياء والسخاء والشجاعة والغيرة والبِرّ وصدق الحديث واداء الأمانة»[6].

---

١ ـ تحف العقول / ص ١٤ .
٢ ـ غرر الحكم / ص ٣٥٥ .
٣ ـ بحار الانوار / ج ٧٨ ـ ص ٥٣ .
٤ ـ مستدرك الوسائل / ج ٢ / ص ٢٨٣ .
٥ ـ تحف العقول : ص ٢٨٣ .
٦ ـ بحار الأنوار / ج٦٩ ـ ص٣٩٧ .

ودعاؤنا الأخير

بسم الله الرحمٰن الرحيم

اللّهم انّي أعوذ بك من هَيَجان الحِرص ، وسَوْرة الغضب ، وغَلَبة الحسَد ، وضَعف الصبر ، وقلّة القناعة ، وشَكاسَة الخُلْق ، وإلحاح الشهوة ، وَمَلَكَة الحميَّة ، ومتابعة الهوىٰ ، ومُخالفة الهدىٰ ، وسِنَة الغفلة ، وتعاطي الكُلْفة ، وايثار الباطل علىٰ الحق ، والإصرار علىٰ المأثم ، واستصغار المعصية ، واستكبار الطاعة ، ومباهاة المُكْثِرين ، والإزراء بالمقلِّين ، وسوء الولاية لِمَن تحت أيدينا ، وَتَرْك الشّكر لِمَن اصطنع العارفة عندنا ، أو أن نعضُدَ ظالماً ، أو نخذُل ملهوفاً، أو نروم ما ليس لنا بحق ، أو نقولَ في العِلْم بغير عِلْم ، ونعوذ بك أنْ ننطويَ علىٰ غشِّ أحدٍ ، وأنْ نعجب بأعمالنا ، ونمدَّ في آمالنا ، ونعوذُ بكَ مِن سوء السَّريرة، واحتقار الصَّغيرة ، وأنْ يستحوذ علينا الشيطانُ ، أو ينكبنَا الزَّمانُ ، أو يتهضَّمنَا السُّلطان، ونعوذُ بِكَ من تناوُلِ الإسرافِ ، ومن فقدانِ الكفافِ ، ونعُوذُ بكَ من شماتَةِ الاعداءِ ، ومنَ الفقرِ الىٰ الأكْفاءِ ، ومِن معيشةٍ في شدَّةٍ ، وميتَةٍ علىٰ غير عُدَّة ، ونعوذُ بِكَ مَنَ الحسْرَةِ العُظمىٰ ، والمصيبةِ الكبرىٰ ، واشقىٰ الشقاء . وسوء المَآبِ ، وحرمان الثَّواب ، وحُلولِ العقاب ، اللّهم صلِّ علىٰ محمَّدٍ وآلهِ ، وأعذنِي من كُلِّ ذلك برحمتك وجميع المؤمنين والمؤمنات يا أرحمَ الراحمين [1] .

---

١ ـ الصحيفة السجادية / دعاء رقم ٨ حول الاستعاذة من المكاره وسيء الأخلاق ومذام الأفعال .

الدليل الموضوعي إلىٰ القصص بأرقامها

(حرف الألف)

(حرف الثاء)

* * * * *

(حرف الجيم)

(حرف الحاء)

(حرف الشين)

(حرف الصاد)

(حرف القاف)

(حرف الكاف)

(حرف اللام)

❊ ❊ ❊ ❊ ❊

(حرف الميم)

(حرف النون)

(حرف الهاء)

❊ ❊ ❊ ❊ ❊

(حرف الواو)

(حرف الياء)

❊ ❊ ❊ ❊ ❊

مع الاعتذار يُرجى تصحيح الاغلاط المطبعية اليسيرة التالية

الصفحة	السطر	الغلط	الصحيح
٩٨	٢٠	محمد حسن	محمدحسين
١١١	٢١	السيد	الشيخ
١٤٢		*الصورة متعلقة بالسيد الاصفهاني وليست بالمجدد الشيرازي*	
١٥٨		*الصورة ليست لصاحب القصة*	
١٦٢	١٠	١٩٠٩م تقريباً	١٣٢٧ هـ
٢٠١	٣	وهو ابن المجدد الشيرازي الكبير	يُحذَف
٢٢٦	١١	الف... خمسمائة	مائة ... خمسين
٢٢٦	١٣	ثلاثين ألف	ثلاثة آلاف
٣٢٤	١٨	*الى آخر الصفحة لا علاقة له بالقصة*	
٤٢٥	٩	١٣٦١ من الهجرة تقريباً	(١٢٦١) من الهجرة
٥٥١	٢٥	الحائري	الجزائري



◘ المؤلف ..

هاجر من البحرين سنة ١٩٧٤م الىٰ حوزة النجف الأشرف وذلك ليباشر دراسة العلوم الدينية وهو في الثالث عشر من عمره. تلقّىٰ هناك دروسه علىٰ يد كبار علماء الدين وأساتذة الحوزة ومراجع الدين الذين منحوه ثقتهم وإجازاتهم ووكالاتهم الشرعية. وسافر سماحته في مهام اسلامية (تبليغيّة) الىٰ كلٍ من كينيا والهند وسوريا وبعض دول الخليج واسبانيا والدانمارك والسويد ولندن . وفيها سلك سبيل التبليغ الاسلامي خطابة وكتابة وتدريساً، فكانت له نشاطات اسلاميّة واسعة وتجارب مهمّة اشير إلىٰ بعضها في هذا الكتاب نظراً لاهميّتها والحاجة إليها في التجربة التبليغيّة .

ولقد شهدت المكتبات الاسلامية مؤلفاته التي بدأت في سنة ١٩٧٨ ومنها كتاب: « حقائق التأمّل » ، « الحسين مدرسة الاجيال » ، « رسالة التآلف والأخوة » ، « العلم والعلماء في الكتاب والسنّة » ، « أحكامك في البلاد الاجنبية » ، « علماء البحرين دروس وعبر » ، « موجزٌ في السفر والزيارة » ، « حتىٰ تحييٰ المقدّسات» ، «مذكرات الشيخ بُهلول» ، «آية اللّه الحائري المهاجر الىٰ اللّه» ، «أربعون حديثاً» ، «اثنتا عشرة عيناً» ، «فلاح الزائرين» ، «لمستقبل أفضل» ، «من أخلاق الامام الحسين عليه السلام» وكتب أخرىٰ في مراحل الطبع .

وقد إعتمد المؤلف القدير في كتاباته الدعوة الىٰ توحيد الكلمة ونبذ الخلافات وكسر الجمود الفكري والاهتمام الاكبر بالتربية الاخلاقية ولذلك يكثر في كتاباته النصائح والمواعظ بالاسلوب السلس والهادىء. وهذا الكتاب (قصص وخواطر) هو حصيلة تجاربه الثمينة وعلاقاته الطيّبة مع جميع علماء الدين والمراجع الكرام الذين إلتقىٰ بهم أوتتلمذ علىٰ أيديهم أو قرء عنهم في بطون الكتب . ويمكن الإتصال به علىٰ عنوان مؤسسة الامام محمّد الجواد عليه السلام للخدمات الثقافية والخيرية / قم المقدسة رقم الهاتف ٥١٧٩٣ / فاكس طهران ٦٧١١٤٩٣

الناشر

